

إمامُ الأئمةِ وأوقانِدها  
خليفةُ رسولِ الله ﷺ

# أبو بكر الصديق

حامي الإسلام من الرِّفْضِ والرِّدَّةِ



المجموعة الثانية

تأليف  
د. محمد عبد الحفيظ

للشرو والنويع

اسم الكتاب:

إمام الأمة وقائدها، خليفة رسول الله ﷺ، أبو بكر الصديق رضي الله عنه، حامي الإسلام من الرفض والردة- مجلدان

المؤلف:

د. حامد محمد الخليفة

الناشر:

الميمان للنشر والتوزيع

التصنيف:

التاريخ، حياة الصحابة

الطبعة:

الأولى

تاريخ النشر:

٢٠١١

تاريخ النشر الإلكتروني:

ذوالحجة ١٤٣٦



تم تنزيل هذا الكتاب من موقع مكتبة العقيدة.

[www.aqeedeh.com](http://www.aqeedeh.com)

[book@aqeedeh.com](mailto:book@aqeedeh.com)

الإيميل:

مواقع مجموعة الموحدين

[www.aqeedeh.com](http://www.aqeedeh.com)

[www.islamtxt.com](http://www.islamtxt.com)

[www.shabnam.cc](http://www.shabnam.cc)

[www.sadaislam.com](http://www.sadaislam.com)

[www.mowahedin.com](http://www.mowahedin.com)

[www.videofarsi.com](http://www.videofarsi.com)

[www.zekr.tv](http://www.zekr.tv)

إمامنا العلامة الفاضل  
خليفة رسول الله ﷺ

# أركان الإيمان

حاشيا للإسلام من الرضا والرضا

الجزء الثاني

© دار الميمان للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخليفة، حامد محمد

إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر  
الصديق رضي الله عنه. / حامد محمد الخليفة. - الرياض، ١٤٣٢هـ.  
٢ مج.

ردمك: ٦-٦٤-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)  
٠-٦٦-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج ٢)

١- أبو بكر الصديق، عبد الله بن أبي قحافة، ت ١٣هـ. قصص  
أ. العنوان

ديوي ٩، ٢٣٩ ١٤٣٢/٧٣٨

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٧٣٨

ردمك: ٦-٦٤-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)  
٠-٦٦-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج ٢)

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

دار الميمان للنشر والتوزيع - الرياض

الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ جري - ٢٠١١م

دار الميمان للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

الرياض ١١٦١٣ ص. ب ٩٠٠٢٠

الموقع: [www.arabia-it.com](http://www.arabia-it.com)

البريد الإلكتروني: [info@arabia-it.com](mailto:info@arabia-it.com)

هاتف: ٤٦٢٧٣٣٦ (٠١) فاكس: ٤٦١٢١٦٣ (٠١)

حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار الميمان للنشر والتوزيع، ولا يجوز طبع أي جزء من  
الكتاب أو ترجمته لأي لغة أو نقله أو حفظه ونسخه على أية هيئة أو نظام إلكتروني أو على  
الإنترنت دون موافقة كتابية من الناشر إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة مع  
وجوب ذكر المصدر.

الصف والإخراج الطباعي وتصميم الغلاف: دار الميمان للنشر والتوزيع

سلسلة تقريب التاريخ الإسلامي (٣)

إمامنا الأمامنا وقتنا  
خليفة رسول الله ﷺ

# الوَيْكَرُ الصِّدِّيقُ

حاجي لإسلام من الرِّفْضِ وَالرِّدَّةِ

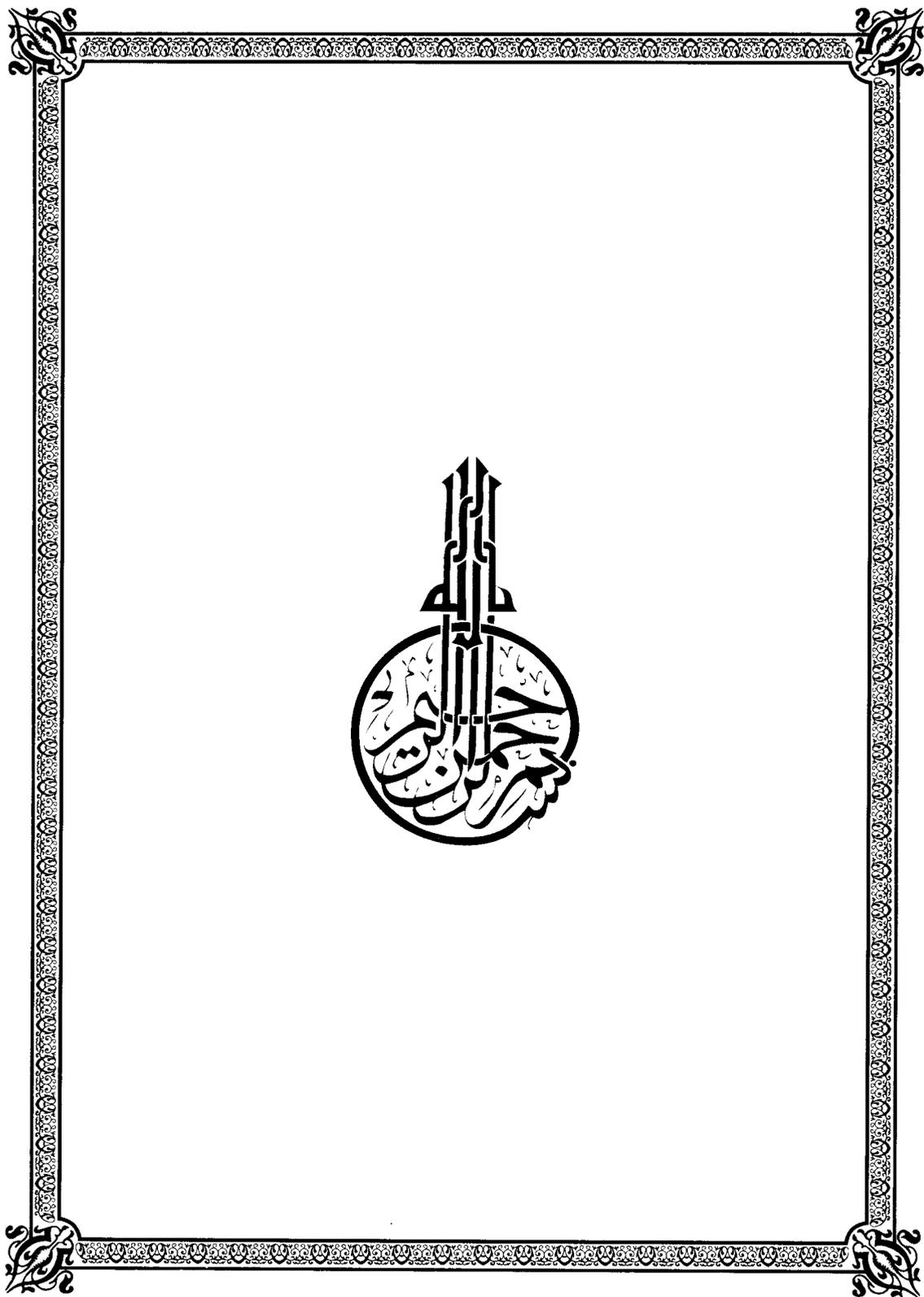
المجلد الثاني

تأليف

د. محمد محمد الطيف



للنشر والتوزيع



# أَفْصَلُ الرَّابِعِ

## الموقف من خلافة

### أبي بكر الصديق رضي الله عنه

المبحث الأول: إمامة الصديق للمهاجرين والأنصار في الصلاة بأمر النبي ﷺ قبيل وفاته.

المبحث الثاني: موقف خليفة رسول الله ﷺ يوم وفاة النبي ﷺ ورزية من شك في خلافته.

المبحث الثالث: خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وإمامته ثابتة بنصوص الكتاب والسنة وإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم.

المبحث الرابع: خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بين النص والاختيار.  
المبحث الخامس: الموقف يوم السقيفة وإقرار الإمامة وخلافة النبوة لأبي بكر رضي الله عنه بإجماع الصحابة رضي الله عنهم.

## تمهيد

### الموقف من خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

هو الفاصل بين الإسلام والشرك، وهو المحك الذي يفصل بين أنصار السنة النبوية وأتباع الردة السبئية، وإخوان الأنبياء وأعداء المتبئين، وقد بلغ من خصوصيات إمامة خليفة رسول الله ﷺ أنها أصبحت تكشف بوهج أنوارها كل من تسول له نفسه مخادعة المؤمنين أو مساندة المنافقين، يتجلى ذلك في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي كونت مع معطيات سيرة الصديق العطرة المباركة؛ الحصانة التامة لخليفة رسول الله إمام الأمة ومير الردة، فمن هو (ثاني اثنين)؟ ومن هو (الأتقى)؟ ومن قيل في حقه: ﴿لَسَوْفَ يَرْضَى﴾؟ ومن هو صاحب المطلق ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾؟ ومن الذي ﴿يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾؟ ومن الذي خوطب بقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا﴾<sup>(١)</sup>؟ ومن هو الذي صدق بالصدق ابتداءً؟ ومن هو الوحيد مع رسول الله يوم الغار؟ ومن هذا الذي قال في حقه رسول الله ﷺ: «إنه لم يسؤني قط»<sup>(٢)</sup> ومن صاحب يوم الهجرة؟ ومن الذي همّ النبي أن يتخذه خليلاً لولا مخالته ربه عز وجل؟ ومن الذي همّ النبي ﷺ أن يكتب له كتاباً بإمامة الأمة ثم قال: «يا أيُّ الله والمؤمنون إلا أبا بكر؟» ومن حج أميراً بالمؤمنين في حياة رسول الله ﷺ؟ ومن أمّ المؤمنين أياماً متتالية بأمر رسول الله ﷺ وفي حضوره وحضور جميع الصحابة؟ ومن ثبت وثبت

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ٨/٤١٧. ابن كثير: السيرة، ٤/٤٢٦. الطبراني: المعجم

الكبير، ك. السنين، باب سهل بن مالك، ح (٥٦٤٠).

بشاته الأمة يوم وفاة رسول الله ﷺ؟ ومن سحق الردة؟ ومن باشر الفتوح؟ ومن واجه الفرس والروم في آن واحد؟ إلى غير ذلك من الخصائص التي ظهرت في مواضعها من هذا البحث، وكل هذه المراتب من خصائص أبي بكر رضي الله عنه التي لم يشركه فيها أحد ولا يستطيع أن يجحد شيئاً منها أحد، فمن زعم الإسلام لا بد من موالاته لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ومنهج السنة النبوية، وبيان براءته من الردة والرفض لما جاء به محمد ﷺ وخلف عليه أبا بكر رضي الله عنه إماماً يحميه ويبنيه حتى رسخت الجذور واستبان السبل ﴿ وَمَنْ يَتَّبِدْ أَلْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد تبين لكل مطالع لسيرة خليفة رسول الله المقام العظيم الذي تفرد به من بين جميع الصحابة واتضح فيه لكل مؤمن ولكل عاقل كيف تجلت فيه مواصفات خلافة النبوة، من العلم والجهاد والعدل والرحمة والزهد والتواضع وحب الخير للناس، وما يتمتع به من يقين كامل بعزة الإسلام وخلود رسالته، وحرص شديد على تربية الأجيال بهدي النبوة والتمسك بالسنة، والدينونة لله تعالى بالتوحيد والبراءة من المرتدين والمبتدعين المشرعين للناس أدياناً رافضة لدين الله الذي أرسل به الرسل.

وقد بلغت منازل خليفة رسول الله بعد أن طمس الردة ونصر السنة، أن أي مسلم لا يواليه ويحبه ويعتقد إمامته وأنه هو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ تَأْتِيكُم مِّنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ يَدْعُوا إِلَى الْوَسْطِيَّةِ ﴾<sup>(٢)</sup> ليس من الأمة وإن تظاهر وزعم ولبس لباس المسلمين وتزيا بأزيائهم وتكلم بلسانهم، وكيف يكون مسلماً من دينه التشكيك أو الطعن أو بغض خليفة النبي ﷺ الذي كان له الفضل بعد الله تعالى في تثبيت الدين وإلجام المنافقين وإعادة المرتدين إلى جادة المؤمنين، وكيف يكون مسلماً من يرفض خيار الأمة وأئمتها الذين لا أئمة لها سواهم من المهاجرين والأنصار، وفي ملة منتمهم علي رضي الله عنه؟! الذي بايع وأطاع وناصر وشايع وتابع مخلصاً محبباً أميناً لإمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي أقامه نبي الرحمة ﷺ مقامه

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٨.

خليفة له وإمامًا وقائدًا لأمته وأمينًا على سنته ومنهجه على مرأى ومسمع من الجميع، حتى علم ذلك وأقره كل مؤمن في حياة النبي ﷺ.

فلم يعد السكوت جائزًا ممن يزعم أنه من أهل السنة والجماعة عمدًا يقوم به أعداء الصحابة في هذا العصر من عمل متواصل لتشكيك الأمة بمواقف الصحابة وعقيدتهم والنيل من مكانتهم وأمتهم، ولا سيما أن أعداء الصحابة ما زالوا يمتطون الغوغاء لتسويق مكرهم وكيدهم، وما زالوا يبحثون في مسائل الخلافة وما أجمع عليه المهاجرون والأنصار وسلف الأمة، لينبذوا خيار النبوة وإجماع الأمة وراء ظهورهم، ويدعون إلى اتباع أوهامهم وما يسمى بالمرجعية التي يعملون ويطمحون أن تكون بديلًا عن مرجعية الكتاب والسنة، يمدهم في كل ذلك سيل هائل من الروايات المصنوعة التي وضعها أسلافهم.

فموضوع الإمامة الذي أصبح يطرق ويثار باستمرار وتبنى عليه مسائل في منتهى الخطورة ينفثها أعداء الصحابة عن عمد وتردها الغوغاء عن غير قصد ومعهم علماء الجهالة الذين يزعمون أن مكفري الصحابة ورافضي السنة أئمة الحركات الهدامة التي تعيث في هويتنا خرابًا وتمزيقًا - إخوانهم، وأن دماء الفاروق وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومن اغتالوهم من أئمة السنة وما زرعه في موروثها الحضاري من باطل وإفك ووهم وتضليل؛ لن يحول بين تلك الأخوة الأئمة التي يقول بها من استهانوا بانتمائهم وهويتهم، ليؤدوا دور الإيهام والتضليل للإيقاع بالسنة وأهلها، تنفيذًا لشعار حاقد يدين به أعداء الصحابة يتمثل في قولهم: «غش السنة تدخل الجنة».

ونظرًا لمعرفة أعداء الصحابة بالدور الرائد المتمسك بمنهاج النبوة، الذي قاده خليفة رسول الله دور الخلافة الراشدة والإمامة الربانية التي أعزت السنة النبوية ومحقت الردة الرافضية؛ بذلوا كل ما في وسعهم للطعن في سيرته وسير الخلفاء الراشدين، ولم يكفهم ذلك حتى ولغت أيديهم الغادرة الأئمة بدمائهم وها هم يقدسون قتلهم ويعظمونهم، ثم حاولوا اغتيال كبار قادة الأمة الذين أدركوا خطورة الرفض وجهنمية أهدافه ومناهجه

الطائفية الحاقدة، الذين كان لهم الفضل بعد الله تعالى في حماية الأمة من التمزق، والسنة من التحريف، وفي مقدمتهم معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، ولما فشلوا في قتل هذين القائدين حاولوا اغتيال الحسن بن علي محب الشهيد عثمان ونصيره رضي الله عنهم لكنهم طعنوه ولم يتمكنوا من قتله رضي الله عنه فلما فشلوا في ذلك استدرجوا قائداً آخر من مأمنيه في مدينة الرسول ﷺ إلى الكوفة ثم تخلوا عنه وقاموا بقتله بين أظهرهم إمعاناً في محاربة أئمة السنة ودعاتها الأبرار، وذلك ما حصل للحسين رضي الله عنه، ومُضياً في تزييف الأحداث والطعن في السنة وقادتها ابتكروا تغذية ثقافة الحقد بالكرهية الدائمة لكل ما يمت إلى السنة النبوية بصلة، وتجديد تلك الثقافة وشحنها في نفوس الرافضة بأوراد يومية يرضعون فيها الحقد على السنة وأهلها، والشهادة على الصحابة بالردة وانعدام الأمانة، والدعوة إلى التحالف مع كل عدو للأمة يعمل على إقصاء دين الصحابة رضي الله عنهم وهوية أمتهم، والاستعداد الكامل لأن يكونوا له الخدم المطيعين، وها هم الآن ينشرون عقيدتهم الحاقدة وبجَلَدٍ عجيب وبذل متواصل بين غوغاء السنة، وينفقون لذلك المال والجاه ومغريات المعاصي والإثم لشراء الذمم الضعيفة والنفوس الرديئة ونشر الردة وكرهية السنة في العالمين، بينما عامة أغنياء السنة لا يزدادون إلا حرصاً على أموالهم، وكثير من علماء السنة ووجهائها لا يصدر منهم إلا ما يزيد الأمة جهلاً وخبالاً، في وقت تعبت فيه أمواج الردة بحصون أهل السنة وتجوس ديارهم، ولا حزم أبي بكر وإنفاقه ولا غيرة عمر ولا إقدام خالد رضي الله عنهم والله المستعان.

وقد تجلّى الموقف من خلافة أبي بكر وإمامته للأمة رضي الله عنه بتقديم رسول الله ﷺ له في إمامة المؤمنين في الحج وإمامتهم في الصلاة وتمسكه ﷺ بصحبته المطلقة، وفي كل موقف لا يكون مع النبي ﷺ إلا واحد يكون رضي الله عنه هو ذلك الواحد، وبالإشارات النبوية التي تغص بها النصوص الصحيحة على وجوب تقديمه وإمامته رضي الله عنه والتحذير الشديد لمن تحدّثه نفسه بالتقدم عليه، وقد توج كل ذلك بإجماع الصحابة رضي الله عنهم على اختياره رضي الله عنه خليفة لرسول الله ﷺ وإماماً وقائداً لأُمَّته لأنه

(ثاني اثنين) لا شبيه لهما، ولأن الأحداث أثبتت أن أبا بكر رضي الله عنه هو المثابة والمآل والمرجع للمؤمنين بعد نبيهم ﷺ في كل ملة ومعضلة تعترى طريقهم. وأنهم جميعاً يعلمون أنه أحقهم وأولاهم بخلافة رسول الله ﷺ وأقدرهم على ملء الفراغ الذي تركه غياب رسول الله ﷺ وأكثرهم خبرة قيادية ومعرفة سياسية، وأعرفهم بشؤون القبائل العربية وحركة الواقع العسكري والسياسي والاقتصادي للدول المجاورة وتحالفاتها مع الكيانات السياسية التابعة لها في أطراف بلاد العرب، فضلاً عما توصل إليه من المراتب العلمية والقيادية والفقهاء والإحاطة بتطلعات رسول الله ﷺ نحو مستقبل الأمة وما أشار إليه ﷺ من تحذيرات وإرشادات للتعامل مع ما سيعترض سبيل الدعاة والمجاهدين، وما صدر عنه من مبشرات وإشارات تؤكد للمؤمنين أن المستقبل لهذا الدين، وأن العزة لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، كل هذه المسائل وغيرها مما تفرد به أبو بكر رضي الله عنه وبعلم من الصحابة وتجربة عاشوا فصولها في كثير من المواقف التي خاضوها في حياة رسول الله ﷺ، كل ذلك وغيره مما اتصف به أبو بكر رضي الله عنه من صفات كان يرى فيها الصحابة رضي الله عنهم روح الانقياد الكامل لتعاليم النبوة ورؤيتها وثقتها ويقينها الذي لا يتردد ولا يضعف ولا يستكين أمام المستجدات والصعاب، لكل هذا ولغيره كان أبو بكر رضي الله عنه هو المؤهل والمهيأ والأولى والأحق بخلافة رسول الله ﷺ دون أي شك أو منافسة عند أحد من المسلمين.

ولعل من أهم الأمور التي تؤكد ذلك أنه لا يمكن لباحث مهما مَحَّص وقرأ وتابع إلا أن يقرّ بإجماع الصحابة على خلافة أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ وتنافسهم على طاعته وتلبية أمره، امتثالاً لقوله ﷺ: «يأبى الله ويدفع المؤمنين»<sup>(١)</sup>. و«يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»<sup>(٢)</sup>.

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. الأحكام، باب الاستخلاف، ح (٦٧٩١).

(٢) ابن حنبل: المسند، ك. وباب، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، ح (٢٤٥٨٩).

ومن هنا تأتي أهمية دراسة سيرته ومعرفتها؛ إذ إن دراستها هي الصفحة الأولى من صفحات التاريخ الإسلامي، الذي بهر كل تاريخ وسما عليه في كل صفحاته، بل لم تدون تواريخ الأمم مجتمعة بعض ما حوى من القيم والمعاني السامية. ذلك لأنه تاريخ الكمال الإنساني على وجه الأرض، تاريخ المعجزة النبوية التي ظهرت في بطن مكة على يد رجلٍ واحدٍ؛ فلم تلبث حتى عمت مكة، ثم امتدت حتى شملت الجزيرة، ثم امتدت حتى بلغت أقصى الأرض، فكانت أكبر من الأرض، فامتدت في الزمان، وسُتبلى الأرض ويفنى الزمان، والمعجزة باقية.

لقد فتح أصحاب رسول الله ﷺ وتابعوهم ثلاثة أرباع العالم آنذاك، فحملوا معهم العلم والهدى والعدل والأمن إلى البلاد التي فتحوها، وكانوا لا يختارون الحرب إلا إذا اختارها أعداؤهم، ثم لا يخونون ولا يغدرون ولا يغلُّون ولا يمثلون بأعدائهم ولا يقتلون أعزل ولا يهدمون منزلاً ولا يهيجون معتزلاً ولا عابداً كما تفعله الرافضة وحلفاؤها الغزاة في قراء وحُفاظ وعباد أهل السنة ومقدساتهم في هذا العصر.

فإذا أراد القارئ المنصف أن يعلم الفارق بين خليفة رسول الله وورثته من الفاتحين فليُنظر إلى ما جاءت به فتوحهم في كل أرض وطنتها أقدامهم؛ وبين ما يقوم به الحلف الصليبي اليهودي الرافضي في هذا العصر من التدمير والتخريب والقتل والتشريد والنهب والاعتصاب وقتل الأطفال والنساء وتدمير المستشفيات والجسور وموارد المياه وإغلاق الطرق والتشفي بتعذيب المسنين والمصابين والجرحى، فضلاً عن تدمير المساجد وتدنيس المصاحف وقتل الأئمة والقائمين على خدمة المساجد واعتقال المصلين واغتيالهم، ومداهمة البيوت الآمنة واعتقال النساء وسومهم سوء العذاب، أما عن التجسس والبهتان والإفك والقذف والكذب والافتراء على أهل السنة فهذا ما تجاوز كل وصف وتشخيص، إلى غير ذلك من ممارسات نزعت منها كل قيم الخير والإنسانية، وماتت فيها كل مشاعر الرحمة والفضيلة وانعدمت منها كل مظاهر النبل والرجولة، وبلغ بهم الحقد حدًا أمت

قلوبهم وضماثرهم، فأين هذه العدوانية الحاقدة المتجردة من إنسانيتها، من الفتوحات التي قادها خليفة رسول الله وجنده النبلاء الأكرمون المؤمنون، فجلبوا معهم العدل والرفاه والأمن والمحبة، فملكوا بالعدل قلوب الناس، ولا سيما أن المسلمين لا يفرق بينهم عرق ولا لغة ولا جاه ولا نسب؛ ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

وقد بلغ من ورعهم ورحمتهم وعدلهم حينما فتح جند الخلافة مدينة الحيرة، فأهداهم أهلها طائعين مختارين هدية فلم يقتسموها وإنما حملوها إلى خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه فقبلها منهم، ولكنه عدها من الجزية التي تؤخذ منهم عدلاً وتعقفاً، وخشية أن يظلم أهل ذمته أو أن يكلفهم شططاً، بينما يغتصب المجرمون في هذا العصر بلاد السنة فينتزون أموالهم ويمتصون دماءهم ويمدون أيديهم إلى كل ثروة فيها وكل خير، بل بلغ من خستهم أنهم يدخلون البيوت المسلمة من محبي خليفة رسول الله باسم البحث عن المجاهدين؛ فإذا ظفروا بالمصلين قتلوهم وإذا انفردوا بالأسرى مثلوا بهم قبل قتلهم، ثم يسرقون الأموال وحلي النساء وكل زينة أو تحفة يساندهم في كل ذلك أعداء الصحابة ويزيدون عليهم بالاعتداء على الشرف وعلى القيم، ولا سيما إذا كان البيت الذي يدخلونه بيت عفاف ودين، يستدلون على ذلك من وجود القرآن الكريم أو كتب الحديث والسنة، ولا سيما صحيح البخاري ومسلم أو كتب شيخ الإسلام وابن القيم وابن كثير والذهبي وإخوانهم من العلماء الذين فقهوا خطر دين الرفض وسياسته ومقاصده، بعكس من يحسب من العلماء الغوغاء الملبسين على أهل السنة دينهم في هذا العصر الرهيب العجيب، فتلك هي أخلاق أعداء الصحابة وسادتهم من أهل الصليب والسواد والنجمة، مجردة من كل فضيلة لا تتغير ولن تتبدل، على عكس ما عليه محبو الصحابة. الذين قال قائلهم:

فلما ملكتم سأل بالدم أبطح  
عدونا على الأسرى نمنّ ونصفح

ملكنا فكان العدل منا سجيةً  
وحللتمو قتل الأسارى وطالما

فحسبكمو هذا التفاوت بيننا فكل إناءٍ بالذي فيه ينضح<sup>(١)</sup>

فأعداء الصحابة الذين تنضح من قلوبهم وأفواههم وأقلامهم ثقافة الكراهية لسنة رسول الله ﷺ وحملتها، هم الذين يتفننون في نسج الأباطيل حول سيرة خليفة رسول الله، مع علمهم الثابت بأن الذي قدمه واختاره واجتبه هو رسول الله ﷺ!! ولكن مع كل هذا التمرد على منهاج السنة النبوية الذي يدين به المنافقون والمرتدون وعلماء الغش والخداع من المحسوسين على سنة النبي ﷺ ويشاركون في التمهيد لتمدد الرفض والردة وكراهية الصحابة وأمة العرب خاصة من بين المسلمين.

ولكن ومع كل ذلك فإن الموقف من خلافة أبي بكر رضي الله عنه اتضح بما قام به الصحابة الذين بايعوه طائعين في سائر الأركان، وبايعوه في السر والإعلان، ولقبوه بخليفة رسول الله لأنه السابق إلى التصديق الملقب بالعتيق المؤيد من الله بالتوفيق صاحب النبي ﷺ في الحضر والأسفار ورفيقه الشفيق في جميع الأطوار وضجيعه بعد الموت في الروضة المحفوفة بالأنوار، المخصوص في الذكر الحكيم بمفخر فاق به كافة الأخيار وعامة الأبرار وبقي له شرفه على كروار الأعصار ولم يسمُ إلى ذروته همم أولي الأيدي والأبصار، حيث يقول عالم الأسرار ﴿ثَانِيكَ أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾<sup>(٢)</sup> ذلك من الآيات والآثار ومشهور النصوص الواردة فيه والأخبار التي غدت كالشمس في الانتشار، وفضل كل من فاضل وفاق كل من جادل وناضل، ونزل فيه ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾<sup>(٣)</sup> توحد الصديق في الأحوال بالتحقيق واختار الاختيار من الله دعاه إلى الطريق، فتجرد من الأموال والأعراض، وانتصب في قيام التوحيد للهدف والأغراض، وصار للمحن هدفاً وللبلاء غرضاً، وزهد فيما عَزَّ له جوهرًا كان أو عَرْضًا وتفرد بالحق عن

(١) ينظر: الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢١، ٢٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الحديد، الآية: ١٠.

الالتفات إلى الخلق. حتى انفرد بخلافة النبوة كما انفرد بالصديقية رضي الله عنه<sup>(١)</sup>. قال أبو محجن الثقفي:

وسميت صديقًا وكل مهاجر  
سواك يسمى باسمه غير منكر  
سبقت إلى الإسلام والله شاهد  
وكنت جليسا في العريش المشهر

فأصبحت موالاته ومتابعته والاعتزاز بنشر سيرته، فضلاً عن حبه ووجوب الاقتداء به علامة الإيمان والرشاد والسداد، مثلما أن مناصبته العدا والتشكيك بآثاره علامة الجحود والنفاق والردة ومحاوله يائسة ترمي إلى طمس اليقين والنجاح والإنجازات العظيمة التي حفظت الدين والأمة، فالمؤمن يحب الصحابة جميعاً ويبرأ من أعدائهم ومنتقصيهم كبراءته من الشرك وأهله. قال إسحاق بن سويد العدوي:

برئت من الخوارج لست منهم  
ومن قوم إذا ذكروا علياً  
ولكني أحب بكل قلبي  
رسول الله والصدّيق حباً  
وحب الطيّب الفاروق عندي  
وعثمان بن عفان شهيد  
من الغرّال منهم وابن باب  
يردون السلام على السحاب  
وأعلم أن ذاك من الصواب  
به أرجو غداً حسن الثواب  
كحب أخي الظما برد الشراب  
نقي لم يكن دنس الثياب<sup>(٢)</sup>

ونظراً لما عرفه الرافضة وأعداء العرب والمسلمين من المؤرخين والكتاب وغيرهم من أهمية ما قام به خليفة رسول الله من دور رائد في بناء الأمة، وتأصيل هويتها وتعزيز وحدتها وترسيخ عقيدتها، وأن أحداث القرن الأول كانت من معجزات التاريخ، وأن ما أنجزه الصحابة والتابعون لم تنجز مثله أمة أخرى؛ لما ترك في النفوس من عوامل الثقة والطموح والقوة.

(١) ينظر: أبو نعيم: حلية الأولياء، ٢٨/١.

(٢) ابن معين: تاريخ يحيى بن معين رواية الدوري، ٤/١٧٧، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٩/٥٠٤.

لكل ذلك حرص أعداء الصحابة على تجاهل ذلك الدور وتجهيل الناس به وتزييف معالمه وطمس محاسنه للحيلولة دون نشره في نفوس المسلمين، والسبب يكمن في كون المجوس ممثلين في أعداء الصحابة ومعهم المستشرقون من اليهود والصليبيين، وفاقدى الولاء من الغوغاء؛ يحرصون على رد المسلمين كفارًا حسدًا من عند أنفسهم كما بين لنا سبحانه وتعالى ذلك في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقِنُّونَكُمْ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ أَسْطَظَعُوا﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى عن الصحابة رضي الله عنهم: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾<sup>(٣)</sup> ولذلك فإن معظم كتابات أعداء الإسلام قديمًا والمستشرقين ومن سار على نهجهم من سفهاء العرب والمسلمين حديثًا في مجال التاريخ والأدب والفكر الإسلامي جاءت تحقيقًا لذلك الهدف المخرب الهدام، الذي حبكته أيدي السبئية والمرتدين التي عملت على إيجاد الخلاف وتوسيعه في الأمة أولًا، ولتأتي فيما بعد أيادي ورثتهم الرافضة للسنة، فتصور الوقائع بغير صورتها الحقيقية. ليستقي من صديد أحقادها أعداء الصحابة ومن معهم من منزوعي الفهم والأمانة.

أما خليفة رسول الله وسائر الخلفاء الراشدين وإخوانهم من العشرة المبشرين بالجنة وطبقات أصحاب رسول الله ﷺ، ولا سيما الذين لازموه وتمتعوا بجميل صحبته من أنفق منهم من قبل الفتح وقاتل والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا. فإنهم كانوا جميعًا شموسًا سطعت في سماء الإنسانية مرة ولا تطمع الإنسانية بأن تطلع في سمائها شموس من طرازهم مرة أخرى إلا إذا عزم المسلمون على أن يراجعوا دينهم ويتأدبوا بأداب سنة نبهم فيوالون من والها ويتبرؤون ممن عاهاها، لعل بعض تلك الشموس تشرق من جديد.

فالموقف من خلافة أبي بكر وإمامته يوجب على كل مسلم أن يكون حذرًا ممن ناصب الصحابة البغض والرفض والمخالفة، أو من سالم هؤلاء وداهنهم ودعا إلى أخوتهم وإقرار

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

حقدهم وباطلهم، وأن يجعل من ذلك الفيصل بين منهاج القرآن والسنة وأهلها، وبين  
الرفض والردة وأهلها، أولئك الذين استبشروا بانفراط عقد الجيل الذي رعاه محمد ﷺ،  
وساءهم تصدي خليفته رضي الله عنه لأخطار الرفض والردة بعد وفاة النبي ﷺ وما نتج عن  
ذلك من نجاح دائم وتأصيل مستمر لأمة خالدة وشريعة قائمة؛ على الرغم من كل أصناف  
المكر والباطنية والتقية والبهتان والانتهازية، وسياسة التحالف مع أعداء الكتاب والسنة  
التي يدين بها أعداء الصحابة ومبغضو خليفة رسول الله إمام الأمة وقائدها أبي بكر الصديق  
رضي الله تعالى عنه وأرضاه. قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ  
أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ لِّمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ (١).

\*\*\*

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

زيوه دلمهلهه قنساء نآيقا و لونه زيوه راجعيا شلكه زه راجعيا نأه دهمهلهه وهه  
 دهمهلهه هله روتسها راجعيا هله له ايقاب او مشبها نوسا شلكه او دلمهلهه هه به او راجعيا  
 نه و متا له و روتسها هله و دبعه هه به او راجعيا الهه كما منه ملا رحى متفيلضه روتسها هه هله  
 سانشه او نه راجعيا الهه هه متا له تعريشه هه الهه كما منه راجعيا هه و لجه نه شلكه  
 قنساء ب لثها هله او هه سفاصتا هه ليسه هه قن لوتسها او نالتهها هه قنساها هه قنساها هه  
 روتسها هه روتسها هه الهه الهه ملا رحى متفيلضه هه  
 زيوه او شيوه هه  
 (1) هه هه



(1) 371: قولها اولها اقرب

## المبحث الأول

# إمامة الصديق للمهاجرين والأنصار في الصلاة بأمر النبي ﷺ قبيل وفاته

قد يقول قائل: إن إمامة خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه من المسلمات التي لا يجادل فيها أحد، ولكن مع هذه الحقيقة التي يعتقدها كثير من الناس فإن المحن والتجارب هي التي تصقل الأحداث وتظهرها على حقيقتها فيتبين الموقف الأصيل من الموقف الزائف، ومن يتابع ما يجري للأمة في هذا العصر وينظر رواج أسواق الزيف بين أهل السنة، وهيمان الكثير منهم في أودية التيه في المواقف والخطابات وإسقاط الولاء والبراء، يعلم يقيناً أن أهل السنة أقل بكثير مما يعتقدده الكثير من الناس، بل إن تلك الأعداد الهائلة من الغوغاء التي تدين بالمكاء والتصذية لكل ناعق، وتلك الجموع المطبوعة بصديد الرفض والردة وتحسب على السنة المطهرة - ما هم إلا عبء وغيث وبلاء في كثير من المواقف، وكيف يكون من أهل السنة من يوالي أعداء السنة الذين زيفوا الدين بدءاً من الأذان بما أضافوا وحذفوا؛ ومروراً بالصلاة بما قدموا وأخروا وزادوا ونقصوا وأشركوا، والزكاة التي استبدلت بالخمس الذي أصبح يؤخذ من الأتباع بدلاً من الأعداء، وكذلك الصيام والحج والقبلة والكعبة وباقي شعائر الدين؟ وكيف يكون من أهل الإسلام من لا يأتهم بإمامة الصديق الذي أقامه النبي ﷺ مقامه لكيلا يبقى شك ولا ريب في قلب مؤمن؟ ومن هنا وعلى هذا المحك يظهر أهل الإيمان بالله ورسوله ﷺ الفقهاء الفطناء وأهل الأهواء التائهون الجالبون على الأمة كل بلاء، والمقياس في كل ذلك منهج من أمّ الأمة في ساعة المحنة والفتنة الكبرى

عوف في غزوة تبوك، صلى إحدى الركعتين وقضى الأخرى، فكيف يظن به أنه في مرضه وإذنه له في الصلاة بالناس يخرج ليمنعه من إمامته بالناس كما تزعم ذلك الرافضة؟! فهذا ونحوه ما يبيّن أن حال الصديق رضي الله عنه عند رسول الله والمؤمنين في غاية المخالفة لما هي عليه عند الرافضة وعند ورثة ثقافة المنافقين والمرتدين والمشركين، الذين يوالون أعداء الله، ويعادون أوليائه.

ولا ريب أن أبا بكر وإخوانه الصحابة رضي الله عنهم والتابعين هم أشد الأمة جهادًا للكفار والمنافقين والمرتدين، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾<sup>(١)</sup> فأعوانه وأولياؤه خير الأمة وأفضلها، وهذا أمر معلوم في السلف والخلف، فخير المهاجرين والأنصار الذين كانوا يقدمون الصديق رضي الله عنه في المحبة على غيره، ويرعون حقه، ويدفعون عنه من يؤذيه. ومثل ذلك أمراء الأنصار: سعد بن معاذ الأشهلي الأوسي وسعد بن عباد الساعدي الخزرجي وإخوانهم رضي الله عنهم.

وعن عائشة أم المؤمنين: أن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «مروا أبا بكر أن يصلي بالناس». قالت عائشة: قلت: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل، فقال ﷺ: «مروا أبا بكر فليصل للناس». قالت عائشة لحفصة: قل لي له: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل للناس، ففعلت حفصة، فقال رسول الله ﷺ: «مه، إنكن لآنتن صواحبُ يوسفَ، مروا أبا بكر فليصل للناس»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية قال: أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس في مرضه، فكان يصلي بهم، قال عروة: فوجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فخرج، فإذا أبو بكر يؤم الناس،

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) البخاري: ك. الجماعة والإمامة. باب. إذا بكى الإمام في الصلاة، ح (٧١٦).

فلما رآه أبو بكر استأخر، فأشار إليه رسول الله ﷺ أن كما أنت، فجلس رسول الله ﷺ حذاء أبي بكر إلى جنبه، فكان أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر<sup>(١)</sup>.

وقال الأسود بن يزيد: كنا عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فذكرنا المواظبة على الصلاة والتعظيم لها، فقالت: لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه، فحضرت الصلاة فأذن. فقال ﷺ: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». فخرج أبو بكر يصلي، فوجد النبي ﷺ من نفسه خفة فخرج يهادي بين رجلين، كأني أنظر رجليه تخطان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخر، فأوماً إليه النبي ﷺ: أن مكانك، ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه، فقبل للأعمش: فكان النبي ﷺ يصلي، وأبو بكر يصلي بصلاته، والناس يصلون بصلاة أبي بكر؟ فقال برأسه: نعم، قال البخاري: وزاد معاوية جلس عن يسار أبي بكر، وكان أبو بكر قائماً<sup>(٢)</sup>.

وفيه جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: «مروا أبا بكر يصلي بالناس» ثم إنه ﷺ وجد خفة فخرج حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يصلي قائماً وكان رسول الله ﷺ يصلي قاعداً، يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله ﷺ والناس بصلاة أبي بكر<sup>(٣)</sup>. وفي رواية أخرى نحوه، وفيه لم يذكر قولها لحفصة. وفي آخره فتأخر أبو بكر، وقعد النبي ﷺ إلى جنبه، وأبو بكر يسمع الناس التكبير. وفي أخرى لهما: أن عائشة قالت: لقد رجعت رسول الله ﷺ في ذلك، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً ولا كنت أرى أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل

(١) البخاري: صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب: الأذان، باب: من قام إلى جنب الإمام لعلته، ح(٦٨٣).

(٢) البخاري: صحيح البخاري: ك. الجماعة والإمامة، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ح(٦٣٣).

(٣) البخاري صحيح البخاري: ك. الجماعة والإمامة، باب من أسمع الناس تكبير الإمام، ح(٦٨١).

ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر<sup>(١)</sup>. وفي أخرى لهما قالت: لما دخل رسول الله ﷺ بيتي، قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» قالت: فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل رقيق، إذا قرأ القرآن لا يملك دمه، فلو أمرت غير أبي بكر؟ قالت: والله ما بي إلا كراهية أن يتشاءم الناس بأول من يقوم في مقام رسول الله ﷺ، قالت: فراجعت مرتين أو ثلاثاً، فقال: «ليصل بالناس أبو بكر»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه قال: لما استعزّ بالنبوي ﷺ - أي غلبه مرضه - وأنا عنده في نفر من الناس دعاه بلال إلى الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: «مروا أبا بكر يصلي بالناس». قال: فخرجنا، فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائباً، فقلت: يا عمر، قم فصل للناس، فتقدم فكبر، فلما سمع النبي ﷺ صوته - وكان عمر رجلاً مجهراً - قال: «فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون» فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس. زاد في رواية قال: لما أن سمع النبي ﷺ صوت عمر. قال ابن زمعة: خرج النبي ﷺ حتى أطلع رأسه من حجرتي، ثم قال: «لا، لا، لا، ليصل بالناس ابن أبي قحافة» يقول ذلك مغضباً ﷺ<sup>(٣)</sup>.

ومن هذه النصوص يتضح لكل قارئ عاقل مجريات الأمور والمواقف عند وفاة رسول الله ﷺ، وكيف أصر ﷺ على تقديم صاحبه رضي الله عنه ليقف مكانه، وعدم قبول أي اقتراح أو دعوى لتقديم غيره رضي الله عنه وعلى هذا فإن:

- اختيار رسول الله ﷺ صاحبه الصديق ليصلي بالناس هو تأكيد لخلافته وإمامته على

(١) البخاري بشرح فتح الباري: ك: المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، ح (٤٤٤٥)، ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/٢٢٠، ٢٢٥.

(٢) البخاري: صحيح البخاري: ك: الجماعة والإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ح (٦٤٦)، مسلم: ك: الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، ح (٤١٨).

(٣) سنن أبي داود: ك: السنة، باب استخلاف أبي بكر، ح (٤٦٦٠) وهو حديث حسن. وينظر: الصالحى: سبل الهدى، ١٢/٢٤٦.

الملا في حياته ﷺ؛ لأن الصلاة أشرف أعمال المسلمين، ومن أقامها أقام الدين، وإمامتها مهمة الإمام القائد الأمر الناهي، ولذلك كان لا يؤم الجيش إلا القائد، فهذا التقديم هو اختيار رسول الله ﷺ لإمام الأمة وقائدها في كل الشئون؛ لأن الصلاة هي العنوان وهي عماد الدين وأعظم شئون المسلمين، وأن أي نوع من أنواع التشكيك بهذا الاختيار سواء كان تحت شعار البحث العلمي أو تحت شعار الولاء لآل البيت أو غيره، فإن كل ذلك رفض لخلافة النبوة ورد لخيار رسول الله ﷺ وتكذيب للمهاجرين والأنصار، ومن هنا توجب على صاحب الإيمان أن يحدد موقفه وخياره، فإما أن يشرع لنفسه ولطائفته مضاهياً تشريع رسول الله ﷺ، وإما أن يتمسك بالسنة ويهتدي بهدي رسول الله ﷺ والراشدين من بعده.

- خوف السيدة عائشة رضي الله عنها أن يتشاءم الناس ممن يقوم مقام رسول الله ﷺ للفرق الشاسع بين من يسدده الوحي وبين من يسدده اجتهاده، مما يدل على نزاهتها وبرائها رضي الله عنها، وأنها لم تكن لا هي ولا أبوها طامعين في إمارة أو خلافة، وأن كل ما يثار من باطل تلوكه السنة الغوغاء والمغفلين إنما هو من إفك الرافضة وزيفهم الذي يدينون به ويعتقدونه في أصحاب رسول الله ﷺ.

- وأن كل حديث يدور حول مسألة الخلافة لغير أبي بكر رضي الله عنه فإنما هو امتداد لأراجيف المنافقين التي لا زال يؤمن بها كل من رفض خلافة النبوة التي قام بها أبو بكر رضي الله عنه خير قيام وأكملها، وأن كل من يسبح في هذا العفن معتقداً فيه بعض الصحة فإنما هو جاهل مغفل أو زائف يصطاد في الماء العكر، وكل من يشكك في هذا فهو يريد أن يسوي بين الفاروق عمر رضي الله عنه وقاتليه ولا يستويان أبداً كما لا تستوي الظلمات والنور، وبالتالي فإن نسبة هذا الصنف إلى السنة زائف، وكيف ينتسب إلى السنة من لا يفرق بين السنة ورجالها وبين الردة وعتاتها.

- وإصرار رسول الله ﷺ على تولية أبي بكر رضي الله عنه يدل على أنه ﷺ لم يكن ليدع أهم الأمور وهي إمامة المسلمين دون أن يرشد إليها ويبينها ويضعها في مواضعها. وفي توليته الإمامة للصديق رضي الله عنه بحضور جميع الصحابة والقراءة أتم البيان لمن ألقى السمع وهو شهيد، كما فيه البيان الشافي لمعرفة كل مدلس على المؤمنين، والبيان في ذلك الموقف من إمامة الصديق رضي الله عنه التي أصبحت محط امتحان يظهر تحت إشعاع أنوارها النافذة الساطعة كل زيف، فكم ظهر في هذه المحطة من الأدعياء وكم سقط من الدهماء ممن يزعمون الصحوّة الإسلامية وهم يرفضون أمر رسول الله ﷺ ويصفقون طربًا لمن يكفر بسنة رسول الله ﷺ ويدين برفض من أقامه وأشار إليه لخلافته وإمامة أمته ﷺ، وكم ممن يزعم القومية وهو يصفق للشعبوية بكل أحقادها وفجورها وجحودها، حتى ثبت لكل عاقل أن من لا عقيدة له لا مسار له، وأن مصاب الأمة في هذا العصر يكمن في هذه العقائد المستوردة أو المصنوعة محلّيًا وإن كان أخطرها على الإطلاق هو خليط عقيدة الرفض المكونة من أهواء المجوسية واليهودية والوثنية وغير ذلك الكثير من الأهواء والتقية والبداء.

- وفي اختيار رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه وتقديمه وتزكيته لتولي أمور المسلمين والقيام بالأمر من بعده، كما استدل بذلك الصحابة وقالوا: رضي رسول الله ﷺ لديننا، أفلا نرضاه لدينانا<sup>(١)</sup>. وفي ذلك إجماع لكل أفكك يريد أن يسوّق لبضاعة الردة والرفض بين المسلمين تحت حجج واهية توضع في غير مواضعها لخداع العامة من الناس وفتح الثغرات في جدار السنة الحصين لتعيث في داخله جردان السلولية وثعالب السبئية فسادًا للنفوس وتصديعًا لوحدة الصفوف، فكم هم حمقى وبلهى من يعتقدون خيرًا في نفوس أعداء الصحابة

(١) الخليفة: الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ١٢٧.

ومبغضي السنة، وكم هم خطرون إن قرن ذلك بعلاقات مودة بين من يزعم أنه من أهل السنة وبين أعداء السنة. وبهذا يتقرر أن كل من لا يعتقد خلافة أبي بكر رضي الله عنه فهو لا يعتقد كل ما جاء به رسول الله ﷺ وإن تظاهر بذلك، لأن من يرفض إماماً أقامه رسول الله ﷺ وأقره الوحي واقتدى به المهاجرون والأنصار، فإنه لن يؤمن إلا بهواه وجاهليته، ولا ينكر ذلك إلا جحود هالك.

- واتضح أيضاً أن الصلاة هي أعظم أعمال الإسلام بعد الشهادتين والإيمان، وهي أعظم أعمال الخلفاء والولاة كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَرَبُّهُمُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) فبدأ بالصلاة أولاً حتى يشعرنا أنها أعظم أعمال الدين وأعظم أفعال ولاة الأمور، واختيار رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه ليؤم الناس في مرض موته أصرح الدلالات على أنه ﷺ اختار الصديق رضي الله عنه لإمامة المسلمين وخلافة النبوة. فأخزى الله الزنادقة الرافضين لخيار رسول الله ﷺ الذين زعموا أن الرسول ﷺ قد نص على خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكيف ينص على ذلك ويولي الصديق إمامة الناس ويقول: «يا أيُّ الله والمؤمنون إلا أبا بكر» ويصلي علي رضي الله عنه خلف أبي بكر رضي الله عنه فترة مرض النبي ﷺ وزمن خلافته، ويعلن علي رضي الله عنه على الملأ ومن على منبر الكوفة أن خير هذه الأمة بعد نبيها هو أبو بكر رضي الله عنه وأن من فضل علياً على أبي بكر فهو مفترٍ كذاب، عليه من العقوبة والجلد ما على المفتر الكذاب (٢).

- وتبين أن أبا بكر رضي الله عنه صلى بالصحابة أجمعين مع حضورهم كلهم وخروج النبي ﷺ في حالة مرضه عندما وجد خفة من نفسه وصلاته إلى جنبه يؤم

(١) سورة الحج، الآية: ٤١.

(٢) الخليفة: الإنصاف، ١٢٥ فما بعدها.

الناس، وأبو بكر يسمع الناس وراءه التكبير، وخروجه ﷺ مرة أخرى وصلاته ﷺ خلف أبي بكر رضي الله عنه مقتدياً به، فهل بقي بعد هذا اجتهاد لمن يقبل من يقول إن أبا بكر ليس بخليفة للمسلمين في دائرة الأمة؟! وإذا كان الأمر كذلك فأين موقع من يكفر أبا بكر رضي الله عنه وأصحاب رسول الله ﷺ وبأي لسان يتكلم من يزعم أنه من أهل السنة عندما يؤاخي أعداء الصحابة ويغرر المسلمين بمكرهم وكيدهم؟!!

- إن رسول الله ﷺ أصر على إمامة أبي بكر رضي الله عنه مع مراجعة أمهات المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما له لإعفاء أبي بكر رضي الله عنه من ذلك شفقة عليه. وقد ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن سبب مراجعتها خشيتها أن يكره المسلمون من يقوم مقام رسول الله ﷺ الذي أحبوه أكثر من آبائهم وأمهاتهم وأنفسهم، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل قيام الصديق رضي الله عنه مقام رسول الله ﷺ من أعظم البركات والخيرات على الأمة الإسلامية، ومن أكبر النكبات على الرافضة المرتدين جند مسيلمة وأعوانهم، إذ قام بخلافة رسول الله ﷺ وقيادة الأمة إلى الرشد والسادد، وإبقاء سنة رسول الله ﷺ حية قائمة بعد أن جاهد أعداءها في الله حق الجهاد، فتبين بذلك الفرق بين خيار النبوة المؤيد بالوحي وبين أباطيل الرافضين لذلك الخيار ممن يدينون بعداء خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه.

- وإن أبا بكر صلى بالناس ورسول الله ﷺ في الصف<sup>(١)</sup> وروى البيهقي أن رسول الله ﷺ صلى خلف أبي بكر رضي الله عنه<sup>(٢)</sup> وذلك حين خرج

(١) ابن حنبل: المسند، ح (٢٥٢٩٥)، سنن النسائي الكبرى، ك. صلاة الإمام خلف رجل من رعيته، ح (٨٦١).

(٢) البيهقي: باب ما روي في صلاة المأموم قائماً وإن صلى الإمام قاعداً، ح (٤٨٦٦) وهذا إسناد جيد، ولم يخترجوه.

رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه يصلي بالناس، فجلس إلى جنبه، وهو في بردة قد خالف بين طرفيها، فصلى ﷺ بصلاته رضي الله عنه، وقال أنس رضي الله عنه: آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ مع القوم في ثوب واحد، ملتحفا به خلف أبي بكر. قال ابن كثير: وهذا التقييد جيّد بأنها آخر صلاة صلاها مع الناس صلوات الله وسلامه عليه<sup>(١)</sup>.

وعن أنس أن النبي ﷺ صلى خلف أبي بكر رضي الله عنه في ثوب واحد وبرد مخالفا بين طرفيه، فلما أراد أن يقوم قال: «ادع لي أسامة بن زيد» فجاء فأسند ظهره إلى نحره فكانت آخر صلاة صلاها ﷺ<sup>(٢)</sup> والنبي ﷺ انقطع عنهم يوم الجمعة، والسبت، والأحد، ثلاثة أيام كوامل. فصلى أبو بكر رضي الله عنه بهم سبع عشرة صلاة. وقال غيره: عشرين صلاة. فإله أعلم. ثم بدا لهم وجهه الكريم صبيحة يوم الاثنين، فودّعهم بنظرة كادوا يفتنون بها. ثم كان ذلك آخر عهد جمهورهم به، ولسان حالهم يقول كما قال بعضهم:

وكنْتُ أرى كالمَوْتِ مِنْ بَيْنِ سَاعَةٍ      فكيفَ بَيِّنِ كانَ مَوْعِدَهُ الحَشْرُ  
فكان ذلك آخر العهد به ﷺ.

والمقصود أن رسول الله ﷺ قدّم أبا بكر الصديق إماماً للصحابة كلّهم في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام العملية. وتقديمه له أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام، وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم لما ثبت في الخبر المتفق على صحته بين العلماء أن رسول الله ﷺ قال: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأكبرهم سنّاً، فإن كانوا في السن سواء فأقدمهم إسلاماً»

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٢٠-٢٢٥. وقال: هذا إسناد جيد على شرط الصحيح، ولم يخرجه.

(٢) البيهقي: دلائل النبوة، جماع أبواب مرض رسول الله ﷺ ٧/ ١٩٢، ابن حنبل: المسند، ح (١٣٥٨٢).

وقد اجتمعت هذه الصفات كلّها في الصّدّيق رضي الله عنه وأرضاه، وصلاة الرسول ﷺ خلفه في بعض الصلوات كما قدمنا بذلك الروايات الصحيحة لا ينافي ما روي في الصحيح، أن أبا بكر رضي الله عنه اتّمس به ﷺ لأن ذلك في صلاة أخرى كما نصّ على ذلك الشافعي وغيره من الأئمة، رحمهم الله عزّ وجلّ<sup>(١)</sup>.

وقال أنس رضي الله عنه: آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين، كشف الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه فلما رآه الناس تخشعوا فأوماً إليهم أن امكثوا مكانكم فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف ثم ألقى السجف وتوفي من آخر ذلك اليوم<sup>(٢)</sup>. عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه صلى بالناس ورسول الله ﷺ في الصف خلفه<sup>(٣)</sup>.

### تنبيه:

استشكلت هذه الأحاديث بما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها. قالت: لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأذن فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، فخرج أبو بكر رضي الله عنه يصلي فوجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة، فخرج يهادي بين رجلين، كأني أنظر إلى رجله تخطان الأرض من الوجد، فأراد أبو بكر رضي الله عنه أن يتأخر فأوماً إليه أن مكانك، ثم أتى إلى أن جلس إلى جنبه، فقيل للأعمش، فكان رسول الله ﷺ يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته، والناس بصلاة أبي بكر؟ فقال: نعم. وعلم عن جابر نحوه، وفيه أن أبا بكر كان مأموماً والنبي ﷺ هو الإمام، وفيه وأبو بكر يُسمع الناس تكبيره.

والجواب أن هذه الأحاديث المختلفة، قد جمع بينها ابن حبان، والبيهقي، وابن حزم فقال ابن حبان: نحن نقول بمشيئة الله وتوفيقه: إن هذه الأخبار كلها صحاح، وليس شيء

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/٢٢٤.

(٢) الصالح: سبل الهدى، ١٢/٢٤٦.

(٣) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ٣/٢٨ (٢١١٩).

منها معارض الآخر، ولكن النبي ﷺ صلى في صلاته صلاتين في المسجد جماعة لا صلاة واحدة، وإحداها كان مأمومًا، وفي الأخرى كان إمامًا. قال: والدليل على أنها كانت صلاتين لا صلاة واحدة، أن في خبر عبيد الله بن عبد الله عن عائشة: أن النبي ﷺ خرج بين رجلين، يريد بأحدهما العباس، والآخر عليًا رضي الله عنهما<sup>(١)</sup>.

وفي خبر مسروق عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ خرج بين رجلين قال: فهذا يدل على أنها كانت صلاتين، لا صلاة واحدة. وقال البيهقي في المعرفة: والذي نعرفه بالاستدلال بسائر الأخبار أن الصلاة التي صلاها رسول الله ﷺ خلف أبي بكر هي صلاة الصبح يوم الاثنين، وهي آخر صلاة صلاها حتى مضى لسبيله، وهي غير الصلاة التي صلاها أبو بكر رضي الله عنه خلفه ﷺ قال: ولا يخالف هذا ما ثبت عن أنس في صلاتهم يوم الاثنين، وكشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة ونظره إليهم وهم صفوف في الصلاة، وأمره إياهم بإتمامها وإرخائه الستر، فإن ذلك إنما كان في الركعة الأولى، ثم إنه وجد في نفسه خفة فخرج فأدرك معه الركعة الثانية، وقال: والذي يدل على ذلك ما ذكره موسى بن عقبة في المغازي، وذكره أبو الأسود عن عروة: أن النبي ﷺ أقلع عنه الوعك ليلة الاثنين، فغدا إلى صلاة الصبح يتوكأ على الفضل بن عباس و غلام له وقد سجد الناس مع أبي بكر في صلاة الصبح وهو قائم في الأخرى، فتخلص رسول الله ﷺ حتى قام إلى جنب أبي بكر فاستأخر أبو بكر فأخذ رسول الله ﷺ بثوبه فقدمه في مصلاه، فصفا جميعًا، ورسول الله ﷺ جالس وأبو بكر قائم يقرأ القرآن، فلما قضى أبو بكر قراءته قام رسول الله ﷺ فركع معه الركعة الأخيرة، ثم جلس أبو بكر رضي الله عنه حين قضى سجوده يتشهد، والناس جلوس، فلما سلم أتم رسول الله ﷺ الركعة الأخيرة، ثم انصرف إلى جذع من جذوع المسجد، فذكر قصة دعائه أسامة بن زيد، وعهده إليه فيما بعثه فيه، ثم في وفاة رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

(١)، (٢) الصالح: سبل الهدى، ٨/ ١٩٥.

قال البيهقي: فالصلاة التي صلاها رسول الله ﷺ وهو مأموم صلاة الظهر، وهي التي خرج فيها رسول الله ﷺ بين الفضل بن عباس، وغلّام له. قال: وفي ذلك جمع بين الأخبار التي وردت في هذا الباب. والله أعلم.

وقال ابن حزم: إنهما صلاتان متغايرتان بلا شك، إحداهما: صفتها أنه ﷺ أم الناس والناس خلفه، وأبو بكر رضي الله عنه عن يمينه في موقف المأموم، يسمع الناس تكبيره. والصلاة الثانية صفتها أنه ﷺ كان خلف أبي بكر في الصف مع الناس، فارتفع الإشكال جملة. قال: وليست صلاة واحدة في الدهر فيحمل ذلك على التعارض، بل في كل يوم خمس صلوات ومرضه ﷺ كان مدة اثني عشر يوماً، فيه ستون صلاة أو نحو ذلك. والله تعالى أعلم<sup>(١)</sup>.

وعن محمد بن قيس قال: اشتكى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر يوماً، فكان إذا وجد خفة صلى، وإذا ثقل صلى أبو بكر رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

واختلف في مدة مرضه، فالأكثر على أنه ثلاثة عشر يوماً. وقيل بزيادة يوم، وقيل بنقصه. وقيل: تسعة أيام. رواه البلاذري عن علي رضي الله عنه وقيل: عشرة، وبه جزم سليمان التيمي، وكان يخرج إلى الصلاة إلا أنه انقطع ثلاثة أيام. وأمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس فصلى بهم سبع عشرة صلاة<sup>(٣)</sup>.

وقال أنس رضي الله عنه: لم يخرج النبي ﷺ ثلاثاً، فأقيمت الصلاة، فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله ﷺ بالحجاب فرفعه، فلما وضع وجه النبي ﷺ ما نظرنا منظرًا كان أعجب إلينا من وجه النبي ﷺ حين وضع لنا، فأوماً النبي ﷺ بيده إلى أبي بكر أن يتقدم،

(١) ينظر: الصالحى: سبل الهدى، ٨/١٩٥، ابن حبان: السيرة، ١/٣٩٧.

(٢) ينظر: البيهقي: السنن الكبرى، كتاب قتال أهل البغي، باب ما جاء في تنبيه الإمام على من يراه أهلاً للخلافة بعده. ح (١٧٠٥٢)، ابن سعد: الطبقات الكبرى، ح (٣/١٨٠).

(٣) ابن الأثير: الكامل، ١/٢٢٠، الصالحى: سبل الهدى، ١٢/٢٤٤.

وأرعى النبي ﷺ الحجاب، فلم يقدر عليه حتى مات<sup>(١)</sup>. وكان ذلك اليوم لاثنتي عشرة خلون من شهر ربيع الأول<sup>(٢)</sup>.

والمتفق عليه أن المرض غلب رسول الله ﷺ حتى انقطع عن الناس مدة ثلاثة أيام وقيل: سبع عشرة صلاة، وأنه لما أذن بالصلاة في أول ما قطعه المرض. قال: «مروا أبا بكر أن يصلي بالناس» وهذا هو المقصود من كل ما سبق، وهو أن رسول الله ﷺ هو الذي أقام خليفته إمامًا وقائدًا للأمة ولم يأذن لغيره أن يشاركه في تلك المهمة أو ينوب عنه فيها، وهذا ما فهمه المهاجرون والأنصار وعملوا به وتوارثته الأمة منذ ذلك اليوم، وهو كذلك إلى قيام الساعة لم يشذ عن هذا المنهج إلا المرتدون وورثتهم الذين يرفضون خلافة النبوة ويردون أمر رسول الله ﷺ ويعملون على هدم ثوابت السنة من داخل البيت الإسلامي وسحق أهلها بأسلحة الفتنة والشك وبث الباطل ونشر البهتان وتهييج الغوغاء واستحمار علماء الدرهم والهوى والجهل الذين يساؤون بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومسيلمة الكذاب، وبين عمر الفاروق رضي الله عنه وأبي لؤلؤة المجوسي، وبين عثمان ذي النورين رضي الله عنه وابن سبأ اليهودي، ويقدمون أخوة الأرض التي حددها سايكس وبيكو الصليبيان على أخوة العقيدة التي صاغها الله ورسوله ﷺ، ويقدمون أقوالهم على قول الله تعالى، ومواقفهم على مواقف السلف الناصح الصالح المجرب، ويدينون بما يعيش في أدمغتهم من الأوهام والفروض والتخيلات، على ما يراه عقلاء الأمة وما عاشه أهل السنة وعانوه من الغدر والظلم على أيدي الرافضة على مر التاريخ.

كل ذلك القبيح يتجرعه مسوقو التضليل دون أي ثمن؛ إذ إن الرافضة لن يصدقوهم ولن يحبوهم ولن يسالموهم ولكنهم يمتطونهم إلى حين، وأمة السنة النبوية تدفع ثمن فتاوى عجائز مراهقيها، الذين ما زالوا يعملون على تسليمها موثقة إلى جزارها، تحت شعارات

(١) البخاري: كتاب الجماعة والإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ح (٦٤٩).

(٢) ابن حبان: السيرة ١/٣٩٧

يشهد الله تعالى وخلقه أنها قاصرة واهمة ضالة مضلة، حتى أصبح الأمر أعظم وأخطر من أي خطر مرت به الأمة، لأن الشر المحدق بها في هذه الأيام يغذيه ويناصره ويقوده ما يسمى بعلمائها؛ الذين ساووا بين السنة والردة، وبين من يدين برضاء الله على أصحاب محمد ﷺ وبين من يكفرهم ويلعنهم في كل صباح ومساء، جاعلاً من ذلك ديناً يدين به ويعمل بكل ما أوتي من مكر وقوة على نشره فقط بين أهل السنة، الذين أصبح حالهم كحال الغنم في الليلة المطيرة الشاتية إذ لا أرض ولا قيادة، وبينهم وبين العقيدة التي أقصيت عنهم بحار متلاطمة ومفازات مترامية، وعامتهم نيام إلا من رحم الله تعالى. والله المستعان.

### رفض رسول الله ﷺ أن يؤم المسلمين غير أبي بكر رضي الله عنه:

ثم لما قدم النبي ﷺ من بني عمرو بن عوف الأنصار، أشار إلى أبي بكر رضي الله عنه أن يتم بهم الصلاة فسلك أبو بكر مسلك الأدب معه، وعلم أنه أمر إكرام لا أمر إلزام، فتأخر تأدباً معه، لا معصية لأمره، فإذا كان هو يقره في حال صحته وحضوره على إتمام الصلاة بالمسلمين التي شرع فيها، ويصلي خلفه، كما صلى صلاة الفجر خلف عبد الرحمن بن عوف في غزوة تبوك، صلى إحدى الركعتين وقضى الأخرى فكيف يظن به أنه في مرضه وإذنه له في الصلاة بالناس يخرج ليمنعه من إمامته بالناس كما يزعم ذلك زنادقة الرافضة؟! فهذا ونحوه ما يبيّن أن حال الصديق عند رسول الله ﷺ وعند المؤمنين وجميع الصالحين في غاية المخالفة لما هو عند بقية المنافقين السبئية المفترين الكذابين، وإخوانهم المرتدين والكافرين، الذين يوالون أعداء الله، ويعادون أوليائه. ولا ريب أن أبا بكر وأعوانه هم أشدّ الأمة جهاداً للكفار والمنافقين والمرتدين الراضين للدين المتشيعين للمشركين وللمجوسية المحاربة لله ورسوله بالباطنية والتحايل والمكر والبهتان.

فأبو بكر رضي الله عنه والصحابة وتابعوهم هم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ

ذَلِكَ فَضَّلُ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ فأعوانه وأولياؤه خير الأمة وأفضلها، وهذا أمر معلوم في السلف والخلف، فخير المهاجرين والأنصار الذين كانوا يقدّمونه في المحبة على غيره، ويرعون حقه، ويدفعون عنه من يؤذيه ومثل ذلك أمراء الأنصار، سعد بن معاذ، وسعد بن عباد رضي الله عنهما<sup>(٢)</sup>. قالت الطاهرة عائشة: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأمتي أن يؤمّهم إمامٌ وفيهم أبو بكر»<sup>(٣)</sup>.

وقال عبد الله بن زمعة بن الأسود: لما استعزّ برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين قال: دعا بلال للصلاة. فقال: مروا من يصلي بالناس، قال: فخرجت فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائبًا، فقال: قُمْ يا عمر فصلّ بالناس، قال: فقام، فلما كبر عمر سمع رسول الله ﷺ صوته وكان عمر رجلًا مجهرًا، قال: فقال رسول الله ﷺ: «فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون»، قال: فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلّى بالناس. وقال عبد الله بن زمعة: قال لي عمر: ويحك ماذا صنعت بي يا ابن زمعة؟ والله ما ظننتُ حين أمرتني إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليت بالناس، قال: قلت: والله ما أمرني رسول الله ﷺ ولكن حين لم أرَ أبا بكر رأيتك أحقّ من حضر بالصلاة<sup>(٤)</sup>. وعن ابن عمر رضي الله عنهما. قال: كبر عمر رضي الله عنه فسمع رسول الله ﷺ تكبيره، فأطلع رأسه مغضبًا، فقال: «أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن أبي قحافة؟»<sup>(٥)</sup>. وعن أبي سعيد الخدري، قال: لم يزل رسول الله ﷺ في وجهه إذا وجد خفة خرج، وإذا ثقل وجاء المؤذن، قال: «مروا أبا بكر يصلي بالناس»، فخرج من عنده يومًا الأمر يأمر الناس يصلّون، وابن أبي قحافة غائب، فصلّى عمر بالناس، فلما كبر قال

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٥٧.

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٦١.

(٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٦٢.

(٥) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٦٤.

رسول ﷺ: «لا، لا، أين ابن أبي قحافة؟»، قال: فانقضت الصفوف، وانصرف عمر، قال: فما برحنا حتى طلع ابن أبي قحافة، وكان بالسُّنْح، فتقدم، فصلّى بالناس<sup>(١)</sup>.

وقال أنس بن مالك: لم يخرج إلينا رسول الله ﷺ ثلاثاً، فأقيمت الصلاة، فذهب أبو بكر يصليّ بالناس، فرفع النبي ﷺ الحجاب، فما رأينا منظراً أعجب إلينا منه حيث وضع لنا وجه رسول الله ﷺ فأوماً رسول الله ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه أن تقدم، وأرخی نبي الله ﷺ الحجاب، فلم يوصل إليه حتى مات<sup>(٢)</sup>. وقال رضي الله عنه: آخر صلاة صلّاها رسول الله ﷺ مع القوم في ثوب واحد، ملتحفاً به خلف أبي بكر. قال ابن كثير: إسناده جيد وهذا التقييد جيّد بأنها آخر صلاة صلّاها مع الناس صلوات الله وسلامه عليه<sup>(٣)</sup>. وعن أنس أيضاً، أن النبي ﷺ صلّى خلف أبي بكر في ثوب واحد وبرد مخالفاً بين طرفيه، فلما أراد أن يقوم قال: «ادع لي أسامة بن زيد» فجاء فأسند ظهره إلى نحره فكانت آخر صلاة صلّاها ﷺ<sup>(٤)</sup>. وقالت أم المؤمنين رضي الله عنها: إن أبا بكر رضي الله عنه صلى بالناس ورسول الله ﷺ في الصف خلفه<sup>(٥)</sup>. وقالت رضي الله عنها: صلى رسول الله ﷺ خلف أبي بكر قاعدًا في مرضه الذي مات فيه<sup>(٦)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه: لقد أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يصليّ بالناس، وإني لشاهد ما أنا بغائب، ولا في مرض، فرضينا لدينانا ما رضي به النبي ﷺ لدينا<sup>(٧)</sup>. فيظهر من ذلك تقديم

- (١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٦٤. (٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٦٥.  
 (٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/٢٢٠-٢٢٥.  
 (٤) البيهقي: دلائل النبوة، جماع أبواب مرض رسول الله ﷺ ٧/١٩٢، ابن حنبل: المسند، ح (١٣٥٨٢).  
 (٥) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ح (٢١١٩).  
 (٦) سنن الترمذي: ك. أبواب ما جاء إذا صلى الإمام قاعدًا، ح (٣٦٢)، سنن البيهقي الكبرى: ك. صلاة المأموم قائمًا، ح (٤٨٦٢).  
 (٧) المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ح (٥٣٦٧٠)، ابن عساکر تاريخ دمشق، ٣٠/٢٦٥.

أبي بكر وترجيحه رضي الله عنه على جميع الصحابة وفضيلة عمر رضي الله عنه بعده<sup>(١)</sup>.  
واستدل مالك والشافعي وجماعة من العلماء ومنهم البخاري بصلاته ﷺ قاعدًا،  
وأبو بكر مقتديًا به قائمًا، والناس بأبي بكر رضي الله عنه على نسخ قوله ﷺ في الحديث  
المتفق عليه، حين صلى ببعض أصحابه قاعدًا<sup>(٢)</sup> وأمره لهم أن يصلوا جلوسًا مع إمامهم، قال  
ابن عباس رضي الله عنهما: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر  
فقال: إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو تُرى له ألا إني نهيت  
أن أقرأ القرآن راکعًا وساجدًا، فأما الركوع فعظموها فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في  
الدعاء فقمنا أن يستجاب لكم<sup>(٣)</sup>.

وروي فلما نظر ﷺ إلى الناس يصلون خلف أبي بكر رضي الله عنه سر رسول الله ﷺ  
بذلك. وقال أنس رضي الله عنه: تبسم رسول الله ﷺ ضاحكًا، فبهشنا ونحن في الصلاة  
من الفرح بخروج رسول الله ﷺ... فأشار إليهم رسول الله ﷺ أن أتموا صلاتكم ثم دخل  
رسول الله ﷺ وأرخى الستر. قال: فتوفي ﷺ من يومه. وروي أيضًا عنه قال: آخر نظرة  
نظرتها إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين... وتوفي من آخر ذلك اليوم<sup>(٤)</sup>.

### بعض شبهات الرافضة حول إمامة خليفة رسول الله:

ومع كل هذه الأدلة القطعية الثبوت على تقديم رسول الله ﷺ لخليفته في الصلاة أبي  
أعداء الصحابة رافضو السنة إلا أن يشوشوا على هذه المسألة المسلم بها لكي يشغلوا  
المسلمين في الرد على باطلهم وإلا فهم يعلمون من داخلهم أنهم مفترون آثمون، فجاء في  
بهتانهم أن الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي كانت تود أن يأمر رسول الله ﷺ

(١) المقدسي: تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق، ٣٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٢٠-٢٢٥.

(٣) صحيح مسلم: ك. الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع، ح (٤٧٩).

(٤) الصالحى: سبل الهدى، ١٢/ ٢٤٦.

غير أبي بكر أن يصلي بالمسلمين؛ يفترون عليها بأنها هي التي أمرت أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس وليس رسول الله ﷺ ليؤكدوا لكل من لديه مسحة من علم أنهم أمة الإفاك والبهتان التي لا تبالي بما تقول أو تفعل.

قال ابن تيمية: إن هذا من الكذب المعلوم عند جميع أهل العلم بالحديث. ويقال للرافضي:

أولاً: من ذكر ما نقلته بإسناد يوثق به؟ وهل هذا إلا في كتب الرافضة، الذين هم من أكذب الناس وأجهلهم بأحوال رسول الله ﷺ؟ مثل المفيد بن النعمان والكراجكي وأمثالهما من أعداء السنة الذين هم من أبعد الناس عن معرفة حال رسول الله ﷺ وأقواله وأعماله<sup>(١)</sup>.

وثانياً: هذا كلام جاهل يظن أن أبا بكر رضي الله عنه لم يصل بهم إلا صلاة واحدة، وأهل العلم يعلمون أنه لم يزل يصلي بهم حتى مات رسول الله ﷺ بأمره لأبي بكر واستخلافه له في الصلاة، بعد أن راجعه أمهات المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما في أن يصرف الإمامة عنه لكثرة بكائه في الصلاة، ولم ينقل أن النبي ﷺ استخلف في غيبته على الصلاة في غير سفر، في حال غيبته، وفي مرضه إلا أبا بكر رضي الله عنه ولكن عبد الرحمن بن عوف صلى بالمسلمين مرة واحدة صلاة الفجر في السفر عام تبوك، لأن النبي ﷺ كان قد ذهب ليقضي حاجته، فتأخر وقدّم المسلمون عبد الرحمن رضي الله عنه فلما جاء النبي ﷺ ومعه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وكان النبي ﷺ قد توضأ ومسح على خفيه فأدرك معه ركعة وقضى ركعة، وأعجبه ما فعلوه من صلاتهم لما تأخر<sup>(٢)</sup> فهذا إقرار منه على تقديم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. وفيه رد على كذب الرافضة<sup>(٣)</sup> فها هم الصحابة بين يدي رسول الله ﷺ أئمة وقادة وسادة ومفتون بشرعه وبين يديه ﷺ بينما كانت المجوس تعبد النار وتسجد للأكاسرة من دون الله.

(١) ابن تيمية: منهاج السنة، ١/١٢٠، ٨/٥٥٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام، (٦٣٩).

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة، ٤/١٢٠، ٨٥٥٧.

وكان إذا سافر ﷺ عن المدينة استخلف من يستخلفه يصلي بالمسلمين حين كانت الصلاة أهم ما في دولة المسلمين فمن أجلها يسالمون ويعادون. كما استخلف:

- سباع بن عرفطة بن عمرو الغفاري رضي الله عنه خمسة وعشرين يوماً في غزوة دومة الجندل، وذلك في بداية السنة الخامسة للهجرة<sup>(١)</sup>.

- وكما استخلف على المدينة جندب بن جنادة أبا ذر الغفاري رضي الله عنه في غزوة بني المصطلق لمدة ثمانية وعشرين يوماً<sup>(٢)</sup>.

- ومثلما استخلف على المدينة في غزوة الحديبية نُميلة بن عبد الله الليثي سنة ست من الهجرة<sup>(٣)</sup>.

- وسباع بن عرفطة الغفاري رضي الله عنه في غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة<sup>(٤)</sup>.

- وكما استخلف على المدينة في غزوة فتح مكة في سنة ثمانٍ من الهجرة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفاري، وكذلك في غزوة حنين وفي حصار الطائف وأبو رهم هو المستخلف على المدينة في أطول فترة يقضيها مستخلف لرسول الله ﷺ على المدينة، وذلك منذ أن غادر المدينة باتجاه مكة في شهر رمضان من سنة ثمانٍ للهجرة حتى عاد إلى المدينة لست ليالٍ بقين من شهر ذي القعدة من السنة الثامنة للهجرة، ولعل هذه ميزة اختص بها هذا الصحابي رضي الله عنه<sup>(٥)</sup>.

- وكما استخلف في غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة محمد بن مسلمة الأنصاري

(١) الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢٢٧، الواقدي: المغازي، ٤٠٤/١، ابن سعد: الطبقات، ٦٢/٢.

(٢) الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢٢٨، الواقدي: المغازي، ٤٠٤/١، ابن سعد: الطبقات، ٦٣/٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢٢٩، الواقدي: المغازي، ٦٣٦/٢، ابن سعد: الطبقات، ١٠٦/٢.

(٥) الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢٢٩، ابن هشام: السيرة النبوية، ٥٠٠/٢، ابن خياط: تاريخ خليفة، ٧٢/١، الطبري: تاريخ، ٧٠/٣.

النبي ﷺ استخلفهم على المدينة قبله<sup>(١)</sup>.

فإذا عرف القارئ الكريم مقاصد هذه الولاية في عصر رسول الله ﷺ تبين له ما عليه الرافضة من الإفك والتضليل والبهتان، فهم يبنون ما يزعمون أنه إمامة على أحاديث لم يختص بها علي رضي الله عنه من دون الصحابة؛ بل فيهم من ولي مرات متعددة فأمضى الأيام وأحياناً الشهور مستخلفاً ووالياً على المدينة فلم يزعم أحد أنه هو صاحب الولاية بعد رسول الله ﷺ، فما بال الرافضة يزعمون ذلك لعلي رضي الله عنه ولم يثبت أنه استخلف على المدينة ولو لمرة واحدة، فهم يقولون إن النبي ﷺ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك مما يعني أنه هو الإمام، وهذا منتهى التضليل كما اتضح في هذه الأمثلة؛ إذ إن المتابع لحركة رسول الله ﷺ في عصر الرسالة لا يستطيع أن يثبت أن علياً رضي الله عنه استُخلف على المدينة في غزوة من الغزوات، في حين استخلف ﷺ من الصحابة من هم دون مرتبة علي رضي الله عنه، وأنه لم يستخلف علياً رضي الله عنه على المدينة في غزوة تبوك كما يزعم الرافضة ليضللوا الغوغاء، وإنما استخلفه على أهله وعياله كونه أحد أبناء تلك الأسرة كما يستخلف أي رجل أحد أبناء أسرته في أهله لرعايتهم وقضاء حوائجهم، فأى ولاية في هذا؟ ولا سيما أن علياً رضي الله عنه عدّ ذلك مما يعيبه وعدّ ذلك تخلفاً عن الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، وهذا ما تحدث به المنافقون أيضاً، وهذا ما أبكى علياً رضي الله عنه حتى استرضاه النبي ﷺ في قوله له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟» أي حين استخلفه في أهله وقومه حتى رجع من سفره مع أن هارون لم يستطع أن يحفظ الأمر الذي كُلف به حين تمرد عليه السامري فأضل بني إسرائيل. قال تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾<sup>(٢)</sup> مما عرّض هارون إلى غضب موسى عليهما السلام حتى لأمه وأخذ برأسه ولحيته، مما اضطر هارون إلى الاعتذار

(١) ينظر: الخطيب: الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية،

٨٠ فما بعدها.

(٢) سورة طه، الآية: ٨٥.

وطلب الصفح من موسى وتسويغ موقفه من السامري بخوفه من تفريق بني إسرائيل. قال تعالى على لسان هارون لأخيه موسى: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحِيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنَّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (١).

وإذا عُرف كل هذا واتضح أن رسول الله ﷺ لم يستخلف في حال غيبته من غير سفر وفي مرضه إلا أبا بكر رضي الله عنه لا علياً رضي الله عنه ولا غيره، عُلم زيف دعاوى الرافضة وضلالهم وتحريفهم للأحداث وبهتانهم على رسول الله ﷺ وسقطت جميع حججهم بما يسمونه الإمامة وأحقية علي رضي الله عنه بها من دون الصحابة، كما يتضح في ذلك جهل من يزعم أنه من أهل السنة بعد الاطلاع على كل هذه الأحاديث، ثم يردد الشبهات والبهتان لإبطال الدين وتغيير مسار الأمة إلى غير الوجهة التي قادها عليها أئمتها المتمسكون بسنة رسول الله ﷺ السائرون على خطاه الطيبة المباركة.

ومثلما ثبت أن النبي ﷺ استخلف علياً رضي الله عنه في غزوة تبوك على الأهل والعيال، فإن استخلافه ﷺ للصديق رضي الله عنه في الصلاة متواتر ثابت، كما اتضح مفصلاً في مواضعه؛ فصلّى بهم أبو بكر رضي الله عنه في حياة رسول الله ﷺ بعد مراجعة عائشة رضي الله عنها له ﷺ ثلاث مرات بأن يصرف ذلك عن أبيها (٢) فصلّى بهم رضي الله عنه في حياة النبي ﷺ في مرضه إلى أن توفي ﷺ، وهذا مما اتفق عليه العلماء بالنقل، فإن النبي ﷺ مرض أياماً متعددة، حتى قبضه الله إليه.

وفي تلك الأيام لم يكن يصلي بهم إلا أبو بكر رضي الله عنه وحجرة رسول الله ﷺ إلى جانب المسجد، فيمتنع والحال هذه أن يكون قد أمر غيره بالصلاة، وصلى أبو بكر رضي الله عنه بغير أمره ﷺ تلك المدة كما تفتري ذلك الرافضة ومن في قلوبهم مرض ممن امتهنوا

(١) سورة طه، الآية: ٩٤.

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب أهل العلم أحق بالإمامة، ح (٦٧٨) و(٦٨٢)، الترمذي، السنن، كتاب المناقب، في مناقب أبي بكر وعمر كليهما، ح (٣٦٠٥). منهاج السنة، ١/٥١٢، ٨/٥٥٨.

الكذب والبهتان على خيار هذه الأمة، فكيف يصلي بالأمة خليفة رسول الله كل تلك المدة التي مرض فيها رسول الله ﷺ ولم يراجعه ﷺ أحد في ذلك، والعباس وعلي رضي الله عنهما وغيرهما، كانوا يدخلون عليه بيته، وقد خرج بينهما في بعض تلك الأيام كما اتضح ذلك؟ وقد روي أن ابتداء مرضه كان يوم الخميس، وتوفي ﷺ بلا خلاف يوم الاثنين من الأسبوع الثاني؛ فكانت مدة مرضه فيما قيل اثني عشر يوماً؛ وفي كل ذلك لم يسمع أحد إلا الإقرار لإمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه والرضا بها وسرور رسول الله ﷺ بذلك.

فالرافضة يردون كل صحيح فلا قيمة علمية ولا شرعية لمواقفهم من الكتاب والسنة ولا من الصحابة رضي الله عنهم، ولكن ما هو موقف من يثق بهم ممن يزعم أنه من أهل السنة بعد هذه الأحاديث الصحيحة التي اتفق عليها علماء الحديث وفقهاء السنة المطهرة؟ وجميعهم مجمعون على استخلاف النبي ﷺ لصاحبه أبي بكر رضي الله عنه في الصلاة، وأنه صلى بالناس قبل خروج رسول الله ﷺ أياماً، وأنه لما خرج لصلاة الظهر أمره ألا يتأخر بل يقيم مكانه، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه، والناس يصلون بصلاة أبي بكر رضي الله عنه، وأبو بكر رضي الله عنه يصلي بصلاة النبي ﷺ والعلماء كلهم متفقون على تصديق هذا الحديث وتلقيه بالقبول والتفقه في مسائل عديدة فيه<sup>(١)</sup> والجميع متفقون على صدق موقف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قولها: «كنت أرى أنه لن يقوم مقامه ﷺ أحد إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر»<sup>(٢)</sup> وقالت رضي الله عنها: لما ثقل رسول الله ﷺ قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» قالت: فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف - كثير البكاء - وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر. فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» قالت: فقلت لحفصة: قولي له: ... فلو أمرت عمر، فقالت له: فقال رسول الله ﷺ: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». قالت: فأمر أبا بكر أن يصلي

(١) ابن تيمية: منهاج السنة، ٨ / ٥٦١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من قام إلى جنب الإمام لعله (٦٨٣)، صحيح مسلم، ك. الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر (٦٣٢ - ٦٣٨).

بالناس<sup>(١)</sup>. ففي هذا أنها راجعته وأمرت حفصة بمراجعتها، وأن النبي ﷺ لا مهنّ على هذه المراجعة، وجعل من يراجعه على تقديم صاحبه رضي الله عنه إنما يراجعه لتقديم الباطل على الحق.

فدل هذا على أن تقديم غير أبي بكر رضي الله عنه في الصلاة من الباطل الذي يذم من يراود عليه. وكذلك فإن أبا بكر رضي الله عنه قال لعمر أن يصلي فلم يتقدم عمر رضي الله عنه وقال: أنت أحق بذلك. فكان في هذا اعتراف عمر رضي الله عنه له أنه أحق بذلك منه، كما اعترف له أنه أحق بالخلافة منه ومن سائر الصحابة وأنه أفضلهم رضي الله عنه.

وكما قال عمر لأبي بكر رضي الله عنهما في سقيفة بني ساعدة: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده وبايعه وبايعه الناس<sup>(٢)</sup>. ففي هذا الخبر إخبار عمر بين المهاجرين والأنصار أن أبا بكر سيد المسلمين وخيرهم وأحبهم إلى رسول الله ﷺ، وذلك سبب مبايعته. فقال عمر رضي الله عنه: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، ليبين بذلك أن الأمور به تولية الأفضل، وأنت أفضلنا فنبايعك. وهذا ما يؤكد حديث النبي ﷺ عندما سئل: من أحب الرجال إليك؟ قال: «أبو بكر»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ح (٦٦٤)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض عذر (٦٣٣) (٦٣٤) سنن النسائي: كتاب الإمامة، باب الائتتام بالإمام يصلي قاعدًا (٨٢٤).

(٢) البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي: «لو كنت متخذًا خليلاً»، ح (٣٦٧٠) ابن حنبل، مسند، ح (١٨) ط. د. المعارف، ١٩٤٩ م ١٩٨٠ م. الطبري، تاريخ، ٣/ ٢٠٣، وكيع، أخبار القضاة، ٢٣. الخليفة، الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ١١٣. ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ٥١٨/١، ٥٦٤/٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب «لو كنت متخذًا خليلاً»، ح (٣٦٦٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر، ح (٤٣٩٦) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب من فضل عائشة، ح (٣٨٢٠) (٣٨٢٥) منهاج السنة، ٤/ ٣٠٣، ٥٦٥/٨.

ولما قال ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا لانتخدت أبا بكر خليلًا»<sup>(١)</sup>. وهذا مما يقطع أهل العلم بالحديث أن النبي ﷺ قاله، وإن كان من ليس له مثل علمهم لم يسمعه، أو سمعه ولا يعرف أصدق هو أم كذب؟ فلكل علم رجال يقومون به، وللحروب رجال يعرفون بها، وللدواوين حساب وكتاب<sup>(٢)</sup>.

وسئلت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلف؟ قالت: أبو بكر. فقيل لها: من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. قيل لها من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلى هذا<sup>(٣)</sup>.

والمقصود هنا أن استخلاف الصديق رضي الله عنه في الصلاة كان أيامًا متعددة كما اتفق عليه رواة الصحابة وكما رواه أهل الصحيح، ولم يزل يصلي بهم باتفاق الناس حتى مات رسول الله ﷺ وقد رأهم النبي ﷺ يصلون خلفه آخر صلاة في حياته وهي صلاة الفجر يوم الاثنين فسر بذلك وأعجبه<sup>(٤)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه قال: لم يخرج إلينا رسول الله ﷺ ثلاثًا، فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم، فقال: نبي الله ﷺ بالحجاب فرفعه، فلما وضع لنا وجه النبي ﷺ ما نظرنا منظرًا قط أعجب لنا من وجهه حين وضع لنا، قال: فأوماً نبي الله ﷺ بيده إلى أبي بكر رضي الله عنه أن يتقدم وأرخى نبي الله ﷺ الحجاب فلم يقدر عليه حتى مات ﷺ<sup>(٥)</sup> فقد

(١) سبق تخريجه. (٢) ابن تيمية: منهاج السنة، ٨/ ٥٦٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر، (٤٣٩٧)، ابن حنبل، المسند، ٦/ ٦٣ منهاج السنة، ١/ ٤٩٧، ٨/ ٥٦٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ح (٦٨٠)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، ح (٦٣٦)، منهاج السنة، ١/ ٥١٢، ٨/ ٥٦٦. صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب هل يلتفت لأمر ينزل به، ح (٧٥٤)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، ح (٦٣٦).

(٥) صحيح البخاري، ك. الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، (٦٨٠) صحيح مسلم، =

أخبر أنس رضي الله عنه أن هذه المرة الثانية التي يخرج فيها ﷺ إلى باب الحجرة كانت بعد احتباسه ثلاثاً وفي تلك الثلاث كان يصلي بهم أبو بكر رضي الله عنه كما كان يصلي بهم قبل خروجه في المرة الأولى التي خرج فيها بين علي والعباس رضي الله عنهما، وتلك كان يصلي قبلها أياماً. فكل هذا ثابت كما تم تفصيله في مواضعه، وفي حديث أنس أن النبي ﷺ أوماً إلى أبي بكر رضي الله عنه أن يتقدم فيصلي بهم هذه الصلاة الآخرة التي هي آخر صلاة صلاها المسلمون في حياة النبي ﷺ، وهنا باشره بالإشارة إليه: إما في الصلاة، وإما قبلها. وفي أول الأمر أرسل إليه رسلاً فأمره بذلك، ولم تكن عائشة رضي الله عنها هي المبلغة لأمره، ولا قالت لأبيها: إنه أمره كما زعم هؤلاء المفترون ومن يردد أباطيلهم.

فقول أعداء الصحابة: إن بلالاً لما أذن أمرته عائشة أن يقدم أبا بكر كذب صريح؛ لم تأمره الطاهرة عائشة أن يقدم أبا بكر رضي الله عنه ولا أمرته بشيء ولا أخذ بلال ذلك عنها، بل هو الذي أذنه بالصلاة. وقال النبي ﷺ لكل من حضره: لبلال وغيره: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» فلم يخص الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالخطاب، ولا سمع بلال رضي الله عنه منها شيئاً في هذا، ولكن هذا هو دين أعداء الصحابة بهتان وتدليس بلا حياء ولا وجل، فلا شأن للمسلم بدينهم ولا بأقوالهم، ولكن شأن المسلم مع الغوغاء الذين يصدقون كل أفاك يفترى على الصحابة فيجترون باطله تارة بحجة الرد عليه فيقعون فيما يريد من انتشار الشك والريب في نفوس المؤمنين، وتارة استجابة للشك الذي في نفوسهم المريضة وللجهل المطبق بتاريخ الصحابة يرددون ما تُخيله لهم أو هام الرافضة وأباطيلهم المصنوعة.

ثم يقال لأعداء الصحابة وإن كان دينهم مخالفة الكتاب والسنة، ولمن يسمع لهم من المترددين والمتشككين الذين يميلون مع الريح أينما مالت، ما قاله ابن تيمية: من المعلوم المتواتر أن النبي ﷺ مرض أياماً متعددة، عجز فيها عن الصلاة بالناس أياماً، فمن الذي كان

= ك. الصلاة، باب استخلاف الإمام، (٦٣٧).

يصلي بهم تلك الأيام غير أبي بكر رضي الله عنه؟ ولم ينقل أحد قط لا صادق ولا كاذب: أنه صلى بهم غير أبي بكر لا عمر ولا علي ولا غيرهما، وقد صلّوا جماعة فعلم أن المصلي بهم كان أبا بكر رضي الله عنه، ومن الممتنع أن يكون الرسول ﷺ لم يعلم ذلك، ولم يستأذنه المسلمون فيه فإن مثل هذا ممتنع عادة وشرعاً، فعلم أن ذلك كان بإذنه وأمره وإصراره ﷺ كما علم يقيناً أن أعداء الصحابة سيقون يجترون الباطل والبهتان إذ إنه هو خيارهم ومذهبهم<sup>(١)</sup>.

وثبت أنه روجع ﷺ في ذلك وقيل له ﷺ: لو أمرت غير أبي بكر، فلام من راجعه وجعل ذلك من المنكر الذي أنكره، لعلمه أن المستحق لذلك هو أبو بكر رضي الله عنه لا غيره. وقد سبق ذكر كثير من الأحاديث الصحيحة التي توضح وتؤكد أولوية أبي بكر رضي الله عنه في إمامة المسلمين كما ورد في الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً لأبي بكر، فإني أخاف أن يتمنى متمنٌ، أو يقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر»<sup>(٢)</sup> وهذا الحديث الصحيح فيه همّة ﷺ بأن يكتب لأبي بكر كتاباً بالخلافة، لكيلا يقول قائل: أنا أولى، فلما علم ﷺ أن الله لا يختار إلا أبا بكر، والمؤمنون لا يختارون غيره اكتفى بذلك ﷺ عن الكتاب.

فأبعد الله من لا يختار من اختاره الله ورسوله ﷺ والمؤمنون. وأبعد الله من يحسن الظن فيما يقوم به الرافضة من رد لخيار الله والرسول والمؤمنين، سواء كان في السياسة أو القتال أو الاقتصاد أو غير ذلك، ومن يثق لهم بعهد أو ميثاق أو يصدق لهم وعداً أو يقبل لهم وصية، إذ إنهم لا عدو لهم ولا بغيض إلا السنة النبوية وأهلها الأبرار النجباء، ومن وسائل

(١) ابن تيمية: منهاج السنة، ٨/٥٧٠.

(٢) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٢٣٨٧)،

وانظر: منهاج السنة ١/٤٩٢، ٨/٥٧٠. وينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ١/٤٩٦، ٨/٤٧١.

محاربتهم للسنة النظر في صحيح الدين والعمل بما يخالفه، كما تبين افتراءؤهم على الطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنها في موقفها من خلافة الصديق رضي الله عنه بعكس ما أرادت وقالت: ﴿فَنَلَّهُمُ اللَّهُ أَنْ يُؤَفِّكَوْكَ﴾<sup>(١)</sup> وويل للمعرضين من أهل السنة عن النصح وقبول الحق ووصايا السلف الصالحين.

فثبت بذلك أن غاية الطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنها كانت بعكس ما تفتريه الرافضة وأتباعها الذين يهرفون بالباطل بلا دليل ولا عقل، حيث كان مقصدها صرف الخلافة عن أبي بكر رضي الله عنه خشية من أن يبغضه أحد من المؤمنين، لأنها كانت تعتقد أنه لا يمكن أن يحب المؤمنون من يقوم مقام رسول الله ﷺ للفارق الكبير بين رسول الله المؤيد بالوحي وبين البشر الموكول إلى جهده واجتهاده، في حين أن خليفة رسول الله ﷺ كان هو الأقدر على ملء ذلك الفراغ الهائل الذي تركه رسول الله ﷺ وهو الأقدر على محاكاة سيرة رسول الله ﷺ والنظر إلى الأحداث بما كان ينظر إليه النبي ﷺ؛ لأنه كان هو الأقرب إليه في كل ملمة، وهو الأعراف بما كان يعالج به الأزمات ﷺ، وهذا ما حصل في واقع الحياة، وهذا ما كان يعلمه رسول الله ﷺ في صاحبه، فكان يرفض أن يؤم الأمة غيره أو يقوم مقامه غير صاحبه رضي الله عنه الذي عجمته الأحداث وزادته خبرة في كل جوانب الحياة، لهذا كان رسول الله ﷺ يقول: «لا ينبغي لأمتي أن يؤمهم إمامٌ وفيهم أبو بكر»<sup>(٢)</sup>.

فاختيار رسول الله ﷺ أبا بكر ليصلي بالناس هو تأكيد لخلافته وإمامته على الملأ في حياته ﷺ لأن الصلاة أشرف أعمال المسلمين، ومن أقامها أقام الدين، وإقامتها من مهام الإمام القائد، فلا يؤم الجيش إلا القائد، فهذا التقديم هو اختيار رسول الله ﷺ لإمام الأمة وقائدها في كل الشؤون لأن الصلاة هي العنوان وهي عماد الدين وأعظم شؤون المسلمين، وأن أي تشكيك بهذا الاختيار سواء كان تحت شعار البحث العلمي أو حرية الرأي أو غير

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٦١.

ذلك؛ فإن كل ذلك رفض لخلافة النبوة ورد لخيار رسول الله ﷺ وما شعار البحث وحرية الرأي إلا كلمة حق يراد بها الدس والتدليس والبهتان على أئمة خير القرون، ومن هنا توجب على صاحب الإيمان أن يحدد موقفه وخياره، فإما أن يشرع لنفسه ولطائفته ما يضاهاه به تشريع الكتاب والسنة، وإما أن يتمسك بهما ويهتدي بهدي رسول الله ﷺ وإمامة وولاية وخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإذا تمسك بالهدي النبوي فعندها سيردد مع القائل:

أيا ربي لك المنه على الإسلام والسنة  
هما والله برهاننا ن أنا ندخل الجنة<sup>(١)</sup>

وقد نصر خليفة رسول الله السنة وأعز أهلها، ورفع من شأنها فوق كل شأن حتى ساد بها الأرض وأذل بها الجبابرة وسحق بها الردة، فما زال أعداء الصديق من حثالات تلك الفرق الضالة والتجمعات الحاقدة التي تبغي الفتك بالمؤمنين واختراق أمنهم وبيع بلادهم والتعاون مع أعدائهم، ما زالوا يمكرون ويخططون لمحو السنة النبوية وإسقاط الثقة في روايتها، وعلى هذا فأبو بكر رضي الله عنه هو الميزان الذي يظهر على كفتيه أهل السنة وأهل الردة، فمن والى خليفة رسول الله فهو على منهاج النبوة ومن خالفه فهو على جروف الردة وهاوية الرفض والظلمة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

### فالرافضون لخيار رسول الله ﷺ هم خارج إطار أمته:

إن الكافرين والمنافقين والمرتدين يكيدون لهذه الأمة منذ أن بعث الله نبيها ﷺ ليرفضوا ما جاء به من الهدى والنور ولكن الله تعالى تكفل بنصرة الدين وحمايته كلما توفر لذلك رجال يفقهون ما يجري حولهم في هذا الكون، فلا يوالون إلا من يوالي الله ورسوله ﷺ

(١) المقدسي: تحفة الصديق، ١٣٠. (٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

ولا يسقطون في مهاوي مكر أعداء الصحابة المخذولين في الدنيا ببيغهم ومكرهم وبالآخرة ببهتانهم وكذبهم على الله تعالى ولما تبنا من الدين المخالف لدين رسوله ﷺ ولما يحملون في صدورهم من الحقد على أنصاره الكرام، قال جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: قيل لأُم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها: إن ناسًا يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقالت: وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل فأحب الله ألا يقطع عنهم الأجر<sup>(١)</sup>. وألا يرفع عن أعدائهم مقته لهم بطردهم عن منهج الكتاب والسنة الذي سار عليه الصحابة الكرام، ويجرأتهم على أعراض المؤمنين وتدينهم بالكذب والغيبة لأهل السنة الصالحين الطيبين، وشتتهم للأنصار والمهاجرين ومحاربتهم لرسول الله ﷺ في قوله: «لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة مع رسول الله خير من عمل أحدكم أربعين سنة». وفي رواية: «خير من عبادة أحدكم عمره»<sup>(٢)</sup>. ولكن العارف بأعداء الصحابة يجد أن لب معتقدتهم وعماده قائم على سب الصحابة وعيب السنة إلى حد تأصيل هذا المعتقد الفاسد في دينهم؛ وأنهم لو تابوا من إثم ذلك وأقلعوا عن صناعة الكذب والزيغ؛ لهدم دينهم وتصدع معتقدتهم وتبخرت ثقافتهم؛ إذ إن كل ما فيها قائم على العيب والبهتان والشتم والطعن على السنة النبوية وأهلها الأطهار والتخطيط على إقصائهم من الحياة السياسية والاقتصادية والدينية بكل وسيلة، من الاغتيال إلى التحالف مع الكفار والملحدين، وهذا ما يعيشه الناس في هذا العصر ويرون بأعينهم ثماره المرة من خطف الثروات وتدمير الأوطان وبيع القيم والثواب.

قال عروة بن الزبير رضي الله عنهما قالت لي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: يا ابن أختي، أمروا أن يستغفروا لأصحاب محمد ﷺ فسبّوهم. فهل من يرفض الكتاب والسنة يبقى له حظ في الإسلام؟ أو يعنيه أمر الإسلام؟ ورسول الله ﷺ يقول: «لا تسبوا أصحابي

(١) الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية، ١/٤٦٧، الهندي: كنز العمال، ح (٣٦١٢٥)، ابن عساكر:

تبين كذب المفترى، ١/٤٣٣.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة، ٢/٢٣.

فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»<sup>(١)</sup>. فهو لاء الرافضون لخيار رسول الله ﷺ فيمن يخلفه إمامًا في الأمة، الشاتمون لأصحابه هؤلاء أمة أخرى لا صلة لهم بما جاء به محمد ﷺ، وإنما يتلبسون أحيانًا ببعض الشعائر الإسلامية بعد تحريفها لإيهام المسلمين والتليس عليهم، إلى أن يجدوا منهم غفلة فينقضوا عليهم كما هو حاصل من أعداء الصحابة في هذه السنين التي أعلنوا فيها حربهم على القرآن والسنة وأهلها دون أي تردد أو حياء، بعد أن أوثقوا عرى تحالفهم مع الصليبيين المعتدين على بلاد المسلمين، وكل هذا الذي يقومون به من الغدر والخذلان لعقيدة الأمة ولموروثها وأرضها ليس غريبًا؛ لأن هذا هو دينهم وهي عقيدتهم ونتاج تقيتهم؛ ولكن الغرابة ممن يزعم أنه من أهل الإسلام وما زال يعتقد أنه من الممكن احتواء ومعالجة بغضهم بعد كل التجارب العقيمة معهم، وكأن ذلك جاء عن سوء فهم أو عن قلة علم وليس عن مكر وتخطيط وحرب صامتة ومعلنة يتقد أوارها في قلوبهم جميعًا؛ وكيف لا وهم يجتمعون على الشك في الكتاب والكفر بالسنة واستباحة حملتها وأهلها؟ فغرر كثير من المحسوبين على السنة بالأمة ولبسوا عليها أمر أعداء الصحابة ودعوا إلى مودتهم مع كل ما فيهم من الحقد والكراهية والتكذيب لله ولرسوله ﷺ.

وبلغ من مكرهم وتليسهم ادعاؤهم محبة آل البيت زورًا وبهتانًا مع بغضهم لهم ولكل ما هو من جنسهم من العرب وخذلانهم ومحاربتهم وقتلهم، والمصيبة أن كثيرًا ممن يزعم أنه من أهل السنة يصدق تهويشاتهم هذه، ولعله من الممكن أن يوالوا آل البيت دون أن ينظر في الأحداث وما يحصل على الأرض من غدرهم الذي أثمر السمّ والعلقم، فيصدق البهتان ويكذب ما ترى عيناه وتسمع أذناه.

(١) البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قوله ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً»، (٣٦٧٣)، مسلم، ك: فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، ح (٤٦١٠)، (٤٦١١)، أبو داود: السنن، كتاب السنة، باب: في النهي عن سب أصحاب رسول الله، ح (٤٠٣٩) والمُد: نوع من المكابيل وهو ربيع صاع؛ وهو قدر مُد النبي ﷺ، والصاع خمسة أرتال، والنصيف النصف، ومعناه: لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهبًا ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب ما أنفقه أحد الصحابة مدًّا ولا نصف مد.

قال شيخ الإسلام: ومن العجب من هؤلاء الرافضة أنهم يدعون تعظيم آل محمد ﷺ وهم الذين سعوا في مجيء التتار الكفار إلى بغداد دار الخلافة، حتى قتل الكفار من المسلمين ما لا يحصيه إلا الله تعالى من بني هاشم وغيرهم وسبوا النساء الهاشميات وصبيان الهاشميين، فهذا هو البغض لآل محمد ﷺ بلا ريب، وكان ذلك من فعل الكفار بمعاونة الرافضة... فقاتل الله الرافضة وانتصف لأهل البيت منهم؛ فإنهم ألصقوا بهم من العيوب والشين ما لا يخفى على ذي عين... وقد قلنا غير مرة: إن هؤلاء الجهال يكذبون بما يظنونه مدحًا ويمدحون به فيجمعون بين الكذب وبين المدح، فلا صدق ولا علم ولا عدل، فتبين أن الرافضة من أعظم الناس قدحًا وطعنًا في أهل البيت وأنهم الذين عادوا أهل البيت في نفس الأمر ونسبوهم إلى أعظم المنكرات، التي من فعلها كان من الكفار. وليس هذا ببدع من جهل الرافضة وحمقاتهم، فإن منتهى أمرهم تكفير علي رضي الله عنه وأهل بيته، بعد أن كفروا الصحابة<sup>(١)</sup>. بل إنهم طلبوا من علي رضي الله عنه أن يشهد على نفسه بالكفر - حاشاه - فقال لهم رضي الله عنه: أصابكم حاصب ولا بقي منكم أبر - يأبر النخل: يصلحه - أبعَدَ إيماني بالله، وجهادي مع رسول الله ﷺ أشهد على نفسي بالكفر!! لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين، فأوبوا شر مآب وارجعوا على أثر الأعقاب<sup>(٢)</sup>. فهذا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يدعو على الرافضة ألا يبقى الله منهم مخبرًا، ويخبر أنهم ارتدوا على الأعقاب عندما تخلقوا بأخلاق المرتدين وأخذوا يكفرون المؤمنين ويكفرون الصحابة المكرمين، فماذا يرتجى من أعداء الصحابة وقد دانوا بكراهية الكتاب والسنة فلم يعد يهمهم أمر سوى محاربة المؤمنين والعمل على تكفير الصالحين وقتل واغتيال الأخيار الطاهرين وبوسائل توهم أنهم من المتأولين!!

(١) ابن تيمية: منهاج السنة، ٤/٢٤٦-٥٩٢، ٧/١٨١-٤٠٨، ٨/٧٤. الشمسان: موقف ابن تيمية من الرافضة، ٦٤، ٦٥.

(٢) نهج البلاغة المنسوب لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، خطبة (٥٨) ص ٨٧.

وهذا ما أوهموا به الكثير ممن ما زال يدور في متاهات الرافضة المظلمة ممن يزعم أنه من أهل السنة، ولا أعلم أن هناك من هو أجهل وأخطر على السنة وأهلها ممن يتحدث بلسان أهل السنة وهو يعتقد إيمان من يدين بأن القرآن ناقص أو محرّف والسنة مفتراة، ويجاهر ويفاخر بقتل عمر الفاروق وعثمان ذي النورين رضي الله عنهما، ويحكم بكفر الصحابة رضي الله عنهم ويغلو في علي رضي الله عنه.

ولا أعتقد أن هناك من هو أخطر على ثقافة الأمة وفكرها وعقيدتها؛ من هذا الصنف الذي يجتر الوهم ويلوك الإفك ويدخر الإثم، ويسبغ على ذلك مسحة وافية حرية البحث وحرية النقد، أو الرأي والرأي الآخر أو حق الآخرين في التعبير والاعتقاد وما إلى ذلك من أوام، وكأن تكذيب ما يعتقد أهل السنة ويدينون به لا حرمة له فليشتم نبيهم من شاء وليقذف أمهاتهم من أراد، وليطعن بإمامهم وخليفة نبيهم أبي بكر رضي الله عنه أيضًا من شاء، وكأنه لم يبطل الردة ويحيي السنة على ما كانت عليه في حياة رسول الله ﷺ.

فهذا الصنف المحسوب على السنة الذي قاده الرافضة في متاهاتهم فأخذ يصدر البيانات ويدعو إلى التنازلات عن ثواب العقيدة وأعداء الصحابة يسرجونه ليمتطوه فيحاربوا به السنة ويضللوا أهلها، هؤلاء هم الأخطر فمن يوالي الرفض منهم فإنما هو سلولي سبئي بثوب جديد، على الأمة أن تحذره، فالدليل عليه واضح، فهو يساوي بين من يزيه ويمدحه القرآن والسنة؛ وبين من يذمه القرآن والسنة ويكفر بهما! وبين من يقتل أهل السنة ويستبيح حرمتها وبين من يدافع عنها ويجاهد لحمايتها.

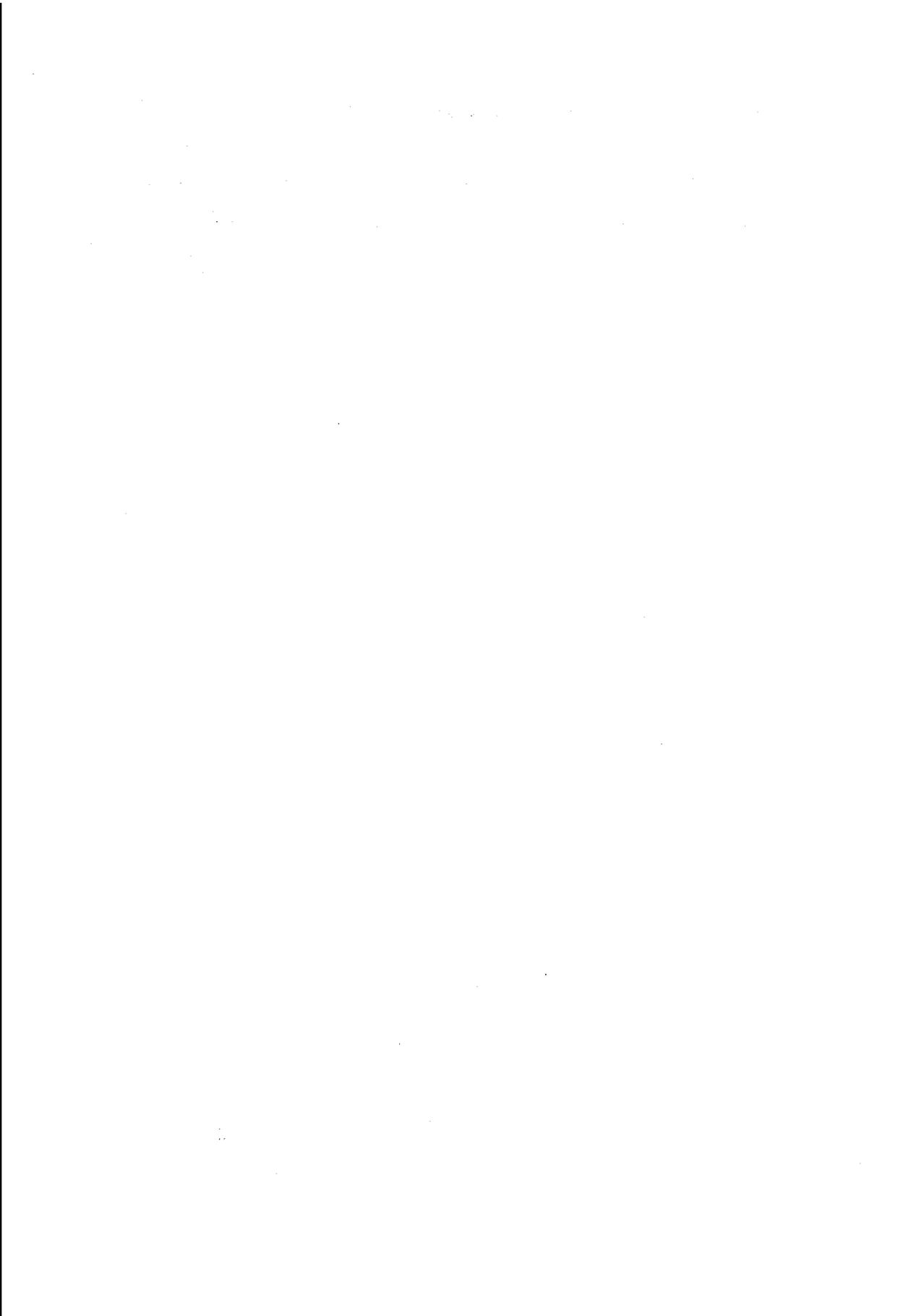
فالتمسك بالكتاب والسنة ومحبة حملتهما الصحابة رضي الله عنهم ومن سار على دربهم وموالاتهم والبراءة من مبغضهم الرافضة ومن والاهم بيعاً وشراء وتزاورا وتزاوجاً؛ ورصد نشاطات أعداء السنة ووسائل تضليلهم للأمة وتدميرهم للعقيدة وتحالفهم مع أعدائها وغزاة أرضها وهويتها، ومباشرة العمل الجاد والمثمر لمواجهة كل ذلك، وروح الاستعداد التام لفداء العقيدة بكل الإمكانيات وبإخلاص وصدق؛ تلك هي أمارات اختيار السنة النبوية على

ما سواها وبشائر نصرها؛ وعلامات الهدى والتقى والفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِأَوْلَادِهَا فَقَدْ وُكِّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوءَ بِهَا كَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٩.



## المبحث الثاني

### موقف خليفة رسول الله

### يوم وفاة النبي ﷺ ورزية من شك في خلافته

#### بداية مرض رسول الله ﷺ:

دخل النبي ﷺ قبيل وفاته إلى بيته المبارك. فقالت أهله الطاهرة عائشة رضي الله عنها: وا رأساه، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك» فقالت الطاهرة أم المؤمنين عائشة: وا ثكلياه، والله إني لأظنك تحب موتي؟ ولو كان ذاك، لظلمت آخر يومك معرسًا ببعض أزواجك. فقال النبي ﷺ: «بل أنا وا رأساه، لقد هممت، أو أردت، أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو: يدفع الله ويأبى المؤمنون»<sup>(١)</sup>. وروي أنه ابتداء به مرضه ﷺ في بيت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها يوم خميس، وكان وجعًا في رأسه الكريم ﷺ وكان أكثر ما يعتريه الصداع ﷺ فجعل مع هذا يدور على نسائه حتى شق عليه، فاستأذنه أن يُمرض حيث تراح نفسه في بيت الطاهرة عائشة رضي الله عنها، فأذن له ﷺ فمكث وجعًا اثني عشر يومًا، وقيل: أربعة عشر يومًا. والصديق رضي الله عنه يصلي بالناس بنص رسول الله ﷺ

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. الأحكام، باب الاستخلاف، ح (٦٧٩١)، ابن حنبل: المسند، ك. وباب حديث السيدة عائشة (٢٤٥٨٩).

واستثنائه له من جيش أسامة الذي كان قد جهزه ﷺ إلى الشام لغزو الروم<sup>(١)</sup>.

وواضح في هذه النصوص وما سبقها، الموقف من خلافة أبي بكر رضي الله عنه ورغبة النبي ﷺ وعزمه على أن يكتب لأبي بكر رضي الله عنه كتابًا بخلافته له على أمته ولكنه ﷺ ترك أمر الكتابة له لما شاهد ﷺ من مكانة صاحبه رضي الله عنه بين الناس ولما هو عليه من العلم والفهم والفتنة ولما يعلمه ﷺ من مكانته بين أصحابه الذين يعلمون أن رسول الله ﷺ لا يرضى أن يتقدم عليه أحد منهم، فاكتفى بالإشارة إلى إمامته وبما شافه به من سمعه من المؤمنين كما سيتضح ذلك لاحقًا، وأكد ذلك بالجانب العملي من خلال تقديم أبي بكر رضي الله عنه إمامًا في مكانه ﷺ وهو حي يرى ويسمع، وكله سرور باجتماع المؤمنين خلف صاحبه الذي هو أشد الناس حرصًا على التمسك بمنهجه وأكثرهم فهمًا لمقاصده وأوسعهم علمًا في أقواله وأفعاله وكل صفحات سيرته الطيبة العطرة ﷺ.

### طلب أبي بكر رضي الله عنه أن يمرض رسول الله ﷺ:

بلغ من حنو أبي بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ مبلغًا عظيمًا زاد على حنو الآباء على أبنائهم حتى إنه كان يتمنى على رسول الله ﷺ أن يدعه يكفيه الحاجة إلى أي من الناس بما في ذلك أزواجه وأهل بيته وأن يأذن له بأن يقوم على خدمته وتمريضه والسهر على راحته ﷺ.

فجاء أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي فأمرضك وأكون الذي أقوم عليك فقال ﷺ: «يا أبا بكر إن لم أحتمل أزواجي وبناتي وأهل بيتي في علاجي ازدادت مصيبي عليهم عظمًا وقد وقع أجرك على الله تعالى» وقد اختلف في مدة مرضه ﷺ فذكر: ثلاث عشرة ليلة، وقيل: اثنتا عشرة ليلة. فلما اشتد عليه الوجع قالت الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: جعل يشكي ويتقلب على فراشه فقلت: لو صنع

(١) ابن كثير: السيرة، ٢١٦/١.

هذا بعضنا لوجدت عليه فقال ﷺ: «ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها، إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه بها خطيئة»<sup>(١)</sup> وهذا يبين ما كان يعانيه رسول الله ﷺ قبيل وفاته.

### غيابه في بيته بالسُّنح:

عن أنس رضي الله عنه أنه لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله ﷺ خرج صوت رسول الله ﷺ من باب المسجد، يقول: «أيها الناس، سعرت النار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإني والله ما تمسكون عليّ بشيء، إني لم أحل إلا ما أحل القرآن، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن» قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه، قال أبو بكر رضي الله عنه: يا نبي الله، إني أراك وقد أصبحت بنعمة من الله كما نحب، واليوم يوم بنت خارجة - زوجته الأنصارية - أفأتيتها؟ قال ﷺ: «نعم». ثم دخل رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر رضي الله عنه إلى أهله بالسُّنح<sup>(٢)</sup> ولم يعد في الصباح حتى جاءه الصريح أن رسول الله قد توفي وفارق الحياة ﷺ.

### وفاة النبي ﷺ:

وانصرف الناس من الصلاة حين خرج رسول الله ﷺ فصلّى مع أبي بكر رضي الله عنه وهم يظنون أنه قد أفاق من وجعه، وذلك هو الذي شجع أبا بكر رضي الله عنه على طلب الإذن منه والذهاب إلى بيته في السُّنح، وبعد خروج أبي بكر هذا توفي رسول الله ﷺ وتحديث الناس بذلك مما حدا بعمر رضي الله عنه أن يقف موقفًا متشدّدًا ممن تحدثوا بوفاته ﷺ لما يترتب على ذلك من أبعاد خطيرة على مصير الدولة الإسلامية الناشئة، ولما كان يعتقده في شأن وفاة رسول الله ﷺ كما هو مبين في موضعه. قال أبو هريرة

(١) صحيح مسلم، ك. الأدب والبر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، ح (٦٥٠٧) ابن الجوزي: المنتظم، ١٤/٤.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣١١. والسُّنح اسم موضع من عوالي المدينة كان فيه بيت الصديق. ياقوت: ٨٠/٣.

رضي الله عنه: لما توفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، وقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله مات. وقال: لا يتكلم أحد بموته إلا ضربته بسيفي هذا<sup>(١)</sup>. وكان يشير في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَا بَعْدَ مِثْقَلِ مِيزَانٍ رَبِّهِ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: وجع رسول الله ﷺ ذلك اليوم فاضطجع في حجر جدي فدخل عليّ رجل من آل أبي بكر وفي يده سواك أخضر فنظر رسول الله ﷺ نظرًا عرفت أنه يريدني قلت: يا رسول الله، أتحب أن أعطيك هذا السواك؟ قال: «نعم». قالت: فأخذته فألته ثم أعطيته إياه فاستن به كأشد ما رأيت استن بسواك قبل، ثم وضعه ووجدت رسول الله ﷺ يتفل في حجر جدي فذهبت أنظر في وجهه فإذا بصره قد شخص وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى في الجنة». قلت: خيرت فاخترت والذي بعثك بالحق. قالت: وقبض رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

قال سالم بن عبيد رضي الله عنه: إن الصحابة رضي الله عنهم أرسلوه خلف أبي بكر رضي الله عنه فذهب وراءه رضي الله عنه إلى الشُّح فأعلمه بموت رسول الله ﷺ فلما بلغ أبا بكر رضي الله عنه الخبر وهو بالشُّح أقبل على فرس له حتى نزل على باب رسول الله ﷺ وعمر رضي الله عنه يكلم الناس فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت الطاهرة عائشة رضي الله عنها ورسول الله ﷺ مسجى في ناحية البيت عليه برد حبرة،

(١) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٣١٢، ابن كثير: السيرة، ٢١٩/١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.

(٣) النسائي: السنن الكبرى، ك. الوفاة، باب ذكر قوله حين شخص ببصره ﷺ، ح (٧١٠٢)، ابن حنبل: المسند، ك. وباب حديث السيدة عائشة، ح (٢٥٨١٥) أبو يعلى: مسند أبي يعلى، كتاب وباب: تابع مسند عائشة رضي الله عنها، ح (٤٥٨٥).

وعينا أبي بكر رضي الله عنه تهملان وزفراته تتردد في صدره وغصصه ترتفع كقطع الحرة، وهو في ذلك جلد العقل والمقالة حتى دخل على رسول الله ﷺ وكشف عن وجهه ومسحه وقبل بين عينيه، وجعل يبكي ويقول: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء، ولو أن موتك كان اختياراً لجدنا لموتك بالنفوس، ولو لا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء الشؤون، فأما ما لا نستطيع نفيه فكمد وإدناف يتحالفان لا يبرحان، اللهم أبلغه عنا اذكرونا يا محمد عند ربك، ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم نغم لما خلفت من الوحشة، اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا<sup>(١)</sup>.

وروى ابن هشام أن سالمًا قال: ذهبت إلى أبي بكر رضي الله عنه، وذلك بعد أن سمع بذلك، وعاد من السُّنْح فوجدته بالمسجد. فأجهشت أبكي، قال: لعل نبي الله توفي؟ قلت: إن عمر قال: لا يتكلم أحد بموته إلا ضربته بسيفي هذا. قال: فأخذ بساعدي ثم أقبل يمشي حتى دخل فأوسعوا له فأكب على رسول الله ﷺ حتى كاد يمس وجهه وجهه، فنظر نفسه حتى استبان أنه توفي ﷺ. وروى أيضًا: أقبل أبو بكر حتى نزل المسجد حين بلغه الخبر وعمر رضي الله عنه يكلم الناس فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت الطاهرة عائشة رضي الله عنها ورسول الله ﷺ مسجى في ناحية البيت عليه برد حبرة - وهو برد يمان - فأقبل حتى كشف عن وجهه ثم أقبل عليه فقبله ثم قال: بأبي أنت وأمي أما الموتة التي كتبها الله عليك فقد ذقتها ثم لن يصيبك بعدها موتة أبدًا<sup>(٢)</sup>. ثم رد الثوب على وجهه،

(١) الصالحى: سبل الهدى، ٢٩٩/١٢. الروض الأنف، ٤٣٤/١. صفوت: جمهرة خطب العرب، ١٧٩/١.

(٢) أشار بذلك إلى الرد على من زعم بأنه سيحيا بعد موته هذه أو غشيتة التي توفي فيها ﷺ. وقيل: أراد لا يموت موتة أخرى في القبر كغيره، إذ يحيا ليسأل ثم يموت، قاله الداودي. وقيل: لا يجمع الله موت نفسك وموت شريعتك. وقيل: كنى بالموت الثاني عن الكرب، أي لا تلقى بعد كرب هذا الموت كربًا آخر.

ثم خرج وعمر رضي الله عنه يكلم الناس فقال: على رسلك يا عمر فأنصت. فأبى إلا أن يتكلم. فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حتى تلاها أبو بكر يومئذ وأخذها الناس عن أبي بكر رضي الله عنه، فإنما هي في أفواههم. قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعقرت حتى وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات<sup>(٢)</sup>. فلما حصل الوجع، تربصوا لينظروا ما يكون من أمره ﷺ، وقد صلى ﷺ خلف الصديق رضي الله عنه جالسًا. وقُبض ﷺ ضحى يوم الاثنين من ربيع الأول، والمشهور أنه الثاني عشر منه، وقيل: مستهله، وقيل: ثانيه، وقيل: غير ذلك. فاشتدت الرزية بموته ﷺ وعظم الخطب وجل الأمر، وأصيب المسلمون بنبيهم، وأنكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك، وقال: إنه لم يمّت، وإنه سيعود كما عاد موسى لقومه، وماج الناس، وجاء الصديق المؤيد المنصور رضي الله عنه أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، فأقام الأود، وصدع بالحق، وخطب الناس وتلا عليهم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> فكان الناس لم يسمعوها قبل ذلك، فما من أحد إلا يتلوها<sup>(٤)</sup>.

وبعد أن أعلن أبو بكر رضي الله عنه وبكل ثبات وشجاعة هذا الموقف الرهيب على

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣١١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٤) ابن كثير: السيرة، ١/٢١٩.

الملا أخذ يردد قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾<sup>(١)</sup> فقالوا: يا صاحب رسول الله! أتوفي رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. فعلموا أنه كان. قالوا: هل يصلى عليه ﷺ؟ قال: نعم. قالوا كيف؟ قال: يجيء نفر منكم فيكبرون فيدعون ويذهبون، حتى يفرغ الناس. فعلموا أنه كما قال رضي الله عنه. قالوا: يا صاحب رسول الله، أين يدفن ﷺ؟ قال: حيث قبض الله روحه؛ فإنه لم يقبضه إلا في موضع طيب فعرفوا أنه كما قال رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>. ولم يدر الصحابة رضي الله عنهم أين يقبرون النبي ﷺ حتى قال أبو بكر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يقبر نبي إلا حيث يموت»، قال: فأخروا فراشه فحفروا له تحت فراشه<sup>(٣)</sup> وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه، ادفنوه في موضع فراشه»<sup>(٤)</sup>.

وقد علم بالتواتر أنه ﷺ دفن في حجرة الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي كانت تختص بها شرقي مسجده ﷺ في الزاوية الغربية القبليّة من الحجرة ثم دفن بعده أبو بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه بجوار رسول الله ﷺ في تلك الحجرة المباركة. وقالت الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لأبي بكر رضي الله عنه: رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجرتي. فقال رضي الله عنه: يدفن في بيتك ثلاثة هم خير أهل الأرض، فلما قبض رسول الله ﷺ ودفن. قال أبو بكر رضي الله عنه: هذا خير أقمارك<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٢) ينظر: الصالحى: سبل الهدى، ٣٤٢/١٢، ابن سعد ٢٢٣/١. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ١٥٠.

(٣) الصنعاني: المصنف، ك. الجنائز، باب لا ينقل الرجل من حيث يموت، ح (٦٥٣٨).

(٤) ابن ماجه (١٦٢٨)، البيهقي في الدلائل ٧/٢٦٠، الصنعاني: المصنف: (٦٥٣٤)، كنز

العمال: ١٨٧٣٥-١٨٧٦١، الترمذي: السنن (١٠١٨). ينظر: الصالحى: سبل الهدى، ٣٤٢/١٢،

ابن سعد ٢٢٣/١.

(٥) الحاكم: المستدرک، ك. وياح المغازي والسرايا، ح (٤٤٠٠)، الطبراني: المعجم الكبير، ك. ذكر

أزواج رسول الله ﷺ، باب عائشة، ح (١٢٧).

فغياب النبي ﷺ فرض على المؤمنين الرجوع إلى صاحبه رضي الله عنه للتعلم والاستفسار والبحث عن الأجوبة في المسائل المستجدة والمسائل المعلقة، فلم يسألوا خليفة رسول الله ﷺ عن أمر مما استجد عليهم إلا وجدوا عنده منه علماً وإرشاداً يوصل إلى الأفضل والأكرم مع الاتباع للسنة والتقيد بتعاليم الشرع الحنيف، وبذلك ثبتت حاجة الأمة إلى أبي بكر رضي الله عنه وظهرت إمامته وقيادته منذ وفاة النبي ﷺ واتضح ذلك عملياً ودون أي تكلف؛ من خلال توجه الناس إليه يبحثون عنده عن الحلول والأمل بعد مصابهم الأكبر بوفاة النبي ﷺ اتضح أنه هو وريث النبوة الإمام القائم بأمر الخلافة بلا منازع، فتجلى في مواقفه الصائبة البناءة في تلك المحنة مصداق قوله تعالى: ﴿ثَابِتٌ كَأَمِينٍ﴾.

### في تجهيز رسول الله ﷺ:

عن علي رضي الله عنه قال: لما أخذنا في جهاز رسول الله ﷺ أغلقنا الباب دون الناس جميعاً فنادت الأنصار: نحن أخواله ومكاننا من الإسلام مكاننا، ونادت قريش: نحن عصبته، فصاح أبو بكر رضي الله عنه: يا معشر المسلمين، كل قوم أحق بجنائزهم من غيرهم فننشدكم الله، فإنكم إن دخلتم أخرتموهم عنه، والله لا يدخل عليه إلا من دعي<sup>(١)</sup>.

ولما كفن رسول الله ﷺ ووضع على سريره دخل أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه فقالا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار قدر ما يسع البيت فسلموا كما سلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وصفوا صفوفاً لا يؤمهم أحد، فقال أبو بكر وعمر: وهما في الصف الأول حيال رسول الله ﷺ: اللهم إنا نشهد أنه قد بلغ ما أنزل إليه ونصح لأمته، وجاهد في سبيل الله تعالى، حتى أعز الله تعالى دينه وتمت كلماته فأمن به وحده لا شريك له، فاجعلنا يا إلهنا ممن يتبع القول الذي أنزل معه واجمع بيننا وبينه حتى يعرفنا ونعرفه فإنه كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، لا نبتغي بالإيمان بدلاً ولا نشترى به ثمناً أبداً، فيقول الناس: آمين. ثم يخرجون ويدخل آخرون حتى صلى عليه

(١) ابن سعد في الطبقات، ٢/٢١٣، الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ١٢/٢٢١.

الرجال ثم النساء ثم الصبيان ﷺ<sup>(١)</sup>.

## أحوال الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ:

عظمت مصيبة المسلمين بوفاة رسول الله ﷺ ونزل بهم بموته ﷺ ما أدهشهم وفجأهم عن تلقي ذلك الخبر كما يتلقون مثله من أخبار الوفيات والمصائب الكبرى التي لم تحرك فيهم ساكنًا ما دام رسول الله ﷺ بين أظهرهم سالمًا، وكانوا يقولون: كل مصيبة بعدك جليل<sup>(٢)</sup>. فغشيت الظلمة والكآبة والحيرة المدينة المنورة التي كانت أيامها كلها نورًا برسول الله ﷺ منذ يوم هجرته فتغيرت قلوب الناس وأحوالهم وضعفت قواهم وطاشت عقولهم وهم لا يستطيعون أن يصدقوا أن رسول الله ﷺ الذي هو لهم بمقام السمع والبصر قد توفي ﷺ حتى جاءهم قائد الأمة وإمامها الذي أعده رسول الله ﷺ على عينه وهياًه لمثل هذا الهول والموقف الجلل، فقام بمراد رسول الله ﷺ على الوجه الذي يحبه رسول الله ﷺ فأقر الحقيقة المرة دون مواربة أو تردد، وتعلمت الأمة منه كما تعلم هو من رسول الله ﷺ أن العباد يجب أن يرتبطوا بخالقهم وأن يسيروا على سنة نبيهم ﷺ في كل ذلك، فانقادت لعزيمته وبصيرته وسعة علمه ويقينه الأمة المكلومة بفقد نبيها ﷺ فثابت العقول إلى رشدها والنفوس إلى يقينها والقلوب إلى إيمانها وعلمت أنه لا مفر من أقدار الله إلا إليه.

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: فتح رسول الله ﷺ بابًا بينه وبين الناس أو كشف ستراً، فإذا الناس يصلون وراء أبي بكر رضي الله عنه فحمد الله على ما رأى من حسن حالهم، رجاء أن يخلفه الله فيهم بالذي رأهم، فقال ﷺ: «يا أيها الناس، أيما أحد من الناس - أو من المؤمنين - أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحدًا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي»<sup>(٣)</sup>. قال:

(١) الصالحى: سبل الهدى، ٣٣٤/١٢.

(٢) هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ١٥٢.

(٣) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، ك. الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة، ح (١٥٩٩).

رسول الله ﷺ: «من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبتته بي فإنها من أعظم المصائب»<sup>(١)</sup>. وقالت أم سلمة رضي الله عنها: يا لها من مصيبة ما أصبنا بعدها بمصيبة إلا هانت، إذا ذكرنا مصيبتنا به ﷺ. وروي أن رسول الله ﷺ قال: «سيعزي الناس بعضهم بعضًا من بعدي التعزية بي» فكان الناس يقولون: ما هذا؟ فلما قبض رسول الله ﷺ لقي الناس بعضهم بعضًا يعزي بعضهم برسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وقالت أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها: جاء عمر رضي الله عنه والمغيرة بن شعبة فاستأذنا فأذنت لهما وجذبت إليّ الحجاب، فنظر عمر رضي الله عنه إليه فقال: وا غشياه ما أشد غشي رسول الله ﷺ ثم قاما فلما دنوا من الباب قال المغيرة: يا عمر مات رسول الله ﷺ. فقال: كذبت، بل أنت رجل تحوسك فتنة، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله المنافقين. قالت: ثم جاء أبو بكر فرفعت الحجاب فنظر إليه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! مات رسول الله ﷺ ثم أتاه من قبل رأسه فحدر فاه فقبل جبهته، ثم قال: وا نبياه! ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال: وا صفياه. ثم رفع رأسه وحدر فاه وقبل جبهته وقال: وا خليلاه مات رسول الله ﷺ، وخرج إلى المسجد وعمر يخطب الناس ويتكلم ويقول: إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله المنافقين<sup>(٣)</sup>.

وقام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويتوعد من قال مات بالقتل والقطع ويقول: إن رسول الله ﷺ في غشية لو قد قام قتل وقطع. وعمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم بن أم مكتوم في مؤخر المسجد يقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾<sup>(٤)</sup>. والناس في المسجد يبكون ويموجون لا يسمعون. فخرج العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه على

- (١) البيهقي: شعب الإيمان، ك. السبعون من شعب الإيمان، وهو باب الصبر على المصائب ح (١٠١٥٣)، الدارمي: سنن الدارمي، ك. أبواب متفرقة في صفات النبي ﷺ، باب وفاة النبي ﷺ، ح (٨٤).
- (٢) الطبراني: المعجم الكبير، ك. باب السين، باب سهل بن سعد الساعدي، ح (٥٧٥٧).
- (٣) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٤٧٩ وذكر أن البخاري رواه عن يحيى بن بكير.
- (٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

الناس فقال: يا أيها الناس هل عند أحد منكم من عهد من رسول الله ﷺ في وفاته فليحدثنا؟ قالوا: لا. قال: هل عندك يا عمر من علم؟ قال: لا. فقال العباس: اشهدوا أيها الناس أن أحدًا لا يشهد على رسول الله بعهد عهده إليه في وفاته، والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت<sup>(١)</sup>.

قال: وأقبل أبو بكر من السُّنْح على دابته حتى نزل بباب المسجد، وأقبل مكروبًا حزينًا، فاستأذن في بيت ابنته عائشة فأذنت له، فدخل ورسول الله ﷺ قد توفي على الفراش والنسوة حوله فخمرون وجوههن واستترن من أبي بكر رضي الله عنه إلا ما كان من عائشة، فكشف عن رسول الله ﷺ فجثا عليه يقبله ويبكي ويقول: ليس ما يقول ابن الخطاب شيئًا، توفي رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده! رحمة الله عليك يا رسول الله، ما أطيبك حيًّا وميتًا. ثم غشاه بالثوب.

ثم خرج سريعًا إلى المسجد يتخطى رقاب الناس حتى أتى المنبر، وجلس عمر حين رأى أبا بكر مقبلًا إليه، وقام أبو بكر رضي الله عنه إلى جانب المنبر ونادى الناس، فجلسوا وأنصتوا، فتشهد أبو بكر بما علمه من التشهد، وقال: إن الله عز وجل نعى نبيه ﷺ إلى نفسه وهو حي بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم، وهو الموت حتى لا يبقى منكم أحد إلا الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ فقال عمر رضي الله عنه لشدة ما فيه من الدهشة: هذه الآية في القرآن؟! والله ما علمت أن هذه الآية أنزلت قبل اليوم، وقد قال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> وقال الله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْخُلُوعُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> وقال: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾<sup>(٤)</sup> وَبَعَثَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾<sup>(٥)</sup>. وقال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾<sup>(٥)</sup>.

- (١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٤٣. (٢) سورة الزمر، الآية: ٣٠.  
 (٣) سورة القصص، الآية: ٨٨. (٤) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.  
 (٥) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

وقال: إن الله عمّر محمداً ﷺ وأبقاه حتى أقام دين الله وأظهر أمر الله وبلغ رسالته وجاهد في سبيل الله، ثم توفاه الله على ذلك وقد ترككم على الطريقة، فلن يهلك هالك إلا من بعد البينة والشقاء، فمن كان الله ربه فإن الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمداً وينزله إلهاً فقد هلك إلهه. فاتقوا الله أيها الناس واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم وإن كلمة الله تامة وإن الله ناصر من نصره ومعز دينه، وإن كتاب الله بين أظهرنا وهو النور والشفاء، وبه هدى الله محمداً ﷺ، وفيه حلال الله وحرامه، والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد، ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ، فلا يبيغين أحد إلا على نفسه. ثم انصرف معه المهاجرون إلى رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> فخطب خطبة جلها الصلاة على النبي ﷺ وقال فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخاتم أنبيائه، وأشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث، وأن القول كما قال، وأن الله هو الحق المبين، في كلام طويل...

ومنه قوله: إن الله قد تقدم لكم في أمره فلا تدعوه جزعاً، وإن الله تعالى قد اختار لنيبه ما عنده على ما عندكم ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾<sup>(٢)</sup>. وقبضه إلى ثوابه، وخلف فيكم كتابه وسنة رسوله، فمن أخذ بهما عرف، ومن فرق بينهما أنكر. ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوْمِينَ بِأَلْقَسَطٍ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾<sup>(٣)</sup>. لا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يلفتكم عن دينكم، وعالجوا الشيطان بالخزي تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم<sup>(٤)</sup>.

وفي لفظ: فوالله لكان الناس لم يعلموا أن الآية نزلت إلا حين تلاها أبو بكر رضي الله عنه يومئذ، فأخذها الناس عن أبي بكر فإنما هي في أفواههم، فلما تلاها أبو بكر رضي الله عنه

(١) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٤٨٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

(٤) الصالحى: سبل الهدى، ١٢/ ٣٠٠.

أيقن الناس بموت رسول الله ﷺ وتلقاها كثير من الناس من أبي بكر رضي الله عنه حين تلاها<sup>(١)</sup>.

### بكاء الصحابة رسول الله ﷺ:

عن الطاهرة عائشة رضي الله عنها قالت: لما توفي رسول الله ﷺ جاء أبو بكر رضي الله عنه فدخل عليه ورفع الحجاب فكشف الثوب عن وجهه فاسترجع فقال: مات والله رسول الله ﷺ ثم تحول من قبل رأسه فقال: وا نبياه، ثم حدر فمه فقبل وجهه ثم رفع رأسه فقال: وا خليلاه ثم حدر فمه فقبل جبهته ثم رفع رأسه فقال: وا صفياه ثم حدر فمه فقبل جبهته ثم سجاه بالثوب ثم خرج<sup>(٢)</sup> وقال حسان رضي الله عنه يرثي رسول الله ﷺ:

جنبني يقيك التراب لهفي ليتني  
أقيم بعدك بالمدينة بينهم  
بأبي وأمي من شهدت وفاته  
صلى الإله ومن يحف بعرشه  
ورحم الله تعالى القائل:

واصبر لكل مصيبة وتجلد  
واصبر كما صبر الكرام فإنها  
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها  
وقول القائل:

تذكرت لما فرق الدهر بيننا

فعزيزت نفسي بالنبي محمد

(١) الصالحى: سبل الهدى، ١٢/٣٠٠.

(٢)، (٣) ابن الجوزي: المتظم، ٤/٢.

وقلت لها إن المنيا سبيلنا فمن لم يمت في يومه مات في غد<sup>(١)</sup>

قال ابن المنير: لما توفي رسول الله ﷺ دهش الناس واختلفت أحوالهم في ذلك وأفحموا واختلطوا؛ فمنهم من خبل ومنهم من أقعد ومنهم من أصمت فلم يطق الناس الكلام، فكان عمر رضي الله عنه لما فيه من الدهشة وشدة المصاب يجلب ويصيح: ما مات رسول الله ﷺ ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران حين غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم، وكان ممن أقعد - وفي لفظ: عقر - علي فلم يستطع حراكًا، وكان ممن أخرس عثمان بن عفان حتى جعل يُذهب به ويُجاء ولا يستطيع كلامًا، وأما عبد الله بن أنيس فأضنى حتى مات كمدًا رضي الله عنهم، ولما قبض رسول الله ﷺ تزينت الجنان لقدم روحه الكريمة كزينة المدينة يوم قدومه؛ إذا كان عرش الرحمن قد اهتز بموت بعض أصحابه فرحًا واستبشارًا فكيف بقدوم روح الأرواح؟ وكادت الجمادات تتصدع من ألم مفارقتة ﷺ فكيف بقلوب المؤمنين؟ لما فقد الجذع الذي كان يخطب إليه قبل اتخاذ المنبر حنًّا إليه وصاح، كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال: هذه خشبة تحن إلى رسول الله ﷺ فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.

فلو ذاق من طعم الفراق رض  
سوى لكان من وجده يמיד  
فقد حملوني عذاب شوق  
يعجز عن حمله الحديد  
وقال غيره:

فالصبر يحمد في المصائب كلها  
إلا عليك فإنه مذموم

\*\*\*

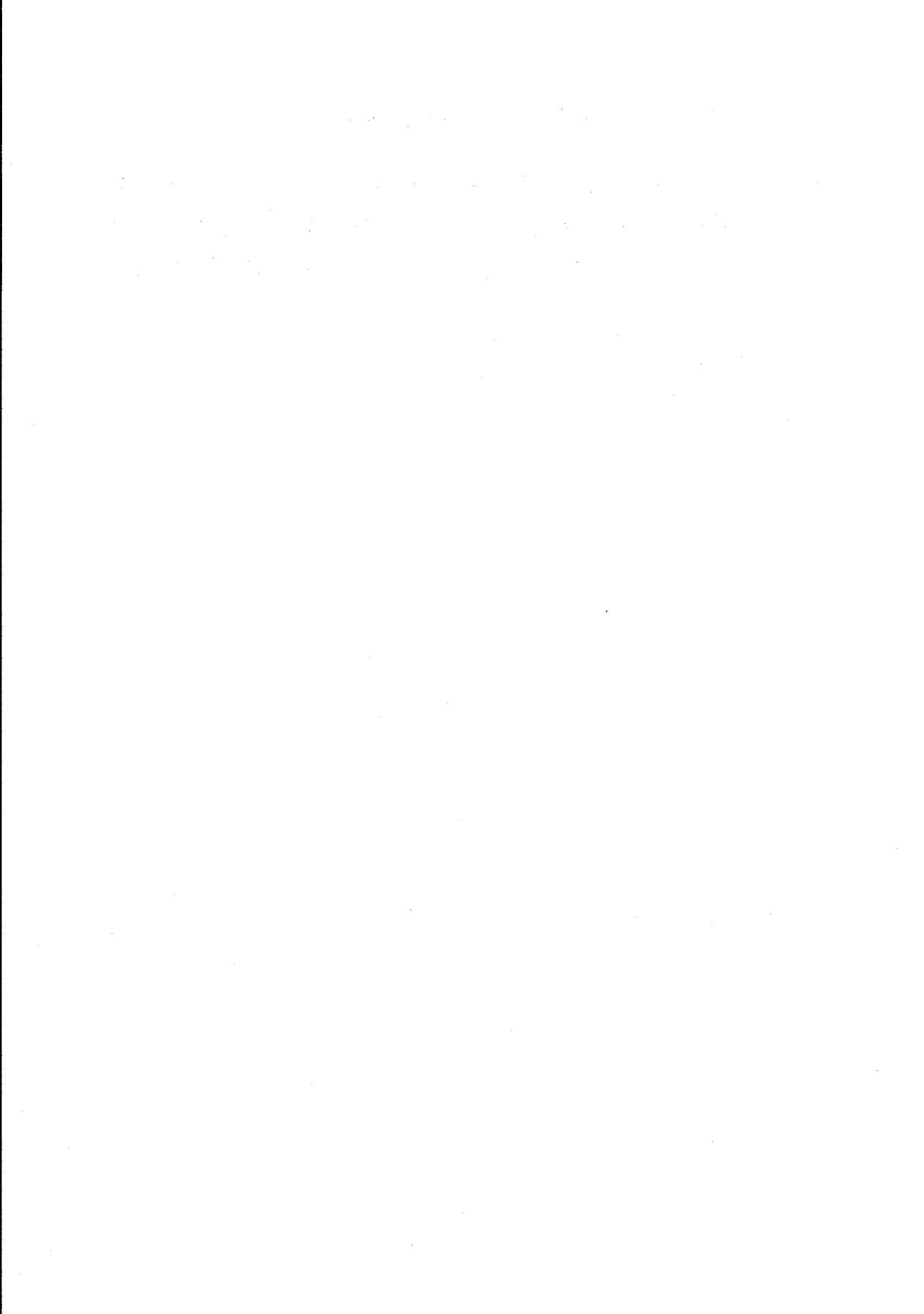
وقد كان يدعى لابس الصبر حازمًا فأصبح يدعى حازمًا حين يجزع<sup>(٢)</sup>

(١) الصالحى: سبل الهدى، ٢٧٣/١٢.

(٢) الروض الأنف: ٤٣١/١. الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ٣٧٧/١.

وشتم الصحابة رضي الله عنهم، ولأخذوا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الصحيحة التي تبين أن طريق الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ بدأ مسيره ببيعة أبي بكر خليفة لرسول الله ﷺ ولم يتخلف عن ذلك سوى المرتدين والمشركين والمنافقين.

\*\*\*



## المبحث الثالث

# خلافة أبي بكر رضي الله عنه وإمامته ثابتة بنصوص الكتاب والسنة وإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم

### الإشارات النبوية على خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

ما من مناسبة ذات شأن تمر بالمسلمين إلا والنبوي ﷺ يؤكد تقديم صاحبه الصديق رضي الله عنه تارة بالتطبيق وأخرى بالقول أو الإشارة إلى ذلك بإشارات واضحة ثابتة في الصحاح والسنن لا يمكن لجاحد ردها ولا لمؤمن الجهل بها، ظهر ذلك في عامة سيرة رسول الله ﷺ فضلاً عما ورد من إشارات على ذلك في القرآن الكريم، لهذا فإن أي تهاون في صيانة الرتبة التي ارتضاها رسول الله ﷺ لصاحبه وخليفته؛ إنما ذلك وجه من الرفض ولون من الردة، لا يستره جهل بعض العلماء المحسوبين على السنة بمصلحة الأمة، ولا بفرية التقريب بين المذاهب، إذ إن الكتاب والسنة وحملتهما الصحابة رضي الله عنهم كل واحد لا يتجزأ، من يتعد عن أي منها إنما هو رافض لما جاء به محمد ﷺ، وهذا دين آخر وليس مذهباً ولا يمكن الحديث عن التقريب بين أهل الإسلام وبين من يرد القرآن والسنة ويكفر الصحابة ويستبيح دماءهم كما فعلوا بالفاروق وهو في محرابه وعثمان وهو بين أوراق مصحفه وعلي وهو في مسجده رضي الله عنهم. قال تعالى: ﴿أَفَجَعَلْنَا الْمُشْرِكِينَ كَالْمُحْسِنِينَ﴾ (١).

(١) سورة القلم، الآية: ٣٥.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

- ومن الإشارات النبوية على خلافة أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ رده حين أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول الموت، قال ﷺ: «إن لم تجدني فأني أبا بكر»<sup>(٢)</sup>. وهذه شهادة وإشارة وتعليم من رسول الله ﷺ للأمة أن من يسد مسده أثناء غيبته هو صاحبه وخليفته أبو بكر رضي الله عنه، وهذا خبر صادق منه ودلالة من دلائل نبوته وصدقه ﷺ وأن الذي سيرُجع إليه بعد وفاته ﷺ إنما هو خليفته الصديق رضي الله عنه فأني شهادة أبلغ من هذه وأصرح للدلالة على أن المرجع بعد رسول الله ﷺ إنما هو أبو بكر رضي الله عنه وأي زيغ وعناد وردة يتلبس بها الرافضون لخيار رسول الله ﷺ ولتعاليمه.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أنا نائم، رأيتني على قليب، فنزعت ما شاء الله أن أنزع، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع ذنوباً أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم أخذها عمر فاستحالت غرباً، فلم أرَ عبقرياً من الناس يفري فريه، حتى ضرب الناس حوله بعطن»<sup>(٣)</sup>. وهذا فيه إشارة من رسول الله ﷺ أن الخلافة تكون من بعده لأبي بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه، وأن خلافة الصديق رضي الله عنه تكون قصيرة ثم تأتي خلافة الفاروق فتطول حتى يفيض المال وتعظم الفتوح وتصبح دولة الإسلام الدولة العظمى في الوجود، حتى يضرب الناس بعطن. . والعطن هو مبرك الإبل بعد ورودها الماء وريها، وهذه كناية وإشارة إلى استقرار الأمة وكثرة عددها وقيام دعوتها وامتداد دولتها.

(١) سورة يونس، الآية: ٣٤.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، فضائل أبي بكر، ح (٦١٧٩).

(٣) البخاري: كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، ح (٧٤٧٥).

- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره»<sup>(١)</sup>. وفي هذا الحديث أيضًا إشارة إلى أنه لا يليق بأحد من المسلمين أن يتقدم أبا بكر رضي الله عنه لأن من يفعل ذلك سيكون معتديًا على من هو أولى منه في هذا المقام لمؤهلاته وخبراته وعميق تجاربه وسعة علمه ولقربه من رسول الله ﷺ، وهذا ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم وعملوا به، وهو ما رفضه أعداء الصحابة وعملوا به أيضًا فأثمر عملهم فتنة متواصلة وأحقادًا متلاحقة وحرابًا على الكتاب والسنة.

- عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا له وزيران... وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر»<sup>(٢)</sup> وهذه إشارة تؤكد على معاني الخلافة بشكل مباشر، إذ إن كل خليفة لا بد أن يكون له وزراء يحملون معه أثقال المسؤولية ويعينونه على أداء الواجبات.

- وعن زُرعة بن عمرو، عن أبيه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال لأصحابه: «انطلقوا بنا إلى أهل قُباء نسلم عليهم» فلما أتاهم سلم عليهم، ورحبوا به، فقال: «يا أهل قُباء اتنوني بحجارة من هذه الحرة» فجمعت عنده فخط بها قبلتهم، فأخذ رسول الله ﷺ حَجْرًا فوضعه، ثم قال: «يا أبا بكر خذ حَجْرًا فضعه إلى جنب حَجْرِي» ففعل، ثم قال: «يا عمر، خذ حَجْرًا فضعه إلى جنب حَجْر أبي بكر» ففعل، ثم قال: «يا عثمان خذ حَجْرًا فضعه إلى جنب حَجْر عمر» ففعل، ثم التفت ﷺ إلى الناس بأخرة فقال: «وضع رجل حَجْره حيث أحب على هذا الخط»<sup>(٣)</sup> وهذا فيه إشارة واضحة إلى أمر الخلافة من بعده ﷺ وكما أشار رسول الله ﷺ دون أي تقديم أو تأخير، وهذا ما صدقه الواقع الذي عاشه المسلمون.

- (١) الترمذي: السنن، ك. المناقب. باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح (٣٦٧٣) هذا حديث حسن غريب
- (٢) الترمذي: السنن، ك. المناقب. باب. ح (٣٦٨٠).
- (٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢١٩/٣٠.

- عن أبي أروى الدوسي قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ فاطلع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي أيدني بكما»<sup>(١)</sup>. فقد كانا سيفين مصلتين بين يدي رسول الله ﷺ لا يحتاج مع وجودهما إلا أن يأمر من ينفذ أمره أو يفسر قوله فقد كانا بين يدي رسول الله ﷺ أذنانًا صاغية وعيونًا مبصرة وأيدي معطاءة وباطشة.

- ونظرًا لهذه المكانة العلية التي تشهد بها النصوص، أمرت الأمة بالافتداء بأبي بكر رضي الله عنه والانتقياد له، وهكذا فعلت حتى أوردتها موارد النبوة وقصد بها مقاصدها فأصبح هو العلم الإمام الذي لا يخالفه إلا هالك في الدنيا والآخرة، ولا يتردد في ولائه المطلق والبراءة ممن في قلبه أي زيغ عنه؛ إلا فاسد الفهم عقيم العلم شرّ على السنة داء في قلب الأمة لا بد من الحذر من عدواه والمباشرة في معالجهته أو اجتنائه، فمن لا يقتدي بأبي بكر رضي الله عنه إنما هو حرب على رسول الله ﷺ الذي كان يوصي أمته بالتمسك بطاعة وسنة اللذين من بعده من خلفاء النبوة. قال حذيفة رضي الله عنه: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فقال: «إني لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي». وأشار إلى أبي بكر وعمر<sup>(٢)</sup> رضي الله عنهما، وقد اقتدى بهما المؤمنون، وخالفهما المنافقون الرافضون لكل ما يأمر به الله ورسوله العابثون بسنته المبغضون لأصحابه وأزواجه ﷺ.

- وقال موسى بن عمير: سمعت مكحولًا يقول وسأله رجل عن قول الله عز وجل: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup> قال: حدثني أبو أمامة أنه كما قال: الله مولاه وجبريل، وصالح المؤمنين أبو بكر وعمر<sup>(٤)</sup>.

(١) الحاكم: المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح: (٤٤٤٧). هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) سنن الترمذي. ك. المناقب. باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما. ح (٣٦٦٣). الحاكم: المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٥١-٤٤٥٣).

(٣) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٤) الحاكم: المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٣٣). صحيح الإسناد =

- إن إشارات النبي على ملازمة أبي بكر رضي الله عنه له تجاوزت حال الحياة الدنيا إلى أحوال الآخرة. قال رسول الله ﷺ: «أول من تنشق عنه الأرض أنا ثم أبو بكر ثم عمر ثم أتى أهل البقيع فتنشق عنهم فأبعث بينهم»<sup>(١)</sup>. وإذا كان الأمر كذلك وهو أن أصحاب رسول الله ﷺ هم قادة الأمة ووزراء النبي وأفراد موكبه في الآخرة كما كانوا في الدنيا، فأين يكون من يتبرأ منهم؟ وما هو حال من يدعو إلى محبة أعدائهم المتعبدین بشتهمم والنيل منهم؟! لا شك أنهم لن يكونوا في مكان واحد فليحذر الذين لا يباليون وراء أي ناعق يسرون.

- مشاركة أبي بكر لرسول الله ﷺ في مشاعره، عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال: لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمير فتبسم إلى أبي بكر رضي الله عنه وقال ﷺ: «يا أبا بكر، كيف قال حسان بن ثابت وكان قد ذكر ذلك في شعره؟» فأنشد أبو بكر رضي الله عنه قول حسان الذي قاله متفائلاً بدخول مكة من جهة كداء قبل فتحها فكان الأمر كما قال رضي الله عنه:

عدمت ثنيتي إن لم تروها      تثير النقع من كتفي كداء  
ينازعن الأعنة مسرعات      يلطمهن بالخمير النساء

فقال رسول الله ﷺ: «ادخلوا من حيث قال حسان»<sup>(٢)</sup>.

- ومما يؤكد إمامة أبي بكر رضي الله عنه عند الصحابة رضي الله عنهم وأنهم لا يشكون في خلافته لرسول الله ﷺ أن النبي ﷺ اكتفى بالدلالة والإشارة والإخبار والإرشاد إلى

= ولم يخرجاه.

(١) الحاكم: المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٢٩). هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) مستدرک الحاكم ك. معرفة الصحابة. باب أبو بكر الصديق. ح (٤٤٤٢). هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

خلافته رضي الله عنه لعلمه أن ذلك لا ينازع فيه أحد من الصحابة، فلو كان التعيين مما يشتهبه على الأمة، لبينه النبي ﷺ بيانا قاطعا للعذر، ولكتب له كتابا كما همّ بذلك لكن لما دلهم ﷺ دلالات متعددة على أن أبا بكر رضي الله عنه هو المتعين وفهموا ذلك حصل المقصود، والأحكام بينها ﷺ تارة بصيغة عامة وتارة بصيغة خاصة، ومن هنا لم يقبل منه الصحابة رضي الله عنهم اعتذاره لهم عن الخلافة.

- وكانوا يشهدون بأنه خيرهم رضي الله عنهم ظهر ذلك جليا بعد بيعته على الخلافة حيث قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين بويع، فخطب الناس. فقال: أيها الناس إني قد أقلتكم رأيكم، إني لست بخيركم فبايعوا خيركم، فقاموا إليه فقالوا: يا خليفة رسول الله، أنت والله خير منا<sup>(١)</sup>.

- ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبته التي ألقاها بين المهاجرين والأنصار: وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر<sup>(٢)</sup>. وقال عمر رضي الله عنه يوم السقيفة بمحضر من المهاجرين والأنصار أيضا مخاطبا خليفة رسول الله: أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>. ولم ينكر ذلك منهم منكر ولا قال أحد من الصحابة: إن غير أبي بكر رضي الله عنه من المهاجرين أحق بالخلافة منه، ولم ينازع أحد في خلافته طمعا أن يكون من الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير، وهذا مما ثبتت النصوص المتواترة عن النبي ﷺ ببطلانه ثم الأنصار جميعهم بايعوا أبا بكر رضي الله عنه - وكذلك سعد بن عبادة

(١) انظر: الحلية لأبي نعيم ٣١/١. الطبراني: المعجم الكبير. باب من اسمه متصر، ح (٨٥٩٧).

الصالح: سبل الهدى، ٢٥٩/١١.

(٢) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، ح (٦٣٢٨). مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رجم الثيب من الزنا، ح (٣٢٠١)، ابن حنبل، المسند ١، ح (٣٩١).

(٣) صحيح البخاري، ك. فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً»، ح (٣٦٦٨)، ك. الحدود، باب رجم الحبلى، ح (٦٨٣٠).

رضي الله عنه بايع أبا بكر في السقيفة ولم يُذكر عنه أي خلاف أو نزاع لأبي بكر رضي الله عنه كما سيتضح ذلك عند الحديث عن بيعة سعد بن عباد وبيعة علي للخليفة أبي بكر رضي الله عنهم ولا قيمة لما أورده الطبري ومن أخذ عنه، من روايات رافضية حاقدة في تاريخه حول سعد بن عباد رضي الله عنه، تلك الرواية التي ما زال يهذي بها الغوغاء الذين يفترون على أصحاب رسول الله ﷺ وينسبون إليهم ما لم يفعلوه<sup>(١)</sup>.

- وقال عمر رضي الله عنه يوم سقيفة بني ساعدة للأنصار: أنشدكم الله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فأيكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقام أقامه فيه رسول الله ﷺ؟ فقالوا: كلنا لا تطيب نفسه ونستغفر الله. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: اجعلوا إمامكم خيركم، فإن رسول الله ﷺ جعل إمامنا خيرنا بعده<sup>(٢)</sup>. فابن مسعود يرى أن رسول الله ﷺ هو الذي اختار لأصحابه رضي الله عنهم إمامهم من بعده فاختار لهم خيرهم وهو خليفته أبو بكر رضي الله عنه.

- ولم يقل قط أحد من الصحابة: إن النبي ﷺ نص على غير أبي بكر رضي الله عنه لا على العباس ولا على علي رضي الله عنهما ولا على غيرهما، ولا ادعى العباس ولا علي ولا أحد ممن يحبهما الخلافة لواحد منهما، ولا أنه منصوص عليه. بل ولا قال أحد من الصحابة: إن في قريش من هو أحق بها من أبي بكر رضي الله عنه؛ لا من بني هاشم، ولا من غير بني هاشم. وهذا كله مما يعلمه العلماء العالمون بالآثار والسنن والحديث، وهو معلوم عندهم

(١) ينظر: الخليفة، الإنصاف، ١٢٨، ١٣٦، الأنصار في العصر الراشدي، ١٠١ فما بعدها. ومن الموافقات أن فضائية رافضية في هذا اليوم ٢٢/٨/٢٠٠٦. كانت تقيم حوارًا تحت عنوان نقطة ساخنة وتتصل ببعض علماء السنة فكان أحدهم ويعمل عضوًا في مجلس شعب دولته وله مواقع على شبكة الإنترنت، يفترى في مشاركته على بعض الصحابة أنه كان مخالفًا لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما إرضاء للرافضة وتشجيعًا لهم على حرب الصحابة رضي الله عنهم وتجردًا من السنة المطهرة واتهامًا للصحابة رضي الله عنهم وإمعانًا في الجهالة وتضليل أهل السنة.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/٢٩٧.

بالاضطرار، وقد نُقل عن بعض بني عبد مناف، مثل أبي سفيان بن حرب وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية رضي الله عنهما أنهم أرادوا ألا تكون الخلافة إلا في بني عبد مناف، وأنهم ذكروا ذلك لعثمان وعلي رضي الله عنهما، فلم يلتفتا إلى من قال ذلك، لعلمهما وعلم سائر المسلمين أنه ليس في القوم مثل أبي بكر رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

وفي الجملة جميع من نقل عنه أنه طلب تولية غير أبي بكر رضي الله عنه إنما نشأ كلامه عن حب لقومه وقبيلته، وإرادة منه أن تكون الإمامة في قبيلته ومعلوم أن مثل هذا ليس من الأدلة الشرعية ولا الطرق الدينية، ولا هو مما أمر الله ورسوله ﷺ المؤمنين باتباعه، بل هو شعبة جاهلية ونوع عصبية للأنساب والقبائل، وهذا مما بعث الله محمداً ﷺ بهجره وإبطاله. قال ﷺ: «أربع من أمر الجاهلية في أمتي لن يدعوهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت، والاستسقاء بالنجوم»<sup>(٢)</sup>. وقال ﷺ: «من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تُكنوا»<sup>(٣)</sup>. وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَّرَهَا بِالْأَبَاءِ؛ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ»<sup>(٤)</sup>.

### منزلة أبي بكر رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ وعند أصحابه رضي الله عنهم:

إن كل شيء في الإسلام يشهد لخليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه بعلو المنزلة وعظيم المكانة التي تبوأها بين المؤمنين، لما بذله من جهد في البناء والتمكين لرسول الله ﷺ ولدينه في الأرض، ولما أبدى من إخلاص وشدة تمسك بمنهج رسول الله ﷺ وطريقته

(١) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ١/٥٢٠.

(٢) ينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، ح (١٥٥٠)، الحاكم، المستدرک، ١/٣٨٣، الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/٢٩٩.

(٣) ينظر: ابن حنبل، المسند، ٥/١٣٦.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب، ح (٤٤٥٢)، ابن حنبل، المسند، ١٦/٣٠٠.

وستته في نشر الإسلام والتعامل مع الناس وفي الإيمان بمستقبل الأمة وعقيدتها؛ والثقة المطلقة بكل ما وعد به الله ورسوله ﷺ المؤمنين، فكان يسير على هذا الهدى وبهذه النية، فلم يلتفت ولم يتلعم في موقف من المواقف الحرجة العصبية، بل بقي منطلقاً انطلاقاً نبيه ﷺ كالشهاب في السماء لا ترده عقبة ولا تشنيه معضلة؛ حتى أعاد الثقة في نفوس المؤمنين بأن المستقبل لهذا الدين في عصره وفي كل عصر يوجد فيه رجال يؤمنون بما كان يؤمن به خليفة رسول الله ويسيرون على دربه الذي يحيط به الكتاب والسنة. وقد اتضحت إمامة خليفة رسول الله أيضاً في فصل الخصائص والفضائل، ومن عاد بالذاكرة إلى سيرته في عهد رسول الله ﷺ يجد ما يؤكد ذلك له على لسان رسول الله ﷺ في كثير من المواقع والأحداث والمناسبات في مثل قوله ﷺ: «إِنَّ أَمَّنَ النَّاسَ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصَحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامَ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةَ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ»<sup>(١)</sup>. ففي هذا الحديث الصحيح الصريح تتضح إمامة خليفة رسول الله التي يؤكدها للأمة ويظهرها للناس لكي يعلمها كل من في قلبه مثقال ذرة من إيمان أو علم أو يقين، فلا يجحدها إلا منافق أو مرتد أو من أشرب قلبه حقد المجوس أو مكر اليهود، كما أن الإشارة إلى المقصد الواضح من إغلاق أي باب يؤدي إلى المسجد سوى باب خليفة رسول الله الذي سيقوم بمقامه ﷺ وسيبقى بابه مفتوحاً إلى دار القيادة والسيادة والعبادة في عقيدة الأمة وثقافتها ألا وهو المسجد بيت الله ومأوى الصالحين ومنتجع المؤمنين ومرتع ورياض محبي الكتاب والسنة الأكرمين.

- وقوله ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي»<sup>(٢)</sup>. وفي صحيح البخاري: «لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي

- (١) البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، حديث رقم (٣٩٠٤).  
 (٢) مسلم، ك. فضائل الصحابة. باب فضائل أبي بكر ح (٦٣٢٢). الترمذي: السنن، ك. المناقب. باب مناقب أبي بكر، ح (٣٦٥٥).

وصاحبي»<sup>(١)</sup> كما سبق ذكر ذلك.

- وإعلانه ﷺ بأن أحب الناس إليه: «عائشة» ومن الرجال «أبوها»<sup>(٢)</sup>. قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل أميراً. فأتيته ﷺ فقلت: أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: «عائشة». فقلت: من الرجال؟ فقال: «أبوها». قلت: ثم من؟ قال: «عمر». فعد رجالاً<sup>(٣)</sup>.

- قال أبو الدرداء رضي الله عنه: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر رضي الله عنه آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر». فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعتُ إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ، فأقبلت إليك، فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر» ثلاثاً، ثم إن عمر رضي الله عنه ندم فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ، فسلم فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر رضي الله عنه فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم، مرتين. فقال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركولي صاحبي؟» مرتين. فما أوذى بعدها<sup>(٤)</sup>.

فهذه منزلة من التبجيل والتقدير والثقة وحب النبي ﷺ لصاحبه لم يصل إليها أحد من الصحابة رضي الله عنهم، وكانت معلومة عند جميع المسلمين، وكان النبي ﷺ يصرح بها ويعلمها، لكيلا يدخل أحد في مخاصمة الصديق رضي الله عنه فيقع تحت طائلة انتصار رسول الله ﷺ لصاحبه رضي الله عنه.

(١) البخاري: كتاب فضائل الصحابة. باب قول النبي ﷺ: «سدوا الأبواب، إلا باب أبي بكر». ح (٣٦٥٦).

(٢) مسلم. ك. فضائل الصحابة. باب من فضائل أبي بكر الصديق. ح (٦١٧٧).

(٣) البخاري: شرح فتح الباري، ك. فضائل الصحابة، ح (٣٦٦٢).

(٤) البخاري: شرح فتح الباري، ك. فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ح (٣٦٦١)، ابن كثير: السيرة: ٤٣٤/١.

- عن أنس أيضًا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدثه قال: قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أن أحدهم ينظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال النبي ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي الجَنُوب عقبة بن علقمة<sup>(٢)</sup> قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: لقد صنع رسول الله ﷺ بأبي بكر أمرًا ما صنعه بي، فقال له رجل: ما صنع به يا أمير المؤمنين؟ قال: يوم الملحم، قلنا: وما يوم المَلْحَم؟ قال: يوم جاء المشركون يقتلون رسول الله ﷺ فخرج وخرج بأبي بكر معه لم يأمن على نفسه أحدًا غيره حتى دخلا الغار، ولقد رأيتنا وما أحدٌ أعز منا يوم دخل عُمر في الإسلام، ولو أن جميع ولد آدم دخلوا، ما كنا أعز منا يوم دخل عمر بن الخطاب في الإسلام. وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: يا أهل الكوفة لا تقولوا في أبي بكر رضي الله عنه إلا خيرًا، كان مع النبي ﷺ في الغار ﴿ثَانِيًا أَتَيْنِ﴾<sup>(٣)</sup> وقال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت رضي الله عنه: «هل قلت في أبي بكر شيئًا؟» قال: نعم يا رسول الله، قال ﷺ: «فقل حتى أسمع». فقال حسان:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبلا  
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا<sup>(٤)</sup>  
فتبسم رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: «صدقت يا حسان، هو كما قلت»<sup>(٥)</sup>.

- قال ابن عيينة: عاتب الله المسلمين كلهم في رسول الله ﷺ إلا الصديق؛ فإنه خرج من

(١) البخاري: الصحيح، ك. التفسير، باب قوله: ﴿ثَانِيًا أَتَيْنِ﴾ ح (٤٣٨٦) مسلم: ك. فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر رضي الله عنه ح (٦١١٩)، الترمذي: سنن الترمذي، ك. التفسير، باب: ومن سورة التوبة، ح (٣٠٩٦)، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/٨٣.

(٢) ترجمته في تهذيب الكمال ١٣/١٣٢.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣٠/٩٠.

(٤) ينظر: ديوان حسان، ط بيروت، ١٧٤.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣٠/٩٠.

المعاتبه، قال تعالى: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾<sup>(١)</sup> وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: ردف رسول الله ﷺ خلف أبي بكر رضي الله عنه فكان إذا مرّ على الملاء. قالوا: يا أبا بكر من هذا الرجل معك؟ فيقول: هذا رجل يهديني السبيل<sup>(٢)</sup>.

- رجاء النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه أن يدخل من كل أبواب الجنة: قال ﷺ: «من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله، دعي من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام، وباب الريان». فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «أخذ جبريل بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي» فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، وددت أني كنت معك حتى أراه، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنك أول من يدخله من أمتي»<sup>(٤)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «على رسلك يا أبا بكر، إن أفضل الناس عندي في الصحبة وذات يده ابن أبي قحافة»<sup>(٥)</sup>. وقال ﷺ: «يأيها الناس، احفظوني في أبي بكر، فإنه لم يسؤني منذ صحبني»<sup>(٦)</sup>. وروي في بعض الآثار عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠. (٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق ٣٠/٩٤.

(٣) صحيح البخاري: ك. فضائل الصحابة، ح(٣٦٦٦).

(٤) الحاكم: المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح(٤٤٤٤). هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٥) الطبراني: المعجم الكبير، ك. باب الميم، باب، معاوية بن أبي سفيان، ح(٧٩١).

(٦) الصالحی: سبل الهدی، ١١ / ٢٥٧.

قال للعباس رضي الله عنه: «يا عباس، يا عمّ رسول الله ﷺ، إن الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ووحيه، فاسمعوا له تفلحوا، وأطيعوا ترشدوا»<sup>(١)</sup> وهذا الأثر وإن كان في إسناده مقال إلا أنه لا يخرج عن حقيقة تأكيد إمامة أبي بكر - وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنَِّّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> إلى آخرها في أبي بكر فاستجاب الله له، فأسلم والداه جميعًا وإخوته وولده كلهم، ونزلت فيه أيضًا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَانْفَكَىٰ﴾<sup>(٣)</sup> إلى آخر السورة<sup>(٤)</sup>.

- عن ابن عباس قال: لما حضر النبي ﷺ وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ: «هلموا أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده» فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله...<sup>(٥)</sup>. وكل الأحاديث والتفاسير في هذا الباب تؤكد أنه ﷺ كان يريد أن يكتب لأبي بكر رضي الله عنه.

- قال ﷺ: «لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: ياأبي الله ويدفع المؤمنون، أو: يدفع الله ويأبى المؤمنون»<sup>(٦)</sup> وقول رسول الله ﷺ: «اتنوني بدواة وكتاب أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده»، ثم ولانا قفاه،

- (١) الهندي: كنز العمال (٣٢٥٨٦)، ابن حجر: الإصابة، ١/ ٣٣٠، السيوطي: الدر المنثور ٨/ ٦٦٢. الخطيب البغدادي: تاريخ، ١١/ ٢٩٣.
- (٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.
- (٣) سورة الليل، الآية: ٥.
- (٤) الصالحى: سبل الهدى، ١١ / ٢٥٧.
- (٥) البخاري: بشرح فتح الباري، ك: المغازي باب، مرض النبي ﷺ ووفاته ح (٤٤٣١). ح (٤٤٣٢).
- (٦) البخاري: صحيح البخاري، ك. الأحكام، باب الاستخلاف، ح (٦٧٩١) ابن حنبل: المسند، ك. وباب حديث السيدة عائشة (٢٤٥٨٩).

ثم أقبل علينا فقال: «يأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر»<sup>(١)</sup>.

- وقالت الطاهرة أم المؤمنين: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك، حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمنٌ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»<sup>(٢)</sup>. ولا ريب أن هذا من أوضح الأدلة وأصرحها وأصحها، لا يماري فيه إلا مكذب للنبي ﷺ ورافض لستته ﷺ ومتبع لأهوائه لا يبالي بدين ولا نبوة ولا إيمان ولا كفر، وبالتالي لا قيمة لأقواله.

- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا يمشي أمام أبي بكر فقال: «أتمشي أمام من هو خير منك؟ إن أبا بكر خير من طلعت عليه الشمس وغربت». وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتمشي أمام من هو خير منك؟ ألم تعلم أن الشمس لم تشرق على أحد أو تغب على خير من أبي بكر إلا النبيين والمرسلين». وروى أيضًا عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتمشي أمام أبي بكر؟ ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر»<sup>(٣)</sup>. وهذه الآثار وإن كان في أسانيدها مقال يثلج صدور من في قلوبهم نزعة رافضية أو لوثة شعوبية إلا أنها توافق ما ثبت من نصوص صحيحة.

- ومن الفضائل التي أكدها رسول الله ﷺ لخليفته أمام أصحابه رضي الله عنهم شهادته له بالإيمان وهو ليس موجودًا في المجلس الذي ذكر فيه حديث الإيمان، حين ذكر ﷺ البقرة التي كلمت صاحبها والذئب الذي كلم الراعي. وقوله ﷺ: «فإني أومن بذلك، أنا

(١) الطبراني، المعجم الكبير، ح (١٢٢٦١)، الحاكم: المستدرک، ح (٦٠١٦). وقال الذهبي: صحيح الإسناد.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، ح (٦٥٥٢)، ابن حبان: صحيح ابن حبان، (٦٥٩٨)، البيهقي: السنن الكبرى، ح (١٧٠٥٥).

(٣) الصالحى: سبل الهدى، ٢٥٦/١١، ابن قدامة: لمعة الاعتقاد، ١/١٦١، الأمير الصنعاني: توضيح الأفكار، ٤٨/١.

وأبو بكر، وعمر»<sup>(١)</sup> ولم يكونا في ذلك المجلس.

- وشهادة رسول الله ﷺ بأن صاحبه قد جمع كل الخصال الموجبة لدخول الجنة وإعلان ذلك أمام جمهور الصحابة قادة البشرية وأئمة الدنيا حينما سأل وعلى مسامح الجميع فلم يجب على كل ما سأل عنه ﷺ إلا خليفته وصاحبه رضي الله عنه، وكم من الأسئلة تدور في ذهن من يسمع مثل هذا الحديث وما الذي جعل رسول الله ﷺ يسأل عن هذه الأسئلة، وهل كانت تلك الأسئلة من الموافقات أم أن هذه الفضائل التي جمعها صاحب رسول الله هي التي بعثت الحافز في نفس النبي ﷺ أن يسأل عنها لكي يعلم الناس مقام صاحبه أم أن ذلك من أمر الغيب وسفارات جبريل، فالله وحده العالم بالسبب المباشر لمثل هذه الأسئلة التي أثمرت شهادة من رسول الله ﷺ لصاحبه بأنه من أهل الجنة وأنه أهل لتجسد الفضائل فيه حيث كان ينطلق إلى مظانها بفطرته وعميق توكله رضي الله عنه قال ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائمًا؟». قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟» قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»<sup>(٢)</sup>.

- ولم يكتف رسول الله ﷺ بأن يشهد لصاحبه بالجنة دون أن يحدد لهم المكان العلي الذي ادخره له مولاه جزاء لإيمانه وجهاده وطاعته، فقال ﷺ: «إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعم»<sup>(٣)</sup>.

- اختصاص رسول الله ﷺ لأبي بكر في عامة شؤونه، فمع كل الهيبة التي اتسم بها رسول الله ﷺ فإن الصديق يتعامل بين يديه دون حرج أو وجل أو تردد، وما ذلك إلا لأنه

(١) صحيح مسلم. ك. فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل أبي بكر. ح (٦١٨٣).

(٢) صحيح مسلم. ك. فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل أبي بكر الصديق. ح (٦١٨٢).

(٣) الترمذي. السنن. ك. المناقب. باب. مناقب أبي بكر. ح (٣٦٥٨).

يعمل بموافقة رسول الله ﷺ ويتصرف في الأمور على علم، ولأنه يفهم مراد رسول الله ﷺ في جميع المواقف فلم ينهره رسول الله ﷺ في يوم ولم يرده في مسألة، بل كان له المعين والنصير كما كان أبو بكر رضي الله عنه لنبيه ﷺ كذلك. قال أبو مسعود البدي الأنصاري رضي الله عنه: كنا نجلس مع رسول الله ﷺ فكلّم النبي ﷺ رجلاً فأرعد، فقال: «هون عليك، فإنني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»<sup>(١)</sup>. وقال أبو رمة: أتيت رسول الله ﷺ ومعني ابني، فقال: يا بني هذا نبي الله ﷺ فلما رآه أرعد من هيئته. وروى يعقوب بن سفيان عنه أيضًا قال: انطلقت مع أبي نحو رسول الله ﷺ فلما رأيته، قال: هل تدري من هذا؟ قلت: لا، قال: هذا رسول الله ﷺ واقشعررت حين قال ذلك، وكنت أظن رسول الله ﷺ شيئًا لا يشبه الناس فإذا هو بشر<sup>(٢)</sup>.

- وعن أنس أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر؛ فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما<sup>(٣)</sup>. فلم يحل بينه وبين رسول الله ﷺ حائل مع كل ما كان معروفًا لرسول الله ﷺ من الهيئة المقرونة بالمحبة والإجلال في نفوس أصحابه رضي الله عنهم.

- وكان المسلمون في سفر فلما كانوا ببعض الطريق أدركهم الكرى فناموا، وقال ﷺ لبلال: «اكلاً لنا الليل». فصلى بلال رضي الله عنه ما قدر له ونام رسول الله ﷺ وأصحابه فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر فغلبت بلالاً عيناه وهو مستند إلى

(١) السيوطي: الدر المنثور، ٦١٢/٧، الألباني: الجامع الصغير وزياداته، (١٣٠٠٨)، الحاكم: المستدرک، (٣٧٣٣).

(٢) الصنعاني: المصنف، (٣٩٣٤)، سنن أبي داود، ح (٥٧٥)، البيهقي: السنن الكبرى، ح (١٥٦٧٦).

(٣) الترمذي: السنن. ك. المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما. ح (٣٦٦٨) قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث الحكم بن عطية. وقد تكلم بعضهم في الحكم بن عطية.

راحلته فلم يستيقظ النبي ﷺ ولا بلال رضي الله عنه ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً ففرع رسول الله ﷺ فقال: «أي بلال» فقال: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فاقْتادوا رواحلهم شيئاً حتى خرجوا من ذلك الوادي ثم قال: «هذا وادٍ به شيطان»، فلما جاوزه أمرهم أن ينزلوا وأن يتوضؤوا ثم صلى سنة الفجر ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة وصلى بالناس ﷺ ثم انصرف إليهم، وقد رأى من فرعهم فقال: «يا أيها الناس إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا؛ فإذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نسيها ثم فرغ إليها فليصلها كما كان يصلها في وقتها» ثم التفت رسول الله ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقال: «إن الشيطان أتى بلالاً وهو قائم يصلي فأضجعه فلم يزل يهدئه كما يهدئ الصبي حتى نام» ثم دعا رسول الله ﷺ بلالاً فأخبره بمثل ما أخبر به أبا بكر رضي الله عنه<sup>(١)</sup> فكانت عامة خصوصيات رسول الله ﷺ لا تحجب عن أبي بكر لأنه مقدم عند النبي ﷺ على جميع أصحابه لخصائصه ومزاياه التي تفرد بها بين يدي رسول الله ﷺ، ونظراً لتلك الخصائص كان ﷺ يعلن أمام الأمة: «إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر»<sup>(٢)</sup> وبهذه المواقف وأمثالها تتجلى شخصية الصديق رضي الله عنه في العلم والفهم والمكانة عند رسول الله ﷺ فيما يدخل ضمن خصوصياته التي يرمز بها عن بعض الأحداث المتعلقة بالمستقبل فينوه عنها ويشير إليها إشارات لا يدركها إلا من تشرب علم رسول الله ﷺ وتوجهاته حتى غلبت عليه جميع مداركه فأصبح يرى الأحداث برؤية رسول الله ﷺ وقيس الأمور بمقاييس النبوة، فلم يعد غريباً عليه أن ينفرد بالفهم والتلقي والسير مع الأحداث بتدابير وتخطيطات النبوة ذاتها، ولهذا لم يسجل عليه أحد من الرواة أو المؤرخين؛ أنه تردد أمام معضلة أو تلغثم أمام

(١) ابن القيم: زاد المعاد ج ٣ / ٥٦، ٣٥٩.

(٢) البخاري: كتاب فضائل الصحابة. باب: قول النبي ﷺ: «سدوا الأبواب، إلا باب أبي بكر» ح (٣٦٥٤).

خطر، بل كان دائماً مستهدياً متمسكاً بمنهج رسول الله ﷺ وتأملاته وتدبيره، ولعل هذا ما ميز خليفة رسول الله عن غيره حتى أصبح إمام الأمة وقائدها بعد نبيها ﷺ وإلى قيام الساعة لا يماري في ذلك إلا جاهل غبي أو منافق رافضي مكذب للوقائع ومنكر للحقائق.

- ومن مكانته ألا يؤدي أبداً: فقد بلغ من مكانة أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لم يكن يقبل أن يناله أحد بأي وجه من وجوه التناول أو التجاهل حتى لو كان ذلك من أقرب الناس إليه، يتضح ذلك في عدة مواقف تبين من خلالها المكانة العظيمة التي لا تداينها مكانة أحد من الصحابة الكرام عند رسول الله ﷺ وشدة غيرته على صاحبه الصديق وحميته له ومعرفته بمكانته وفضله وأياديه البيضاء على الإسلام والمسلمين في أيام المحن والشدائد فضلاً عن أيام الرخاء والعافية، ونظراً لشدة ملازمة أبي بكر لرسول الله ﷺ وشدة تمسك رسول الله ﷺ به كان يستشعر وجوده في كل مكان يكون فيه. قال ﷺ: «رأيتني أدخلت الجنة... فخرجت من أحد أبواب الجنة الثمانية، فجيء بكفة فوضعت فيها، وجيء بجميع أمتي فوضعت في كفة فرجحتها، ثم جيء بأبي بكر رضي الله عنه فوضع في كفة، وجميع أمتي في كفة، فرجحتها أبو بكر، ثم جيء بعمر رضي الله عنه فوضع فيها فرجحتها، فجعلت أمتي تمر علي أفواجا، حتى استبطأت عبد الرحمن بن عوف، فمر بي بعد الناس، فقال: بأبي وأمي، ما كدت أخلص إليك إلا من بعد المشاق، فقلت: لم ذاك؟ قال: من كثير مالي، ما زلت أحاسب بعدك وأمحص»<sup>(١)</sup>.

- ومثلما رجع أبو بكر رضي الله عنه الأمة بأجمعها بعلمه وإيمانه بما فيها عمر الفاروق فإن رسول الله ﷺ بشره بمكانته وخصوصيته عند ربه سبحانه وتعالى. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا عند النبي ﷺ إذ جاءه وفد عبد القيس فتكلم بعضهم بكلام لغا في الكلام. فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر وقال: «يا أبا بكر، سمعت ما قالوا؟» قال: نعم، يا رسول الله وفهمته. قال: «فأجيبهم». قال: فأجابهم أبو بكر ﷺ بجواب وأجاد

(١) أبو نعيم في الحلية، ١/ ١٥٠. هناد بن السري: الزهد، ١/ ٣٣٠.

الجواب، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر أعطاك الله الرضوان الأكبر». فقال له بعض القوم: وما الرضوان الأكبر يا رسول الله؟ قال: «يتجلى الله لعباده في الآخرة عامة، ويتجلى لأبي بكر خاصة»<sup>(١)</sup>. والله سبحانه وتعالى قال في كتابه العزيز: ﴿وَجُودٌ بِوَمِيذِرٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> والرافضة تكذب القرآن في رؤية الله يوم القيامة ولا تؤمن بها، وعلى هذا فهم لا يؤمنون بكل ما في كتاب الله من فضائل لأصحاب رسول الله ﷺ ومن أوسمة تدحض كل إفك وباطل، وكذلك لا يؤمنون بما جاء على لسان نبيه ﷺ من شهادات لأصحاب رسول الله ﷺ، ولا سيما ما في ذلك للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إن النبي ﷺ صعد أحدًا، وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال ﷺ: «اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق، وشهيدان»<sup>(٣)</sup>.

- وقد صدق واقع الحياة ما قاله ﷺ، فعمر وعثمان ساق الله لهما الشهادة فاغتالتهم الرافضة ببغيها وغدرها وحقدتها وها هم يعظمون قاتل الفاروق ويرفعونه عندهم إلى درجة أئمتهم الذين يناجونهم من دون الله. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَا وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>. ومع كل هذا الشر الذي ما زال يحدق بالسنة وحملتها، يجد المتابع كثيرًا ممن يزعم أنه من علماء السنة لا يتردد في الثناء على قتلة الفاروق دون حياء من الله تعالى ولا من عباده الصالحين!!

- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «هذان سيذا كهول

(١) الحاكم: المستدرک، ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٦٣). ينظر:

الصالحی: ٢٦٠/١١.

(٢) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٣) صحيح البخاري بشرح فتح الباري. ك. فضائل الصحابة، ح (٣٦٧٥).

(٤) سورة يونس، الآية: ١٠٤.

أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين»<sup>(١)</sup>. وقال علي رضي الله عنه: كنت عند النبي ﷺ فأقبل أبو بكر وعمر، فقال ﷺ: «يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين»<sup>(٢)</sup>. وقال علي رضي الله عنه: كنت مع رسول الله ﷺ إذ طلع أبو بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، يا علي لا تخبرهما»<sup>(٣)</sup>.

- وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم ودخل المسجد وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما، وقال: «هكذا نبعث يوم القيامة»<sup>(٤)</sup>.

- وقال ﷺ: لأبي بكر رضي الله عنه: «أنت صاحبني على الحوض، صاحبني في الغار»<sup>(٥)</sup>.

- وقال عبد الله بن حنطب: إن رسول الله ﷺ رأى أبا بكر وعمر فقال: «هذان السمع والبصر»<sup>(٦)</sup>.

(١) الترمذي: السنن. ك. المناقب. مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ح (٣٦٦٤) قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق. ١٦٥/٣٠. وقد رواه بعدة أسانيد.

(٣) سنن الترمذي. ك. المناقب. باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما. ح (٣٦٦٥) قال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقد روي هذا الحديث عن علي من غير هذا الوجه. عن أنس وابن عباس. عن علي عن النبي ﷺ قال: «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي». الترمذي: السنن. ح (٣٦٦٦).

(٤) سنن الترمذي. ك. المناقب. باب: في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح (٣٦٦٩)، قال الترمذي: وسعيد بن مسلمة - أحد رواة الحديث - ليس عندهم بالقوي.

(٥) سنن الترمذي. ك. المناقب. باب: في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح (٣٦٧٠) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٦) قال: وفي الباب عن عبد الله بن عمرو، وهذا حديث مرسل، وعبد الله بن حنطب لم يدرك النبي ﷺ. سنن الترمذي. ك. المناقب. باب في مناقب أبي بكر وعمر. ح (٣٦٧١).

- وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول عن أبي بكر رضي الله عنه: والله لا أسبقه إلى شيء أبدًا<sup>(١)</sup>. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كنا عند النبي ﷺ فقال: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنة» فطلع أبو بكر رضي الله عنه فسلم ثم جلس<sup>(٢)</sup>.

- وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد هممت أن أبعث إلى الآفاق رجالًا يُعلمون الناس السنن والفرائض كما بعث عيسى ابن مريم الحواريين» قيل له: فأين أنت من أبي بكر وعمر؟ قال: «إنه لا غنى بي عنهما إنهما من الدين كالسمع والبصر»<sup>(٣)</sup>.

- ومن المؤهلات والفضائل التي أكدها رسول الله ﷺ لخليفته أمام أصحابه رضي الله عنهم تبيانًا لما له من المؤهلات، شهادته له بالإيمان وأنه يؤمن بما يؤمن به رسول الله ﷺ، وهو ليس موجودًا في المجلس الذي ذكر فيه حديث الإيمان، قال رسول الله ﷺ: «فإني أومن بذلك، أنا وأبو بكر وعمر»<sup>(٤)</sup>.

- وسبق ذكر حديث رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره»<sup>(٥)</sup>. وقوله ﷺ: «ما من نبي إلا له وزيران... وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر»<sup>(٦)</sup>.

- (١) سنن الترمذي: ك. المناقب. باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح (٣٦٧٥). قال: هذا حديث حسن صحيح. الحاكم: المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٣٢). هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- (٢) الحاكم: المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب أبو بكر الصديق. ح (٤٤٤٣). هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
- (٣) الحاكم: المستدرک. ك. معرفة الصحابة، باب أبو بكر الصديق، ح (٤٤٤٨).
- (٤) صحيح مسلم. ك. فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل أبي بكر. ح (٦١٨٣).
- (٥) سنن الترمذي: ك. المناقب. باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح (٣٦٧٣) هذا حديث حسن غريب.
- (٦) سنن الترمذي: ك. المناقب. باب. ح (٣٦٨٠).

- وكان خليفة رسول الله أحب الرجال إلى النبي ﷺ لما يجد فيه من الطاعة المطلقة لله ولرسوله والاستعداد الدائم للعطاء والتضحية، إضافة إلى العلم والفهم والفطنة، قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها لما توفيت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: جاءت خولة بنت حكيم إلى رسول الله ﷺ فقالت: ألا تزوج؟ قال: «من؟» قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً. قال: «ومن البكر ومن الثيب؟» قالت: أما البكر فابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، وأما الثيب فسودة بنت زمعة رضي الله عنها<sup>(١)</sup>.

- وكثيراً ما روي أن عمر رضي الله عنه ردد قوله: كان أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ. وقول علي والزبير رضي الله عنهما: إنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ إنه لصاحب الغار وثاني اثنين، وإنا لنعلم بشرفه وكبره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي<sup>(٢)</sup>. وقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر<sup>(٣)</sup>.

- وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم<sup>(٤)</sup>، وكان النبي ﷺ يسمع ذلك وأصحابه الكرام فلا يخالف أحد ذلك الإجماع في أن أئمة الأمة هم أولئك المذكورون رضي الله عنهم ثم لحق بهم علي رضي الله عنه فأصبح ترتيب أئمة الإسلام الراشدين الذي وضعه

- (١) الحاكم: المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٤٥). هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
- (٢) الحاكم: المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٢٢). هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
- (٣) المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٢٣). هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- (٤) البخاري: كتاب فضائل الصحابة. باب: قول النبي ﷺ: «سدوا الأبواب، إلا باب أبي بكر». ح (٣٦٥٥).

المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم هو ذلك الترتيب الذي لا يعارضه إلا من هو خارج دائرتهم ولا صلة له بهم ولا رابط بينه وبين دينهم الحنيف ولا قيمة أو عبرة لمن هذه حاله.

- وقال زيد بن علي: أبو بكر الصديق إمام الشاكرين ثم قرأ ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ولعل شكر خليفة رسول الله لربه بدوام الطاعة وعظيم المسابقة على خدمة الدين والتضحية من أجل نصرته كانت من الأسباب المباشرة لما جعل الله له من القبول والمكانة عند رسول الله ﷺ وعند الصحابة رضي الله عنهم وعند عامة المؤمنين.

- عن زياد بن علاقة: أن رجلاً أتى عمر رضي الله عنه وهو يتصدق عام الرّمادة، فقال: إن هذا لخير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ قال: فعمد عمر رضي الله عنه وجعل يضرب صلعة الرجل بالذرة ويقول: كذب الآخر، أبو بكر خير مني، ومن أبي، ومنك، ومن أبيك<sup>(٢)</sup>. وقال الزُّهري: قال رجل لعمر: يا خير الناس، أو: ما رأيت أميراً خيراً منك. فقال: هل رأيت رسول الله ﷺ؟ قال: لا. قال: فهل رأيت أبا بكر؟ قال: لا، قال: لو أخبرتني أنك رأيت واحداً منهما لأوجعتك<sup>(٣)</sup>.

- ولا خلاف بين الصحابة أن خليفة رسول الله خير الناس بعد النبي ﷺ، فلما قدم وفد عبد القيس على عمر رضي الله عنه أذن لهم فدخلوا عليه، ففضى بينهم، وقضى من حوائجهم، فبينما هم كذلك إذ غلبته عينه، فقال رجل من القوم: ما رأيت أميراً قطّ خيراً من هذا، فاستيقظ عمر بكلمته، فقال: هل رأيت أبا بكر؟ قال: لا والله، قال: أما والله لو كنت رأيت لنكلت بك<sup>(٤)</sup>.

- وقال جُبَيْر بن نُفَيْر: إن نفرًا قالوا لعمر رضي الله عنه: ما رأينا رجلاً أقضى بالقسط

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣١٨.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٤٠.

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٤١.

(٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٤٠.

ولا أقولَ بالحق، ولا أشدّ على المنافقين منك يا أمير المؤمنين، فأنت خيرُ الناس بعد رسول الله ﷺ، فقال عوف بن مالك: كذبتُم، لقد رأيتُ خيراً منه غيرَ رسول الله ﷺ فأقبل إليه عمر فقال: من هو يا عوف؟ فقال: أبو بكر، فقال عمر: صدق عوف وكذبتُم، لقد كان أبو بكر أطيّبَ منَ المسك، وإني لمثل بعير أهلي<sup>(١)</sup>. أي أنه أسلم قبله.

- ولما وفد ناس من أهل الكوفة، وناس من أهل البصرة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونزلوا المدينة تحدّث القوم بينهم إلى أن ذكروا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما؛ ففضّل بعضُ القوم أبا بكر على عمر، وفضّل بعضُ القوم عمر على أبي بكر، وكان الجارود ممن فضّل أبا بكر رضي الله عنه على عمر رضي الله عنه فجاء عمر ومعه درته، وما في وجهه رابحة، فأقبل على الذين فضّلوه على أبي بكر؛ فجعل يضربهم بالدرة حتى ما يبقى أحدهم إلا برجله، فقال له الجارود: أفق أفق يا أمير المؤمنين فإن الله لم يكن ليرانا نفضلك على أبي بكر، أبو بكر أفضل منك في كذا، وأفضل منك في كذا، فسري عن عمر رضي الله عنه ثم انصرف، فلما كان من العشاء صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا إنَّ أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر. من قال غير ذلك بعد مقامي هذا فهو مفترٍ، عليه ما على المفترى<sup>(٢)</sup>.

- وقال محمد ابن الحنفية رضي الله عنه: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين<sup>(٣)</sup>.

فهذه منزلة خليفة رسول الله ﷺ التي عرفها السلف وتقربوا إلى الله تعالى بحب صاحبها والبراءة من مبغضيه ومن لا يتبرأ منهم، على عكس ما نسمعه ونراه في هذه الأيام من بعض

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٤١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٤٣.

(٣) البخاري: بشرح فتح الباري. ك. فضائل الصحابة، ح (٣٦٧١).

من يزعمون أنهم قادة فيما يسمى بالصحوة الإسلامية الذين ولّوا مدبرين عن السنة وسقطوا في الفتنة التي نسجها الرافضة بمكرهم وتخليطهم، فمن يثق بمن يكفر الصديق رضي الله عنه ويحسن الظن فيه فلا يمكن القول إنه واثق بالكتاب الذي يسمي خليفة رسول الله صديقاً وليس مؤمناً بما قام به ضد المرتدين الذين رفضوا خلافة النبوة، وهذا الصنف الذي يزعم أنه من أهل السنة ولا ينضبط بضوابط السنة؛ إنما هو حرب على رسول الله ﷺ الذي أمر بطاعة خليفته من بعده والاعتداء بأفعاله لما هو عليه من الاتباع لرسول الله ﷺ وتأتي خطورة المصنفين لباطل الرافضة من أن لهم أتباعاً بين عامة أهل السنة يعتقدون صحة مسارهم فعندما تراهم العامة يدعون إلى محبة الرافضة قتلوا الراشدين وإنما يكون موقفهم كموقف أهل الكتاب الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَأَمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَأَمِنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآكُفُرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١).

- فهذه الروايات تبين مقام خليفة رسول الله ومنزلته ومؤهلته التي أشار إليها الصادق المصدوق ﷺ فمنها أنه يدخل من أي أبواب الجنة شاء، وأنه سيد كهول أهل الجنة، وأنه سيبعث مع رسول الله ﷺ يوم القيامة، وذلك أن إيمانه يرجح إيمان الأمة بأجمعها، فهو من الدين مقام السمع والبصر، حتى إن النبي ﷺ يحمد الله تعالى الذي أيده بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنهما هما صالحا المؤمنين اللذان يواليان رسول الله ﷺ على كل حال.

- ومن خصائص تلك المنزلة أن الصحابة كانوا يعاقبون من قدم أحداً منهم على أبي بكر رضي الله عنه، بل ويزدرونه ويخطئونه ولا يدعون له حتى يتوب من تلك الفرية، ويعلم يقيناً أن ثاني اثنين هما رسول الله ﷺ وخليفته رضي الله عنه، وقد بلغ هذه المنازل السامية بعد رحلة طويلة من الصبر والجهد والعطاء والتعلم والملازمة لرسول الله ﷺ وافتدائه بالنفس والنفيس في كل أحواله، وبعد أن تساوى عنده رضي الله عنه الفقر والغنى والرفاه والحرمان والقيادة والجنديّة والمدح والقدح في سبيل دينه وعقيدته.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٢.

- حتى إنه ضُرب واتهمه المشركون بالجنون لشدة تعلقه وغيرته على رسول الله ﷺ وبلغ به الحال - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - أنه كان يلبس عباءة قد خللها بخلال بعد أن أنفق ماله كله في سبيل الله وجهده ووقته كله أيضًا، وضيق على نفسه وعلى عياله في معاشهم وكثير من شؤون حياتهم لتسعد الأمة بإمامة أصحاب رسول الله وقيادتهم وليتعلم من يأتي بعدهم كيف تكون الإمامة والقيادة وكيف يكون منهجها.

- فكيف يقبل من يزعم أنه من أهل السنة أن يسمع من أقوام حرّفوا الدين من أجل أن يحصلوا على المال وخدعوا الناس باسم الفرائض ليحصلوا على السحت كما فعلت الرافضة حين أسقطوا فريضة الزكاة وجعلوا بدلًا منها الخمس يجنيه إمامهم ممن يزعم أنه من المسلمين، ولكن لا يصلح إسلامهم إلا إذا عاملهم كما يعامل المجاهدون الكفار فيأخذون منهم الغنائم ويجعلون خمسها لرسول الله ﷺ أو لخليفته من بعده، فمن لم يقدم خمس ماله لأئمة أعداء الصحابة فلا إسلام له عندهم.

فأين القرآن ونصوص القرآن إضافة إلى السنة فيمن يزعم من هؤلاء أنه من المسلمين؟! وبأي عقل ولسان ووجه يتحدث من يزعم أنه من أهل السنة عن الأخوة مع من يكذب إمامة أبي بكر رضي الله عنه وما له من مقامات ومنازل ومؤهلات وفضائل ومناقب؛ شهد له بها رسول الله ﷺ ومن بعده المهاجرون والأنصار ومن تبعهم بإحسان!!

- وبأي وجه يتحدث أولئك الذين يزعم كثير منهم أنهم يقودون حركات الصحوة الإسلامية المعاصرة وهم يقتتلون على الدرهم والدينار وعلى المكانة والمنصب حتى لو كان شكليًا لا قيمة له، والبعض منهم على مواقع التبعية، حتى بلغ ضعف الأمانة عند كثير منهم أنهم يُصدّعون صفوف جماعاتهم ويمزقونها، من أجل التمسك بتلك المواقع ودفع أي ثمن لضمان تكرار العودة إليها بعد انتهاء خدماتهم أو تمتعهم فيها، التي غالبًا ما يصلون إليها بذات الوسائل المبنية على الدس والتقريب والإبعاد والتزوير والتزييف التي تقوم بها الأنظمة التي لا يحجزها دين ولا قانون ولا قيم، ثم يمزونها بفشل إثر فشل وعجز يتبع

عجزاً، فيدينون بدين من يعطيهم ويسبحون في بحر من يؤويهم، ثم يستخدمون ذلك سياطاً يلهبون بها حياة كل مخلص أوقعوه في شباكهم باسم الدين والصحة، فلا تضبطهم عقيدة ولا تحجزهم قيم، فلا حرام ولا عيب إلا من رحم الله منهم.

- والأمر من ذلك استباحة الكثير منهم وسائل الدس والنميمة والتشكيك في ولاء المخلصين لدينهم وهويتهم، واصطناع الأسباب الموجبة لذلك بوسائل لا تختلف كثيراً عما هي عليه عند كثير من العلمانيين من أجل تنفير الناس عنهم وإبعادهم، لكيلا يطلعوا على سوات أعمالهم وعورات مخططاتهم التي لا تمت إلى الدين والإصلاح إلا بالاسم وبعض المظاهر.

- فضلاً عن هامشية الولاء الحق للعقيدة، وغياب وازع المحاسبة والإحساس بالمسؤولية، أو تنمية شعور الإخلاص والاحتساب، فضلاً عن سوء التدابير وتيه الخطاب، وضلال المقاصد والخلط الظاهر بين المصالح الآنية والشعارات البراقة التي تستند إلى الزيف والوهم والتضليل، مما يوضح البون الشاسع بين ما كان عليه خليفة رسول الله والصحابة رضي الله عنهم من العلم والنباهة والإخلاص والزهد والورع والعدل وصفاء العقيدة والإعداد والعطاء، وبين ما عليه الأعداء رموز الشؤم والفتن والبلاء والضياع الذي يكابده أهل السنة من التخليط والتناحر والتحزب السياسي والإقليمي والطائفي على حساب الدين والأمة، في عامة أمصارهم وأقاليمهم في هذا العصر، ولعل هذا يفسر بعض أسباب الفشل وقلة التوفيق، مع ما بذله المؤمنون المخلصون من دماء وأموال ودموع، في سبيل النجاح والنصر ونشر السنة وفضائلها.

- فتبين بعد المطالعات الواسعة والتجارب العميقة القاسية، أن أسلوب إحياء الشعائر الإسلامية والعمل بالحدود الشرعية كما كان عليه السلف، وقيادة الصحة على الوجه الصحيح، من الصعوبة بمكان أن تحققه الأحزاب والتجمعات التي تقوم على أسس مذهبية أو سياسية وتنظر إلى مصالحها الخاصة أولاً، ولا تكتفي بدور الحاضن لأبنائها بل إنها تعمل

على تدجينهم وتعويدهم التبعية والخنوع لما يسمى برموزها وثوابتها حتى لو كان ذلك على حساب الكتاب والسنة.

- فالصحوة الحقة هي التي تكتفي بدور الحضانة وغرس الثوابت في ضمائر أبنائها ثم تدعهم ينطلقون للعمل حيثما كان العمل النافع المستقيم ولا ترضى بتدجينهم، ولا يتم ذلك إلا بقيام العلماء النجباء بواجب الإصلاح وتصديهم لهذه المهمة بكل قوة دون أن يتلبسوا بالحرزية أو الإقليمية وأخلاق الفرق والطوائف؛ وأن يتحالفوا مع أي حاكم يحكم بلادهم يرضى بمنهجية الكتاب والسنة ولا يخرج عن ثوابتها؛ فتحالف العلماء المخلصين والحكام المؤمنين على منهاج السنة النبوية، هو الذي يحجز بين عبيد الدنيا الذين يستخدمون التنظيمات والتجمعات الإسلامية لمصالح بعيدة عن مصلحة الدين والأمة، ويغذون ذلك بتحالفاتهم السياسية التي تضمن استمرار بقائهم بلا ضابط من شرع أو مصلحة معتبرة، فضلاً عن الأهواء والمصالح التي كثيراً ما تبنى على أسس إقليمية أو فكرية قاصرة أو طائفية مقيتة.

- فكم من حركة إسلامية يزعم قادتها أنهم يريدون العودة بالأمة إلى مسارات السلف الصالح وهم أجهل الناس بتلك المسارات والسير، وكم من جاهل منهم يقود جماهير كثيرة تمتلئ قلوبهم بالحمية على الدين والأمة، فأوقع جموعهم في مكائد الأعداء، فلم ينصروا ديناً ولم يملكوا دنياً، ولم يسلموا من الشرور والنكبات التي حاقت بهم وبكثير من أحبابهم وأهلهم دون أي وجه حق.

- وكم من غوغائي يقود جموعاً من جماهير الصحوة خاض بهم أحوال الردة والجاهلية وموالاته الرفض تحت ضغط العواطف الخاصة وجاهلية الأحزاب والتجمعات والفرق، ومخالفة سياسة الراشدين والحيدة عنها، وغياب عوامل الفقه بمصلحة الأمة ووازع الدين الذي يفصل بين دوافع الأهواء وعوامل الغيرة على المسلمين والاستعداد لافتدائهم بالنفس والمال؛ كما كان الصحابة رضي الله عنهم يفتدون أمتهم بين يدي رسول الله ﷺ.

ولما كان كل مؤمن مديناً للصديق رضي الله عنه وفي رقبته جميل له لما قدم للدين والأمة؛ ولما قام به من الجهاد والدعوة وبذل المال والنفس، ومن القيادة الراشدة والتعليم والدعوة الحانية، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله. أصبح حقاً على كل مسلم الاعتراف والإقرار بما قرره الله في كتابه وذكره النبي ﷺ في سنته وحفظته الأمة في ضمائرنا عرفاناً ووداً ووفاء ومحبة لمن ثبتت محبته لله ولرسوله ﷺ وموالاته لمن لم يوال إلا الله ورسوله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه أعظم أولياء الله قاطبة بعد الرسل والأنبياء عليهم السلام.

فهو الذي أشار إليه رسول الله ﷺ لإمامة الأمة وقيادتها، ونصبه إماماً في الصلاة وهو حي، إيداناً وإعلاناً أنه قائدها القائم بالأمر من بعده، وأنه الفيصل بين الإسلام والردة وبين الإصلاح والخداع، فمن والاه وسار على هديه فقد والى الإسلام وأهله، ومن عاداه فهو امتداد للردة التي حاربها حتى أزهق باطلها رضي الله عنه، ومن زعم أنه على هديه ولم يتخلق بأخلاقه ويوال أوليائه ويعاد أعداءه فهو الأفاك المضل المبين، لا يشفع له عذر ولا تقبل له حجة، وأي عاقل يقبل أن يساوي بين الصديقين والمنافقين؟

لكل ذلك وجب على المسلمين اليوم الإعلان بمحبة من أحب رسول الله ﷺ وأهل بيته ولا سيما أم المؤمنين الطاهرة عائشة، والتأكيد على موالاته خليفة رسول الله، والبراءة ممن تنقص منه أو طعن في إمامته سابقاً أو لاحقاً، والعلم اليقيني أن الذين يسبون أبا بكر رضي الله عنه إنما هم زنادقة يريدون هدم الدين، وهم إخوان لمسيلمة الكذاب والأسود الكذاب وابن سبأ وأمثالهم، وأن مقصدهم هو سب رسول الله ﷺ والطعن في نبوته، وأن الله عز وجل اختار لرسوله ﷺ شرار الخلق، وأن النبي ﷺ سكت عنهم وزوجهم بناته وتزوج منهم، وأحبهم وولاهم أمور المسلمين وقيادتهم وهم ليسوا أهلاً لذلك، وخلفهم على دينه وأمته ليعبثوا بها، ويبدلوا ويغيروا كما يشاؤون، وهذا الباطل الذي يدين به أعداء الصحابة لا بد من البراءة منه، والعمل المتواصل على حماية السنة من مخاطره ومكائده، ومن هادنه فإنما هادن النفاق والردة، ومن والاه فقد والاهما.

فهذا مرجعهم يروي عن أبي جعفر أنه قال: يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد وقضاء جديد على العرب شديد ليس شأنه إلا السيف لا يستتیب أحدًا - من أهل السنة - ولا يأخذه فيهم لومة لائم<sup>(١)</sup>. فها هم يعلنون عن هويتهم لمن يعقل بأن كتابهم غير القرآن وقضاءهم غير قضاء محمد ﷺ، وليس لقوم محمد ﷺ العرب ولا سيما قريش عند قائم الرفضة سوى السيف والقتل، ولعل من يتمعن فيما يجري على أيديهم في العراق وغيرها على العرب السنة يتضح له ذلك جليًا.

وهذه هي عقيدة مبغضي الصحابة وأقوالهم وسيرتهم فهم لا يوالون رسول الله ﷺ ولا يقبلون أمره فحالهم يؤكد لكل عاقل أنهم على غير سنته مفارقون لملته، وإن لبسوا على الغوغاء والمغفلين، وتعاون معهم بائعو السنة الأغبياء والماكرون، فكيف يحب رسول الله ﷺ ويؤمن به من يبغض أنصار دينه وأولياء سنته؟ ويشتم خليفته الذي رجح إيمانه بإيمان الأمة بأجمعها ويعصي إمامة الصديق الأكبر أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه وأخزى من أبغضه وعاداه، وكيف يكونون من أمة محمد ﷺ وهم ينتظرون قائمهم ليأتيهم بقرآن جديد وقضاء جديد، وحقده على العرب يزيد ويزيد؟

وقد برز في هذا العصر من لا يقل خطرًا عن زنادقة الرفض والحقد والكراهية والإيهام، ألا وهم أولئك الذين يحسبون أنفسهم على علماء السنة النبوية، ويرضون أن تمتطيهم الرفضة وأن يكونوا أبواقًا لها، فيروجوا لمودتها ويسهموا في تمدد الرفض والردة بين المؤمنين وفي عامة بلاد المسلمين، ويخادعون عامة أهل السنة حين يذيعون أنهم إخوان الرفضة وأنه لا فرق بينهم وبين قتلة الفاروق عمر رضي الله عنه الذين يكذبون القرآن ويرفضون السنة ويكفرون الصحابة رضي الله عنهم ويقذفون أمهات المؤمنين الطاهرات رضي الله عنهن ويستبيحون دماء أهل السنة وأموالهم ويدمرون مساجدهم ويغتصبونها، ولا يجوز لهم إلا

(١) النعماني بن أبي زينب: محمد بن إبراهيم من علماء الرفضة في القرن الثالث، الغيبة، مؤسسة الأعلمي بيروت، ص ١٥٤.

ذلك في عقيدتهم وثقافتهم إن أصبح لهم شوكة، وكما هو حاصل في البلاد التي يهيمنون عليها في هذه السنين العجاف، إلى غير ذلك من عقائدهم المكذبة لدين الصحابة رضي الله عنهم والمبتدئة منهم ومن إمامهم الصديق رضي الله عنه ومن نبينهم ﷺ.

فالحقيقة التي لم تعد تخفى هي أن هذا الصنف الغاش المخادع المجرد من الغيرة على السنة المطهرة وأهلها هم إخوان الرافضة في بعض الوجوه، والشر والبلاء يتمثل فيما أدخلوه على أهل السنة من الشك والريب والأوهام، والدعوة إلى الزندقة وحب مكفري الصحابة، وما جلب ذلك من التمكين لأولئك الأعداء من رقاب العرب والمسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيهم، ومن الفرقة والتمزق والتشويش بين صفوف المسلمين، في الوقت الذي يشحن فيه الرافضة أتباعهم بثقافة الكراهية للسنة وأهلها دون أي تردد أو شك أو ريب، وهذا ما تؤكد تحالفاتهم ومحاضراتهم وعباداتهم ومؤلفاتهم وشعاراتهم ومظاهراتهم وراياتهم ومسمياتهم وألفاظهم وأيمانهم الشركية الاستفزازية المتسلحة بفقهاء التقية والخداع في التعامل مع أهل السنة، وهذا ما لم يدركه الكثير من أهل السنة مع كل ما ذاقوه من ويلات ونكبات على أيديهم، فيظهر من كل ما سبق أن البلاء المباشر كامن في كثير من علماء السنة الجاهلين بطبيعة الرافضة ودينهم وثقافتهم وتاريخهم وأعرافهم ومشاهدتهم ومقاصدهم واحتفالاتهم ورموزهم وإشاراتهم وعباراتهم ومكرهم ودسائسهم.

وعلى هذا فليعبد الرافضة ما شاؤوا وليعتقدوا النفع والضرر بمن شاؤوا وليقسموا بمن شاؤوا وليوالوا من أرادوا وليعادوا من أرادوا. قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾<sup>(١)</sup> ولكن من يرد شرهم عن السنة النبوية، وهم يعتقدون أن دينهم لا يقوم إلا بسحق السنة وأهلها، وقد لقنوا أتباعهم أن مهديهم لا يظهر حتى يتم ذلك، فهم يعملون بكل ما في وسعهم على إقصاء أهل الكتاب والسنة النواصب الكفرة كما يعتقدون ذلك ويدينون به ويوالون ويعادون انطلاقاً من فهمهم هذا، وعليه فلا عدو لهم في

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

عقيدتهم سوى الصحابة ومحبيهم، فعلى أي وجه من وجوه الحقيقة يلتقي القاتل والمقتول والكاذب والصادق؟

- فموقف أهل السنة من الرفض ليس باختيارهم، وإنما كل ما في الرفض من عقائد وولاء وبراء قائم على هدم السنة واستباحة أهلها، وكل محاور ثقافتهم قائمة على الاستفزاز والتحريض ونشر الكراهية وإثارة الفتنة وإثارة كل خلاف وإحياء كل نزعة جاهلية.

- فمن يمنعهم التدين والاعتقاد بأن الصحابة حرفوا القرآن؟! ومن يلجمهم عن شتم سنة نبينا ﷺ ورواتها رضي الله عنهم وقذف أهل بيته، وفي مقدمتهم زوجة رسول الله الطاهرة المطهرة أم المؤمنين العالمة العابدة الكريمة ابنة الكريم رضي الله عنها؟! ومن يسكتهم عن الاعتقاد بكفر حملة القرآن وحماة السنة الصحابة المكرمين؟! ولعن القادة الفاتحين «سيف الله الذي سله على الكافرين»<sup>(١)</sup> خالد بن الوليد وإخوانه المجاهدين؟ إلى غير ذلك من الأحقاد والضغائن التي يتعبد بها قتلة الراشدين!! ويغذون بها جموعهم بثقافة وفقه الحقد والبغض واستباحة محرمات المؤمنين!! وثوابت أهل السنة ومقدساتهم وأعلامهم وأئمتهم الصالحين؟!

فمن هنا يتأكد الحكم القاطع على كل من يزعم أنه من أهل السنة ويقر الرفض ويسالمة ويحسن الظن فيه ويجمله لأهل السنة، ولم يعلن توبته وبراءته أمام جماهير الناس، وإنما هو نصير الردة وداعية الرفض وحليف جواسيس الغزاة والمحتلين لا يجمع بينه وبين أهل السنة جامع وإن زعم؛ لأن الرائد لا يكذب أهله، ومثلما لا يجتمع الماء والنار في إناء واحد كذلك لا يجتمع الصحابة رضي الله عنهم وقتلتهم ومكفروهم ومحبو مكفريهم في دين واحد، ولا يغفل عن فقه هذه الحقيقة الساطعة إلا الغوغاء الدهماء ﴿لَمْ أَبْكُمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ح (٧٠٤٨)، ابن حنبل: المسند، (٢٢٠٤٥) و(٢٢٠٦٠).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٢.

قال سالم بن عبيد الأشجعي: لما مات رسول الله ﷺ كان أجزع الناس عليه عمر رضي الله عنه. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بكى الناس يوم مات رسول الله ﷺ حتى النساء في الخدور، وكادت البيوت تسقط من الصراخ<sup>(١)</sup> وعن أبي ذؤيب الهذلي: أنه لما قدم المدينة يوم مات رسول الله ﷺ فإذا لها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج إذا أهلوا بالإحرام<sup>(٢)</sup>.

عن القاسم بن محمد أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ذهب بصره فدخل عليه أصحابه يعودونه فقال: إنما كنت أريدهما لأنظر بهما رسول الله ﷺ فأما إذ قبض الله نبيه ﷺ فما يسرني أن ما بهما بظبي من طباء تبالة<sup>(٣)</sup>.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: سمعنا عثمان بن عفان يقول: لما مات رسول الله ﷺ وسوس رجال فإني كنت فيمن وسوس فمرّ علي عمر فسلم فلم أرد عليه ما علمت بتسليمه... الحديث. وعن عثمان رضي الله عنه: أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ حزنوا عليه حتى كاد بعضهم يوسوس وكنت منهم، فقلت لأبي بكر رضي الله عنه: توفي رسول الله ﷺ قبل أن أسأله عن نجاة هذه الأمة، قال أبو بكر: قد سألته عن ذلك، فقال: من قبل مني الكلمة التي عرضتها على عمي فردها علي فهي له نجاة<sup>(٤)</sup>.

ولما بكى الناس على رسول الله ﷺ حين توفاه الله عز وجل، فقالوا: والله لو ددنا أنا متنا قبله، إنا نخشى أن نفتن بعده. قال معن بن عدي: لكني والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدقته حياً، فقتل معن شهيداً في الإمامة رضي الله عنه في خلافة أبي بكر رضي الله عنه يوم مسيلمة الكذاب<sup>(٥)</sup>.

(١) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/٢٧٤. (٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٧/٥٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ٢/٣١٣.

(٤) البزار: مسند البزار البحر الزخار، ك. مسند أبي بكر رضي الله عنه، باب ما روي عن عثمان، ح (٤).

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤/٣١٧.

وقال أنس رضي الله عنه: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم من المدينة كل شيء. وفي رواية: أظلمت المدينة حتى لم ينظر بعضنا إلى بعض، وكان أحدنا يبسط يده فلا يبصرها، وفي رواية: فلم أر يوماً أفتح منه فما فرغنا من دفنه ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا. وقال رضي الله عنه: إن أم أيمن بكت لما قبض رسول الله ﷺ فقيل لها: ما يبكيك يا أم أيمن؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ قد أكرم الله نبيه وأدخله جنته، وأراحه من نصب الدنيا. فقالت: والله ما أبكي، ألا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء كان يأتينا غصاً جديداً كل يوم وليلة، فعجب الناس من قولها. قال أبو الفتح:

وهل عدلت يوماً رزية هالك رزية يوم مات فيه محمد

وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يفقد<sup>(١)</sup>

وفيما نسب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه قوله:

فجعنا بالنبي وكان فينا مقدمنا وسيدنا الإمام

سأتبع هديه ما دمت حياً طوال الدهر ما سجع الحمام<sup>(٢)</sup>

ونسب إليه أيضاً رضي الله عنه:

أعتيق ويحك! إن حبك قد نوى وبقيت منفرداً وأنت حسير

ياليتني من قبل مهلك صاحبي غيبت في جدث علي صخور<sup>(٣)</sup>

وهذه الأشعار وإن كانت تعبر عما كان عليه حال الصديق بعد رسول الله ﷺ من وجد الفراق ولوعة الشوق وألم الحاجة إلى قيادة ورؤية وتعاليم رسول الله ﷺ إلا أن الثابت

(١) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/٢٧٦.

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/٢٧٧.

(٣) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/٢٧٨.

أن أبا بكر رضي الله عنه لم يقل شعراً في الإسلام<sup>(١)</sup> مما ينسب إليه رضي الله عنه إنما هو تصوير لحاله التي كان عليها، في أقوال شعراء آخرين وليست من قوله وإن نسبت إليه رضي الله عنه. وذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه قال له في خلافته: هل تدري ما حملني على مقالتي التي قلت حين توفي رسول الله ﷺ؟ قال: قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين أنت أعلم. قال: فإنه والله ما حملني على ذلك إلا أنني كنت أقرأ هذه الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup>. فوالله إني كنت لأظن أن رسول الله ﷺ سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بأخر أعمالها، فإنه الذي حملني على أن قلت ما قلت<sup>(٣)</sup>. قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها عن خطبة عمر وخطبة خليفة رسول الله يوم وفاة النبي ﷺ: فما كانت من خطبتيهما من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوف عمر الناس، وإن فيهم لنفاقاً، فردهم الله بذلك، ثم لقد بصر أبو بكر الناس الهدى وعرفهم الحق الذي عليهم، وخرجوا به يتلون: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾<sup>(٤)</sup>.

### صفات القبور التي فيها رسول الله ﷺ وصاحبه:

وصفات القبور الثلاثة التي حوت رسول الله ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما، مسطوحة عليها بطحاء من بطحاء العرصة الحمراء: قال القاسم بن محمد بن أبي بكر: دخلت على الطاهرة عائشة رضي الله عنها فقلت: يا أماه، اكشفي لي عن قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه، فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء. زاد

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/٤١٤. الألباني: ظلال الجنة، ح (١٢٣٩)، الهندي: كنز العمال، ح (٣٥٦٠٩).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٣) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/٣٠١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤. البخاري: صحيح البخاري. ك: كتاب فضائل الصحابة، (٣٦٦٧-٣٦٧٠). ابن هشام: السيرة النبوية، ٤/٣١٤.

الحاكم: فرأيت رسول الله ﷺ مقدماً وأبو بكر رأسه بين كتفي رسول الله، وعمر رأسه عند رجل رسول الله ﷺ وهذه الرواية تدل على أن قبورهم مسطحة، لأن الحصباء لا تثبت إلا على المسطح. فإذا كان قبر رسول الله ﷺ غير مرتفع عن الأرض وهو القدوة والأسوة الحسنة فإن كل قبر مرتفع عن الأرض هو مخالف لسنة رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> قال الشاعر:

ثلاثة أقبر جلت وعزت      حوت خير الورى مع صاحبيه  
محمد المصطفى<sup>(٢)</sup> من قريش      وصديق له أنسى عليه  
وثالثهم هو الفاروق حقاً      فكل مدائحى تهدى إليه<sup>(٣)</sup>

والذي يجب أن يعلمه المؤمنون أن فراق رسول الله لأصحابه كان كفراق الروح من الجسد وأشد عليهم من فراق كل حبيب، ولو كان يُفتدى ﷺ بالأرواح والأهلين الأبناء والأموال لافتدوه راضين هائنين ﷺ وهم الذين افتدوه بمهجهم في مواقع الخطر رضي الله عنهم، ولكن أمر الله وقضاه لا مفر منه. قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٤)</sup> فلما أصبحوا أمام تلك الحقيقة ما كان منهم إلا أن يستلهموا تعاليم رسول الله ﷺ فيعضوا على مصابهم ويباشروا تحمل مسؤولياتهم في تبليغ الإسلام ونشره بين العالمين كما علمهم رسول الله ﷺ، ولم يكن ذلك ليتحقق على الوجه الذي تحقق لولا أنهم أجمعوا دون أي تردد على بيعه خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه الذي سار بهم على منهج نبيهم ﷺ دون أي تبديل أو تغيير أو تلغيم، فكان ذلك النجاح الهائل الذي أثمر قمع الردة وبناء الوحدة وإنجاز الفتوح ونشر التوحيد وتحقيق مقاصد رسول الله ﷺ في بناء الأمة وإقرار الرسالة في ربوع العالمين. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ افْتَدَتْهُ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) البيهقي: الدلائل: ٧/ ٢٦٤. البخاري: ٣/ ٢٥٥ (١٣٩٠)، الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣٤٣.

(٢) كذا في مصدر التخريج. ولعل صوابها: «المصطفى» لاستقامة الوزن.

(٣) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/ ٣٠٩. (٤) سورة القصص، الآية: ٦٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

## يوم الرزية:

لعل من أول الشبهات التي يدين بها الرافضة بعد وفاة النبي ﷺ طعنهم بأمر المؤمنين عمر رضي الله عنه وتحريفهم لمقاصد قول النبي ﷺ في مرضه الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله ﷺ الوجع، فقال ﷺ: «ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه أهجرت؟ استفهموه، فذهبوا يردون عليه ﷺ فقال: «دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه» وأوصاهم بثلاث: قال: «أخرجوا اليهود من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» وسكت عن الثالثة، أو قال: فنسيتها<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس. قال: «وفي البيت رجال، فقال النبي ﷺ: «هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده» فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف، قال ﷺ: «قوموا» فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، لاختلافهم ولغطهم<sup>(٢)</sup>.

فحصل لهم شك: هل قوله ﷺ: «أكتب لكم كتاباً، لن تضلوا بعده» هو مما أوجبه المرض أو هو الحق الذي يجب اتباعه؟ وإذا حصل الشك لهم لم يحصل به المقصود، فأمسك عنه ﷺ وكان لرأفته بالأمة يحب أن يرفع الخلاف بينها، ويدعو الله بذلك، ولكن قدر الله قد مضى بأنه لا بد من الخلاف كما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «سألت ربي

(١) البخاري: صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته، ح (٤٤٣١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته، ح (٤٤٣٢) ينظر: منهاج السنة، ٨/ ٥٧٢. محمد، انتصار الحق، ٣٢٦.

ثلاثاً، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألته ألا يسלט على أمتي عدواً من غيرهم فيحتاجهم فأعطانيها، وسألته ألا يهلكهم بسنة عامة فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم شديداً فمنعنيها»<sup>(١)</sup>. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الرزية كل الرزية ما حال بين النبي ﷺ وبين الكتاب.

ولكن الناظر في انقياد الأمة لخليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه يجد أن ذلك رزية في حق من شك في خلافة الصديق وقده فيها، إذ لو كان الكتاب الذي همّ به ﷺ أمضاه لكانت شبهة هذا المرتاب تزول بذلك، ويقول: خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثبتت بالنص الصريح الجلي، لأن النبي ﷺ كان يريد أن يكتب لأبي بكر رضي الله عنه كتاباً كما اتضح ذلك في الأحاديث الصحيحة، فلما لم يوجد هذا كان رزية في حقه، من غير تفريط من الله ورسوله ﷺ، بل قد بلغ رسول الله ﷺ البلاغ المبين، وبين الأدلة الكثيرة الدالة على أن الصديق رضي الله عنه هو الأحق بالخلافة والأولى بالإمامة، وأنه هو المقدم في الأمة بعد نبيها ﷺ لا ينازعه إلا ظالم باغ محارب لله ولرسوله ﷺ، لهذا لم ينازعه أحد من الصحابة رضي الله عنهم مطلقاً، وكل ما قيل أو أشيع عن خلاف بعض الصحابة لخليفة رسول الله إنما هو محض كذب وافتراء صنعه أعداء الصحابة على مر العصور، ورددته الغوغاء التي تسمع كل ما يقال وتقول كل ما تسمع مما ينفثه الرافضة من بهتان.

وإن كان عدم كتابة النبي ﷺ رزية فهي ليست في حق أهل التقوى والسنة الذين يهتدون بالقرآن وإنما هي رزية وخزي في حق من في قلبه مرض، كما كان في قلوب المنافقين حين نسخ الله تعالى ما نسخه من القرآن، وكما في محنة المسلمين يوم أحد ويوم حنين وغير ذلك من مصائب الدنيا.

ورزية في حق الرافضة ومبغضي السنة. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ح (٥١٤٥)، النسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب إحياء الليل، ح (١٦٢٠) منهاج السنة، ٨/٥٧٣.

تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١﴾. وإن كانت هذه الأمور في حق من هداه الله إلى السنة فهي مما يزيدهم الله به علماً وإيماناً وكرامة في الدنيا والآخرة.

ولعل هذا الأمر فتنة كوجود الشياطين من الجن والإنس، يرفع الله به درجات أهل الإيمان بمخالفتهم ومجاهدتهم، مع ما في وجودهم من الفتنة لمن أضلوه وأغروه. وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا آخِصَّ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَبِيعُ الرِّسُولَ مَعَن يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ﴾<sup>(٣)</sup> وقول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ نَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا مُرْسِلُونَ النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

ولما ثقل رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «اثني بكتف أو لوح أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه» فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال: «يا أباي الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر»<sup>(٦)</sup>. وقوله ﷺ: «لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول قائلون، أو يتمنى المتمنون ثم قلت: يا أباي الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون»<sup>(٧)</sup>. وبلغ آخر عن أم المؤمنين، قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمنٌ أو يقول قائل: أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧. (٢) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

(٥) سورة القمر، الآية: ٢٧.

(٦) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ٦/٢٣، ٤٥٣، ٨/٥٧٥. سبق تخريجه.

(٧) عبد الرحمن بن محمد: الأربعين في أمهات المؤمنين، ١/٧٩. وقد سبق تخريجه.

(٨) صحيح مسلم: ح (١٨٥٧). وقد سبق تخريجه في أكثر من موضع.

وروي عن علي رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن آتية بطبق أكتب فيه: «ما لا تفضل أمتي من بعدي» قال: فخشيت أن تسبقني نفسه ﷺ. قال: قلت: إني أحفظ وأوعى. قال: فأوصى ﷺ بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم<sup>(١)</sup>. فيتضح في هذا أن النبي ﷺ أراد أن يكتب لأبي بكر كتابًا يؤكد فيه خلافته من بعده، ولكنه ﷺ امتنع عن ذلك لأمرين؛ الأول منهما: أنه ﷺ رأى مكانة صاحبه في قلوب المؤمنين وتقديمهم له وإجلالهم لمقامه بينهم فعلم أنهم لن يقدموا غيره رضي الله عنه فاكتفى ﷺ بما أمرهم به في هذا الباب وبما أشار لهم به على مكان أبي بكر رضي الله عنه في مثل قوله للمرأة: «فإن لم تجدني فأني أبا بكر»<sup>(٢)</sup> ومثل تقديمه عليهم بالصلاة وصلاته ﷺ خلفه مع الصحابة رضي الله عنهم ومثل تقديمه عليهم في الحج وتأميره على الناس في أداء أول فريضة لحج بيت الله تعالى ومثل أمره ﷺ بسد جميع الأبواب المؤدية من البيوت إلى المسجد مباشرة بما في ذلك بيت علي رضي الله عنه إلا باب بيت الصديق رضي الله عنه، فإنه أمر بإبقائه مشرعًا إلى مسجد رسول الله ﷺ لأن أبا بكر هو خليفة رسول الله ﷺ وإمام الأمة وقائدها من بعده ﷺ، فلا ينبغي أن يكون هناك أي عائق يعوق وصوله إلى موقع ومكان الإمامة والقيادة والخلافة.

والنصوص الصحيحة في هذه المسألة كثيرة وبينه لا تحتاج إلى مزيد من شرح وتوضيح وإن تعددت حولها الآراء وكثرت الأقوال، فهذا لا يغير من الحقيقة ولا من رغبة رسول الله ﷺ وإرادته في أن يكتب كتابًا عند وفاته يؤكد فيه خلافة صاحبه الصديق رضي الله عنه، وإذا لم تتم عملية الكتابة وإنما ذلك إقرار لما رآه بعض الصحابة وتكلم به بين يدي رسول الله ﷺ في ساعة مرضه؛ من أن أبا بكر رضي الله عنه لا تختلف الأمة على إمامته وإن انتهز بعض

(١) أحمد: المسند، ك. و. باب مسند علي بن أبي طالب، ح (٦٩٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا». ح (٣٦٥٩) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الأحكام التي تعرف بالدلائل، ح (٧٣٦١)، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر ح (٤٣٩٨) ابن حنبل: المسند، كتاب أول مسند المدنيين، باب حديث جبير بن مطعم، ح (١٦١٥٤) ٨٢/٤.

المبغضين قول ابن عباس رضي الله عنه عن عدم الكتابة بأن ذلك رزية لينسجوا عليها البهتان ويروجوا الرفض وبغض الصحابة، فإن ذلك لا يغير من عزم النبي ﷺ على الكتابة لصاحبه وأحب الناس إليه؛ كتابًا لا يخالفه أحد بعده ﷺ من أبناء الأمة لولا علمه بتحقيق هذه الرغبة دون الحاجة إلى الكتابة، فترك ذلك لمحبي الصحابة ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> وليتحقق في أعداء السنة المطهرة ورافضي خلافة النبوة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ لَعْنِي شَكَّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْتَاعَ الظَّنِّ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولذلك جزم ﷺ بقوله: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» فكان مما دلهم به من الدلائل الشرعية وما علم بأن الله سيقدره من الخير الموافق لأمره ورضاه، ما يحصل به تمام الحكمة في خلقه وأمره قدرًا وشرعًا. فتبين أن ما اختاره الله تعالى - أي بعدم الكتابة المباشرة - كان أفضل في حق الأمة من وجوه، وأنهم إذا ولوا بعلمهم واختيارهم من هو الأحق بالولاية عند الله ورسوله ﷺ كان في ذلك من المصالح الشرعية ما لا يحصل بدون ذلك. وبيان الأحكام يحصل تارة بالنص الجلي المؤكد، وتارة بالنص الجلي المجرد، وتارة بالنص الذي قد يعرض لبعض الناس فيه شبهة بحسب مشيئة الله وحكمته.

فاتضح لكل ذي عيان أن النبي ﷺ أرشد الأمة إلى خلافة الصديق رضي الله عنه ودلهم عليها وبين لهم أنه أحق بها من غيره. وذلك كله داخل في البلاغ المبين؛ فإنه ليس من شرط البلاغ المبين ألا يُشكل على أحد، فإن هذا لا ينضب، وأذهان الناس وأهواؤهم متفاوتة تفاوتًا عظيمًا، وفيهم من يبلغ العلم وفيهم من لا يبلغه؛ إما لتفريطه وإما لعجزه. وإنما على الرسول البلاغ المبين والبيان الممكن، وهذا ولله الحمد قد حصل منه ﷺ فإنه بلغ البلاغ المبين، وترك الأمة على البيضاء؛ ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وما ترك من شيء يقرب إلى الجنة إلا أمر الخلق به، ولا من شيء يقربهم من النار إلا نهاهم عنه، فجراه الله عن أمته أفضل ما جرى نبيًا عن أمته.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٧.

(١) سورة الفتح، الآية: ٤.

## من مسوغات عدم الكتابة:

معلوم أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يبذلون مهجهم في سبيل تحقيق ما يأمر به رسول الله ﷺ أو منع ما ينهى عنه ﷺ ومعلوم أيضًا أن أشدهم حرصًا على ذلك بعد الصديق رضي الله عنه هو عمر الفاروق رضي الله عنه وقد أثبت ذلك في جميع مفردات سيرته في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، قال البيهقي والذهبي: وإنما أراد عمر رضي الله عنه التخفيف عن رسول الله ﷺ حين رآه شديد الوجد لعلمه أنه تبارك وتعالى قد أكمل ديننا.

ولو كان ذلك الكتاب وحيًا لكتبه النبي ﷺ ولما أحلَّ به لاختلاف أو لغط، لقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَكَ الرَّسُولُ بِبَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> فالنبي ﷺ إذا تعلق الأمر بوجوب تبليغ ما أمر به من ربه يبلغه ﷺ ولا يبالي بمن وافق أو عارض من البشر؛ وقد سبق أنه بين في ذلك البيان المبين، وإذا كان غير ذلك اجتهد ﷺ إلى ما فيه مصلحة المؤمنين.

كما لم يترك تبليغ غير هذا الكتاب لمخالفة من خالفه ومعاودة من عاداه ﷺ وإنما أراد ما حكى أهل العلم، أن يكتب استخلاف أبي بكر رضي الله عنه ثم ترك كتابته اعتمادًا على ما علم من تقدير الله تعالى، كما همَّ به في ابتداء مرضه حين قال: «وا رأساه» ثم بدا له ألا يكتب ثم قال: «يا أباي الله والمؤمنون إلا أبا بكر»، ثم نبه أمته على خلافته باستخلافه إياه في الصلاة حين عجز عن حضورها<sup>(٢)</sup> قال البيهقي: وإن كان المراد به رفع الخلاف في الدين، فإن عمر رضي الله عنه علم أن الله تعالى قد أكمل دينه بقوله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> وعلم أنه لا تحدث واقعة إلى يوم القيامة إلا في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ بيانها نصًّا أو دلالة.

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) ينظر: الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ١٢/٢٤٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

وفي نص رسول الله ﷺ على جميع ذلك في مرض موته، مع شدة وعكسه، مما يشق عليه، فرأى عمر رضي الله عنه الاقتصار على ما سبق بيانه نصاً أو دلالة؛ تخفيفاً على رسول الله ﷺ ولكيلا تزول فضيلة أهل العلم بالاجتهاد في الاستنباط، وإلحاق الفروع بالأصول، بما دل الكتاب والسنة عليه. فأما مسائل الأصول، فقد ورد بيانها جلياً، فلا عذر لمن خالف بيانه لما فيه من فضيلة العلماء بالاجتهاد، وإلحاق الفروع بالأصول بالدلالة، مع طلب التخفيف على صاحب الشريعة، وفي ترك رسول الله ﷺ الإنكار عليه فيما قال واضح على استصوابه رأيه رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

ولكن لما كان بغض أمير المؤمنين الفاروق رضي الله عنه قد بلغ عند الرافضة مبلغاً أخذ عليهم كل مأخذ لم يبالوا بما يقولون ما دام ما يقولونه يصب في هاوية الطعن بالفاروق رضي الله عنه، لهذا فهم عندما يتهمونه بتعطيل الكتاب إنما يتهمون رسول الله ﷺ بأنه لم يكتب الكتاب وبالتالي فهو لم يبلغ الرسالة - حاشاه ﷺ - ولم يكمل الدين، وهم بذلك يردون قول الله تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ويرفضونه لأنهم يأخذون من الدين ما شأوا ويدعون ما شأوا، وهذا هو الفرق بين أهل السنة الذين يدينون بأن دين الإسلام كامل وأن رسول الله ﷺ بلغ رسالة ربه وجاهد في الله تعالى حق جهاده، وأن الصحابة هم أنصاره على إتمام تبليغ الدين وكل من يطعن فيهم إنما يطعن في رسول الله ﷺ وبرسالته وسنته، وبالتالي يطعن في دين الإسلام ولا يؤمن به، وإن فعل ذلك ظاهراً فإنما هي التقية والرفض.

وقال المازري: إنما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره بذلك، لأن الأوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب، فكأنه ظهرت منه قرينة دلت على أن الأمر ليس على التحتم بل على الاختيار، فاختلف اجتهادهم وصمم عمر رضي الله عنه على الامتناع

(١) الصالحى: سبل الهدى، ٢٤٩/١٢. وينظر: فتح الباري: ك المغازي. باب مرض النبي ووفاته، شرح الحديث (٤٤٣١).

لما قام عنده من القرائن أنه ﷺ قال ذلك عن غير قصد جازم، وعزمه ﷺ كان إما بالوحي وإما بالاجتهاد، وكذلك تركه إن كان بالوحي فبالوحي وإلا فبالاجتهاد أيضًا.

وقال النووي: اتفق العلماء على أن قول عمر رضي الله عنه: حسبنا كتاب الله. من قوة فقهه ودقيق نظره، لأنه خشي أن يكتب أمورًا ربما عجزوا عنها فيستحقوا العقوبة لكونها منصوصة وأراد ألا يسد باب الاجتهاد من العلماء، وفي تركه ﷺ الإنكار على عمر الإشارة إلى تصويبه. وأشار بقوله: حسبنا كتاب الله إلى قوله تعالى: ﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup> ولا يعارض ذلك قول ابن عباس: إن الرزية... إلخ. لأن عمر كان أفقه من ابن عباس قطعًا، بل أفقه الأمة بعد خليفة رسول الله. ولا يقال: إن ابن عباس لم يكتف بالقرآن مع أنه حبر القرآن وأعلم الناس بتفسيره، ولكنه أسف على ما فاته من البيان وبالتنصيص عليه لكونه أولى من الاستنباط والله تعالى أعلم<sup>(٢)</sup>.

وبناءً على ما سبق يتبين لكل ذي لب وعقل ونظر أن رسول الله ﷺ لم يكن يقدم على خليفته الصديق أحدًا من أصحابه في كل شؤون الأمة منذ بعث ﷺ إلى يوم وفاته ﷺ، وهذه حقيقة ظاهرة لا تحتاج إلى إيضاح؛ يعلمها ويؤمن بها كل من آمن بالله ورسوله ﷺ يوضح ذلك ويؤكد الكتاب والسنة؛ ولكن مع كل هذه البيّنات فإن بعض الغوغاء والمغفلين ممن يحسبون على السنة والجماعة ما زالوا يعانون من الشك والهزيمة، فأينما تحدث أفاك أو باغ أو مبغض لأصحاب رسول الله، فإنه يزرع في قلوبهم من الشك والريبة ما يجعلهم في حيرة فلا يهتدون سبيلًا، فيرددون الإفاك والباطل؛ تارة باسم النقد والبحث العلمي، وتارة باسم الرد على الآخرين، ولكنهم في كل ذلك لا يسلمون من إصابات وأعطاب تمس هويتهم،

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٨.

(٢) وذكر الصالح في بيان غريب ما سبق قولهم: أهجر؟ أي أقال هجرًا؟ وهو الذي يقع من كلام المريض، الذي لا ينتظم، ووقوع ذلك من النبي ﷺ في حقه مستحيل. وإنما هذا على طريق الاستفهام الذي معناه الإنكار والإبطال أي أنه ﷺ لا يهجر، أي: لم يختلفوا في الأخذ عنه، ولم ينكروا عليه الكتاب، وهو لا يهجر أصلًا. والرزية: المصيبة.

وبدلاً من أن يكون أي طعن أو تشكيك في إخلاص الصحابة وصدقهم علامة على دمج مثيريها ومعرفة هويتهم المعادية، واتهامهم على الإسلام والأمة، فإن بعضهم يترنح تحت وطأة هذه الشبهات والأباطيل.

ومن ذلك شبهة يوم الرزية، ذلك اليوم الذي استغلته الرافضة وأذناها إلى أقصى حد في كل مراحل حربها على السنة النبوية والطعن على رسول الله ﷺ بأنه لم يبلغ ما أرسل به والطعن في أصحابه بأنهم لم يمثلوا أمره ﷺ في حملات متواصلة من التزييف والتزوير على رسول الله وأصحابه الأكرمين، وعامة أهل السنة في غفلة ولا مبالاة بواجب المنافحة عن عقيدتهم أسهمت إسهامًا مباشرًا في امتداد باطل أعداء الصحابة في كثير من زوايا الأمة، مدفوعًا ببعض المكاسب والمغريات المادية القريبة المنال التي أصبح بعض ممن يحسب على أهل السنة يسيل لعابه عليها ليصدق عليه قول النبي ﷺ: «يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل»<sup>(١)</sup> إلى حد أوجب على كل محب لرسول الله ﷺ وأصحابه أن يشمر عن ساعد الجدل لفضح هذا الباطل وكشف مروجيه وتحذير الأمة من مكرهم بالنبوة والسنة وأهلها والعمل المتكامل والمتواصل لإيقاف زحف الرفض والردة في فراغات الأمة التي صنعتها العلمانية والجاهلية والأهواء والمصالح الزائلة والصراعات الباردة، فانتهزها أعداء الصحابة في تحالفاتهم الأئمة مع الغزاة والمعتدين على بلاد المسلمين لنشر ثقافة عداء الصحابة ورفض خلافة النبوة بكل الوسائل وعلى أقصى نطاق، يساعدهم على ذلك الجهل المتفشي بين عامة أهل السنة في معرفة حقيقة تاريخ الرافضة السياسي ومعرفة حقيقة سير عامة أعلامهم وأئمتهم وقادتهم، ولا سيما في عصر شوكتهم، والأدهى من ذلك غياب الدولة التي ترعى السنة النبوية قولاً وفعلاً وتبني ثقافتها وتحتوي الأزمات التي تحاك لها فتفككها وتصد الهجمات والغارات التي تشن عليها في كل الأوقات والاتجاهات، وتولي أبناء السنة

(١) ابن حنبل: المسند، ح (٨٠١٧)، الفريابي: صفة المنافق، ١/٧٦، الدقاق: مجلس إملاء في رؤية الله، ١/١١٥.

الرعاية والحماية التامة، والتوجيه والإرشاد الصحيح، وتهيئ لهم من وسائل الإعلام ما يمكنهم من نشر ثقافة الكتاب والسنة بتجرد عن الأهواء والمصالح، وبما يشعرهم بالحماية والأمن وحرية القول والفعل المقيد بضوابط الشرع، وكما هو حاصل لغيرهم من أبناء الممل الأخرى، فما بال أهل السنة لا يعلنون هويتهم فيوالون من والاهما ويبرؤون ممن ناصبها العداء من الرافضة وغيرهم؟!!

ولما كان كل هذا غائبًا من على وجه الأرض في هذا العصر، فلا بد أن تشهد الأمة الكثير من الاجتهادات الصحيحة أو المشوبة، بل وكثيرًا من الأزمات والأعباء، حتى يتحقق كل هذا الذي يفتقده أبناء السنة ويشعرون أن أعداءهم وبكل أصنافهم يعملون على حرمانهم منه وبكل الوسائل، فما دام هذا البهتان والعدوان قائمًا على السنة فلا بد أن يكون الدفاع عنها قائمًا أيضًا وفقًا لسنن التدافع وتماشياً مع تجارب الأمة، ولا يستطيع أحد أن يحول بين محبي السنة المطهرة وبين العمل لها والتضحية من أجلها، فالسلام على وجه الأرض الإسلامية وغيرها لن يسود أبدًا بإقصاء السنة وقهر أهلها وتبني أعدائها وإمدادهم ونصرتهم مهما بلغ ذلك، لأن السنة النبوية لا تُقهر لما تحملها في داخلها من عوامل الثبات والحصانة والقوة، وكل هذا تؤكد التجارب التاريخية وتوضحه الإشارات والبشارات النبوية التي تمد أبناء السنة العاملين بكل وسائل الثبات والمطالبة حتى تنتهي غربتهم وتقوم دولتهم كما كانت من قبل بإذن الله تعالى.

وبعد كل هذا الذي دوناه بقي أمام المتشكك أن يعلم يقينًا أن أعداء الصحابة لو أنزل الوحي على كل منهم دون واسطة - حاشا للوحي - لكذبوه، وقالوا بغير مقصده، فأولئك أمة أخرى لها منهجها القائم على هدم السنة؛ ولا يعينهم مسألة ثبات الأحداث والوقائع والنصوص من عدم ذلك، وإنما يعينهم أمر واحد هو التشكيك والتكذيب ونقض السنة بأي وسيلة أو منهج كان، فأصبح المسلم أمام خيارين لا ثالث لهما. الأول منهما الاعتقاد اليقيني الجازم بفقهاء الصحابة وعلمهم وصدقهم وأمانتهم جميعًا؛ واتهام أعدائهم وتكذيبهم ورد

باطلهم. والثاني: الاعتقاد اليقيني الجازم بأن رسول الله ﷺ بلغ الدين كاملاً غير منقوص؛ وأنه لا يستطيع أحد من البشر أن يحول بينه وبين تبليغ ما أرسل به، وأن كل ما يردده الرافضة في هذا الباب وغيره إنما هو لون من ألوان الطعن بالنبوة قبل الطعن بالصحابة، وكل من يتشرب بعض باطلهم إنما يتشرب الشك بالنبوة بقدر ذلك، ومثلما أن رسول الله ﷺ قادر على تبليغ كل ما كلف به كذلك هو ﷺ قادر على ترك كل ما لا يرى تبليغه، وكل ذلك برعاية الوحي أو الاجتهاد النبوي الصائب.

وعلى هذا فإن ما اجتهد به الصحابة رضي الله عنهم حول رغبة رسول الله ﷺ في كتابة كتاب لخليفته أبي بكر رضي الله عنه ورأي عمر رضي الله عنه في ذلك وترك رسول الله ﷺ الكتابة إنما هو في النهاية إقرار من رسول الله ﷺ بعدم الكتابة والاكتماء بما أصدره من إشارات وتوجيهات وإيحاءات وتكاليف لخليفته، وبتكليفه بمهام لم يقم بها غيره، إنما كل ذلك يؤكد أنه لا يوجد لبس في مسألة الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه عند أحد من الصحابة أو من جاء بعدهم من المسلمين.

والنتيجة التي يجب أن يعتقدوها كل مسلم تتمثل في أن كل تشكيك أو طعن في هذه المسألة إنما هو من صنع الرافضة ومكر أعداء الصحابة الذين لن تثنيهم حقيقة عن ترك منهجهم القائم على هدم السنة ومحاربة أهلها؛ والعمل الدائم بكل الوسائل للحيلولة بين الأمة وبين التواصل مع الصحابة، بالقذف والبهتان والتشويه وغير ذلك، والعمل المستمر على محاربة الصحابة بنشر الشائعات وكتابة الأكاذيب وجحود نتائج الحضاري والفكري والفقهية والجهادية، والتدين بتكذيبهم ورفض قرآنهم وسنة نبيهم ﷺ والولاء لكل راية ترفع لمحاربة الصحابة وأمتهم، والتحالف مع كل وثني أو كتابي أو إلحادي يناصرهم العداء، وقد صدق كل هذه الحقائق تعاونهم مع أعداء الأمة ضد أهل السنة ومساجدهم وعقيدتهم، كما تأكد أن من ضرورات تدينهم مخالفة الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة ورفض التسمي بأسمائهم، أو الأخذ بعلمهم أو إقرار جهادهم الذي أعز الله تعالى

به رسوله ﷺ ودينه، والإفتاء بشتهم ولعنهم وتكذيبهم واتهامهم بأنهم بدلوا وغيروا- حاشاهم رضي الله عنهم - وما سوى ذلك من إفك وافتراء جعلوا منه عقيدة يعتقدونها ولا ينفكون عنها، وإن كانوا في عصر ضعفهم يبتغون ذلك، وفي عصر قوتهم أو تحالفهم مع الكفار يعلنونه، ويجاهرون به ويفخرون بتنفيذه على رؤوس الأشهاد، مع أن ذلك يكشف باطنيتهم ويهتك أستارهم، فإن ذلك لا يغير من الخطر المحقق الذي يمثلونه على عقيدة الأمة وهويتها ووحدتها وحضارتها من داخلها؛ وبهذا تكون قد ظهرت الحقيقة لكل عاقل، ولم يعد هناك مجال لوجود ثقافة مترددة متشككة أو مكذبة؛ بل هي عقيدة واحدة وثقافة وفكر واحد منبثق من تلك العقيدة التي تتغذى من معين علوم الصحابة النابعة من الكتاب والسنة ومن ثمار الفقه المنبثقة عنهما، الذي ما زال المؤمنون يقطفون ثماره يقيناً واتباعاً واعتقاداً، وأن هذه العقيدة وهذه الثقافة لا يمكن أن تلتقي مع ثقافة التخريب الهدامة الراضية للكتاب والسنة وفقه السلف الصالح وسيرهم، المعلننة بالبراءة منهم وموالاتة أعدائهم، مما أوجد لكل مسلم إشارات وأضواء كاشفة يهتدي بها في معرفة أبناء عقيدته؛ وفي معرفة أعداء تلك العقيدة، فالصحابة رضي الله عنهم ورثة عقيدة رسول الله ﷺ هم الأضواء الكاشفة والشموس الساطعة، فكل من ينال من أي منهم إنما هو وريث للباطل الذي أزهمه الصحابة؛ فهو يدعو لباطله الفاسد بألوان وأشكال ووسائل متعددة، من أشهرها التستر بحب آل البيت ولكن قطعاً ليس بيت النبي محمد ﷺ الذي نصره الصحابة من المهاجرين والأنصار.

لهذا لا تروج بضاعة عداء الصحابة والظعن بهم؛ إلا في أسواق الحاقدين على السنة وأهلها وعند البله والغوغاء والأغبياء والذين في قلوبهم مرض وشك في القرآن ولغة القرآن وخلافة القرآن؛ من الذين يعتقدون أن أعداء الصحابة الذين يرفضون خلافة الصديق رضي الله عنه من الممكن في يوم من الأيام أن يقبلوا بدين الصحابة وقرآنهم وسنة نبيهم ﷺ أو يعملوا مع أمة القرآن والسنة بأمانة ونزاهة وصدق من غير نفاق وتقية وباطنية وتأمراً! وهذا من المستحيل؛ لأنهم لو عملوا بذلك لأصبحوا من أهل السنة ولأعلنوا موقفهم المؤمن بخلافة النبوة، والتائب عن كل ما يردده المرتدون من التشكيك في الكتاب والسنة

ومما يؤكد ما سبق ويسقط كل الأوراق التي يلعب بها أعداء الصحابة، ويؤكد أنه لا إسلام بدون اعتقاد خلافة خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأن كل ما حصل فيها من أوامر ونواهٍ وحرب وسلم إنما هو من عمل خلافة النبوة الراشدة الصائبة التي دعا رسول الله ﷺ إلى طاعتها في عصرها وإلى الاقتداء بها فيما بعد عصرها، وأن كل من يريد أن يقفز فوق هذه الحقيقة فلن يجد أمامه إلا مسيلمة الكذاب وأبا لؤلؤة المجوسي وابن سبأ وابن ملجم وزنادقة الكوفة والصفويين الذين مروا الدس والبهتان وامتحنوا الإفك وتسعير الفتن وبيع بلاد المسلمين وعقيدتهم بأسواق النخاسة بأي ثمن.

لكل هذا فإن هذه الدراسة تهدف إلى تأصيل شعار واحد تجتمع عليه الكلمة وتتوحد به الأمة وهو إما خليفة رسول الله ﷺ والسنة؛ وإما الزيف والضلال والردة، وذلك أن الفرق والطوائف المخربة الهدامة تزعم أنها تقبل بقيادة رسول الله ﷺ تلبسًا على الناس ولكنها ترفض خلافته وترد أمره ﷺ في الاقتداء بأبي بكر رضي الله عنه من بعده وتدعو إلى غيره إمعانًا في رفض السنة وتضليل الأمة، في حين ترضى أن يقودها الصليبيون والملحدون واليهود والغزاة المحتلون المعتدون على بلاد المسلمين، لهذا لا بد من امتحان من يزعم أنه مسلم في اعتقاده بمن نصر الإسلام ودحر الردة وجمع القرآن وحفظ السنة، خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق إمام الأمة وقائدها رضي الله عنه ويؤكد ذلك ويوضحه الحقائق والخصائص الآتية:

## إجماع المهاجرين والأنصار على بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأنه هو الأول بالإمامة والخلافة:

أجمع المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم على بيعة الصديق وإمامته المطلقة دون أي تردد أو توائٍ عن تنفيذ أوامره ونواهيه، وكما كان يحصل من الطاعة والمحبة لرسول الله ﷺ في حياته وعلى من يدعي تأخر علي بن أبي طالب المهاجري رضي الله عنه أو تخلف سعد بن عباد الأنصاري رضي الله عنه أن يأتي بنص صحيح يثبت فيه اعتراض أي منهما على بيعة

خليفة رسول الله ﷺ أو أنه قام بأي عمل مضاد لخلافة خليفة رسول الله ﷺ أو عدم الإقرار بأنه خير الأمة بعد نبيها ﷺ، فإن انتفى هذا وهو كذلك؛ فإن إجماع المهاجرين والأنصار حجة شرعية تسقط أمامها أية دعوة أو رواية تحمل في طياتها وجهًا من وجوه التشكيك أو التردد أو التساؤل حول مسألة خلافة أبي بكر رضي الله عنه، إذ إن هذه المسألة واضحة وضوح الشمس وهي من المسلمات بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فما إن طرحت مسألة الخلافة بحضور أبي بكر رضي الله عنه حتى التف المسلمون حوله دون الحاجة إلى التشاور أو التفكير والتروي؛ حيث كل ذلك مقطوع به مفروغ منه ولا حاجة له مع رجل الأمة الثاني بعد رسول الله ﷺ، ولأن التجارب أكدت كل ذلك بين يدي رسول الله ﷺ وفي حياته التي كان يراها الوحي ويسوسها القرآن في كل صفحاتها.

- وأوجب الله تعالى على أجيال الأمة جميعًا، اتباع المهاجرين والأنصار. فقال تعالى: ﴿وَالسَّيْفُوتِ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾<sup>(١)</sup>. فهذه الشهادة الربانية لا يمكن نقضها بأقوال البشر مهما بلغوا من العلم والمنزلة في الأمة، فكيف إذا كانت من الرعاء والغوغاء وبقايا المجوس والمرتدين وبقية مخالفى الصحابة وتابعيهم الذين توعدهم الله تعالى وخوفهم لو كانوا يعقلون وحملهم مسؤولية التزييف والانحراف عن منهج وسنة النبي ﷺ وأصحابه الأكرمين، فقال سبحانه وتعالى محذرًا معاندي السنة: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>. ولا شك أن سبيل المؤمنين هو سبيل المهاجرين والأنصار ومن سار على هديهم.

- وانطلاقًا من هذه الآية وأخواتها أجمع المؤمنين الذين زكاهم الله تعالى على بيعة سيدهم وخيرهم بعد رسول الله ﷺ؛ والإجماع عمومًا حجة شرعية، فكيف بإجماع

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٥.

من نصَّ الله على وجوب اتباعهم وحرمة مخالفتهم وشهد على صدق إيمانهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (١).

- وبهذا أصبح إجماع الصحابة حجة شرعية لمن يحتاج على شرعية الخلافة، وهذا الإجماع هو الذي استدل به علي رضي الله عنه لإثبات صحة بيعته بالخلافة بعد استشهاد الخليفة المظلوم عثمان بن عفان رضي الله عنه. حينما قال: إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد. وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضا فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى (٢).

- ومن هنا يُبطل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حجج الزاعمين بأنه وصيُّ أو خليفة للمسلمين بعد وفاة رسول الله كما تفتري الرافضة زورًا وبهتانًا على رسول الله ﷺ وعلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ويثبت للأمة أنه المخلص لهذه العقيدة وأنه لا يكون إلا في الموقع الذي يكون فيه نصرتها وتبليغها، لا يشاقق ولا يحابي وأنه بريء من المخادعين الذين يروجون للفتن وتمزيق صفوف المؤمنين من الرافضين لخلافة الصديق وإمامته للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وللأمة جمعاء، يؤكد ذلك قوله: وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضا. وهذا ما تم للصديق رضي الله عنه وبهذا يثبت أن كل من يخرج عن إجماع المهاجرين والأنصار لا حظ له في الإسلام فلا يسمع لقوله ولا يركن لجانبه ولا يؤتمن على أمور الأمة، فعلي رضي الله عنه يؤكد بأن الله راضي عمن أجمع عليه المهاجرون والأنصار؛ ومجوس هذه الأمة يقولون إن

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٤.

(٢) نهج البلاغة المنسوب إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. ٧/٣.

المهاجرين والأنصار ارتدوا لأنهم بايعوا الصديق رضي الله عنه على الخلافة التي أطفأت نارهم وقومت اعوجاجهم.

- ومما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما قبض رسول الله ﷺ: نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدينانا ما رضي به رسول الله ﷺ لديننا فقدمنا أبا بكر<sup>(١)</sup>. وما قاله علي رضي الله عنه في كل ما سبق وغيره كان اعتقادًا والتزامًا منه لخليفة رسول الله ﷺ مدة حياته أوضح فيه براءته ممن لا يرضى بخلافة الصديق، وأكدته بترتب عقوبة القتل على الخارج الطاعن في بيعة من أجمع الصحابة على بيعته فقال: فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين. يعني المهاجرين والأنصار وتابعيهم من أهل السنة والجماعة.

وفي هذا النص تتأكد جملة حقائق عظيمة توضح مقام الصديق رضي الله عنه عند أصحاب رسول الله ﷺ أظهرها علي رضي الله عنه في هذا النص وأمثاله. لعل من أهمها:

١- إفتاء علي رضي الله عنه بوجوب مقاتلة منكري خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وقتلهم وتشريدهم، لردتهم وخروجهم عن سبيل المؤمنين، ولأنه لا توجد لهم أي شبهة يتأولون بها موقفهم الراض لخلافة النبوة المباركة، ولما علم الراضفة ذلك من علي رضي الله عنه تسلحوا بالتيقن فأظهروا حب علي رضي الله عنه زورًا وكذبًا للترس به ومهاجمة المسلمين والعمل على هدم السنة النبوية من داخل البيت الإسلامي.

٢- أن بيعة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم تمت بإجماع المهاجرين والأنصار، وأن من يخرج عنها إنما يخرج عن دائرة الإسلام وجماعة المسلمين إلى دائرة الردة والرفض والجاهلية.

(١) البلاذري: الشيخان، ٤٠.

- ٣- أن إجماع المهاجرين والأنصار لا ينقضه شيء أبدًا، وأن كل ما تردده الرافضة في هذه المسألة إنما هو امتداد لفكر الردة التي قادها المنتبئ مسيلمة الكذاب وتلميذه الروحي إمام الرفض عبد الله بن سبأ، ومن يصدقهم إنما هو منهم، ومن أحب قومًا حشر معهم إذا عمل بأعمالهم وأعداء الصحابة يزعمون أنهم مسلمون ويغضون أئمة المسلمين ويفعلون فعل المتنبيين الكذابين ويوالون اليهود والصليبيين والعلمانيين الملحدين، وهم يزعمون أنهم مسلمون، بل ويقودون الثورات باسم الإسلام من أجل التلبيس على الناس!! ولا حجة لمن يقول بأن عامة زعماء العرب يفعلون فعل الرافضة في الولاء والبراء؛ لأن هؤلاء الزعماء لم يتبنوا في يوم من الأيام الفكر الإسلامي ولم يقولوا نحن زعماء أهل السنة والجماعة، ولم يقولوا نحن نحكم بالإسلام، وإنما هم علمانيون ويحتكمون إلى تلك الأنظمة والقوانين الوضعية وهم مسؤولون عن ذلك أمام الله تعالى ومن ثم أمام الأمة.
- ٤- أن من شذ عن الإجماع ممن شهد أو غاب لا يعتد برأيه إن خالف؛ لأن خلافه غير معتبر.
- ٥- أن الطاعن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه متبع غير سبيل المؤمنين وخارج عن جماعة المسلمين.
- ٦- أن الرافض لإجماع المهاجرين والأنصار متهم في دينه لا يؤتمن ولا تصدق له دعوة ولا تصح له حجة، بل هو الشر القريب المتلبس بالتقية والنفاق المتحفز لهتك السنة وأهلها.
- ٧- أن من أصر على الرفض بعد البيان يقاتل لأنه رافض للأمر وخارج على الجماعة وعقيدة الأمة.

- ٨- أن إرجاع هؤلاء الخارجين المارقين إلى الحق واجب على الأمة وبكل الوسائل والسبل.
- ٩- أن الخلافة تتم بالشورى وإن وجدت نصوص وإشارات وإرشادات وتوجيهات تؤكد خلافة الصديق رضي الله عنه، وتدلل عليها وتختارها فإنما ذلك تقرير لما سيتوصل إليه الصحابة، وهي إحدى خصائص الصديق رضي الله عنه التي لا توجد لغيره.
- ١٠- أن الشورى للمهاجرين والأنصار وهم أهل الحل والعقد، وإذا ما غابوا فالشورى لمن يأتّم بهم ويسير على آثارهم، والردة والنفاق لمن خالفهم ورفض منهجهم.
- ١١- أن إجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم حجة شرعية لا ترد ولا تنقض، وكل من دعا إلى التمرد عليها فإنما هو داعية إلى الردة والفتنة والعدوان على السنة.
- ١٢- عدم وجود نص جلي أو خفي أو إشارة إلى خلافة علي رضي الله عنه وكل ما قيل في ذلك إنما هو من تلفيق أعداء الصحابة وصنع الرافضة دعاة الفتنة وقتلة علي والخلفاء رضي الله عنهم<sup>(١)</sup>.
- ١٣- أن مصطلح «إمام أو إمامة» على النحو الذي يردده أعداء الصحابة أمر مبتدع مصنوع يهدف إلى صرف المسلمين عن تاريخ خلافة النبوة الراشدة، وهذا ما لم يستعمله الخليفة علي رضي الله عنه ولم يعرفه، إذ الإمام عنده يعين بالاختيار البشري وليس بالوصية أو النص، يؤكد ذلك قوله عن المهاجرين والأنصار: فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضا. وهذا مخالف لكل

(١) ينظر: الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، ٢٢٥.

ما يحتج به الرافضون للسنة ممن يرفع مظلة حب علي رضي الله عنه بهدف الطعن في إخوانه الخلفاء الراشدين وقادة الأمة من الصحابة الأكرمين.

١٤- أن رفض خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جريمة كبرى في حق الأمة وخروج واضح عن عقيدتها وعمل متعمد لتدمير وحدتها وتزييف ماضيها والطنن في مستقبلها.

١٥- أن هذا الرفض رفض لخلافة علي رضي الله عنه أيضاً لأن الذين اختاروا الخلفاء الثلاثة هم الذين اختاروا الخليفة الرابع رضي الله عنه فضلاً عن مخالفته لحكمه ومنهجه وسيرته<sup>(١)</sup>.

(١) يحتج البعض بأن هذا مخالف لما ورد في كتاب (نهج البلاغة) من قدح أو ذم للخلفاء الراشدين الثلاثة مثل الخطبة المسماة بـ (الشقشقية)، ويتخذ من ذلك وسيلة ليغض الطرف عن هذا النص وأمثاله في مدحهم وتوثيقهم! والرد على ذلك بما يلي:  
أولاً: إن كتاب (نهج البلاغة) فيه الكثير الكثير من الزيف والوهم والبهتان والتضليل، وذلك أن جميع نصوصه بلا استثناء كان بين جمعها ووفاة علي رضي الله عنه أكثر من ثلاثة قرون ونصف! فإن من يسمى بالشريف رضي ذكر في المقدمة أنه انتهى من جمعها سنة (٤٠٠هـ) وعلي رضي الله عنه توفي سنة (٤٠هـ)! وذكر أيضاً أن ما وجده من ذلك على ألسنة الناس إنما أخذ عامته من أهل الأهواء، وهذا يعني أن أحاديث الكتاب بعامتها بين الضعيف المتهالك والموضوع المفترى على أمير المؤمنين رضي الله عنه. والذي يلزم الباحث في هذا الفن أن يتقّب عن سند لكل نص ثم يقوم بتحقيقه طبقاً لقواعد علم الحديث والرواية، وهذا ما لم يفعله كل الذين حاولوا توثيق الكتاب. فتوثيقهم ليس علمياً. ويبقى الأصل في الكتاب الضعف والوضع والذس والبهتان على الصحابة والسنة خاصة، وعلى العرب والمسلمين عامة. وهناك روايات خلطت بين الحق والباطل وروايات أخرى تروى بلا أسانيد موثقة ولكن يمكن الاستشهاد بها لما فيها من حقائق تناقض كل ما يزعمونه ضد أهل السنة والجماعة فتستخدم على مبدأ (من فمك أدنك)، وأن أمير المؤمنين إذا كان يمدح الصحابة وأهل السنة في نصوص هذا الكتاب فإن كل ما يخالف ذلك هو من وضعهم وبهتانهم الذي يدينون به ويغذونه بأحقادهم وبهتانهم.

ثانياً: إن الخطبة الشقشقية وما في موضوعها مما في الكتاب يتناقض مع هذا النص وأمثاله وهو كثير. والجمع بين النقيضين لا يمكن عند العقلاء مما يعني أن كل بهتان ضد الصحابة إنما هو من=

لقد انعقد الإجماع التام على بيعة أبي بكر رضي الله عنه، وهذا دليل آخر على أنه أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ وأولى الصحابة رضي الله عنهم بخلافة رسول الله ﷺ ولو رأوا أن في الأمة من هو أولى منه لقدموه، فلما أجمعوا على بيعته - وإجماعهم حجة - دل ذلك على أنه الأفضل والأولى بالإمامة والخلافة، ولا سيما أن رسول الله ﷺ هو الذي قدمه للإمامة بالمسلمين في مرضه الأخير قبل وفاته وهذه تزكية ما بعدها تزكية لأنها صادرة من رسول الله ﷺ، ولهذا قال علي والزبير رضي الله عنهما: إنا نرى أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار وثاني اثنين ولقد أمره الرسول ﷺ بالصلاة وهو حي<sup>(١)</sup>. والحقيقة التي لا غبار عليها ولا ينكرها إلا جاحد للحق وداع إلى الفتنة وتمزيق الأمة أن مزايا وقدرات خليفة رسول الله متفردة قادت الأمة إلى دروب النجاح والتقدم والوحدة وترسيخ العقيدة ومبادئها التي جاء بها رسول الله ﷺ دون تبديل أو تحويل وبالتالي فإن فضائله التي اختص بها دون باقي الصحابة وهي خصائص لا مناقب يشاركه فيها الآخرون. فهو لذلك أفضل

= صنع الرافضة.

ثالثاً: إن طرح هذه الشكشقيات والجزم بوضعها وصناعتها ليس عاطفياً دعائياً وإنما يعتمد على قاعدة راسخة ألا وهي: إن كل ما خالف القرآن باطل. وهو ما جاء منصوباً عليه في مصادرهم منقولاً عن جعفر بن محمد رضي الله عنه أنه قال: ما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه. وحاشا علياً رضي الله عنه أن يخالف كتاب الله هذه المخالفة ويطعن في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين قال الله عنهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرَزَقُ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤] وقد بايع علي الخلفاء الراشدين ونصح وتابع ولم يكن مدهاناً ولا منافقاً! فكل من يزعم أنه يحب علياً رضي الله عنه يجب عليه الاقتداء به في طاعة الخلفاء الراشدين ومحبتهم وإلا بطلت دعوته وتأكدت باطنيته وظهر دينه ومعتقد الباطل.

رابعاً: إن الاستشهاد ببعض ما في كتب الرافضة مما يوافق القرآن ولا يخالفه ليس فيه ضير على الدين لما في ذلك من إسقاط لحجج الرافضة وبيان لتناقض كتبهم في مثل هذا النص الذي يتولى فيه علي رضي الله عنه إخوانه من المهاجرين والأنصار في الوقت الذي يتبرأ فيه أدياء حبه منهم رضي الله عنهم، مما يؤكد زيف دعاواهم وركاكة مناهجهم وسوء نواياهم.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ٣٣٢.

الصحابة رضي الله عنهم شاركهم في فضائلهم وتفرد عنهم بما اختص به دونهم من ميزات جعلت منه الميزان والشاهد على سالكي سبيل الحق والسداد والسنة، أو طريق الرفض والضلال والردة، وهذان طريقان لا يلتقيان أبدًا.

وفيما سبق من عرض للأدلة التي تثبت خلافة النبوة والإمامة لأبي بكر رضي الله عنه دون غيره من المؤمنين، وتبين صحة ما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم يتضح أن النيل من أبي بكر رضي الله عنه نيل من رسول الله ﷺ، ومن ينال من النبي ﷺ فإن الأدلة تشير إلى وجوب قتله، وأن قتله حد لا بد من استيفائه فإن النبي ﷺ لم يؤمن مقيس بن صبابه وابن خطل والجاريين اللتين كانتا تغنيان بهجائه ﷺ في مكة، مع أن نساء أهل الحرب لا يقتلن كما لا تقتل الذرية وقد أمر بقتل هاتين الجاريتين وأهدر دم أم ولد الأعمى لما قتلها سيدها الأنصاري لأجل سبها النبي ﷺ وقتل كعب بن الأشرف اليهودي، وقال: «من لكعب فإنه قد آذى الله ورسوله»<sup>(١)</sup>. وكان يسبه، وهذا إجماع من الخلفاء الراشدين على قتل من يطعن في رسول الله ﷺ وسنته المطهرة، وهذا الأمر ينال من يوالي كل من يؤذي الله ورسوله؛ لأن الحق والباطل لا يجتمعان.

مر عمر رضي الله عنه براهب فقيل له: هذا يسب رسول الله، فقال: لو سمعته لقتلته إنا لم نعظهم الذمة على أن يسبوا نبينا ﷺ، ولا ريب أن المحاربة بسب نبينا أعظم أذية ونكايه لنا من المحاربة باليد ومنع دينار جزية في السنة، فكيف ينقض عهده ويقتل بذلك دون السب وأي نسبة لمفسدة منعه دينارًا في السنة إلى مفسدة منع مجاهرته بسب نبينا أقبح سب على رؤوس الأشهاد، بل لا نسبة لمفسدة محاربتة باليد إلى مفسدة محاربتة بالسب، فأولى ما انتقض به عهده وأمانه سب رسول الله ﷺ ولا ينتقض عهده بشيء أعظم منه إلا سبه الخالق سبحانه، فهذا محض القياس ومقتضى النصوص وإجماع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

(١) البخاري: صحيح البخاري: ك. المغازي، باب، قتل كعب بن الأشرف، ح (٣٨١١) مسلم: صحيح مسلم، ك. الجهاد والسير، باب، قتل كعب بن الأشرف، ح (٤٦٤٠).

وعلى هذه المسألة أكثر من أربعين دليلاً<sup>(١)</sup>.

فالشر كل الشر يأتي من هذا الصنف الفارغ العقل الناقص الفهم الفاقد الولاء لله ورسوله ﷺ المشبع بالأهواء الغارق في الغفلة، ممن يُحسب على السنة وتجده يرشح بحب دجاجلة الرفض ويهذي بما يفتريه أعداء الصحابة من القذف والإفك، فإذا حاول أحد نصحه وتذكيره بالله ورسوله ﷺ تجده يجادل بالباطل ويغرف من نتن إفك الرافضة الذي تشربه فكره وثقافته حتى أصبح ذلك سرطاناً يجتث دينه ويمزق هويته، فيتشكك في نصوص الكتاب والسنة، ويجادل لإثبات عكس ذلك ولا يستند في كل جدله الفارغ إلا على أقوال الرافضة ورواياتهم المصنوعة وأقوال من رضع زيفهم، فتراه يُصدّق الأفاكين الموالين لمراجع الردة والبراءة من الله ورسوله ﷺ ويشك في صريح القرآن وصحيح السنة، هذا الفهم الهدام الذي جنت أمة السنة المطهرة ثماره المرة تمزقاً وتصدعاً في صفوفها التي أصيبت بأعطاب فتاوى الغوغاء التي تمهد للرفض وتعين على انسياحه بين المسلمين، وعلى تدمير العقيدة وقطع الحبال مع أئمتها أصحاب رسول الله ﷺ من خلال الدعوة إلى محبة مكفريهم ومستيحي دمائهم التي يخوض في وحلها مطموسو البصائر الذين يدعون إلى مبايعة رايات الشرك والزندقة التي رفعتها السبئية في بلاد العرب والمسلمين من جديد، فهل بعد هذا الشر شر على الأمة ووحدتها وعقيدتها ومصيرها ومستقبلها؟! قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> فلا شك أن من ينال من أصحاب محمد ﷺ ويقذف زوجته وأحب الناس إليه بالبهتان والباطل ويكذب سنته ﷺ، لا شك أنه من أشد الناس أذى لرسول الله ﷺ، كما أن الدجاجلة الجدد الذين يدعون إلى محبة أعداء السنة النبوية من أشد الناس أذى لرسول الله ﷺ فلا خلاص إلا بردعهم عن غيهم والحذر من غفلتهم، وتغذية الأمة بثقافة الكتاب والسنة التي تثمر المناعة ضد كل ماكر وغشاش وأثيم لا يبالي في أي وادٍ

(١) ابن القيم: زاد المعاد ج ٣ / ٤٤٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦١.

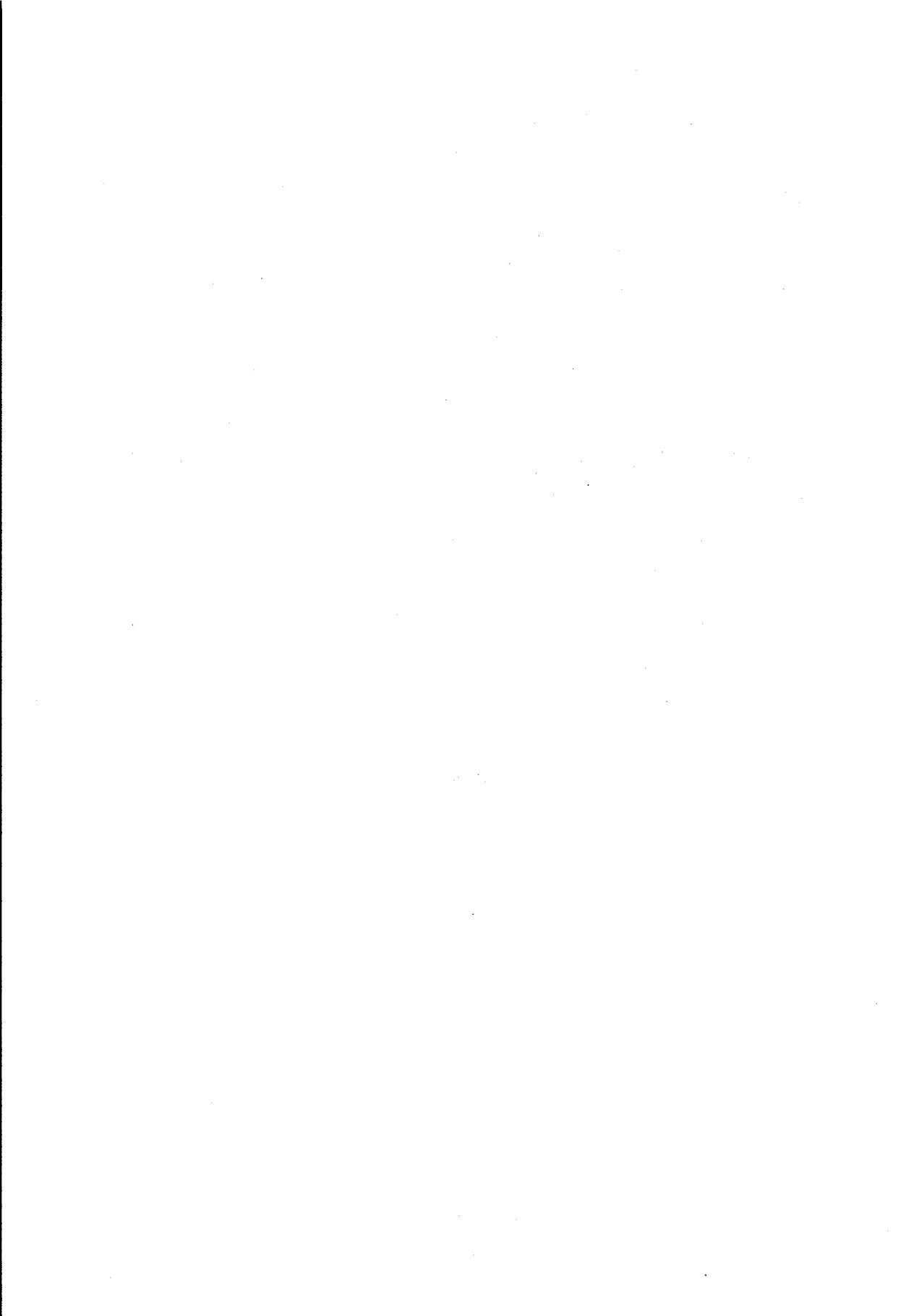
يسير أو تحت أي راية يستظل. قال تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنْهَ الْأَمْنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحْاورُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

فإذا لم يكف المفرطون عن عرض السنة في أسواق الفتاوى ومواطن الشبهات وتزيين صورة أعداء الصحابة في نفوس المؤمنين، ويبادروا بالتوبة وبالإعلان الصريح عن التمسك بالسنة النبوية المطهرة كما فهمها حملتها وحماتها أصحاب رسول الله ﷺ لا كما يفسرها الباعة المفلسون الذين يساؤون بين أئمة السنة النبوية وبين أئمة الردة السبئية؛ فإن الأمر سيكون في منتهى الخطورة على وحدة الأمة وهويتها، ومنذرًا بأشد الأخطار على سلامة السنة النبوية وأهلها الأبرار وزعزعة مصادرها وتشجيع مخالفيها ومناهضي العقيدة المنبثثة من نصوصها القطعية الثبوت إلى عقائد الأهواء والرفض والضلال. ولا علاج لكل ذلك إلا بتغذية الغيرة على السنة النبوية وحب حملتها أصحاب رسول الله ﷺ في قلب وعقل كل مؤمن ومؤمنة، وبالبراءة من كل من يناصب السنة وحماتها الصحابة رضي الله عنهم في أي لون من ألوان الانتقاص أو الشك أو العداوة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.



## المبحث الرابع

### خلافة أبي بكر رضي الله عنه بين النص والاختيار

أولاً: لا وصية ولا نص على الخلافة.

ثانياً: النص على أبي بكر رضي الله عنه وحرية الاختيار.

#### لا وصية ولا نص على خلافة النبوة:

مع أن خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثابتة بالنصوص والإجماع والإقرار بذلك عند أهل السنة، إلا أن هناك خلافاً بين بعض العلماء حول هذه النصوص هل هي مكتوبة جلية، أم أنها إشارات خفية تستنبط من النصوص التي أشارت إلى ذلك؟ قال بعض العلماء: إن رسول الله ﷺ لم يوص إلى أحد بعينه في مسألة الخلافة، وإنما ترك الأمة إلى قناعاتها وإلى ما يحصل بين أبنائها من اتفاق في هذا الباب الذي لا يجدي فيه سوى الوفاق والحوار والتفاهم، وهو ما حصل يوم السقيفة حيث تم الاتفاق على خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه إماماً وقائداً للأمة.

#### أدلة من قال إن النبي ﷺ لم يوص إلى أحد بعينه:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني:

أبا بكر رضي الله عنه - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري: ك. الاحكام، باب: الاستخلاف، ح (٦٧٩٢). ابن حبان: صحيح ابن حبان، =

وقال علي رضي الله عنه يوم الجمل: إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر رضي الله عنه، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله، ثم إن أبا بكر رضي الله عنه رأى من الرأي أن يستخلف عمر، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه، ثم إن أقواماً طلبوا هذه الدنيا فكانت أمور يقضي الله عز وجل فيها<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن علياً خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً. قال: فأخذ بيده العباس فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفاه الله من وجعه هذا، إنني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، فاذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ فإن كان فينا علمنا ذلك وإن في غيرنا كلمناه، فأوصى بنا. قال علي: إنا والله لئن سألتها رسول الله ﷺ فمنعناها، لا يعطيناها الناس بعده أبداً، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وعن إبراهيم بن الأسود قال: قيل للطاهرة عائشة رضي الله عنها: إنهم يقولون: إن رسول الله ﷺ أوصى إلى علي. فقالت: بم أوصى إلى علي؟ وقد رأيت دعا بطست ليبول فيها، وأنا مسندهة إلى صدري فانخنس - أو قال: فانخنث - فمات وما شعرت، فيم يقول هؤلاء: إنه أوصى إلى علي<sup>(٣)</sup>؟

وقال علي رضي الله عنه: من زعم أن عندنا كتاباً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة - صحيفة معلقة في سيفه، فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات - فقد كذب، وفيها: «المدينة

= ك. السير، باب في الخلافة، ح (٤٤٧٨)، الحاكم: المستدرک، ك. معرفة الصحابة، باب مقتل عمر، (٤٥٢١).

(١) البيهقي: الدلائل، ٣/ ١٤٥٤.

(٢) البخاري: كتاب: المغازي، ح (٤٤٤٧).

(٣) البيهقي: الدلائل، ٧/ ٢٢٤، البخاري: ك. المغازي، باب مرض النبي ﷺ، ح (٤١٩٠)، النسائي: السنن، ك. الطهارة، باب البول في الطست، ح (٣٣).

حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»<sup>(١)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه: ما عهد إليّ رسول الله ﷺ شيئاً خاصة دون الناس إلا شيئاً سمعته منه فهو في صحيفة في قراب سيفي... فيها: «من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»، وإذا فيها: «أن إبراهيم حرم مكة وأنا أحرم المدينة ما بين حرّيتها وحماها، ولا يختلى خلاها، ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها إلا لمن أشار بها - يعني منشداً - ولا يقطع شجرها، إلا أن يعلف رجل بعيراً، ولا يحمل فيها السلاح لقتال، والمؤمنون تكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ألا لا يُقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده»<sup>(٢)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه: قدّم رسولُ الله ﷺ أبا بكر فصلى بالناس، وإني لشاهد غير غائب، وإني لصحيح غير مريض، ولو شاء أن يقدمني لقدمني، فرضينا لدينانا من رضىه الله ورسولُه لدينا<sup>(٣)</sup>.

عن أبي وائل قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم ﷺ على خيرهم<sup>(٤)</sup>. وسبق القول أن الله تعالى قد جمع الأمة بعد استشهاد علي رضي الله عنه على معاوية رضي الله عنه لم يشذ عن

(١) البخاري: ك: الفرائض، باب إثم من تبرأ من مواليه (٦٣٧٤)، ابن حنبل: المسند، مسند علي (٦١٥)، الصالح: سبل الهدى. ٣١٠/١٢.

(٢) الحاكم: المستدرک، ح (٢٦٢٣)، ابن حنبل: المسند، مسند علي رضي الله عنه، ح (٩٥٩) ينظر: الصالح: سبل الهدى، ١٣٠/١٢.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة، ١/٦٤٩. النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ٢/٤٨٠.

(٤) الحاكم: المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٦٧)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

بيعته أحد من أبناء الأمة؛ وهذا ما أوغر عليه صدور أعداء الصحابة وأبان أحقادهم على المؤمنين.

وجاء أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: ما بال هذا الأمر في أقل قريش قلة وأذلها؛ يعني أبا بكر رضي الله عنه؟ والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً. فقال علي رضي الله عنه: لطالما عادت الإسلام وأهله يا أبا سفيان فلم يضره شيئاً إنا وجدنا أبا بكر رضي الله عنه لها أهلاً<sup>(١)</sup>.

وقال شقيق بن سلمة: قيل لعلي رضي الله عنه: ألا توصي قال: ما أوصى رسول الله ﷺ فأوصي، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبينهم على خيرهم - يعني أبا بكر رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

فهذه النصوص التي رويت عامتها عن علي رضي الله عنه تشير إلى أن النصوص التي تؤكد إمامة الصديق رضي الله عنه إنما هي إشارات جاءت في مواقف الثناء عليه أو في النصوص التي أشارت إلى خلافة النبوة ولم تبلغ درجة التصريح العلني المطلق أو المكتوب، كما أنها تثبت بأجمعها نفي علي رضي الله عنه لأي وصية أو إشارة إلى وصية له في أمر الخلافة بما يلجم ألسنة الأفاكين أئمة الفتن والردة الذين يعملون على هدم ميراث النبوة الطاهر الذي حمله الصحابة رضي الله عنهم وحموه بدمائهم وأموالهم وقادوه بعلمهم وفهمهم وإخلاصهم، حتى رسخ الإسلام في الأرض، وظاهر في هذه النصوص بيعة علي رضي الله عنه لخليفة رسول الله ﷺ، وأنه كان من أشد الناس حماساً لتلك البيعة ودفاعاً عنها، إذ إن جميع مسوغات تلك الخلافة قائمة وصحيحة عنده، ولا يجوز لأحد من الخلق الحديث عن بيعة أولى من بيعة أبي بكر رضي الله عنه، وأن كل من يرفض تلك الخلافة إنما هو حرب

(١) المستدرک، ك. معرفة الصحابة، باب: أبو بكر، ٤٤٦٢. الصنعاني: المصنف، ك، المغازي. باب: استخلاف أبي بكر وعمر (٩٧٦٧).

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٨٩، ٢٩٠.

على الله ورسوله ﷺ نصير للرفض والردة، لا يجوز مهادنته ولا معاونته، ولا يمكن الثقة به أو الغفلة عما يقوم به من سياسات وتدابير؛ إذ إن جميع نشاطات وسياسات رافضي إمامة خليفة رسول الله إنما هي ضد السنة النبوية، وتعمل على هدم الإسلام، ونزع ثقة الناس بأهله وقادته وحماته رضي الله عنهم.

### لم يوص رسول الله ﷺ إلى علي رضي الله عنه:

يتبين مما سبق من النصوص التي عامتها عن علي رضي الله عنه أن علياً لم يزعم في يوم من الأيام أنه وصي لمحمد ﷺ، ولم يرد في نص معتبر أنه كذلك، وإنما أول من أطلق هذه الفرية هو إمام الرافضة السبئية عبد الله بن سبأ اليهودي المتأسلم؛ حيث قال: لكل نبي وصي وعلي وصي محمد ﷺ<sup>(١)</sup>. فتلقف ذلك أعداء الصحابة ليشتروا به الغوغاء والمنتفعين ممن يبيع دينه بثمن بخس، كما هو حاصل في هذه الأيام في كثير من بلاد أهل السنة والجماعة، دون أن يثير ذلك الحمية على سنة رسول الله ﷺ عند عامة أصحاب الأموال الذين يزعمون الانتساب إلى سنة محمد ﷺ، ففي الوقت الذي أصبح المؤمنون يشاهدون كيف يبذل أعداء الصحابة أموالهم لهدم السنة النبوية وحرف أهلها ويستثمرون ذلك في شراء ضعاف النفوس والجهلة والجشعين ومن لا دين لهم، لخدمة عقيدة الرفض والردة ولزرعهم كجرائم سامة في جسد أهل السنة ينشرون الشك والحقد ويثبون الفتن والإفك في مجتمعاتهم ليشقوا الصفوف ويصدعوا الوحدة ويتربعوا على كراسي العمالة لأعداء الصحابة على حساب الدين والأمة، ولكي يسلبوا أرصدة وأرواح ومقدسات من بخل بالقليل الذي كان من الممكن أن يحمي السنة وأهلها ويدفع عنهم الشر والمكر والدسائس.

ولما قيل للطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: إنهم يقولون: إن النبي ﷺ أوصى إلى علي قال: من قاله؟ لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطست،

(١) الإسفراييني: التبصير في الدين، ١/١٢٤، ابن حجر: لسان الميزان، ١٣٩/٥، مناهل العرفان، ٢١/٢، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٦٤٧/٢.

فانخث، فمات، فما شعرت، فكيف أوصى إلى علي؟<sup>(١)</sup> أي أن النبي ﷺ مات بين يديها رضي الله عنها، وهي التي سمعت آخر ما قاله ﷺ ولم يقل شيئاً مما يفتره عليه مبغضوه ﷺ، فمن هذا الذي يجترئ على الكذب على رسول الله ﷺ سوى المنافقين والزنادقة؟

وعن طلحة بن مصرف، قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى: هل أوصى رسول الله ﷺ؟ فقال: لا. قلت: لم كتب على الناس الوصية، أو فلم أمرُوا بالوصية؟ قال: أوصى بكتاب الله عز وجل<sup>(٢)</sup>.

وخطب علي رضي الله عنه يوماً فقال: من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه ليس في كتاب الله وهذه الصحيفة - ل صحيفة معلقة في سيفه فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات - فقد كذب<sup>(٣)</sup>. وفيها قال رسول الله ﷺ: «المدينة حرم ما بين جبل عير إلى ثور، من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً، ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»<sup>(٤)</sup>.

فهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رضي الله عنه يرد على فرقة الرافضة زعمهم أن رسول الله ﷺ أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد

(١) صحيح البخاري، ك. المغازي، باب مرض النبي (٤١٩٠)، صحيح ابن حبان، ك. التاريخ، باب مرض النبي ﷺ، ح (٦٦٠٣).

(٢) صحيح مسلم، ك. الوصية، باب ترك الوصية، (٤٢٠٣) البيهقي: السنن، ك. الوصايا، باب من قال بنسخ الوصية، (١٢٨١٦).

(٣) ابن حنبل: المسند، مسند علي رضي الله عنه، ح (٦١٦)، أبو يعلى: المسند، ك. وباب مسند علي رضي الله عنه (٢٦٣).

(٤) مسلم: صحيح مسلم، ك. العتق، باب تحريم تولي العتيق غير مواليه، ح (٣٧٧٣).

ذلك أحد من الصحابة؛ فإنهم كانوا أطوع لله ولرسوله ﷺ في حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه؛ فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلاً ولم؟<sup>(١)</sup> وهذا ما يسقط كل أعدار الذين يحسنون الظن في الرفضة.

عن صَعْصَعَةَ بنِ صُوحَانَ. قال: دخلنا على علي رضي الله عنه حين ضربه ابن ملجم، فقلنا: يا أمير المؤمنين، استخلف علينا. قال: لا، ولكن أترككم كما تركنا رسول الله ﷺ؛ دخلنا على رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، استخلف علينا. فقال: «لا، إن يعلم الله عز وجل فيكم خيراً يولّ عليكم خيَارَكُم»، قال علي رضي الله عنه: فعلم الله فينا خيراً، فولّى علينا أبا بكر<sup>(٢)</sup>. علي يقول: أبو بكر خيرنا، والرفضة يقولون: هو شرنا، ويزعمون أنهم من أتباع علي رضي الله عنه، حاشاه أن يكون أتباعه الزنادقة ومبغضيه قومه العرب ورافضي دينه الكتاب والسنة.

عن عبد الرّحمن بن أبي الزّناد، عن أبيه، قال: أقبل رجلٌ يتخلص الناس، حتى وقف على علي رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، ما بال المهاجرين والأنصار قدّموا أبا بكر وأنت أوفى منه منقبةً، وأقدم منه سلماً، وأسبق سابقة؟ قال: إن كنت قُرُشياً فأحسبك من عائذة؟ قال: نعم. قال: لولا أن المؤمن عائدٌ الله لقتلتك، ولأخلص إليك روعك حصداً، ويحك إن أبا بكر رضي الله عنه سبقني إلى أربع، لم أُبزّهنَّ ولم أعتض منهن؛ سبقني إلى الإيمان وتقديم الهجرة، وإلى الغار، وإفشاء الإسلام، وإتي يومئذ في الشعب الأقصى تستحقني قريش، أظهر الدين وأخفيه، ولو أن أبا بكر رضي الله عنه دخل على مشورة الجيش بشارك الرأي لصار الناس ككرعة أصحاب طالوت، ويحك إن الله ذم الناس كلهم ومدح أبا بكر فقال: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن كثير: السيرة، ٤/٤٩٩.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٨٩.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

ولما فرغ علي رضي الله عنه من يوم الجَمَل قال: إن النبي ﷺ لم يعهد إلينا في الإمارة شيئاً، ولكنه رأي رأيناه، فإن يك صواباً فمن الله، وإن يك خطأ فمن قِبلنا، ولي أبو بكر رضي الله عنه فأقام واستقام، ثم ولي عمر فأقام واستقام، حتى ضرب الإسلام بجرانه، ثم إن أقواماً طلبوا الدنيا فيعضو الله عمن يشاء، ويعذب من يشاء<sup>(١)</sup>. فيتين مما سبق أن علياً رضي الله عنه لا يدع مناسبة إلا ويذكر بفضل أبي بكر رضي الله عنه، والرافضة السبئية لا يدعون موقفاً إلا ويؤكدون فيه مخالفتهم لعلي، وطعنهم فيمن يزكيه، والعجيب أنه ما زال في المسلمين من يعتقد أن فيهم ولاء للدين، أو محبة لعلي رضي الله عنه العربي الهاشمي السائر على هدي سنة النبي ﷺ.

وقيل لعلي رضي الله عنه: استخلف علينا. فقال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً جمعهم على خيرهم، كما جمعهم بعد نبينهم ﷺ على خيرهم<sup>(٢)</sup>. وقد اجتمعت الأمة بعد قول علي هذا على أمير المؤمنين معاوية.

فمن ظن بالصحابة تقديم غير من قدم رسول الله ﷺ، فقد نسبهم إلى الفجور، ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ ومضاداته في حكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربة الإسلام وكفر بإجماع الأئمة الأعلام، وكان إراقة دمه أحل من إراقة المدام<sup>(٣)</sup>.

ثم لو كان مع علي رضي الله عنه نص فلماذا لم يحتج به على الصحابة لإثبات إمارته عليهم وإمامته لهم؟ فإن لم يقدر على تنفيذ ما معه من النص كما يزعمون فهو عاجز، والعاجز لا يصلح للإمارة، وإن كان يقدر ولم يفعله، كما يروجون فهو خائن، والخائن

(١) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/٢٩١ وقوله: «لم أبزهن» أي: لم أسلبهن، يقال: بزّه أي: سلبه. مختار الصحاح مادة (بزز).

(٢) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، (١٧٠٤٠).

(٣) ابن كثير: السيرة، ٤/٤٩٩.

الفاسق مسلوب معزول عن الإمارة، وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل، وإذا كان كذلك فكيف عرفه وعلمه من بعده! وهذا محال وافتراء وجهل وضلال، ومكر متواصل لصناعة أسباب الفتن وتغذية الحقد على السنة النبوية.

وإنما يحسن هذا في أذهان الجهلة الطغام والمغترين من الأنام، يزينه لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان، بل بمجرد التحكم والهديان والإفك والبهتان. عيادًا بالله مما هم فيه من التخليط والخذلان، والتخبيط والكفران، وملاذًا بالله بالتمسك بالسنة والقرآن، والوفاء على الإسلام والإيمان، والموافاة على الثبات والإيقان وتثقيل الميزان، والنجاة من النيران والفوز بالجنان إنه كريم منان رحيم رحمان<sup>(١)</sup>.

وما نسبه جهلة القصاص إلى رسول الله ﷺ من الوصية إلى علي رضي الله عنه - ينقضه الحديث الثابت السابق عن علي رضي الله عنه، وفيه ردّ على متقولة كثير من الطرقية والقصاص الجهلة في دعواهم التي استقوها بغفلتهم من أعداء الصحابة، أن النبي ﷺ أوصى إلى علي بأشياء كثيرة يسوقونها مطولة: يا علي افعل كذا، يا علي لا تفعل كذا، يا علي من فعل كذا كان كذا وكذا، بألفاظ ركيكة ومعانٍ أكثرها سخيفة، وكثير منها صحفية لا تسوى تسويد الصحيفة. والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

وكذلك رده ﷺ على من قال: يا رسول الله، لو أمرت غير أبي بكر أن يصلي بالناس. فقال ﷺ: «لا ينبغي لأمتي أن يؤمهم إمامٌ وفيهم أبو بكر»<sup>(٣)</sup>.

وقوله ﷺ: «اتنوني بأديم ودواة، فأكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه اثنان». ثم قال: «دعوه، معاذ الله أن يختلفوا في أبي بكر» مرتين<sup>(٤)</sup>. وهذا ما حصل بعد وفاة النبي ﷺ، فلم يخالف الصديق أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

(١) ابن كثير: السيرة، ٤/٥٠٠. (٢) ابن كثير: السيرة، ٤/٥٠١.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٦١.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٦٧.

وقول رسول الله ﷺ لأُم المؤمنين الطاهرة في مرضه الذي توفي فيه ﷺ: «ادعي لي عبد الرَّحْمَنِ بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه أحدٌ بعدي»، ثم قال: «دعيه، مَعَاذَ اللَّهِ أن يختلف المؤمنون في أبي بكر»<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن بن الحسن أخي عبد الله: إنه قال لرجل ممن يغلو فيهم: ويحكم أحبونا بالله فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا. فقال له رجل: إنكم ذوو قرابة من رسول الله ﷺ وأهل بيته. فقال: ويحكم لو كان الله نافعًا بقرابة رسول الله ﷺ بغير عمل بطاعته - لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أباه وأمه!! والله إنني أخاف أن يضاعف الله للعاصي منا العذاب ضعفين، والله إنني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين. قال: ثم قال: لقد أساء بنا آباؤنا وأمهاتنا؛ إن كان ما يقولون من دين الله ثم لم يخبرونا به، ولم يطلعونا عليه، ولم يرغبونا فيه، ونحن كنا أقرب منهم قرابة منكم، وأوجب عليهم وأحق أن يرغبونا فيه منكم، ولو كان الأمر كما يقولون: إن الله جلّ وعلا ورسوله ﷺ اختارا عليًا لهذا الأمر وللقيام على الناس بعده؛ فإن عليًا أعظم الناس خطيئةً وجرمًا؛ إذ ترك أمر رسول الله ﷺ أن يقوم فيه كما أمره، ويعذر إلى الناس. فقال له الرافضي: ألم يقل النبي ﷺ لعلي: «من كنت مولاه فعلي مولاه». فقال: أما والله لو يعني رسول الله ﷺ بذلك الأمر والسلطان والقيام على الناس لأفصح به؛ كما أفصح بالصلاة والزكاة والصوم والحج، ولقال: أيها الناس إن هذا هو الولي بعدي فاسمعوا وأطيعوا<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يظهر زيف الرافضة وفساد معتقدتهم وسوء نواياهم وأنه لا هم لهم في آل البيت ولا الدين ولا النبوة، وإنما همهم إفساد سنة محمد ﷺ، ومحوها من الوجود، وإيجاد دين بديل يسود فيه أعداء الصحابة بتشريعاتهم المناقضة لكتاب الله، وما جاء به رسوله ﷺ.

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق ٣٠/٢٦٨.

(٢) المحب الطبري: الرياض النضرة، ٣٨/١. خرج جميع الأذكار من أهل البيت الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسن السمان الرازي في كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين.

قال شيخ الإسلام: والتحقيق أن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر رضي الله عنه، وأرشدهم إليه بأمور متعددة؛ من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راضٍ بذلك حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهدًا، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك: هل ذلك القول من جهة المرض، أو هو قول يجب اتباعه، ترك الكتابة اكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فلو كان التبيين مما يشبهه على الأمة لبينه رسول الله بيانًا قاطعًا للعدر، لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين، وفهموا ذلك - حصل المقصود، ولهذا قال عمر بن الخطاب في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر. ولما قال يوم السقيفة بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ لم ينكر ذلك منكر ولا قال أحد من الصحابة: إن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه<sup>(١)</sup>.

فهذه الأحاديث وما يوافقها مما جاء في الصحاح فيما سبق توضيحه وبيانه، فيها أيضًا إجماع لباعة السنة النبوية في أسواق المنافع والتلميح وتيه الخطاب وضياع الولاء، ممن يزعمون أنه لا فرق بين أهل السنة النبوية وبين قتلة الشهداء الراشدين عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، أولئك الذين يدينون باستباحة دماء وأعراض وأموال أهل السنة ودمار عقيدتهم، وما يترتب على ذلك من تضليل لأهل السنة وبهتان على أئمتهم وتزيين لغدر الرافضة بالأمة، وما في ذلك أيضًا من المخاطر التي تفرز الفرقة والتناحر وموت الولاء وتمزيق هوية أهل السنة النبوية واستباحتهم في كل شؤونهم، يغذي ذلك مكر أعداء الصحابة وبهتانهم وقلبهم للحقائق وتظاهرهم الدائم بالظلمية الكاذبة، وهم أئمة الظلم والفجور والضلالة، وكيف لا يكون من يستحل دماء الراشدين كذلك؟ بل هو أخطر على الأمة وأنكى، ومن لم يعتبر بالمصائب التي حاقت بأهل السنة ويحذر غدر أعداء الصحابة ومن يدعو إلى مودتهم، فلن يعتبر - ولو رأى الجبال ينطح بعضها بعضًا - لأنه ميت القلب، معدوم الولاء، فاسد العقيدة.

(١) ابن كثير: السيرة، ١٠٠.

وقد ظهرت مخاطر رفض السنة وتكفير الصحابة في هذا العصر أكثر من أي وقت مضى وشواهد ذلك كثيرة على أكثر من ساحة؛ منها انسياح عقيدة الرفض بين المحسوبين على أهل السنة في أكثر من قطر من أقطار الإسلام وإنشاؤهم الأحزاب والجمعيات والميليشيات الطائفية القائمة على حرب السنة النبوية ومسالمة أعدائها من الغزاة والمحتلين، وكذلك المجالات والجرائد والفضائيات الطائفية وتدريب المراسلين وإعداد المذيعات والمذيعين وبث الألفاظ والرموز والأزياء والمصطلحات الطائفية، وبذل الأموال والأوقات والمغريات لنصرة كل ذلك، ورعاية أبنائهم على تلك الأسس الطائفية المقيتة، وتغذيتهم بكل موروث الحقد والغدر بالأمة، وإرضاعهم كراهية وبغض العرب السنة من دون البشر، من لدن أصحاب رسول الله ﷺ إلى هذه الساعة، والتأكيد على ذلك في كل مناسبة وغير مناسبة.

والعمل المستمر على إنشاء المعابد المضادة للمساجد تحت مسميات مختلفة لكنها جميعاً تتفق على مواجهة التوحيد ومحاربة ما جاء به النبي ﷺ من عقيدة لا إله إلا الله والاستعاضة عن ذلك بربط عقائد أتباعهم بالقبور والمزارات والعمل الدائم على إنشائها في كل مدينة وقرية؛ لتكون نقطة ارتكاز واجتماع وانطلاق نحو الهدف الكبير لدين أعداء الصحابة المتمثل في سحق السنة وأهلها بأي وسيلة كانت، حتى أصبح الناس يشاهدون كيف تتساقط أعداد هائلة من الغوغاء التي تحسب على السنة النبوية، ممن عرضوا دينهم للبيع في أسواق الكساد والمهانة، وانعدام الكرامة أمام دريهمات معدودة، أو بعض الشهوات القذرة، وإن هذا وغيره من العورات المكشوفة، والسوءات المفضوحة لم يعد خافياً على أحد من العقلاء والمراقبين، ومما زاد الطين بلة - كما يقال - الجهل الفاضح لكثير من علماء السنة بحقيقة الرفض وأخطاره.

يقابل كل ما سبق ضعف الأداء الفكري والثقافي المبني على عقيدة السنة التي سار عليها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تجد ما يقابل أدوات الرفض ومصطلحاته ومغرياته وطائفيته، أو ما يواجهها، ويسد منافذها، ويكشف بواطنها، ويظهر عوارها للمغفلين والمغرر بهم والمضبووعين.

والأمر والأدهى أن أعداء الصحابة يصرخون بكل أبواقهم وأفعالهم أنهم طائفون ويؤكدون في كل فرصة أنهم الشر المستطير على السنة وأهلها وعقيدتهم وثوابتهم، وكثير ممن يسمون بعلماء السنة إلا من رحم الله يجترون الزيف والتضليل، وينشرون الخداع والوهن والعجز، فلا يقولون خيراً ولا يصمتون، حتى أصبحت معاولهم الهدامة تمهد كل السبل لتمدد عقيدة محو السنة، فمن قائل الخلاف مع أعداء السنة سياسي، ومن قائل هم إخواننا يجب مناصرتهم على هدم السنة بدمار المساجد وحرق المصاحف وقتل القراء والحفاظ وتشيد المعابد على القبور وصرف الناس إليها بدلاً من الكعبة المشرفة، إلى غير ذلك من بلايا ورزايا؛ أسهم كثير من علماء السنة وأتباعهم بالتمكين لها بين أهل السنة المنكوبين بإقصاء عقيدتهم، وغياب اليهم، والجهل بمرجعيتهم.

ومما أسهم في التمكين لأعداء السنة أيضًا بخل الكثير من أصحاب الأموال ممن يزعمون أنهم من أهل السنة، وإحجامهم عن النصرة والمواساة، وتكديسهم الذهب والفضة، وتقديم نفعهما لأصحاب المعاول الهدامة وتسخيرها في كل اتجاه إلا اتجاهًا ينفع السنة النبوية وينصر أهلها، مما أسهم في نشر الردة والرفض تحت بريق دنائير أعداء الصحابة وبذلهم من أجل نشر عقيدتهم المحاربة لله ولرسوله ﷺ.

وفي الوقت الذي يرمى فيه أغنياء وسلاطين الرافضة أبناء عقيدتهم ويغذونهم بكل ما يعينهم على خدمتها والتمكين لها، فإن كثيرًا من أغنياء السنة وسلاطينهم، ولا سيما العرب منهم، يخنقون أبناء عقيدتهم، ويتدنونهم، ويبيعونهم، ويعملون كل ما في وسعهم للحيلولة بينهم وبين من ينصر السنة ويحمي أبناءها ويحفظ أمته، فأى نتيجة تترجى أمام هذه المعادلات المقلوبة والمخاطر المحدقة، ولا سيما أن الأقليات داخل الأمة في هذا العصر، تتكاتف، وتنظم جهودها على أسس من عقائدها، حتى لو كانت متناقضة أو فاسدة ومخالفة للعقل والعلم، فتسخر طاقاتها ضد الأمة وهويتها بالتآمر أو الجاسوسية أو التحالف مع الغزاة أو غير ذلك إلا ما شاء الله منهم، وهم قليل في هذا العصر، وأهل السنة ما زال الكثير منهم في صراعات حزبية وتناحرات إقليمية لا يشفق بعضهم على بعض ولا ينصر

بعضهم بعضًا إلا من رحم الله، وهذه حالة مزرية منذرة بشرور مستطيرة لم تمر بها الأمة في أسوأ مراحلها؛ إذ إن الحالة في هذا العصر عامة شاملة، بينما مرت بهذه الأمة أحوال ونكبات مشابهة لكنها لم تكن بهذا الشمول، ولم تكن مزمنة، كما هو الحال في هذا العصر، فضلًا عن أنه كان يتصدى لها العلماء المخلصون، وكثير من الحكام، بعكس ما تعانيه الأمة في هذا العصر العصيب الذي غاب فيه نصح العلماء وغيره الحكام، ولم يعد من رجاء إلا الله تعالى في أن يتدارك السنة وأهلها بلطفه ورحمته، فينهجوا نهج نبيهم ﷺ وأصحابه، وفي مقدمتهم خليفته الصديق رضي الله عنه ليقوموا ما اعوج ويصلحوا ما فسد.

### أدلة من قال بالنص على خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

إن النصوص التي تؤكد إمامة خليفة رسول الله ﷺ كثيرة وصحيحة لا ترد ولا تحتاج إلى تأويل أو تفسير، وقد فهمها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم، ولم يتردد أحد منهم عن العمل بها والتضحية من أجلها، وكل ما يثار حولها من شبهات فإنما هو من صنع أعداء الصحابة ومن امتطوه ممن يزعم أخوتهم ومودتهم، ويدعو إليها، وهم على ما هم عليه من بغض الصحابة وكرهية السنة وأهلها الأطهار، ومن هنا فإن علامة الزندقة ووسائل هدم الإسلام ظاهرة بأيدي من يدعو إلى إبطال ما أجمع عليه المهاجرون والأنصار ومن سار على دربهم المنير في بناء السنة ونشر الإسلام في العالمين على مر القرون التي عاشتها الأمة واستدل من قال بالنص على أبي بكر رضي الله عنه.

قال ابن حزم: واحتج من قال: لم يستخلف - بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر أن عمر رضي الله عنه قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني أبا بكر - وإن لم أستخلف فلم يستخلف من هو خير مني - يعني رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري: ك. الأحكام، باب: الاستخلاف، ح (٦٧٩٢)، ابن حبان: صحيح ابن حبان، ك. السير، باب في الخلافة، ح (٤٤٧٨)، الحاكم: المستدرک، ك. معرفة الصحابة، باب، مقتل عمر، (٤٥٢١).

وبما روي عن الطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها سُئلت؛ من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف؟

قال: ومن المحال أن يعارض إجماع الصحابة الذين ذكرنا عنهم والأثران الصحيحان المسندان إلى رسول الله ﷺ من لفظه، بمثل هذين الأثرين الموقوفين على عمر رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها، مما لا تقوم به حجة ظاهرة؛ فقد يكون خفي عليه ذلك كما خفي عليه بعض أمر رسول الله ﷺ كالاستئذان وغيره ولم يكن استخلافه ﷺ لأبي بكر بعهد مكتوب.

قال: والمقصود هنا: البيان لكلام الناس في خلافته؛ هل حصل عليها نص خفي أو جلي؟ وهل ثبتت بذلك أو بالاختيار من أهل الحل والعقد؟ فقد تبين أن كثيراً من السلف والخلف قالوا فيها بالنص الجلي أو الخفي، وحينئذ فقد بطل قبح الرافضي في أهل السنة بقوله: إنهم يقولون: إن النبي ﷺ لم ينص على إمامة أحد، وإنه مات عن غير وصية، وكذلك هذا القول لم يقله جميعهم، فإن كان حقاً فقد قاله بعضهم، وإن كان الحق هو نقيضه، فقد قال بعضهم ذلك<sup>(١)</sup>.

ومما يشير إلى النص على أبي بكر رضي الله عنه ما جاء في قوله ﷺ في مرضه للطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «ادعي لي أبا بكر أباك، وأخاك، حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمنٌ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ: «اتنوني بأديم ودواة، فأكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه اثنان»، ثم قال: «دعوه، معاذ الله أن يختلفوا في أبي بكر» مرتين<sup>(٣)</sup>. وقوله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه: «... معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر»<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ١/١٢٦.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٦١٨١).

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٦٧.

(٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٦٨. الألباني: ظلال الجنة، ٢/٣٢٠. الطحاوي: شرح العقيدة الطحاوية، ١/٤٧٠. منهاج السنة: ١/٤٩٢.

وقال أنس: بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سل لنا رسول الله ﷺ إلى من ندفع صدقاتنا بعدك؟ قال: فأتيته فسألته فقال: «إلى أبي بكر» فأتيتهم فأخبرتهم فقالوا: ارجع إليه فسله فإن حدث بأبي بكر حدث فإلى من؟ فأتيته فسألته فقال: «إلى عمر رضي الله عنه» فأتيتهم فأخبرتهم. فقالوا: ارجع إليه فسله فإن حدث بعمر حدث فإلى من؟ فأتيته فقال: «إلى عثمان رضي الله عنه» فأتيتهم فأخبرتهم. فقالوا: ارجع إليه فسله فإن حدث بعثمان حدث فإلى من؟ فأتيته فسألته فقال: «إن حدث بعثمان حدث فتباً لكم الدهر تباً»<sup>(١)</sup>. ومعلوم أن دفع الصدقة لا يكون إلا للخليفة إذ هو المتولي قبض الصدقات.

وقد أشار القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(٢)</sup> إلى أن هذه الآية دليل على أحقية أبي بكر رضي الله عنه للخلافة بعد الرسول ﷺ، واختيار النبي ﷺ له من بين جميع أصحابه لمصاحبه في الهجرة فكان له شرف الخروج مع رسول الله ﷺ، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا﴾<sup>(٣)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَكُونُ مِنْ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، لَا يَلْبُثُ بَعْدِي إِلَّا قَلِيلًا، وَصَاحِبُ رَحَا دَارَةِ الْعَرَبِ يَعِيشُ حَمِيدًا، وَيَمُوتُ شَهِيدًا». فقال رجل: من هو؟ قال: «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ». ثم التفت رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فقال: «يَا عُثْمَانُ إِنَّ أَلْبَسَكَ اللَّهُ قَمِيصًا فَأَرَادَكَ النَّاسُ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعُهُ فَوَاللَّهِ لَئِنْ خَلَعْتَهُ لَا تَرَى الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ»<sup>(٤)</sup>.

- (١) الحاكم: المستدرک، ك. معرفة الصحابة، باب: أبو بكر رضي الله عنه، ح (٤٤٦٠). قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
- (٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.
- (٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠. دحلان: الفتح المبين، ١/٣٠، شبير: عصر الصديق، ٧٢.
- (٤) مجمع الزوائد: (٨٩١٨)، ابن عساکر: تاريخ دمشق، (١٨٣).

ومما يؤكد ما سبق ويسقط كل الأوراق التي يلعب بها أعداء الصحابة، ويؤكد أنه لا إسلام بدون اعتقاد خلافة خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأن كل ما حصل فيها من أوامر ونواهٍ وحرب وسلم إنما هو من عمل خلافة النبوة الراشدة الصائبة التي دعا رسول الله ﷺ إلى طاعتها في عصرها وإلى الاقتداء بها فيما بعد عصرها، وأن كل من يريد أن يقفز فوق هذه الحقيقة فلن يجد أمامه إلا مسيلمة الكذاب وأبا لؤلؤة المجوسي وابن سبأ وابن ملجم وزنادقة الكوفة والصفويين الذين مروا الدس والبهتان وامتحنوا الإفك وتسعير الفتن وبيع بلاد المسلمين وعقيدتهم بأسواق النخاسة بأي ثمن.

لكل هذا فإن هذه الدراسة تهدف إلى تأصيل شعار واحد تجتمع عليه الكلمة وتتوحد به الأمة وهو إما خليفة رسول الله ﷺ والسنة؛ وإما الزيف والضلال والردة، وذلك أن الفرق والطوائف المخربة الهدامة تزعم أنها تقبل بقيادة رسول الله ﷺ تليسا على الناس ولكنها ترفض خلافته وترد أمره ﷺ في الاقتداء بأبي بكر رضي الله عنه من بعده وتدعو إلى غيره إمعاناً في رفض السنة وتضليل الأمة، في حين ترضى أن يقودها الصليبيون والملحدون واليهود والغزاة المحتلون المعتدون على بلاد المسلمين، لهذا لا بد من امتحان من يزعم أنه مسلم في اعتقاده بمن نصر الإسلام ودحر الردة وجمع القرآن وحفظ السنة، خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق إمام الأمة وقائدها رضي الله عنه ويؤكد ذلك ويوضحه الحقائق والخصائص الآتية:

## **إجماع المهاجرين والأنصار على بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأنه هو الأولي بالإمامة والخلافة:**

أجمع المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم على بيعة الصديق وإمامته المطلقة دون أي تردد أو توائٍ عن تنفيذ أوامره ونواهيته، وكما كان يحصل من الطاعة والمحبة لرسول الله ﷺ في حياته وعلى من يدعي تأخر علي بن أبي طالب المهاجري رضي الله عنه أو تخلف سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه أن يأتي بنص صحيح يثبت فيه اعتراض أي منهما على بيعة

خليفة رسول الله ﷺ أو أنه قام بأي عمل مضاد لخلافة خليفة رسول الله ﷺ أو عدم الإقرار بأنه خير الأمة بعد نبيها ﷺ، فإن انتفى هذا وهو كذلك؛ فإن إجماع المهاجرين والأنصار حجة شرعية تسقط أمامها أية دعوة أو رواية تحمل في طياتها وجهًا من وجوه التشكيك أو التردد أو التساؤل حول مسألة خلافة أبي بكر رضي الله عنه، إذ إن هذه المسألة واضحة وضوح الشمس وهي من المسلمات بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فما إن طرحت مسألة الخلافة بحضور أبي بكر رضي الله عنه حتى التف المسلمون حوله دون الحاجة إلى التشاور أو التفكير والتروي؛ حيث كل ذلك مقطوع به مفروغ منه ولا حاجة له مع رجل الأمة الثاني بعد رسول الله ﷺ، ولأن التجارب أكدت كل ذلك بين يدي رسول الله ﷺ وفي حياته التي كان يراها الوحي ويسوسها القرآن في كل صفحاتها.

- وأوجب الله تعالى على أجيال الأمة جميعًا، اتباع المهاجرين والأنصار. فقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ السَّابِقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَبَعْضَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ﴾ (١). فهذه الشهادة الربانية لا يمكن نقضها بأقوال البشر مهما بلغوا من العلم والمنزلة في الأمة، فكيف إذا كانت من الرعاء والغوغاء وبقايا المجوس والمرتدين وبقية مخالفى الصحابة وتابعيهم الذين توعدهم الله تعالى وخوفهم لو كانوا يعقلون وحملهم مسؤولية التزييف والانحراف عن منهج وسنة النبي ﷺ وأصحابه الأكرمين، فقال سبحانه وتعالى محذرًا معاندي السنة: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نُبَيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ إِنَّهُمْ عَلَىٰ صَعِيرٍ﴾ (٢). ولا شك أن سبيل المؤمنين هو سبيل المهاجرين والأنصار ومن سار على هديهم.

- وانطلاقًا من هذه الآية وأخواتها أجمع المؤمنون الذين زكاهم الله تعالى على بيعة سيدهم وخيرهم بعد رسول الله ﷺ؛ والإجماع عمومًا حجة شرعية، فكيف بإجماع

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٥.

من نصّ الله على وجوب اتباعهم وحرمة مخالفتهم وشهد على صدق إيمانهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

- وبهذا أصبح إجماع الصحابة حجة شرعية لمن يحتاج على شرعية الخلافة، وهذا الإجماع هو الذي استدل به علي رضي الله عنه لإثبات صحة بيعته بالخلافة بعد استشهاد الخليفة المظلوم عثمان بن عفان رضي الله عنه. حينما قال: إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد. وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضا فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى<sup>(٢)</sup>.

- ومن هنا يُبطل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حجج الزاعمين بأنه وصيٌّ أو خليفة للمسلمين بعد وفاة رسول الله كما تفتري الرافضة زورًا وبهتانًا على رسول الله ﷺ وعلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ويثبت للأمة أنه المخلص لهذه العقيدة وأنه لا يكون إلا في الموقع الذي يكون فيه نصرتها وتبليغها، لا يشاقق ولا يحابي وأنه بريء من المخادعين الذين يروجون للفتن وتمزيق صفوف المؤمنين من الرافضين لخلافة الصديق وإمامته للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وللأمة جمعاء، يؤكد ذلك قوله: وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضا. وهذا ما تم للصديق رضي الله عنه وبهذا يثبت أن كل من يخرج عن إجماع المهاجرين والأنصار لا حظ له في الإسلام فلا يسمع لقوله ولا يركن لجانبه ولا يؤتمن على أمور الأمة، فعلي رضي الله عنه يؤكد بأن الله راضٍ عمّن أجمع عليه المهاجرون والأنصار؛ ومجوس هذه الأمة يقولون إن

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٤.

(٢) نهج البلاغة المنسوب إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. ٧/٣.

المهاجرين والأنصار ارتدوا لأنهم بايعوا الصديق رضي الله عنه على الخلافة التي أطفأت نارهم وقومت اعوجاجهم.

- ومما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما قبض رسول الله ﷺ: نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدينانا ما رضيه رسول الله ﷺ لديننا فقدمنا أبا بكر<sup>(١)</sup>. وما قاله علي رضي الله عنه في كل ما سبق وغيره كان اعتقادًا والتزامًا منه لخليفة رسول الله ﷺ مدة حياته أوضح فيه براءته ممن لا يرضى بخلافة الصديق، وأكدته بترتب عقوبة القتل على الخارج الطاعن في بيعة من أجمع الصحابة على بيعته فقال: فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين. يعني المهاجرين والأنصار وتابعيهم من أهل السنة والجماعة.

وفي هذا النص تتأكد جملة حقائق عظيمة توضح مقام الصديق رضي الله عنه عند أصحاب رسول الله ﷺ أظهرها علي رضي الله عنه في هذا النص وأمثاله. لعل من أهمها:

١ - إفتاء علي رضي الله عنه بوجوب مقاتلة منكري خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وقتلهم وتشريدهم، لردتهم وخروجهم عن سبيل المؤمنين، ولأنه لا توجد لهم أي شبهة يتأولون بها موقفهم الرافض لخلافة النبوة المباركة، ولما علم الرافضة ذلك من علي رضي الله عنه تسلحوا بالتقية فأظهروا حب علي رضي الله عنه زورًا وكذبًا للترس به ومهاجمة المسلمين والعمل على هدم السنة النبوية من داخل البيت الإسلامي.

٢ - أن بيعة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم تمت بإجماع المهاجرين والأنصار، وأن من يخرج عنها إنما يخرج عن دائرة الإسلام وجماعة المسلمين إلى دائرة الردة والرفض والجاهلية.

(١) البلاذري: الشيخان، ٤٠.

- ٣- أن إجماع المهاجرين والأنصار لا ينقضه شيء أبداً، وأن كل ما تردده الرافضة في هذه المسألة إنما هو امتداد لفكر الردة التي قادها المتنبئ مسيلمة الكذاب وتلميذه الروحي إمام الرفض عبد الله بن سبأ، ومن يصدقهم إنما هو منهم، ومن أحب قومًا حشر معهم إذا عمل بأعمالهم وأعداء الصحابة يزعمون أنهم مسلمون ويبغضون أئمة المسلمين ويفعلون فعل المتنبئين الكذابين ويوالون اليهود والصليبيين والعلمانيين الملحدين، وهم يزعمون أنهم مسلمون، بل ويقودون الثورات باسم الإسلام من أجل التلبيس على الناس!! ولا حجة لمن يقول بأن عامة زعماء العرب يفعلون فعل الرافضة في الولاء والبراء؛ لأن هؤلاء الزعماء لم يتبنوا في يوم من الأيام الفكر الإسلامي ولم يقولوا نحن زعماء أهل السنة والجماعة، ولم يقولوا نحن نحكم بالإسلام، وإنما هم علمانيون ويحتكمون إلى تلك الأنظمة والقوانين الوضعية وهم مسؤولون عن ذلك أمام الله تعالى ومن ثم أمام الأمة.
- ٤- أن من شذ عن الإجماع ممن شهد أو غاب لا يعتد برأيه إن خالف؛ لأن خلافه غير معتبر.
- ٥- أن الطاعن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه متبع غير سبيل المؤمنين وخارج عن جماعة المسلمين.
- ٦- أن الراض لإجماع المهاجرين والأنصار متهم في دينه لا يؤتمن ولا تصدق له دعوة ولا تصح له حجة، بل هو الشر القريب المتلبس بالتقية والنفاق المتحفز لهتك السنة وأهلها.
- ٧- أن من أصر على الرفض بعد البيان يقاتل لأنه رافض للأمر وخارج على الجماعة وعقيدة الأمة.

- ٨- أن إرجاع هؤلاء الخارجين المارقين إلى الحق واجب على الأمة وبكل الوسائل والسبل.
- ٩- أن الخلافة تتم بالشورى وإن وجدت نصوص وإشارات وإرشادات وتوجيهات تؤكد خلافة الصديق رضي الله عنه، وتدل عليها وتختارها فإنما ذلك تقرير لما سيتوصل إليه الصحابة، وهي إحدى خصائص الصديق رضي الله عنه التي لا توجد لغيره.
- ١٠- أن الشورى للمهاجرين والأنصار وهم أهل الحل والعقد، وإذا ما غابوا فالشورى لمن يأتّم بهم ويسير على آثارهم، والردة والنفاق لمن خالفهم ورفض منهمجهم.
- ١١- أن إجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم حجة شرعية لا ترد ولا تنقض، وكل من دعا إلى التمرد عليها فإنما هو داعية إلى الردة والفتنة والعدوان على السنة.
- ١٢- عدم وجود نص جلي أو خفي أو إشارة إلى خلافة علي رضي الله عنه وكل ما قيل في ذلك إنما هو من تلفيق أعداء الصحابة وصنع الرافضة دعاة الفتنة وقتلة علي والخلفاء رضي الله عنهم<sup>(١)</sup>.
- ١٣- أن مصطلح «إمام أو إمامة» على النحو الذي يردده أعداء الصحابة أمر مبتدع مصنوع يهدف إلى صرف المسلمين عن تاريخ خلافة النبوة الراشدة، وهذا ما لم يستعمله الخليفة علي رضي الله عنه ولم يعرفه، إذ الإمام عنده يعين بالاختيار البشري وليس بالوصية أو النص، يؤكد ذلك قوله عن المهاجرين والأنصار: فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضاً. وهذا مخالف لكل

(١) ينظر: الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، ٢٢٥.

ما يحتج به الرافضون للسنة ممن يرفع مظلة حب علي رضي الله عنه بهدف الطعن في إخوانه الخلفاء الراشدين وقادة الأمة من الصحابة الأكرمين.

١٤- أن رفض خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جريمة كبرى في حق الأمة وخروج واضح عن عقيدتها وعمل متعمد لتدمير وحدتها وتزييف ماضيها والطعن في مستقبلها.

١٥- أن هذا الرفض رفض لخلافة علي رضي الله عنه أيضاً لأن الذين اختاروا الخلفاء الثلاثة هم الذين اختاروا الخليفة الرابع رضي الله عنه فضلاً عن مخالفته لحكمه ومنهجه وسيرته<sup>(١)</sup>.

(١) يحتج البعض بأن هذا مخالف لما ورد في كتاب (نهج البلاغة) من قدح أو ذم للخلفاء الراشدين الثلاثة مثل الخطبة المسماة بـ (الششقية)، ويتخذ من ذلك وسيلة ليغض الطرف عن هذا النص وأمثاله في مدحهم وتوثيقهم! والرد على ذلك بما يلي:

أولاً: إن كتاب (نهج البلاغة) فيه الكثير الكثير من الزيف والوهم والبهتان والتضليل، وذلك أن جميع نصوصه بلا استثناء كان بين جمعها ووفاة علي رضي الله عنه أكثر من ثلاثة قرون ونصف! فإن من يسمى بالشريف الرضي ذكر في المقدمة أنه انتهى من جمعها سنة (٤٠٠هـ) وعلي رضي الله عنه توفي سنة (٤٠هـ)! وذكر أيضاً أن ما وجدته من ذلك على السنة الناس إنما أخذ عامته من أهل الأهواء، وهذا يعني أن أحاديث الكتاب بعامتها بين الضعيف المتهالك والموضوع المفترى على أمير المؤمنين رضي الله عنه. والذي يلزم الباحث في هذا الفن أن يتقن عن سند لكل نص ثم يقوم بتحقيقه طبقاً لقواعد علم الحديث والرواية، وهذا ما لم يفعله كل الذين حاولوا توثيق الكتاب. فتوثيقهم ليس علمياً. ويبقى الأصل في الكتاب الضعف والوضع والفساد والبهتان على الصحابة والسنة خاصة، وعلى العرب والمسلمين عامة. وهناك روايات خلطت بين الحق والباطل وروايات أخرى تروى بلا أسانيد موثقة ولكن يمكن الاستشهاد بها لما فيها من حقائق تناقض كل ما يزعمونه ضد أهل السنة والجماعة فتستخدم على مبدأ (من فمك أدينك)، وأن أمير المؤمنين إذا كان يمدح الصحابة وأهل السنة في نصوص هذا الكتاب فإن كل ما يخالف ذلك هو من وضعهم وبهتانهم الذي يدينون به ويغذونه بأحقادهم وبهتانهم.

ثانياً: إن الخطبة الششقية وما في موضوعها مما في الكتاب يتناقض مع هذا النص وأمثاله وهو كثير. والجمع بين النقيضين لا يمكن عند العقلاء مما يعني أن كل بهتان ضد الصحابة إنما هو من

لقد انعقد الإجماع التام على بيعة أبي بكر رضي الله عنه، وهذا دليل آخر على أنه أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ وأولى الصحابة رضي الله عنهم بخلافة رسول الله ﷺ ولو رأوا أن في الأمة من هو أولى منه لقدموه، فلما أجمعوا على بيعته - وإجماعهم حجة - دل ذلك على أنه الأفضل والأولى بالإمامة والخلافة، ولا سيما أن رسول الله ﷺ هو الذي قدمه للإمامة بالمسلمين في مرضه الأخير قبل وفاته وهذه تركية ما بعدها تركية لأنها صادرة من رسول الله ﷺ، ولهذا قال علي والزبير رضي الله عنهما: إنا نرى أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار وثاني اثنين ولقد أمره الرسول ﷺ بالصلاة وهو حي<sup>(١)</sup>. والحقيقة التي لا غبار عليها ولا ينكرها إلا جاحد للحق وداع إلى الفتنة وتمزيق الأمة أن مزايا وقدرات خليفة رسول الله متفردة قادت الأمة إلى دروب النجاح والتقدم والوحدة وترسيخ العقيدة ومبادئها التي جاء بها رسول الله ﷺ دون تبديل أو تحويل وبالتالي فإن فضائله التي اختص بها دون باقي الصحابة وهي خصائص لا مناقب يشاركه فيها الآخرون. فهو لذلك أفضل

= صنع الرافضة.

ثالثاً: إن طرح هذه الشكسيات والجزم بوضعها وصناعتها ليس عاطفياً دعائياً وإنما يعتمد على قاعدة راسخة ألا وهي: إن كل ما خالف القرآن باطل. وهو ما جاء منصوصاً عليه في مصادرهم منقولاً عن جعفر بن محمد رضي الله عنه أنه قال: ما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه. وحاشا علياً رضي الله عنه أن يخالف كتاب الله هذه المخالفة ويطعن في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين قال الله عنهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤] وقد بايع علي الخلفاء الراشدين ونصح وتابع ولم يكن مدهاناً ولا منافقاً! فكل من يزعم أنه يحب علياً رضي الله عنه يجب عليه الاقتداء به في طاعة الخلفاء الراشدين ومحبتهم وإلا بطلت دعوته وتأكدت باطنيته وظهر دينه ومعتقد الباطل.

رابعاً: إن الاستشهاد ببعض ما في كتب الرافضة مما يوافق القرآن ولا يخالفه ليس فيه ضير على الدين لما في ذلك من إسقاط لحجج الرافضة وبيان لتناقض كتبهم في مثل هذا النص الذي يتولى فيه علي رضي الله عنه إخوانه من المهاجرين والأنصار في الوقت الذي يتبرأ فيه أعداء حبه منهم رضي الله عنهم، مما يؤكد زيف دعاوهم وركاكة مناهجهم وسوء نواياهم.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٣٣٢.

الصحابة رضي الله عنهم شاركهم في فضائلهم وتفرد عنهم بما اختص به دونهم من ميزات جعلت منه الميزان والشاهد على سالكي سبيل الحق والسداد والسنة، أو طريق الرفض والضلال والردة، وهذان طريقان لا يلتقيان أبدًا.

وفيما سبق من عرض للأدلة التي تثبت خلافة النبوة والإمامة لأبي بكر رضي الله عنه دون غيره من المؤمنين، وتبين صحة ما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم يتضح أن النيل من أبي بكر رضي الله عنه نيل من رسول الله ﷺ، ومن ينال من النبي ﷺ فإن الأدلة تشير إلى وجوب قتله، وأن قتله حد لا بد من استيفائه فإن النبي ﷺ لم يؤمن مقيس بن صبابه وابن خطل والجاريين اللتين كانتا تغنيان بهجائه ﷺ في مكة، مع أن نساء أهل الحرب لا يقتلن كما لا تقتل الذرية وقد أمر بقتل هاتين الجاريتين وأهدر دم أم ولد الأعمى لما قتلها سيدها الأنصاري لأجل سبها النبي ﷺ وقتل كعب بن الأشرف اليهودي، وقال: «من لكعب فإنه قد آذى الله ورسوله»<sup>(١)</sup>. وكان يسبه، وهذا إجماع من الخلفاء الراشدين على قتل من يطعن في رسول الله ﷺ وسنته المطهرة، وهذا الأمر ينال من يوالي كل من يؤذي الله ورسوله؛ لأن الحق والباطل لا يجتمعان.

مر عمر رضي الله عنه براهب فقيل له: هذا يسب رسول الله، فقال: لو سمعته لقتلته إنا لم نعطهم الذمة على أن يسبوا نبينا ﷺ، ولا ريب أن المحاربة بسب نبينا أعظم أذية ونكاية لنا من المحاربة باليد ومنع دينار جزية في السنة، فكيف ينقض عهده ويقتل بذلك دون السب وأي نسبة لمفسدة منعه دينارًا في السنة إلى مفسدة منع مجاهرته بسب نبينا أقبح سب على رؤوس الأشهاد، بل لا نسبة لمفسدة محاربه باليد إلى مفسدة محاربه بالسب، فأولى ما انتقض به عهده وأمانه سب رسول الله ﷺ ولا ينتقض عهده بشيء أعظم منه إلا سبه الخالق سبحانه، فهذا محض القياس ومقتضى النصوص وإجماع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

(١) البخاري: صحيح البخاري: ك. المغازي، باب، قتل كعب بن الأشرف، ح (٣٨١١) مسلم: صحيح مسلم، ك. الجهاد والسير، باب، قتل كعب بن الأشرف، ح (٤٦٤٠).

وعلى هذه المسألة أكثر من أربعين دليلاً<sup>(١)</sup>.

فالشر كل الشر يأتي من هذا الصنف الفارغ العقل الناقص الفهم الفاقد الولاء لله ولرسوله ﷺ المشبع بالأهواء الغارق في الغفلة، ممن يُحسب على السنة وتجده يَرشَح بحب دجاجلة الرفض ويهذي بما يفتره أعداء الصحابة من القذف والإفك، فإذا حاول أحد نصحه وتذكيره بالله ورسوله ﷺ تجده يجادل بالباطل ويغرف من نتن إفك الرافضة الذي تشربَه فكره وثقافته حتى أصبح ذلك سرطانياً يجتث دينه ويمزق هويته، فيتشكك في نصوص الكتاب والسنة، ويجادل لإثبات عكس ذلك ولا يستند في كل جدله الفارغ إلا على أقوال الرافضة ورواياتهم المصنوعة وأقوال من رضع زيفهم، فتراه يُصدِّق الأفاكين الموالين لمراجع الردة والبراءة من الله ورسوله ﷺ ويشك في صريح القرآن وصحيح السنة، هذا الفهم الهدام الذي جنت أمة السنة المطهرة ثماره المرة تمزقاً وتصدعاً في صفوفها التي أصيبت بأعطاب فتاوى الغوغاء التي تمهد للرفض وتعين على انسياحه بين المسلمين، وعلى تدمير العقيدة وقطع الجبال مع أئمتها أصحاب رسول الله ﷺ من خلال الدعوة إلى محبة مكفريهم ومستبحي دمائهم التي يخوض في وحلها مطموسو البصائر الذين يدعون إلى مبايعة رايات الشرك والزندقة التي رفعتها السبئية في بلاد العرب والمسلمين من جديد، فهل بعد هذا الشر شر على الأمة ووحدتها وعقيدها ومصيرها ومستقبلها؟! قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ هُمْ عَدَاؤُ الْإِيمِ﴾<sup>(٢)</sup> فلا شك أن من ينال من أصحاب محمد ﷺ ويقذف زوجته وأحب الناس إليه بالبهتان والباطل ويكذب سنته ﷺ، لا شك أنه من أشد الناس أذى لرسول الله ﷺ، كما أن الدجاجلة الجدد الذين يدعون إلى محبة أعداء السنة النبوية من أشد الناس أذى لرسول الله ﷺ فلا خلاص إلا بردعهم عن غيهم والحذر من غفلتهم، وتغذية الأمة بثقافة الكتاب والسنة التي تثمر المناعة ضد كل ماكر وغشاش وأثيم لا يبالي في أي وإد

(١) ابن القيم: زاد المعاد ج ٣ / ٤٤٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦١.

يسير أو تحت أي راية يستظل. قال تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنْهَ الْأَمْنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

فإذا لم يكف المفرطون عن عرض السنة في أسواق الفتاوى ومواطن الشبهات وتزيين صورة أعداء الصحابة في نفوس المؤمنين، وبيادروا بالتوبة وبالإعلان الصريح عن التمسك بالسنة النبوية المطهرة كما فهمها حملتها وحماتها أصحاب رسول الله ﷺ لا كما يفسرها الباعة المفلسون الذين يساؤون بين أئمة السنة النبوية وبين أئمة الردة السبئية؛ فإن الأمر سيكون في منتهى الخطورة على وحدة الأمة وهويتها، ومنذرًا بأشد الأخطار على سلامة السنة النبوية وأهلها الأبرار وزعزعة مصادرها وتشجيع مخالفيها ومناهضي العقيدة المنبعثة من نصوصها القطعية الثبوت إلى عقائد الأهواء والرفض والضلال. ولا علاج لكل ذلك إلا بتغذية الغيرة على السنة النبوية وحب حملتها أصحاب رسول الله ﷺ في قلب وعقل كل مؤمن ومؤمنة، وبالبراءة من كل من يناصب السنة وحماتها الصحابة رضي الله عنهم في أي لون من ألوان الانتقاص أو الشك أو العداوة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

THE HISTORY OF THE

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

## المبحث الرابع

### خلافة أبي بكر رضي الله عنه بين النص والاختيار

أولاً: لا وصية ولا نص على الخلافة.

ثانياً: النص على أبي بكر رضي الله عنه وحرية الاختيار.

#### لا وصية ولا نص على خلافة النبوة:

مع أن خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثابتة بالنصوص والإجماع والإقرار بذلك عند أهل السنة، إلا أن هناك خلافاً بين بعض العلماء حول هذه النصوص هل هي مكتوبة جلية، أم أنها إشارات خفية تستنبط من النصوص التي أشارت إلى ذلك؟ قال بعض العلماء: إن رسول الله ﷺ لم يوص إلى أحد بعينه في مسألة الخلافة، وإنما ترك الأمة إلى قناعاتها وإلى ما يحصل بين أبنائها من اتفاق في هذا الباب الذي لا يجدي فيه سوى الوفاق والحوار والتفاهم، وهو ما حصل يوم السقيفة حيث تم الاتفاق على خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه إماماً وقائداً للأمة.

#### أدلة من قال إن النبي ﷺ لم يوص إلى أحد بعينه:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني:

أبا بكر رضي الله عنه - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري: ك. الاحكام، باب: الاستخلاف، ح (٦٧٩٢). ابن حبان: صحيح ابن حبان، =

وقال علي رضي الله عنه يوم الجمل: إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر رضي الله عنه، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله، ثم إن أبا بكر رضي الله عنه رأى من الرأي أن يستخلف عمر، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه، ثم إن أقواماً طلبوا هذه الدنيا فكانت أمور يقضي الله عز وجل فيها<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن علياً خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً. قال: فأخذ بيده العباس فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفاه الله من وجعه هذا، إنني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، فاذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ فإن كان فينا علمنا ذلك وإن في غيرنا كلمناه، فأوصى بنا. قال علي: إنا والله لئن سألتها رسول الله ﷺ فممنعناها، لا يعطيناها الناس بعده أبداً، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وعن إبراهيم بن الأسود قال: قيل للطاهرة عائشة رضي الله عنها: إنهم يقولون: إن رسول الله ﷺ أوصى إلى علي. فقالت: بم أوصى إلى علي؟ وقد رأيت دعا بطست ليول فيها، وأنا مسنده إلى صدري فانخنس - أو قال: فانخنث - فمات وما شعرت، فيم يقول هؤلاء: إنه أوصى إلى علي<sup>(٣)</sup>؟

وقال علي رضي الله عنه: من زعم أن عندنا كتاباً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة - صحيفة معلقة في سيفه، فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات - فقد كذب، وفيها: «المدينة

= ك. السير، باب في الخلافة، ح (٤٤٧٨)، الحاكم: المستدرک، ك. معرفة الصحابة، باب مقتل عمر، (٤٥٢١).

(١) البيهقي: الدلائل، ٣/١٤٥٤.

(٢) البخاري: كتاب: المغازي، ح (٤٤٤٧).

(٣) البيهقي: الدلائل، ٧/٢٢٤، البخاري: ك. المغازي، باب مرض النبي ﷺ، ح (٤١٩٠)، النسائي:

السنن، ك. الطهارة، باب البول في الطست، ح (٣٣).

حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»<sup>(١)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه: ما عهد إليّ رسول الله ﷺ شيئاً خاصة دون الناس إلا شيئاً سمعته منه فهو في صحيفة في قراب سيفي... فيها: «من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»، وإذا فيها: «أن إبراهيم حرم مكة وأنا أحرم المدينة ما بين حرّتها وحماها، ولا يختلى خلاها، ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها إلا لمن أشار بها - يعني منشداً - ولا يقطع شجرها، إلا أن يعلف رجل بعيراً، ولا يحمل فيها السلاح لقتال، والمؤمنون تكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ألا لا يُقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده»<sup>(٢)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه: قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر فصلى بالناس، وإني لشاهد غير غائب، وإني لصحيح غير مريض، ولو شاء أن يقدمني لقدمني، فرضينا لديننا من رضىه الله ورسولُه لديننا»<sup>(٣)</sup>.

عن أبي وائل قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم ﷺ على خيرهم<sup>(٤)</sup>. وسبق القول أن الله تعالى قد جمع الأمة بعد استشهاد علي رضي الله عنه على معاوية رضي الله عنه لم يشذ عن

(١) البخاري: ك: الفرائض، باب إثم من تبرأ من مواليه (٦٣٧٤)، ابن حنبل: المسند، مسند علي (٦١٥)، الصالح: سبل الهدى. ٣١٠/١٢.

(٢) الحاكم: المستدرک، ح (٢٦٢٣)، ابن حنبل: المسند، مسند علي رضي الله عنه، ح (٩٥٩) ينظر: الصالح: سبل الهدى، ١٣٠/١٢.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة، ١/٦٤٩. النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ٢/٤٨٠.

(٤) الحاكم: المستدرک، ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٦٧)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

بيعته أحد من أبناء الأمة؛ وهذا ما أوغر عليه صدور أعداء الصحابة وأبان أحقادهم على المؤمنين.

وجاء أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: ما بال هذا الأمر في أقل قريش قلة وأذلها؛ يعني أبا بكر رضي الله عنه؟ والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً. فقال علي رضي الله عنه: لطالما عادت الإسلام وأهله يا أبا سفيان فلم يضره شيئاً إنا وجدنا أبا بكر رضي الله عنه لها أهلاً<sup>(١)</sup>.

وقال شقيق بن سلمة: قيل لعلي رضي الله عنه: ألا توصي قال: ما أوصى رسول الله ﷺ فأوصي، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبينهم على خيرهم - يعني أبا بكر رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

فهذه النصوص التي رويت عامتها عن علي رضي الله عنه تشير إلى أن النصوص التي تؤكد إمامة الصديق رضي الله عنه إنما هي إشارات جاءت في مواقف الشاء عليه أو في النصوص التي أشارت إلى خلافة النبوة ولم تبلغ درجة التصريح العلني المطلق أو المكتوب، كما أنها تثبت بأجمعها نفي علي رضي الله عنه لأي وصية أو إشارة إلى وصية له في أمر الخلافة بما يلجم السنة الأفاكين أئمة الفتن والردة الذين يعملون على هدم ميراث النبوة الطاهر الذي حملة الصحابة رضي الله عنهم وحموه بدمائهم وأموالهم وقادوه بعلمهم وفهمهم وإخلاصهم، حتى رسخ الإسلام في الأرض، وظاهر في هذه النصوص بيعة علي رضي الله عنه لخليفة رسول الله ﷺ، وأنه كان من أشد الناس حماساً لتلك البيعة ودفاعاً عنها، إذ إن جميع مسوغات تلك الخلافة قائمة وصحيحة عنده، ولا يجوز لأحد من الخلق الحديث عن بيعة أولي من بيعة أبي بكر رضي الله عنه، وأن كل من يرفض تلك الخلافة إنما هو حرب

(١) المستدرک، ك. معرفة الصحابة، باب: أبو بكر، ٤٤٦٢. الصنعاني: المصنف، ك، المغازي. باب:

استخلاف أبي بكر وعمر (٩٧٦٧).

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٨٩، ٢٩٠.

على الله ورسوله ﷺ نصير للرفض والردة، لا يجوز مهادنته ولا معاونته، ولا يمكن الثقة به أو الغفلة عمّا يقوم به من سياسات وتدابير؛ إذ إن جميع نشاطات وسياسات رافضي إمامة خليفة رسول الله إنما هي ضد السنة النبوية، وتعمل على هدم الإسلام، ونزع ثقة الناس بأهله وقادته وحماته رضي الله عنهم.

### لم يوص رسول الله ﷺ إلى علي رضي الله عنه:

يتبين مما سبق من النصوص التي عامتها عن علي رضي الله عنه أن علياً لم يزعم في يوم من الأيام أنه وصي لمحمد ﷺ، ولم يرد في نص معتبر أنه كذلك، وإنما أول من أطلق هذه الفرية هو إمام الرافضة السبئية عبد الله بن سبأ اليهودي المتأسلم؛ حيث قال: لكل نبي وصي وعلي وصي محمد ﷺ<sup>(١)</sup>. فتلقف ذلك أعداء الصحابة ليشتروا به الغوغاء والمتنفعين ممن يبيع دينه بثمن بخس، كما هو حاصل في هذه الأيام في كثير من بلاد أهل السنة والجماعة، دون أن يثير ذلك الحمية على سنة رسول الله ﷺ عند عامة أصحاب الأموال الذين يزعمون الانتساب إلى سنة محمد ﷺ، ففي الوقت الذي أصبح المؤمنون يشاهدون كيف يبذل أعداء الصحابة أموالهم لهدم السنة النبوية وحرف أهلها ويستثمرون ذلك في شراء ضعاف النفوس والجهلة والجشعين ومن لا دين لهم، لخدمة عقيدة الرفض والردة ولزرعهم كجرائم سامة في جسد أهل السنة ينشرون الشك والحقد ويثون الفتن والإفك في مجتمعاتهم ليشقوا الصفوف ويصدعوا الوحدة ويتربعوا على كراسي العمالة لأعداء الصحابة على حساب الدين والأمة، ولكي يسلبوا أرصدة وأرواح ومقدسات من بخل بالقليل الذي كان من الممكن أن يحمي السنة وأهلها ويدفع عنهم الشر والمكر والدسائس.

ولما قيل للطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: إنهم يقولون: إن النبي ﷺ أوصى إلى علي قال: من قاله؟ لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطست،

(١) الإسفراييني: التبصير في الدين، ١/١٢٤، ابن حجر: لسان الميزان، ١٣٩/٥، مناهل العرفان، ٢١/٢، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢/٦٤٧.

فانخث، فمات، فما شعرت، فكيف أوصى إلى علي؟<sup>(١)</sup> أي أن النبي ﷺ مات بين يديها رضي الله عنها، وهي التي سمعت آخر ما قاله ﷺ ولم يقل شيئاً مما يفتره عليه مبغضوه ﷺ، فمن هذا الذي يجترئ على الكذب على رسول الله ﷺ سوى المنافقين والزنادقة؟

وعن طلحة بن مصرف، قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى: هل أوصى رسول الله ﷺ؟ فقال: لا. قلت: لم كتب على الناس الوصية، أو فلم أمرُوا بالوصية؟ قال: أوصى بكتاب الله عز وجل<sup>(٢)</sup>.

وخطب علي رضي الله عنه يوماً فقال: من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه ليس في كتاب الله وهذه الصحيفة - لصحيفة معلقة في سيفه فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات - فقد كذب<sup>(٣)</sup>. وفيها قال رسول الله ﷺ: «المدينة حرم ما بين جبل عير إلى ثور، من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً، ومن ادعى إلى غير أبيه أو اتقى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»<sup>(٤)</sup>.

فهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رضي الله عنه يرد على فرقة الرافضة زعمهم أن رسول الله ﷺ أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد

(١) صحيح البخاري، ك. المغازي، باب مرض النبي (٤١٩٠)، صحيح ابن حبان، ك. التاريخ، باب مرض النبي ﷺ، ح (٦٦٠٣).

(٢) صحيح مسلم، ك. الوصية، باب ترك الوصية، (٤٢٠٣) البيهقي: السنن، ك. الوصايا، باب من قال بنسخ الوصية، (١٢٨١٦).

(٣) ابن حنبل: المسند، مسند علي رضي الله عنه، ح (٦١٦)، أبو يعلى: المسند، ك. وياب مسند علي رضي الله عنه (٢٦٣).

(٤) مسلم: صحيح مسلم، ك. العتق، باب تحريم تولي العتيق غير مواليه، ح (٣٧٧٣).

ذلك أحد من الصحابة؛ فإنهم كانوا أطوع لله ولرسوله ﷺ في حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه؛ فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلاً ولم؟<sup>(١)</sup> وهذا ما يسقط كل أعذار الذين يحسنون الظن في الرفضة.

عن صَعْصَعَةَ بنِ صُوحَانَ. قال: دخلنا على علي رضي الله عنه حين ضربه ابن ملجم، فقلنا: يا أمير المؤمنين، استخلف علينا. قال: لا، ولكن أترككم كما تركنا رسول الله ﷺ؛ دخلنا على رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، استخلف علينا. فقال: «لا، إن يعلم الله عز وجل فيكم خيراً يولّ عليكم خيَارَكُم»، قال علي رضي الله عنه: فعلم الله فينا خيراً، فولّى علينا أبا بكر<sup>(٢)</sup>. علي يقول: أبو بكر خيرنا، والرفضة يقولون: هو شرنا، ويزعمون أنهم من أتباع علي رضي الله عنه، حاشاه أن يكون أتباعه الزنادقة ومبغضي قومه العرب ورافضي دينه الكتاب والسنة.

عن عبد الرّحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: أقبل رجلٌ يتخلص الناس، حتى وقف على علي رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، ما بال المهاجرين والأنصار قدّموا أبا بكر وأنت أوفى منه منقبةً، وأقدم منه سلماً، وأسبق سابقة؟ قال: إن كنت قُرُشياً فأحسبك من عائذة؟ قال: نعم. قال: لولا أن المؤمن عائد الله لقتلتك، ولأخلص إليك روعك حصداً، ويحك إن أبا بكر رضي الله عنه سبقني إلى أربع، لم أُبْرَهَنَ ولم أعتض منهن؛ سبقني إلى الإيمان وتقديم الهجرة، وإلى الغار، وإفشاء الإسلام، وإتي يومئذ في الشعب الأقصى تستحققني قریش، أظهر الدين وأخفيه، ولو أن أبا بكر رضي الله عنه دخل على مشورة الجيش بشراك الرأي لصار الناس ككرعة أصحاب طالوت، ويحك إن الله ذم الناس كلهم ومدح أبا بكر فقال: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن كثير: السيرة، ٤/٤٩٩.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٨٩.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

ولما فرغ علي رضي الله عنه من يوم الجَمَل قال: إن النبي ﷺ لم يعهد إلينا في الإمارة شيئاً، ولكنه رأي رأينا، فإن يك صواباً فمن الله، وإن يك خطأ فمن قِلنا، ولي أبو بكر رضي الله عنه فأقام واستقام، ثم ولي عمر فأقام واستقام، حتى ضرب الإسلام بجرانه، ثم إن أقواماً طلبوا الدنيا فيعفو الله عن من يشاء، ويعذب من يشاء<sup>(١)</sup>. فيتين مما سبق أن علياً رضي الله عنه لا يدع مناسبة إلا ويذكر بفضل أبي بكر رضي الله عنه، والرافضة السبئية لا يدعون موقفاً إلا ويؤكدون فيه مخالفتهم لعلي، وطعنهم فيمن يزيه، والعجيب أنه ما زال في المسلمين من يعتقد أن فيهم ولاء للدين، أو محبة لعلي رضي الله عنه العربي الهاشمي السائر على هدي سنة النبي ﷺ.

وقيل لعلي رضي الله عنه: استخلف علينا. فقال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً جمعهم على خيرهم، كما جمعهم بعد نبينهم ﷺ على خيرهم<sup>(٢)</sup>. وقد اجتمعت الأمة بعد قول علي هذا على أمير المؤمنين معاوية.

فمن ظن بالصحابة تقديم غير من قدم رسول الله ﷺ، فقد نسبهم إلى الفجور، ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ ومضاداته في حكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربة الإسلام وكفر بإجماع الأئمة الأعلام، وكان إراقة دمه أحل من إراقة المدام<sup>(٣)</sup>.

ثم لو كان مع علي رضي الله عنه نص فلماذا لم يحتج به على الصحابة لإثبات إمارته عليهم وإمامته لهم؟ فإن لم يقدر على تنفيذ ما معه من النص كما يزعمون فهو عاجز، والعاجز لا يصلح للإمارة، وإن كان يقدر ولم يفعله، كما يروجون فهو خائن، والخائن

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٩١ وقوله: «لم أبزهن» أي: لم أسلبهن، يقال: بزّه أي: سلبه.

مختار الصحاح مادة (بزز).

(٢) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، (١٧٠٤٠).

(٣) ابن كثير: السيرة، ٤/٤٩٩.

الفاسق مسلوب معزول عن الإمارة، وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل، وإذا كان كذلك فكيف عرفه وعلمه من بعده! وهذا محال وافتراء وجهل وضلال، ومكر متواصل لصناعة أسباب الفتن وتغذية الحقد على السنة النبوية.

وإنما يحسن هذا في أذهان الجهلة الطغام والمغترين من الأنام، يزينه لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان، بل بمجرد التحكم والهديان والإفك والبهتان. عيادًا بالله مما هم فيه من التخليط والخذلان، والتخبيط والكفران، وملادًا بالله بالتمسك بالسنة والقرآن، والوفاء على الإسلام والإيمان، والموافاة على الثبات والإيقان وتثقيل الميزان، والنجاة من النيران والفوز بالجنان إنه كريم منان رحيم رحمان<sup>(١)</sup>.

وما نسبه جهلة القصاص إلى رسول الله ﷺ من الوصية إلى علي رضي الله عنه - ينقضه الحديث الثابت السابق عن علي رضي الله عنه، وفيه ردّ على متقولة كثير من الطرقية والقصاص الجهلة في دعواهم التي استقوها بغفلتهم من أعداء الصحابة، أن النبي ﷺ أوصى إلى علي بأشياء كثيرة يسوقونها مطولة: يا علي افعل كذا، يا علي لا تفعل كذا، يا علي من فعل كذا كان كذا وكذا، بألفاظ ركيكة ومعانٍ أكثرها سخيصة، وكثير منها صحفية لا تسوى تسويد الصحيفة. والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

وكذلك رده ﷺ على من قال: يا رسول الله، لو أمرت غير أبي بكر أن يصلي بالناس. فقال ﷺ: «لا ينبغي لأمتي أن يؤمهم إمامٌ وفيهم أبو بكر»<sup>(٣)</sup>.

وقوله ﷺ: «اثنوني بأديم ودواة، فأكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه اثنان». ثم قال: «دعوه، معاذ الله أن يختلفوا في أبي بكر» مرتين<sup>(٤)</sup>. وهذا ما حصل بعد وفاة النبي ﷺ، فلم يخالف الصديق أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

(١) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٥٠٠. (٢) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٥٠١.

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٦١.

(٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٦٧.

وقول رسول الله ﷺ لأم المؤمنين الطاهرة في مرضه الذي توفي فيه ﷺ: «ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه أحدٌ بعدي»، ثم قال: «دعيه، معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر»<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن بن الحسن أخي عبد الله: إنه قال لرجل ممن يغلو فيهم: ويحكم أحبونا بالله فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا. فقال له رجل: إنكم ذوو قرابة من رسول الله ﷺ وأهل بيته. فقال: ويحكم لو كان الله نافعًا بقرابة رسول الله ﷺ بغير عمل بطاعته - لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أباه وأمه!! والله إنني أخاف أن يضاعف الله للعاصي منا العذاب ضعفين، والله إنني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين. قال: ثم قال: لقد أساء بنا آباؤنا وأمهاتنا؛ إن كان ما يقولون من دين الله ثم لم يخبرونا به، ولم يطلعونا عليه، ولم يرغبونا فيه، ونحن كنا أقرب منهم قرابة منكم، وأوجب عليهم وأحق أن يرغبونا فيه منكم، ولو كان الأمر كما يقولون: إن الله جلّ وعلا ورسوله ﷺ اختارا عليًا لهذا الأمر وللقيام على الناس بعده؛ فإن عليًا أعظم الناس خطيئةً وجرمًا؛ إذ ترك أمر رسول الله ﷺ أن يقوم فيه كما أمره، ويعذر إلى الناس. فقال له الرافضي: ألم يقل النبي ﷺ لعلي: «من كنت مولاه فعلي مولاه». فقال: أما والله لو يعني رسول الله ﷺ بذلك الأمر والسلطان والقيام على الناس لأفصح به؛ كما أفصح بالصلاة والزكاة والصوم والحج، ولقال: أيها الناس إن هذا هو الولي بعدي فاسمعوا وأطيعوا<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يظهر زيف الرافضة وفساد معتقدتهم وسوء نواياهم وأنه لا هم لهم في آل البيت ولا الدين ولا النبوة، وإنما همهم إفساد سنة محمد ﷺ، ومحوها من الوجود، وإيجاد دين بديل يسود فيه أعداء الصحابة بتشريعاتهم المناقضة لكتاب الله، وما جاء به رسوله ﷺ.

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق ٣٠/٢٦٨.

(٢) المحب الطبري: الرياض النضرة، ١/٣٨. خرج جميع الأذكار من أهل البيت الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسن السمان الرازي في كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين.

قال شيخ الإسلام: والتحقيق أن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر رضي الله عنه، وأرشدهم إليه بأمر متعددة؛ من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راضٍ بذلك حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهداً، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك: هل ذلك القول من جهة المرض، أو هو قول يجب اتباعه، ترك الكتابة اكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فلو كان التبيين مما يشبهه على الأمة لبينه رسول الله بياناً قاطعاً للعدر، لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين، وفهموا ذلك - حصل المقصود، ولهذا قال عمر بن الخطاب في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر. ولما قال يوم السقيفة بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ لم ينكر ذلك منكر ولا قال أحد من الصحابة: إن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه<sup>(١)</sup>.

فهذه الأحاديث وما يوافقها مما جاء في الصحاح فيما سبق توضيحه وبيانه، فيها أيضاً إجماع لباعة السنة النبوية في أسواق المنافع والتلميح وتيه الخطاب وضياع الولاء، ممن يزعمون أنه لا فرق بين أهل السنة النبوية وبين قتلة الشهداء الراشدين عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، أولئك الذين يدينون باستباحة دماء وأعراض وأموال أهل السنة ودمار عقيدتهم، وما يترتب على ذلك من تضليل لأهل السنة وبهتان على أئمتهم وتزيين لغدر الرافضة بالأمة، وما في ذلك أيضاً من المخاطر التي تفرز الفرقة والتناحر وموت الولاء وتمزيق هوية أهل السنة النبوية واستباحتهم في كل شؤونهم، يغذي ذلك مكر أعداء الصحابة وبهتانهم وقلبهم للحقائق وتظاهرهم الدائم بالمظلومية الكاذبة، وهم أئمة الظلم والفجور والضلالة، وكيف لا يكون من يستحل دماء الراشدين كذلك؟ بل هو أخطر على الأمة وأنكى، ومن لم يعتبر بالمصائب التي حاقت بأهل السنة ويحذر غدر أعداء الصحابة ومن يدعو إلى مودتهم، فلن يعتبر - ولو رأى الجبال ينطح بعضها بعضاً - لأنه ميت القلب، معدوم الولاء، فاسد العقيدة.

(١) ابن كثير: السيرة، ١٠٠.

وقد ظهرت مخاطر رفض السنة وتكفير الصحابة في هذا العصر أكثر من أي وقت مضى وشواهد ذلك كثيرة على أكثر من ساحة؛ منها انسياح عقيدة الرفض بين المحسوبين على أهل السنة في أكثر من قطر من أقطار الإسلام وإنشأؤهم الأحزاب والجمعيات والميليشيات الطائفية القائمة على حرب السنة النبوية ومسالمة أعدائها من الغزاة والمحتلين، وكذلك المجالات والجرائد والفضائيات الطائفية وتدريب المراسلين وإعداد المذيعات والمذيعين وبث الألفاظ والرموز والأزياء والمصطلحات الطائفية، وبذل الأموال والأوقات والمغريات لنصرة كل ذلك، ورعاية أبنائهم على تلك الأسس الطائفية المقيتة، وتغذيتهم بكل موروث الحقد والغدر بالأمة، وإرضاعهم كراهية وبغض العرب السنة من دون البشر، من لدن أصحاب رسول الله ﷺ إلى هذه الساعة، والتأكيد على ذلك في كل مناسبة وغير مناسبة.

والعمل المستمر على إنشاء المعابد المضادة للمساجد تحت مسميات مختلفة لكنها جميعاً تتفق على مواجهة التوحيد ومحاربة ما جاء به النبي ﷺ من عقيدة لا إله إلا الله والاستعاضة عن ذلك بربط عقائد أتباعهم بالقبور والمزارات والعمل الدائم على إنشائها في كل مدينة وقرية؛ لتكون نقطة ارتكاز واجتماع وانطلاق نحو الهدف الكبير لدين أعداء الصحابة المتمثل في سحق السنة وأهلها بأي وسيلة كانت، حتى أصبح الناس يشاهدون كيف تتساقط أعداد هائلة من الغوغاء التي تحسب على السنة النبوية، ممن عرضوا دينهم للبيع في أسواق الكساد والمهانة، وانعدام الكرامة أمام دريهمات معدودة، أو بعض الشهوات القذرة، وإن هذا وغيره من العورات المكشوفة، والسوءات المفضوحة لم يعد خافياً على أحد من العقلاء والمراقبين، ومما زاد الطين بلة - كما يقال - الجهل الفاضح لكثير من علماء السنة بحقيقة الرفض وأخطاره.

يقابل كل ما سبق ضعف الأداء الفكري والثقافي المبني على عقيدة السنة التي سار عليها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تجد ما يقابل أدوات الرفض ومصطلحاته ومغرياته وطائفيته، أو ما يواجهها، ويسد منافذها، ويكشف بواطنها، ويظهر عوارها للمغفلين والمغرر بهم والمضبوعين.

والأمر والأدهى أن أعداء الصحابة يصرخون بكل أبواقهم وأفعالهم أنهم طائفيون ويؤكدون في كل فرصة أنهم الشر المستطير على السنة وأهلها وعقيدتهم وثوابتهم، وكثير ممن يسمون بعلماء السنة إلا من رحم الله يجترون الزيف والتضليل، وينشرون الخداع والوهن والعجز، فلا يقولون خيرًا ولا يصمتون، حتى أصبحت معاولهم الهدامة تمهد كل السبل لتمدد عقيدة محو السنة، فمن قائل الخلاف مع أعداء السنة سياسي، ومن قائل هم إخواننا يجب مناصرتهم على هدم السنة بدمار المساجد وحرق المصاحف وقتل القراء والحفاظ وتشديد المعابد على القبور وصرف الناس إليها بدلًا من الكعبة المشرفة، إلى غير ذلك من بلايا ورزايا؛ أسهم كثير من علماء السنة وأتباعهم بالتمكين لها بين أهل السنة المنكوبين بإقصاء عقيدتهم، وغياب واليهم، والجهل بمرجعيتهم.

ومما أسهم في التمكين لأعداء السنة أيضًا بخل الكثير من أصحاب الأموال ممن يزعمون أنهم من أهل السنة، وإحجامهم عن النصره والمواساة، وتكديسهم الذهب والفضة، وتقديم نفعهما لأصحاب المعاول الهدامة وتسخيرها في كل اتجاه إلا اتجاهها ينفع السنة النبوية وينصر أهلها، مما أسهم في نشر الردة والرفض تحت بريق دنائير أعداء الصحابة وبذلهم من أجل نشر عقيدتهم المحاربة لله ولرسوله ﷺ.

وفي الوقت الذي يرمى فيه أغنياء وسلاطين الرافضة أبناء عقيدتهم ويغذونهم بكل ما يعينهم على خدمتها والتمكين لها، فإن كثيرًا من أغنياء السنة وسلاطينهم، ولا سيما العرب منهم، يخنقون أبناء عقيدتهم، ويثدونهم، ويبيعونهم، ويعملون كل ما في وسعهم للحيلولة بينهم وبين من ينصر السنة ويحمي أبناءها ويحفظ أمتها، فأى نتيجة ترتجى أمام هذه المعادلات المقلوبة والمخاطر المحدقة، ولا سيما أن الأقليات داخل الأمة في هذا العصر، تتكاتف، وتنظم جهودها على أسس من عقائدها، حتى لو كانت متناقضة أو فاسدة ومخالفة للعقل والعلم، فتسخر طاقاتها ضد الأمة وهويتها بالتآمر أو الجاسوسية أو التحالف مع الغزاة أو غير ذلك إلا ما شاء الله منهم، وهم قليل في هذا العصر، وأهل السنة ما زال الكثير منهم في صراعات حزبية وتناحرات إقليمية لا يشفق بعضهم على بعض ولا ينصر

بعضهم بعضًا إلا من رحم الله، وهذه حالة مزرية منذرة بشرور مستطيرة لم تمر بها الأمة في أسوأ مراحلها؛ إذ إن الحالة في هذا العصر عامة شاملة، بينما مرت بهذه الأمة أحوال ونكبات مشابهة لكنها لم تكن بهذا الشمول، ولم تكن مزمنة، كما هو الحال في هذا العصر، فضلًا عن أنه كان يتصدى لها العلماء المخلصون، وكثير من الحكام، بعكس ما تعانيه الأمة في هذا العصر العصب الذي غاب فيه نصح العلماء وغيره الحكام، ولم يعد من رجاء إلا الله تعالى في أن يتدارك السنة وأهلها بلطفه ورحمته، فينهجوا نهج نبيهم ﷺ وأصحابه، وفي مقدمتهم خليفته الصديق رضي الله عنه ليقوموا ما اعوج ويصلحوا ما فسد.

### أدلة من قال بالنص على خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

إن النصوص التي تؤكد إمامة خليفة رسول الله ﷺ كثيرة وصحيحة لا ترد ولا تحتاج إلى تأويل أو تفسير، وقد فهمها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم، ولم يتردد أحد منهم عن العمل بها والتضحية من أجلها، وكل ما يثار حولها من شبهات فإنما هو من صنع أعداء الصحابة ومن امتطوه ممن يزعم أخوتهم ومودتهم، ويدعو إليها، وهم على ما هم عليه من بغض الصحابة وكرهية السنة وأهلها الأطهار، ومن هنا فإن علامة الزندقة ووسائل هدم الإسلام ظاهرة بأيدي من يدعو إلى إبطال ما أجمع عليه المهاجرون والأنصار ومن سار على دربهم المنير في بناء السنة ونشر الإسلام في العالمين على مر القرون التي عاشتها الأمة واستدل من قال بالنص على أبي بكر رضي الله عنه.

قال ابن حزم: واحتج من قال: لم يستخلف - بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر أن عمر رضي الله عنه قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني أبا بكر - وإن لم أستخلف فلم يستخلف من هو خير مني - يعني رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري: ك. الأحكام، باب: الاستخلاف، ح (٦٧٩٢)، ابن حبان: صحيح ابن حبان، ك. السير، باب في الخلافة، ح (٤٤٧٨)، الحاكم: المستدرک، ك. معرفة الصحابة، باب، مقتل عمر، (٤٥٢١).

وبما روي عن الطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها سُئلت؛ من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف؟

قال: ومن المحال أن يعارض إجماع الصحابة الذين ذكرنا عنهم والأثران الصحيحان المسندان إلى رسول الله ﷺ من لفظه، بمثل هذين الأثرين الموقوفين على عمر رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها، مما لا تقوم به حجة ظاهرة؛ فقد يكون خفي عليه ذلك كما خفي عليه بعض أمر رسول الله ﷺ كالاستئذان وغيره ولم يكن استخلافه ﷺ لأبي بكر بعهد مكتوب.

قال: والمقصود هنا: البيان لكلام الناس في خلافته؛ هل حصل عليها نص خفي أو جلي؟ وهل ثبتت بذلك أو بالاختيار من أهل الحل والعقد؟ فقد تبين أن كثيراً من السلف والخلف قالوا فيها بالنص الجلي أو الخفي، وحيث قد بطل قبح الرافضي في أهل السنة بقوله: إنهم يقولون: إن النبي ﷺ لم ينص على إمامة أحد، وإنه مات عن غير وصية، وكذلك هذا القول لم يقله جميعهم، فإن كان حقاً فقد قاله بعضهم، وإن كان الحق هو نقيضه، فقد قال بعضهم ذلك<sup>(١)</sup>.

ومما يشير إلى النص على أبي بكر رضي الله عنه ما جاء في قوله ﷺ في مرضه للطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «ادعي لي أبا بكر أباك، وأخاك، حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمنٌ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ: «أئتوني بأديم ودواة، فأكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه اثنان»، ثم قال: «دعوه، معاذ الله أن يختلفوا في أبي بكر» مرتين<sup>(٣)</sup>. وقوله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه: «... معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر»<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ١/١٢٦.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٦١٨١).

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٦٧.

(٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٦٨. الألباني: ظلال الجنة، ٢/٣٢٠. الطحاوي: شرح العقيدة الطحاوية، ١/٤٧٠. منهاج السنة: ١/٤٩٢.

وقال أنس: بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سل لنا رسول الله ﷺ إلى من ندفع صدقاتنا بعدك؟ قال: فأتيته فسألته فقال: «إلى أبي بكر» فأتيتهم فأخبرتهم فقالوا: ارجع إليه فسله فإن حدث بأبي بكر حدث فألى من؟ فأتيته فسألته فقال: «إلى عمر رضي الله عنه» فأتيتهم فأخبرتهم. فقالوا: ارجع إليه فسله فإن حدث بعمر حدث فألى من؟ فأتيته فقال: «إلى عثمان رضي الله عنه» فأتيتهم فأخبرتهم. فقالوا: ارجع إليه فسله فإن حدث بعثمان حدث فألى من؟ فأتيته فسألته فقال: «إن حدث بعثمان حدث فتباً لكم الدهر تباً»<sup>(١)</sup>. ومعلوم أن دفع الصدقة لا يكون إلا للخليفة إذ هو المتولي قبض الصدقات.

وقد أشار القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(٢)</sup> إلى أن هذه الآية دليل على أحقية أبي بكر رضي الله عنه للخلافة بعد الرسول ﷺ، واختيار النبي ﷺ له من بين جميع أصحابه لمصاحبتة في الهجرة فكان له شرف الخروج مع رسول الله ﷺ، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَكُونُ مَعَكَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَكُونُ مِنْ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، لَا يَلْبُثُ بَعْدِي إِلَّا قَلِيلًا، وَصَاحِبُ رَحَا دَارَةِ الْعَرَبِ يَعْيشُ حَمِيدًا، وَيَمُوتُ شَهِيدًا». فقال رجل: من هو؟ قال: «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ». ثم التفت رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فقال: «يَا عُثْمَانُ إِنَّ أَلْبَسَكَ اللَّهُ قَمِيصًا فَأَرَادَكَ النَّاسُ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعُهُ فَوَاللَّهِ لَئِنْ خَلَعْتَهُ لَا تَرَى الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ»<sup>(٤)</sup>.

- (١) الحاكم: المستدرک، ك. معرفة الصحابة، باب: أبو بكر رضي الله عنه، ح (٤٤٦٠). قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
- (٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.
- (٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠. دحلان: الفتح المبين، ١/ ٣٠، شبير: عصر الصديق، ٧٢.
- (٤) مجمع الزوائد: (٨٩١٨)، ابن عساکر: تاريخ دمشق، (١٨٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فأخذ حصيات فسبحن في يده، ثم وضعهن فخرسن، ثم أخذهن فسبحن في يده، ثم أعطاهن أبا بكر فسبحن في يده، ثم وضعهن فخرسن، ثم أخذهن النبي ﷺ فسبحن في يده، ثم وضعهن فخرسن، ثم أعطاهن عمر فسبحن في يده، ثم أخذهن النبي ﷺ فسبحن في يده، ثم وضعهن فخرسن، ثم أعطاهن عثمان رضي الله عنه فسبحن في يده، ثم أعطاهن علياً رضي الله عنه فوضعهن فخرسن<sup>(١)</sup>.

وقد استنبط الفاروق رضي الله عنه أفضلية الصديق رضي الله عنه وأحقيته للخلافة بعد رسول الله ﷺ من هذه الآية حيث قال تأييداً لبيعة الصديق رضي الله عنه: من له هذه الثلاثة: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾، من هما؟ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾، من صاحبه؟ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾<sup>(٢)</sup>، مع من؟ فقال: بايعوه، فبايع الناس أحسن بيعة وأجملها<sup>(٣)</sup>.

وكان النبي ﷺ أمر بإمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه والوحي ينزل عليه فلم يغير ﷺ عليه هذا الأمر، فكان خلافة الصديق رضي الله عنه بأمر من الله في حياة رسول الله ﷺ حيث أقامه لإمامة المسلمين وسكت الله عن ذلك ورضي المؤمنون فكانت خلافته بالنص والإجماع.

قال الشعبي: خص الله تبارك وتعالى أبا بكر الصديق رضي الله عنه بأربع خصال لم يخصص بها أحداً من الناس: سمّاه الله تعالى الصديق ولم يسمّ أحداً الصديق غيره، وهو صاحب الغار مع رسول الله ﷺ، وهو صاحب النبي ﷺ ورفيقه في الهجرة إلى المدينة، وأمره رسول الله ﷺ بالصلاة والمسلمون شهود<sup>(٤)</sup>.

(١) مجمع الزوائد (٤٢٩٨) قال الزهري: هي الخلافة التي أعطاها الله أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٣) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، (١٧٠١٦)، شبير: عصر الصديق، ٩١.

(٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٦٤.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير، فأتاهم عمر رضي الله عنه فقال: يا معشر الأنصار، أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يؤمّ الناس؟ فأيكم تطيبُ نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ قالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر<sup>(١)</sup>.

وقال حُميد بن عبد الرَّحمن: انطلق أبو بكر وعمر يتماشيان حتى أتوهم في السقيفة فتكلم أبو بكر، فلم يترك شيئاً أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا ذكره، وقال: لقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال: «لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار واديًا سلكت وادي الأنصار»، ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: «قريش ولاة هذا الأمر، وبرّ الناس تابع لبرّهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم». قال: فقال له سعد: صدقت، نحن الوزراء وأنتم الأمراء<sup>(٢)</sup>.

ولما توفي رسول الله ﷺ كان أبو بكر رضي الله عنه في بيته بالسُّنح بعالية المدينة واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة فقال أبو بكر: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال عمر: نبايعك، أنت سيّدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ. فبايعه، وبايعه الناس<sup>(٣)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه: كان أبو بكر أحبنا إلى رسول الله ﷺ، وكان سيّدنا وخيرنا<sup>(٤)</sup>. قال عثمان بن عفّان رضي الله عنه: إن أبا بكر الصديق أحقّ الناس بها - يعني بالخلافة - إنه لصديق، وثاني اثنين، وصاحب رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٧١، البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، (١٧٠٥٩).

(٢) ابن حنبل: المسند، مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه (١٩)، الألباني: السلسلة الصحيحة، (١١٥٦)، الحكمي: معارج القبول، ح (١١٣٣).

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٧٤. (٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٧٥.

(٥) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٧٦.

عن أبي بكر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من رأى منكم رؤيا؟» فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء، فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

وشاهده حديث سفينة مولى أم سلمة رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح أقبل على أصحابه فقال: «أيكم رأى الليلة رؤيا؟» قال: فصلى ذات يوم. فقال: «أيكم رأى رؤيا؟» فقال رجل: أنا رأيت يا رسول الله كأن ميزانا دلي به من السماء فوضعت في كفة ووضع أبو بكر في كفة أخرى فرجحت بأبي بكر فرفعت وترك أبو بكر مكانه، فجيء بعمر بن الخطاب فوضع في الكفة الأخرى فرجح به أبو بكر فرفع أبو بكر؛ وجيء بعثمان فوضع في الكفة الأخرى فرجح عمر بعثمان ثم رفع عمر وعثمان، ورفع الميزان قال: فتغير وجه رسول الله ﷺ ثم قال: «خلافة النبوة ثلاثون عامًا ثم تكون ملكًا». قال سعيد بن جهمان فقال لي سفينة: أمسك سنتي أبي بكر، وعشر عمر، واثنى عشرة عثمان، وست علي رضي الله عنهم، وقد أسندت هذه الروايات بإسناد صحيح مرفوعًا إلى النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «أري الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ، ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر». قال جابر رضي الله عنه: فلما قمنا من عند النبي ﷺ قلنا: الرجل الصالح النبي ﷺ، وأما ما ذكر من تنوط بعضهم بعضًا فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه ﷺ<sup>(٣)</sup>.

(١) الحاكم: المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٣٧). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٢) الحاكم: المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٦٢). الحاكم: المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٣٨).

(٣) الحاكم: المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٣٩). ولهذا الحديث إسناد صحيح عن أبي هريرة، ولم يخرجاه، أبو داود: سنن أبي داود، ك. السنة. باب في الخلفاء، ح (٤٦٣٦). قال أبو داود: رواه يونس وشعيب ولم يذكر عمرو بن أبان.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن رجلاً أتى إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أرى الليلة ظلة ينظف منها السمن والعسل، فأرى الناس يتكفون بأيديهم، فالمستكثر والمستقل، وأرى سبباً واصلاً من السماء إلى الأرض، فأراك يا رسول الله أخذت به فعلوت به، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع، ثم وصل فعلا به، قال أبو بكر: بأبي وأمي لتدعني فلا عبرتها، فقال ﷺ: «اعبرها». قال: أما الظلة فظلة الإسلام، وأما ما ينظف من السمن والعسل فهو القرآن: لينه وحلاوته، وأما المستكثر والمستقل فهو المستكثر من القرآن والمستقل منه، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فهو الحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيعليك الله، ثم يأخذ به بعدك رجل فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع، ثم يوصل له فيعلو به، أي رسول الله، لتحدثني أصبت أم أخطأت؟ فقال: «أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً» فقال: أقسمت يا رسول الله لتحدثني ما الذي أخطأت؟ فقال النبي ﷺ: «لا تقسم»<sup>(١)</sup>.

وعن سمرة بن جندب أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني رأيت كأن دلوًا دلي من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء<sup>(٢)</sup>.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن الله نظر في قلوب العباد بعد قلب مُحَمَّدٍ ﷺ فوجد قلوب أصحابه رضي الله عنهم خير قلوب العباد بعد قلبه، فجعلهم وزراء نبيه ﷺ يقاتلون على دينه، فما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون سيئاً فهو عند الله سيئ<sup>(٣)</sup>.

(١) أبو داود: سنن أبي داود، ك. السنة. باب في الخلفاء، ح (٤٦٣٢).

(٢) أبو داود: سنن أبي داود. ك. السنة. باب في الخلفاء، ح (٤٦٣٧).

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٩٤.

وقال عبد الله رضي الله عنه: ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

وقال علي والزبير: إنا لنرى أن أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ وإنه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعرف له شرفه، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ لِنَقُولُ نَبَأَهُمْ أَوْ يُسْئَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> قال ابن قتيبة: القوم هم بنو حنيفة، والداعي إلى قتالهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقال آخرون: هم أهل فارس، والداعي إلى قتالهم عمر رضي الله عنه، وهذه الآية تدل على خلافة أبي بكر وعمر وإمامتهما إذ وعد الله المطيع له بالثواب، ووعد العاصي بالعقاب، لأنه قال: ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن قتيبة: قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٥)</sup> فالمراد بهذا القول صحابة رسول الله ﷺ؛ لأنهم كانوا الخائفين في صدر الإسلام وقبل الهجرة، والمستضعفين، ثم وجدوا بعد هذا جميع ما وعدهم الله به من النصر والظهور والعز، وقوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: يعني بعد النبي ﷺ<sup>(٦)</sup>.

وفي تاريخ ابن عساکر قال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: دلالة ولاية أبي بكر رضي الله عنه من القرآن قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ

(١) الحاكم: المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٦٥) هذا حديث صحيح

الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) الصالحی: سبل الهدی، ٣١٧/١٢.

(٣)، (٤) سورة الفتح، الآية: ١٦. (٥) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٦) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/٢٩٥.

شَدِيدٍ يُقَنِّلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ<sup>١</sup> فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا<sup>(١)</sup>. وهم قوم مسيلمة قاتلهم أبو بكر بجند الخلافة حتى أسلموا.

وقال الحافظ الإمام محدث واسط، عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي: الذين وقع عليهم اسم الخلافة ثلاثة، قال الله عز وجل لآدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً<sup>(٢)</sup>﴾، قال ابن عباس: فأخرجه الله من الجنة قبل أن يدخله فيها؛ لأنه خلفه على الأرض خليفة فيها، وقوله تعالى لداود: ﴿بِنَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ<sup>(٣)</sup>﴾، وأجمع المهاجرون والأنصار على خلافة أبي بكر، وقالوا له: يا خليفة رسول الله. ولم يسم أحد بعده خليفة، وتوفي النبي ﷺ عن أكثر من مائة ألف من الصحابة كلهم قال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله ورضوانه، ومن بعده رضي الله عنه إلى حيث انتهينا، قيل لهم: أمير المؤمنين<sup>(٤)</sup>. وعليه فكل من لا يقول بقول الصحابة والسلف من بعدهم فليس من أمتهم، وكل من يؤاخي أعداء الصحابة ممن لا يقول بخلافة وإمامة أبي بكر رضي الله عنه فهو منهم، وإن زعم أنه من أهل السنة؛ لأن السنة والردة لا تجتمعان أبداً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ على كل مؤمن ومؤمنة<sup>(٥)</sup>.

عن مُحَمَّد بن الزُّبَيْر الحنظلي، قال: سمعت الحسن يقول: والله الذي لا إله إلا هو لقد استخلف رسول الله أبا بكر<sup>(٦)</sup>.

عن مُحَمَّد بن الزُّبَيْر، قال: أرسلني عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري أسأله عن

(١) سورة الفتح، الآية: ١٦، ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٩٦/٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٩٦/٣٠.

(٥)، (٦) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٩٧.

أشياء، فصعدت إليه، فإذا هو متكئ على وسادة من آدم، فقلت: أرسلني إليك عمر أسألك عن أشياء، فأجابني فيما سألته، وقال: اشفني فيما اختلف فيه الناس، هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر؟ فاستوى الحسن قاعدًا فقال: أوفي شك هو، لا أبا لك؟ أي والله الذي لا إله إلا هو لقد استخلفه، وهو كان أعلم بالله وأتقى له، وأشد له مخافة من أن يموت عليها لو لم يأمره<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾<sup>(٢)</sup> قال: أتدرون من هم؟ هم والله أبو بكر وأصحابه<sup>(٣)</sup>.

وعن معاوية بن قرة قال: ما كان أصحاب رسول الله يشكون أن أبا بكر خليفة رسول الله، وما كانوا يسمونه إلا خليفة رسول الله، وما كانوا يجتمعون على خطأ أو ضلالة. وما كانوا يكتبون إلا إلى أبي بكر خليفة رسول الله، وما كان يكتب إلا من أبي بكر خليفة رسول الله، فما زالوا كذلك حتى توفي رضي الله عنه، فلما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرادوا أن يقولوا: خليفة خليفة رسول الله، قال عمر: هذا يطول، قالوا: لا، ولكننا أمرناك علينا، فأنت أميرنا، قال: نعم. أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فكتب أمير المؤمنين<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو بكر بن عيَّاش الأسدي الكوفي: أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله في القرآن لأن الله تعالى يقول: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾<sup>(٥)</sup> فمن سماه الله صادقًا فليس يكذب، والصادقون هم قالوا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٢٩٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٣) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/٣٠٩.

(٤) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٢٩٧.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٨.

(٦) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/٢٩٦.

وقال أيضًا: قال لي الرشيد: يا أبا بكر، كيف استخلف الناس أبا بكر الصديق رضي الله عنه؟ قلت: يا أمير المؤمنين، سكت الله وسكت رسوله ﷺ وسكت المؤمنون. قال: والله ما زدني إلا عمى. قلت: يا أمير المؤمنين، مرض النبي ﷺ ثمانية أيام فدخل عليه بلال فقال: يا رسول الله، من يصلي بالناس؟ قال: «مُرُّ أبا بكر يُصَلِّي بالناس»، فصلى أبو بكر بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل، فسكت رسول الله ﷺ لسكوت الله وسكت المؤمنون لسكوت رسول الله ﷺ. فأعجبته، فقال: «بارك الله فيك»<sup>(١)</sup>. أي أن الوحي أقر خلافة الصديق.

وقال رجل من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ في مجلس فيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق: والله ما كان لرسول الله ﷺ من موطن إلا وعلي معه فيه، فقال القاسم: يا أخي، لا تحلف. قال: هلم. قال: بلى ما لا ترده، قال الله تعالى: ﴿ثَاقِبَ أَنتَيْنِ إِذْ هَمَا فِي الْغَارِ﴾<sup>(٢)</sup> واستخلفه رسول الله ﷺ على أمته من بعده؛ بما أظهر من الدلائل البيّنة على محبته في ذلك بالتعريض الذي يقوم مقام التصريح، وكان لا يصنع شيئاً في دين الله إلا بوحي، والخلافة ركن من أركان الدين، ومن الدلائل الواضحة على ما قلنا: قوله ﷺ للمرأة: «إن لم تجدني فائتي أبا بكر» وقوله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر»<sup>(٣)</sup>.

عن أبي وائل قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ألا تستخلف علينا؟ قال ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم ﷺ على خيرهم<sup>(٤)</sup>.

فيظهر من كل ما سبق أن الأدلة على خلافة أبي بكر رضي الله عنه ما بين آيات من

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٩٨/٣٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٣) الحاكم: المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٦٤)، البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، (١٧٠٥٧).

(٤) الحاكم: المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٦٧)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

كتاب الله أو أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ أو أقوال أصحابه رضي الله عنهم وشهاداتهم أو إجماعهم على تقديمه إمامًا لهم وخليفة لنبينهم ﷺ، دون أي معارضة أو تردد، وهي أدلة قطعية لا ترد، وأن من يردّها إنما هو رافض للكتاب والسنة ولإجماع الأمة، وبالتالي فقولُه باطل مردود وهو متهم في دينه وفي أمانته وفي مقاصده ونواياه، وكل من يواليه ويسانده على باطله فهو موضع التهمة والريبة ولا سيما أنه قد ظهر من هذا الصنف في هذا العصر كثير ممن يزعم أنه من أهل السنة، ولكنه يزعم أيضًا أنه من إخوان مكذبي الكتاب والسنة، وأنه لا فرق بينه وبينهم، ومعلوم أن الفرق بين عمر رضي الله عنه وقاتله - لعنه الله - كما بين النور والظلام، فمن يزعم أنه يجمع النور والظلام في عين بصيرة فإنما هو فاقد للعقل وللدين، وهذا شأن من يزعم أنه من أهل السنة وأنه يحب قتلة الشهيد الفاروق عمر رضي الله عنه، ويوالي من يستبيح السنة النبوية وأهلها!! ويزعم أنه لا فرق بين الرافضة السبئية وبين أهل السنة النبوية.

ولهذا أصبح هذا الأمر من المحاذير التي لا يخوض صعباها إلا من أسقط من مقياسه إجماع الأمة، وما يربط بينها من نصوص الكتاب والسنة، فالتقحم إلى حياض خليفة رسول الله علامة على الزندقة والرفض والردة عند كل عقلاء الأمة، لا يشذ عن ذلك إلا عقيم الفهم فاسد الاعتقاد.

قال سفيان: ما أحسب أن الله يقبل لمن أساء الظن بالمهاجرين الأولين من مقدمة أبي بكر وعمر صومًا ولا صلاة، ولا يصعد له إلى السماء عمل<sup>(١)</sup>. لا شك أن من هذه حاله في حرب أولياء الله ورد إجماع خير جيل إنما هو ساقط الإيمان والعمل؛ وبالتالي فإن من يدعو إلى مودة من يسيء الظن بأصحاب رسول الله ﷺ لا يقل شرًا، بل هو أكثر ضررًا على الأمة، وذلك أن أمره غير مكشوف للعامة الذين لا يميزون بين من يحبهم وبين من يحقد عليهم، والله ولي السرائر وإليه المرجع والمآل.

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٩٨.

## نصوص تؤكد خلافة أبي بكر رضي الله عنه وإمامته للأمة:

النصوص التي تؤكد خلافة أبي بكر رضي الله عنه وإمامته للأمة كثيرة ظاهرة لا يعاندها إلا منافق جاحد، ويقبلها كل مؤمن صادق، وقد اختلف الناس في الإمامة بعد رسول الله ﷺ فقالت طائفة: إن النبي ﷺ لم يستخلف أحداً، ثم اختلفوا فقال بعضهم: لكن لما استخلف أبا بكر رضي الله عنه على الصلاة كان ذلك دليلاً على أنه أولاهم بالإمامة والخلافة على الأمر. وقال بعضهم: لا ولكن كان رضي الله عنه أئيبهم فضلاً فقدموه لذلك. وقالت طائفة: بل نص رسول الله ﷺ على استخلاف أبي بكر رضي الله عنه بعده على أمور الناس نصّاً جليّاً.

قال ابن حزم: وبهذا النص الجلي نقول لبراهين:

أحدها: إطباق الناس كلهم وهم الذين قال الله فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾<sup>(١)</sup> فقد اتفق هؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق وهم المهاجرون وجميع إخوانهم من الأنصار المفلحين رضي الله عنهم على أن سمّوه «خليفة رسول الله ﷺ». اهـ. فمن يرفض إجماعهم وخيارهم؟!

ومعنى الخليفة في اللغة: هو الذي يستخلفه المرء لا الذي يخلفه دون أن يستخلفه هو، لا يجوز غير هذا البتة في اللغة بلا خلاف. تقول: استخلف فلان فلاناً يستخلفه فهو خليفته ومستخلفه. فإن قام مكانه دون أن يستخلفه لم يقل إلا: خلف فلان فلاناً يخلفه فهو خالف. قال: ومحال أن يعنوا بذلك الاستخلاف على الصلاة لوجهين ضروريين:

أحدهما: أنه لم يستحق أبو بكر رضي الله عنه قط هذا الاسم على الإطلاق في حياة رسول الله ﷺ، وهو حيثند خليفته على الصلاة، فصح يقيناً أن خلافته المسمى بها هي غير خلافته على الصلاة.

(١) سورة الحشر، الآية: ٨.

والثاني: أن كل من استخلفه رسول الله ﷺ في حياته كعلي في غزوة تبوك، وابن أم مكتوم في غزوة الخندق وعثمان بن عفان في غزوة ذات الرقاع وسائر من استخلفه على البلاد باليمن والبحرين والطائف وغيرها لم يستحق أحد منهم قط بلا خلاف بين أحد من الأمة أن يُسمى خليفة رسول الله ﷺ فصح يقيناً بالضرورة التي لا محيد عنها أنها الخلافة بعده على أمته.

ومن المحال أن يجمعوا على ذلك وهو لم يستخلفه نصّاً، ولو لم يكن ههنا إلا استخلافه في الصلاة، لم يكن أبو بكر أولى بهذه التسمية من سائر من ذكرنا. وأما الخبر في ذلك عن أم المؤمنين رضي الله عنها فكذلك أيضاً. وقد يخرج كلاهما على سؤال سائل، وإنما الحجة في روايتهما لا في قولهما<sup>(١)</sup>.

ومن الممكن التعقيب على قول ابن حزم بأن رسول الله ﷺ استخلف كثيراً من أصحابه، لكنّ أحداً منهم لم يستحق اسم الخلافة، بأن هذا صحيح ولكن ما استُخلف فيه أبو بكر رضي الله عنه كان من خصوصياته، فهو قد استخلفه في الحج وإمارة المؤمنين فيه، وهذه خلافة لم تكن إلا لأبي بكر رضي الله عنه، وكذلك استخلافه في الصلاة في حياته وحضوره ﷺ ولم يكن ﷺ في سفر أو غزو، وقد كان أبو بكر رضي الله عنه في صحبته ﷺ دائماً، فهل يوجد بين أصحابه من استخلفه على الحج غير أبي بكر رضي الله عنه؟ وهل بينهم من استخلفه على الصلاة بحضوره ﷺ غيره؟ فإذا علم هذا وعلم إصرار رسول الله ﷺ على ألا يؤم المؤمنين غير صاحبه رضي الله عنه - تبين الفارق بين ما استخلف فيه وعليه أبو بكر رضي الله عنه وبين ما كان يكلف به غيره أثناء غياب النبي ﷺ ومعه أبو بكر رضي الله عنه، وهذا يؤكد أن الاستخلاف في الصلاة وفي الحج إنما هو من الأمور التي تؤكد خلافة النبوة وقيادة الأمة التي كان رسول الله ﷺ يؤكد بها بالإشارات والنصوص والفعل، حتى وعابها أصحابه رضي الله عنهم وعلموا مقاصدها فنفذوها بعد وفاته ﷺ على الوجه الذي يريده عليه الصلاة والسلام.

(١) ابن تيمية: منهاج السنة، ٤٩٩/١.

قال ابن تيمية: والمقصود هنا بيان كلام الناس في خلافة أبي بكر رضي الله عنه: هل حصل عليها نص جلي أو نص خفي؟ وهل ثبتت بذلك أو بالاختيار من أهل الحل والعقد؟ فقد تبين أن كثيرًا من السلف والخلف قالوا فيها بالنص الجلي أو الخفي، وحينئذ فقد بطل قبح الرافضي في أهل السنة بقوله: إنهم يقولون: إن النبي ﷺ لم ينص على إمامة أحد، وأنه مات من غير وصية، وذلك أن هذا القول لم يقله جميعهم، فإن كان حقًا فقد قاله بعضهم، وإن كان الحق هو نقيضه فقد قال بعضهم ذلك. فعلى التقديرين لم يخرج الحق عن أهل السنة، والزيف عن أهل الرفض والردة.

وبهذا يتبين أن القائلين بالنص على أبي بكر رضي الله عنه منهم من قال في النص الخفي، ومنهم من قال بالنص الجلي. وعندما سئل الحسن البصري هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر رضي الله عنه؟ قال: نعم. والله الذي لا إله إلا هو استخلفه ﷺ، وهو أتقى من أن يتوثب عليها. وقال ابن المبارك: استخلافه هو أمره أن يصلي بالناس، وكان هذا عند الحسن استخلافًا، وعن عبد الله بن جعفر قال: ولينا أبو بكر رضي الله عنه فخير خليفة أرحمه بنا وأحناه علينا. قال: وسمعت معاوية بن قرة يقول: إن رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر.

ثم القائلون بالنص على أبي بكر رضي الله عنه منهم من قال بالنص الجلي، واستدلوا على ذلك باتفاق الصحابة على تسميته خليفة رسول الله ﷺ قالوا: والخليفة إنما يقال لمن استخلفه غيره واعتقدوا أن الفعيل بمعنى المفعول، فدل ذلك على أن النبي ﷺ استخلف على أمته.

والذين نازعوا في هذه الحجة قالوا: الخليفة يقال لمن استخلفه غيره ولمن خلف غيره، فهو فعيل بمعنى فاعل، كما يقال: خلف فلان فلانًا. كما قال: «من جهز غازيًا فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا». وفي الحديث أيضًا: «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا».

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ رِجًا وَمَعَالًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١).  
 وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢). وقال  
 تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٣). وقال سبحانه:  
 ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَلْفَةِ فِي الْأَرْضِ فَأَجِبْ لَهُمْ سَابِقَ الْحَدِيثِ مِنَ اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَهُوَ  
 سُبْحَانَهُ عَنِ الظُّلْمِ إِنَّهُ كَانَ بَلَدًا بَصِيرًا ﴾ (٤). أي خليفة عمن قبلك من  
 الخلق، ليس المراد أنه خليفة على الله، والمقصود أن الله تعالى لا يخلقه غيره، فإن الخلافة  
 إنما تكون عن غائب، وهو سبحانه شهيد مدبر لخلقه لا يحتاج في تدبيرهم إلى غيره، وهو  
 سبحانه خالق الأسباب والمسببات جميعاً، بل هو سبحانه يخلف عبده المؤمن إذا غاب عن  
 أهله. وقيل لأبي بكر: يا خليفة الله. فقال: بل أنا خليفة رسول الله ﷺ، وحسبي ذلك (٥).

وقال: والمقصود هنا أن كثيراً من أهل السنة يقولون: إن خلافته ثبتت بالنص، وهم  
 يسندون ذلك إلى أحاديث معروفة صحيحة ولا ريب أن قول هؤلاء أوجه من قول من  
 يقول: إن خلافة علي أو العباس رضي الله عنهما ثبتت بالنص، فإن هؤلاء ليس معهم إلا  
 مجرد الكذب والبهتان، الذي يعلم بطلانه بالضرورة كل من كان عارفاً بأحوال الإسلام، أو  
 استدلالاً بالألفاظ لا تدل على ذلك. فيقال لهذا: إن وجب أن يكون الخليفة منصوصاً عليه،  
 كان القول بهذا النص أولى من القول بذلك، وإن لم يجب هذا بطل ذلك (٦). اهـ. وبذلك  
 تسقط حجج أعداء الصحابة وعقائدهم الواهمة القائمة على خرافة الوصية والوراثة.

- وقال: فقد ظهر لعامة الخلائق أن أبا بكر رضي الله عنه كان أخص الناس بمحمد ﷺ  
 فهذا النبي وهذا صديقه فإذا كان محمد ﷺ أفضل النبيين فصديقه أفضل الصديقين، فخلافة

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٤) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٥) انظر: منهاج السنة، ١/٥٠٦ - ٥١٠.

(٦) انظر: منهاج السنة، ١/٥١٦.

أبي بكر الصديق رضي الله عنه دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسول الله ﷺ له بها، وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختيارًا استندوا به إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله، وأنه أحقهم بهذا الأمر عند الله ورسوله، فصارت ثابتة بالنص والإجماع جميعاً<sup>(١)</sup>.

وقد صدر أبو الفداء ابن كثير أحد أبحاثه بكلمة طيبة فقال: أما أهل السنة فليس لهم مذهب إلا اتباع الحق يدورون معه كيفما دار، وهذا الذي كان يريد عليه الصلاة والسلام أن يكتبه؛ قد جاء في الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه، فإنه قد ذكر الإمام أحمد الأحاديث التي ذكرها ﷺ ورغبته أن يكتب لأبي بكر كتابًا قبيل وفاته لكيلا يطمع في أمره طامع ولا يتمناه متمن ثم قال: «يأبى الله ذلك والمؤمنون». كما ورد في أحاديث استخلاف أبي بكر رضي الله عنه الكثيرة في الصحيحين. كما أورد ابن كثير الخطبة التي بين فيها ﷺ فضل الصديق من سائر الصحابة مع ما نص عليه ﷺ أن يؤم الصحابة أجمعين وبيان ذلك مع حضورهم كلهم ولعل خطبته هذه كانت عوضًا عما أراد أن يكتبه في الكتاب<sup>(٢)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه في تأبين عمر رضي الله عنه: فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما أي النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه فذكر النبي ﷺ لأبي بكر دائمًا بعد اسمه ﷺ مباشرة، إشارة إلى أنه أولى الصحابة بالتقدم من بعده، ما دام أنه ﷺ لم يفصل بين الاسمين بأبي اسم آخر من أصحابه رضي الله عنهم.

وقال أبو هريرة: والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقيل له: مه يا أبا هريرة، فقال: إن رسول الله ﷺ وجّه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام، فلما نزل بذي خُشب قبض النبي ﷺ وارتدت العرب حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله، فقالوا: يا أبا بكر ردّ هؤلاء، توجه هؤلاء إلى الروم، وقد

(١) انظر: منهاج السنة، (١/٥٢٤).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٥/٢٢٨)، وسيرة ابن كثير (٤/٤٥١).

ارتدت العربُ حول المدينة فقال: والذي لا إله إلا هو لو جرّت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددتُ جيشًا وجهه رسول الله ﷺ ولا حلتُّ لواء عقده رسول الله ﷺ فوجه أسامة، فجعل لا يمرّ بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم، وقتلوا ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام<sup>(١)</sup>.

وناقش ابن كثير الزعم القائل بأن رسول الله ﷺ قد نص على علي خليفة من بعده في ضوء الأحاديث الصحيحة المروية عن رسول الله ﷺ ووصل إلى الرأي التالي:

هذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رضي الله عنه فيه رد على فرقة الرافضة في زعمهم أن رسول الله ﷺ أوصى إليه بالخلافة ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله في حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه فيقدموا غير من قدمه ويؤخروا من قدمه بنصه حاشا وكلا ولم؟ ومن ظن بالصحابة رضي الله عنهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة رسول الله ﷺ ومضاداته في حكمه ونصه ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربة الإسلام بإجماع الأئمة الأعلام وكان إراقة دمه أحل من المدام ثم لو كان مع علي رضي الله عنه نص فلم لم يحتج به على الصحابة على إثبات إمارته عليهم وإمامته لهم؟ فإن لم يقدر على تنفيذ ما معه من النص فهو عاجز، والعاجز لا يصلح للإمارة وإن كان يقدر ولم يفعله فهو خائن، والخائن الفاسق مسلوب معزول عن الإمارة وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل ثم وقد عرفه وعلمه من بعده؟ هذا محال وافتراء وجهل وضلال وإنما يحسن هذا في أذهان الجهلة الطغاة والمفترين من الأنام يزينه لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان، بل بمجرد التحكم والهديان والإفك والبهتان<sup>(٢)</sup>.

(١) البيهقي: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، ٤٧/١. المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ح (١٤٠٦٦).

(٢) ينظر ابن حنبل: المسند، مسند علي، ح (٩٢١) و(٩٥٤) و(٩٥٩).

وقد ذهب أهل السنة إلى أن إمامة أبي بكر ثبتت بالنص، والنزاع في ذلك معروف في مذهب أحمد وغيره من الأئمة. وقد ذكر القاضي أبو يعلى وغيره في ذلك روايتين عن الإمام أحمد إحداهما أنها ثبتت بالاختيار، قال: وبهذا قال جماعة من أهل الحديث والمعزلة والأشعرية. والثانية أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، قال: وبهذا قال الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث.

وقال أبو عبد الله بن حامد: فأما الدليل على استحقاق أبي بكر رضي الله عنه الخلافة دون غيره من أهل البيت والصحابة فمن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، قال: وقد اختلف أصحابنا في الخلافة هل أخذت من حيث النص أو الاستدلال، فذهب طائفة من أصحابنا إلى أن ذلك بالنص وأنه عليه السلام ذكر ذلك نصًّا وقطع البيان على عينه حتمًا، ومن أصحابنا من قال: إن ذلك بالاستدلال الجلي، قال ابن حامد: والدليل على إثبات ذلك بالنص أخبار؛ من ذلك ما رواه البخاري من قوله للمرأة: «إن لم تجدني فأتي أبا بكر»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»<sup>(٢)</sup>، وحديث رؤيا النبي ﷺ ونزعه من القلب ونزع خليفته أبي بكر رضي الله عنه من بعده. قال: وذلك نص في الإمامة. وحديث: «كأن ميزانًا دلي من السماء». ورجحان أبي بكر رضي الله عنه وقوله ﷺ: «خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك لمن يشاء»<sup>(٣)</sup>. وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي سبق ذكرها في هذا الباب.

وقال أبو محمد بن حزم في الملل والنحل: اختلف الناس في الإمام بعد رسول الله ﷺ، فقالت طائفة: إن النبي ﷺ لم يستخلف أحدًا. ثم اختلفوا فقال بعضهم: لكن لما استخلف أبا بكر رضي الله عنه على الصلاة كان ذلك دليلًا على أنه أولاهم بالإمامة والخلافة على الأمر، وقال بعضهم: لا ولكن كان أثبتهم فضلًا فقدموه لذلك، وقالت طائفة: بل نص

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. فضائل الصحابة، باب: «لو كنت متخذًا خليلاً»، ح (٣٤٥٩).

(٢) البيهقي: السنن الكبرى، ك: قتال أهل البغي. باب: «الأئمة من قریش»، ١٧٠٥٧.

(٣) أبو داود، سنن أبي داود، ك. أول كتاب السنة، باب في الخلفاء، ح (٤٦٣٥).

رسول الله ﷺ على استخلاف أبي بكر بعده على أمور الناس نصًّا جليًّا، قال أبو محمد: وبهذا نقول لبراهين:

أحدها: إطباق الناس كلهم وهم الذين قال الله فيهم: ﴿يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَرْضَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>. فقد اتفق هؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق وجميع إخوانهم من الأنصار رضي الله عنهم على أن سموه خليفة رسول الله ﷺ، وقال: ومن المحال أن يجمعوا على ذلك وهو لم يستخلفه نصًّا ولو لم يكن ههنا إلا استخلافه في الصلاة لم يكن أبو بكر رضي الله عنه أولى بهذا الاسم من سائر من ذكرنا.

وقال: في قوله ﷺ للمرأة: «فأتي أبا بكر». قال: وهذا نص جلي على استخلاف أبي بكر رضي الله عنه.

وقال أيضًا: فإن الخبر قد جاء من الطريق الثابتة أن رسول الله ﷺ قال: «يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر». وروي أيضًا: «ويأبى الله والنبيون إلا أبا بكر»، قال: فهذا نص ودليل على استخلافه ﷺ أبا بكر رضي الله عنه على ولاية الأمة بعده.

فكان من الأمور المشهورة عند المسلمين أن أبا بكر رضي الله عنه مقدم على غيره وأنه كان عندهم أحق بخلافة النبوة، وأن الأمر في ذلك بين ظاهر ليس فيه اشتباه عليهم، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر». ومعلوم هذا العلم الذي عندهم بفضلهم وتقدمه إنما استفادوه من النبي ﷺ بأمر سمعوها وعانوها وحصل بها لهم من العلم ما علموا به أن الصديق رضي الله عنه أحق الأمة بخلافة نبيهم ﷺ وأفضلهم عند نبيهم ﷺ، وأنه ليس فيهم من يشابهه حتى يحتاج في ذلك إلى مناظرة ولم يقل أحد من الصحابة رضي الله عنهم أن عمر أو عثمان أو عليًّا أو غيرهم أفضل من أبي بكر رضي الله عنه أو أحق بالخلافة منه، وكيف يقول ذلك وهم دائمًا يرون من تقديم النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه على غيره وتفضيله له وتخصيصه بالتعظيم ما قد ظهر للخاص والعام.

(١) سورة الحشر، الآية: ٨.

حتى إن أعداء النبي ﷺ من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين يعلمون أن لأبي بكر رضي الله عنه من الخصائص ما ليس لغيره كما ذكره أبو سفيان بن حرب يوم أحد قال: أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد - ثلاثاً، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن الخطاب - ثلاثاً؟ وكل ذلك يقول لهم النبي ﷺ: «لا تجيؤه».

قال شيخ الإسلام: حتى إنني أعلم طائفة من حذاق المنافقين ممن تقول: إن النبي ﷺ كان رجلاً عاقلاً أقام الرياسة بعقله وحذقه، يقولون: إن أبا بكر كان مباطناً له على ذلك يعلم إسراره على ذلك بخلاف عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، فقد ظهر لعامة الخلائق أن أبا بكر رضي الله عنه كان أخص الناس بمحمد ﷺ، فهذا النبي ﷺ وهذا صديقه رضي الله عنه، فإذا كان محمد ﷺ أفضل الصديقين، فخلاقة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسوله ﷺ له بها، وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختياراً استندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله ﷺ فصارت ثابتة بالنص والإجماع جميعاً، لكن النص دل على رضا الله ورسوله ﷺ بها وأنها حق وأن الله أمر بها وقدرها وأن المؤمنين يختارونها. وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها لأنه حينئذ كان يكون طريق ثبوتها مجرد العهد. وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه رضي الله عنه من غير عهد، ودلت النصوص على صوابهم فيما فعلوه ورضي الله ورسوله ﷺ بذلك، كان ذلك دليلاً على أن الصديق كان فيه من الفضائل التي بان بها عن غيره ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة، فإن ذلك لا يحتاج فيه إلى عهد خاص كما قال رسول الله ﷺ لما أراد أن يكتب لأبي بكر رضي الله عنه فقال للطاهرة عائشة: «ادعي لي أبا بكر وأخاك، حتى أكتب كتاباً، فإنني أخاف أن يتمنى متمنٌ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»<sup>(١)</sup>. فترك ذلك لعلمه بأن ظهور فضيلة أبي بكر الصديق واستخلافه لهذا الأمر يغني عن العهد

(١) مسلم: صحيح مسلم، ك. فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ح (٦١٣١).

فلا يحتاج إليه فتركه لعدم الحاجة إليه ولظهور فضيلة الصديق رضي الله عنه واستحقاقه ومعرفة الصحابة بذلك وهذا أبلغ من العهد<sup>(١)</sup>.

فالدين الحق لا بد فيه من الكتاب الهادي والسيف الناصر كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(٢)</sup>. فالكتاب يبين ما أمر الله به وما نهى عنه، والسيف ينصر ذلك ويؤيده، وأبو بكر رضي الله عنه ثبت بالكتاب والسنة أن الله تعالى أمر بمبايعته، والذين بايعوه كانوا أهل السيف المطيعين لله تعالى في ذلك، فانعقدت خلافة النبوة في حقه رضي الله عنه بالكتاب والحديد<sup>(٣)</sup>.

وقال الطحاوي: ثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلاً له وتقديمًا على جميع الأمة<sup>(٤)</sup>. وقد اختلف أهل السنة في خلافة الصديق: هل كانت بالنص؟ وأن ولاية هؤلاء خلافة نبوة ثم بعد ذلك ملك، وليس فيه ذكر علي رضي الله عنه؛ لأنه لم يجتمع الناس في زمانه بل كانوا مختلفين<sup>(٥)</sup>.

### ومما يؤكد اختيار النبي ﷺ خليفته أبي بكر رضي الله عنه:

أن النبي ﷺ لم يلتفت إلى تردد أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها ومحاولتها صرف الخلافة عن أبيها رضي الله عنه في ذلك الموقف الخطير. قالت الطاهرة رضي الله عنها: لقد راجعت رسول الله في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً، ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر<sup>(٦)</sup>. وكان في تردها ذلك

(١) ابن تيمية: منهاج السنة ١/ ٥٢٤ - ٥٢٦.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥. (٣) ابن تيمية، منهاج السنة، ١/ ٥٣٢.

(٤) الطحاوي: العقيدة الطحاوية ١/ ٥٧. (٥) ابن تيمية، منهاج السنة، ١/ ٥٣٢.

(٦) البخاري: صحيح البخاري، ك. المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ح (٤١٨٠).

خير كثير أنفع من إسراعها بالتبليغ، وأول ذلك أنه أظهر رغبة النبي ﷺ في تولي أبي بكر رضي الله عنه خلافته إظهارًا لا مجال فيه للشك أو التساؤل، فكان ذلك من أدعى دواعي الاتفاق على الاختيار وقطع السبيل إلى الفتنة والشقاق<sup>(١)</sup>.

وكل ما ورد من تشويش عن يوم السقيفة فهو مما تطفح به أحقاد الرافضة وما تردده عنهم الغوغاء، وليس في شيء من خلائق أبي بكر وعمر وأبي عبيدة رضي الله عنهم، التي عهدوا الناس عنهم في حياة النبي ﷺ أو بعد وفاته ما يأذن لمتوهم أن يتوهم شيئًا مما يهذي به الرافضة، أو يعتقد فيهم العمل بغير إذنه وإرشاده ﷺ إلى خلافته وهو على قيد الحياة، وقد توفي النبي ﷺ وليس في أصحابه الأقربين رضي الله عنهم من كان يتوقع وفاته، ولا أدل على ذلك من أن أبا بكر رضي الله عنه ترك النبي ﷺ بعد الصلاة وهو يقول: يا نبي الله، إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نحب واليوم يوم بنت خارجة أفأنتيها؟ قال ﷺ: «نعم».

ولما خرجا إلى السقيفة لم يكن ذلك عن اتفاق أو علم منهم كما يفترى ذلك أعداء الصحابة، وإنما فجأتهم الأحداث التي أوجبت عليهم الحركة لضمان سير سفينة المؤمنين على منهج رسول الله ﷺ، إذ هم الأعراف والأقدر على إدارة دفة الأحداث في ذلك المنعطف الخطير، ولم يتفقا أيهما الذي يخاطب الأنصار، ولا بماذا يخاطبونهم، وكان أبو بكر رضي الله عنه يخشى حدة عمر رضي الله عنه فيستمهله ويخاطب إخوانه الأنصار قبله؛ مما يوضح إفك أعداء الصحابة ويبين بهتانهم حين يزعمون أن ذلك تم باتفاق قديم.

ثم إن قول أبي عبيدة لعمر أتباعني وفيكم الصديق وثاني اثنين! يلجم المستشرقين ومجوس هذه الأمة فيما يفترونه عن تفاهم على مبايعة أبي بكر رضي الله عنه، ومن ثم تعاقب الخلافة بعده كما يروج الرافضة ذلك ويدنون به لما يوافق أهواءهم وغدرهم وكل إناء بالذي فيه ينضح، وإنما صنعوا تلك الشبهة لتغذية بغض الراشدين رضي الله عنهم وإلا فقد يكون

(١) العقاد: عبقرية الصديق، ٢٠.

عمر رضي الله عنه فاتح أبا عبيدة رضي الله عنه لاستطلاع ما عنده من الرأي والرغبة أو بعد أن رأى إعراض الصديق رضي الله عنه عن ذلك، وعلى كل تلك الأحوال فإن الأمر لم يكن قابلاً لأن يحصل فيه غير ما حصل، وذلك واضح بعد استقصاء كل فرض، وتمحيص كل رواية. وكل ما يثار حول ذلك اليوم العصيب ما هو إلا من أمانى أعداء الصحابة وأحلامهم، ولا سيما أن كل من له أدنى اطلاع يعلم أن أبا بكر رضي الله عنه كان هو المنتخب ليسد مسد رسول الله ﷺ في حال غيبته ﷺ فيما يفترض أن يتفرد به رسول الله ﷺ في مثل الهجرة والحج والصلاة بأصحابه بين يديه ﷺ.

وقد كان أبو بكر رضي الله عنه أول أمير للحج بعث به النبي ﷺ وهو بالمدينة، وكان ذلك سنة تسع من الهجرة واتفق في طريقه أنه دعا إلى صلاة الصبح فسمع صوت رغاء ناقة وراء ظهره، فوقف عن التكبير وقال: هذه رغو ناقة النبي ﷺ الجداء فلعله أن يكون رسول الله ﷺ فنصلي معه. فإذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الناقة فسأله أبو بكر: أمير أم رسول؟ قال: بل رسول. ولم آت - أي من نفسي - فكان علي رضي الله عنه أحد أفراد المؤمنين الذين كانوا بصحبة أميرهم الصديق رضي الله عنه ومكلفاً بالمناداة بين يدي أبي بكر وفي مجامع القبائل بما جاء في سورة التوبة من براءة الله ورسوله ﷺ من المشركين وتحالفاتهم وعقائدهم.

ويلتبس الأمر على الجهلاء بين دعوة النبوة وطلب السلطان والاستعلاء في حين يتعمد ذلك الرافضة والمغرضون فيزعمون أن النبوة إنما هي تمهيد لدولة هاشمية أو وراثه دنيوية فتسرح خيالاتهم في هذه الميادين التي تعالی عليها أصحاب رسول الله ﷺ فلم يعد لهم همٌّ يدور في أذهانهم سوى هم الإسلام وحفظ رسالته، ولهذا لم يولّ النبي ﷺ أحدًا من قرابته ولاية أو عمالة لا في مكة ولا المدينة ولا في غيرهما، بينما توفي ﷺ وكان له العديد من الولاة من بني أمية خاصة ومن بقية الأنصار والمهاجرين عامة، فبأي لسان يعيب المناصبون لرسول الله ﷺ العداوة من الرافضة ومن يودهم من الغوغاء برّه ﷺ لأبناء عمومته من بني أمية الساسة القادة الحلماء الكرماء الفاتحين؟

قال معاوية رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه، ما أقاموا الدين»<sup>(١)</sup>. ولم يقل ﷺ: في بني هاشم أو في بني عبد المطلب، ولو شاء لقال ذلك ﷺ.

ونقول: إن النبي ﷺ علم بمصير الخلافة على الوجه الذي صارت إليه، لأننا لا نستطيع أن نفهم أنه ﷺ ترك هذه المسألة وهو يتوقع فيها الفشل والفتنة ولم يبرم فيها حكماً يدفعهما به ما استطاع<sup>(٢)</sup>.

وكان بنو هاشم مع هذا لا يتفوقون على اختيار واحد من رؤسائهم الثلاثة العباس وعلي وأخيه عقيل، ولم يكن علي بين هذا وذاك قد جاوز الثلاثين إلا بسنوات قلائل وهي عقبة من العقبات التي لا يسهل تذييلها في أمة ترعى حق السن وتقديم الشيوخ، إلا بوصية ظاهرة من النبي ﷺ ولم تكن هناك وصية من هذا القبيل كما اتفق عليه كل سند وثيق، وقد نظر ﷺ - ولا ريب - إلى كل ما يستحق النظر في مسألة الخلافة وهو يرشح لها أبا بكر رضي الله عنه وذلك الترشيح الأبوي الذي يؤنس بالرأي ولا يقحمه على القلوب. فتم في يوم واحد كل ما ينبغي أن يتم في يوم<sup>(٣)</sup>.

ولم يكن القوم طلاب ملك كما هو حال الرافضة وحلفائهم، وكانوا يحسون ما أحسه المسلمون جميعاً إذ قالوا: إن النبي ﷺ قد ائتمن أبا بكر رضي الله عنه على الدين بتقديمه للصلاة، فكيف لا يؤتمن على الدنيا؟ وكانوا يعلمون أن المهاجرين مقدمون في القرآن على الأنصار، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنِّي وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَجِدُّونَ﴾<sup>(٤)</sup>. فلم يكن إيمانهم بحقهم في الخلافة إيمان من

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. المناقب، باب مناقب قريش، ح (٣٣٠٩).

(٢) العقاد: عبقرية الصديق، ٢٥.

(٣) العقاد: عبقرية الصديق، ٢٨.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

يغضب لفواتها ويستमित في طلبها، ولم يكن حرصهم على السلطان أشد من حرصهم على الدين ومصلحة المسلمين.

وصفوة القول أن خلافة أبي بكر رضي الله عنه كانت نتيجة لكل مقدمة سبقتها من فعل الحوادث، أو من فعل أحد عامداً أو غير عامد. وغير هذه الخلافة ما كان ليكون، إلا الفتنة التي لا يجدي فيها اختيار هذا ولا اختيار ذاك، ولا يغني فيها تدبير ولا تقدير، وهذا ما يتحسر عليه رافضو الخلافة الذين ما زالوا يعملون على شق صف الأمة وتدمير أسس وحدتها التي تحققت في السقيفة تحت رعاية أبي بكر رضي الله عنه.

لقد كان أبو بكر رضي الله عنه الخليفة الأول؛ لأنه كان الصديق الأول، ولأن شروط الخلافة التي اجتمعت له لم تجتمع لأحد غيره، وليس له منازع فيها بين أهل عصره، ولأن المزايا التي قد يرجحها بها أنداده وقرناؤه لا تضيع على الإسلام بولايته عليهم ومعونتهم إياه. فكان اختياره أصح اختيار عرف في تاريخ الولاية، وكانت التوفيقات فيه غنية من التدبير والتمهيد، فإن لج بعض المكابرين مع هذا في دعوى التدبير فأنعم به تدبيراً ينقطع به الخلاف، ويتم به أصح استخلاف<sup>(١)</sup>.

فكان خليفة رسول الله رضي الله عنه أثبت الصحابة جنائنا، وأكثرهم شجاعة في حياة الرسول ﷺ أو حين انتقاله ﷺ إلى ربه، وثبات جنانه مما أشرنا إليه سابقاً في مواقفه في الجهاد مع رسول الله، وثبات جنانه يوم وفاته في الوقت الذي استبد فيه الحزن واليأس ببقية المسلمين، وكيف بعث جند أسامة إلى حدود الروم، وكيف تصدى للمرتدين بعزيمة لا تلين، وكيف ضرب جيروت الفرس والمجوس وطغيان الروم الصليبيين في وقت واحد وفي قرار فريد في شأنه تنزل أمام تبعاته الجبال الرواسي ولكن إيمان أبي بكر رضي الله عنه ويقينه كان أرسخ من الجبال وأقوى من جيروت وطغيان الفرس والروم، فذلك القرار الذي فتح أبواب الكون بأجمعه أمام جند الإيمان لا يشبهه قرار آخر، ولم يتخذ أحد قراراً

(١) العقاد: عبقرية الصديق، ٢٣.

مثله على مر العصور، وسيبقى ذلك مفخرة ومأثرة تفرد بها أبو بكر رضي الله عنه، وليكون جوهرة في عقد خصائصه الكثيرة.

وكان من أخلاقه التي تُظهر فيه خلافة النبوة بجلاء ظاهر ذلك التواضع الجرم الذي تتعلق به القلوب والأرواح عاملاً آخر من عوامل تمسك المهاجرين والأنصار بخلافته رضي الله عنه، ومع كثرة الانتصارات الباهرة التي حققها رضي الله عنه لم يتغير عمّا كان عليه، فكان يأكل من عمل يده ويقوم بخدمة الأنصار والمهاجرين بيده رضي الله عنه، ومن ثم زهده الكامل بدنيا الناس وما فيها، حتى إنه رد إلى بيت المال مقابل كل ما انتفع به من مال المسلمين من ماله الخاص مبالغاً في إخلاص العمل لله تعالى لكي تتجلى فيه أخلاق خلافة النبوة المباركة، فأين ذلك التواضع وتلك القيم بعد تلك الصفوة المباركة؟ وأين ذلك مما يعيشه الناس في هذا العصر مع المتسلطين على العباد باسم قيادتهم وسياستهم، حتى غدا الرجل إذا استلم المسؤولية ترفع عن الناس وأصبح لا يكلمهم إلا من وراء حجاب وبأنف شامخ وبعد اجتياز عدد من السدود والأسوار من الجند، مما يؤكد ويوضح الفارق بين أخلاق الحكام المؤمنين والحكام العلمانيين وإخوانهم. وكان الخليفة رضي الله عنه يتجول في النهار في الأسواق ويسأل عن شؤون الناس ويتجول في الليل يتفقد أحوال الأمة والمحتاجين.

وإذا نظرنا إلى الجانب المالي الذي عليه مدار الحياة حسنها وسيئها فقد كان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً تاجرًا يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع ويتاع فلما استخلف أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها، لم يغيره الموقع عن خلق كان عليه رضي الله عنه فأين البشرية اليوم من أولئك الصحابة رضوان الله عليهم؟ فإن الخزينة قد أضحت بعدهم بيد أشخاص ينفقون منها كيف يشاؤون ويتصرفون كما يريدون، كما أصبحت لهم نفقات مستورة لا حصر لها، وتكدست لهم الأموال في المصارف خارج البلاد حتى غدت دول أجنبية معادية للأمة بهويتها وعقيدتها تعيش على هذه الأموال التي يحرم على المسلمين الانتفاع بها.

بينما كان خطاب عبادة بن الصامت الأنصاري رضي الله عنه للمقوقس حاكم مصر قبل فتحها أثناء حديثه معه: لو كانت الدنيا كلها لنا، ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه، فلا شك أن قادة كآبي بكر وعمر رضي الله عنهما هذا عملهم وهذا دأبهم ستستقيم معه رعيتهم وسينظرون إليهم بعين التقدير والإكبار وسيشعرون أنهم في طمأنينة وسيعيشون في أمن وسلام فيأمنون على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ولا شك أن في كل مجتمع وفي أي وقت عناصر تحاول الإساءة وتسعى للفساد، وترغب في خدمة مصالحها الخاصة إلا أن أعين الخلفاء الراشدين لم تكن غافلة عنهم، بل كانت لهم بالمرصاد تجبرهم على الاستقامة والسير على الطريق المستقيم وذلك بالقوة إن لم تجد معهم النصيحة، فلم يكن سلوك أولئك الخلفاء نتيجة ضعف وخوف، وإنما كان ذلك ثمرة أخلاق التربية الإسلامية السليمة والخوف من الله سبحانه وتعالى والسير على منهجه، ولا شك أن الإسلام الذي نشأت عليه الرعية آنذاك هو الذي ولد المراقبة في النفوس فخافت الله واتفقت ونصحت لأئمتها ولسائر المسلمين وشعرت بأخوتها لكل أبناء مجتمعها فكانت الأمة الفاضلة هي التي قادها الراشدون وهم الذين قال الله فيهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

### ومما يؤكد وفاء الأنصار لخليفة رسول الله ﷺ وبهتان أعداء الصحابة عليهم:

حينما أخذ أسعد بن زرارة الأنصاري رضي الله عنه يوم بيعة العقبة بيد رسول الله ﷺ. وقال: رويدًا يا أهل يثرب فإننا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ، وإن إخراجهم اليوم مناواة للعرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف. فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله. قالوا: يا أسعد أمط عنا بيدك فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقبلها<sup>(٢)</sup>. فهل يعقل أن أمثال هؤلاء الرجال يتصارعون ويفترقون من أجل الخلافة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) ابن حبان: صحيح ابن حبان، مناقب الصحابة، ح (٧٠١٢).

بعد أن أعطوا العهود والمواثيق على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأثرة عليهم وألا ينازعوا الأمر أهله؟ إن هذا الحوار الذي جرى بين صحابة رسول الله ﷺ يوم العقبة يعكس لنا نقاء المشاعر واليقين الذي يثمر الفداء الذي لا يكافئه متاع الدنيا، وأنه لم يكن للدنيا أدنى أثر في تحريك هؤلاء الصحابة صوب السقيفة لاختيار خليفة لرسول الله ﷺ ولكنها الرغبة في ألا يبيتوا ليلة دون إمامة.

وإن تأمل نصوص بيعة الأنصار الثانية في العقبة لرسول الله ﷺ على حرب الأحمر والأسود وإعطاء رسول الله ﷺ ما اشترطه لنفسه على القوم كما قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف لومة لائم<sup>(١)</sup>. وصحابة رسول الله ﷺ ومنهم سعد بن عبادة رضي الله عنه يستحيل أن ينقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ لأنهم يعلمون أن يد الله كانت فوق أيديهم يوم بايعوا رسول الله ﷺ وأنهم بذلك بايعوا الله عز وجل.

والجدير بالذكر أنهم بايعوا على أثرة عليهم<sup>(٢)</sup> ولذلك حينما ذكّر أبو بكر الصديق رضي الله عنه سعد بن عبادة رضي الله عنه بقوله ﷺ: ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: «قريش ولاة هذا الأمر». قال سعد: صدقت، نحن الوزراء وأنتم الأمراء<sup>(٣)</sup>. كما اتضح ذلك في مواضعه.

ولقد كان سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه من السابقين الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ويعلم أنه من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية، ويعلم أنه يجب أن يسمع

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. الفتن، قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها»، ح (٦٦٤٧).

(٢) البخاري: صحيح البخاري، ك. الفتن، قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها»، ح (٦٦٤٧) والأثرة هي الاستئثار بالدنيا.

(٣) الألباني: السلسلة الصحيحة، ح (١١٥٦)، الحكمي: معارج القبول، ح (١١٣٣).

ويطيع ولو ولي عليه عبد حبشي كأن رأسه زبيبة، ويعلم من توجيهات نبيه محمد ﷺ من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، ويعلم أيضاً أنه أعطى ميثاقاً على السمع والطاعة في المنشط والمكروه؛ فهل من المتصور أن يلقي بكل هذه الموائيق عرض الحائط في سبيل منصب يعلم أن توليه مسؤولية عظيمة بين يدي الله تعالى؟ وأن الصحابة كانوا يتدافعونه ويخشون تبعاته على سلامة جهادهم مع رسول الله ﷺ، فهل يبيع آخرته بدينه كما يردد ذلك أعداء السنة؟ إن العرض المزعوم لمواقف الأنصار في يوم السقيفة يدحضه ويكذبه مواقفهم المعروفة بيقين في بيعة العقبة وما عرضناه آنفاً يعد أكبر دليل على وفاء الصحابة رضي الله عنهم وصدقهم وعلى زيف كل رواية وضعت للتشكيك في أخوة الصحابة رضي الله عنهم وطاعتهم وتعاونهم.

فيقال لأعداء الصحابة من المنافقين والمرتدين والملحدن الطاعنين على الله تعالى في مدحه للصحابة رضي الله عنهم في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾<sup>(١)</sup> والطاعنين على رسول الله ﷺ في مدحه لأصحابه الكرام وقوله ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»<sup>(٢)</sup>. والطاعنين على المهاجرين والأنصار في اجتماعهم على تقديم الصديق رضي الله عنه إماماً وقائداً وخليفة لرسول الله ﷺ، فيقال لهم: أكان اجتماعهم عليه رضي الله عنه على إكراه منه لهم بالسيف أو تأليف منه لهم بمال، أو غلبة بعشيرة؟ فإن الاجتماع لا يخلو من هذه الوجوه وكل ذلك مستحيل منهم؛ لأنهم كانوا هم الإخلاص والمروءة والدين والنصيحة، ولو كان حصل شيء من هذه الوجوه أو أجبر واحد منهم على المبايعة كارهاً لكان ذلك منقولاً عنهم ومنتشراً. أما وقد أجمعت الأمة على ألا إكراه، والغلبة والتأليف غير ممكن منهم وعليهم، فقد ثبت أن اجتماعهم عليه رضي الله عنه إنما كان لما علموا منه من الاستحقاق والتفضيل والسابقة، فقدموه وبايعوه لما خصه الله تعالى به من

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سنن الترمذي، ك. الفتن، باب ما جاء في القرن الثالث، (٢٢٢١)، المستدرک، ك. معرفة الصحابة،

مناقب جعدة بن هبيرة المخزومي، (٤٨٧١).

المناقب والفضائل، كما ثبت رد الرافضة لقول الله تعالى ولقول رسوله ﷺ فاتضح حقدهم على الصحابة وخروجهم عما جاء به رسول الله ﷺ.

ويقال: اذكر أيها الأفك الطاعن في إمامة الصديق رضي الله عنه ما تحتج به فستعارض بنقضه، وأخطر الطاعنين على خلافة النبوة هم أولئك الذين يعملون بكل وسعهم على صنع عداوة مكذوبة بين خليفة رسول الله ﷺ وعلي رضي الله عنه، لكي يحققوا أهدافهم بإحداث الفرقة وتغذية الفتن فيحتجون بما لعلي رضي الله عنه من الفضائل والمدائح مما لا ينكره أهل السنة الذين يحبون جميع الصحابة، وفي مقدمتهم الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وعلى هذا الترتيب، وكل ترتيب آخر مخالف لما عمل به المهاجرون والأنصار إنما هو زندقة وباطنية وشعوبية ومحاربة للكتاب والسنة وحملتهما، فإذا احتج أفك بالأخبار يقال له: لزمك القبول بها من مخالفيك وإلا تكون أخبارك عليك، فإذا قبلت الأخبار، قبلت منك، فكانت لك وعليك. فإذا احتج بالأخبار وقال: قال ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»<sup>(١)</sup>. قيل له: مقبول منك، ونحن نقول: وهذه فضيلة بينة لعلي رضي الله عنه، ومعناه: من كان النبي ﷺ مولاه فعلي والمؤمنون مواليه. ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفَعَّلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

والولي والمولى في كلام العرب واحد، والدليل عليه قوله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكُفْرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup> أي: أن الكافرين لا ولي لهم وهم عبيده وهو مولاهم وإنما أراد لا ولي لهم. وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن حنبل: المسند، مسند علي، ح (٩٥٠).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٧٣.

(٤) سورة محمد، الآية: ١١.

(٥) سورة التحريم، الآية: ٤.

وقال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾<sup>(١)</sup>. وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِرْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَاقِعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وإنما هذه منقبة من النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه وحث على محبته وترغيب في ولايته لما ظهر من ميل المنافقين وبغضهم له، وكذلك قال ﷺ: «لا يحبُّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»<sup>(٣)</sup>. كما قال ﷺ: «علامة الإيمان حب الأنصار وعلامة النفاق بغض الأنصار»<sup>(٤)</sup>. وحكي عن ابن عيينة في مناسبة الحديث: أن علياً رضي الله عنه وأسامة بن زيد رضي الله عنهما تخاصما فقال علي لأسامة: أنت مولاي، فقال أسامة: لست لك مولى، إنما مولاي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وهذا كما يقول الناس: فلان مولى بني هاشم، أو مولى بني أمية، وإنما الحقيقة هو مولى واحد من بني هاشم أو بني أمية وهكذا<sup>(٥)</sup>.

ولا شك أن كل هذا واضح بين لكل مؤمن عاقل، ولكن أصحاب السوء دائماً يبحثون عن المعايب والثغرات، ليدخلوا من خلالها ضلالاتهم وتحريضاتهم فهم لا يبحثون عن الحقيقة ولن يبحثوا عنها، وإنما لديهم ثقافة حاقدة يسيرون بوجيها وتوجيهها ويعملون على تغذيتها في كل مواقفهم، فلا يرون حقاً إلا إذا توافق مع أحقادهم، ولا ينكرون منكراً إلا إذا صادم أهواءهم، فهؤلاء هم الشر المستطير؛ لأن هدفهم القتل والدمار وتغيير الدين والعقيدة والانتقام من كل من عمل لها مخلصاً أميناً. قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ يَحْسَبُونَ كُلَّ صِخْرَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَقُولُوا﴾<sup>(٦)</sup>.

\*\*\*

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧. (٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

(٣) الترمذي: سنن الترمذي، ح (٣٧٣٦).

(٤) صحيح البخاري: باب علامة الإيمان حب الأنصار، ١/ ١٤.

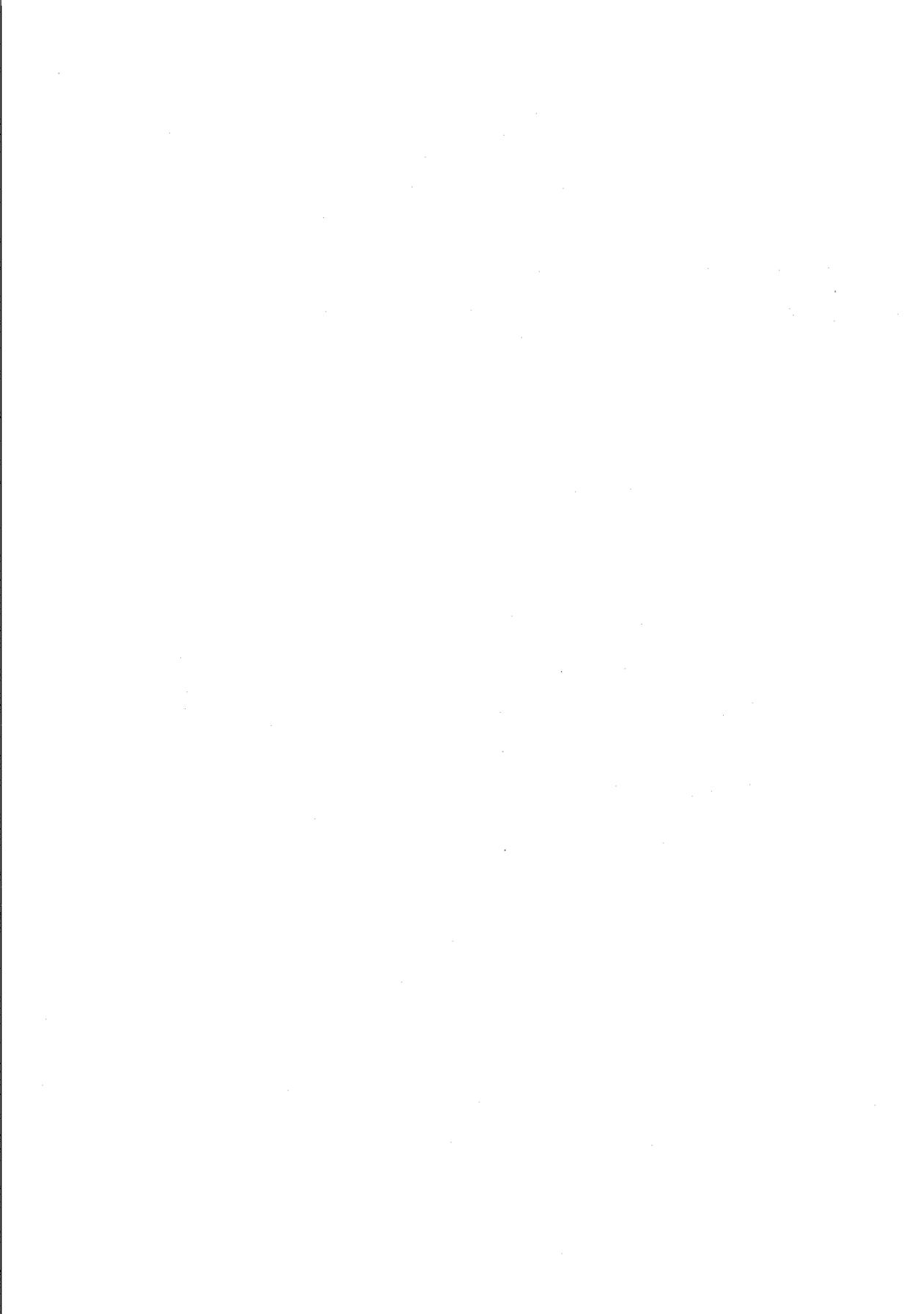
(٥) ينظر: البلاذري: الشيخان، ٢٢٠. (٦) سورة المنافقون، الآية: ٤.

وقال: ﴿اللَّهُ وَرِئُ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾<sup>(١)</sup>. وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وإنما هذه منقبة من النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه وحث على محبته وترغيب في ولايته لما ظهر من ميل المنافقين وبغضهم له، وكذلك قال ﷺ: «لا يحبُّك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»<sup>(٣)</sup>. كما قال ﷺ: «علامة الإيمان حب الأنصار وعلامة النفاق بغض الأنصار»<sup>(٤)</sup>. وحكي عن ابن عيينة في مناسبة الحديث: أن علياً رضي الله عنه وأسامة بن زيد رضي الله عنهما تخاصما فقال علي لأسامة: أنت مولاي، فقال أسامة: لست لك مولى، إنما مولاي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وهذا كما يقول الناس: فلان مولى بني هاشم، أو مولى بني أمية، وإنما الحقيقة هو مولى واحد من بني هاشم أو بني أمية وهكذا<sup>(٥)</sup>.

ولا شك أن كل هذا واضح بين لكل مؤمن عاقل، ولكن أصحاب السوء دائماً يبحثون عن المعايب والشغرات، ليدخلوا من خلالها ضلالاتهم وتحريضاتهم فهم لا يبحثون عن الحقيقة ولن يبحثوا عنها، وإنما لديهم ثقافة حاقدة يسرون بوجيها وتوجيهها ويعملون على تغذيتها في كل موافقهم، فلا يرون حقاً إلا إذا توافق مع أحقادهم، ولا ينكرون منكراً إلا إذا صادم أهواءهم، فهؤلاء هم الشر المستطير؛ لأن هدفهم القتل والدمار وتغيير الدين والعقيدة والانتقام من كل من عمل لها مخلصاً أميناً. قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْتُمْ حُشْبٌ مِّنْ حُشْبٍ مَّسْنَدَةٌ يَّحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَادُونَ فَاحْذَرَهُمْ فَتَلَهِمُ اللَّهُ أَنْ يَقُولُوا يُوقَفُوكُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

\*\*\*

- (١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧. (٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.  
 (٣) الترمذي: سنن الترمذي، ح (٣٧٣٦).  
 (٤) صحيح البخاري: باب علامة الإيمان حب الأنصار، ١/ ١٤.  
 (٥) ينظر: البلاذري: الشيطان، ٢٢٠. (٦) سورة المنافقون، الآية: ٤.



## المبحث الخامس

### الموقف يوم السقيفة وإقرار الإمامة وخلافة النبوة لأبي بكر رضي الله عنه بإجماع الصحابة رضي الله عنهم

لما كان الصحابة رضي الله عنهم على علم بمكر أعداء الإسلام الرافضين لخلافة النبوة وإمامة السنة المطهرة، من المرتدين والمنافقين والمشركين وغيرهم فإنهم سرعان ما أنجزوا بيعة خليفة رسول الله ﷺ في اليوم الذي توفي فيه النبي ﷺ، وذلك كي لا يبقوا ليلة واحدة دون إمام وليثبتوا أنهم أقدر الناس على تحمل مسؤولياتهم مع أن مصابهم بفقد نبيهم ﷺ كبير، وكان تسليم الصحابة رضي الله عنهم يوم السقيفة لخليفة رسول الله وتقديمه في مكان رسول الله ﷺ كتسليمهم له في الحج والصلاة والفتيا والعلم والقيادة في حياة النبي ﷺ، ويبعته رضي الله عنه أوضح من أن تحتاج إلى نص أو وصية أو كتاب مكتوب بخط اليد!! وإن كان النبي ﷺ أراد أن يعهد إليه رضي الله عنه ويكتب في ذلك كتاباً كما جاء ذلك جلياً في الصحاح، وكما تقدم ذكر ذلك في أكثر من موضع في هذا الفصل؛ إلا أنه اكتفى عن ذلك بالإشارة والتنبيه والتعليم والإرشاد حين رأى أنه لا حاجة إليه، وعبر عن ذلك بقوله: «يا أبا الله والمؤمنون إلا أبا بكر»<sup>(١)</sup>. ولما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: «اتنوني بكتاب

(١) مسلم: صحيح مسلم، ك. فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ح (٦١٣١).

أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده...». ثم قال ﷺ: «قوموا عني»<sup>(١)</sup>. وترك أمر الكتابة لأبي بكر رضي الله عنه لعدم أهمية ذلك لمعرفة جميع الصحابة بمنزلة أبي بكر رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ، ولو كان ذلك ضرورياً أو مُعَارَضاً من أحد أو ممن تتوقف عليه مصلحة للأمة لا يضمن النبي ﷺ حصولها بدونها لما تركه لأي أمر كان؛ لأنه ﷺ معصوم عن ذلك، وهو الذي أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة ﷺ.

وجميع المؤمنين يعلمون أن أبا بكر رضي الله عنه هو الأولى بالخلافة ويأبون أن يتولى عليهم في وجوده غيره ولا يحتاج علم ذلك إلى كتاب أو أدلة ترجيح لأن تقدم الإمام الثاني في غياب الإمام الأول أمر مفروغ منه بلا كتاب ولا حساب<sup>(٢)</sup> وقد ظهر كل هذا جلياً في خطبة أبي بكر رضي الله عنه وحججه التي أثبتت سيادة المهاجرين للأمة ومن بعدهم إخوانهم الأنصار شركاء للمهاجرين في كل خير، كما اتضح في ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه هو إمام الجميع بعد وفاة رسول الله ﷺ وهو المرجع الذي يعود إليه المهاجرون والأنصار وكل من آمن بالنبي ﷺ يتضح ذلك فيما دار بين أبي بكر رضي الله عنه وبين بعض إخوانه الأنصار حول مسألة الخلافة وإقرارهم بكل ما قاله رضي الله عنه.

ولما مضى أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم إلى السقيفة وجدوا سعد بن عباد رضي الله عنه على طنفسة متكئاً على وسادة وعليه الحُمى، فقال له أبو بكر: ما ترى يا أبا ثابت؟ فقال: أنا رجل منكم<sup>(٣)</sup>.

ولما تكلم أبو بكر رضي الله عنه يوم السقيفة لم يترك شيئاً نزل في الأنصار رضي الله عنهم أو ذكره النبي ﷺ في شأنهم إلا وذكره كما اتضح ذلك في مواضعه. مثل قوله ﷺ: «لو سلك الناس وادياً وسلك الأنصار وادياً، سلكت وادي الأنصار»، وذكرهم بما كان

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. العلم، باب كتابة العلم، ح (١١٤).

(٢) ينظر: الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، إمامة الصديق رضي الله عنه، ٥١.

(٣) البلاذري: الشيخان، ١١٧.

رسول الله ﷺ قرره في شأن الخلافة وتقديم قريش على من سواها.

### من مواقف الأنصار يوم السقيفة:

ومن مواقف الأنصار يوم السقيفة موقف أسيد بن حضير الكاتب الأوسي الأشهلي رضي الله عنه وهو من أثبات الأنصار وكبار قاداتهم وأهل الطاعة فيهم، حيث قام في ذلك اليوم فقال: يا معشر الأنصار، إنه قد عظمت نعمة الله عليكم أن سماكم الأنصار، وجعل فيكم الهجرة، وقبض فيكم رسول الله ﷺ؛ اجعلوا ذلك شكرًا، فإن هذا الأمر في قريش دونكم، فمن قدموه فقدموه، ومن أخروه فأخروه<sup>(١)</sup>.

ثم قام بشير بن سعد الخزرجي رضي الله عنه فقال: يا معشر الأنصار: إنما أنتم بالمهاجرين، وإنما المهاجرون بكم فإن كانت دعواكم حقًا فلم يتعرف فيكم المهاجرون، وإن قلت: نصرنا وآوينا. فما أعطاكم الله خير مما أعطيتم أنفسكم، ولا تكونوا ممن بدلوا نعمة الله كفراء، وأحلوا قومهم دار البوار... ثم قال: يا معشر الأنصار إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا، والكدح لأنفسنا فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك إلا أن محمدًا ﷺ من قريش وقومه أحق به وأولى ولا يراني الله أنازعهم في هذا الأمر أبدًا.. فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم<sup>(٢)</sup>.

ثم قام عويمر الأنصاري فقال: يا معشر الأنصار، إن يكن الأمر فيكم دون قريش فانفروا حتى نبايعكم عليه، وإن كان لهم دونكم فسلموا لهم بذلك، فوالله ما مات رسول الله ﷺ حتى عرفنا أن أبا بكر خليفته حين أمره أن يصلي بالناس. وقال قائل من الأنصار: أنا جديها المحكك وعذيقها المرجب - كناية عن الخبرة والمعرفة - منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش<sup>(٣)</sup>.

(١)، (٢) الواقدي: الردة، ٣٣. ابن أعثم: الفتوح، ١/٣. الخليفة: الإنصاف، ١٠٢. الطنطاوي، أبو بكر، ١٦١.

(٣) البخاري: صحيح البخاري، ك. المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم الحبلى، (٦٤٤٢)، =

وقام حُباب بن المنذر وكان بدرياً رضي الله عنه فقال: منا أمير ومنكم أمير، فإننا والله ما نفس هذا الأمر عليكم أيها الرهط، ولكننا نخاف أن يليها - أو قال: يليه - أقوام قتلنا آباءهم وإخوتهم. قال فقال له عمر: إذا كان ذلك فمت إن استطعت. فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فقال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وهذا الأمر بيننا وبينكم نصفين كقد الأبلمة - يعني الخوصة. فبايع أول الناس بشير بن سعد أبو النعمان<sup>(١)</sup>.

وقال رجل من الأنصار: منا رجل ومنكم رجل. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سيفان في غمد واحد إذا لا يصطلحان. فأخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه وقال: من هذا الذي له هذه الثلاث؟ ﴿إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ﴾ من هما؟ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾، من صاحبه؟ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾<sup>(٢)</sup>، مع من هو؟ فبسط عمر يد أبي بكر فقال: بايعوه. فبايع الناس أحسن بيعة وأجملها<sup>(٣)</sup>. ولما قالت الأنصار رضي الله عنهم: منا أمير ومنكم أمير. أتاهم عمر فقال: يا معشر الأنصار، أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس؟ قالوا: بلى. قال: فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر بعد ذلك؟ فقالوا: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبته يومئذ: إنه لا يحل أن يكون للمسلمين أميران، فإنه مهما يكن ذلك يختلف أمرهم وأحكامهم وتتفرق جماعتهم ويتنازعا فيما بينهم، هنالك تترك السنة وتظهر البدعة وتعظم الفتنة، وليس لأحد على ذلك صلاح<sup>(٥)</sup>.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: قام خطيب الأنصار فقال: تعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ ونحن أنصار

= ابن حنبل، آخر مسند عمر (٣٩٣).

(١) المقدسي: تحفة الصديق، ٥٨. (٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٣) البيهقي: السنن، ك: قتال أهل البغي، باب: الأئمة من قريش، ح (١٧٠٠٦).

(٤) البلاذري: الشيخان، ١١٥.

(٥) البيهقي: السنن، ك: قتال أهل البغي، باب: لا يصلح إمامان في عصر واحد، ح (١٧٠١٧).

خليفته كما كنا أنصاره. فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: صدق قائلكم، أما لو قلتُم غير هذا لم نتابعكم. ووثب أهل السقيفة يتدرون البيعة<sup>(١)</sup>.

وقالت الأنصار رضي الله عنهم بين يدي خليفة رسول الله ﷺ: والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم، وما خلق الله قومًا أحب إلينا ولا أعز علينا منكم، ولا أرضى عندنا هديًا منكم، ولكننا نشفق بعد اليوم، فلو جعلتم اليوم أصلًا منكم، فإذا مات أخذتم رجلًا من الأنصار فجعلناه، فإذا مات أخذنا رجلًا من المهاجرين فجعلناه، فكنا كذلك أبدًا ما بقيت هذه الأمة، بايعناكم ورضينا بذلك من أمركم، وكان ذلك أجدر أن يشفق القرشي، إن زاع أن ينقض عليه الأنصاري. فقال عمر رضي الله عنه: لا ينبغي هذا الأمر ولا يصلح إلا لرجل من قريش، ولن ترضى العرب إلا به، ولن تعرف العرب الإمارة إلا له، ولن يصلح إلا عليه<sup>(٢)</sup>.

وتتابع خطباء الأنصار في الكلام، حتى قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال وقد أصبح الحق واضحًا: يا معشر المسلمين، إن أولى الناس بأمر نبي الله ﷺ ثاني اثنين إذ هما في الغار، وأبو بكر السباق المسن. ثم أخذ بيد أبي بكر ليبايعه، فبادره رجل من الأنصار فضرب على يد أبي بكر، قبل أن يضرب عليها عمر قائلًا: والله لا يبايعه أحد قبلي... ثم تتابع الناس مبايعين الصديق رضي الله عنه خليفة لرسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

- وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾<sup>(٤)</sup> فقال الحسن: تدرون من هم؟ هم والله أبو بكر وأصحابه رضي الله عنهم<sup>(٥)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه: قلت لأبي بكر رضي الله عنه يوم السقيفة: ابسط يدك يا أبا بكر،

- (١) الصالحى: سبل الهدى، ١٢/٣١٣. ابن أبي شيبة: المصنف، ٤/٥٦١. ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/٢٣٤. الخليفة: الإنصاف، ١٠٢.
- (٢) الصالحى: سبل الهدى، ١٢/٣١١. (٣) المقدسى: تحفة الصديق، ٥٨.
- (٤) سورة المائدة، الآية: ٥٤. (٥) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣١٠.

فبسط يده، فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار<sup>(١)</sup>. وعند ابن عقبة: ووثب عمر فأخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه وقام أسيد بن حضير الأشهلي وبشير بن سعد أبو النعمان بن بشير يستبقان لبايعا أبا بكر فسبقهما عمر فبايع، ثم بايعا معًا. وفي بعض الروايات أن بشير بن سعد سبق عمر رضي الله عنهم<sup>(٢)</sup>، فبايعه الناس أحسن بيعة وأجملها<sup>(٣)</sup>.

## ومن خطب يوم السقيفة

### خطبة خليفة رسول الله في الأنصار رضي الله عنهم:

وفي يوم السقيفة تشهّد أبو بكر رضي الله عنه وأنصت القوم فقال: إن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق، فدعا إلى الإسلام فأخذ الله بقلوبنا ونواصينا، إلى ما دعانا إليه، فكننا معشر المهاجرين أول الناس إسلامًا، ونحن عشيرته وأقاربه وذوو رحمه، فنحن أهل النبوة وأهل الخلافة، وأوسط الناس أنسابًا في العرب، ولدتنا العرب كلها، فليس منا قبيلة إلا لقريش فيها ولادة، ولن تعترف العرب ولا تصلح إلا على رجل من قريش، هم أصبح الناس وجوهًا، وأبسطهم لسانًا، وأفضلهم قولًا، فالناس لقريش تبع، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، وهذا الأمر بيننا وبينكم قسمة الأبلمة، وأنتم يا معشر الأنصار إخواننا في كتاب الله، وشركاؤنا في الدين، وأحب الناس إلينا، وأنتم الذين آووا ونصروا، وأنتم أحق الناس بالرضا بقضاء الله والتسليم لفضيلة ما أعطى الله إخوانكم من المهاجرين، وأحق الناس ألا تحسدوهم على خير آتاهم الله إياه وأما ما ذكرتكم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش؛ هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم.

(١) ابن حنبل: المسند، ك. وباب آخر مسند عمر، (٣٩٣). الطبراني: المعجم الكبير، ك. الحاء، باب

حباب بن المنذر، ح (٣٥٩٧).

(٢) ابن كثير: السيرة، ٤/٤٨٩. الساعاتي: الفتح الرباني، ١٢/١٥٩.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/٩٤. الخليفة: الإنصاف، ١١٧.

قال عمر رضي الله عنه: وأخذ بيدي وييد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، ولم أكره شيئاً مما قاله غيرها. لذلك قال عمر رضي الله عنه: كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضي الله عنه<sup>(١)</sup>. فإذا كان هذا موقف الفاروق بين يدي خليفة رسول الله فمن الذي يتقدم بين يديه من الناس؟ وكيف يجروا أحد أن يردد مثل هذه الأباطيل إلا من طمس الله على قلبه وعقله؟

وقال عمر وأبو عبيدة: ما ينبغي لأحد بعد رسول الله ﷺ أن يكون فوقك يا أبا بكر، أنت صاحب الغار مع رسول الله ﷺ وثاني اثنين، وأمرك رسول الله ﷺ حين اشتكى فصليت بالناس، فأنت أحق بهذا الأمر. أي أمر الخلافة.

وقال عمر رضي الله عنه: فأیما رجل بايع رجلاً من دون مشورة المسلمين قتل هو والذي بايع له.

وقال: وأيكم تقطع دونه الأعناق كأبي بكر<sup>(٢)</sup>! أي أنه لو بذل أحدكم عمره لن يستطيع اللحاق بخليفة رسول الله أو الاقتراب من مرتبته التي لا يناقش فيها إلا مراتب ولا يغمطها حقها إلا منافق معلوم النفاق، ولهذا فإن بيعة أبي بكر متفردة لا يقاس عليها بيعة أخرى، وذلك لتفرد صاحبها فلا يقاس عليه أحد لانعدام النظير، والقياس مع الفارق لا يصح كما يقال.

وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبته: إن هذا الأمر في قريش ما أطاعوا الله واستقاموا على أمره، قد بلغكم ذلك أو سمعتموه من رسول الله ﷺ ﴿وَلَا تَنْزَعُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ وَفَّيْتُمْ بِهِمْ وَهُمْ جَاوِزُونَ عَنْ أَنْعَامِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ﴾ (٣)، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، إخواننا في الدين وأنصارنا عليه، وفي خطبة عمر رضي الله عنه بعده: أنشدكم بالله يا معشر الأنصار ألم

(١) صحيح البخاري، ك. المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم الحبلى في الزنا، ح (٦٤٤٢).

(٢) ابن كثير: سيرة ابن كثير: ٤/٤٨٦.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

تسمعوا رسول الله ﷺ أو من سمعه منكم وهو يقول: «الولاية من قريش ما أطاعوا الله واستقاموا على أمره»، فقال من قال من الأنصار: بلى الآن ذكرنا. قال: فإننا لا نطلب هذا الأمر إلا لهذا، فلا تستهوينكم الأهواء، فليس بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون<sup>(١)</sup>؟

وأما قول عمر رضي الله عنه: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقي الله شرها؛ فلأنها تمت من دون تحضير وتشاور وتروؤ لسبب واحد فقط؛ هو معرفة الصحابة بمقام خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر رضي الله عنه وأنه لا يوجد مسوغ للتروي والتشاور أمام كل الذي يعرفونه عن مكانته ومقامه عند رسول الله ﷺ وتقديمه له في كل الملمات وكما اتضح ذلك جلياً في الحديث عن يوم الرزية.

فهي فلتة في الدهر لا شبيه لها ولن تتكرر مرة أخرى لأنه لن يتكرر في الوجود مرة أخرى شخص مثل أبي بكر رضي الله عنه، فكما أنه لن يكون هناك نبي بعد محمد ﷺ كذلك لن يكون هناك رجل يُنزل فيه الله تعالى قرآناً يخاطب الناس إلى يوم القيامة بأن أبا بكر رضي الله عنه هو ﴿ثَاقِبٌ أَنتَين﴾ في الأمة.

ولهذا فإن أي تشكيك في بيعة خليفة رسول الله ﷺ أو غمز أو طعن، فإنما هو إحدى وسائل الهدم التي يمارسها أعداء الصحابة في حربهم المعلنة والسرية على السنة وأهلها؛ ولا تخرج عن برامجهم المتمثلة في قلب الحقائق وتكذيب النصوص الثابتة والحقائق الساطعة ورد قول الله وقول رسوله ﷺ والعمل على نزع هيبة الكتاب والسنة وحملتهما من صدور الناس؛ توطئة لإقصائهما والإسهام في إعداد الأرض وتهيتها بملئها بالظلم والفجور والشرك؛ لخروج الدجال الذي حذرنا رسول الله ﷺ منه ومن كيده ومكره، فصرح ﷺ للأمة بكل علاماته<sup>(٢)</sup> حتى أصبح المسلمون على بينة من أمرهم لا يستطيع أحد أن يخدعهم أو يحرفهم عن سنة نبيهم ﷺ وسيرة أصحابه رضي الله عنهم، بل إن محبة الصحابة

(١) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، ح (١٧٠٠٥).

(٢) البخاري: ك: فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة، ح (١٧٨٢)، ك: الأنبياء، ح (٣١٦٠)، مسلم: صحيح مسلم، ك: الفتن، باب ذكر الدجال، ح (٧٢٨٨).

والاقتداء بهديهم الموصول بباب رسول الله ﷺ أصبح علامة بين أتباع محمد ﷺ ومحبيه، وبين أتباع الدجال المنتظر الذي تعمل يهود مع أعداء الصحابة وفاقدي الهوية ونابثة السوء في الأمة لنصرته من خلال العمل على إطفاء نور القرآن والسنة وإعلان الحرب على التوحيد والحجاب والعفاف والوحدة والمساجد والقرآن والحفاظ والقراء وعلى السلام والعدل والأخوة في الأرض، ومناصرتهم لعبادة القبور والأوثان وتأليه البشر وطمس السنة النبوية والتدين بما يضاهاها من تعظيم تشريعات وسنن الآلهة الصغار.

وقال خليفة رسول الله في خطبته في ذلك اليوم:

نحن - المهاجرين - أول الناس إسلامًا وأكرمهم أحسابًا وأوسطهم دارًا وأحسنهم وجوهًا وأكثر الناس ولادة في العرب وأمسمهم رحمًا برسول الله ﷺ.

أسلمنا قبلكم وقدمنا الله تعالى في القرآن عليكم. فقال تبارك وتعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾<sup>(١)</sup>.

فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفياء وأنصارنا على العدو، أويتم وواسيتم فجزاكم الله خيرًا والله ما كنا في خير قط إلا كنتم معنا.

فأنتم أحب الناس إلينا وأكرمهم علينا وأحق الناس بالرضاء بقضاء الله والتسليم لأمره ولما ساق لكم وإخوانكم المهاجرين، فلا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة...

وتكلم عمر فقال: يا معشر الأنصار، أتعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر بالصلاة بكم في غيبته ومرضه؟ قالوا: نعم. قال: فأيكم يجترئ على أن يتقدمه؟ قالوا: لا أينا. قال: فقال سعد رضي الله عنه: تبايعه إن نحن بايعناه؟ قال عمر: نعم. وأخذ عهدهم إن هو بايعه لبايعته، فضرب عمر على يد أبي بكر رضي الله عنه وبايعت الأنصار<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠. (٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٩٩.

وقال أبو بكر رضي الله عنه مؤكداً حق قریش وتقدمها على سائر العرب فذكر قول رسول الله ﷺ: «الأئمة من قریش»<sup>(١)</sup>. وقوله ﷺ: «أوصيكم بالأنصار خيراً؛ أن تقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»<sup>(٢)</sup>. يستدل بذلك على تقديم المهاجرين على من سواهم، أي لو كان الأمر لكم لما أوصى بكم، بل لأوصاكم بالناس. وقال رضي الله عنه: إن الله سمانا «الصادقين» وسماكم «المفلحين»<sup>(٣)</sup>. وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>. فتذكرت الأنصار ذلك وانقادت إليه وبايعوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه إماماً وقائداً لأمة محمد ﷺ رغم أنف من ناصبهم العداً ودان بالرفض والردة.

ولما قبض رسول الله ﷺ أتى عمر أبا عبيدة بن الجراح فقال: ابسط يدك فلأبايعك، فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله ﷺ. فقال أبو عبيدة بن الجراح لعمر: ما رأيت لك فهة<sup>(٥)</sup> مثلها منذ أسلمت، أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين<sup>(٦)</sup>؟!؟

لقد كانت هوية خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه معلومة على حقيقتها عند أئمة الإسلام وقادته كما هي معلومة عند رسول الله ﷺ؛ لذلك كانت مواقفهم شديدة ضد كل من تسول له نفسه أن يقدم أحداً عليه رضي الله عنه ولعل في موقف أبي عبيدة هذا مثلاً على ذلك، وقد يكون طلب عمر من أبي عبيدة قبول البيعة بعد أن عرضها على أبي بكر رضي الله عنه حينما كان مشغولاً بالرد على الأنصار فلم يجبه فخشي عمر على مصير الخلافة فعرضها على أبي عبيدة رضي الله عنه فكان منه ذلك الرد الحاسم على عمر رضي الله عنه.

(١) المستدرک، ك. معرفة الصحابة، باب، ذكر فضائل قریش، (٦٩٦٢)، ابن أبي شيبة: المصنف، ك. الفضائل، باب فضل قریش، (٨).

(٢) البخاري: صحيح البخاري، ك. الجمعة، باب، من قال في الخطبة بعد الشاء: أما بعد، ح (٨٨٥).

(٣) ينظر: سورة الحشر، الآيات: ٨، ٩. (٤) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

(٥) قوله «فهة» أي: عيباً أو عجزاً. القاموس المحيط (فهة).

(٦) ابن عساکر: تاريخ دمشق. ٣٠ / ٣٠٢. البلاذري: الشیخان: ١٢٠.

قال ابن كثير: كان هذا في بقية يوم الاثنين، فلما كان الغد صبيحة يوم الثلاثاء اجتمع الناس في المسجد فتمت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة، وكان ذلك قبل تجهيز رسول الله ﷺ.

وقال أنس رضي الله عنه إنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر، وذلك في الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر صامت لا يتكلم، قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا - يريد بذلك أن يكون آخرهم - فإن يك محمد ﷺ قد مات فإن الله قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به، هدى الله به محمداً ﷺ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين، وإنه أولى المسلمين بأموركم، فقدموا فبايعوه.

وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة وكانت بيعة العامة على المنبر. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: سمعت عمر رضي الله عنه يقول يومئذ لأبي بكر رضي الله عنه: اصعد المنبر. فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة<sup>(١)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه: كنت أول الناس آخذ بيد أبي بكر فبايعته، إلا رجلاً من الأنصار أدخل يده من خلفي من بين يدي ويده فبايعه قبلي. وقال عمر لأبي عبيدة: كيف أصلي بين يدي رجل أمره رسول الله ﷺ أن يؤمنا حتى قبض؟ يعني أبا بكر الصديق. وقال عثمان بن عفان: إن أبا بكر الصديق أحق الناس بالخلافة إنه لصديق، وثاني اثنين، وصاحب رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه ما ملخصه: إنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيه ﷺ أنني أردت أن أتكلم فقال أبو بكر رضي الله عنه: على رسلك. فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني إلا قال في بديته مثلها أو أفضل منها، حتى سكت، فقال للأنصار: ما ذكرتم من خير فأنتم له

(١) ابن كثير: السيرة، ٤/٤٩٢. البداية والنهاية، ٥/٢٣٤ - ٢٣٩. وهذا إسناد جيد قوي.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٧٧.

أهل، ولن نعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً وقدرًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم. وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضي الله عنه فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار<sup>(١)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه تكلم أبو بكر رضي الله عنه يوم السقيفة وأبلغ، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال الحباب بن المنذر: لا والله لا نفع لأبدًا، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر رضي الله عنه: لا، ولكننا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارًا وأعربهم أحسابًا، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما. فقال عمر: بل نبايعك، أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ. وأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس<sup>(٢)</sup>.

### خطبة خالد بن الوليد رضي الله عنه:

وخطب خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم البيعة. فقال: «أيها الناس إنا رمينا في بدء هذا الدين بأمر ثقل علينا محمله، وصعب علينا مرتقاه، وكنا كأننا منه على أوفاز، والله ما لبثنا أن خف علينا ثقله وذلل لنا صعبه، وعجبنا من شك فيه بعد عجبنا من آمن به، حتى والله أمرنا بما كنا ننهي عنه، ونهينا عما كنا نأمر به، ولا والله ما سبقنا إليه بالعقول ولكنه التوفيق، ألا وإن الوحي لم ينقطع حتى أكمل، ولم يذهب النبي ﷺ حتى أعذر، فلنسنا نتظر بعد النبي ﷺ نبيًا ولا بعد الوحي وحيًا، ونحن اليوم أكثر منا بالأمس، ونحن بالأمس خير منا اليوم، من دخل في هذا الدين كان من ثوابه على حسب عمله، ومن تركه وددنا إليه، إنه والله ما صاحب هذا الأمر - يعني أبا بكر رضي الله عنه - بالمسؤول عنه، ولا المختلف فيه، ولا بالمخفي

(١) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، ح (١٧٠٠٣).

(٢) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، ح (١٧٠٠٤).

الشخص، ولا المغمور القناة. ثم سكت فعجب الناس من كلامه<sup>(١)</sup>. فقال حزن بن أبي وهب - وهو الذي سماه رسول الله ﷺ سهلاً - مثنيًا على قول خالد رضي الله عنه:

وقامت رجال من قريش كثيرة فلم يك في القوم القيام كخالد  
أخالد لا تعدم لؤي بن غالب قيامك فيها عند قذف الجلامد  
إذا ما عنا في هيجه ألف فارس عدلت بألف عند تلك الشدائد  
ومن يك في الحرب المصرة واحدًا فما أنت في الحرب العوان بواحد<sup>(٢)</sup>

وخطب عمر رضي الله عنه فقال: إن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﴿ثَانِيًا أَتَيْنَ إِذْ هُمْ فِي الْفَكْرِ﴾<sup>(٣)</sup> فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر رضي الله عنه بيعة العامة بعد بيعة السقيفة<sup>(٤)</sup>.

### ما بعد البيعة العامة:

تكلم أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، أيها الناس فإنني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أزيح علته إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى أخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله<sup>(٥)</sup>.

فقوله رضي الله عنه: وليت عليكم ولست بخيركم، من باب هضم حق النفس والتواضع وإلا فهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم رضي الله عنهم. بل هذا من باب الثقة بالنفس

(١)، (٢) الصالحي: سبل الهدى ٣١٤/١٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠. (٤) الصالحي: سبل الهدى، ٣١٥/١٢.

(٥) ابن كثير: السيرة، ٤٩٣/٤. وهذا إسناده صحيح.

والتحجب إلى المؤمنين ومع أنهم يقسمون بأنه خيرهم وأنهم آثمون إذا ما فضل أحد من الناس بعد رسول الله ﷺ على أبي بكر رضي الله عنه، فإنه يخاطبهم بهذا الخطاب الحاني لكيلا يشمخ بعده أحد فيما يصل إليه من وجاهة أو قيادة إذ إنه لن يصل أحد من الناس إلى ما وصل إليه أبو بكر رضي الله عنه في خلافته لسيد البشر وخاتم النبيين ﷺ، فمن يرتقي هذا المرتقى؟ ومن يقول إن هناك من هو أولى بالإمامة وخلافة النبوة من أبي بكر رضي الله عنه إلا فاقد الدين وبائع الأمة ممن لا هم له سوى الهدم والتخريب وإثارة الفتن ونشر البغضاء بين المؤمنين؟

وذهب أبو بكر رضي الله عنه بقوله وليت عليكم ولست بخيركم - مذهب وطريق التواضع، وترك الاعتداد بالولاية، والتباعد عن كبرياء السلطة، وما هذا إلا من شيم الأبرار، ومذاهب الصالحين الأخيار المنكرين أنفسهم، ممن يقدمون حقوق الآخرين على حقوقهم، وقد كان له في رسول الله ﷺ أسوة حتى يقول: «لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»<sup>(١)</sup> وهو ﷺ سيد ولد آدم أحمرهم وأسودهم<sup>(٢)</sup>.

وبهذا يتبين أن كل الأدلة تشير إلى أن خليفة رسول الله ﷺ هو المؤهل لخلافة رسول الله ﷺ، وقد ظهر ذلك جلياً بما اتخذته من مواقف وأبداه من صبر وقوة وعلم وفهم وحذر وتدبر لحال الأمة وأنه كان رجل الموقف بلا منازع كما بدا في سقيفة بني ساعدة؛ فقد اختار من الكلمات المقنعة الحاسمة المؤثرة التي أنهت الموقف وجعلت الجميع يغادرون السقيفة وهم واثقون؛ لأنهم أحسنوا الاختيار ببيعة أبي بكر الصديق خليفة لرسول الله ﷺ، وفعلوا في ذلك الصواب الذي تتحقق فيه مصلحة الأمة في الدين والدنيا، وقد أثبت أبو بكر رضي الله عنه ذلك من خلال معالجاته الفريدة لما مرت به الأمة الإسلامية من معضلات.

(١) البخاري: ك. الأنبياء، باب قول الله: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾، ح (٥١٢٣)،

مسلم: ك. الفضائل، باب في ذكر يونس، ح (٦١٠٩).

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٠٤.

ويبقى التساؤل القديم الحديث المريب: من أين جاء هذا اللغظ الذي يملأ كتب التاريخ والأدب والسير وغيرها عن مسير الأحداث في تلك المرحلة؟ مع أن يوم السقيفة يمثل يومًا فريدًا بين الأيام لما ظهر فيه من أخلاق الشورى والحوار والاحتجاج بالدليل وإسقاط كل عادات وتقاليد ما قبل الإسلام والتمسك بما أقره الله والرسول ﷺ، فلم ينطق أحد بما كان ينطق به أهل الجاهلية حول حقوق الإمارة والقيادة والإمامة والخلافة ولم يتفوه متفوه بما تروج له الرافضة من إفك الوصية والوراثة لعلي رضي الله عنه أو للعباس أو غيرهما من آل بيت النبوة ولم يظهر أي قول إلا قولاً يشهد بتقدم أبي بكر وعظيم مقامه عند رسول الله ﷺ وفي الأمة، وقد كان ميدان الاحتجاج والتنافس هو ثمرة العمل والجهاد بين يدي رسول الله ﷺ في نصرة الإسلام وإعزاز أهله بكل جوانب العمل والجهاد.

ثم إنه لما كان هذا هو ميزان التقدم والكلام في يوم السقيفة لم يكن لأحد من الناس أن يتقدم بين يدي خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر رضي الله عنه، لما يعرف الناس من مواقفه الخالدة وأيديه البيضاء على الإسلام والمسلمين، ولما يعلمون من مكاتته عند رسول الله ﷺ لذلك كان الانقياد كاملاً والطاعة تامة؟

أما الجواب على هذا التساؤل فهو واضح جلي لكل عاقل يظهر بإلقاء نظرة سريعة على كتب الرافضة التي تعج بالبهتان والتدليس والوضع والإفك والحقد على أصحاب رسول الله ﷺ، وكذلك محاضراتهم وندواتهم وأعيادهم وأتراحهم وقبورهم وأصنامهم، بل إن كثيرًا من كتبهم التي يقرؤها أهل السنة دون أي حذر هي السبب المباشر لكل هذا التشويش الذي يتقاذف أفكار الكثيرين من المترددين؛ عامتهم وعلماهم على حد سواء الذين لا بصيرة لهم ولا ولاء، ويأتي في مقدمة تلك الكتب التي تنفخ الإفك وتنتشر الزيف ما أورده المسعودي في كتابيه التنبيه والإشراف، ومروج الذهب ومعادن الجوهر كاذبًا مفتريًا على أصحاب رسول الله ﷺ عن يوم السقيفة وما جرى فيها من مناظرة طويلة وخطوب عظيمة صورها بما يفرزه عقله الحاقد من صديد الوهم والدس على أمة الصحابة وتابعيهم

رضي الله عنهم<sup>(١)</sup> وما افتراه على سعد بن عبادة رضي الله عنه من بهتان يقوده إلى مواقع المرتدين الرافضيين للسنة النبوية زاعماً أنه لم يبايع أبا بكر رضي الله عنه حتى مات حاشاه من ذلك رضي الله عنه، وكذلك ما ورد في كتاب تاريخ اليعقوبي الرافضي الحاقداً على الأمة وتاريخها ومسيرة أعمالها وأعلامها<sup>(٢)</sup> وكذلك ما رواه ابن جرير الطبري في تاريخه من روايات أغلب أسانيدھا أقل ما يقال عنها: إنها ساقطة، فلا يخلو أي إسناد من مجهول أو متروك، أو ممن عُرف عنه الوضع كسيف بن عمر الذي قال عنه أبو حاتم: متروك الحديث. وكذا الواقدي وأبو مخنف لوط بن يحيى وهشام بن محمد الكلبي، فهؤلاء أكثر من دارت عليهم هذه الروايات في تاريخ الطبري وغيره التي قل أن يثبت منها شيء، والشيء نفسه يقال فيمن جاء بعد الطبري وأخذ عنه كابن الأثير في الكامل في التاريخ وما تناقلته كثير من الكتب وأضافته عن ذلك الحوار الذي دار بين بعض المهاجرين وإخوانهم الأنصار في إطار تبادل وجهات النظر للوصول إلى أفضل الحلول وأكمل وجوه خلافة النبوة، وهذا ما توصلوا إليه بقيادة خليفة رسول الله وبعلمه وحسن تقديره ومعالجته للمعضلات الشائكة.

قالت أم المؤمنين الطاهرة رضي الله عنها: توفي رسول الله ﷺ فوالله لو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها، ارتدت العرب، وأشرأب النفاق في المدينة، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحطها وعنائها في الإسلام. وكانت تقول في هذا الحديث: ومن رأى عمر بن الخطاب علم أنه خلق غنى للإسلام، كان والله أحوذياً نسيج وحده، قد أعدّ للأمر أقرانها<sup>(٣)</sup>.

(١) المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين، التنبيه والإشراف، مراجعة عبد الله بن إسماعيل، القاهرة ١٣٥٧ هـ/٢٤٧.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٥ دار الفكر، بيروت ١٣٩٣ هـ/٣٠٨. اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي، تاريخ اليعقوبي، بيروت ١٣٧٩ هـ/٢، ١٢٤، ١٢٦. جمال ووفاء: استخلاف أبي بكر الصديق، ١٥١.

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣١٢.

وقال ابن العفيف: رأيت أبا بكر رضي الله عنه وهو يبائع الناس بعد رسول الله ﷺ فيجتمع إليه العصابة فيقول: تبايعوني على السمع والطاعة لله ولكتابه ثم للأمر؟ فيقولون: نعم. فيبايعهم، فقامت عنده ساعة وأنا يومئذ المحتلم أو فوقه، فتعلمت شرطه الذي شرط على الناس، ثم أتيته وبدأته، فقلت: أنا أبايعك على السمع والطاعة لله ولكتابه ثم للأمر، فصعد في البصر ثم صوبه ورأيت أني أعجبته رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

وعن عبد خير قال: قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه على المنبر، فذكر رسول الله ﷺ فقال: قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر، فعمل بعمله، وسار بسيرته حتى قبضه الله على ذلك، ثم استخلف عمر فعمل بعملهما، وسار بسيرتهما حتى قبضه الله على ذلك<sup>(٢)</sup>. وعن حذيفة قال: قبض رسول الله ﷺ فاستخلف الله أبا بكر، ثم قبض أبو بكر فاستخلف الله عمر، ثم قبض عمر فاستخلف الله عثمان<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عمر: لما مات رسول الله ﷺ نظر المسلمون خيرهم فاستخلفوه، وهو أبو بكر رضي الله عنه، فلما مات نظر خير المسلمين فاستخلفه عليهم، وهو عمر رضي الله عنه، فلما مات عمر - أو قُتل - نظر المسلمون خيرهم فاستخلفوه، وهو عثمان رضي الله عنه إن تقتلوه فاتوني بخير منه، والله ما أرى أن تفعلوا<sup>(٤)</sup>.

وقال النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه: بينما زيد بن خارجة يمشي في بعض طرق المدينة إذ خر ميتاً بين الظهر والعصر، فنقل إلى أهله، وسُجِّي بين ثوبين وكساء، فلما كان بين المغرب والعشاء اجتمعن نسوة من الأنصار، فصرخوا حوله، إذ سمعوا صوتاً من تحت الكساء يقول: أنصتوا أيها الناس، مرتين، فحسر عن وجهه وصدرة، فقال: محمد رسول الله ﷺ

(١) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: «الأئمة من قريش»، (١٧٠٢٩).

(٢) الهيثمي: مجمع الزوائد، ح (٨٠٩٨) رجاله ثقات.

(٣) الهيثمي: مجمع الزوائد، ح (٢٢٩٨). الطبراني: المعجم الأوسط، ٦/٦٤. ورجاله ثقات.

(٤) الطبراني: المعجم الكبير، ح (٣٢٣٢)، وقال الهيثمي في المعجم: فيه علي بن حسان العطار، ولم

أعرفه، وبقية رجاله ثقات. الهيثمي: مجمع الزوائد، (٣٢٩٨).

النَّبِيِّ الْأَمِيِّ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، كان ذلك في الكتاب، ثم قيل على لسانه: صدق صدق، أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ القوي الأمين، كان ضعيفاً في بدنه، قوياً في أمر الله، كان ذلك في الكتاب الأول. ثم قيل على لسانه: صدق صدق ثلاثاً. والأوسط عبد الله عمر أمير المؤمنين - رضي الله عنه - الذي كان لا يخاف في الله لومة لائم، وكان يمنع الناس أن يأكل قويمهم ضعيفهم، كان ذلك في الكتاب الأول، ثم قيل على لسانه: صدق صدق. ثم قال: عثمان أمير المؤمنين رحيم بالمؤمنين، خلت اثنتان وبقي أربع واختلف الناس ولا نظام لهم وأبيحت الأحماء - يعني تنتهك المحارم - ودنت الساعة وأكل الناس بعضهم بعضاً<sup>(١)</sup>.

### تمسك الصحابة ببيعة خليفة رسول الله ﷺ:

بويح أبو بكر رضي الله عنه يوم قبض رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مهاجر رسول الله ﷺ. قال ابن عمر رضي الله عنهما: ولي أبو بكر رضي الله عنه في خلافته سنتين وسبعة أشهر<sup>(٢)</sup>.

اشتكى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر يوماً، فكان إذا وجد خفة صلى، وإذا ثقل صلى أبو بكر رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

قال ابن أبي مليكة: قيل لأبي بكر رضي الله عنه: يا خليفة الله، قال: أنا خليفة مُحَمَّد ﷺ وأنا راضٍ بذلك، وكره أن يقال له: خليفة الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

وخطب أبو بكر رضي الله عنه فقال مبيناً موقفه من الخلافة: وإيم الله ما حرصت عليها يوماً قط، ولا طلبتها ولا سألت الله تعالى إياها سراً ولا علانية وما لي فيها من راحة،

(١) ابن أبي الدنيا: من عاش بعد الموت، ١٧/١ الطبراني، المعجم الكبير، وأورده ح (٥١٤٤)، والهيتمي: مجمع الزوائد، ح (٨٩٢٥).

(٢) الحاكم: المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤١٧).

(٣) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، (١٧٠٥٢).

(٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٩٤. البلاذري: الشيخان، ٤٢.

ولقد قلدت أمرًا عظيمًا ما لي به طاقة ولا يدان، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني، فعليكم بتقوى الله، فإن أكيس الكيس التقى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإني متبع ولست بمبتدع<sup>(١)</sup>.

وقام رضي الله عنه في الناس بعد مبايعتهم إياه يقلبهم في بيعتهم، ويستقبلهم فيما تحمله من أمرهم، ويعيد ذلك عليهم، كل ذلك يقولون والله لا نقتلك ولا نستقبلك، قدمك رسول الله ﷺ فمن ذا يؤخرك؟ قلت: وقال أبو الجحاف: لما بويج أبو بكر، وبايعه الناس قام ينادي ثلاثًا: أيها الناس قد أقتلكم ببيعتمكم. فقال علي: والله لا نقتلك ولا نستقبلك؛ قدمك رسول الله ﷺ في الصلاة، فمن ذا يؤخرك<sup>(٢)</sup>؟

وعن عيسى بن عطية قال: قام أبو بكر الصديق الغد من حين بويج فخطب الناس فقال: أيها الناس إنني قد أقتلكم رأيكم، إنني لست بخيركم، فبايعوا خيركم. فقاموا إليه فقالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ أنت والله خيرنا<sup>(٣)</sup>.

إن عمر رضي الله عنه خطب خطبة فقال فيها: إن فلاتًا وفلاتًا قالوا: لو قد مات عمر بايعنا عليًّا فتمت بيعته، وإنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها، وكذبا. والله ما كانت بيعة أبي بكر فلتة ولقد أقامه رسول الله ﷺ مقامه واختاره لدينهم على غيره وقال: «يا أيها الله والمؤمنون إلا أبا بكر». فهل منكم أحد تقطع إليه الأعناق، كما تقطع إلى أبي بكر<sup>(٤)</sup>؟ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/٣٠٦.

(٢) الصالحی: سبل الهدی، ١٢/٣١٨، الطنطاوی: أبو بكر، ١٥٩.

(٣) الهیثمی: مجمع الزوائد، ٩٣٩٨.

(٤) البلاذري: الشیخان: ١٢٠.

(٥) سورة الممتحنة، الآية: ٦.

وبهذه النصوص يتجلى الموقف من خلافة أبي بكر لرسول الله ﷺ وإجماع الصحابة عليها وحكمهم بالردة على كل من يرفضها، وجهادهم من أجل نصرتها وتنفيذ أوامرها وإزهاق رافضيها المرتدين والمنافقين، حتى حققوا بذلك الجهاد المبارك النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة مكافأة لصبرهم ومؤازرتهم لخليفة نبيهم ﷺ وفهمهم وفقههم لمكر وخبث وزندقة من يرفض خلافة أبي بكر رضي الله عنه حتى أصبح الموقف من خلافة أبي بكر رضي الله عنه جزءاً من عقيدة الأمة التي تلقت إشارات رسول الله ﷺ وتوجيهاته بوجوب اتباعه رضي الله عنه وطاعته بالإجماع والقبول، فلم يعد يجحد ذلك الموقف سوى أعداء الصحابة الذين تأمروا على رسول الله ﷺ وأبغضوا أصحابه وطعنوا في رسالته ﷺ وفي أهل بيته رضي الله عنهم وما زالوا يقاتلون أمته ويرفضون سنته المطهرة كبراً وعناداً ورداً للإيمان. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

## بيعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما

ذكر بعض المؤرخين أن علي بن أبي طالب وسعد بن عباد وبعض الصحابة قد تخلفوا عن بيعة خليفة رسول الله لأسباب مختلفة، ولكن النظر المنصف فيما سبق ذكره من نصوص عن علي رضي الله عنه وفهم الواقع الذي كانت تمر به الدولة والدعوة بعد وفاة رسول الله ﷺ تجعل من العسير التسليم لأي من الروايات التي تتحدث عن هذه المسألة دون أن تقدم المسوغات الشرعية التي كان يقف عندها الصحابة الذين هم أشد الناس حرصًا على أمن الأمة وسلامتها وأكثرهم تمسكًا بالطاعة وفهمًا لإشارات رسول الله ﷺ ورغباته وحبًا وإجلالًا لمن يقربه ويصطفيه من بينهم، وطاعة لمن يقدمه أو يقر تقدمه واجتهاده، وقد ثبت بما لا يدع مجالًا للشك أن كل ذلك يبيِّن في خلافة الصديق رضي الله عنه وبالتالي فإن أي حديث لا يحمل معه الأدلة الشرعية التي تسوغ تخلف هذين الصحابيَّين المجاهدين عن بيعة سيد الصحابة وإمامهم إنما هو حديث ساقط، ولا قيمة له، وإن وجدت بزعمهم فإنما هي أدلة لا يمكن الالتفات إليها علميًا ولا شرعيًا، وكل حديث حولها - سوى ما يؤكد زيفها أو ضآلة فهم قائلها لثقافة الصحابة ومقاييس التقديم والتأخير عندهم - سيكون لغوًا فارغًا ولا يصدر إلا من جاهل لا يدرك آمال وتطلعات الصحابة والأسس التي يبنون عليها اجتهاداتهم، أو من صاحب هوى يبحث عن السقطات والغفلات لينفخ فيها روح الفرقة وحب الفتنة، وبالتالي التأسيس لفكر الرفض والخروج والردة والطعن بالسنة وحملتها تحت ستار زائف غذي بالإفك والأهواء الهادفة إلى نزع وشائج الحب والإجلال التي تعمر قلوب محبي الصحابة المؤمنين بما حملوه وجاهدوا من أجله.

وكل ذلك مما يسعى أعداء الصحابة إلى ترويجه وتسويقه ليحققوا إقرار أباطيلهم، فيصبح ذلك مسوغاً لثقافة التمزق والتناحر وتطاول العجزة الصغار والمغفلين على أولي العزم جند رسول الله ﷺ حماة الكتاب والسنة العلماء الفقهاء الفاتحين، واتهامهم الأعمى في كل ذلك لفتى المهاجرين علي رضي الله عنه الذي لم يتخلف عن مكرمة؛ بأنه تخلف عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ونصرته ضد الرافضة المرتدين، علماً بأن كل الإشارات التي تعج بها سيرة رسول الله ﷺ إنما هي مؤكدة على مؤازرة جميع الصحابة للصدیق رضي الله عنه ونصرته.

وكذلك اتهام سعد بن عبادة سيد الخزرج الذي كان من أكثر الناس فهماً لكل ما يشير إليه رسول الله ﷺ بأنه خرج على خليفة رسول الله أيضاً، فما دام هذان الخيران المهاجري والأنصاري قد ستاً الرفض والخروج وحاشاهما، فلماذا إنكاره على أعداء الصحابة؟! وهدفهم من كل هذا التضليل إنما هو إشاعة قبول النيل من الصحابة والطعن بما حملوه من أمانة الكتاب والسنة، وبالتالي نشر ثقافة الردة، وعلى هذا فلسان حالهم يقول: لماذا لا يصبح الرفض والخروج من مكونات الثقافة الإسلامية وأحد مفردات المناهج الدراسية؟ ولماذا كل هذا التضليل والتفسيق لمن يرفع الرايات الراضية السبئية؟ ولماذا كل ذلك الإنكار على من يخرج على السنة النبوية ويطال بهتانه أئمة المحدثين وقادة الفاتحين وسيد الخلفاء الراشدين؟!

ولا شك أن الكثير من هذا الزيف الأثم ينتشر بين الغوغاء عندما يردد بعض كتابنا الأشاوس بلا وعي ولا إنصاف أباطيل الراضية وأعداء السنة فينشغلون بتهريشاتهم عن جوهر سيرة الصحابة ومعرفة ثمار إنجازاتها، ويغفلون عما تقوم به الراضية من إغراءات يزينون بها باطلهم ويغرون بها السفلة والمنحطين بالمتعة والدرهم، فيشترون منهم الولاء للسنة النبوية بالرفض والردة، متناسين نداء الحق تعالى لأمثالهم: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٩.

ويفسد أولئك الكتاب المحسوبون على أهل السنة كل ما يكتبونه ويؤصلون له عندما يقرؤون مثل تلك المواقف المخالفة لأخلاق الصحابة وفهمهم وواقع حياتهم، فيأتي المغرضون وغوغاء الناس فيسقطون كل إشراقات تاريخ الصحابة ويطمسونه، برعاية أولئك الذين يخلطون بين وهج الحق وظلمة الباطل تحت مسميات تشجيع حرية البحث والفكر، وتحت شبهات يثيرها المهزومون أمام زمزمة الفكر الغربي وفحيجه مما يسهم إسهامًا مباشرًا في زلزلة ثقة كثير ممن لا علم لهم بالسنة وحملتها الكرام رضي الله عنهم فيطرح نتائج كثير من الكتاب ومراكز البحوث والفكر والإعلام، ممن آثروا العاجلة على الأجلة بتتن الرفض وصديد الردة، فيتأكد لكل عاقل من أهل السنة أن أي كاتب أو مركز من مراكز الفكر والإعلام والبحث الإسلامي لا ينافح عن هوية أهل السنة ويتبرأ من أعدائهم في كل نشاطاته، فإنه لن يزيد عن أن تكون جهوده جرثومة خبيثة تنشر الشك والوهم في أفكار أهل السنة وثقافتهم.

هذا وإن تستروا بما يسمى حرية البحث أسوة بأصحاب الفكر العلماني الذين انتقدوا الفكر الكنسي وحملة ذلك الفكر وتلك العقائد، فعلى فاقد الولاء للسنّة النبوية من الكتاب العرب والمسلمين أن ينتقدوا الفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية وحملة ذلك الفكر وتلك العقيدة، وما دام أولئك قد ردوا النصوص في عقائدهم الزائفة واتهموا قادة تلك العقائد، فعلى أصحابنا الضائعين أن يردوا نصوص الحق في الكتاب والسنة التي جاءت تشهد لأهل الحق أصحاب رسول الله ﷺ بالوفاء والنقاء وجميل الأداء.

وليشيعوا بين الناس أن كل من يقف في وجه النقد الزائف للحق فهو عثرة أمام الإصلاح الفكري وحركة تصحيح التاريخ والثقافة أو أنه تقديسي جامد يقول بعصمة الصحابة رضي الله عنهم، وبناء على هذا الواقع القائم في التاريخ والفكر والثقافة الإسلامية المعاصرة يمكن القول:

إن كل من يتهم المدافعين عن وحدة الصحابة وطاعة بعضهم بعضًا وتعلقهم بكل ما أشار إليه رسول الله ﷺ، ولا سيما في تقديم أبي بكر رضي الله عنه على سائر الصحابة رضي الله

عنهم واستجابتهم لذلك والتزامهم به، فإنه يُسقط مناهج الرافضة والمرتدين والمبتدعة والعلمانيين والمستشرقين على حملة عقيدة الأمة، ويعمل على نشر ثقافة التمزق والتناحر والفتنة، والتأسيس لفكر الرفض والخروج على السنة وصلابة ووضوح وصفاء وأمانة وصدق وفقه ونظام وذوق وحضارة الصحابة وحبهم للجماعة والوحدة والعدل والحرية.

ومن هذا شأنه فإنه لا يخرج عن أحد صنفين؛ إما أنه جاهل بتاريخ الصحابة، وإما أنه صاحب هوى ضال متعالٍ أحق، يدعو المسلمين لرفض نصوص القرآن والسنة، والأخذ بأوهامه وإفكه وبهتانه على خير البشر بعد الأنبياء عليهم السلام.

فلا غرابة ممن كان هذا شأنه في أن يجعل من نفسه الظالمة العاجزة الواهمة التي تعيش في عصر العجز والظلم والوهم مقومة لعمل الصحابة وإنجازاتهم الفذة الفريدة، ويُنصب نفسه قاضيًا ظالمًا وشاهد زور عليهم، فيبرئ من يشاء ويتهم من يريد من عمالقة الخير والنور والهدى رضي الله عنهم.

أما ما جاء في بعض الروايات الصحيحة من تخلف علي رضي الله عنه عن الذهاب إلى سقيفة بني ساعدة، في اليوم الأول من وفاة النبي ﷺ فلا يمكن حمله على أنه خروج عن الإجماع أو أنه رفض لطاعة خليفة رسول الله ﷺ أو أن فيه شيئًا من الإنكار لمقامه الذي أقامه فيه رسول الله ﷺ قبل وفاته، وإنما هي كلمة وردت على لسان قائلها كشاهد على أن الله تعالى هو متولي تدبير أمر خلافة رسول الله ﷺ، ومع قلة الذين أمكنهم تدارك الأمر في السقيفة وتنبية الأنصار على المسار الصحيح وأنهم لم يزيدوا على ثلاثة من المهاجرين، بينما كان الآخرون من المهاجرين لا علم لهم بما يجري من حوار في السقيفة وهم مشغولون بتجهيز رسول الله ﷺ من أمثال علي والزبير وعثمان رضي الله عنهم، ولا سيما أن روابطهم العائلية برسول الله ﷺ تؤكد عليهم مباشرة ذلك والعمل على إنجازه، إضافة إلى انشغالهم بمعالجة عميق جراح لوعتهم ومصابهم بفقد رسول الله ﷺ، ذلك المصاب الذي هز المجتمع الإسلامي آنذاك هزًا عنيفًا لم يثبت أمامه إلا أولو العزم وراسخو العلم.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ لم يمت فجأة، كان بلال رضي الله عنه يأتيه في مرضه فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس، وهو يرى مكاني، فلما قبض رسول الله ﷺ رأوا أن رسول الله ﷺ قد ولاه أمر دينهم فولوه أمر دنياهم. وقال رضي الله عنه: لما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر رضي الله عنه في الصلاة، فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لدنيانا، فقدمنا أبا بكر، ومن ذا كان يؤخره عن مقام أقامه رسول الله ﷺ فيه<sup>(١)</sup>؟

وقال علي رضي الله عنه: قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر فصلى بالناس، وإنني لشاهد غير غائب، وإنني لصحيح غير مريض، ولو شاء أن يقدمني لقدمني، فرضينا لدنيانا من رضيه الله ورسوله لدنيانا<sup>(٢)</sup>.

ولما قبض النبي ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة، وفيهم أبو بكر وعمر، قام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ، فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره. فقام عمر فقال: صدق قائلكم، أما لو قلت غير هذا لم نتابعكم، وأخذ بيد أبي بكر وقال: هذا صاحبكم فبايعوه، وبايعه عمر، وبايعه المهاجرون والأنصار، قال: فصعد أبو بكر المنبر، فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير، قال: فدعا بالزبير، فجاء، فقال: قلت: ابن عمه رسول الله ﷺ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين. قال: لا تثريب - أي لا لوم - يا خليفة رسول الله. فقام فبايعه، ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً، فدعا بعلي رضي الله عنه فجاء فقال: قلت ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين. قال رضي الله عنه: لا تثريب يا خليفة رسول الله. فبايعه<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن عساکر: تاریخ دمشق. ٣٠/٣٠٢.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب: ١/٦٤٩. النووي: تهذيب الأسماء واللغات، (٤٨٠).

(٣) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/٢٧٧. البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، ح (١٧٠٦). قال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: =

وقال أبو بكر لعلي رضي الله عنهما: أكرهت إمارتي؟ قال: لا، ولكنني حلفت ألا أرتدي بعد وفاة رسول الله ﷺ برداء حتى أجمع القرآن كما أنزل<sup>(١)</sup>.

وعن أبي سعيد قال: لما بويح أبو بكر رضي الله عنه قال: أين علي؟ لا أراه. قالوا: لم يحضر. قال: ما كنت أحسب أن هذه البيعة إلا عن رضا جميع المسلمين، إن هذه البيعة ليست كبيع الثوب ذي الخلق، إن هذه البيعة لا مردود لها. قال: فلما جاء علي. قال: يا علي ما بظأ بك عن هذه البيعة؟ قلت: إني ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته، لقد علمت أنني كنت في هذا الأمر قبلك. قال: لا تزري بي يا خليفة رسول الله ﷺ. فمدّ يده فبايعه.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا، ما رضيه رسول الله ﷺ لدينا فقدمنا أبا بكر<sup>(٢)</sup>.

ولما توفي رسول الله ﷺ قام زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإن الإمام يكون من المهاجرين ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ. ثم أخذ زيد رضي الله عنه بيد أبي بكر رضي الله عنه. فقال: هذا صاحبكم فبايعوه. ثم انطلقوا،

= جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث، فكتبته له في رقعة وقرأته عليه. وهذا حديث يسوى بدنة. فقلت: يسوى بدنة بل يسوى بدرة! وهذا إسناد صحيح محفوظ من حديث أبي نصر المندر بن مالك بن قطعة، عن أبي سعيد الخدري. وفيه فائدة جلييلة، وهي مبايعة علي بن أبي طالب، إما في أول يوم وإما في اليوم الثاني من الوفاة. وهذا حق، فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه. وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شهراً سيفه يريد قتال أهل الردة. ابن كثير: السيرة، ٤/ ٤٩٥. إسناد جيد. ولله الحمد والمنة. الحاكم: المستدرک، ك: معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٥٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١) البلاذري: الشيخان، ١٢٤. الصنعاني: المصنف، ك: المغازي. باب: بيعة علي لأبي بكر، ٩٧٦٥.

(٢) البلاذري، الشيخان: ٤٠.

وجاء علي والزبير فبايعاه رضي الله عنهم<sup>(١)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه: قام أبو بكر رضي الله عنه بعدما استُخلف بثلاث فقال: من يستقيلني بيعتي فأقيله؟ فقلت: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، من ذا الذي يؤحرك وقد قدمك رسول الله ﷺ؟<sup>(٢)</sup>

وقال رضي الله عنه: ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المؤمنين - أبا بكر وعمر - بما ليسا من هذه الأمة بأهل، وبما أنا عنه منزه ومنه بريء وعليه أعاقب، أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا منافق ردي<sup>(٣)</sup>.

ولما خرج أبو بكر رضي الله عنه شاهراً سيفه، ركباً على راحلته إلى ذي القصة جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه يأخذ بزمام راحلته، فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله، أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أُحُد: «شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً» فرجع وأمضى الجيش<sup>(٤)</sup>.

ولهذا فإن القول بتأخرهم عن طاعة خليفة رسول الله ﷺ إنما هو اتهام خطير لم يثبت له أي دليل علمي على أرض الواقع ولا دليل شرعي يستند إليه، وهو تسويق لنظرية فاسدة مفادها أن الإسلام لم يقم إلا في أيام رسول الله ﷺ، وأنه منذ وفاة رسول الله ﷺ اختلف أصحابه رضي الله عنهم على الدنيا والملك، وهذا التزييف المكشوف والمعلن أسهم

(١) البيهقي: السنن الكبرى: ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، ح (١٧٠٠٦) وفي بيعة علي والزبير وأن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم يتقطع في صلاة من الصلوات خلفه، وأن ما ترددته الرافضة عن تخلف علي رضي الله عنه هو الباطل والزيف وأمانى السوء التي يدينون بها محاربة لرسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٠٢، ٣٠٧. (٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣٠/٣٨٥.

(٤) تاريخ دمشق، ٣٠/٣١٦. الصواعق المحرقة: ٤٦/١. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ٢/١٢٧٠. لسان العرب: ٢/٣٢٩ وقوله: «شم سيفك» أي: اغمده. والشيم من الأضداد، يكون سلاً وإغماداً.

في ترويجه كل العابثين في سيرة الصحابين الكريمين؛ علي المهاجرين، وسعد الأنصار، وقذفهم بإفك نشر الفتنة وشق عصا المسلمين، فإذا كانت نظرية الزيف هذه التي ما زال بعض العابثين يبحثون عن النصوص الصحيحة ليجتزئوها من مسارها التاريخي؛ ثم يلونونها باتجاه مقاصدهم الفاسدة لتأكيد ثقافة الفتنة والتمزق والتناحر في الأمة، ولنزع الثقة في جيل القرآن والنبوة جيل التنفيذ المباشر والمثالي لكل رسائل السماء التي نزلت على الأرض ونُشرت ورسول الله ﷺ بين أصحابه الأكرمين، حتى صنع منهم جيل القدوة للبشرية جمعاء إلى قيام الساعة، أولئك القوم الذين لن يجتمع مثلهم فضلاً وفضيلة على وجه الأرض أبداً، ولن يكون على وجه الأرض أحط وأسوأ وأظلم من قوم يناصرونهم العدا والانتقاص والشتم والتكفير، ولن يكون هناك أسفه ولا أجهل ممن يصدق هؤلاء الذين ما زالوا يفترون المعايب والمثالب ليلصقوها بهم، وليرد بذلك ما جاء بحقهم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والسيرة المثالية العطرة التي جسدها واقعاً حياً على الأرض التي تشرفت بدبيب أقدامهم عليها.

ولكن هذه الكلمة التي أصبحت فتنة لكثير ممن في قلوبهم مرض، اهتبلها مبغضو الصحابة ورددتها من ورائهم الغوغاء التي لا تميز الشراب من السراب، ومن ورائهم محبو التقليد والتبديل والبهتان، ونشروها في الكثير من كتب التاريخ والأدب وأضافوا إليها صديد أذهانهم وذرب ألسنتهم وقدموا كل ذلك على أنه يحمل شيئاً من الحقيقة، مع أن السابقين واللاحقين من أولئك التائهين عاجزون عن إثبات باطلهم بدليل علمي صحيح. قال تعالى:

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

يؤكد كل هذا الذي أثبتناه أن الواهين المترددين في ريبهم وشكهم في سيرة الصحابة لا يستطيعون أن يثبتوا كلمة واحدة قالها علي رضي الله عنه فيها تشكيك أو تردد أو تأفف أو تؤكد شيئاً على أنه تخلف عن طاعة خليفة رسول الله ﷺ ليس هذا فحسب، بل إن كل

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٩.

من يشير إلى ذلك يضع نفسه في موضع المفتري بحكم قاضي الصحابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي حكم على كل من يقدمه أو يفضله على أبي بكر بالكذب والبهتان وبوجوب جلده والتشهير به. وذلك بقوله «لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلده حد المفترى»<sup>(١)</sup>. هذا الأثر الذي روي من حوالي ثمانين طريقاً حتى بلغ حد التواتر في الصدق والصحة ما هو إلا سيف مسلط على الزنادقة والأفاكين يجز زيفهم ويبطل سحرهم، ويضع كل من يهمهم بالفتن وبغض الصحابة عارياً أمام الحق كاذباً مفترياً لا يجد ما يستر زيفه وحقده على خلافة النبوة، وهناك مبطلات أخرى لا تسمح بقبول مثل هذه الروايات، لما سبق من تحليلات، ولتصادمها مع الواقع الذي عاشه الصحابة آنذاك ولأسباب أخرى ظهرت في أثناء هذا البحث وجميعها تؤكد أن كل من يشكك في ولاء علي رضي الله عنه لخليفة رسول الله ﷺ، ويجمع الأباطيل لتأكيد ذلك فإنما يصدق فيه قول القائل:

يحجون بالمال الذي يجمعونه حراماً إلى البيت العتيق المحرم  
ويزعم كلُّ أن تُحَطَّ رحالُهُم تحطُّ، ولكن فوقهم في جهنم<sup>(٢)</sup>

وهذه هي أفعال أعداء الصحابة الذين يرفضون خلافة أبي بكر رضي الله عنه ويزعمون كاذبين أنهم ليسوا من المرتدين ويرفعون الشعارات الإسلامية موهمين المؤمنين أنهم لا يوالون الكافرين ولا يبغضون الصالحين، ولكن يأبى الله تعالى إلا أن يجعل خليفة رسول الله ﷺ حجة على كل منافق مرتد محارب للسنة النبوية المطهرة، وكما فضحت خلافة أبي بكر رضي الله عنه نبوءات مسيلمة الكذاب فقد كشفت كذلك في هذا العصر حركات التمرد على عقيدة الخلافة الراشدة وثوابتها المتجذرة في صفحات الكتاب والسنة.

(١) تاريخ دمشق. ٣٠/٣٧٠. ابن تيمية: منهاج السنة، ٣/١٦٢. الخليفة: الإنصاف، ١٢٧، الصلابي:

علي بن أبي طالب، ١٥٠.

(٢) الشاطبي: الإفادات والإنشادات، ١٦٠.

## ومما يفند مزاعم تخلف علي رضي الله عنه عن البيعة أيضًا ما يأتي:

قول النبي ﷺ كما جاء في الصحيح: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» كما سبق ذكر هذا النص تامةً، وعلم علي رضي الله عنه بذلك ومع أصحاب رسول الله ﷺ فمن منهم يخالف أمر النبي ﷺ؟

إنه لم ينقل في رواية صحيحة أن علياً رضي الله عنه تخلف عن الصديق رضي الله عنه في صلاة أو جهاد أو مشورة أو غير ذلك، بل المنقول عنه أنه خرج معه إلى ذي القصة، لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة فأخذ بزمام راحلته وقال له: إلى أين يا خليفة رسول الله، أقول لك كما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد: «شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فُجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً»<sup>(١)</sup>.

وقد كان علي رضي الله عنه بين يدي الصديق رضي الله عنه كغيره من أمراء الصحابة، يرى طاعته فرضاً عليه وأحب الأشياء إليه<sup>(٢)</sup>. ولا شك أن كل ما كان يقوم به الصحابة رضي الله عنهم إنما كان مبنياً على علم استقوه من رسول الله ﷺ فكيف يجروا أحد منهم على التخلف عن أبي بكر رضي الله عنه ورسول الله ﷺ كان يخاطبهم بقوله: «لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقصدوا باللذين من بعدي وأشار إلى أبي بكر وعمر»<sup>(٣)</sup>.

وقد وكل إليه الصديق رضي الله عنه قيادة فرقة الأنقاب مع الزبير وطلحة وابن مسعود رضي الله عنهم وهي الفرقة التي جعلها الصديق رضي الله عنه على أنقاب المدينة لحراسة الطرق المفتوحة الموصلة إليها ضد غارات المرتدين.

ومن أوضح ما ذكر في هذا الصدد، ما قاله علي رضي الله عنه لما ظهر على الناس يوم استهدفت الرافضة السبئية جمل الطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنها وهي عليه في هودجها

(١) الحكمي: معارج القبول، ٣/١١٣٧. المتقي الهندي: ح (١٤٣٧).

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/٢٣٧.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف، ٢/٣٠٦.

فسميت الواقعة يوم الجمل. قال: يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً، حتى رأينا من الرأي أن يستخلف أبو بكر رضي الله عنه فأقام واستقام حتى مضى لسبيله أو قال حتى ضرب الدين بجرانه<sup>(١)</sup>.

وقد ردّ علي رضي الله عنه على المفترين عليه بأن لديه وصية من رسول الله ﷺ حينما سئل؛ هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال: ما خصنا ﷺ بشيء إلا ما في هذه الصحيفة، أو فهمًا يعطاه الرجل في كتاب الله تعالى، وكان في تلك الصحيفة شيء من الأحكام الشرعية ليس في شيء منها التعرض لأمر الخلافة<sup>(٢)</sup>.

وهذا الموقف المعلن الذي يؤكد اعتزاز علي رضي الله عنه ببيعة الصديق رضي الله عنه وتقربه إلى الله تعالى بإمامته هو الذي يعمل أعداء الصحابة على طمسه عمدًا لا جهلاً، وذلك لتغذية الأحقاد واستمرار التمزق والفتن وهذا لا غرابة فيه لأن أعداء الصحابة يعملون بوحى عقائدهم، ولكن الغرابة والريب فيمن يتلقفون هذه الأكاذيب ويسطرونها في كتبهم أو يلقونها في محاضراتهم فيشاركون المبطلين في نشر باطلهم وتحقيق مآربهم وتوسيع دائرة زيفهم بحجة الرد على الشبهات أو التحرر من التبعات، لكنهم في كل ذلك لم يزيدوا على أن ولغوا في البهتان والكذب الذي لن يغير من الحقيقة المتمثلة في أن الصحابة هم سادة الدنيا وقادتها رضي الله عنهم، وأنهم باقون على ذلك وكل من يعاديهم زائل بائد. قال الشاعر:

وكم من رجال قد رأينا ودولة فبادوا جميعًا مسرعين وزالوا  
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فماتوا والجبال جبال<sup>(٣)</sup>

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٥٠. ابن حنبل: المسند، مسند علي، ح (٩٢١).

(٢) الدارقطني: سنن الدارقطني، ك: ويا ب الحدود والديات، ح (٥٢٧٧). البزار: البحر الزخار، مسند علي رضي الله عنه، باب ما روى أبو جحيفة، ح (٦١). الطبراني: المعجم الأوسط، ك. ويا ب من اسمه محمد، ح (٥٢٧٧).

(٣) الشاطبي: الإفادات والإنشادات، ٨٥.

ولا شك أن المزاعم الباطلة حول تخلف علي رضي الله عنه عن بيعة خليفة رسول الله ﷺ قد رُوج لها ترويحًا واسعًا إذ وافقت غفلة عند أهل السنة وهوى عميقًا عند الرافضة، واستجابت لما في نفوس المجوس الذين أكلت قلوبهم كراهية الصحابة الذين أطفئوا نارهم وحطموا كبرهم وأزالوا ظلمهم وأقاموا دولة الإسلام والشرع مكانها إلى الأبد، لذلك أوقدوا نيران الإفك والبهتان على الصحابة انتقامًا منهم وصرفًا للناس عن منهجهم الذي أقام العدل ونشر المساواة حتى امتلأت كتب الأدب والتاريخ بهذا الزيف الذي فعل فعله فيهم وفي كثير من أهل السنة الذين لم يجدوا بدءًا من البحث عن الأعدار والتسويغات التي يعتذرون بها عن كلمات وردت في بعض الروايات الصحيحة، تلك الكلمات التي حملت على غير محلها وفسرت على غير وجهها، ولا أدل على ذلك من أن جميع الرواة الذين استرسلوا بتفسير الأسباب التي أدت إلى ذلك لا يمكنهم أن يقدموا موقفًا واحدًا خالف فيه علي رضي الله عنه متعمدًا خليفة رسول الله ﷺ، لا في حياته، ولا بعد وفاته، يؤيد ما ذهب إليه تفسيراتهم التي زيفها مبغضو الصحابة وجعلوا منها ترأثًا لا يمكن الخلاص منه إلا بشق الأنفس، بل إنه لا يمكن تجاوزه آثاره إلا بدفنه وتركه لمن صنعوه وروجوا له؛ إذ إن كل كتاب أو بحث يحترم الحقيقة ويترفع عن نشر الأباطيل والأكاذيب عن الصحابة عليه أن يتوقف عن الترويح لبضاعة الباطل وأن يغوص في عمق حياة الصحابة رضي الله عنهم، وينظر كيف استطاعوا خلال فترة وجيزة أن يغيروا مجرى التاريخ ليضعوا ذلك كله في الاتجاه الصحيح، دون الالتفات إلى بعض المهزومين في هذا العصر ممن يبحثون عن السقطات لكي يثبتوا بعض ما يروج له الزنادقة والمستشرقون فيواجهوا الناصحين بأعدارهم الواهية، إذ يرفضون تبرير أي عذر للصحابة من دون الناس، وكأنهم خلقوا معصومين فلا يمكن أن يسوغ لهم موقف أو تقبل لهم حجة، وهذا الصنف لا يزيد عن كونه أحد الأطراف المسوقة لثقافة الفتن والتناحر وتجاوز ثوابت الأمة للقفز نحو المجهول، ولتبقى الأمة تدور في تيه المسار وأحوال الفرقة وضياح الهدف. ولا سيما في هذا العصر الذي راجت فيه مواقف كثير ممن يزعمون أنهم من علماء السنة وهم يمجدون الرفض والردة ويلمزون حُماة السنة

وأشرافها ويوهنون جهادهم ويهونون من أمرهم وعظيم ثباتهم، مبالغة في إضعاف السنة وإذلال أهلها، وكل ذلك يقومون به بزعم فقه العصر وفهم المرحلة، ولكن ذلك لا يزيد عن كونه تضليلاً ومداهنة للباطل، حتى صدق في هؤلاء المفرطين التათيين قول القائل:

تصدر للتدريس كل مُهَوِّسٍ      بليد تسمى بالفقيه المدرسِ  
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا      بيت قديم شاع في كل مجلسِ  
لقد هزلت حتى بدا من هزالها      كُلاها وحتى سامها كلُّ مُفلسٍ<sup>(١)</sup>

ولا شك أن هذا الوصف ينطبق تمامًا على من يزعمون أنهم من علماء أهل السنة وهم يوادون أعداء الصحابة ويتقربون إليهم ويسالمون بهتانهم وإفكهم، فيخادعون أهل السنة ويموهون عليهم ضلال الرافضة وأحقادهم وجرائمهم المخزية بحق السنة النبوية وأهلها الأبرار، فقد رخص أولئك أمام المفلسين بمقدار استهانتهم بالسنة أضعافاً مضاعفة، حتى بلغ من هوانهم أنهم أصبحوا أدوات تحارب الله ورسوله ﷺ وتهون من أمر المتطاولين على السنة النبوية، وضعفت عقيدتهم حتى امتطاهم مجوس هذه الأمة.

قال عطاء بن مسلم الخفاف: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله، ما تقول في رجل يقول: أبو بكر وعمر خير من علي رضي الله عنهم، ولكنني لعليُّ أشدُّ حبًّا؟ قال: فقال لي: احذر أن يكون هذا رجلاً في قلبه غل، يحتاج إلى شربة آذر طوس لعلها تسهله، فيخرج ما في قلبه، إنما زعم إن كان صادقاً أنه أحب قوماً لله، ومن زعم أن أبا بكر وعمر أتقى منه، فإن كان صادقاً فأحبهم إليه أتقاهم لله. سمعت الثوري يقول: من قدم علياً على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم فقد أزرى على المهاجرين والأنصار وأخاف ألا ينفعه مع ذلك عمل<sup>(٢)</sup>.

وقال سفيان بن عيينة: قيل لشريك: ما تقول فيمن يفضل علي أبي بكر وعمر غيرهما؟ فقال: إذًا مفتضح يقول: أخطأ المسلمون. وقال طالب الخزاز: سألت شريكاً: أبا عبد الله،

(١) الشاطبي: الإفادات والإنشادات، ٨٦.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٩٨.

هل أدركت أحدًا يفضل على أبي بكر وعمر؟ قال: لا إلا من كان مفتضحًا فيما سوى ذلك<sup>(١)</sup>. ولا شك أن هذه أقوال حق وصدق وعلم؛ لأن من يزعم أنه يقدم عليًا على الشيخين رضي الله عنهم فإنه يكذب عليًا رضي الله عنه ويرد إجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ومن يفعل هذا لا يؤتمن على دين ولا دنيا، ولا قيمة لاجتهاد يخالف إجماع أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنه اجتهاد ضال باطل.

ومع كل ما سبق من حقائق تنفي الزيف وترد الباطل، فإن هناك من اعتذر عن علي رضي الله عنه أذكارًا يمكن أن تسهم في إثبات زيف قول القائلين بتخلف علي رضي الله عنه فيما لو جرى الباحث أقوال الملبسين ومن وقع في أذهانهم بعض أوهام أعداء الصحابة، وتأكيد الواقع الذي كان عليه علي رضي الله عنه مع خليفة رسول الله ﷺ من المناصحة والمعونة والمساندة والطاعة والمناصرة.

### بعض الأعدار التي توضح موقف علي رضي الله عنه من بيعة خليفة رسول الله:

ومجارة لمن قال بتخلف علي رضي الله عنه فإن العذر لعلي رضي الله عنه في تخلفه عن حضور السقيفة مع ما اعتذر هو به، أنه يكفي في بيعة الإمام أن يقع من آحاد أهل الحل والعقد، ولا يجب الاستيعاب، ولا يلزم كل أحد أن يحضر عنده، ويضع يده في يده، بل يكفي التزام طاعته والانقياد له بالألا يخالفه ولا يشق العصا عليه، وهذا كان حاله رضي الله عنه.

ويمكن أن يعتذر بمثل هذا الاعتذار عن كل من تخلف عن البيعة إن كان هناك من تخلف، وبذلك ينهار كل ما أفاضت فيه الغوغاء ومبغضو الصحابة من كلام حول وجود اختلاف وتنافس على الإمارة، أو تخلف من بعضهم إلى حين عن البيعة، فما دام أنه لم يكن بينهم من عمّل على شق عصا الطاعة، أو دعا إلى فتنة، أو تخلف عن أمر من أوامر خليفة رسول الله ﷺ، فإن ذلك دليل على رضاهم بالصدّيق خليفة وإمامًا، وإخلاصهم في

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق. ٣٠/٣٩٩.

طاعته والولاء التام له. وفيه أيضًا الدليل البين على زيف كل الدعوات التي ينفخ فيها أعداء الصحابة محاولين إظهار تأخر البعض عن بيعة خليفة رسول الله ﷺ.

وقال المحب الطبري فيما زعم من تأخر علي رضي الله عنه عن السقيفة «أما إبطاء علي رضي الله عنه بالبيعة فإما أن يعتقد في صحة خلافة أبي بكر رضي الله عنه وأنه أحق بها، وإما لا. فإن اعتقد أن أبا بكر أحق بها وتأخر عن بيعته بعد أن انعقدت البيعة بإجماع أهل الحل والعقد من المسلمين كان تخلفه مفارقًا للجماعة، وخروجًا عن الطاعة، وعدولًا عن الحق، وهو مبرأ من ذلك ومنزه عنه، ومنزلته من الإسلام أرفع وأعلى رضي الله عنه، وإما ألا يعتقد بصحة خلافة أبي بكر، وأنه أحق بها، فيكون قد أقرّ على الباطل، ورضي به ولم ينكره بقول ولا فعل، مع شدة بأسه وقوة إيمانه وكثرة أنصاره، وكفى بفاطمة بنت رسول الله ﷺ والعباس وبني هاشم بأجمعهم، وهو منزّه عن ذلك أيضًا».

فلم يبق إلا كونه يعتقد بصحة خلافة أبي بكر رضي الله عنه ويعرف فضله، ولكنه كان مشغولاً بجمع القرآن. أو أنه كما يحب البعض أن يقول كان يرى أن له في هذا الأمر حقًا، فلما اجتمع الجهم الغفير على ولاية أبي بكر رضي الله عنه اتهم نظره في حق نفسه ولم ير المبادرة إلى إظهاره ولا المطالبة بمقتضاه حتى يبذل جهده في النظر لما في ذلك من تفريق كلمة المسلمين، فتخلف عن الأمرين ولم يبايع ولم يطلب البيعة لنفسه، وسلك سبيل الاحتياط والورع، فكان في تلك المدة مجتهدًا مأجورًا، فلما تبين له أحقية أبي بكر وأفضليته، وتذكر ما جاء في ذلك عن رسول الله ﷺ ووافق ذلك وفاة فاطمة رضي الله عنها بعث إليه أن اتنا واعتذر إليه بأنه كان يرى أحقيته، وأن هذه الرؤية قد زالت كما يدل على ذلك سياق كلامه. ولم يكن ذكره القرابة إقامة للحجة على أبي بكر رضي الله عنه لأنه معتذر، ولا تليق المحاجة بالمعتذر وإنما كان إظهارًا لمستند تخلفه، كي لا يظن أن تخلفه لهوى متبع، وليس عن اجتهاد ونظر، والمجتهد مأجور ولو أخطأ<sup>(١)</sup>.

(١) المحب الطبري: الرياض النضرة: ٢٢٣/١.

ومن الممكن القول: إن علياً رضي الله عنه كان من أحرص الناس على أن يسود السلم جماعة المسلمين وأنه كان مأموراً بذلك. قال علي رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إنه سيكون بعدي اختلاف أو أمر فإن استطعت أن تكون السلم فافعل»<sup>(١)</sup>. فلم تغب هذه الإشارة عن علي رضي الله عنه واتضح ذلك من شدة حرصه على بيعة خليفة رسول الله ﷺ ومسارعته في ذلك، بل إنه عندما سمع من يهمس في بعض هذا الشأن وسرعان ما أعاد البيعة لخليفة رسول الله ﷺ علناً أمام الأمة ليقطع الطريق على دعاة الرفض وأئمة الردة الذين يستغلون اسمه رضي الله عنه زوراً وبهتاناً وهو منهم بريء، ولم يكن في تكراره البيعة أي ابتداء، فقد بايع بعض الصحابة رسول الله ﷺ في بيعة الرضوان التي قال الله تعالى فيها: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>. بايع أكثر من مرة في مجلس واحد حيث بايع سلمة بن الأكوع رضي الله عنه رسول الله ﷺ ثلاث مرات في أول الناس وأوسطهم وآخرهم<sup>(٣)</sup>، ولهذا ليس مستغرباً من علي رضي الله عنه أن يبايع خليفة رسول الله ﷺ مرة ثانية تأكيداً للولاء والطاعة وإمعاناً في تأكيد النصر والاستعداد لخدمة خلافة النبوة، ولا يضير أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه إن استغل بعض الناس تلك البيعة للتشويش على عميق انضباطه وكمال جنديته التي يمتاز بها في مواطن القتال كما هو في مجالس الشورى والنظر في مصالح الأمة.

ومما يؤكد ما سبق ويصور حرص علي رضي الله عنه على بيعة خليفة رسول الله ﷺ أنه كان في بيته إذ أتى فقيل له: قد جلس أبو بكر للبيعة فخرج بقميص ما عليه إزار ولا رداء عجلًا كراهية أن يبطئ عنها حتى يبايعه ثم جلس إليه، وبعث إلى ثوبه فأثابه فتجلله ولزم

- (١) ابن حنبل: المسند، ك. وباب: ومن مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٦٩٧). البخاري: التاريخ الكبير، ٢/ ٤٤٠. كنز العمال، ح (٣٠٩٧٩). مجمع الزوائد، ح (١٢٠٢٣).
- (٢) سورة الفتح، الآية: ١٨.
- (٣) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٢٩١. الخليفة: مهاجرة الحجاز، ١٨٥.

مجلسه»<sup>(١)</sup>، ولا غرابة أيضًا في سرعة علي رضي الله عنه إلى بيعة خليفة رسول الله ﷺ إذ إن في طاعته طاعة لله ولرسوله ﷺ وعلي رضي الله عنه أعرف الناس بمنزلة أبي بكر رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ؛ فقد شهد وسمع ورأى من هو أبو بكر رضي الله عنه بين يدي رسول الله ﷺ، ولهذا كان الصحابة يتسابقون على بيعته كما حصل لعمر رضي الله عنه وبشير بن سعد الأنصاري حين تسابقا أيهما يضرب على يد خليفة رسول الله ﷺ قبل الآخر ليحظى بشرف السبق إلى الخير والطاعة. كما سبق ذكر ذلك.

وقال علي رضي الله عنه لما قيل له: هل عهد إليك رسول الله ﷺ؟ قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو عهد إليّ رسول الله ﷺ عهدًا لجاهدت عليه، ولو لم أجد إلا ردائي لم أترك ابن أبي قحافة رضي الله عنه يصعد درجة واحدة من منبره ﷺ، ولكنه ﷺ رأى موضعي وموضعه، فقال له: «قم فصل بالناس». وتركني، فرضيناه لديننا كما رضيه رسول الله ﷺ لديننا<sup>(٢)</sup>. وكيف لا يكون الأمر كذلك ومقام خليفة رسول الله ﷺ بين الصحابة وفي الأمة بعد وفاة النبي ﷺ كقول القائل:

الكل أنت ونورك الوضاح      للعارفين مناره يلتاح  
وجميل سعيك للنهي مصباح      مهما بدا انقادت له الأرواح<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

(١) الطبري: تاريخ، ٣/٢٠٧. الخليفة: الإنصاف، ١٢٥.

(٢) ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة، ١/١٨١.

(٣) الشاطبي: الإفادات والإنشادات، ١٦٧.

## بيعة سعد بن عبادة رضي الله عنه لخليفة رسول الله ﷺ أبي بكر رضي الله عنه

سعد بن عبادة بن دليم الساعدي الخزرجي رضي الله عنه ممن شهد بيعة العقبة فكان نقيباً؛ وسيداً جواداً مُقدماً وجيهاً في الأنصار، له رياسة وسيادة يعترف قومه بها، وكان يحمل راية رسول الله ﷺ يوم الفتح، ثم نزعها منه ﷺ لما خشى شدته على مشركي قريش، وجعلها بيد قيس بن سعد ابنه ورأى رسول الله ﷺ أنها لم تخرج عنه إذ صارت إلى ابنه<sup>(١)</sup>.

كان رضي الله عنه كثير الاهتمام والاحتراف برسول الله ﷺ وكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله ﷺ حيث دار على نسائه، وقد روي أن رسول الله ﷺ قال: جزي الله الأنصار عنا خيراً، ولا سيما عبد الله بن عمرو بن حرام، وسعد بن عبادة<sup>(٢)</sup>. وذلك لما امتازا به في باب البذل والعطاء في سبيل نصرته رسول الله ﷺ.

ولما عاد رسول الله ﷺ من تبوك، وأشرف على المدينة عند الثانية قال: «الله أكبر» فلما نظر إلى أحد قال: «هذا جبل يُحبنا ونُحبه»، ثم التفت فقال: «هل تُحبون أن أخبركم بخير دور الأنصار؟ خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير». فقال سعد رضي الله عنه: ما أرى رسول الله ﷺ إلا قد فضّل علينا، فقليل له: قد فضّلكم على كثير<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ٥٩٥/٢.

(٢) ابن حمزة: البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث، ٢/٢٦٣. الخليفة: الإنصاف، ١٢٠.

(٣) البخاري: صحيح البخاري. ك: مناقب الأنصار. باب فضل دور الأنصار، ح (٣٧٨٩)، =

ولم تكن مواقف سعد رضي الله عنه مجهولة عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولا عند غيره من المهاجرين والأنصار عندما كان أبو بكر رضي الله عنه يحاور الأنصار في السقيفة، بل كانت مكارمه معلومة مشهورة عند أبي بكر وعامة المهاجرين، فهو ذو فضل لا يُنكر، وهذا ما أكده أبو بكر رضي الله عنه للأنصار في تقريراته أمامهم، حتى قال: ولقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال: «لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار واديًا أو شعبًا، لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار»<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ للأنصار: «إنكم - ما علمت - لأعفة صبر وسترون بعدي أثره في الأمر والقسم واصبروا حتى تلقوني على الحوض»<sup>(٢)</sup>. وشروط بيعة العقبة التي أخذت على الأنصار من: السمع والطاعة في المنشط والمكروه، والعسر واليسر، وألا ينازعوا الأمر أهله، إلا أن يروا كفرًا بواحدٍ عندهم من الله فيه برهان، ثم ذكّر سعد بن عبادة رضي الله عنه بقول رسول الله ﷺ: ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: «قريش ولاة هذا الأمر، فبرّ الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم» قال سعد: صدقت، نحن الوزراء وأنتم الأمراء. فتتابع القوم على البيعة وبايع سعد<sup>(٣)</sup>. وقد سبق ذكر هذا الحديث في أكثر من موضع في هذا الفصل لما فيه من أكثر من دلالة.

ولما مضى أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم إلى السقيفة إذا سعد رضي الله عنه على طفنسة متكئًا على وسادة وعليه الحمى فقال له أبو بكر رضي الله

= مسلم: صحيح مسلم. ك: فضائل الصحابة. باب في خير دور الأنصار، ح (٢٥١١).

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. باب غزوة الطائف، ح (٤٠٧٨).

(٢) النسائي: السنن الكبرى، ح (٨٣٤٥)، ابن حبان: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ح (٧٢٣٣)، الخليفة: الإنصاف، ١١٨.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، (٢/٤٠)، الألباني: السلسلة الصحيحة، (١١٥٦)، الحكمي: معارج القبول، (١١٣٣).

عنه: ما ترى يا أبا ثابت؟ فقال: أنا رجل منكم<sup>(١)</sup>. وهذا ما ظهر في بيعة الأنصار لأبي بكر رضي الله عنه واتضح فيه إجماعهم على ذلك. وروى ابن الجوزي بإسناده عن السلمي قال: قام سعد بن عبادة رضي الله عنه يوم السقيفة فبايع<sup>(٢)</sup>.

وهناك رواية أخرى تذكر أن سعداً رضي الله عنه بايع لكن بعد شيء من الممانعة والمحاورة وأن أبا بكر والأنصار ألحوا عليه حتى بايع، قال سعد: إنك وقومي أجبرتموني على البيعة. فقالوا: إنا لو أجبرناك على الفرقة فصرت إلى الجماعة كنت في سعة ولكننا أجبرناك على الجماعة<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفْرًا أَنْصَارًا اللَّهُ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>. قال قتادة: «كان ذلك بحمد الله؛ جاءه سبعون رجلاً من الأنصار فبايعوه في العقبة ونصروه وآووه حتى أظهر الله دينه، قال: ولم يسم حيٌّ من الناس باسم لم يكن لهم إلا هم»<sup>(٥)</sup>.

وبهذه الروايات وغيرها من المواقف يتضح أن سعد بن عبادة رضي الله عنه بايع خليفة رسول الله ﷺ وبموقفه هذا يثبت الإجماع على البيعة وتسقط حجج أعداء الصحابة ودعاة الفتنة بزعمهم أن سعداً تأخر عن البيعة أو خالف الإجماع، وهم يروجون ذلك لكي يتحقق لهم الطعن في إمامة الصديق رضي الله عنه، ومن ثم تشويه سيرة سعد بن عبادة المتألفة في الجهاد والنصرة والعطاء، ولإبطال فضيلته الكبرى المتمثلة في مشاركته في بيعة العقبة وأنه نقض شروط تلك البيعة التي منها: التعهد بالسمع والطاعة في المنشط والمكروه والعسر واليسر، وألا ينازعوا الأمر أهله إلا أن يروا كفرةً بواحا عندهم من الله فيه برهان<sup>(٦)</sup>.

(١) البلاذري: الشيطان، ١١٧. (٢) ابن الجوزي: المنتظم، ١٦/٣.

(٣) الطبري: تاريخ، ٢٢٣/٣. ابن الجوزي: المنتظم، ٢١٦/٣.

(٤) سورة الصف، الآية: ١٤.

(٥) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٤/١. الخليفة: الإنصاف، ١٢٢.

(٦) البخاري: فتح الباري، كتاب الفتن، ح (٧٠٥٦). الخليفة: الإنصاف، ١١٩.

فهذه الروايات الصحيحة تثبت بيعة الأنصار ومنهم سعد رضي الله عنه لرسول الله على السمع والطاعة، وفي هذه البيعة أن الأمر لغيرهم وأنهم سيباعون لرسول الله ﷺ ولغيره، ولا سيما أنه قال ﷺ: «أوصيكم بالأنصار»<sup>(١)</sup> مما يؤكد معرفتهم أن الأمر ليس لهم ولو كان لهم لأوصاهم ﷺ بالناس ولم يوص الناس بهم، وكل هذه الإشارات تؤكد زيف دعاوى من يزعم أن سعداً تخلف عن بيعة الصديق رضي الله عنه، وأنه غادر المدينة مغاضباً متناسين أن في مثل هذه الأباطيل طعنًا في سعد رضي الله عنه الذي مدحه رسول الله ﷺ وأثنى على مواقفه في أكثر من مناسبة فضلاً عن سيرته التي كانت موشحة بمواقف الكرم والنصرة وجميل الطاعة، ومن هنا فإن أي رواية تشكك في إخلاص سعد رضي الله عنه وطاعته لخليفة رسول الله ﷺ ما هي إلا رواية زائفة مغرضة تريد ممن يقبلها أن يرد شهادة رسول الله ﷺ لسعد رضي الله عنه وأن يطعن في سيرة سعد وتشويهها وأن يأخذ بالباطل المفترى الذي يهدف إلى نزع الثقة بالسابقين الصالحين من سلف هذه الأمة، وإلى تأصيل الخلاف بينهم.

فما يُذكر من مزاعم تقول: إن سعد بن عبادة تخلف عن البيعة، وأنه اعتزل الصحابة وجماعة المسلمين بعد ذلك حتى إنه كان لا يصلي بصلاتهم، ولا يفيض بإفاضتهم في الحج وإصراره على منازعة الأمر أهله. وما ينسب له من قول: «لا أبايعكم حتى أرميكم بما في كنانتي وأخضب سنان رمحي وأضرب بسيفي! فكان لا يصلي بصلاتهم ولا يجمع بجماعتهم ولا يقضي بقضائهم ولا يفيض بإفاضتهم»<sup>(٢)</sup>، إنما هي ونحوها من هذه المزاعم من الروايات الساقطة إسناداً أو متناً، فمدارها على الكلبي، وهو متهم بالكذب، وعلى أبي مخنف، وهو متروك الرواية عند علماء الجرح والتعديل، وهذا هو ما تستند إليه الرافضة

(١) البخاري: صحيح البخاري. ك: مناقب الأنصار. باب قول النبي ﷺ: «اقبلوا من محسنهم» ح (٣٧٩٩)، ابن سلام: غريب الحديث، ١/١٨٨. الساعاتي: الفتح الرباني، (١٧١/٢٢)، الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ١٠٠.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/٢٢٣. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٢/٤٠.

وتعمل بكل الوسائل على تحقيقه لترسيخ الردة وتغذية الرفض والزندقة؛ لذلك صاغوا هذه الرواية الأثمة لتعبر عما يجول في نفوسهم وما يتمنون حدوثه في الأمة، وكل هذا يثبت أن من صاغ هذه الرواية حاقدا ماكر يسعى لهدم السنة وتمزيق صفوف أهلها، ومسقط من السيرة النبوية بيعة العقبة وشروطها وسابقة سعد وجهاده الذي خاضه بكل إقدام مع رسول الله ﷺ ولهذا يمكن القول: إن كل ذلك باطل عقلاً ونقلاً ولا يتماشى مع سيرة سعد بن عبادة رضي الله عنه ولا مع سالف أياديه البيضاء على المسلمين.

أما بطلانه عقلاً فلأنه لا يعقل أن ينفرد عن الجماعة أحد أجلاء الصحابة وسادة الأنصار الذين سطروا أعظم صفحات المجد والفخار بين يدي رسول الله ﷺ وضربوا أروع الأمثلة في الإيمان والإنفاق والفداء، فكيف يمكن تصديق قول من يروي أنه كان لا يصلي مع جماعة المسلمين تاركاً الجمعة والجماعة، ومبطلاً للحج أيضاً بسبب انفراده وتخلفه عن جماعة المسلمين وإمامهم، الذين يقفون على عرفات، فهل شاركهم في الوقوف بعرفات وهو الركن الأصيل في الحج، أم انفرد عنهم وهذا لا يحتمل أمراً آخر فإما أنه كان يفيض مع الجماعة وهذا هو الصحيح وبالتالي فالرواية التي تتهمه رواية رافضية مكذوبة، وإما أن الإقرار بالرواية الفاسدة التي تتهم صحابياً عدلاً بمفارقة الجماعة وتقود الأخذين بها إلى الحكم بالكفر على صحابي بايع يوم العقبة وثبت على الإسلام وجاهد بين يدي رسول الله ﷺ بماله ونفسه ولم يتلثم في موقف من مواقف العطاء والتضحية وإن مثل هذا الاتهام إنما يوافق مقاصد الرافضة ومبغضي الصحابة الذين ما زالوا يدينون بمخالفة السنة في توقيت الصيام والإفطار والأذان واتجاه القبلة وتعظيم الكعبة المشرفة وعامة شعائر فرائض الإسلام، ولا هم لهم سوى فتح ثغرة في السياج المحيط بالكتاب والسنة المتمثل في أصحاب رسول الله ﷺ وعلى هذا فرواية تحكم على هذا الصحابي بالخروج عن دينه هي رواية مردودة ومدسوسة مدارها على رواة متهمين بعدة تهم عند المعترين من علماء الجرح والتعديل؛ إذ كيف تقبل رواية متهم على أنها من المسلمات التاريخية، ثم كيف تترك الروايات الصحيحة الثابتة في حق هذا الصحابي الكريم الذي لا يستطيع أحد أن يثبت عليه أي موقف مخالف لجماعة المسلمين، سوى ما

يشيعه عليه أعداء الصحابة وما تردده الغوغاء التي تسمع لكل ناعق، وعلى هذا فإن كل من يصدق هذه الرواية إنما هو مخدوع مغشوش أو مغرض حاقد على السنة وأهلها، ويندرج ذلك على كل كاتب أو مفكر أو خطيب أو متحدث أو غيرهم يروونها على هذا النحو.

ومما يبطله نقلاً الحديث الذي قاله أبو بكر لسعد رضي الله عنهما حينما قال: ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: «قريش ولاة هذا الأمر»<sup>(١)</sup>. يؤيد ذلك ما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الناس تبع لقريش في الخير والشر»<sup>(٢)</sup>. وقوله ﷺ: «قريش ولاة الناس في الخير والشر إلى يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>. إن هذه الرواية التي يدين بها الرافضة وأعداء الصحابة للطعن في وحدة المهاجرين والأنصار وصدق أخوتهم ما هي إلا رواية مريبة ومثيرة ومفضوحة بصياغتها ومقاصدها، وذلك لكثير من الأسباب التي من أهمها:

١- مخالفتها لنصوص القرآن الكريم التي تثني على الصحابة رضي الله عنهم وسعد من كبارهم وفي مقدمتهم رضي الله عنهم.

٢- مخالفتها لنصوص الحديث الشريف الذي يثني على سعد بن عبادة رضي الله عنه مما ذكر آنفاً.

٣- وأن الراوي (أبا مخنف لوط بن يحيى) أخباري تالف لا يوثق به، شيعي محترق صاحب أخبارهم<sup>(٤)</sup> لا يؤخذ بأخباره وعامة رواياته في الصحابة رضي الله

(١) ابن حنبل: المسند، مسند أبي بكر رضي الله عنه، ح (١٩). ابن عساكر: ٢٧٤/٣٠. وينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ٥٣٦/١. السيوطي: تاريخ، ٧٠. مسلم: ك. الإمارة، ح (١٨١٨) الهيثمي: مجمع الزوائد، الخلافة في قريش ١٩١/٥.

(٢) صحيح مسلم: ك. الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، ح (٤٦٨٠).

(٣) الترمذي: سنن الترمذي، ك. الفتن، باب معاوية بن أبي سفيان (٢٢٢٧). الطبراني: المعجم الكبير، ك. الميم، باب معاوية، ح (٨٤٧).

(٤) الذهبي: ميزان الاعتدال، ٤/٤٩٢.

عنهم ولا في المسائل الخلافية، قال الذهبي عن هذه الرواية: إسنادهما كما ترى<sup>(١)</sup> أي في غاية الضعف، أمّا متنها فهو يُناقض سيرة سعد، وما في عنقه من بيعة على السمع والطاعة، ولماضي جهاده ونصرته، إذ كان هو حامل راية الأنصار في عهد رسول الله ﷺ، فإذا استحر القتل كان رسول الله ﷺ مما يكون تحت راية الأنصار<sup>(٢)</sup>. وبلغ من غيرته أن قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا إلی ما یقول سیدکم»<sup>(٣)</sup>. ولم يذكر عن سعد رضي الله عنه أنه نزع يداً من طاعة، أو نازع الأمر أهله، أو ذكر عنه أي موقف يثير الريبة حول بيعته رضي الله عنه، فمن أي باب يدخل المفترون على تاريخ الصحابة لينفثوا أحقادهم وقتنهم، ومن غير الموضوعية التركيز على الروايات الباطلة، وإذاعتها والظعن في قادة الأمة وتشويهه مواقفهم والتشكيك في وحدتها بعد وفاة رسول الله ﷺ، فهناك من الباحثين المغرضين والمغفلين ممن لا يزال يروج لمثل هذه الأباطيل، ويعمل مدلساً على مد جذور ذلك الخلاف إلى عصر الرسول ﷺ، وأن ذلك كان مطروحاً قبل ثلاث سنوات على الأقل من وفاته ﷺ إبان اعتراض قريش على حمل سعد بن عبادة رضي الله عنه راية الفتح.

ويستطرد هذا الباحث مفترياً ودون الإشارة إلى أي مصدر فيجعل من تحويل راية الأنصار يوم فتح مكة من سعد إلى ابنه قيس قضية ذات خطر يُؤثر لأجلها سعد رضي الله عنه المنفى وربما الموت بعد ذلك على أن يُبايع لقريش المهاجرين الذين أحبهم ونصرهم بنفسه وقومه وماله، فخرج مغاضباً إلى الشام حيث قُتل في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه نتيجة لهذا الموقف المتشدد، كل هذا الإفك يجتروه ويدونونه دون حياء أو خوف من الله

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١/ ٢٠٠، ٢٧٦.

(٢) ابن حنبل: المسند، مناقب الأنصار، ح (٣٣٠٦). الخليفة: الإنصاف، ١٢٠.

(٣) ابن ماجه: السنن، مناقب الأنصار، ح (٢٥٩٥)، أبو داود: السنن، ح (٣٩٢٨).

أو خجل من عباده الصالحين، في غمز و طعن علني لخيار الأمة وسادتها، وبهذه البساطة ينفث هذا المفتري<sup>(١)</sup> أحقادَه ليمحو بهتانه إيمان وجهاد ومواقف سيد الخزرج وولاءه لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، ويغمز ويطعن في أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وعدالته وأمانته ويوحى أنه كان شريكاً في مقتل سعد الذي توفي بحوران من أرض الشام، وبعد إثارة هذه الشكوك وأن سعداً استمر على موقفه المتشدد يتناقض هذا الكاتب في روايته، فذكر أن سعداً رضي الله عنه: رضخ للأمر الواقع... إذ وجد أن الرياح مالت إلى المهاجرين وشيخهم أبي بكر. وبذلك يفقد الصدق ويقع في هاوية البهتان والردة فيرد كلام الله تعالى وشهادته عز وجل للأنصار والمهاجرين بصدق الإيمان وإخلاص الجهاد وبالأخوة والمودة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾<sup>(٣)</sup>. فإذا لم يكن سعد بن عبادة رضي الله عنه من الأنصار الذين آووا ونصروا فمن يكون إذا؟! ومع كل ذلك يأبى أعداء الأنصار والمهاجرين من مجوس هذه الأمة إلا أن يعملوا على وسم الصحابة الكرام رضي الله عنهم ببعض أخلاق الجاهلية التي طهرهم الله منها، وشهد لهم في ذلك الكتاب والسنة، مما يؤكد لكل الغافلين والمتهافتين والمتساقطين في وحل الرفض أن مبغضي الصحابة لا يقيمون لهم وزناً في كتاباتهم، فيصورون ولاء هذا الصحابي قريشياً وذاك خزرجياً، أو مكياً ويثريبياً، والله سبحانه وتعالى سماهم مهاجرين وأنصاراً،

(١) بيضون: في كتابه الأنصار والرسول ﷺ، ٥٣ فما بعدها.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٧٤.

ولا شك أن أهل السنة النبوية يتمسكون بما عرفوه عن نبيهم ﷺ ويرفضون كل ما يهذي به أعداء الصحابة من زيف إنما يروجونه للطعن في أي من أصحاب رسول الله ﷺ.

قيل لأنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه: أرأيت اسم الأنصار كنتم تسمون به أم سماكم الله؟ قال: بل سمانا الله<sup>(١)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال قتادة: كان ذلك بحمد الله؛ جاءه سبعون رجلاً من الأنصار فبايعوه في العقبة ونصروه وآووه حتى أظهر الله دينه، قال: ولم يُسَمَّ حي من الناس باسم لم يكن لهم إلا هم. قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنِ الْمُتَجِدِّينَ وَالَّذِينَ تَبِعُواهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾<sup>(٣)</sup>. ومعلوم أن رضا الله تعالى لا يحصل إلا لمن صلح عمله وصدق جهاده، ولهذا فإن أي باحث أو فرقة أو طائفة أو مؤسسة أو جماعة من الناس يتقصون أصحاب محمد ﷺ أو يرتعون في حماهم أو يحومون حوله، هم الناقصون المتهمون الآثمون، الناقصون في الرؤية والبحث والصدق والأمانة، المتهمون بالزندقة والعمل على هدم الدين، يدعون الناس إلى تكذيب الله ورسوله ﷺ وتصديق أباطيلهم المبنية على الحقد والضغينة، ومع ذلك يتحدثون عن شيء اسمه الموضوعية والبحث العلمي، فكيف يتحدث هؤلاء عن هذه المواصفات وهم يعملون ضدها، فهل من الموضوعية والعلمية أن يُردّ قول الله تعالى؟ ويؤخذ بتخيلاهم!! أم أن تُنكر إنجازات المهاجرين والأنصار في الفكر والحضارة والوحدة والفتوح وغيرها؟

إن الإنصاف والموضوعية لا توجد إلا عند المؤمنين، الذين يحاسبون أنفسهم ويخافون يوم الحساب، وإن من الإنصاف والعلمية والموضوعية أن يُتهم كل من يطعن في أحد من

(١) البخاري: صحيح البخاري، مناقب الأنصار، ح (٣٥٦٥).

(٢) سورة الصف، الآية: ١٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

الصحابة الكرام، بل وكل من يثق بأعداء الصحابة ويدعو إلى مودتهم وهم على ما هم عليه من الرفض والردة، وأن يكون ذلك مؤشراً على عقوقه لعقيدته وحملتها ولأمتة وبناتها، وأن هؤلاء الطاعنين في الصحابة مقاصدهم أخطر وأكبر مما يفصحون عنه، مقصدهم العمل على هدم الإسلام وانتزاع الثقة من عقول المؤمنين بهذا الدين، ولما لم يجروا على الإفصاح بتكذيب القرآن الكريم والظعن في الرسول الأمين ﷺ جعلوا من الصحابة غرضاً لهم وهدفاً لنشر سمومهم لأنهم علموا أن الظعن فيهم ظعن في الوحي وظعن في النبوة، ولأنهم هم حملة الوحي وورثة النبوة بعد رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾<sup>(١)</sup>. ولكن الزنادقة والعلمانيين وأعداء السنة الذين تحللوا من عقيدتهم لم يتوبوا، وبدلاً من أن ينظروا إلى ما أصاب الأمة المسلمة من الهوان والتمزق والضياع والتبعية، بعدما تخلت عن منهجية وعقيدة وأخلاق المهاجرين والأنصار، وأن يبحثوا ويحللوا ذلك بموضوعية ويستخرجوا من ذلك العبرة والعظة، فقد اتخذوا تاريخ صدر الإسلام عصر الفتح والفكر والحضارة، مسرحاً لأوهامهم ومرتعاً لأمانيمهم الباطلة.

وفي المقابل فهم يُمجّدون هذا العصر، عصر الانحراف والتبعية والردة، عصر الهزيمة وفقدان الهوية، وضياع الوحدة ونكران الأخوة وحقوق الجوار، زمن التقليد والبطالة وصناعة الطبقية، ويُمجّدون الذين يعملون على قيادة الأمة، بالمنهجية والأخلاقية التي يريدها لها أعداؤها، بعيداً عن سيرة الصحابة ومنهجهم الذي ساروا عليه.

فكم يتوجب بعد معرفة كل هذا التلبيس والزيف على المنصفين المؤمنين، أن يتعلقوا بمعالم عصر الصحابة وعقيدته وثوابته، وكم يتوجب عليهم العمل والصبر والاحتساب، حتى تعود الأمة إلى منهجها ومسارها الصحيح، وكم يتوجب على الغوغاء والمغفلين والجهلة الذين خُدعوا وغرر بهم، حتى تشككوا في عقيدتهم وخرجوا من ملتهم فأصبحوا

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٧.

هائمين على وجوههم في هذا الوجود، يتبعون كل ناعق، ويُستخدمون ضد أنفسهم وضد بلدانهم وأمتهم ثم يُلفظون هياكل بلا أرواح؛ كم يجب على هؤلاء من التنبه والحذر، ممن يدعوهم إلى غير منهج الصحابة وعقيدتهم، وكم عليهم من واجب العمل، حتى تبرأ الأمة من وباء الرافضة ويعود أبنائها إلى موقعهم الطبيعي في ظلال عقيدتهم، التي تُعلّمنا أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وأن أعداء الصحابة هم الشر المستطير والبلاء الذي لا ينجلي إلا بالعلم والتمسك بالسنة النبوية والتلاحم بين أهلها المخلصين.

\*\*\*

## موافقة أهل الشوكة موجب لشرعية الخلافة

مع أهمية الخلافة والسلطة وأهمية كل ما يقال حول موجبات وشروط الخلافة فإن أهل السنة يهتمهم منهج الحكم الذي تسير عليه السلطات أكثر من اهتمامهم بوسائل الوصول إلى السلطة، واهتمامهم بالمنهج ووسائل التنفيذ أكثر من نوعية وأصول الولاية، وهذا يؤكد عميق وعيهم وصحة تعاطيهم للأمر، فكم من سلطان حكم المسلمين وهو من سرااتهم وأكابرهم؛ لكنه لم يلتزم بشريعتهم ولم يقيم وزنًا لعقيدتهم، فجلب عليهم من الولايات والنكبات ما يعجز عنه الوصف!! وهل المستعصم خليفة بغداد عند سقوطها على أيدي التتار عام ٦٥٦هـ- إلا من هذا النوع؟ ومع ذلك كان يعث به الرافضة ووزيرهم ابن العلقمي الذي باع الدين والأمة عندما عمل جاسوسًا عند هولاء فقتسب في سقوط الخلافة وما تبع ذلك من النكبات!! وهل قطز والظاهر بيبرس وأمثالهم من القادة الغيورين على السنة إلا من الموالي؟ فماذا أغنى عن الأمة كون المستعصم بالله العباسي من آل البيت؟ وما ضر الأمة كون بطل عين جالوت موالي لأحد المسلمين؟

وكم من حاكم وصل إلى السلطة بالانتخابات وعمل طيلة حياته ضد مصالح الأمة وثوابتها، فما أغنت الانتخابات أمام استبداده وبطشه وظلمه؟ وكم ممن وصل إلى الحكم عن طريق الوراثة لكنه كان سببًا في سعادة أمته وجلب السعادة إلى رعيته، وكم من واصل إلى الحكم بذات المنهج الوراثي ولكنه كان سبب انهيار بلده وهوان شعبه. فيستخلص من ذلك أن أصول الحاكم وطريقة وصول الحكم إليه لهما أهميتهما لكنهما لم يمنعا حصول الظلم والضياع والاستبداد.

قال ابن تيمية: الإمامة عند أهل السنة تثبت بموافقة أهل الشوكة عليها، ولا يصير الرجل إمامًا حتى يوافق أهل الشوكة عليها الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة، فإن المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان، فإذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار إمامًا.

ولهذا قال أئمة السلف: من صار له قدرة وسلطان يفعل بهما مقصود الولاية، فهو من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ما لم يأمروا بمعصية الله فالإمامة مُلك وسلطان، والمَلِك لا يصير ملكًا بموافقة واحد ولا اثنين ولا أربعة، إلا أن تكون موافقة هؤلاء تقتضي موافقة غيرهم بحيث يصير ملكًا بذلك.

وهكذا كل أمر يفتقر إلى المعاونة عليه لا يحصل إلا بحصول من يمكنهم التعاون عليه، ولهذا لما بويع علي رضي الله عنه وصار معه شوكة صار إمامًا ولو كانوا جماعة في سفر فالسنة أن يؤمروا أحدهم، كما قال النبي ﷺ: «لا يحل لثلاثة يكونون في سفر إلا أن يؤمروا واحدًا منهم»<sup>(١)</sup> فإذا أمره أهل القدرة منهم صار أميرًا. فكون الرجل أميرًا وقاضيًا وواليًا وغير ذلك من الأمور التي مبناهما على القدرة والسلطان، متى حصل ما يحصل به من القدرة والسلطان حصلت، وإلا فلا، إذ المقصود بها عمل أعمال لا تحصل إلا بقدرة، فمتى حصلت القدرة التي بها تمكن تلك الأعمال كانت حاصلة وإلا فلا. وهذا مثل كون الرجل راعيًا للماشية، متى سلمت إليه بحيث يقدر أن يرعاها، كان راعيًا لها وإلا فلا، فلا عمل إلا بقدرة عليه، فمن لم تحصل له القدرة على العمل لم يكن عاملًا، والقدرة على سياسة الناس إما بطاعتهم له وإما بقهره لهم، فمتى صار قادرًا على سياستهم بطاعتهم أو بقهره، فهو ذو سلطان مطاع إذا أمر بطاعة الله.

ولهذا قال الإمام أحمد: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ.

(١) أبو داود: السنن، ك. الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، ح (٢٢٤٢)، وانظر: الشوكاني: نيل الأوطار، ١٢٨/٩.

وقال: ومن ولي الخلافة فأجمع عليه الناس ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، فدفعت الصدقات إليه جائزاً براً كان أو فاجراً<sup>(١)</sup>. وقال في رواية وقد سئل عن حديث النبي ﷺ: «من مات وليس له إمام، مات ميتة جاهلية»<sup>(٢)</sup> ما معناه؟ فقال: تدري ما الإمام؟ الإمام الذي يجمع عليه المسلمون، كلهم يقول هذا إمام؛ فهذا معناه. والكلام هنا في مقامين:

أحدهما: في كون أبي بكر رضي الله عنه كان هو المستحق للإمامة، وأن مبايعتهم له مما يحبه الله ورسوله، فهذا ثابت بالنصوص والإجماع، وبهذا يثبت أن من يرفض إمامة أبي بكر رضي الله عنه فإنما يبغض ما يحبه الله ورسوله ﷺ، وهذا يجعل كل من يقر الرفض في حريهم على الصحابة إنما يتلبس بوجه من وجوه الردة.

والثاني: أنه متى صار إماماً فذلك بمبايعة أهل القدرة له، وكذلك عمر لما عهد إليه أبو بكر رضي الله عنهما، إنما صار إماماً لما بايعوه وأطاعوه، ولو قدر أنهم لم ينفذوا عهد أبي بكر رضي الله عنه ولم يبايعوه لم يصير إماماً، سواء كان ذلك جائزاً أو غير جائز. فالحل والحرمة متعلق بالأفعال، وأما نفس الولاية والسلطان فهو عبارة عن القدرة الحاصلة، ثم قد تحصل على وجه يحبه الله ورسوله، كسلطان الخلفاء الراشدين، وقد تحصل على وجه فيه معصية، كسلطان الظالمين.

ولو قُدر أن عمر رضي الله عنه وطائفة معه بايعوه وامتنع سائر الصحابة؛ لم يصير إماماً بذلك، وإنما صار إماماً بمبايعة جمهور الصحابة رضي الله عنهم الذين هم أهل القدرة والشوكة؛ لأن المقصود حصول القدرة والسلطان اللذين بهما تحصل مصالح الإمامة، وذلك قد حصل بموافقة الجمهور على ذلك فمن قال إنه يصير إماماً بموافقة واحد أو اثنين أو أربعة وليسوا هم ذوي القدرة والشوكة، فقد غلط؛ كما أن من ظن أن تخلف الواحد أو الاثنين أو العشرة يضر، فقد غلط.

(١) انظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ١/٥٢٧.

(٢) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ك. السير، باب طاعة الأئمة، ح (٤٥٧٣).

وأبو بكر رضي الله عنه بايعه المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم الذين هم بطانة رسول الله ﷺ والذين بهم صار للإسلام قوة وعزة، وبهم قهر المشركون، وبهم فتحت جزيرة العرب، فجمهور الذين بايعوا رسول الله ﷺ هم الذين بايعوا أبا بكر رضي الله عنه، وأما كون عمر أو غيره سبق إلى البيعة فلا بد لكل بيعة من سابق، ولو قدر أن بعض الناس كان كارهاً للبيعة لم يقدح ذلك في مقصودها فإن نفس الاستحقاق لها ثابت بالأدلة الشرعية الدالة على أنه أحقهم بها، ومع قيام الأدلة الشرعية لا يضر من خالفها، ونفس حصولها ووجودها ثابت بحصول القدرة والسلطان، بمطاوعة ذوي الشوكة فالدين الحق لا بد فيه من الكتاب الهادي والسيف الناصر، فانعقدت خلافة النبوة في حق الصديق رضي الله عنه بالكتاب والحديد، وأما عمر رضي الله عنه فإن أبا بكر رضي الله عنه عهد إليه وبايعه المسلمون بعد موت أبي بكر رضي الله عنه فصار إماماً لما حصلت له القدرة والسلطان بمبايعتهم له<sup>(١)</sup>.

قال: ولهذا كانت الرافضة لما عدلت عن السنة في معاونة أئمة المسلمين والاستعانة بهم، دخلوا في معاونة الكفار والاستعانة بهم، فهم يدعون إلى الإمام المعصوم، ولا يعرف لهم إمام موجود يأتون به إلا كفور أو ظلم، فهم كالذي يحيل بعض العامة على أولياء الله رجال الغيب ولا رجال عنده إلا أهل الكذب والمكر الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، أو الجن أو الشياطين الذين يحصل بهم لبعض الناس أحوال شيطانية.

فلو قدر أن ما تدعيه الرافضة من النص هو حق موجود وأن الناس لم يولوا المنصوص عليه، لكانوا قد تركوا من يجب توليته وولوا غيره. وحيث أن الإمام الذي قام بمقصود الإمامة هو هذا المولى دون ذلك الممنوع المقهور. نعم ذلك يستحق أن يولى، لكن ما ولي، فالإثم على من ضيع حقه وعدل عنه لا على من لم يضيع حقه ولم يعتد. وعلى هذه القاعدة يظهر

(١) انظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ١/٥٢٧-٥٣٢.

زيف الرفضة في مواقفهم الدينية التي تفتري وجود الوصية وفي مواقفهم السياسية بعدم وفائهم لما اخترعوه من وصية وإمامة، ليسقطوا بها منهاج السنة النبوية وما سار عليه الصحابة في ضوابطهم الشرعية والعلمية.

وهم يقولون: إن الإمام وجب نصبه لأنه لطف ومصلحة للعباد؛ فإذا كان الله ورسوله ﷺ يعلم أن الناس لا يولون هذا المعين إذا أمروا بولايته، كان أمرهم بولاية من يولونه ويتفعلون بولايته، أولى من أمرهم بولاية من لا يولونه ولا يتفعلون بولايته، كما قيل في إمامة الصلاة والقضاء وغير ذلك، فكيف إذا كان ما يدعونه من النص من أعظم الكذب والافتراء؟!

فقول أهل السنة خبر صادق وقول حكيم، وقول الرفضة خبر كاذب وقول سفيه. فأهل السنة يقولون: الأمير والإمام والخليفة ذو السلطان الموجود الذي له القدرة على عمل مقصود الولاية، كما أن إمام الصلاة هو الذي يصلي بالناس وهم يأتون به، ليس إمام الصلاة من يستحق أن يكون إماماً وهو لا يصلي بأحد، لكن هذا ينبغي أن يكون إماماً. والفرق بين الإمام وبين من ينبغي أن يكون هو الإمام، لا يخفى إلا على الطغام اللثام الذين يعملون على تحريف دين الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ خَلَوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وقال عز وجل: ﴿وَمَا تُعْنِي الْأَيْدِي وَالنُّدُورُ عَنْ قَوْلِ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وعلى هذا فإن الأصل في الحكم هو اتباع الشرع والعمل به لا العمل بالأهواء وأقوال الأكثرية أو الأقلية أو أهل الأحساب والأنساب أو الانشغال بوسائل الوصول إلى السلطة، وترك ما ينبغي أن يعمل به من في السلطة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠١.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

فمنهاج الحكم في الإسلام إنما هو منهاج الكتاب والسنة وما أجمع عليه الصحابة وما تفرع عن ذلك، وكل ما سوى ذلك إنما هو مناهج تنسب إلى مشرعها، فمن شرع دين الرافضة ينسب إليه هو ومن عمل به ودعا إليه إلى يوم القيامة، ومن شرع العلمانية أو الاشتراكية أو الليبرالية أو القومية الجاهلية أو غير ذلك، واستبدل بها دين الله وما جاء به الرسول ﷺ فإنما تنسب الشرائع إلى من عمل بها أو دعا إلى العمل بها ورضي بذلك، وهجر منهاج الله ورسوله ﷺ ومسار عباده الصالحين. قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَبِئْسَ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١﴾ .



## الفصل الخامس

### منهجه رضي الله عنه في حياته وإدارته

المبحث الأول: منهج خليفة رسول الله ﷺ في الزهد ومحاسبة النفس والأهل.

المبحث الثاني: ميراث السيدة فاطمة رضي الله عنها.

المبحث الثالث: في منهجه الاجتماعي والإداري.

المبحث الرابع: في الشؤون المالية.

1. The first part of the document discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions and activities. It emphasizes that proper record-keeping is essential for transparency and accountability, particularly in financial matters. The text notes that without clear records, it becomes difficult to track expenses, revenues, and other critical data points.

2. The second section addresses the challenges associated with data management in a rapidly changing environment. It highlights the need for robust systems and protocols to handle large volumes of information. The author suggests that organizations should invest in modern technology and training to ensure that their data is secure, accessible, and up-to-date.

3. The third part of the document focuses on the role of leadership in driving organizational success. It argues that effective leaders must be able to communicate a clear vision and inspire their teams to achieve their goals. The text provides several examples of successful leaders and their strategies, emphasizing the importance of collaboration and innovation.

4. The final section discusses the impact of external factors on organizational performance. It notes that organizations must be able to adapt to changing market conditions, regulatory requirements, and technological advancements. The author suggests that a proactive approach to risk management and strategic planning is essential for long-term success.

## المبحث الأول

منهج خليفة رسول الله ﷺ في الزهد

ومحاسبة النفس والأهل

أبو بكر حجة على القادة والحكام أجمعين

الصحابة رضي الله عنهم أزهدهم وأصدقهم:

مع أن رسول الله ﷺ هو الذي قدّم خليفته أبا بكر رضي الله عنه في كل مكرمة عاشها المسلمون، واستعان به على كل ملمة مرّ بها المؤمنون فقد كان أقرب الناس وأحبهم إليه ﷺ كان جميع الصحابة يعلمون ذلك، وكانوا يعدون التقدم عليه رضي الله عنه تعدياً على مراد رسول الله ﷺ ورغبته وتوجيهاته وسابق سيرته، مع كل هذا وغيره مما كان يتصف به خليفة رسول الله ﷺ من خصائص تفرد بها بين جموع المؤمنين، ومع اتفاق جميع الرواة والمؤرخين على أن أبا بكر رضي الله عنه لم يطلب الأمر لنفسه لا بحق ولا بغير حق، وأنه هو القائل: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: إما عمر بن الخطاب وإما أبا عبيدة. فإن الصحابة جميعاً رفضوا التقدم بين يديه حتى بعد اعتذاره وهو القائل: أقيلوني أقيلوني<sup>(١)</sup>. ولهذا وغيره فقد ازدادوا به تعلقاً لعلمهم بأنه خيرهم وسيدهم وأقربهم إلى رسول الله ﷺ كما قال له عمر يوم السقيفة بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى

(١) المحب الطبري، الرياض النضرة، ذكر استقالة أبي بكر من البيعة. الخليفة: الإنصاف فيما وقع في

تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ١٤٧، الأنصار في العصر الراشدي، ١٠٧.

رسول الله ﷺ ولم ينكر ذلك أحد<sup>(١)</sup>.

فالصحابة رضي الله عنهم اختاروه وأبوا أن يقبلوا اعتذاره أو أن يتقدم عليه أحد، بعد أن قال النبي ﷺ: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»<sup>(٢)</sup>. فأبى الله تعالى وعباده المؤمنون أن يتولى غير أبي بكر رضي الله عنه أمر الأمة بعد رسول الله ﷺ، فالله هو الذي ولاه قدرًا وشرعًا، وأمر المؤمنين بولايته، وهداهم إلى أن ولوه من غير أن يكون طلب ذلك لنفسه رضي الله عنه.

فأصبح التشكيك في خلافته لونًا من ألوان الردة لما فيه من رفض للنصوص الصحيحة ولإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم الذين عدّوا ذلك من المهالك التي لا تغتفر حتى قال عمر الفاروق رضي الله عنه: «فوالله لأن أقدم فتضرب عنقي، لا يقربني ذلك إلى إثم، أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر»<sup>(٣)</sup>. فلأجل كل الفضائل وغيرها من الخصائص الكثيرة التي انفرد بها خليفة رسول الله، فقد بايعه جميع الصحابة رضي الله عنهم ولم يتخلف عنه أحد منهم محبين له سعداء بتقدمه، فأصبح ذلك التبجيل لخليفة رسول الله ﷺ خلقًا ثابتًا لهم يرجون به البركة.

فإذا كان هذا هو موقف الفاروق عمر رضي الله عنه فما هو قول من دونه من الصحابة رضي الله عنهم، وإذا كان هذا هو موقف الصحابة رضي الله عنهم الذين هم خير البشر بعد الأنبياء من حيث الانقياد الكامل والطاعة التامة لخليفة رسول الله ﷺ، فمن أي باب يدخل أراذل البشر ممن دينهم النفاق وخلقهم الإفك وسيرتهم الآثام والتخليط بين الردة والسنة، ليتناولوا على قمة البشرية بعد الأنبياء وسيد المؤمنين وإمام الناس بعد رسول الله ﷺ،

(١) سنن البيهقي: ك. أهل البغي، باب الأئمة من قريش، ح (١٧٠٠٤): ابن تيمية: منهاج السنة، ٥١/٢.

(٢) صحيح البخاري: ك. الأحكام، باب الاستخلاف، (٦٧٩١) صحيح مسلم: ك. فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٦١٣١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا، ح (٦٣٢٨).

هؤلاء الذين يجعل الواحد منهم من نفسه العارية الهاوية مقومًا لخليفة رسول الله ﷺ أو ناقدًا أو عائبًا له رضي الله عنه أو داعية إلى محبة مبغضيه ورافضي خلافته.

وعلى هذا فإن أي لغط حول أي جانب من جوانب شخصية خليفة رسول الله ﷺ الشامخة بكل إنجازاتها وعطائها؛ ما هو إلا هذيان وتخرص واجترار للباطل وللشك، واستمراء لصديد بهتان الرافضة والمستشرقين، وتفسير للنصوص والوقائع والأحداث على غير وجهها وحقيقتها التي جرت عليها.

بل إن كل ما يقوم به أعداء الصحابة ومعهم الرعاع والغوغاء من غمز في هذا الحق الصريح أو لمز بمصداقته دون حياء من الانغماس في تنن الكذب والإفك، ودون أي خوف من مخالفة الكتاب والسنة، إنما هو محاولات يائسة لبعث صفحات الردة من جديد، فأصبح ترويح مثل هذه الفرية عند كل طالب للحق إنما هو وجه من وجوه الجهل والبلادة والهزيمة واجترار الحنظل، وموالة الرفض ومناصرة الردة بما لا يشفع لمن يردده شافع، لما يترتب عليه من غمط الحق ورد موروث الأمة والشك في عقيدتها، وبما يؤلم كل مؤمن ويؤحزن كل محب للسنة، ويثلج صدر كل زنديق ويسر كل عدو لأصحاب رسول الله ﷺ.

لقد كان الصديق رضي الله عنه إمامًا لكل الصحابة، وكان في مقدمة من يأتهم به رضي الله عنه ويسير على منهجه علي رضي الله عنه أيام خلافته وبما يقطع طرق التزييف والفتنة أمام أعداء الصحابة، وكان من سيرة أبي بكر رضي الله عنه في قسم الأموال التسوية، وكذلك سيرة علي رضي الله عنه كانت التسوية؛ فلو بايع بنو هاشم - كما تزعم الرافضة - عليًا رضي الله عنه<sup>(١)</sup> لأعطاهم ما أعطاهم أبو بكر رضي الله عنه مع كون قبيلته أشرف القبائل، وكون بني هاشم وبني أمية وغيرهم إذ ذاك، كأبي سفيان بن حرب رضي الله عنه وغيره وكالعباس رضي الله عنه وغيره كانوا معه. وقد أراد أبو سفيان أن تكون الإمارة في بني عبد مناف على عادة الجاهلية فلم يجبه إلى ذلك علي ولا عثمان رضي الله عنهما ولا غيرهما لعلمهم ودينهم.

(١) ابن تيمية: منهاج السنة، ٥١/٢.

فأيّ رياسة وأيّ مال كان لجمهور المسلمين بمبايعة أبي بكر رضي الله عنه؟ ولا سيما أنه يسوي بين السابقين الأولين وبين آحاد المسلمين في العطاء، ويقول: إنما أسلموا لله وأجورهم على الله، وإنما هذا المتاع بلاغ. وقال لعمر رضي الله عنه لما أشار عليه بالفضل في العطاء: أفأشتري منهم إيمانهم؟ فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين بايعوه أولاً كعمر وأبي عبيدة وأسيد بن حضير وغيرهم رضي الله عنهم سوى بينهم وبين الطلقاء الذين أسلموا عام الفتح، بل وبين من أسلم بعد موت النبي ﷺ، فهل حصل لهؤلاء من الدنيا بولايته شيء<sup>(١)</sup>؟ فلماذا كان هؤلاء السابقون الأولون أشد الناس تمسكاً بطاعة خليفة رسول الله ﷺ ما دام أنه لا يوجد مكسب دنيوي في ذلك، فإذا انعدم هذا فلم يبق سوى الدين واتباع سيد المرسلين ﷺ وهذا ما يدعو الأمة بكل شرائعها إلى اتباعهم والسير على خطاهم التي حققت العزة للأمة والسيادة للشريعة.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من كان منكم مستنّاً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا والله أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم<sup>(٢)</sup>.

وقوله رضي الله عنه: إن الله تبارك وتعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ٥٤ / ٢.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، ٣٧٩ / ١، ح (٣٦٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ٩٧. ابن تيمية، منهاج السنة، ٧٦ / ٢.

قال ابن مسعود: وقد رأى أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه<sup>(١)</sup> فأصبحت خلافته أحسن الحسن، فمن أخذ بها فقد أخذ بمتتهى الحسن والصواب وسداد السنة، ومن رفضها أو دعا إلى مودة من رفضها ونصرته؛ فقد خاب وافترى على الله ورسوله ﷺ وشذ إلى الردة وعاب جند المعصوم ﷺ وصحبه الكرام ورد خيار النبوة وقطع حباله بها فبعداً وسحقاً.

وقول عبد الله بن مسعود أيضاً: كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، كلامٌ جامع بين في حسن قصدهم ونياتهم وبر قلوبهم، بين فيه كمال المعرفة ودقتها بعميق العلم، وتيسير ذلك عليهم وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف.

فالصحابة أكمل الأمة في ذلك بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار، ولهذا لا تجد أحداً من أعيان الأمة إلا وهو معترف بفضل الصحابة عليه وعلى أمثاله، وفي المقابل تجد من ينازع في ذلك كالرافضة وبعض العلمانيين ودعاة التقريب بين السنة والردة، وهؤلاء من أجهل الناس وأبعدهم عن العلم والهدى وأقلهم انتساباً إلى السنة النبوية وأهلها النجباء.

ولهذا لا يوجد في أئمة الفقه الذين يُرجع إليهم في الدين رافضي، ولا في أئمة الحديث ولا في أئمة الزهد والعبادة، ولا في أئمة الجيوش المؤيدة المنصورة رافضي، ولا في الملوك الذين نصرروا الإسلام وأقاموه وجاهدوا عدوه من هو رافضي، ولا في الوزراء الذين لهم سيرة محمودة من هو رافضي<sup>(٢)</sup> وإنما يوجدون في مواقف الغدر والخيانة والتلبيس والرياء والبهتان ومحاربة السنة والتأمر على أهلها وانتهاك حرمتها وأعيادها بكل صفاقة.

وقال الشافعي: لم يختلف الصحابة رضي الله عنهم والتابعون في تقديم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما<sup>(٣)</sup>. وقال شريك بن عبد الله بن أبي نمر<sup>(٤)</sup> وقال له قائل: أيما أفضل

(١) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ٧٨/٢. (٢) ينظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ٨١/٢.

(٣) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ٨٦/٢.

(٤) شريك بن عبد الله بن أبي نمر القرشي أبو عبد الله المدني، توفي ١٤٠ هـ. ينظر: ابن حجر: =

أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر. فقال له السائل: أتقول هذا وأنت من الشيعة؟ فقال: نعم، إنما الشيعي من يقول هذا، والله لقد رقي علي رضي الله عنه هذه الأعواد - منبر مسجد الكوفة - فقال: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، أفكنا نرد قوله؟ أفكنا نكذبه؟ والله ما كان كذاباً<sup>(١)</sup>. فهؤلاء الذين هم أعلم الناس وأدين الناس يرون تفضيله على الأمة، في العلم والزهد والحمية على السنة، فضلاً عن خلافته التي لا ينازع فيها مؤمن، فكيف يقال مع كل هذا: إن الذين بايعوه كانوا طلاب دنيا أو جهالاً كما يزعم ذلك أعداء الصحابة، الذين ردوا الكتاب والسنة ودانوا ببغضهما واستباحة أهلها والتلييس على الناس أنهم من المسلمين.

### من زهده وتواضعه:

خليفة رسول الله ﷺ الصديق رضي الله عنه أزهده الناس وأشدهم تواضعاً بعد رسول الله ﷺ، لم يتخذ حشماً ولا خدماً ولا مركباً ولا موكباً خاصاً به يدور معه حيث دار، ولم يتخذ قصوراً ولا دواوين، ولا حرساً وهو الذي سحق الرافضة المرتدين من عامة القبائل، ثم واجه المجوس الفرس والروم الصليبيين ولم يتخذ حرساً في كل ذلك، فأى عظمة هذه! وأي جرأة! بل أي يقين هذا الذي يتمتع به خليفة رسول الله ﷺ! ولم يكن له وقت محدد يحتجب فيه عن الناس للراحة أو لغيرها، فكان كله بماله وجهده وفكره ويده وبيته وأسرتة ومواليه، وكل ما يملك في خدمة أمة محمد ﷺ ودينها العظيم، حتى أصبح بذلك القدوة بعد رسول الله ﷺ لكل من يريد أن يسلك طريق الإصلاح والوحدة والقيادة السديدة على منهاج النبوة وخطى الصالحين المفلحين.

وأصبح حقاً على كل من يزعم أنه يسير على طريق الإصلاح من أبناء هذه الأمة، أن يُمتحن على منهج خليفة رسول الله ﷺ وإخوانه الراشدين، فمن تشبه بهم فهو على الطريق ومن

= تهذيب التهذيب ٤/٣٣٧.

(١) ينظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ١/١٣، ٢/٨٦.

خالفهم وزعم الإصلاح فهو الأفك المفضل المبين، فكان من زهده وتواضعه وحرصه على عزة المؤمنين وحفظ كرامتهم أنه ربما سقط خطام ناقته من يده رضي الله عنه فيضرب بذراع الناقة فينيخها فيأخذه بيده. فقالوا له: أفلا أمرتنا نناولكه؟! فقال: إن حبيبي رسول الله ﷺ أمرني ألا أسأل الناس شيئاً<sup>(١)</sup>. يفعل كل ذلك رضي الله عنه وهو يقود دولة تواجه المجوس والصابئين وأذئابهم ممن لا يستطيع أن يعيش إلا تبعاً خانعاً لأعداء الأمة متجبراً على أبنائها، ويحقق الانتصارات العسكرية والإنسانية والحضارية على كل أولئك، فأين هذه القيادة من أصحاب القصور والمسابع والملاهي والنوادي؟ ومن لا يفتح باب مركبته بيده حتى يحيطه الخدم والحرس والأتباع والمصفقون والمصورون وغيرهم؟ ليجسدوا حالة البطالة والنقص المركب والهزيمة الشاملة على كل الأصعدة، لكل هذا ولغيره فإن خليفة رسول الله ﷺ كان ولا يزال حجة على كل مقصر في خدمة أمته أو محارب لأبناء ملته، أو مترف على حساب قومه، أو متحزب داخل مجتمعه مع طائفة ضد أخرى، أو متسلط على ضعيف أعزل يسومه التشريد والسجن والقتل في كل حين، في انتهازية عارية واستغلال للموقع وتضييع للأمانة وإسهام في تهديم أركان بناء الأمة.

وبويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم قبض رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مهاجر رسول الله ﷺ فلم يغير منزله الذي كان بالسُّنْح عند زوجته حبيبة بنت خارجه بن زيد بن أبي زهير من بني الحارث بن الخزرج، وكان قد حجر عليه حجرة من شعر، فما زاد على ذلك حتى تحوّل إلى منزله بالمدينة، فأقام هناك بالسُّنْح بعدما بويع له ستة أشهر يغدو على رجليه إلى المدينة، وربما ركب على فرس له وعليه إزار ورداء ممشّق فيوافي المدينة فيصلّي الصلوات بالناس، فإذا صلّى العشاء رجع إلى أهله بالسُّنْح، فكان إذا حضر صلّى بالناس، وإذا لم يحضر صلّى بهم عمر بن الخطاب، فكان يقيم يوم الجمعة في صدر النهار بالسُّنْح يصبغ رأسه ولحيته، ثم

(١) ابن حنبل: مسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه باب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٦٦).

يروح لقدر الجمعة، فيجمع بالناس وكان رجالًا تاجرًا، فكان يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع ويتاع، وكانت له قطعة غنم تروح عليه، وربما خرج هو نفسه فيها وربما كُفيها فرعيث له، وكان يحلب للحبي أغنامهم<sup>(١)</sup>.

### ومن تواضعه:

ما رواه حبيب بن عبد الرحمن عن عمته أنيسة قالت: نزل فينا أبو بكر رضي الله عنه ثلاث سنين؛ سنتين قبل أن يُستخلف، وسنة بعدما استُخلف، فكان جواربي الحبي يأتينه بغنمهن فيحلبها لهن. وكان عمر رضي الله عنه يتعاهد عجوزًا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل، فيستقي لها ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها، فأصلح ما أرادت فجاءها غير مرة كي لا يسبق إليها، فرصده عمر، فإذا هو بأبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي يأتيتها، وهو يومئذ خليفة، فقال عمر رضي الله عنه: أنت هو لعمرى<sup>(٢)</sup>.

فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحبي: الآن لا يحلب لنا منايح دارنا. فسمعها أبو بكر، فقال: بلى، لعمرى لأحلبنّها لكم وإني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه عن خُلُق كنت عليه. فكان يحلب لهم فربما قال للجارية من الحبي: يا جارية أتحنين أن أرغي لك أو أصرح؟ فربما قالت: أرغ، وربما قالت: صرّح، فأبي ذلك قالت فعل<sup>(٣)</sup>.

نعم إن خليفة رسول الله ﷺ لم تتغير أخلاقه لأنه كان يعلم مكان السلطة وحقيقتها بعكس كثير من الصعاليك ممن يزعمون الإصلاح والدعوة إلى «أن الإسلام هو الحل» فما إن يصل إلى موقع صوري من مواقع المسؤولية التي يمشون أيامهم فيها على التسول والمداهنة، ومع ذلك سرعان ما يظهر زيفهم وتتساقط شعاراتهم وإذا بهم جبابرة صغار، يتنمرون على الذين صدّقوا شعاراتهم، فيتحولون من دعاة إلى الإصلاح إلى دعاة لعبادة الذات والتبعية ومداهنة الباطل، وإذا بالشعارات زائفة والدعاوى كاذبة والمسار منحرف والتضليل قائم،

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٢٣. (٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٢٢.

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٤٢٣. والصريح: الحليب بلا رغو.

لهذا أصبح حقاً على كل من يزعم أنه من أهل السنة والجماعة أن يسعى بكل ما أوتي من علم ووقت وقدرة، أن تنشر ثقافة علم الصحابة وسيرتهم وأخبارهم لكي تقتدي الأمة بهم وتقيس على موازينهم، وتحذر من أعدائهم لأن كل من يعادي الصحابة فهو بالضرورة عدو للقرآن والسنة المطهرة، وعدو لكل ما هو عربي ولكل ما هو سني على وجه الأرض وإن راوغ وناق وافتري، وأن يمتحن كل من يزعم الدعوة إلى الإصلاح والتغيير وتفعيل أوامر ونواهي الشرع، وأن تعرض سيرته على منهج أئمة الأمة وقادتها من الراشدين وتابعيهم بإحسان، فإن وافقهم وإلا فهو الدعي المحتال المتلبس بحب نفسه وعبادة أهوائه ونصرة حزبه وأتباعه وتنفيذ مشاريع أوليائه على حساب الكتاب والسنة ومنهج الصحابة رضي الله عنهم ومصالحة الأمة، ومن لا يؤتمن على المال والشعار لا يؤتمن على الدماء والأعراض والأوطان.

### في زهده ومحاسبة أهله:

ومثلما كان خليفة رسول الله ﷺ زاهداً في السلطة والمال فهو زاهد في الطعام والشراب يصبر على الجوع والعطش ويحاسب أهله وينفق ماله في سبيل الله، فقد خرج أبو بكر رضي الله عنه يوماً في الهاجرة إلى المسجد فسمع بذلك عمر رضي الله عنه فخرج، فقال: يا أبا بكر ما أخرجك في هذه الساعة؟ قال: لا، والله ما أخرجني إلا الجوع. فقال: أنا والذي نفسي بيده ما أخرجني غيره. فبينما هما كذلك إذ خرج عليهما رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟». فقالا: الجوع. فقال ﷺ: «أنا والذي نفسي بيده ما أخرجني غيره». فقاموا، فانطلقوا حتى أتوا باب أبي أيوب الأنصاري، فذكر الحديث في إتيان رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر بيت أبي أيوب رضي الله عنهم وذبحه لهم شاة، وطبخه لها وإطعامهم<sup>(١)</sup>. نعم هذا منهج الدعاة إلى الحق من الإصلاح والتغيير لكل مظاهر الفساد

(١) صحيح مسلم: ك. الأشربة، باب استتباعه غيره، (٢٠٣٨). الترمذي: ك. الأشربة، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ (٢٣٦٩)، وانظر: التمهيد لابن عبد البر ٢٤/٣٤٠.

هؤلاء هم الذين ثبتوا على منهجهم حتى صلحت الدنيا على أيديهم، فأصبحوا حجة على الأعداء في عصرنا هذا، الذين يفسدون باسم الإصلاح، ويسرقون باسم العطاء، ويفرقون باسم الوحدة، ويشركون باسم التوحيد! فشتان بين دعاة الحق وثمار سيرتهم وبين دعاة الباطل وعلقم زيفهم.

وفي حديث إسلام أبي ذر رضي الله عنه؛ قال أبو بكر: يا رسول الله ائذن لي في إطعامه الليلة. قال أبو ذر: فانطلق رسول الله ﷺ وانطلقت معهما، ففتح أبو بكر رضي الله عنه باباً فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف وكان ذلك أول طعام أكلت بها. ثم أتيت رسول الله ﷺ فقال: إني وجهت لي أرض ذات نخل ولا أراها إلا يثرب فهل أنت مبلغ عني قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم؟ قال: فأتيت أنيساً - أخوا أبي ذر - فقال: ما صنعت؟ قلت: قد أسلمت وصدقت. فقال: ما لي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت. فأتينا أمنا فقالت: ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت. فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفاراً فأسلم نصفهم وقال نصفهم: إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا. فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم نصفهم الباقي وجاءت أسلم فقالوا: يا رسول الله إخواننا نسلم على الذي أسلموا عليه. فأسلموا. فقال رسول الله ﷺ: «غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله»<sup>(١)</sup>.

وقد كان أبو بكر رضي الله عنه ينفق في كل وجوه الخير حتى إن رسول الله ﷺ نوه بذلك الفضل الذي يفيض من بين يدي أبي بكر رضي الله عنه أمام جمهور المسلمين كما اتضح ذلك في أكثر من موقف، وذلك من باب إشاعة فعل الخير والتشجيع على عمل المعروف، والاعتراف لأهل الفضل بفضلهم، قال علي رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة»<sup>(٢)</sup>.

- (١) انظر قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه فيما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر، ح (٢٤٧٣). الصالحى: سبل الهدى، ٣١٦/٢.
- (٢) الحاكم: المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٤١). وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنا مع أبي بكر رضي الله عنه إذ استسقى، فأتي بماء وعسل، فلما وضعه على يديه بكى وانتحب، حتى ظننا أن به شيئاً، ولا نسأله عن شيء، فلما فرغ قلنا: يا خليفة رسول الله ما حملك على هذا البكاء؟ قال: بينما أنا مع رسول الله ﷺ رأيتَه يدفع عن نفسه شيئاً ولا أرى شيئاً، فقلت: يا رسول الله ما الذي أراك تدفع عن نفسك، ولا أرى شيئاً؟ قال: «الدنيا تطلعت لي فقلت: إليك عني»، فقالت لي: أما إنك لست بمدركي. قال أبو بكر: فشق علي، وخشيت أن أكون قد خالفت أمر رسول الله ﷺ ولحقتني الدنيا<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن من يزهد في المال والسلطان والطعام والشراب سيكون أكثر قدرة على الزهد في الملابس والحلل والنياشين، قال رافع بن أبي رافع الطائي: رافقت أبا بكر رضي الله عنه في غزوة ذات السلاسل وعليه كساء له فدكِّيَّ يخله عليه إذا ركب ولبسه أنا وهو إذا نزلنا<sup>(٢)</sup>. فأبو بكر يكفيه من اللباس ما يستره وقد يشاركه بعض أصحابه في ملبسه الوحيد، وهو الذي يقوم الليل ويحفظ القرآن ويقوم بكل حقوقه، وينازل الأعداء على كل الجبهات العسكرية والسياسية والحضارية فيهمهم ويظهر عورهم ونقائصهم ويحقق الانتصارات الكاملة عليهم وعلى جحافلهم وأتباعهم من باعة الأوطان والهوية.

بينما نرى الكثيرين من دعاة هذا العصر يرون أنه لا يليق بهم إلا أن يظهرُوا بمظاهر اليهود والصليبيين وغيرهم من العلمانيين، لأن ذلك في عرفهم الزائف دليل المرونة وقبول الآخر ومشاركته في مظهره حتى لو كان في ربطة العنق ذات الأبعاد الدينية الشركية، ولا بأس في ذلك في مفهوم الأدعياء والمغفلين إذ إن ضياع الهوية أو تزييفها لا يؤثر على وحدة المنهج وسلامة المسار، وأن مفاهيم وأبعاد «من تشبه بقوم فهو منهم»<sup>(٣)</sup>، أو «من أحب قومًا حشره الله في زمرتهم»<sup>(٤)</sup>. لا تعنيهم لأنهم فوق الوصايا النبوية، وأعرف بمصالح الدعوة

(١) الصالحي: سبل الهدى: ٨٠/٧. المتقي الهندي: كنز العمال، (١٨٥٩٧).

(٢) عمر الشيباني: الزهد، ١/١.

(٣) ابن حنبل: المسند، ح (٥٠٩٣)، أبو داود: السنن، ح (٤٠٣١).

(٤) الطبراني: المعجم الكبير، ح (٢٥١٩).

والسنة من حملتها وحماتها، فلا بأس أن يصفقوا لرافض خلافة الصديق رضي الله عنه وأن ينحنوا لمقدس قاتل الفاروق إجلالاً لكي يثبتوا أنهم ليسوا طائفيين لمن يتنفس الطائفية شهيقاً وزفيراً، ويحيا طائفيًا ويموت طائفيًا، ولا يبالي من أجل الطائفية التي يدين بها بعهد ولا ميثاق ولا حلال أو حرام.

فأصبح من الأعراف الفاسدة عند علماء الغوغاء شعارات لسان حالها يقول: تعسا لمن يفرق بين الفاروق وقاتله، وبين عثمانَ ومن اغتاله، وبين علي ومن طعنه؛ إذ لا فرق بينهم في أعراف أولئك الزائفين التائمين المضلين، فما دام القاتل قد ارتدى العمامة إيهامًا للحق وولاء للباطل، ورفع رايات التمويه للاندساس في صفوف العامة التي لا تميز راعيها من حراميتها ولإخفاء أهدافهم ودفن أحقادهم، وما دام هذا حاصلًا فهو كافٍ لقادة الغوغاء أن يخضعوا لراياتهم وأن يقودوا أتباعهم في كل منعطف خطر ومنزل بعيد، حتى وهم يعلمون أن كل ما يقوم به أعداء الصحابة من هجمات وحركات بعيدة المدى ومغامرات خطيرة الصفحات، إنما هو لإحكام التمويه في إجادة أدوار الخداع وإسقاط ورقة الخيانة التي تدمغهم أينما ساروا ورايات العمالة والتحالف مع جميع الغزاة التي تحذر من مكرهم كلما تحركوا للهيمنة على هذه الأمة في أدوار لهوها وغفلتها، وعملوا على التفرد بحلبها والتمتع باستخدامها والتشفي باستعبادها وطمس سنة نبيها ﷺ وطعنها في مشاعرها وأعيادها، كل تلك الرغبات الجامحة ضد هذه الأمة نمت في نفوس أعداء الصحابة انتقامًا ممن فقأ عيون الردة وحطم عروش الأكاسرة والقياصرة وطمس المجوسية واقتلع أنياب الصليبية، لكل هذا ستبقى هي الهدف الأول لكل الطغاة والطامعين والماكرين وفي كل العصور، لا يغفل عن ذلك إلا أحمق أو غشاش، بليد مفرط بأهل السنة، حريص على مشاعر أهل الرفض والردة.

أما الذين وصموا أنفسهم بعار التصفيق لقتلة الراشدين، فإنهم لا يعلمون في أي واد يهيمون، ولا تحت أي راية يسرون؛ إذ لا يميزون بين راية خليفة رسول الله ﷺ وإمام السنة وقائد السابقين، وبين راية مسيلمة الكذاب سيد الرفضة وإمام المرتدين، وذلك لغياب

الضابط الشرعي، وموت الوازع الموقظ للضمائر وعمى عين الاعتبار وموت الذاكرة وشدة الحرص على الحياة أي حياة حتى لو كانت بلا هوية ولا راية ولا هدف!!

فأصبح من مناهجهم الضالة واجتهاداتهم الفاسدة، إيقاع الأمة في كل فتنة وإدخالها في كل نفق، وتدجين أبنائها وتصديع بنائها، وقيادة جموع المصنفين لقتلة الراشدين، وتكرار ذلك حتى أصبح جزءاً من ركائز سياستهم الثائفة، فلم يعودوا يباليون أين يتوجهون ولا مع من يسيرون، وكيف يباليون بشيء من هذا وصدى تصفيقهم يردد: ألا بعداً للصديق والفاروق وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - ما داموا عشرة في طريق التقريب والوحدة - المخادعة المهلكة - بين مكذبي القرآن ومكفري الصحابة وقتلة الحفاظ والقراء والعلماء والأئمة والمؤذنين، حيث لا تقوم أركان دينهم إلا على سحق السنة النبوية وإبادة أهلها بعد تجريدهم واستباحة ثوابتهم؛ وبين الأدعياء الأغبياء مضيعي الأمة والهوية والأمانة والمصلحة، أولئك المفرطون الذين صمّوا عن نصح الناصحين وأغمضوا أعينهم عن الاعتبار لكل ما يجري لحملة الدين، حتى انحرفوا عن منهج خليفة رسول رب العالمين، وباعوا دماء الصالحين بلا ثمن في أسواق المخادعين الغاشين، فأسهموا في تمدد الرفض والردة بين المسلمين، ولم يعتبروا بقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غَشَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

### في ورعه ومحاسبته وتركته:

لقد أصبح الكثير من المسلمين في هذا العصر لا يطمع في أكثر من الأمن على نفسه وعياله وممتلكاته لئلا تأتيه معرة وتبعات بسبب أدائه لشعائر دينه، وبعد ذلك لا يبالي إن قاده وساده عدوه أو أخوه، كل ذلك لما يمارس ضد أهل السنة المطهرة من حرب التزييف المعلنة والسرية، ولغياب وازع المحاسبة في ضمائر الكثير من الناس فلم يعودوا يميزون بين من يقودهم إلى حتفهم وبين من يحييهم، وقد تجلّى هذا فيما يقوم به بعض أعداء الصحابة من محاكاة مشاعر العامة والتظاهر بالعمل على تحقيق مطالبهم وما يصبون إليه من أمانى

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٤١.

وآمال في هذا العصر، وكل ذلك بعد دراسات واتفاقيات مآكرة تهدف إلى النيل من أهل السنة النبوية وعقيدتهم، وخوفاً من الوصول إلى مثل هذه الحال كان أبو بكر رضي الله عنه يدعو إلى تفعيل مبدأ المحاسبة في النفوس حتى تُجلى الضمائر وتصل البصائر فتعرف الأمور على حقيقتها، ولا يصقل هذا الإحساس بالمسؤولية مثل شدة المراقبة التي تولد النزاهة وتغذي الأمانة وتولد الرقة، فكان رضي الله عنه يقول: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا. وكان يقول: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن<sup>(١)</sup>.

وعن أوسط بن عمرو قال: قدمت المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ بسنة فألفيت أبا بكر يخطب الناس على المنبر فقال: قام فينا رسول الله ﷺ عام أول فخنقته العبرة ثلاث مرات ثم قال: «يا أيها الناس، سلوا الله المعافاة، فإنه لم يؤت أحد مثل يقين بعد معافاة، ولا أشد من ريبة بعد كفر، وعليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه يهدي إلى الفجور، وهما في النار»<sup>(٢)</sup>. وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر رأى أبا بكر وهو مدلٍ لسانه، آخذه بيده. فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ فقال: وهل أوردني الموارد إلا هذا<sup>(٣)</sup>؟ فحياته محاسبة دائمة ونظر واعتبار وتفكر أثمر عطاء دائماً ونجاحاً باهرًا في كل محاور الحياة، وبلغ من محاسبته وشدة يقظته أنه «أتي رضي الله عنه بغراب وافر الجناحين فقلبه ثم قال: ما صيد من صيد ولا عضدت من شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح»<sup>(٤)</sup>. فالغفلة عند خليفة رسول الله لا تليق بالمؤمن ولا بالطير ولا بالحيوان لأنها سبب هلاكه في الدنيا والآخرة كما هي سبب في فلاحه أيضًا، وإن فاته شيء من أمر الدنيا فعليه أن يحتسب ذلك عند الله تعالى لكيلا يفوته الأجر والثوبة، قال رضي الله عنه: إن المسلم ليؤجر في كل شيء حتى في النكبة وانقطاع شسعه والبضاعة تكون في كفه

(١) عمر الشيباني: الزهد، ١/١٠٩.

(٢) السيوطي: الدر المثور، ٤/٣١٧. مالك: موطأ مالك برواية يحيى الليثي، ح (١٧٩٢).

(٣) الشيباني: الزهد، ١/١١٢.

(٤) عمر الشيباني: الزهد، ١/١١٠.

فيفتقدها فيفزع لها فيجدها في ضبته<sup>(١)</sup>.

وبلغ من ورع خليفة رسول الله وشدة محاسبته لنفسه أنه لا يتهاون في كل ما به وجه من وجوه الشبهة، وقد كان له رضي الله عنه غلام فكان إذا جاء بِغَلَّتِهِ لم يأكل من غلته حتى يسأله فإن كان شيئاً مما يحب أكل؛ وإن كان شيئاً مما يكره لم يأكل. فنسي ليلة فأكل ولم يسأله، ثم سأله - بعدما أكل - فأخبره أنه من شيء كرهه رضي الله عنه فأدخل يده ففتقياً<sup>(٢)</sup> - أي ما في بطنه - خشية من شبهة تدخل في جسده الطاهر الذي نبت على الحلال وحب الله والرسول ﷺ والسنة، ولا أدري - والله - ما حالنا حيث نأكل ولا نسأل ونجمع ولا نتحرى إلا من رحم الله تعالى، فستان بين من تربى بين يدي رسول الله ﷺ وبين من يعيش يصفق لمن يأكل من أموال أتباعه خمس أموالهم فيسخره لشهواته وأهوائه ولتزييف السنة وإقامة الحرب على أصحاب رسول الله ﷺ ومحبيهم.

فأين المشرعون لأنفسهم ما يُحل حقوق الآخرين؟ وأين الذين يتلعون حقوق المؤمنين وحررياتهم ويمنعونهم من إقامة شعائر دينهم، ويجترئون على قتلهم وسجنهم وتشريدهم؟ وأين يذهب الذين يودعون خزائنهم الخاصة ثروات الضعفاء والمساكين؟ وأين يفر بناء القصور والملاهي ونواصي الفساد وفضائيات الحرب على الله ورسوله ﷺ؟ أم أنهم مخلدون؟ بل ماذا يفعل أولئك الذين جمعوا الثروات وبخلوا بها عن وضع جسده ودمه ووقته درعاً لحماية الأمة والسنة النبوية؟ أين كل هؤلاء من سيرة خليفة رسول الله ﷺ ومنهجه وسياسته التي أصبحت حجة على كل ظالم وطاغية آكل لحقوق الناس ومصادر لحررياتهم بالقهر والجشع والحيل والخداع؟

فلم يتهاون الصديق رضي الله عنه مع أي انغماس في أي جزئية من جزئيات الدنيا لا مع قريب ولا بعيد وقد حضرت الوفاة ابناً لأبي بكر رضي الله عنه فجعل - الابن - يلحظ

(١) ابن حنبل: الزهد، ١٠٩. عمر الشيباني: الزهد، ١/١١٠.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف، ٧/٩٣. السيوطي: الدر المنثور، ٥/٢٩١ وانظر: فتح القدير للشوكاني ٣/٣٣٢.

إلى وسادة، فلما توفي قالوا لأبي بكر رضي الله عنه: رأينا ابنك يلحظ إلى وسادة فرفعوه عن الوسادة فوجدوا تحتها خمسة دنائير أو ستة. قال: فضرب أبو بكر رضي الله عنه بيده على الأخرى يرجع بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون، يا فلان ما أحسب جلدك يتسع لها<sup>(١)</sup>. هذا موقفه مع ولده الذي ادخر لنفسه خمسة دنائير من الكسب الحلال حيث يرى الصديق رضي الله عنه ألا طاقة لابنه في الوقوف لمناقشة الحساب عن مصدرها وماذا سيفعل بها، فبأي لسان يتحدث أعداء أبي بكر الذين يفترون عليه فيما يسمى بالميراث.

والتساؤل الذي يثور في ضمير القارئ لمثل هذا الموقف الذي يترجع على قمة النزاهة والورع هو: هل كان الصديق رضي الله عنه غاشاً لابنه أم ناصحاً له في موقفه من اكتشاف تركته البسيطة هذه واستنكاره عليه ذلك؟ والإجابة على هذا ستكون من منطلق الإيمان، فمن آمن بالله ورسوله ﷺ والدار الآخرة، لا شك أنه يتمنى أن يصل إلى جزئيات من هذا الرقي والشموخ والسمو والبطولة والانتصار على الذات، أما الذين أسقطوا من حساباتهم الله والدار الآخرة فإنهم وبلا شك يسخرون من كل هذه المعاني فيبالغون في النهب والسلب وتشريع قوانين الضرائب والغرامات وألوان المكوس لجمع أكبر قدر مما يستطيعون من أوساخ الناس التي ستلقى عليهم أوزاراً وآثاماً يوم القيامة، قال جل شأنه: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. فأورثوا أبناءهم الآثام والحرام والسحت؛ عدا عن ذلك الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، ومنع المؤمنين من أداء الصلاة وهدم المساجد وحرق المصاحف والكتب القيمة التي ورثتها الأمة عن أبنائها البررة، ليجعلوا من تلك المخازي معارج يعرج عليها ورثتهم إلى مواقع التسلط على رقاب المسلمين، فشتان بين الأعمى والبصير وبين الظلمات والنور. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ قَبِيلاً﴾<sup>(٣)</sup>.

- (١) أبو نعيم: حلية الأولياء، ٢٧/١. الهندي: كنز العمال، (٨٥٤١). السيوطي: تاريخ الخلفاء، ٩٥/١.  
 (٢) سورة الشعراء، الآية: ٨٨.  
 (٣) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

والأمر الذي يجب على كل قارئ لسيرة خليفة رسول الله ﷺ أن يعرفه هو أن موقفه من تركة ولده البسيطة تلك كان خُلُقًا ثابتًا في صفحات سيرته، ومثلما أن عبيد الدنيا يرغبون في توفير أكبر تركة لأولادهم، وترك أكبر رصيد لذويهم في هذه الدنيا حتى لو ذهبوا إلى ربهم مفلسين كما يفعل ذلك كثير من الطغاة الذين ساموا الناس في عهودهم عذابًا وتضييقًا وتغريمًا وابتزازًا وتجريدًا من كل الحقوق، حتى إذا جمعوا أموال السحت تركوها ليحارب بها ورثتهم الدين وأهله، وليجني المبتلون الظالمون حصاد أيديهم وأشواك ميراثهم، عذابًا وحسرات لا تنقطع لسوء تدبيرهم وعواقب ظلمهم وجشع نفوسهم. قال تعالى: ﴿وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾<sup>(١)</sup>.

أما خليفة رسول الله ﷺ فإنه عاش نقيًا تقياً وحرص أن تكون جميع أُمَّته نقية بريئة من أي وجه من وجوه الظلم، فلا ظلم ولا توريث للظلم كما يفعل الطغاة ويجعلونه دينًا يدينون به، بل هو العدل وتوريث الإنصاف وأداء الحقوق.

اتضح ذلك جلياً في إيمان الصديق رضي الله عنه المطلق بأن الله هو الفاعل وحده في هذا الوجود فحين مرض رضي الله عنه وعادوه. قالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رأني الطبيب. قالوا: فأى شيء قال لك؟ قال: إني فعال لما أريد. وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: إن الدنيا لم ترد أبا بكر رضي الله عنه ولم يردها<sup>(٢)</sup>.

وعن الطاهرة عائشة رضي الله عنها: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة دعاها فقال: إنه ليس في أهلي بعدي أحد أحب إلي غنى منك ولا أعز علي فقراً منك، وإني كنت نحللتك من أرضي بالعالية جداد - يعني جني - عشرين وسقاً، فلو كنت جددتبه تمرًا عامًا واحداً انحاز لك، وإنما هو مال الوارث، وإنما هما أخواك وأختاك، فقلت: إنما هي أسماء. فقال: وذات بطن ابنة خارجة، قد ألقى في روعي أنها جارية فاستوصي بها خيراً.

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٢) عمر الشيباني: الزهد، ١/١١٢.

فولدت أم كلثوم<sup>(١)</sup> ابنة أبي بكر رضي الله عنه من زوجته الأنصارية. فها هو قبيل وفاته رضي الله عنه يحاسب ورثته على كل صغيرة ليذهب بريئاً ويبقى أهله أبرياء أنقياء أتقياء - وهم كذلك - وقد فعل رضي الله عنه ورضي أهله رضي الله عنهم بما فعل.

قال أنس رضي الله عنه إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لعائشة وهي تمرضه: والله لقد كنت حريصاً على أن أوفر فيء المسلمين على أنني قد أصبت من اللحم واللبن فانظري ما عندنا فأبلغه عمر. قالت: وما كان دينار ولا درهم، ما كان إلا خادم ولقحة ومحلب. فلما رجعوا من جنازته أمرت به عائشة إلى عمر، فقال: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده<sup>(٢)</sup>.

ولما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قال: يا عائشة انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نصطبج فيها والقטיפفة التي كنا نلبسها فإننا كنا ننتفع بذلك حين كنا في أمر المسلمين فإذا مت فاردديه إلى عمر. فلما مات أبو بكر رضي الله عنه أرسلت به إلى عمر رضي الله عنه فقال: رضي الله عنك يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك<sup>(٣)</sup>. وقال رضي الله عنه حين حضرته الوفاة للطاهرة عائشة رضي الله عنها: إنني لا أعلم في آل أبي بكر من هذا المال شيئاً إلا هذه اللقحة - الناقة - وهذا الغلام الصيقل كان يعمل سيوف المسلمين ويخدمنا فإذا مت فادفعه إلى عمر بن الخطاب فلما بعثت به إلى عمر رضي الله عنه قال: يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده<sup>(٤)</sup>.

فكان همه أن يذهب إلى ربه نقياً وأن تسير الأمة على منهجه لكي يلقي الله كل مؤمن وهو كذلك لا حقوق ولا حساب ولا عذاب. وروي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال دخلت على أبي بكر رضي الله عنه في مرضه الذي توفي فيه فسلمت عليه فقال: «رأيت

(١) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٤٢٣/٣٠.

(٢) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٤٢٨/٣٠.

(٣) الطبرانی: المعجم الكبير، ٦٠/١.

(٤) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٤٢٨/٣٠.

الدنيا قد أقبلت ولما تقبل، وهي جائية وستتخذون ستور الحرير ونضائد الديباج، وتألّمون ضجائع الصوف الأذري كأن أحدكم على حسك السعدان ووالله لأن يقدم أحدكم فيضرب عنقه حدًّا خير له من أن يسبح في غمرة الدنيا»<sup>(١)</sup>. فشفتته رضي الله عنه على المسلمين تثقل كاهله حتى عند وفاته، فهّمه ألا يغتر المسلمون بزخارف الدنيا وألا ينسوا الدار الآخرة وأن يذكروا ما كان يذكرهم به عن حال السابقين الذاهبين، في خطبه التي يقول فيها:

«أين الوضآء الحسنه وجوههم المعجبون بشبابهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحي الوحي، النجاء النجاء»<sup>(٢)</sup>. فكان منادياً صدق وموصياً خبيراً بالعواقب وخطيباً بصيراً شفيقاً على أبناء أمته رضي الله عنه.

قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: لما احتضر أبي رحمه الله دعاني فقال: يا بنية إني كنت أعطيتك تمر خبير ولم تكوني أخذتها - وهي الأوساق التي سبق ذكرها - وأنا أحب أن ترديها علي. قالت: فبكيت ثم قلت: غفر الله لك يا أبة، والله لو كان خبير ذهباً جميعاً لرددتها عليك. فقال: هي على كتاب الله عز وجل يا بنية إني كنت أتجر قريش وأكثرهم مالاً، فلما شغلتنني الإمارة رأيت أن أصيب من المال بقدر ما شغلني، يا بنية هذه العباءة القطوانية، وحلاب وعبد، فإذا أنا مت فأسرعني به إلى ابن الخطاب، يا بنية ثيابي هذه فكفنونني بها. قالت: فبكيت وقلت: يا أبة نحن أفضل من ذلك. فقال: غفر الله لك وهل ذلك إلا للمهل؟ قالت: فلما مات بعثت بذلك إلى ابن الخطاب فقال: يرحم الله أباك لقد أحب ألا يترك لقائل مقالاً<sup>(٣)</sup>.

ولما ثقل رضي الله عنه قال لعائشة: إنه ليس أحد من أهلي أحب إلي منك، وقد كنت أقطعك أرضاً بالبحرين لا أراك رزأت منها شيئاً. قالت له: أجل. قال: فإذا أنا مت فابعثي

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء، ١/ ٣٥.

(٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ١/ ٢٦١. أبو نعيم: حلية الأولياء، ١/ ٣٥.

(٣) عمر الشيباني: الزهد، ١/ ١١١.

هذه الجارية، وكانت ترضع ابنه، وهاتين النعجتين وحالهما إلى عمر. وكان يسقي لبنهما جلساءه، ولم يكن في يده من المال شيء، فلما مات أبو بكر رضي الله عنه بعثت عائشة بالغلام والنعجتين والجارية إلى عمر، فقال: يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده. فقبل النعجتين والغلام ورد الجارية عليهم<sup>(١)</sup>.

هذه هي تركة خليفة رسول الله ﷺ القائد الفاتح التاجر السيد رضي الله عنه، أوساق من تمر وخادم ولقحة أو نعجة وإناء للحليب وعباءة. كلها أخذها من وجوهها الشرعية وأورثها إلى أهله بوجهها الشرعي، ولكنه مع كل ذلك يصر على أن يخرج من هذه الدنيا وليس لأحد في عنقه مثقال ذرة من أي حق من الحقوق، حرصاً منه رضي الله عنه على اللحاق بركب رسول الله ﷺ معلم الأمة ونبينا ﷺ، ليعلم من يأتي من بعده أن كل شيء هالك فلا يغتر بالدنيا، فهذه تركة الخليفة الفاتح وسيد الدنيا في عصره؛ قد أمر ورثته الذين جردهم مما أعطاهم ليتنفعوا به في حياته كما كان يعطي عامة المسلمين أمرهم بالإسراع بردها إلى الخليفة من بعده لتستقي البشرية من ذلك الموقف درساً لا يؤديه إلا الأنبياء أو إخوانهم وورثتهم، ألا فشاهت وجوه خصوم خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه.

### ومن ورعه:

قال محمد بن سيرين: لم أعلم أحداً استقاء من طعام أكله غير أبي بكر رضي الله عنه فإنه أتى بطعام فأكله ثم قيل له: جاء به ابن النعمان. فقال رضي الله عنه: فأطعمتموني كهانة ابن النعمان؟! ثم استقاء هذا أو نحوه<sup>(٢)</sup>. وهذا ما عرفه له أئمة أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم سادة الدنيا وقادتها وأعلنوا به أمام جماهير المؤمنين حتى خطب عمر رضي الله عنه في ذلك يوماً، فقال وهو على المنبر: إن أبا بكر رضي الله عنه كان سابقاً مبرراً<sup>(٣)</sup>. ولم يحدد عمر

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٤٢٣/٣٠.

(٢) عمر الشيباني: الزهد، ١/١١١.

(٣) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ٢٠٣/١. البيهقي: الاعتقاد والهداية، ١/٣٦٢.

رضي الله عنه هذا السبق في أي باب من أبواب الحياة؛ لأن سبق الصديق رضي الله عنه كان في كل ميادين السباق التي ولجها المؤمنون في هذه الدنيا، يؤكد ذلك أن من يشهد لخليفة رسول الله ﷺ هو سيد السابقين بعده وليس من عامة الأمة.

قال ابن أبي حازم: جاء رجل إلى علي بن الحسين رضي الله عنه فقال له: ما كان منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله ﷺ؟ قال: كمنزلةهما منه الساعة<sup>(١)</sup>. أي في قبريهما وقبريهما في جوار رسول الله ﷺ في روضته المباركة، ولعل هذا من أبلغ الوصف لمقام الشيخين الراشدين رضي الله عنهما وأجزه وأشمله؛ إذ إن تلك المنزلة وذلك القرب إنما هو صورة صادقة عن الزهد والورع والرضا والتوكل والخوف والرجاء وكل ما تعلموه من رسول الله ﷺ. ومع كل هذا الشموخ والسمو في المنزلة الذي كان عليه خليفة رسول الله ﷺ والتي يعلمها المسلمون الأكابر والأصاغر، فإنه لم يُعرف عنه سوى التواضع والورع والعفاف والخشية من الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

كما عرف فيه رضي الله عنه حب الخير للأمة والسلامة لدينها وهويتها، وإن جحد منزلة الصديق رضي الله عنه أحد من الزنادقة وأهل الردة وبُغض السنة، فإن ذلك الزور والجحود لا يزيد أهل الإيمان إلا إيماناً و يقيناً وتعلقاً بكتاب الله وسنة النبي ﷺ وبمكانة خليفة رسول الله ﷺ فيهما؛ وحذراً وتوجساً من مواقف وأقوال وتفسيرات وتحالفات أعداء الصحابة جاحدي الحق ومورثي الفتن والبهتان. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا المقام لا يسعنا إلا أن نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإنصاف والعدل في القول

(١)، (٢) عمر الشيباني: الزهد، ١/١١٢. (٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٠.

(٤) سورة هود، الآية: ١٨.

والعمل وأن يعافينا من مناصبة العداوة للصالحين أو رفض سنة إمام الأنبياء والمرسلين أو الوقوع في التناول على أحد من أصحابه بقول أو عمل أو ضغينة، ولا يسعنا إلا أن نردد مع إمام الأمة وقائدها صاحب رسول الله ﷺ وخليفته أبي بكر رضي الله عنه دعاءه الذي كان يردده: اللهم إنني أسألك الذي هو خير لي في عافية الخير، اللهم اجعل آخر ما تعطيني من الخير رضوانك والدرجات العلى من جنات النعيم<sup>(١)</sup>.

لعل أهم ما يلفت انتباهه وضمير القارئ والباحث في حديثنا عن الزهد في هذه السيرة الملائكية التي عطر بها خليفة رسول الله ﷺ أرجاء هذا الكون ليثبت للبشرية جمعاء أن أصحاب رسول الله ﷺ قد وصلوا في سيرتهم التي سجلوها على أرض الواقع إلى مراتب ملائكية، في سمو الروح والترفع عن متاع الدنيا وزخرفها وكل متاعها، بما في ذلك السلطان والجاه والقوة، وأن المتمعن والمتابع لمواقف وأفعال وتوجهات وتوصيات وخطابات خليفة رسول الله التي يوجهها إلى أبناء أمته يدرك أنه رضي الله عنه إنما أراد أن يسمو بهم إلى الآفاق التي كان يخلق بهم رسول الله ﷺ في أجوائها، وقد فعل رضي الله عنه كل ذلك على أتم وجه وأكمله، مما يولد رؤى تنبعث من صميم العقيدة وروحها تؤكد لكل قارئ وباحث أن خليفة رسول الله هو الرجل الذي خلف رسول الله ﷺ في أمته كما يريد رسول الله ﷺ ولو كان حياً ﷺ لرضي كل الرضا عمّا قام به الصديق من أفعال كان ينظر إليها بعين النبوة وروحها التي تشربها في كل مشاعره، في سلمه وحره فأثبت بكل جدارة وبشكل عملي أنه «ثاني اثنين» في هذه الأمة وأن كل من يروج أن هناك من هو إمام أو قائد أجدر أو أقدر أو أولى من أبي بكر رضي الله عنه في أمر من أمور الإسلام في حياة رسول الله ﷺ أو بعد وفاته إنما هو شاهد زور مفتر ضالّ مضل يعبث بالحقيقة، ومكذب لمراد رسول الله ﷺ ورادّ لخيارات أصحابه ورافض للسنّة التي سلكوها في خياراتهم السياسية والعسكرية وغيرها، ولا أخطر على الأمة من أولئك الذين شهدوا بأم أعينهم كيف تذبح السنّة وأهلها على أيدي

(١) الشيباني: الزهد، ١/١١٢، ١١٣.

أعداء السنة وطغاة الردة والعمالة فلم ينسوا بنت شفة يثبتون فيها أن ولاءهم للسنة أكبر من ولائهم لمصالحهم، ولم يسكتوا ليعذروا حتى إذا مرّ أحدهم بمسألة من مسائل التاريخ الملوثة بأباطيل أعداء الصحابة تراهم يدورون حولها لا يهتدون إلى سبيل ولا يسلكون فيها طريقاً سويّاً، بل يرددون البهتان بألوان أخرى لا يفقهون من ذلك التاريخ سوى قول مشايخهم المذبذبين الذين أثبتوا أنهم أجهل الناس بتاريخ الأمة، فيرددون: قال فلان وقال فلان؛ ليطعنوا بأنصار العقيدة وحماة الدين، ولا سيما رجال القرن الأول الهجري بعد الراشدين من بني أمية الذين انتشلوا السنة وأهلها من أنياب الرافضة المجوسية ومخالب السبئية اليهودية قتلة أمير المؤمنين عثمان الشهيد رضى الله عنه أولئك الذين عششت أفكارهم وامتألت أوكارهم في جيش أمير المؤمنين علي رضى الله عنه حتى جروه إلى البصرة وأحداث موقعة الجمل رغماً عنه، ومن ثم غشّوه في شهاداتهم ووشاياتهم المزورة على أمير الشام معاوية رضى الله عنه حتى صنعوا أسباب فتنة صفين، قبل أن يتنبه إلى مكرهم ويلتفت إليهم فيوقع بهم بعد ذلك في حروراء والنهروان وغيرهما؛ قبل أن تغتاله كوفة الفتن والمكر وبغض الصحابة وكرامية العرب وجحود السنة، وهو في كل تعامله مع أعداء السنة كان يقترب إلى رؤية معاوية وموقف الأمة من قتلة الشهيد عثمان رضى الله عنه وإن كان علي ومعاوية قد اختلفا سياسياً وعسكرياً فإنهما لم يختلفا في أن السنة هي خط المسير الأوحى للأمة وعلى هديها يكون المسير فقط، ولا أدل على أنهما كانا عند الرافضة في كفة واحدة من أن خطة الاغتيال في المؤامرة الرافضية الكبرى على الخلافة الراشدة قد جمعت بين علي ومعاوية وعمرو بن العاص رضى الله عنهم في الخطورة فقررت اغتيالهم جميعاً، لطمس السنة ولكن الله تعالى قد خيب ظنهم وأبقى لهم من سامهم سوء العذاب ببغيهم وبهتانهم وجرأتهم على أصحاب رسول الله ﷺ؛ إذ إن أمير المؤمنين معاوية رضى الله عنه بعد بيعته من الأمة الإسلامية بأسرها وفي مقدمتها الحسن والحسين رضى الله عنهما لم يعد له من همّ سوى الإجهاز على قتلة أمير المؤمنين علي رضى الله عنه وسحق فتنة الرافضة السبئية حتى فاز بذلك وأنجز ما بدأه أمير المؤمنين علي رضى الله عنه ضد الرافضة في حروراء والنهروان.

فقد أتم مشوار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ابن عمه أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه سيف الأمة المسلط على أعداء السنة وحليمها الذي يتسع صدره لكل أبنائها الأتقياء، الأتقياء من دماء الراشدين الثلاثة ليعود بها إلى مواقعها قبل استشهاد الخليفة عثمان رضي الله عنه، ومن ثم يسير بها في طباق المجد حتى أصبحت أمة الكتاب والسنة هي سيدة الوجود، فبأي لسان يتكلم المتمتمون وبأي لغة ينطقون عندما تتلعثم أقلامهم في الاعتراف بأن معاوية كان أجدر وأقدر أهل زمانه على قيادة الأمة والسير بها على خطى الراشدين، وإذا كان خليفة رسول الله ﷺ قد أحمده أنفاس الردة فتعرض لبهتان أعداء السنة، فإن معاوية رضي الله عنه الذي أحمده أنفاس الرافضة السبئية الذين اغتالوا الشهيد المظلوم ثم صنعوا معركة البصرة أو ما يسمونها بالجمل ضد الصحابييين المبشرين بالجنة طلحة والزبير، ثم صنعوا معركة صفين ومن ثم اغتالوا الشهيد علياً رضي الله عنه فمن باب أولى أن تناله سهام بهتانهم التي يدور في برائنها غوغاء السنة، ممن يزعم العلم أو الفقه ولم تتحرر عقيدته من دمايل الرفض التي غرزوها في كل منعطفات التاريخ وعامة محاور الفكر الإسلامي، فلا يميز بين الراشدين وبين قتلهم ولا بين محبي خليفة رسول الله ﷺ ولا بين مبغضيه أولئك الذين يريدون جمع المتناقضات فيضعون الحب والحقد في قلب واحد، والهدى والضلال في قلب واحد، وأهل السنة ورافضيتها في ميزان واحد، فأبي عقيدة يحمل من لم يعرف أعداء السنة من أنصارها؟ وعلى أي طريق يريدون أن تسير الأمة؟ ولا سيما أولئك الذين انتشرت شهرتهم بين المسلمين في هذا العصر على أنهم علماء من أهل السنة أو أنهم أبناء جماعات إسلامية فوثقت بهم العامة من الناس، فأفتوا لهم بما يجب إليهم أعداء السنة وقتلة الراشدين، الذين يسرون على منهج واحد لا سواه وهو إبادة السنة واستباحة أهلها بأي وسيلة وتحت أي راية كانت، ونشر الرفض والضلال في كل سبيل كما هو حاصل للعيان في هذا العصر، فكانت مصيبة السنة وأهلها بهذا الصنف المخادع المخدوع أشد ضرراً من جميع المصائب التي ابتليت بها أمة السنة في هذا العصر، لما أفرزت من المواقف الغوغائية لهؤلاء المفرطين؛ ومن نصره لأعداء الصحابة وتقوية لمواقعهم الهدامة، وخذلان لحُماة السنة النبوية وتشيت

لصفوف أهلها وتخديرهم وإحكام وثاقهم ليجزّهم أعداء الصحابة بكل وسيلة، ألا فتعسّا لمن يخدع أهل السنة، وسحقاً لمن يصدق الأغبياء والغشاشين المخادعين، الذين يُحسنون الظن بأعداء الصحابة المفترين الغادرين الأفاكين الحاقدين على أبنائها ومقدساتها.

ومن هذا الصنف أيضاً أولئك الذين يرددون أباطيل الاحتواء وهم التقارب مع أهل الزور المفترين على خليفة رسول الله ﷺ بأنه سلب أموال بنت رسول الله ﷺ متعامين عن كل النصوص التي تبين وحدة المنهج في الزهد والنظر إلى الدنيا وزخارفها بين رسول الله ﷺ وخليفته الصديق رضي الله عنه، فماذا ورّث الصديق لأهله وهو يردد: وإني وليت أمر المسلمين فأكلت من جريش طعامهم ولبست من خشن ثيابهم، فليس لهم قبلي دينار ولا درهم. وقوله رضي الله عنه لأُم المؤمنين: انظروا كم أنفقت منذ وليت من بيت المال فاقضوه. ليعيد بدل ما كان يقتات به مما أذن له به المسلمون من أجر مقابل تفرغه لخدمة الأمة وإدارة شؤونها وقيادتها. وقد أمر بسداد ما يعادل كل ما استفاد منه في أيام خلافته أمام ضرورة التفرغ لخدمة المسلمين، حتى توفي رضي الله عنه ولم يخلف في تركته درهماً ولا ديناراً، وما اضطر إلى الاستعانة به وبإذن المسلمين فيها هو يقضيه ويرد أكثر من ثمنه إلى والي أمر المسلمين من بعده.

فبأي وجه من وجوه العلم يردد غوغاء السنة أباطيل الرافضة وإفكهم الذي يتهمون فيه فاطمة رضي الله عنها بالاستماتة على الدنيا وصناعة الفتنة من أجل أرض فدك<sup>(١)</sup> وغضبها من أجل ذلك ومقاطعتها لخليفة رسول الله لكي يرسم الرافضة بزورهم وخيالاتهم المريضة من أوهام فيجعلوا منها مادة متنتة يجترها الجهلة والمغفلون إسهماً في نشر بغض الصحابة وتمزيق الأمة، كيف تغضب فاطمة وهي التي بشرها رسول الله ﷺ أنها ستكون أول أهله لحوقاً به وأنها مدعوة إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فهل من هذا حاله يأسف على الدنيا بأسرها

(١) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة أيام، أفاءها الله على رسوله ﷺ سنة سبع صلحاً بعد فتح خيبر. ياقوت: معجم البلدان، ٦/٤١٧.

أو على قطعة أرض يحيط بأطرافها السبخ والملوحة؟ أليس هذا منتهى البهتان والزيف؟ أين الزهد إذا؟ أين القناعة؟ أين الصبر والاحتساب؟ بل أين الطاعة وصلة الرحم؟ أليس من صلة رحم الأب وبه إكرام أصدقائه؟! أليس أبو بكر أقرب رجل في الأمة إلى رسول الله؟ ألا تعلم فاطمة رضي الله عنها هذا؟! ألا تعلم قول رسول الله ﷺ في البر والصلة؟ وهي التي تعلم أنها على وشك الرحيل القريب كما جاءتها البشارة<sup>(١)</sup> بذلك من رسول الله ﷺ، وهي العالمة الصابرة المحتسبة رضي الله عنها، كيف يقبل مثل هذه الأباطيل عاقل فضلاً عن مؤمن؟! كيف ورسول الله ﷺ إمام الزاهدين وسيدهم قد توفي ﷺ ولم يورث درهماً ولا ديناراً، ولا أمة ولا عبداً، ولا شاة ولا بعيراً؟ وماذا ورث خليفة رسول الله أيضاً من الدنيا؟ ألم يذهبها إلى ربهما نقيين من كل غبار الدنيا؟ فكيف بمن هذه حاله في الزهد والورع والكرم يُتهم؟ بل كيف يجرؤ من عرف هذه السيرة على أن ينتقد من وقف بوجه الردة الراضية السبئية وهو يعلم أن تلك الوقفة لا تقلل عن وقفة الصحابة يوم اليمامة ضد مسيلمة الكذاب؟! ثم ماذا كان يحصل للأمة لو لم يهيج الله تعالى للمسلمين أمثال معاوية وعمرو وأبي موسى الأشعري والمغيرة وإخوانهم؟ أليس هو تحكم أعداء الصحابة في مصائر المسلمين؟ ثم ماذا يحصل لو أن غير معاوية تولى أمر الخلافة؟ أليس معاوية هو أخبر الناس بقتلة الخلفاء؟ أليس هو أحلم الناس - بعد الراشدين - عن الجهلة والحمقى والمتهوكين؟ ثم ماذا كان سيحل بالسبئية لو أنه جرد عليهم السيف؟! هل كان سيبقى منهم أحد؟ فلماذا يفترى عليه الأفاكون أعداء الصحابة ويردد ذلك المغفلون ممن يزعم أنه من أهل السنة، بأنه تولى الخلافة ولم يقتل قتلة عثمان رضي الله عنه، من الراضية السبئية؟! في تجاهل كامل عما قام به الأسدان الشهيدان طلحة والزبير رضي الله عنهما من تجريد السيف على قتلة الشهيد عثمان رضي الله عنه حتى كادوا ألا يبقوا

(١) قالت السيدة فاطمة رضي الله عنها: أسر إلي النبي ﷺ: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي». فبكيت، فقال: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين؟». فضحكت لذلك. البخاري: ح (٣٤٢٦).

منهم أحدًا في البصرة؛ ومن بقي منهم في الكوفة فقد قتل في صفين، وإذا بقي منهم بعض المتهمين فإن بنود الصلح الذي أقامه الحسن بن علي رضي الله عنهما مع معاوية رضي الله عنه قد تمَّ التأكيد فيها على حقن الدماء فكانت سببًا مباشرًا في سلامة من تبقى منهم إلى حين، ومن أولى بالوفاء من الحليم معاوية رضي الله عنه قاهر الرافضة المرتدين؟! ومن عاش منهم إلى ما بعد معاوية رضي الله عنه فقد أدركه سيف زياد ابن أبيه، ومن أفلت من سيف زياد فقد أدركه سيف الحجاج، كما فعل بكميل بن زياد وعمير بن ضابئ، هذين السبئيين الراضيين وأمثالهما<sup>(١)</sup>! فمن ينقم على معاوية رضي الله عنه سوى أعداء الصحابة الذين غاظهم جمع معاوية رضي الله عنه لكلمة المسلمين حتى سمي عام بيعته رضي الله عنه عام الجماعة فأعاد بقيادته وحدة الأمة وعز الأمن والرفاه ومجد الفتوح.

وعلى هذا فإن كل من يدور حول حمى الصحابة رضي الله عنهم الذين دحروا الردة الراضية والفتن السبئية وهو يزعم أنه من أهل السنة؛ فإنما هو ممن في قلوبهم مرض ومن المصابين بداء الرفض ووباء الردة. ولا سبيل أمام من يريد حماية السنة وبناء أمتها إلا أن يسقط تخليطهم ويرد هذيانهم، ويشهد بغفلتهم وضررهم على العقيدة وسلامة التفكير ووحدة الصف، ويدعو الأمة إلى سلوك الطريق الواضحة التي لا يجتمع فيها الصحابة وأعداؤهم أبدًا؛ ولا تجتمع فيها السنة النبوية والردة الراضية؛ ولا تجتمع فيها أمة عمر الفاروق وأمة أبي لؤلؤة المجوسي في أي ميدان من الميادين، ولا من يحب الصحابة ويواليهم مع من يبغضهم ويرفضهم ويعاديهم، وكل من يتحدث بأباطيل الرافضة التي تنال من الصحابة رضي الله عنهم إنما هو مصاب بلوثات السبئية وأوهام الراضية وبغي وبهتان الشعوبية، ولا علاج لأباطيله إلا بردها إلى من صنعها، ورد كل بهتان اقترفته ألسنتهم الأثمة وأقلامهم الفاجرة، والنظر إلى حقائق تاريخ الصحابة رضي الله عنهم وإنجازاتهم الباهرة لدحض كل ذلك، وأن يكون العنوان الأعظم لقراءة تاريخ الإسلام الحقيقي بعد اليوم هو: إما الكتاب

(١) ينظر مصير قتلة الشهيد عثمان رضي الله عنه. الخليفة: الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ٢٨٥ فما بعدها.

والسنة وحملتها الصحابة الكرام رضي الله عنهم وإما الرفض والردة ومسيلمة الكذاب وابن سبأ وابن ملجم وأعوانهم، إنهم الصحابة الذين نكتشف على هدي أنوارهم وصريح سيرهم؛ بهتان المفترين، وصدق الصادقين، فكل من لم يُسقط أباطيل الرفضة السبئية، ويردها، ويتهم مروجيها - ممن يزعم أنه من أهل السنة والجماعة - ويظهر أفكاره وخواتمه وخطبه ومقالاته وكتاباتاته من أوهامهم وأحقادهم وزيفهم فإن خطبه وكتاباتاته مردودة ومتهمة إما بالجهل والغباوة والريب والتردد والشك، وإما بالغش والخداع والكذب والزور المتعمد، ولا سبيل للالتقاء مع من لا يثق بالصحابة رضي الله عنهم أو مع من يتهمهم دون أن يعلن على الملأ توبته من ذلك الداء وأن يشهد الحاذقون بأنه قد شفي من ذلك البلاء، لا لأن الصحابة من أهل العصمة؛ ولكن لأنهم من أهل الإيمان والعلم والإخلاص، فإما الإيمان والصحابة وإما الرفض والردة، وهذه هي العقبة التي تكشف حقائق الأوراق بكل ألوانها فيظهر فيها المخلصون للسنة ممن لا يشوب عقيدتهم رفض ولا زيف ولا إفك ويظهر فيها العراة من السنة ممن يريدون خلط الحق بالباطل، والنور بالظلمة، والسنة بالردة، فيدعون إلى محبة الجاحدين المكذبين، ومعانقة قتلة الراشدين، الذين يدورون مع كل دائرة تدور على السنة وأهلها. قال تعالى: ﴿فَاتَّهَمُوا لَا يَكَذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتُوا اللَّهَ يَجْحَدُونَ﴾ (١).

### ورعه وزهده في معاشه:

كان خليفة رسول الله ﷺ يقات من عمل يده وجنى تجارته، فكان يغدو إلى السوق فيبيع وبيتاغ، وكانت له قطعة من غنم تروح عليه، وربما خرج هو بنفسه فيها وربما رعى له، فلما استخلف رضي الله عنه أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبة أثواب يتجر بها فلقبه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق. قالوا: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟! فقال: من أين أطعم عيالي؟! قالوا له: انطلق حتى نفرض لك شيئاً. فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة وماكساه في الرأس والبطن، فقال عمر:

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.

إليّ القضاء. وقال أبو عبيدة: وإليّ الفيء. قال عمر: فلقد كان يأتي عليّ الشهر ما يختصم إليّ فيه اثنان<sup>(١)</sup>. وفرضوا له «بُرْدَيْنِ إِذَا أُخْلَقَهُمَا وَضَعَهُمَا وَأَخَذَ مَثَلَهُمَا، وَظَهَرَهُ إِذَا سَافَرَ، وَنَفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِهِ كَمَا كَانَ يَنْفِقُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَخْلَفَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَضِيْتُ»<sup>(٢)</sup>. و«حين استخلف رضي الله عنه ألقى كل دينار ودرهم عنده في بيت مال المسلمين، وقال: قد كنت أتجر فيه وألتمس به، فلما وليتهم شغلوني»<sup>(٣)</sup>. فترك عمله وتجارته وتفرغ لخدمة المسلمين يبتغي بذلك الأجر ونصرة الدين.

فمكث بالسُّنْح ستة أشهر بعد أن بويع بالخلافة ثم نزل إلى المدينة فأقام بها. ونظر في أمره فقال: والله ما يصلح أمر الناس بالتجارة، وما يصلحهم إلا التفرغ لهم والنظر في أمورهم ولا بد لعيالي مما يصلحهم، فترك التجارة واستنق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوماً يوماً وما يحج به ويعتمر، وكان الذي فرضوا له في كل سنة ستة آلاف درهم. فلما حضرته الوفاة قال: ردوا ما عندنا من مال المسلمين فإنني لا أخلف في منزلي من مالهم شيئاً. وأرضي التي بمكان كذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم، فدفعت ذلك إلى عمر، ولقوح وعبد صيقل وقطيفة كانت تساوي خمسة دراهم. فقال عمر رضي الله عنه: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده<sup>(٤)</sup>.

فكان خليفة رسول الله ﷺ يحاسب نفسه ورعاً خشية أن تتجاوز ما كانت عليه حاله أيام رسول الله ﷺ، بل إنه رد ما يباح له وأدى ما أباحه له المسلمون مقابل خدمته لهم كل؛ خشية من الوقوع في باب من أبواب الشبهات، ولعل في ذلك دروساً عظيمة يتعلم منها أهل السنة

(١) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/٣٢١.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٣/١٨٤. الهندي: كنز العمال، (١٤٠٧٦). ابن الجوزي: صفة الصفة، ١/٢٥٨.

(٣) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/٣٢١.

(٤) البلاذري: الشیخان، ٤٢. وقوله: لَقُوحُ هِيَ الْوَاحِدَةُ مِنَ الْإِبِلِ الْحُلُوبِ، وَتَجْمَعُ عَلَى: لَقْحٌ، انظر: لسان العرب، مادة (لقح).

مواصفات الحاكم الذي يُرتجى منه الإصلاح والقيادة التي تعود بالأمة إلى مسارها الصحيح الذي ليس فيه تجاوز على حقوق الناس وكل شيء في مفردات السياسة والإدارة والحكم معلوم لدى عامة المسلمين فهم على بينة مما يصنعه حكامهم في أمور دينهم ودنياهم. قال زيد بن أرقم: دعا أبو بكر رضي الله عنه بشراب فأتى بماء وعسل، فلما أدناه من فيه نحاه ثم بكى حتى بكى أصحابه، فسكتوا وما سكت، ثم عاد فبكى حتى ظنوا أنهم لا يقوون على مسألته، ثم أفاق فقالوا: يا خليفة رسول الله ما أبكاك؟ قال: كنت مع رسول الله ﷺ فرأيتَه يدفع عن نفسه شيئاً، ولم أرَ أحداً معه، فقلت: يا رسول الله ما هذا الذي تدفع، ولا أرى معك أحداً؟ قال: «هذه الدنيا تمثلت لي، فقلت لها: إليك عني فتنحت ثم رجعت. فقالت: أما إنك إن أفلت فلن يُفلتَ مني من بعدك». فذكرت ذلك فخفت أن تلحقني<sup>(١)</sup>. وقال أبو بكر رضي الله عنه: فشق عليّ، وخشيت أن أكون قد خالفت أمر رسول الله ﷺ ولحققتني الدنيا<sup>(٢)</sup>.

كل ذلك البكاء من شربة ماء بارد شربها وهو بين أصحابه لم تكن في موطن رفاهية ولا موطن شبهة، وإنما كان يخشى أن يفتح باب التنعم والتنافس على الدنيا فتنغمس نفسه في اللهو والغفلة والبطالة فتغلب على عقيدتها ويصبح الحال كما هو عليه اليوم من غلبة الكفر والرفض لأهل الكتاب والسنة، واجتماع أمر أعداء السنة ووضوح سياساتهم وأهدافهم، وتشتت أمر عامة أهل السنة وغموض مناهجهم وضعف ولائهم لله ولرسوله ﷺ وللصحابة الكرام رضي الله عنهم. فماذا يقول من أسهم في شتات أمر الأمة وضياع وحدتها وتمزيق هويتها، ونهب ثرواتها وإفساد أجيالها وإقصاء عقيدتها وسنة نبيها ﷺ؟!

فكان خليفة رسول الله ﷺ بمنهجه ذلك حجة على كل من يزعم أنه من أهل الإسلام بمجافاته للدنيا وزهده بما فيها لا يبالي ببهارجها وزينتها يكفيه القليل من ذلك. قال رافع بن

(١) ابن عساکر: ٣٠/٣٢٩. أبو نعیم: حلیة الأولیاء: ١/٣٠.

(٢) مجمع الزوائد: ١٠/٢٥٤. المنذري: الترغيب، ٤/٢٠٧. المتقي الهندي: الكنز (١٨٥٩٧).

ينظر: الصالحي: ٧/٨٠.

أبي رافع الطائي: رافقت أبا بكر رضي الله عنه في غزوة ذات السلاسل وعليه كساء له فذكي يخله عليه إذا ركب ونبسه أنا وهو إذا نزلنا<sup>(١)</sup>. وكان يخشى على أصحاب رسول الله من الدنيا فيوصيهم بعدم الالتفات إليها ويذكرهم بما ينتظرهم من النعيم إن هم صبروا على ما كانوا عليه أيام رسول الله ﷺ، قال الحسن: دخل سلمان على أبي بكر رضي الله عنه وهو يجود بنفسه فقال: يا خليفة رسول الله أوصني. فقال له أبو بكر: إن الله عز وجل فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذوا منها إلا بلاغكم وإن من صلّى صلاة الصبح فهو في ذمة الله عز وجل، فلا تخفروا الله عز وجل في ذمته فيكذبك في النار على وجهك<sup>(٢)</sup>.

فكان سلمان رضي الله عنه يقول: أوصاني أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا سلمان، إنه ستكون فتوح فلا يكونن حظك منها ما جعلته في بطنك وألقيته على ظهرك، واعلم أنه من صلي الخمس فإنه يصبح في ذمة الله فلا يطلبك الله بدمته فيكذبك الله على وجهك في النار<sup>(٣)</sup>.

### تفاؤله بمستقبل الأمة:

وكان رضي الله عنه متفائلاً بمستقبل الدين وباتتصار المسلمين ورفاههم، ولكنه كان يخشى عليهم الانغماس في الدنيا. فيقول رضي الله عنه: إنني لأرجو لكم أن يتمم الله لكم هذا الأمر يا معشر العرب، حتى إن الرجل منكم ليدعو بخبزته من الحنطة فإن شاء قال لأهله: ائدموا بسمن؛ وإن شاء قال ائدموا بزيت<sup>(٤)</sup>. وخطب أبو بكر الناس يوماً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه ستفتح لكم الشام فتأتون أرضاً رقيقة حيث تمتعون فيها من الخبز والزيت وستبنى لكم بها مساجد فإياكم أن يعلم الله عز وجل أنكم إنما تأتونها تلهياً إنما بنيت للذكر<sup>(٥)</sup>.

(١) عمر الشيباني: كتاب الزهد: ١٠٩ / ١.

(٢) عمر الشيباني: كتاب الزهد: ١١٠ / ١.

(٣) البلاذري: الشيخان: ٦٠.

(٤) الشيباني: كتاب الزهد، ١١١ / ١.

(٥) المتقي الهندي: كنز العمال، ح (٢٣٠٧٩). الشيباني: الزهد، ١١٣ / ١.

فيستفاد من هذه الآثار بما فيها من أقوال وتوجيهات أن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن في زهده سلباً بل كان زهده زهد المقتدر على الفعل والعمل بما يتوافق مع منزلته كإمام وقائد متتصر، فكان ينزل الدنيا المكان الذي كان ينزلها فيه رسول الله ﷺ وكان معتقداً إدبارها، وأن العقل والحكمة إنما يكون في الزهد فيها وعدم الانغماس بمفاتها لسرعة زوالها، وكان يعتقد الاعتقاد الجازم بما لديه من علم وإشارات نبوية، وبما أنجزه وجنده من دحر للباطل في عصره، أن المستقبل لهذا الدين وأن الدنيا بكل ما فيها مقبلة على هذه الأمة بما في ذلك الثروات والقيادة والسيادة، فكانت خشيته أن ينشغلوا عما هو أعظم من ذلك ألا وهو صحبة رسول الله ﷺ والخلود معه في الجنة، لهذا بلغ به الورع أنه وصل إلى أعلى درجاته وإلى المقام الذي لا يرقى إليه أحد بعد رسول الله ﷺ فرسم للأمة مسار الحاكم الصالح السوي المؤمن، الذي يرتجي صلاح أمته وتقدمها ونصرها وسيادتها، مع المحافظة على العمل بالسنة النبوية والتمسك بهديها، والحذر التام من أعداء السنة الذين يبتنون لها الحقد والمكر ولأئمتها البغض والكراهية ولعقيدتها الزور والبهتان وامتهان صناعة الروايات المكذوبة والأباطيل الموضوعية. قال تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ (١).

\*\*\*

(١) سورة الطور، الآية: ٤٢.

## المبحث الثاني

### ميراث السيدة فاطمة رضي الله عنها

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت المُذكر بالموت وحقيقة الدنيا وقرب الرحيل عنها، وهو قول الشاعر:

لا تزال تنعى حبيبًا حتى تكونه      وقد يرجو الفتى الرجاء يموت دونه<sup>(١)</sup>

فلقد كان رضي الله عنه شديد الحذر من فجأة الموت فوطن نفسه على الاستعداد للرحيل، ولهذا كان شديد المحاسبة لنفسه كشدته في التمسك بسنة رسول الله ﷺ وعدم الحياد عنها. وعندما دنت ساعة الموت على خليفة رسول الله جاءت الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إليه وهو يعالج ما يعالج الميت من سكرات الموت ونفسه في صدره فتمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الشراء عن الفتى      إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فنظر رضي الله عنه إليها كالغضبان، ثم قال: ليس كذلك يا أم المؤمنين، ولكن: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾<sup>(٢)</sup>. حيث إنه كان رضي الله عنه على استعداد لتلك الساعة وعلى معرفة بها فهو الآن في مرحلة مدارج هذه الآية من كتاب الله تعالى. ثم قال مستدركًا أن ترد له ما هو حق لها لا شبهة فيه، لكي يبعد هو وذريته عن كل شبهة يتعلق بها

(١) عمر الشيباني: الزهد، ١/١١٣.

(٢) سورة ق، الآية: ١٩.

المنافقون. فقال: إني قد كنت نحلكتك حائطاً - بستائناً - وإن في نفسي منه شيء فرديه إلى الميراث. قالت: نعم فرددته. فقال: أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين، لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً ولكننا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح وجرده هذه القطيفة، فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر واريثي فيهن، ففعلت.

فلما جاء الرسول إلى عمر رضي الله عنه بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض وهو يقول: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده، يا غلام ارفعهن. فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: سبحان الله، تسلب عيال أبي بكر عبداً حبشياً وبعيراً ناضحاً وجرده قطيفة ثمنه خمسة دراهم؟ قال: فما تأمر؟ قال: تردهن على عياله. فقال: لا، والذي بعث محمداً بالحق، أو كما حلف، لا يكون هذا في ولايتي أبداً ولا خرج أبو بكر منهن عند الموت وأردهن أنا على عياله، الموت أقرب من ذلك<sup>(١)</sup>.

فهذه هي النفوس التي تربت على يد رسول الله ﷺ ولا عجب من ذلك لما هم عليه من العلم والدين؛ ولكن العجب ممن يتخذ دينه التكذيب لفضائلهم والبهتان عليهم فإنك تجد من يزعم أنه من أهل السنة ويتشكك فيهم ويرتاب مع المرتابين، أو يقول: إنها مسألة تقبل النظر، فهذا الصنف هو محل العجب؛ لأنه ينكر الشمس في رابعة النهار وتجد من يقول: إن هذا قابل للنقاش، فصنف الأغبياء هذا وإن وجد بين أهل السنة لكنهم لا يمتون إليها بنسب أبداً، وكيف يكون لهم نسب في السنة وهم يبغضون حامي السنة وقاهر أعدائها، أو يرتابون في عدله وزهده ونزاهته؟ ولعل أقرب الصور إلى معرفة هذا الصنف التائه هو تتبع من ارتاب بأن الصديق رضي الله عنه منع أحداً من الناس حقاً له، فضلاً عن أن يمنع حق سيدة نساء المؤمنين فاطمة بنت رسول الله ﷺ حقاً من حقوقها، وإذا كان هؤلاء يرددون هذا الباطل فيما مضى لفتنة الناس عن الدين والسنة، فإن الذين يصفقون ويرقصون لمبغضي خليفة

(١) الطبقات الكبرى، ٣/١٩٦، ١٩٧. وينظر: البلاذري: الشيخان: ٦٣.

رسول الله ﷺ وقتلة الفاروق في هذا العصر تحت شعارات كاذبة ورايات مخادعة إنما هم إخوان الغوغاء الذين يجتروا بهتان الإرث كما اجتروا بهتان الإفك من قبل؛ وهم الغوغاء الذين نفخ فيهم ابن سبأ من سحره حتى قتلوا ذا النورين عثمان الشهيد المظلوم رضي الله عنه، كل هذا يوجب على أبناء السنة البررة أن يجعلوا هذه المواقف التي يدين بها أعداء الصحابة وتعتقدها جموعهم علامات على طريق الإصلاح والبناء والهدى ليميزوا بين أهل الحق وأهل الباطل، ومن شدَّ عن هذا المنهج أو تفوه بشيء من هذا البهتان على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فإنما هو وريث الزندقة والرفض، ومن مد إليهم يد الثقة في عصر المحن هذه التي يتلقاها المؤمنون على أيديهم، فإنما هو بائع لدين الصديق وأمانته ولدماء الفاروق وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ومن عمل على فتنة التقريب بينهم وبين المسلمين كما يدين بذلك بعض أهل التخليط في هذا العصر فيدعون إلى أن يتنازل أهل الباطل عن شيء من باطلهم وأن يتنازل أهل السنة عن شيء من سنة نبيهم ﷺ، فإنهم إنما يقومون بدور تزيين الباطل وتجميل المنكر وتزييف الدين، لأن دعوة التقريب الحق تكون بالدعوة إلى الكتاب والسنة وحب من حملهما، وإسقاط ما خالفهما والبراءة ممن أبغض حماتهما من الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم وفي مقدمتهم خليفة رسول الله ﷺ إمام الأمة وقائدها رضي الله عنه الذي لم يقتصر زهده على مطايب العيش والتواضع وإنما في كل شيء يربطه بالدنيا بما في ذلك الخلافة فلولا أنه يعلم أنه يخدم الدين والمؤمنين في قبوله للخلافة لما قبلها، فما هو يخاطب الناس في أحد الأيام قائلاً: «لا حاجة لي في بيعتكم!»<sup>(١)</sup> وهذه هي الحقيقة التي صرح بها خليفة رسول الله ﷺ بأنه لا رغبة له في أمر الخلافة ولولا اجتماع المؤمنين عليه ورغبته في خدمة أمة محمد ﷺ والعمل على نصرة الدين لما قبل الخلافة، وكيف يطمع في الدنيا من لا يرغب منها حتى في كفن جديد فاسمع له يخاطب أم المؤمنين قائلاً: «انظري ثوبي هذين، فاغسليهما وكفني فيهما، فإن الحي أحق بالجديد»<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: الشراوي: الصديق أول الخلفاء، ٧٠.

(٢) البلاذري: الشيخان: ٦٣.

ولم يكن زهده رضي الله عنه عن حاجة أو عن توفير وإيثار للمسلمين فقط بل كان ذلك منهجاً في حياته سار عليه دون تغيير أو تبديل تمسكاً بما كان عليه صاحبه ﷺ، وقد كان يعلم من بشارات رسول الله ﷺ عن مستقبل المسلمين الزاهر وعن انفتاح الدنيا عليهم بكل ألوانها، ولكنه رضي الله عنه كان يفضل ما هو فيه من الكفاف على حياة الترف التي يرغبها كثير من الناس لما يترتب على ذلك من الانشغال بالملذات والانغماس بالدنيا ونسيان الآخرة وفوات صحبة أختارها وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ، فكيف من هذه حاله يُتهم بالطمع في قطعة من الأرض؟ أليس هذا هو الزيف والبهتان بعينه؟ بلى والله إن كل من يدور حول شبهات الباطل للإصاق شيء منها إنما همه هدم السنة التي عمل بها الراشدون رضي الله عنهم لإقصاء الناس عنها وعن سعادة الدارين التي ينالها من تمسك بها.

ومع كثرة الروايات الصحيحة التي تدل على أن السيدة فاطمة رضي الله عنها التي لزم بيتها بعد وفاة النبي ﷺ فلم تشغل نفسها بأي أمر غير الترقب لتلك الساعة التي تودع بها الدنيا التي هجرتها بما فيها لتلحق بركب النبي ﷺ بناء على ما عندها من علم في ذلك؛ فإن المخلفين يأبون إلا أن يجعلوا منها امرأة منازعة للرجال على أمور الدنيا حاشاها رضي الله عنها من ذلك؛ فيتعلقون بكلمة جاءت في رواية أو موقف عابر صاغه بعض الرواة دون أن يعتقد أنه سترك أبعاداً خطيرة عند المغرضين الحاقدين وضعاف النفوس والمتشككين، وذلك في مثل قولهم: «فوجدت على أبي بكر رضي الله عنه. وتعميم هذا القول المنسوخ بثبوت زيارة أبي بكر لها وكلامها له ورضاها عنه رضي الله عنهما، ومعلوم لدى العلماء أن قول المثبت مقدم على قول النافي، لأن الثبوت قد يحصل بغير علم النافي، خصوصاً في مثل هذه المسألة، فإن عيادة أبي بكر رضي الله عنه لفاطمة رضي الله عنها ليست من الأحداث الكبيرة التي تشيع في الناس، ويطلع عليها الجميع، وإنما هي من الأمور الخاصة التي تخفى لعدم الحاجة إلى ذكرها ونشرها.

وإذا كان أبو بكر رضي الله عنه أولى بعلم رسول الله ﷺ في الموارث وغيرها، وأولى

بالعدل واتباع السنة لملازمته له ﷺ وطول صحبته، ولأنه «ثاني اثنين» ولأنه «الأتقى» فمن جعل غيره أعلم منه أو أعدل، كان من أجهل الناس وأشدهم غباء؛ لأنه لن يجد بين يديه سوى أوهام الرافضة وشبهاتهم وأساطيرهم، فكيف يجتر مثل ذلك ويلوكة من يزعم أنه من أهل السنة؟ ألا يكفي تزكية لأبي بكر رضي الله عنه أن يذكر طرفاً في أي مسألة ليكون دليلاً على منتهى العدل والعلم؟ أم أن أعداء الصحابة ومن طُبع بسحرهم من الغوغاء أعلم وأعدل من خليفة رسول الله!!

فكيف أعطيت مسألة قرية فدك كل هذا الزخم في كتب التاريخ والأدب والحديث والفقه وغيرها؟ لولا وجود من ينفخ في رمادها من الحاقدين ليشير الغوغاء على الصحابة رضي الله عنهم والسنة المطهرة، كيف وجميع أئمة الفقهاء عندهم أن الأنبياء لا يورثون مآلاً؟ وكلهم يحب السيدة فاطمة ويعظم قدرها رضي الله عنها؟! كيف ولم يأمرهم الله تعالى ولا رسوله ﷺ بأن يأخذوا دينهم من غير محمد ﷺ: لا عن قرابة، ولا عن غير قرابة، وإنما أمرهم الله بطاعة الرسول ﷺ واتباعه. قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾<sup>(١)</sup>. وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»<sup>(٢)</sup>. فكيف يسوغ للأئمة أن يعدلوا عمّا علموه من سنة رسول الله ﷺ لإرضاء الغوغاء والوقوع في بهتانهم الرامي إلى الجنوح بالأمة عن تعاليم الكتاب والسنة المطهرة، وإبطال أحكام الدين تحت شعارات ودعاوى بلا بينات أو لما يُحكى من أقوال موهمة؛ القصد منها إفساح المجال ليُشرع الزنادقة للأمة من دون الله تعالى، وليباح لهم القول بالتورث والوصية والرجعة وما شابه ذلك من عقائد لا تمت إلى دين محمد ﷺ بصلة ولا قرابة، وإنما هي من خليط المجوسية والشركية وبعض أساطير أهل الكتاب، وليبان ذلك وأنهم لا يعينهم أمر الميراث

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، ح (٤٠٧٤) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في النهي عن سب الريح، ح (٢١٨٨). سنن النسائي: كتاب آداب القضاة، باب النهي عن استعمال النساء، ح (٥٢٩٣).

شيئاً ولا أمر آل بيت نبينا ﷺ فكم يهيمنون على بلاد ويحكمون من دول وأقاليم في هذا العصر، فأين آل البيت في حكوماتهم؟ وأين آل البيت النبوي العربي الهاشمي في قياداتهم؟ بل أين لغة آل البيت لغة بني هاشم العربية في بلادهم وأنظمتهم؟ لا وجود لكل ذلك، بل إنهم حرب على لغة فاطمة وعلي والحسين رضي الله عنهم وحرب على لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولو كانوا صادقين فيما يدعون لقدموا آل البيت النبوي الهاشمي ليقودوا البلاد التي يحكمونها؛ وتكلموا وخطبوا وكتبوا بلغة آل البيت لينشروها في العالمين حباً لآل البيت المحمدي العربي، أم كل ذلك دجل وتدليس وأن البيت الذي ينادون به ليس بيت نبينا ﷺ كما أن الدين واللغة والحكم ليسوا كذلك!! ألا فلانامت أعين مبغضي السنة النبوية المخادعين الأدعياء ومن يواليهم من السفهاء والغوغاء.

ومن تفاصيل ذلك أن السيدة فاطمة رضي الله عنها أرسلت إلى خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه تطلب إرثها من أبيها ﷺ فرد عليها رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «نحن الأنبياء لا نورث، فما تركناه صدقة»<sup>(١)</sup>. فما كان جوابها رضي الله عنها إلا أن قالت: أنت وما سمعت من رسول الله<sup>(٢)</sup>. أي التزمه ما دام رسول الله ﷺ هو الذي فصل في ذلك، ولكن الرافضة جعلوا من البهتان في ذلك ديناً لهم يدينون به للنيل من المؤمن الصديق رضي الله عنه وكان حزنها رضي الله عنها على أبيها يهد كيانها، ويحرق صباها، حتى لقد كانت تلزم الفراش موجهة أغلب الوقت، في انتظار أن تلحق به ﷺ كما همس في أذنها وهو في مرضه الأخير. فأسرع أبو بكر وعمر يعودانها، فقال لها أبو بكر رضي الله عنه: يا بنت رسول الله ﷺ ما خير حياة أعيشها وأنت عليّ ساخطة؟ فإن كان عندك من رسول الله ﷺ عهد، فأنت الصادقة المصدقة، المأمونة على ما قلت. قالت: لا أكلمكما. قال علي بن عيسى: معنى (لا أكلمكما)

(١) البخاري: شرح فتح الباري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح (٤٢٤٠، ٤٢٤١). ومسلم: كتاب

الجهاد، باب قول النبي ﷺ: «لا نورث»، ح (١٧٥٩).

(٢) الطبراني: المعجم الأوسط، ح (٤٥٧٨). ابن حنبل: المسند، ح (١٥).

تعني في هذا الميراث أبداً أنتما صادقان<sup>(١)</sup> ولما عندكم من العلم والأمانة والحرص على مصالح المسلمين وكان عمر رضي الله عنه على رأى أبي بكر فيما تركه النبي ﷺ، فلما سمعت ما رواه أبو بكر رضي الله عنه عن أبيها ﷺ رأت ألا تكلمهما في أمر الميراث، وهذا هو ملخص المسألة ولكن أعداء الصحابة قوم بهت يقلبون الحقائق ويبحثون عن الشبهات ويعملون على هدم السنة النبوية من خلال الطعن في حملتها رضي الله عنهم حتى جعلوا لأنفسهم من صديد الباطل ثقافة وديناً يجترونها باطله في حربهم السرية والمعلنة على السنة المطهرة مستغلين غفلة عامة أهلها في هذا العصر الذين لا يعلمون أو لا يريدون أن يعلموا ماذا يحاك لهم على أيدي اليهود وإخوانهم وتلامذتهم أعداء الصحابة، الذين جعلوا كثيراً من الغوغاء يتجرؤون على رفض الصحيح وقبول البهتان، ولا أعلم كيف يقبل مسلم النظر في مسألة يكون فيها الرفض طرفاً وهذا الإمام الشافعي يقول: لم أر أحداً أشهد بالزور من الرفض<sup>(٢)</sup>؟

وقال الإمام البخاري: ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم ولا يعادون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم<sup>(٣)</sup>. فهل بعد قول الشافعي والبخاري وإخوانهم يبقى قول لمن يزعم أنه يحبهما؟ ثم ما قيمة قول من يخالفهما من المذنبين بين السنة والردة في كتاباتهم وخطاباتهم وندواتهم في هذا العصر، وهل أقوالهم في أخوتهم للرفض إلا وبألاً عليهم؟ ولا سيما أنها ستضعهم في صفوف الرفض ومخاصمة الصحابة وأئمة السنة النبوية؟!

قال أبو بكر رضي الله عنه: إن النبي ﷺ لا يورث وإنما ميراثه للفقراء والمساكين<sup>(٤)</sup>.

(١) الترمذي: السنن، (١٦٠٩).

(٢) البيهقي: السنن الكبرى، ح (٢٠٦٩٤). ابن تيمية: منهاج السنة، ١/٦٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٠/٨٩.

(٣) البخاري: خلق أفعال العباد، ١/٣٥، ح (٤٠). ابن تيمية: الفتاوى الكبرى، ٦/٣٦٥. وبيان تليس الجهمية: ٢/٨٢. ابن القيم: الصواعق المرسله، ٤/١٤٠٤. شرح قصيدة ابن القيم: ١/٤٧.

(٤) ابن حنبل: المسند، ١/١٣، ح (٧٨).

وقال رسول الله ﷺ: «والله لا تقتسم ورثتي بعدي دينارًا ما تركت من شيء بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة»<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة وإنما هذا المال لآل محمد لنائبتهم، ولضيفهم، فإذا مت فهو إلى ولي الأمر من بعدي»<sup>(٤)</sup>.

وعن الطاهرة عائشة رضي الله عنها، أن السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها أرسلت إلى أبي بكر رضي الله عنه تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله على رسوله ﷺ وفاطمة حينئذ تطلب صدقة النبي ﷺ التي بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال». - يعني مال الله، ليس لهم أن يزيدوا على المأكل - وإني والله لا أغير شيئًا من صدقة النبي ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ ولأعملن فيها بما عمل النبي ﷺ فيها. فأبى أبو بكر رضي الله عنه أن يدفع إلى فاطمة رضي الله عنها شيئًا، فوجدت فاطمة على أبي بكر رضي الله عنه في ذلك. فقال: والذي نفسي بيده، لقربة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال، فإني لم آل فيها عن الحق وإني لم أكن لأترك فيها أمرًا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته<sup>(٥)</sup>.

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: إن أزواج النبي ﷺ حين توفي رسول الله ﷺ

- (١) سنن أبي داود، ح (٢٩٧٤). سنن البيهقي الكبرى: ح (١٢٥١٩). السهيلي: الفرائض وشرح آيات الوصية، ١/١٣٧.
- (٢) صحيح البخاري: ك. الجهاد والسير، أبواب الخمس (٢٩٢٦). صحيح مسلم: ك. الجهاد، باب حكم الفيء، ح (١٧٥٧).
- (٣) سنن أبي داود: ح (٢٩٦٩). صحيح أبي داود (٢٥٧٣). الهندي: كنز العمال، ح (٣٠٤٥٩).
- (٤) سنن البيهقي الكبرى: ك. قسم الفيء، باب بيان مصرف أربعة أخماس الفيء، ح (١٢٥١٨).
- (٥) صحيح البخاري: ك. المغازي، باب غزوة خيبر، (٢٩٩٨). مسلم: ك. الجهاد، باب قول النبي ﷺ: «لا نورث»، (١٧٥٩).

أردن أن يبعث ابن عفان رضي الله عنه إلى أبي بكر رضي الله عنه يسألنه ميراثهن، فقالت عائشة: أليس قد قال رسول الله ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة»<sup>(١)</sup>، وقال رسول الله ﷺ: «لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة»<sup>(٢)</sup>. فهذه إحدى النساء الوارثات - لو قدر ميراث - قدروت أن رسول الله ﷺ جعل ما تركه صدقة لا ميراثاً والظاهر أن بقية أمهات المؤمنين وافقنها على ما روت، وتذكرن ما قالت لهن من ذلك، فإن عبارتها تؤذن بأن هذا أمر مقرر عندهن. والله أعلم.

وهذا ما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع فاطمة رضي الله عنها اتباعاً لرسول الله ﷺ، وكان رضي الله عنه يقول: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به<sup>(٣)</sup>. وقال رضي الله عنه: والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته<sup>(٤)</sup>.

وقد تركت فاطمة رضي الله عنها المطالبة بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها، وفيه دليل على قبولها الحق وإذعانها لقوله ﷺ، قال ابن قتيبة<sup>(٥)</sup>: وأما سؤال فاطمة لأبي بكر رضي الله عنهما ميراث النبي ﷺ فليس بمنكر لأنها لم تعلم ما قاله رسول الله ﷺ، وظنت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم، فلما أخبرها بقوله كفت<sup>(٦)</sup>.

وعن مالك بن أوس بن الحدثان قال: جاء يرفأ إلى عمر رضي الله عنه. فقال: هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وسعد رضي الله عنهم؟ قال:

(١) صحيح البخاري: ك. الجهاد والسير، أبواب الخمس (٢٩٢٦). صحيح مسلم: ك. الجهاد، باب حكم الفيء، ح (١٧٥٧).

(٢) صحيح البخاري: ك. الوصايا، ح (٢٦٢٤). صحيح مسلم: ك. الجهاد، باب قوله ﷺ: «لا نورث»، ح (١٧٦٠).

(٣) صحيح البخاري: ك. الجهاد، أبواب الخمس، (٢٩٢٦). صحيح مسلم: ك. الجهاد، باب قوله ﷺ: «لا نورث»، (١٧٥٩).

(٤) مسلم: ك. الجهاد، باب قول النبي ﷺ: «لا نورث» (١٧٥٩).

(٥) عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ت ٢٧٦ هـ، شذرات الذهب ٢/ ١٦٩.

(٦) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث (٥٠). ميراث النبوة، ص ٣٠٤.

نعم. ثم جاء. فقال: هل لك في عباس وعلي رضي الله عنهما؟ قال: نعم. فدخلوا، قال عمر رضي الله عنه: أنشدكم بالله الذي ياذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا صدقة»؟ فقالوا: نعم. فأقبل على عباس وعلي رضي الله عنهما. فقال: أنشدكما بالله الذي تقوم السماء والأرض ياذنه أتعلمان أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا صدقة»؟ قالوا: نعم. قال عمر: فإن الله كان خص رسول الله ﷺ بخاصة لم يخصص بها أحدا غيره قال تعالى: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١). فقسم رسول الله ﷺ بينكم أموال بني النضير، فوالله ما استأثر عليكم، ولا أخذها دونكم حتى بقي هذا المال، فكان رسول الله ﷺ يأخذ منه نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي أسوة المال.

ثم قال: أنشدكم بالله الذي ياذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون ذلك؟ قالوا: نعم. ثم نشد عباسا وعلياً بمثل ما نشد به القوم: أتعلمان ذلك؟ قالوا: نعم. فلما توفي رسول الله ﷺ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا ولي رسول الله ﷺ فجتتما تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها. فقال أبو بكر: قال رسول الله ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة». فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفي أبو بكر رضي الله عنه فقلت: أنا ولي رسول الله ﷺ وولي أبي بكر رضي الله عنه فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم إنني لصادق بار راشد تابع للحق، فوليتها حتى جتتني أنت وهذا وأنتما جميع، وأمركما واحد، فقلتما: ادفعها إلينا. فقلت: إن شئتم دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه أن تعملا فيها بالذي كان رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه يعملان فيها فأخذتماها بذلك. فقال رضي الله عنه: أكذاك؟ قالوا: نعم. ثم جتتني لأقضي بينكما؟ ولا والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة؛

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

فإن عجزتما فرداها إلي<sup>(١)</sup>.

وعن زر بن حبيش قال: سألت الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن ميراث رسول الله ﷺ قالت: أعن ميراث رسول الله ﷺ تسأل؟ ما ترك رسول الله ﷺ صفراء ولا بيضاء ولا شاة ولا بعيرا ولا عبداً ولا أمة ولا ذهباً ولا فضة<sup>(٢)</sup>.

وعن عمرو بن الحارث ختن رسول الله ﷺ أخي جويرية بنت الحارث رضي الله عنها قال: ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مات رسول الله ﷺ وما ترك ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليدة، وترك درعه عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير<sup>(٤)</sup>.

وعن الطاهرة عائشة رضي الله عنها قالت: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشيء<sup>(٥)</sup>. وروى البخاري عن ابن عباس قال: ما ترك رسول الله ﷺ إلا ما بين الدفتين<sup>(٦)</sup>.

وقوله ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة». قال الباجي: أجمع أهل السنة على أن هذا حكم

(١) صحيح البخاري: ك. الجهاد، باب فرض الخمس (٢٩٧٢) صحيح مسلم: باب حكم الفيء (١٧٥٧) سنن أبي داود: ك. الفرائض، باب وصايا رسول الله ﷺ (٢٩٦٣). ابن حنبل: المسند: ح (١٧٨٢).

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ٣٧٢/١٢، مسند الحميدي: ١/١٣٢، ح (٢٧١).

(٣) صحيح البخاري، ح (٢٥٨٨)، التبريزي: مشكاة المصابيح، ٣/٣٠٠.

(٤) صحيح البخاري: ك. الجهاد، ح (٢٧٥٩)، سنن النسائي، ح (٤٦١٥).

(٥) ابن حنبل: المسند، ح (٢٤٢٢٢) مسلم: ك. الوصية، ح (١٦٣٥)، الصالحي: سبل الهدى، ٣٧١/١٢.

(٦) صحيح البخاري: ك. فضائل القرآن، باب من قال: لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين، ح (٤٧٣١)، الصالحي: سبل الهدى، ٣٧٢/١٢.

جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقالت الرافضة: إن الأنبياء يورثون وتعلقوا في ذلك بأنواع من التخليط لا شبهة فيها مع ورود هذا النص. قال: وقد أخبرني القاضي أبو جعفر السمناني أن أبا علي بن شاذان وكان من أهل العلم بهذا الشأن إلا أنه لم يكن قرأ عربية، فناظر يوماً في هذه المسألة أبا عبد الله بن المعلم، وكان مرجع الرافضة ومن أهل العلم بالعربية فاستدل ابن شاذان على أن الأنبياء لا يورثون بحديث: «إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة» نصب على الحال.

فقال له ابن المعلم: أما ذكرت من هذا الحديث وإنما هو صدقة نصب على الحال فيقتضي ذلك أن ما تركه النبي ﷺ على وجه الصدقة لا يورث عنه، ونحن لا نمنع هذا وإنما نمنع ذلك فيما تركه على غير هذا الوجه، واعتمد هذه النكتة الغربية لما عرف أن ابن شاذان لا يعرف هذا الشأن ولا يفرق بين الحال وغيرها، فلما عاد الكلام إلى ابن شاذان، قال له: ما ادعيت من قوله ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة» إنما هو (صدقة) منصوبة على الحال، وأنت لا تمنع هذا الحكم فيما تركه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على هذا الوجه، فإننا لا نعلم فرقاً بين قوله: «ما تركنا صدقة» بالنصب وبين قوله: «ما تركنا صدقة» بالرفع ولا أحتاج في هذه المسألة إلى معرفة ذلك فإنه لا شك عندي وعندك أن فاطمة رضي الله تعالى عنها من أفصح العرب ومن أعلمهم بالفرق بين قوله: «ما تركنا صدقة» بالنصب و«ما تركنا صدقة» بالرفع، وكذلك العباس بن عبد المطلب وهو ممن كان يستحق الميراث لو كان موروثاً، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أفصح قريش وأعلمهم بذلك وقد طلبت السيدة فاطمة ميراث أبيها ﷺ فأجابها أبو بكر الصديق رضي الله عنه بهذا اللفظ على وجهه ففهمت منه أنه لا شيء لها، فانصرفت عن الطلب، وفهم ذلك العباس وكذلك علي رضي الله عنهم وسائر الصحابة رضي الله عنهم ولم يعترض أحد منهم لهذا الاعتراض، وكذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه المحتج به والمتعلق به، لا خلاف أنه من فصحاء العرب العالمين بذلك لم يورد من هذا اللفظ إلا بما يقتضي المنع، ولو كان اللفظ لا يقتضي المنع لما أورده ولا يتعلق به، فإما أن يكون بالنصب يقتضي ما يقوله فادعواك فيما قلت باطل، وإما أن يكون

الرفع هو الذي يقتضيه فهو المروي وادعاء النصب فيه باطل<sup>(١)</sup>.

وأورد ابن كثير وهو يرد تحريف من قال من الجهلة من طائفة الرافضة في رواية هذا الحديث: «ما تركنا صدقة» بالنصب، جعل ما نافية، فكيف يصنع بأول الحديث وقوله ﷺ: «لا نورث»؟ وبهذه الرواية: «ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة». وما شأن هذا إلا كما حُكي عن بعض المعتزلة أنه قرأ على شيخ من أهل السنة: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>. بنصب الجلالة، فقال له الشيخ: ويحك كيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾<sup>(٣)</sup>!!

والمقصود أنه يجب العمل بقوله ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة» على كل تقدير احتمله اللفظ والمعنى، فإنه مخصص لعموم آية الميراث، ومخرج له ﷺ منها، إما وحده أو مع غيره من إخوانه الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) الصالحى: سبل الهدى، ١٢/٣٧٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٤) ابن كثير: السيرة، ٤/٥٧٧.

## شبهات الرافضة عن الميراث

وقد فتحت شبهة الميراث على فرقة الرافضة شرًا عريضًا، وجهلاً طويلاً، وأدخلوا أنفسهم بسببه فيما لا يعنيه، ولو تفهّموا الأمور على ما هي عليه، لعرفوا للصديق فضله، وقبلوا منه عذره الذي يجب على كل أحد قبوله، ولكنهم طائفة مخذولة، وفرقة مردولة، يتمسكون بالمتشابه، ويتركون الأمور المحكمة المقدرة عند أئمة الإسلام، من الصحابة والتابعين، فمن بعدهم من العلماء المعترين في سائر الأعصار والأمصار رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين<sup>(١)</sup>.

وتكلمت الرافضة في هذا المقام بجهل، وتكلفوا ما لا علم لهم به، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه. قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. وأدخلوا أنفسهم فيما لا يعنيه. وحاول بعض أفاكيهم أن يرد حديث رسول الله ﷺ الصحيح الذي احتج به أبو بكر رضي الله عنه فيما ذكرناه، بأنه مخالف للقرآن حيث قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾<sup>(٣)</sup>. وحيث قال تعالى إخباراً عن زكريا أنه قال: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلَى مِنْ وَرَاءِى وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ﴾<sup>(٤)</sup>. واستدلوا بهم بهذا باطل من وجوه:

(١) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٥٧٩. البداية والنهاية، ٥/ ٢٨٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٩.

(٣) سورة النمل، الآية: ١٦.

(٤) سورة مريم، الآيتان: ٥، ٦.

أحدها: أن قوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ إنما يعني بذلك في الملك والنبوة، أي جعلناه قائمًا بعده فيما كان يليه من الملك وتدبير الرعايا، والحكم بين بني إسرائيل، وجعلناه نبياً كريماً كأبيه، وكما جمع لأبيه الملك والنبوة كذلك جعل ولده بعده. وليس المراد بهذا وراثة المال لأن داود كما ذكر كثير من المفسرين كان له أولاد كثيرون، يقال مائة، فلم اقتصر على ذكر سليمان من بينهم لو كان المراد وراثة المال؟ إنما المراد وراثة القيام بعده في النبوة والملك، ولهذا قال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْأَمِينُ﴾<sup>(١)</sup>. وما بعدها من الآيات. قال ابن كثير: وقد أشبعنا الكلام على هذا في كتابنا التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة كثيراً.

وأما قصة زكريا فإنه عليه السلام من الأنبياء الكرام، والدنيا كانت عنده أحقر من أن يسأل الله ولدًا ليرثه في ماله، كيف وإنما كان نجارًا يأكل من كسب يده<sup>(٢)</sup> ولم يكن ليدخر منها فوق قوته حتى يسأل الله ولدًا يرث عنه ماله، إن كان له مال؟ وإنما سأل ولدًا صالحا يرثه في النبوة والقيام بمصالح بني إسرائيل، وحملهم على السداد. ولهذا قال تعالى: ﴿يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا﴾<sup>(٣)</sup>. يعني النبوة كما قرنا ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة<sup>(٤)</sup> فليراجع هناك في تفسير سورة مريم وغيرها من مواضعه في التفسير.

وبما سبق يظهر الحق في هذه المسألة، وتبطل دعوى الرافضة وتندحض شبهاتهم وينكشف زيفهم بما تم تقريره من خلال النصوص والأخبار الصحيحة الدالة على افتراءهم على الصديق رضي الله عنه وطعنهم به، مخالفة وردًا لقول رسول الله ﷺ: «هل أنتم تاركو لي صاحبي»، ورفضًا لغيره النبي ﷺ على صاحبه ووقوفه معه في كل أمر خالفه فيه أحد من الناس، وأن ما جرى بين الصديق رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها لا يعدو أن

(١) سورة النمل، الآية: ١٦.

(٢) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٥٧٥. البداية والنهاية، ٥/ ٢٩٠.

(٣) سورة مريم، الآية: ٦.

(٤) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٥٧٥.

يكون اختلافًا في مسألة فقهية ظهر لفاطمة رضي الله عنها فيها الحق فرجعت له، وعرف لها الصديق رضي الله عنه فضلها، فعادها في مرضها وأزال ما في نفسها فماتت وهي راضية عنه فرضي الله عنهما جميعًا، وأخزى الله مسعري الفتن ومثيري الأحقاد ومروجي الباطل الذين يدينون ببغض الصحابة وكرهية السنة المطهرة وأهلها، وتبًا لكل من يعتقد أن في مبغضي الصحابة وأعداء السنة وجهًا من وجوه الخير أو الغيرة على الإسلام الذي حملة وحماء أصحاب رسول الله ﷺ.

ولا شك أن هذا من المطاعن المشهورة التي يجتر صديدها أعداء خليفة رسول الله ﷺ زورًا وبهتانًا؛ وما زالوا يدينون بها وينفثون سمومهم من خلالها، فتناقلتها كتبهم القديمة، وحملها خلفهم بعد أن تفننوا في إخراجها وضاعفوا ما فيها تزييفًا وافتراءً. وقد رد أئمة السنة المطهرة عليهم في ذلك حتى ظهر الحق وبطل افتراءهم وظهر زيفهم فيها من وجوه متعددة منها:

أن كتب الرافضة متناقضة في نقل هذه الحادثة فبعضها يذكر أن فاطمة رضي الله عنها طالبت بفدك؛ لأن رسول الله ﷺ منحها إياها، وبعضها يذكر أنها طالبت بإرثها<sup>(١)</sup> وهذا تناقض واضح يدل على اضطراب الرافضة وسقوط ما بنوا عليه من أحكام.

قال شيخ الإسلام: إن ما ذكره الرافضة من ادعاء فاطمة رضي الله عنها فدك، فإن هذا يناقض كونها ميراثًا لها، فإن كان طلبها بطريق الإرث امتنع أن يكون بطريق الهبة، وإن كان بطريق الهبة امتنع أن يكون بطريق الإرث، ثم إن كانت هذه هبة في مرض الموت فرسول الله ﷺ منزّه إن كان يُورث كما يُورث غيره أن يوصي لوارث، أو يخصه في مرض موته بأكثر من حقه، وإن كان في صحته فلا بد أن تكون هذه هبة مقبوضة، وإلا فإذا وهب الواهب بكلامه، ولم يقبض الموهوب شيئًا حتى مات الواهب كان ذلك باطلًا عند جماهير العلماء، فكيف يهب النبي ﷺ فدكًا لفاطمة ولا يكون هذا أمرًا معروفًا عند أهل بيته والمسلمين، حتى

(١) ينظر: الطبرسي: الاحتجاج، ١/١٠٢.

تختص بمعرفته أم أيمن أو علي رضي الله عنهما<sup>(١)</sup>؟ وفي هذا رد على زعم الراضية زوراً أن أم أيمن وعلياً رضي الله عنهما شهدا بمنح رسول الله ﷺ فاطمة فدكاً.

وكانت السيدة فاطمة رضي الله عنها مجتهدة في ذلك، فقد اعتقدت أن الحق معها، ثم لما رأت من عزم الخليفة على رأيه أمسكت عن الكلام في المسألة، وما كان يسعها غير ذلك. وما ورد في النص من قول: فلم تكلمه، أي في هذه المسألة بعدما سمعت رد خليفة رسول الله ﷺ، ولم يثبت قط أنهما التقيا فلم تسلم عليه ولا كلمته رضي الله عنهما.

وقال شيخ الإسلام: كون النبي ﷺ لا يورث ثابت بالسنة المقطوع بها، وبإجماع الصحابة، وكل منهما دليل قطعي، فلا يعارض ذلك بما يظن أنه عموم، وإن كان عمومًا فهو مخصوص، لأن ذلك لو كان دليلًا لما كان إلا ظنيًا فلا يعارض القطعي، إذ الظني لا يعارض القطعي، وذلك أن قوله: «لا نورث» رواه غير واحد من الصحابة في أوقات ومجالس، وليس فيهم من ينكره بل كلهم تلقاه بالقبول والتصديق، ولهذا لم يصر أحد من أزواجه على طلب الميراث ولا أصر العم على طلب الميراث، بل من طلب من ذلك شيئًا فأخبر بقول النبي ﷺ رجوع عن طلبه، واستمر الأمر على ذلك على عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وإلى علي رضي الله عنه فلم يغير من ذلك شيئًا، ولا قسم له تركته<sup>(٢)</sup>.

وقال القاضي عياض: وفي ترك فاطمة رضي الله عنها منازعة أبي بكر رضي الله عنه بعد احتجاجه عليها بالحديث التسليم للإجماع، وأنها لما بلغها الحديث وبين لها التأويل، تركت رأيها ثم لم يكن منها ولا من ذريتها بعد ذلك من طلب ميراث، ثم ولي علي رضي الله عنه الخلافة فلم يعدل بها عما فعله أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما<sup>(٣)</sup>. مما يشهد بأن أصحاب محمد ﷺ منهجهم واحد وفهمهم واحد وعدوهم واحد لا فرق بين من يبغض الصديق وبين من يبغض علياً أو الفاروق رضي الله عنهم فكل من هؤلاء المبغضين حرب على الإسلام

(١) ابن تيمية: منهاج السنة ٤/٢٢٨.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة ٤/٢٢٠.

(٣) مسلم: بشرح النووي (٣١٨/١٢).

وإن تعددت وسائله وتباينت مناهجه في محاربة الإسلام؛ إذ لا فرق بين من يجعل الشيخين صنماً أو يجعل علياً إلهاً فالمقصد والهدف واحد يتمثل في الجنوح بالأمة عن هدي الكتاب والسنة وإفساح المجال للزنادقة والمنافقين ليغيروا بباطلهم ما استطاعوا من معالم الدين الحق الذي جاء به النبي ﷺ.

وقال القرطبي: فأما طلب فاطمة ميراثها من أبيها ﷺ من أبي بكر فكان ذلك قبل أن تسمع الحديث الذي دل على خصوصية النبي ﷺ بذلك، وكانت متمسكة بما في كتاب الله من ذلك، فلما أخبرها أبو بكر بالحديث توقفت عن ذلك ولم تعد إليه<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام: فهذه الأحاديث الثابتة المعروفة عند أهل العلم، وفيها ما يبين أن فاطمة رضي الله عنها طلبت ميراثها من رسول الله ﷺ على ما كانت تعرف من الموارث، فأخبرت بما كان من رسول الله ﷺ فسلمت ورجعت<sup>(٢)</sup>.

ويجتمع الخلفاء الراشدين وإجماع الأمة من بعدهم على أن النبي ﷺ لا يورث احتج الخليفة العباسي أبو العباس السفاح على بعض مناظريه في هذه المسألة على ما نقل ابن الجوزي في تلبيس إبليس قال: وقد روينا عن السفاح أنه خطب يوماً فقام رجل من آل علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين أعدني على من ظلمني. قال: ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد علي رضي الله عنه والذي ظلمني أبو بكر رضي الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة. قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: ومن قام بعده؟ قال: عمر رضي الله عنه. قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: ومن قام بعده؟ قال عثمان رضي الله عنه. قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: ومن قام بعده؟ فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكاناً يهرب منه<sup>(٣)</sup>. أي أن الذي قام بعد عثمان هو علي ومضى في حكمه على ما كان عليه الخلفاء من قبله لم يغير

(١) القرطبي: المفهم، ٣/٥٦٣.

(٢) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ٤/٢٣٤. مجموع الفتاوى ١٠/٣٧٢، ٢٨/٥٠٠، ٥٠١.

(٣) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ١٣٥.

أحكامهم وهو ولي الأمر، رضي الله عنهم!!

ورد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم على بعض الرافضة حينما سئل عن هذه المسألة فقال: «أما لو كنت مكان أبي بكر رضي الله عنه لحكمت بما حكم به أبو بكر رضي الله عنه في فذك»<sup>(١)</sup>.

ونقل القرطبي اتفاق أئمة أهل البيت بدءاً بعلي رضي الله عنه ومن جاء بعده من أولاده، ثم أولاد العباس رضي الله عنهم الذين كانت بأيديهم صدقة رسول الله ﷺ أنهم ما كانوا يرون تملكها، وإنما كانوا ينفقونها في سبيل الله قال: «إن علياً لما ولي الخلافة لم يغيرها عما عمل فيها في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ولم يتعرض لتملكها، ولا لقسمة شيء منها، بل كان يصرفها في الوجوه التي كان من قبله يصرفها فيها، ثم كانت بيد حسن بن علي، ثم بيد حسين بن علي، ثم بيد علي بن الحسين، ثم بيد الحسين بن الحسن، ثم بيد زيد ابن الحسين، ثم بيد عبد الله بن الحسين، ثم تولاها بنو العباس على ما ذكره أبو بكر البرقاني في صحيحه، وهؤلاء كبراء أهل البيت رضي الله عنهم وهم معتمد الشيعة وأئمتهم، لم يرو عن واحد منهم أنه تملكها ولا ورثها ولا ورثت عنه، فلو كان ما يقوله الشيعة حقاً لأخذها علي أو أحد من أهل بيته لما ظفروا بها، ولم لا<sup>(٢)</sup>؟

وما خير النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يَأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط، حتى تنتهك حرمة الله فينتقم لله<sup>(٣)</sup>. والسيدة فاطمة رضي الله عنها بضعة من رسول الله ﷺ تربت في بيت النبوة على الكرم والحياء والصفح والحمية على الدين والترفع عن الدنيا وحفظها، وما ينسجها الرافضة من أباطيل

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٩٠. السيرة النبوية، ٤/ ٥٧٠.

(٢) القرطبي: المفهم، ٣/ ٥٦٤.

(٣) البخاري: شرح فتح الباري، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود، ح(٦٧٨٦)، ومسلم: كتاب

الفضائل، باب مبادئه ﷺ للأمام، ٤/ ١٨١٣، ح(٢٣٢٧).

وأساطير حول هذه المسألة؛ فإنما يقصدون بذلك الإساءة إليها رضي الله عنها بما يختلقونه من روايات مفتعلة من خلال المهارشة على الدنيا والحرص الشديد على متاعها بزعمهم ولكن كل ذلك يخرجونه بمظهر التباكي على حقوقها ويسوقونه بين الغوغاء لنشر اللغظ والتشكيك بخليفة رسول الله ﷺ بين الجهلة ومن لا علم له ولا فهم، وهذا يؤكد مكرهم بالدين وأهله وحربهم القائمة على السنة وحملتها من الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

فظهر بما سبق إجماع الخلفاء الراشدين، وسائر الصحابة، وأئمة أهل البيت رضي الله عنهم المعتمدين، على أن رسول الله ﷺ لا يورث، وأن ما تركه صدقة، وعلى ذلك جرى عمل الخلفاء الراشدين وقادة أهل البيت الذين كانت بأيديهم صدقة رسول الله ﷺ. وهذا ما فهمته الأمة المؤمنة بالله ورسوله، وهذا ما زال يثيره أعداء السنة رافضو خلافة النبوة ومبغضو الصحابة وآل البيت، أولئك الحاقدون الذين ما زال شرهم على الأمة قائماً ومكرهم بها مستمراً وخداعهم لعامتها متزايداً، يغذيه بعض من يحسب على السنة ممن ما زالوا ينظرون بأعينهم الفاقدة للبصيرة أن الفاروق رضي الله عنه وقاتليه في كفة واحدة وهؤلاء هم الشر القائم على السنة المطهرة وأهلها، لما يلبسون على الناس أمر دينهم ويزيفون تجارب أمتهم.

وفاطمة رضي الله عنها على جلالتها، وكمال دينها، وفضلها، ليست معصومة، وقد كانت تطلب من النبي ﷺ الشيء فلا يجيبها له: كسؤالها النبي ﷺ خادماً فلم يعطها، بل أرشدها وعلياً للتسييح كما ثبت في حديث علي رضي الله عنه في الصحيحين<sup>(١)</sup>. وعن عمر بن عبد العزيز أن فاطمة سألت رسول الله ﷺ أن يجعل لها فدكاً فأبى<sup>(٢)</sup>. وثبت في صحيح مسلم أن فاطمة جاءت إلى رسول الله ﷺ وقالت له: إن أزواجك أرسلنني إليك

(١) البخاري: بفتح الباري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ح (٣٧٠٥). وصحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب التسييح أول النهار وعند النوم، ح (٢٧٢٧).

(٢) ينظر: سنن أبي داود: كتاب الخراج والإمارة، باب: في صفايا رسول الله ﷺ، ح (٢٩٧٢).

يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، فقال لها النبي ﷺ: «أي بنية ألت تحبين ما أحب؟» فقالت: بلى. قال: «فأحبي هذه». أي عائشة<sup>(١)</sup> فلم يجبهها النبي ﷺ لشيء من ذلك، فدل على عدم موافقته لها في كل شيء، بل قد تفعل الأمر مجتهدة فتخطئ فلا يقرها عليه ﷺ وبالتالي فإنه لا يغضب لغضبها في كل شيء، بل إنه ﷺ وكل مسلم يغضب لمن يتعمد إغضاها - وهذا هو شأن كل مسلم - كما يغضب أهل السنة مما تفعله الرافضة من البهتان عليها وقولهم بأنها كانت تخاصم من أجل الميراث وفدك، وكأنها رضي الله عنها كانت تعمل في حراثة الأرض، أو كأنه لم يعد في عصرها أحد من بني عبد مناف يطالب بحقها!!

فإذا علم هذا فلا بد أن يعلم كل غافل أن رسول الله ﷺ كان يغضب لصاحبه رضي الله عنه من جميع الناس ولم يكن أبو بكر رضي الله عنه في مسألة إلا وكان رسول الله ﷺ معه على من يخالفه حتى أعلن ﷺ إعلانه العظيم بقوله: «هل أنتم تاركو لي صاحبي؟!» فلم يعد أحد يجروء على التعرض لأبي بكر رضي الله عنه في أي أمر من أمور الدين أو الدنيا إلا من لا يبالي بقول رسول الله ﷺ ولا نهييه، وهذا صنف المنافقين المرتدين الذين لا قيمة لأقوالهم ولا لكتاباتهم، ولأنهم في كل ذلك أفاكون مشاغبون، وأن خليفة رسول الله ﷺ كان متبعاً للنص الصريح في ذلك، وقد وافقه الصحابة رضي الله عنهم فكان إجماعاً معتضداً بالنص، فأبو بكر رضي الله عنه في ذلك قائم بالحق متبع للنص مستمسك بعهد رسول الله ﷺ، فكيف يتصور ألا يرضى رسول الله ﷺ ممن يعمل بشرعه وهديه ﷺ ويتمسك بسنته، كما ينفث ذلك أعداء السنة مبغضو الصحابة؟

أما قوله ﷺ: «فمن أغضبها فقد أغضبني» لو كان وعيداً مطلقاً لكان لازماً لعلي رضي الله عنه؛ إذ إن مناسبة هذا الحديث هي خطبة علي رضي الله عنه لابنة أبي جهل وشكوى فاطمة رضي الله عنها إلى النبي ﷺ على ما روى الشيخان من حديث المسور بن مخرمة قال: إن علياً خطب بنت أبي جهل فسمعت بذلك فاطمة، فأنت رسول الله ﷺ فقالت: يزعم قومك

(١) مسلم: (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عائشة) ح (٢٤٤٢).

أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل. فقام رسول الله ﷺ فسمعتة حين تشهد يقول: «أما بعد، أنكحت أبا العاص بن الربيع - الأموي - فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد». فترك علي الخطبة<sup>(١)</sup>.

فظهر أن مناسبة الحديث هي خطبة علي رضي الله عنه لابنة أبي جهل وغضب فاطمة رضي الله عنها من ذلك، والنص العام يتناول محل السبب، وهو نص فيه باتفاق العلماء، حتى قالوا: لا يجوز إخراج السبب بدليل تخصيص، لأن دلالة العام على سببه قطعية، وعلى غيره على وجه الظهور<sup>(٢)</sup> ولكن الرافضة لا يحجز بهتانهم دين ولا نهى نبوي ولا يحجزهم عن البغي سوى منهج الصديق الذي واجه به حركات الردة بأمثال خالد وزبيد بن ليبي الأنصاري وإخوانهم رضي الله عنهم.

وبهذا يظهر جلياً أن مناسبة الحديث كان موقف رسول الله ﷺ من خطبة علي رضي الله عنه عندما أراد أن يتزوج علي ابنة رسول الله ﷺ ولكن الرافضة بكراهيتهم للحق وحبهم للفتنة، لا يبالون بأن يقلبوا حقيقة الأحداث ويزيفوا التاريخ ونصوص الحديث لتوافق أهواءهم القائمة على هدم سنن الإسلام بأي وسيلة كانت، والله تعالى حائل بينهم وبين ذلك مهما ابتكروا من وسائل وأساليب ملتوية.

ولكن البلاء والشر ليس في أعداء الصحابة وحدهم وإنما في إخوانهم الذين يزعمون أنهم من أهل السنة، ويقولون: ما الفرق بين عقيدتنا وعقيدة مكذبي القرآن وقتله عمر الفاروق رضي الله عنه ومعظمي الغادر أبي لؤلؤة المجوسي صاحب مقام بابا شجاع في مدينة كاشان الإيرانية، الذي كتبوا على مدخله لعن الخلفاء الراشدين الثلاثة رضي الله عنهم، المتعبدین

(١) البخاري: بفتح فتح الباري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: ذكر أصحاب النبي ﷺ، ح (٣٧٢٩).

مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ٤/١٩٠٣، ح (٢٤٤٩).

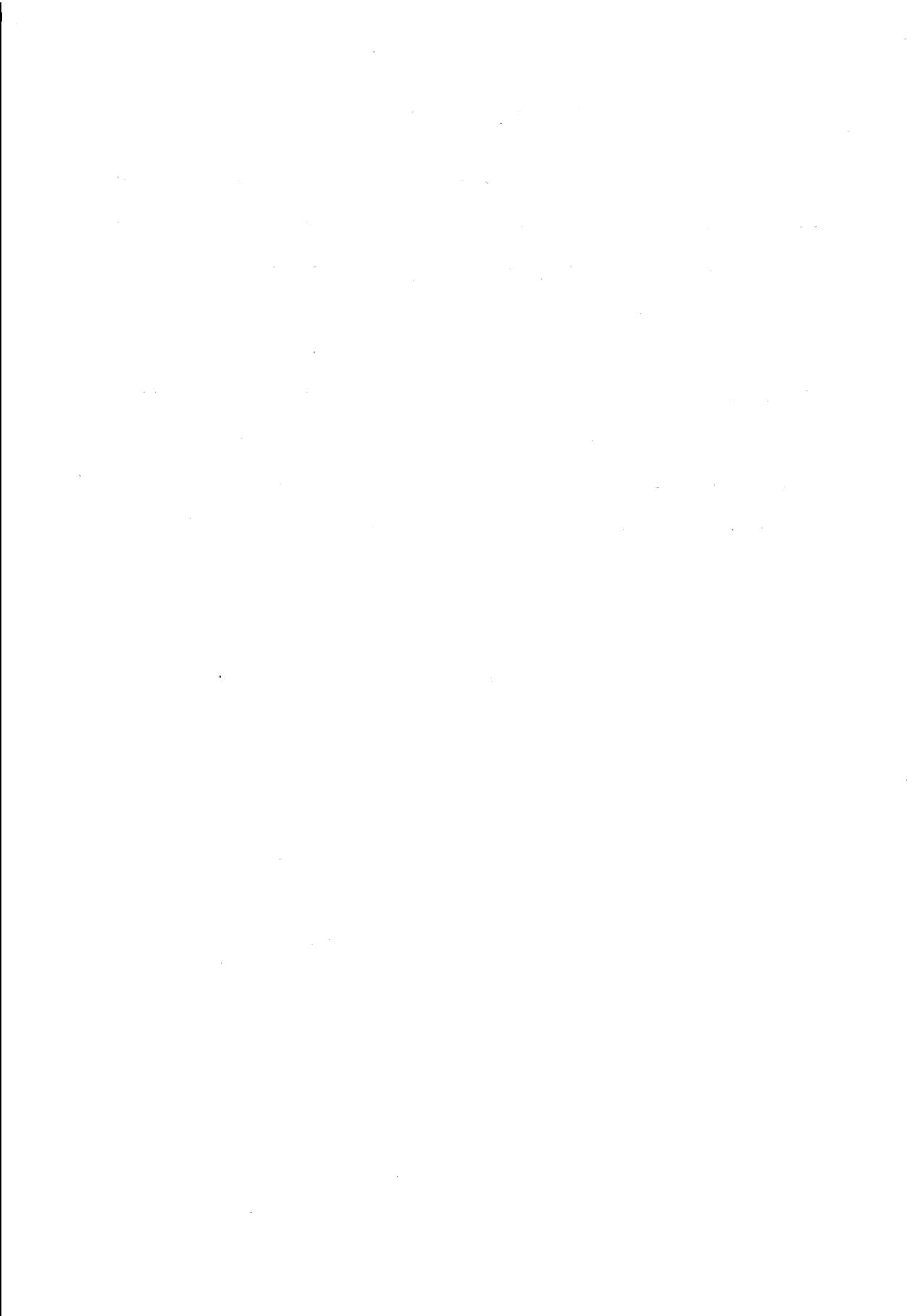
(٢) ينظر: الزنجاني: تخريج الفروع على الأصول، ٣٦٠.

بحبه وموالاته لعنه الله تعالى ولعن من يعظمه ويواليه، لما اقترف من الجرم والسوء والإثم بغدره بالعدل الطاهر القوي الأمين نصير رسول الله ﷺ ومعينه الساهر على تنفيذ أحكامه وأوامره الفاروق عمر رضي الله عنه، وأولئك الذين يحبونهم إنما يخادعون أهل السنة النبوية ويغشونهم بفتاوى ليس لها ما يؤيدها من دليل، لا في الشرع ولا في الواقع، فصدّعوا الصفوف ومزقوا الوحدة وزادوا عامة الناس خبلاً ودسوا أنوفهم فيما لا يعينهم من تحالفات لا تعود على المسلمين إلا بالشر والبلاء والفرقة، فبلغ من غباثهم أن دعوا إلى محبة قتلة أئمة أهل السنة ومكفري سلفهم الصالح أصحاب محمد ﷺ وموالة المخططين لطمس السنة واستباحة أهلها، ممتطين في كل ذلك هذا الصنف الذي يخلط الشهد باللفظ. قال تعالى:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكُفْرِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلٰٓىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كٰفِرِينَ ﴿١﴾﴾

\*\*\*

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٧.



## المبحث الثالث

### في منهجه الاجتماعي والإداري

#### في الحياة الاجتماعية:

علم النبي الكريم ﷺ أصحابه حب الوحدة والحياة الجماعية والشعور بالمسؤولية تجاه الجماعة والعمل على خدمتها ونصرتها، ولما مرت جماعة المؤمنين في مكة بمحنة طغيان المشركين عليهم سنّ النبي ﷺ لهم سنّة المؤاخاة التي لا مثيل لها فيما سبق من أعمال إصلاحية، لكي يؤانس بعضهم بعضاً عن العشيرة والأهل والأصحاب، ولما جنى منها المسلمون من منافع التكافل والتناصر والتآسي والشعور بروح الجماعة الذي ولد لديهم القدرة الواسعة على التحمل والصبر ومطالبة الجاهلية بروح المؤمنين وأخلاق الصالحين، حتى تمكنوا في نهاية المطاف من إسقاط الجاهلية بكل أعرافها وشركها وأوزارها، وتأسيس دولة التوحيد بكل رقيها وعدلها ورعايتها لأبنائها.

فمثلت المؤاخاة لبنة أولى في بناء المجتمع الإسلامي، وذكر أنها كانت مرتين: الأولى بين المهاجرين بعضهم مع بعض قبل الهجرة على الحق والمواساة، آخى بينهم النبي ﷺ فأخى بين أبي بكر وعمر وآخى بين بقية الصحابة رضي الله عنهم<sup>(١)</sup> والمؤاخاة الثانية كانت في دار أنس بن مالك بعد الهجرة إلى المدينة<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/٣٧٧. ابن سيد الناس: عيون الأثر: ١/٣٢١، ابن الجوزي: المنتظم، ٣/١٧.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/٣٧٧. ابن الجوزي: المنتظم، ١/٦٣.

قال ابن القيم: وقد قيل: إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية واتخذ فيها علياً أخاً لنفسه والثابت المؤاخاة في المدينة بعد الهجرة، والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الإسلام وأخوة الدار وقرابة النسب عن عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الأنصار ولو آخى بين المهاجرين كان أحق الناس بأخوته أحب الخلق إليه ورفيقه في الهجرة وأنيسه في الغار، وأفضل الصحابة وأكرمهم عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد قال: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام أفضل»، وفي لفظ: «ولكن أخي وصاحبي»<sup>(١)</sup>. وهذه الأخوة في الإسلام وإن كانت عامة كما قال ﷺ: «وددت أن قدر أينما إخواننا» قالوا: ألسنا إخوانك؟ قال: «أنتم أصحابي؛ وإخواني قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني»<sup>(٢)</sup>. فللصديق رضي الله عنه من هذه الأخوة أعلى مراتبها كما له من الصحبة أعلى مراتبها، فالصحابة لهم الأخوة ومزية الصحبة ولأتباعه بعدهم الأخوة دون الصحبة<sup>(٣)</sup>.

والحقيقة أن مؤاخاة مكة فيها نظر؛ لأن مقاصدها كانت قائمة وحاصلة في نفوس المؤمنين فلم يكونوا بحاجة إلى ما يزيد تلاحمهم، والأمر الآخر أنهم في مكة لم يكونوا يشكلون مجتمعاً مستقلاً عن المشركين، بل كان كل منهم يعيش بين أهله وقومه وعشيرته، وإن كانوا يعانون منهم الأمرين بسبب إيمانهم واتباعهم الرسول ﷺ، والأمر الثالث في هذه الرواية هو الزعم بأن رسول الله ﷺ آخى علياً رضي الله عنه وهذا مناقض للأحاديث الصحيحة التي رويت عن رسول الله ﷺ أنه لو كان متخذاً خليلاً لاتخذ أبا بكر رضي الله عنه، ولكن أخوة الإسلام، فأبو بكر رضي الله عنه هو الأولى بمؤاخاة رسول الله ﷺ كما يستنبط من الأحاديث الصحيحة والمواقف العملية التي كان يتخذها رسول الله ﷺ مع صاحبه تجاه أي من الصحابة

- (١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً»، ح (٣٩٠٤) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ح (٢٣٨٢).
- (٢) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ح (٢٤٩).
- (٣) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٦٤.

رضي الله عنهم فضلاً عن أن علياً رضي الله عنه في مكة كان صبيّاً لم يبلغ من العمر أن يحسب فيمن يتصدى للمواقف العصبية التي كان يعاني منها المؤمنون، وهذه السيرة النبوية في مكة لا تذكر له رضي الله عنه أي موقف في مواجهة المشركين قبل مبيته في فراش النبي ﷺ يوم الهجرة، لهذا يجب أن يعلم كل مسلم أن أي رواية تغمط بعض الصحابة وتعظم علياً رضي الله عنه بأنها رواية بحاجة إلى تدقيق وتحقيق؛ لأن همّ الرافضة إفساد كل شيء في الدين ولا سيما سير الصحابة فعلي رضي الله عنه يؤلهونه، وهذا خروج من الدين، وباقي الصحابة رضي الله عنهم يُكفرونهم، وهذا رفض لنصوص الكتاب والسنة وهو ردة معلنة، وعامة أهل السنة يقرأ دون أي تدبر أو تفكير!! فليكن المقياس لأهل السنة المخلصين للسنة هو أن الطعن بالصحابة هو علامة الزندقة والرفض، والمؤمن كيس فطن، ولا سيما في هذا العصر الذي وجه فيه أعداء الصحابة كل طاقاتهم لهدم السنة وإقصائها وحصار أهلها النجباء بمكر ودهاء كبيرين مستغلين غفلة أهلها وغياب رعاتها وضعف الغيرة عليها عند الكثير منهم.

وقد كان الصحابة يشارك بعضهم بعضاً الأفراح والأتراح ويفتدي بعضهم بعضاً بالنفس والمال واستمر أصحاب رسول الله ﷺ في سمو أخلاقي وقيمي حتى بلغوا أقصى ما يبلغه البشر في تلك الميادين، فلم يعد أحد منهم يحس بوحشة أو وحدة ولا سيما أن رسول الله ﷺ يمدهم بطاقات الصبر والتحمل، وهم يرونه أمامهم في عامة المواقف التي مرت بهم رضي الله عنهم، وقد كان أبو بكر رضي الله عنه يشارك في كل ذلك، في مكة والمدينة وفي حياة النبي ﷺ وبعد وفاته ﷺ فيقدم العزاء لكل من يصاب بمصيبة وكان إذا عزى رجلاً قال: ليس مع العزاء مصيبة، ولا مع الجزع فائدة، الموت أهون ما قبله، وأشد ما بعده، اذكروا فقد رسول الله ﷺ تصغر مصيبتكم، وأعظم الله أجركم<sup>(١)</sup>.

وقالت أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها: لما وجع سعد بن معاذ رضي الله عنه ووجد به الموت، بكى رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، حتى إنني لأعرف بكاء أبي بكر

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٢٥.

من بكاء عمر، وأنا أبكي، وكان رسول الله ﷺ تذرف عيناه، ويمسح وجهه، ولا يسمع صوته<sup>(١)</sup>. فصدق الله العظيم إذ يقول عنهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكان أبو بكر رضي الله عنه يشارك في تفقد أحوال المسلمين الضعفاء والغرباء ويكرهمهم ويهتم بأمرهم. وكان ذو البجادين يتيمًا لا مال له مات أبوه ولم يورثه شيئًا فكفله عمه حتى أيسر وكان له إبل وغنم ورقيق فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه لأجل عمه حتى مضت السنون والمشاهد فقال لعمه: يا عمّ إنني انتظرت إسلامك فلم أرك تريد محمدًا فأذن لي في الإسلام. فقال: والله لئن اتبعت محمدًا ﷺ لا أترك بيدك شيئًا كنت أعطيتكته إلا نزعته منك حتى ثوبيك. فقال: فأنا والله متبع محمدًا وتارك عبادة الحجر والوثن وهذا ما بيدي فخذ.

فأخذ كل ما أعطاه حتى جرده من إزاره فأتى أمه فقطعت له بجادًا لها بائنين فأنزرت بواحدة وارتنى الآخر، ثم أقبل إلى المدينة وكان بورقان - وهو جبل من جبال مزينة - فاضطجع في المسجد في السحر فصلى رسول الله ﷺ الصبح وكان يتصفح وجوه الناس إذا انصرف من الصبح فنظر إليه فأنكره فقال: «من أنت؟» فانتسب له وكان اسمه عبد العزى فقال: «أنت عبد الله ذو البجادين» ثم قال: «انزل مني قريبًا».

فكان في أضيافه ويعلمه القرآن حتى قرأ قرآنًا كثيرًا وكان رجلًا صيِّبًا فكان يقوم في المسجد فيرفع صوته بالقراءة فقال عمر: يا رسول الله ألا تسمع هذا الأعرابي يرفع صوته بالقرآن قد منع الناس القراءة فقال: «دعه يا عمر فإنه خرج مهاجرًا إلى الله وإلى رسوله». ثم خرجوا إلى تبوك، قال ذو البجادين: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة. فقال ﷺ: «أبغني لحا سمرة» فربطها رسول الله ﷺ على عضده. وقال: «اللهم إني أحرم دمه على الكفار» قال:

(١) ابن عبد البر: التمهيد، ١٩/٣٢٥. تاريخ دمشق: ٣/٣٣٦. الصالحى: سبل الهدى، ٨/٣٥٦.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

يا رسول الله، ليس هذا أردت. قال: «إنك إذا خرجت غازياً في سبيل الله فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد، أو وقصتك دابتك فأنت شهيد ولا تبالي بأية كان». فلما نزلوا بتبوك أقاموا بها أياماً فتوفي عبد الله وكان بلال بن الحارث يقول: حضرت مع رسول الله ﷺ ومع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر واقفاً بها وإذا رسول الله ﷺ في القبر وإذا أبو بكر وعمر يدلّيانه إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «أدنيا إليّ أخاكما» فلما هياه لشقه في اللحد قال: «اللهم قد أمسيت عنه راضياً فارض عنه» فقال ابن مسعود: يا ليتني صاحب هذا القبر<sup>(١)</sup>.

فانظر إلى هذه الحال التي أصبح عليها أصحاب رسول الله ﷺ حتى هانت عليهم المصائب بما في ذلك مصيبة الموت، لما هم عليه من التكافل والتلاحم في مواجهة جميع الأحداث، فهذا هو رسول الله ﷺ ومعه الصديق والفاروق هم الذين يتولون رعاية من فقدوه من إخوانهم، مع أن جيش تبوك كان يزيد على ثلاثين ألفاً من أصحاب رسول الله ﷺ وكلهم يفتدي بعضهم بعضاً، ومع ذلك فإن رسول الله ﷺ والشيوخ هم الذين يقومون على أمر ذي البجادين رضي الله عنه حتى إن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يتمنى لو كان هو صاحب ذلك القبر لما شاهد من حسن الرعاية وجميل الدعاء ووحدرة القلوب.

ومثلما كان الصديق رضي الله عنه يشارك في تخفيف المصائب عن الناس والضيق الذي يمر به البعض منهم فكان كذلك يشاركونهم أفراحهم ومسراتهم، ومن ذلك بشارته لكعب بن مالك الأنصاري وتهنئته له بتوبة الله عليه بعد تخلفه عن غزوة تبوك مع رسول الله ﷺ، قال كعب رضي الله عنه: فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة - بعد أن اعتزلهم الناس - وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال الذي ذكره الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>. وضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت، سمعت صوتاً صارخاً أوفى على جبل سلع

(١) المتنظم: ٣/١٤١. الصالحى: ٥/٤٦٠. الواقدى: المغازى، ٣/١٠١٤. أبو نعيم: دلائل

النبوة: ١٥٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر<sup>(١)</sup>. قال الواقدي: إن الذي أوفى على جبل سلع أبو بكر الصديق رضي الله عنه فصاح: قد تاب الله على كعب، يا كعب أبشر. وعند ابن عقبة أن رجلين سعيًا يريدان كعبًا يبشرانه، فسبق أحدهما، فارتقى المسبوق على سلع فصاح: يا كعب، أبشر بتوبة الله، وقد أنزل الله عز وجل فيكم القرآن، وزعموا أن اللذين تسابقا أبو بكر وعمر، قال كعب: فخررت ساجدًا أبكي فرحًا بالتوبة، وعرفت أن قد جاء فرج، وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون<sup>(٢)</sup>.

فيتضح من هذا أن خليفة رسول الله ﷺ كان يسير على خطى صاحبه رسول الله ﷺ يعيش للأمة يحمل همومها ويستشرف مستقبلها ويشارك أبناءها في حياتهم، لم يتغير خلقه بعد أن تولى قيادة الأمة وخلافة رسول الله ﷺ في المؤمنين، فكان يحلب للحبي شياهم ويخدم عجزتهم<sup>(٣)</sup> وذوي العاهات، ويصل الأرحام ويداعب الصغار ويعطف عليهم<sup>(٤)</sup> ويزور المساكين وأهل الفضل وكبار السن ومن كان رسول الله ﷺ يزورهم<sup>(٥)</sup> ويتسامح عمن يجهل عليه ويعطي من يطمع في ماله، ويلتزم العمل بما تعلمه من رسول الله ﷺ في مثل قوله: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»<sup>(٦)</sup> وكان رضي الله عنه لا يدع موقفًا من المواقف إلا وله فيه أثر طيب؛ إما أمر

- (١) انظر قصة حديث كعب بن مالك فيما أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، ح (٤٤١٨)، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ح (٢٧٦٩)، والصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٥/٤٧٦.
- (٢) الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٥/٤٧٦.
- (٣) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٩.
- (٤) ابن حنبل: المسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه باب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح ٤١.
- (٥) مسلم، فضائل الصحابة، ح (٢٤٥٤).
- (٦) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، ح (٢٥٨٨).

بمعروف أو نهى عن منكر، يمارس دور الإمام والقائد والمعلم والأب والصاحب الشفيق وكل ذلك بإخلاص ونية طيبة مما كان له أطيّب الأثر وأجمل البصمات في حياة الناس ونفوس المؤمنين، حتى أصبحت سيرته مصدر إلهام لأبناء المجتمع الإسلامي الذي انطلق بأجمعه مخلصاً لله تعالى في الجهاد والعمل والتواصل والتراحم، كيف لا والناس على دين ملوكها؟ فأصبح خليفة رسول الله ﷺ بسيرته حجة على كل من تولى للمسلمين أمراً من أمور دينهم أو دنياهم، ثم احتجبت عنهم يستر عوراته ويحسب سرقاته من حقوق المسلمين وتجاوزته على شريعتهم وتزييفه لهويتهم، مما يوضح بشكل لا لبس فيه الفارق الشاسع بين من يقود الأمة ودستوره الكتاب والسنة، وبين من يقودها ومرجعه هواه أو أوهام البداءة والتقية والغيبة أو العلمانية وشهواتها البهيمية وجرأتها على الآخرين أو الأحزاب الإلحادية وغير هؤلاء ممن يغمطون الناس ويسفهون الحق.

وكان وقافاً عند حدود الله لا يحابي ولا يداهن؛ الكل عنده سواسية في غضبه وفي رضاه، وكان يعلم أن رسول الله ﷺ كانت تجوز له بما ينزل عليه من الوحي أمور لا تجوز لغيره ﷺ فلما غضب يوماً على أحدهم قال أبو برزة الأسلمي: يا خليفة رسول الله أضرب عنقه؟ فلما ذكرت القتل صرف عن ذلك الحديث أجمع إلى غير ذلك من النحو، ثم قال: ويحك - أو ويلك - إن تلك والله ما هي لأحد بعد محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

فبلغت الثقة في خليفة رسول الله ﷺ مبلغاً عظيماً في نفوس المؤمنين حتى إنهم كانوا عند رهن إشارته لتنفيذ كل ما يأمر به رضي الله عنه، فسار بهم على منهج نبيهم ﷺ حتى بلغ بهم أقصى ما يبلغه خلفاء الأنبياء في أممهم فازداد المجتمع الإسلامي في عصره تماسكاً ووحدرة وأخوة واستعداداً للتضحية والفداء، من أجل نشر الدين وحماية السنة وأهلها، ولتعلم المؤمنون من بعدهم كيف تفتدى السنة في أي عصر أو مصر يعيشون فيه، كما استقوا من

(١) ابن حنبل: المسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه باب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه ح (٦٢، ٥٥).

خليفة رسول الله ﷺ كيف يكون الموقف الحق من أهل الردة المجترئين على السنة النبوية الراضين لهداياها، حين طبقوا ذلك عملياً وبحزم لا مثيل له فدحروا أعداءها ممن رفض إمامة حامي السنة النبوية بعد رسول الله ﷺ خليفته أبي بكر رضي الله عنه من أمثال: مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وسجاح ومالك بن نويرة وإخوانهم من الراضة المتنبئين بالإفك والردة، فأسكتوا باطلهم بنور الحق وعظيم التضحيات وهدى السنة المطهرة.

قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَعْبِرْ هُدَىٰ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

### في الجانب الإداري:

ومثلما كان خليفة رسول الله ﷺ عظيماً في سيرته الاجتماعية مع أبناء أمته في حياته العامة، كذلك كان عظيماً في إدارة شؤونهم واختياره الأفاضل الأكارم ليقوموا على خدمتهم، وكان من أحرص الناس على التمسك بمن عمل لرسول الله ﷺ أي عمل كان وكان حريصاً أيضاً على أن يجعله في المكان الذي جعله فيه رسول الله ﷺ إلا إذا اختار غيره، وكان من أهم الأحداث التي واجهها خليفة رسول الله ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ أنه استقبل عمال رسول الله ﷺ، وقد شاهدوا تصدع الأمور وتمرد أهل الردة، فلما التقى بهم خليفة رسول الله ﷺ تبين لهم أنه أعلم بالأحداث منهم ولا سيما أنه أخبرهم بأعظم مما أخبروه، وتبين أيضاً أنه كان قد أعد للأمر عدته فلم يثبت أن حدثاً من الأحداث فاجأ المسلمين ولم يكن خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه قد أعد له عدة، واستعان على كل ذلك برجال من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم على علم وحزم ورجولة ونباهة وسياسة وفصاحة وورع وزهد ورغبة فيما عند الله تعالى مما سهل عليه الصعاب ويسر المعضلات واختصر عليه التدريب والإعداد؛ لأن كل ما يريده ويسمو إليه حاضر في نفوسهم فما عليه إلا أن يشير حتى يجد التنفيذ قد تم وعلى الوجه الذي يحب وكان في مقدمة أولئك الرجال

(١) سورة القصص، الآية: ٥٠.

القادة عمال رسول الله ﷺ الذين تلقوا التعليمات المباشرة من النبي ﷺ واستقوا علوم الإدارة وفنون الطاعة والتعامل مع القيادة ومع عامة الناس منه ﷺ.

### عمال رسول الله ﷺ:

بعد وفاة النبي ﷺ قدمت رسله ﷺ من اليمن واليمامة وبلاد بني أسد، ووفود من كان كاتبه النبي ﷺ وأمره في الأسود ومسيلمة الكذابين وطلحة الأسدي بالأخبار والكتب؛ فدفعوا كتبهم إلى خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر رضي الله عنه وأخبروه الخبر. فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه: لا تبرحوا حتى تجيء رسل أمرائكم وغيرهم بأدهى مما وصفتم وأمر وانتقاض الأمور؛ فلم يلبثوا أن قدمت كتب أمراء النبي ﷺ من كل مكان بانتقاض عامة أو خاصة، وتبسطهم بأنواع الميل على المسلمين فحاربهم أبو بكر رضي الله عنه بما كان رسول الله ﷺ حاربهم؛ بالرسل فرد رسلهم بأمره، وأتبع الرسل رسلاً، وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة وجيشه، وكان أول من صادم عبس وذبيان عاجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة رضي الله عنه وانتصر عليهم وأسقط خططهم فكان ذلك فاتحة خير للمسلمين على يد الصديق إمام الأمة وقائدها رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

وكان عمال رسول الله ﷺ حين وفاته على قضاة وعلى قبيلة كلب امرأ القيس بن الأصبغ الكلبي من بني عبد الله، وعلى القين عمرو بن الحكم وعلى سعد هذيم معاوية بن فلان الوائلي، وقيل: الوالبي. فارتد وداعة الكلبي فيمن أزره من كلب، وبقي امرؤ القيس على دينه. وارتد زميل بن قطبة القيني فيمن أزره من بني القين، وبقي عمرو: وارتد معاوية فيمن أزره من سعد هذيم. فكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى امرئ القيس بن فلان وهو جد سكينه بنت الحسين رضي الله عنه فسار، لوداعة، وإلى عمرو فأقام لزميل، وإلى معاوية العذري، فلما توسط أسامة بلاد قضاة بث الخيول فيهم وأمرهم أن ينهضوا من أقام على الإسلام إلى من رجع عنه، فخرجوا هرباً حتى أرزوا إلى دومة واجتمعوا إلى وداعة ورجعت خيول

(١) ينظر: الطبري: تاريخ، ٢/٢٥٤.

أسامة عليه فمضى فيها أسامة حتى أغار على الحمقتين فأصاب في بني الضبيب من جذام، وفي بعض بني لخم ولفها من القبيلين وحازهم من آبل وانكفأ سالمًا غانمًا. فارتفع شر تلك النواحي عن المسلمين، وثبت الدين هناك، وسلم أهله. وثبت في كل ذلك فضل الاتباع وخطورة التردد أو الاجتهاد والالتفاف على ما ورد في النصوص الصحيحة، وظهر في كل ذلك الفرق بين علم خليفة رسول الله ﷺ واستنباطه للأحكام وبين علوم الصحابة رضي الله عنهم وعامة الأمة وتبين للمؤمنين كافة السابقين واللاحقين أن خليفة رسول الله ﷺ هو وحده المؤهل لسد الفراغ الهائل الذي خلفه غياب رسول الله ﷺ في الأمة، وأنه كان أكثر الأمة اتباعًا واقتداءً وفهمًا عن رسول الله ﷺ.

### كتاب خليفة رسول الله ﷺ وعماله في المدينة:

مما أعان خليفة رسول الله ﷺ على تجاوز الأخطار الهائلة التي أحاطت بالأمة بعد رحيل النبي ﷺ هو كثرة الأعوان المخلصين المحتسين أجورهم عند الله تعالى، والثقة الكبرى التي تملأ قلوب المؤمنين في قدرات وعلوم وتدابير خليفة رسول الله ﷺ على الصعد كافة، فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه قال له أبو عبيدة: أنا أكفيك بيت المال. وقال عمر: أنا أكفيك القضاء، فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان. وكان يكتب لأبي بكر عثمان بن عفان وزيد بن ثابت رضي الله عنهم. وروي أن عبد الله بن الأرقم كتب له، وأن حنظلة بن الربيع كتب له أيضًا، وكان يكتب له من حضر.

فأكرم بقائد أمينه على بيت المال أمين الأمة رضي الله عنه وقاضيه فاروقها رضي الله عنه وكتابه ذو النورين وزيد بن ثابت رضي الله عنهما وأنعم بأمة لا تحتاج إلى التحاكم إلى الناس في كثير من مسائل الدنيا وذلك لعمق علومها ومعارفها وسمو أهدافها ومطالبها التي تجاوزت زوايا الدنيا بما فيها من التنافس على زينة الحياة وزخرفها، ولا شك أن تلك القيادة هي أكرم قيادة تقود الأمة بعد وفاة النبي ﷺ إلى قيام الساعة فلتكن هي مصدر الإلهام في عميق الإيمان وسمو المقاصد وجميل النوايا وحسن الطاعة وكريم المزاي وحدة الذكاء

وقوة الفهم وإدراك الأحداث ورعاية الأمة، وعلى هذا فإن هذه الكوكبة المباركة من أصحاب رسول الله ﷺ ومن يحيط بهم آنذاك هم مفتاح الدخول إلى أمة الإسلام، فمن زعم أنه في داخل حصن الأمة فإنما تُعرض هويته على مقاييس تلك الثلة الطاهرة المباركة، فمن وُجد في هويته أي شرخ أو منعطف أو التواء أو تردد عن أي من ذلك اعتبر ذلك علامة الزندقة والجاسوسية وبغض أمة القرآن ورفض السنة ورد الإيمان، أما إذ تجاوز الأمر إلى بغض أي من أمة الصحابة رضي الله عنهم كما يدين بذلك مجوس هذه الأمة في هذا العصر، فإنما ذلك علامة على الردة والعدوان، ومن زعم أنه من أهل السنة وأحسن الظن فيمن يبغض أحدًا من الصحابة رضي الله عنهم، فإنما هو الغبي المهان الذي لا يميز بين ما كان يهذي به ويفتره مسيلمة الكذاب وبين ما ينزل به الوحي من القرآن.

وهذا الصنف من الناس هو الأخطر على أهل القرآن والسنة لما أحدث فيهم من الصدوع والشك والتردد، وهو متلبس بالتقية والنفاق والزعم الكاذب أنه من الأمة ودينه التجسس وبث الإشاعة والإفك بين المؤمنين، والعمل المستمر على الفصل بين الأمة وقادتها ورموزها، والتعاون والتحالف الوثيق الدائم مع أعدائها وغزاة ديارها في كل عصر ومصر، فمن أغفل فكره وتدبيره عن هذه الحقيقة الفاقعة فإنما هو المفرط المضيع الهالك، وعلى ميزان محبة الصحابة أو بغضهم تظهر معادن الأخيار من الأشرار وأهل الإيمان من أهل الرفض والردة ولا لقاء بينهما.

ولما بايعت الأمة خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه أمرها، بعد أن عاينوا منزلته عند رسول الله ﷺ قال أبو عبيدة رضي الله عنه: أنا أكفيك بيت المال، وقال عمر رضي الله عنه: أنا أكفيك القضاء فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلا. وقال علي بن محمد عن الذين سميت قال بعضهم جعل أبو بكر عمر رضي الله عنهما قاضيًا في خلافته فمكث سنة لم يخاصم إليه أحد. وكان يكتب له زيد بن ثابت رضي الله عنه ويكتب له الأخبار عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان يكتب له من حضر إن لم يكن أحدهما حاضرًا. وكان عامله على مكة عتاب بن أسيد،

وعلى الطائفة عثمان بن أبي العاصي، وعلى صنعاء المهاجر بن أبي أمية، وعلى حضرموت زياد بن ليبيد، وعلى خولان يعلى بن أمية وعلى زييد ورمع أبو موسى الأشعري وعلى الجند معاذ بن جبل، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي وبعث جرير بن عبد الله إلى نجران، وبعث بعبد الله بن ثور أحد بني الغوث إلى ناحية جرش وبعث عياض بن غنم الفهري إلى دومة الجندل، وكان بالشام أبو عبيدة وشرحبيل ابن حسنة ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص رضي الله عنهم كل رجل منهم على جند وعليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه. فهذا وجه من وجوه إدارة خليفة رسول الله ﷺ وارث دولة النبوة والقائم بها والإمام الذي سد مسد صاحبه رسول الله ﷺ بعد غيابه بكل جدارة ويقين وإخلاص. فملاً الفراغ الذي خلفه غياب النبي ﷺ فلاقى منهجه الإداري - كما هو في عامة سياسته - القبول والرضا والاستعداد للعمل في تنفيذه بكل قناعة وحزم، وفي ذلك قال خفاف ابن ندبة - وندبة أمه وأبوه عمير بن الحارث - في خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر رضي الله عنه:

أبلج ذو عرف وذو منكر	مُقَسَّمُ المعروف رحبُ الفناء
للمجد في منزله بادياً	حوض رفيع لم يخنه الإزاء
والله لا يدرك أيامه	ذو مئزر حافٍ ولا ذو رداء
من يسع كي يدرك أيامه	يجتهدُ الشدَّ بأرضٍ فضاء

وكان نقش خاتم أبي بكر رضي الله عنه «نِعَمَ القادر الله»<sup>(١)</sup> نعم كان خليفة رسول الله أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر سلماً للمؤمنين حرباً على أهل الرفض المرتدين والمتبئين الكذابين، ورادعاً للغوغاء المغفلين الذين غالباً ما تؤتى الأمة من قبلهم فتؤخذ أخذاً أليماً على أيدي الأعداء وإخوانهم المنافقين، وكان رضي الله عنه كهفًا للضعفاء والمحتاجين ونصيراً لا يقهر للمستضعفين، حتى أصبح رضي الله عنه عنواناً للمجد وحوصاً للمكارم لا ينضب عطاؤه، فأصبح السابق الأول والتابع الأول لصاحبه سيد الوجود ﷺ، فلم يدرك

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١/١٠٢٣، الطبري: تاريخ، ٢/٣٥٢.

أيامه أكارم الصحابة من أهل الحاضرة والبادية الذين بذلوا كل ما في وسعهم للحاق به، ولكن إلي أي وجه يجري من يسابق في مفازات المكارم وفضاءات الإيمان والقيم التي لا سواحل لها.

### أمرؤه وعماله وكتابه وقضاته:

يتبين مما سبق أن الهيكل الإداري في أيام خليفة رسول الله ﷺ إنما كان من عمالقة القادة ووجوه الأمة السابقين من أصحاب رسول الله ﷺ وهم:

عمر الفاروق رضي الله عنه الذي كان على القضاء، وكان الصديق يقضي بنفسه بين المؤمنين ويفتي لهم فيما يقع لهم من مسائل.

أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه كان على بيت المال إلى أيام مسيره إلى الشام. وكتابه: عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وزيد بن ثابت رضي الله عنه، وأحياناً يكتب له من حضر من الصحابة رضي الله عنهم.

وأقر الصديق عتاب بن أسيد رضي الله عنه على مكة وقد أسلم يوم الفتح فلما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى حنين استعمله عليها يصلي بالناس وقال له: «تدري على من استعملتك؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «استعملتك على أهل الله». وأقام عتاب بن أسيد<sup>(١)</sup> عامه على مكة وكان رضي الله عنه شديدًا على المريب لينًا على المؤمنين، وكان يقول: والله لا أعلم متخلفًا عن هذه الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه، فإنه لا يتخلف عنها إلا منافق، فقال أهل مكة: يا رسول الله، استعملت على أهل الله أعرابيًا جافيًا، فقال ﷺ: «إني رأيت فيما يرى النائم أنه أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقعقعها حتى فتح له ودخل»<sup>(٢)</sup>. وقد كان أجره من رسول الله ﷺ درهمًا في كل يوم فقام فخطب فقال: أيها

(١) ابن سعد: الطبقات، ٤٤٦/٥.

(٢) ابن حجر: الإصابة، ٤٥١/٢. الباكستاني: عصر الصديق، ١٢٥.

الناس أجاج الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول الله ﷺ درهماً كل يوم فليست بي حاجة إلى أحد<sup>(١)</sup>، فكان عمال خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه: على مكة عتاب بن أسيد ومات في اليوم الذي مات فيه أبو بكر رضي الله عنه.

وعلى الطائف أقر الصديق رضي الله عنه عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، وكان النبي ﷺ قد استعمله عليها، وكان رضي الله عنه هو الذي حال دون ردة ثقيف، حيث خطبهم قائلاً: كتتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أولهم ارتداداً<sup>(٢)</sup>.

وأقر الصديق رضي الله عنه على صنعاء المهاجر بن أبي أمية رضي الله عنه وهو شقيق أم سلمة زوج النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ ولاه - لما بعث العمال - على صنعاء، وهو الذي افتتح حصن النجير الذي تحصنت به قبيلة كندة في أيام الردة<sup>(٣)</sup> بقيادة الأشعث بن قيس.

وأقر الصديق رضي الله عنه على حضرموت زياد بن ليبيد الأنصاري رضي الله عنه وهو ممن شهد العقبة وبدراً وقد استعمله النبي ﷺ عليها فأقره أبو بكر، وولاه قتال أهل الردة من كندة، وهو الذي ظفر بالأشعث بن قيس فسيره إلى أبي بكر رضي الله عنه<sup>(٤)</sup> وقد روي أن زياداً خرج إلى رسول الله ﷺ بمكة فأقام معه، حتى هاجر ﷺ إلى المدينة فهاجر معه، فكان يقال زياداً مهاجري أنصاري<sup>(٥)</sup>.

وأقر الصديق رضي الله عنه على اليمن معاذ بن جبل رضي الله عنه وكان النبي ﷺ قد أمره عليها، وهو الذي شهد المشاهد كلها، وشهد بدراً وهو ابن إحدى وعشرين سنة. وروى الأحاديث عن النبي ﷺ وكان فيمن جمع القرآن على عهده ﷺ وجاء في وصفه أنه «إمام الفقهاء وكنز العلماء» شهد العقبة وبدراً، وكان من أفضل شباب الأنصار حليماً وحياءً وسخاءً، وكان جميلاً وسيماً سمحاً، لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه.

(١) الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢٢٣. ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/٥٠٠.

(٢) الإصابة لابن حجر ٢/٤٦٠. (٣) الإصابة لابن حجر ٣/٤٦٥.

(٤) ابن حجر: الإصابة، ١/٥٥٨. (٥) ابن سعد: الطبقات، ٣/٥٩٨.

وعلى زيد ورمع أقر الصديق رضي الله عنه أبا موسى الأشعري عبد الله بن قيس رضي الله عنه، وكان النبي ﷺ قد استعمله على هذه البقاع من أعمال اليمن، وظل والياً لخليفة رسول الله ﷺ أبي بكر رضي الله عنه بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ثم قدم المدينة، وشهد فتوح الشام، وكان رضي الله عنه من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، حتى إن النبي ﷺ قال حين سمع قراءة أبي موسى: «لقد أوتي مزامراً من مزامير آل داود عليه السلام»<sup>(١)</sup> وكان عمر رضي الله عنه إذا رآه قال له: ذكرنا يا أبا موسى، وفي رواية: شوقنا إلى ربنا، فيقرأ عنده<sup>(٢)</sup>.

وعلى منطقة الجند في اليمن معاذ بن جبل رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

وأقر الصديق رضي الله عنه على البحرين العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه، وكان النبي ﷺ قد ولاه أمرها<sup>(٤)</sup> وبعثه إلى ملكها المنذر بن ساوى العبدي، وأسلم على يديه، وأقام فيهم الإسلام والعدل، فلما مات المنذر ارتد أهل البحرين فبعث الصديق رضي الله عنه إليهم العلاء بن الحضرمي<sup>(٥)</sup> فلما دنا من البحرين جاء ثمامة بن أثال في محفل كبير، وجاء كل أمراء تلك النواحي، فانضافوا إلى جيش العلاء، فأكرمهم ورحب بهم، وأحسن إليهم.

ولما استعملهم الصديق رضي الله عنه ولم يولهم رسول الله ﷺ قبله، وإن كان قد كلفهم بعض العمل كبعثه جرير بن عبد الله إلى ذي الكلاع وذي رعين. ومنهم:

(١) النسائي: السنن، ح (١٠١٨)، الدارمي: سنن الدارمي، ٣٣٧١.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٤/١٠٩. الباكستاني: عصر الصديق، ١٢٧.

(٣)، (٤) ابن الأثير: الكامل، ٢/٢٨٩.

(٥) وهذه عبارة ابن كثير في البداية والنهاية: ٦/٣٢٧ وهي تفيد أن أبا بكر رضي الله عنه بعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين بعد ارتداد أهلها ولم يكن والياً عليها من قبل النبي ﷺ، وإنما كان رسولاً لرسول الله ﷺ إلى ملك البحرين المنذر بن ساوى، فلما ارتدوا بعد وفاة ملكهم بعث الصديق العلاء بن الحضرمي إليهم لسابق معرفته بهم، وفي الكامل لابن الأثير، والإصابة لابن حجر ج ٢/٤٩٨ ما يفيد أن العلاء بن الحضرمي كان من ولادة رسول الله ﷺ على البحرين فأقره الصديق، وعبارة البداية والنهاية أوضح وأظهر.

يعلى بن أمية بن أبي عبيد حليف قريش وهو يعلى ابن مئنة وهي أمه وهو صحابي رضي الله عنه، استعمله الصديق رضي الله عنه على خولان في الردة، وقد أسلم يوم فتح مكة وشهد موقعة حنين وحصار الطائف وغزوة تبوك وتوفي سنة بضع وأربعين رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

جرير بن عبد الله البجلي استعمله الصديق على نجران<sup>(٢)</sup> وكان إسلامه قبل وفاة النبي ﷺ بأكثر من ثمانين يوماً، كما نص عليه ابن حجر في شرح البخاري مستدلاً بحديث حجة الوداع إذ جاء فيه قول النبي ﷺ لجرير: «استنصت الناس» فوجهه النبي ﷺ إلى صنم ذي الخلصة فهدمه وقد قال فيه ﷺ حين أقبل وافداً عليه: «يطلع عليكم خير ذي يمن، كأن على وجهه مسحة ملك» فطلع جرير، وبعثه رسول الله ﷺ إلى ذي الكلاع وذي رعين باليمن<sup>(٣)</sup>.

وكان سرور النبي ﷺ بإسلامه عظيمًا، حتى إن جريراً رضي الله عنه كان يقول: ما حجبتني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رأني قط إلا ضحكك وتبسم<sup>(٤)</sup>، ولما تولى أبو بكر رضي الله عنه خلافة المسلمين، أمر جريراً بالمسير إلى قومه بجيلة وأن يستنفر منهم من ثبت على الإسلام، ويقاتل بهم من ارتد عنه، وأن يأتي خثعم فيقاتل من خرج غضباً لصنم ذي الخلصة، فخرج جرير وفعل ما أمره فلم يبق له أحد إلا نفر يسير فتبعهم وقتلهم<sup>(٥)</sup>.

### أمراء الجيوش:

واستعمل الصديق رضي الله عنه أبا عبيدة عامر بن الجراح أميراً على رُبُع الجيش الذاهب إلى الشام وروي عن أنس أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث رجلاً يعلمنا.

- (١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٥٢. ابن حجر: تقريب التهذيب، ترجمة (٧٨٣٩).
- (٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٥٢.
- (٣) ابن حبان: صحيح ابن حبان، (٧١٩٩) ابن خزيمة: صحيح ابن خزيمة، ح (١٧٩٨) الباكستاني: عصر الصديق، ١٣٠.
- (٤) ابن حجر: الإصابة، ١/ ٢٣٢. الاستيعاب، ١/ ٢٣٧.
- (٥) ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٥٥.

فأخذ رسول الله ﷺ بيد أبي عبيدة بن الجراح، وقال: «هذا أمين هذه الأمة»<sup>(١)</sup>.

واستعمل الصديق خالد بن الوليد رضي الله عنه على قيادة الجيوش في حروب الردة وفتوحات العراق والشام وكان أسلم سنة ثمانٍ على أرجح الروايات وشهد مع الرسول ﷺ فتح مكة وحنيناً والطائف، فأبلى فيها جميعاً بلاءً حسناً حتى استحق عاطر الثناء من سيد المرسلين فقال: «خالد سيف من سيوف الله... نعم فتى العشيرة»<sup>(٢)</sup>. وقال أيضاً: «لا تسبوا خالدًا فإنه سيف من سيوف الله سله الله على الكفار»<sup>(٣)</sup>.

واستعمل يزيد بن أبي سفيان حين قفل من الحج سنة اثنتي عشرة فولاه قيادة جمهور الناس في فتح الشام ومعه سهيل بن عمرو وأشباهه من أهل مكة، وخرج معه الصديق رضي الله عنه ماشياً يوصيه ويودعه وجعل له إمارة دمشق وكان من فضلاء الصحابة وأفضل بني أبي سفيان وكان يقال له يزيد الخير، وقد أسلم يوم فتح مكة وشهد حنيناً وكان النبي ﷺ قد استعمله على أخواله من بني فراس.

وكان الأمراء بالشام على الجند أبا عبيدة بن الجراح، وشرحبيل ابن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص رضي الله عنهم وكل رجل من هؤلاء كان له قسم من الجند. وكان على الجميع خالد بن الوليد رضي الله عنه حتى آخر حياة خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه.

واستعمل الصديق عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو الذي أسلم قبل الفتح سنة ثمانٍ وكان النبي يقربه ويدنيه لمعرفة وشجاعته، وولاه غزوة ذات السلاسل، وأمهه بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة في سرية أرسلها إلى الشام، ويروى في فضائله أن النبي ﷺ استدعاه وقال

(١) صحيح البخاري: فضائل الصحابة، (٤١١٩)، صحيح مسلم: (٣٤١٩)، ابن كثير: البداية والنهاية، ٩٤/٧.

(٢) ابن حنبل: المسند، ح (١٦٣٨٢)، ابن أبي شيبة: المصنف، ح (٣)، الباكستاني، عصر الصديق، ١٣٠.

(٣) ابن حنبل: المسند، ح (٧١٨٨)، ابن أبي شيبة: المصنف، ح (١).

له: «يا عمرو وإني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة» فقال: ما أسلمت رغبة في المال ولكن رغبة في الإسلام، فبعثه إلى أحوال أبيه العاص بن وائل يدعوهم إلى الإسلام ويستنفرهم إلى الجهاد كما ولاه بعد ذلك على عُمان فلم يزل عليها حتى قبض رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

وقد استعمل الصديق رضي الله عنه علاوة على من تقدم ذكرهم الكثير من الأمراء نذكر منهم عياض بن غنم وقد شهد الحديبية مع رسول الله ﷺ وكان من أشرف قومه وكان صالحًا سمحًا وكان يقال له زاد الراكب؛ لأنه كان يطعم رفقته ما كان عنده وإذا كان مسافرًا آثرهم بزاده.

وقد كتب الصديق إلى عياض وهو بين منطقة النباح والحجاز: أن سر حتى تأتي المصيخ فابدؤوا بها ثم ادخل العراق من أعلاها وعارق حتى تلقى خالدًا ولكنه بقي باليمامة مستمدًا بخالد حتى وصل إليه وعاد معه إلى الحيرة ثم صاحبه في مسيره إلى الشام باليرموك. وقد ذكر الواقدي أنه افتتح عامة بلاد الجزيرة والرقعة. وقال علي بن المديني: عياض بن غنم كان أحد الولاة باليرموك<sup>(٢)</sup>.

ومن أمراء الصديق رضي الله عنه شرحبيل ابن حسنة من مهاجرة الحبشة، وكان من علية أصحاب رسول الله ﷺ وغزا معه غزوات، وله رواية عن النبي ﷺ في ابن ماجه عن عبادة بن الصامت. وهو أحد الأمراء الذين عقد لهم خليفة رسول الله ﷺ إلى الشام، ولم يزل واليًا على بعض نواحيها إلى أن توفي في طاعون عمواس، وله سبع وستون سنة<sup>(٣)</sup>.

ومن أمراء الجيوش في عهد الصديق رضي الله عنه: عكرمة بن أبي جهل. وقد أسلم

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٥٢. الباكستاني: عصر الصديق، ١٢٣.

(٢) ابن حجر: الإصابة، ٣/ ٣٢٨. الباكستاني: عصر الصديق، ١٣٤.

(٣) الإصابة: ٣/ ٥٠، الاستيعاب: ٣/ ١٢٩. البداية والنهاية: ٧/ ٩٣. تاريخ الطبري: ٣/ ٣٤٦، ٣٧٧،

عام الفتح، واستعمله النبي ﷺ على صدقات هوازن عام وفاته<sup>(١)</sup>، وقد وجهه الصديق رضي الله عنه إلى قتال أهل الردة من الأزد فانهزموا، وأسر عكرمة منهم جماعة، فأرسلهم مع حذيفة بن اليمان إلى أبي بكر رضي الله عنه بعد أن قتل طائفة منهم. وأقام عكرمة ثم عزله أبو بكر رضي الله عنه؛ لأنه حين أرسله إلى مسيلمة الكذاب تعجل إلى مناهضته قبل مجيء شرجيل مددًا له ليفوز بالظفر وحده، فانهزم وكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه يلومه على تسرعه ويقول: لا أرينك ولا أسمع بك إلا بعد بلاء. وقد أبلى رضي الله عنه بعد ذلك خير البلاء في عُمان واليمن وحضر موت.

ومن أشهر قادة الجيوش في العراق في عهد خليفة رسول الله ﷺ المثنى بن حارثة الشيباني، بعثه أبو بكر رضي الله عنه في صدر خلافته إلى العراق قبل مسير خالد بن الوليد رضي الله عنه إليها، وكان المثنى شجاعًا شهمًا بطلًا ميمون النقيية حسن الرأي والإمارة، أبلى في حروب الردة بلاء لم يبلغه أحد. وحينما استبطأ المثنى أخبار الصديق رضي الله عنه سار إلى المدينة فوجده في آخر مرض الموت، وقد عهد إلى عمر رضي الله عنه، فلما رأى الصديق رضي الله عنه المثنى قال لعمر رضي الله عنه: إذا أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس لحرب أهل العراق مع المثنى<sup>(٢)</sup>. فكان له المواقع المشهورة والأيام المشهودة في جهاد الفرس المجوس.

### ومن أمراء جيوش الفتح:

حذيفة بن محصن، وقد استعمله أبو بكر رضي الله عنه على عُمان بعد عزل عكرمة، فلم يزل عليها حتى توفي أبو بكر رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

عرفجة بن هرثمة، وقد أمد به الصديق رضي الله عنه جيفر بن الجلندي ملك عُمان، وذلك حين ارتد أهلها، فولّى المشركون مدبرين، وركب المسلمون ظهورهم، وغنموا

(١) ابن حجر: الإصابة: ٤٩٦/٢. الباكستاني: عصر الصديق، ١٣٤.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣٦٠. ابن الأثير: الكامل، ٢٨٩/٢. باسلامة: خلافة أبي بكر، ٢١٧.

(٣) ابن حجر: الإصابة، ٤٤/٢. الباكستاني، عصر الصديق، ١٣٥.

أموالهم وبعثوا بالخمس إلى الصديق رضي الله عنه مع عرفجة<sup>(١)</sup>.

وقد استعمل الصديق رضي الله عنه سويد بن مقرن أميراً على أحد جيوش الردة، وأمره بتهامة اليمن، وكان رضي الله عنه سابع سبعة أخوة نزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّاتِمْ لَتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحَدٌ مَّا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُوهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَحِدُوا مَا يُفْقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وممن استعملهم الصديق رضي الله عنه عبد الله بن ثور، وكان أميراً في الردة، وذكر أنه توجه مع المهاجر بن أبي أمية إلى جرش أميراً عليها. كما استعمل يعلى بن أمية على بلاد خولان في الردة، وقد أسلم يوم الفتح، وشهد حينئذ والطائف وتبوك، كما سبقت الإشارة إلى ذلك<sup>(٣)</sup>.

فكان خليفة رسول الله ﷺ يستعمل الولاة في البلدان المختلفة، ويعهد إليهم بالولاية العامة في الإدارة والحكم والإمامة، وجباية الصدقات وسائر أنواع الولايات، وكان ينظر إلى حسن اختيار الرسول ﷺ للأمرء والولاة على البلدان فيقتدي به في اختيار الرجل المناسب للمكان المناسب، ولهذا أقر جميع عمال الرسول ﷺ الذين توفي وهم على ولايتهم، ولم يعزل أحداً منهم إلا ليعينه في مكان آخر أكثر أهمية من موقعه الأول ويرضاه، كما حدث لعمر بن العاص<sup>(٤)</sup> وكانت مسؤوليات الولاة في عهد خليفة رسول الله ﷺ امتداداً لصلاحياتهم في عصر الرسول ﷺ.

أما أهم المعالم التي يقوم عليها نظام الحكم في الإسلام، والتي تضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم، والمسؤوليات التي يقوم عليها الولاة فتتمثل في الآتي:

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٣٣١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٩٢. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/٣١٥. عصر الصديق، ١٣٥.

(٣) الطبري: تاريخ، ٣٥٢.

(٤) عبد العزيز إبراهيم العمري: الولاية على البلدان، ١/٥٥.

- أن الخليفة نائب عن الأمة ويقوم بخدمتها، وهو مقيد بأحكام الشرع ليس له أن يتجاوزها تحت أي ظرف كان.

- أن التشريع بكل أصنافه مصدره كتاب الله عز وجل، وسنة النبي ﷺ، ولهذا قال خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. ليسقط بذلك كل الشرائع الطاغوتية التي تحول بين الأمة وبين عقيدتها.

- التزام الشورى في كل جوانب الإدارة والقيادة، فضلاً عن الشفافية والوضوح في تنفيذ جميع القرارات، ولهذا فإن خليفة رسول الله ﷺ أعلن عن سياسته أمام جماهير المؤمنين وفي المسجد الجامع، وأكد التزامه بالشورى وعمله بها، ولذلك كان يوصي عماله وقادته في الولايات بضرورة العمل بالشورى وتفعيلها في حياة المؤمنين؛ اتباعاً للسنّة ونهجاً للقيادة والسياسة.

وكيف لا يتقيد ويتخلق خليفة رسول الله ﷺ في أمر الشورى وهو معني بما أكد عليه كتاب الله تعالى عن الشورى قبل غيره من المؤمنين، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾<sup>(١)</sup> قال: المعني فيها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما<sup>(٢)</sup>.

وتجلت الشورى في إدارة الخلافة حينما طلب خالد بن سعيد الأمر في وسائل التعامل مع الروم، ولما كان ذلك الأمر بمتهى الخطورة لما يترتب عليه من الاشتباك مع أعتى قوة على وجه الأرض آنذاك لم يرد أبو بكر جواباً حتى دعا إليه عددًا من المهاجرين والأنصار ليشاورهم في الأمر. فقال أبو بكر رضي الله عنه لمستشاريه: كان رسول الله ﷺ قد عول أن يصرف همته إلى الشام فقبضه الله إليه، واختار له ما لديه. والعرب بنو أم وأب، وقد

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) الحاكم: المستدرک، کتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب: أبو بكر الصديق بن أبي قحافة رضي الله عنه، ح (٤٤٣٦) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

أردت أن أستنفرهم إلى الروم بالشام، فمن هلك منهم هلك شهيداً، ومن عاش منهم عاش مدافعاً عن الدين مستوجباً على الله عز وجل ثواب المجاهدين. ثم سألتهم المشورة، فقال عمر رضي الله عنه: والله ما استبقنا إلى شيء من الخير قط إلا سبقتنا إليه، قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي ذكرت، فما قضى الله أن يكون ذلك، حتى ذكرته أنت الآن! فقد أصاب الله بك سبل الرشاد. سرّب إليهم الخيل في إثر الخيل، وابعث الرجال، والجنود تتبعها الجنود، فإن الله عز وجل ناصر دينه، ومقر الإسلام وأهله، ومنجز ما وعد رسوله ﷺ. فسر أبو بكر رضي الله عنه لقول عمر رضي الله عنه، ثم تكلم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال رأياً آخر. قال: يا خليفة رسول الله، إنها الروم وبنو الأصفر: حد حديد، وركن شديد! والله ما أرى أن تقحم الخيل عليهم إقحاماً، ولكن تبعث الخيل فتغير في أذاني أرضهم، ثم تبعثها فتغير، فترجع إليك، فإذا فعلوا ذلك مراراً أضروا بعدوهم، وغنموا من أدنى أرضهم، فقوموا بذلك على قتالهم، ثم تبعث إلى أقاصي أهل اليمن وإلى ربيعة ومضر فتجمعهم إليك جميعاً. فإن بعد ذلك غزوتهم بنفسك، وإن شئت بعثت على غزوهم غيرك. فوجم الناس، ودهتهم الحيرة برهة: أي الرأيين أصوب؟ رأي الصديق والفراروق وكان الرسول ﷺ لا يخالفهم إذا اتفقا على رأي أم رأي عبد الرحمن بن عوف أحذق تجار العرب، وأقدرهم على الكسب؟! وطال صمت الناس، فسألهم أبو بكر رضي الله عنه: ماذا ترون رحمكم الله؟!

فقال ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه: أرى أنك لأهل هذا الدين شفيق عليهم، فإن رأيت رأياً فيه رشد وصلاح وخير، فاعزم على إمضائه، فإنك غير ضنين ولا متهم. فقال الناس: يا خليفة رسول الله، ما رأيت من رأي فأمضه، فإننا سامعون لك مطيعون، لا نخالف أمرك، ولا نتهم رأيك، ولا نتخلف عن دعوتك وإجابتك. وخالد بن سعيد بن العاص ما زال ينتظر رد الخليفة: أيقدم أم يحجم؟! ولم يشأ الصديق أن يبرم أمراً، أو يأذن للجيش الإسلامي بالتقدم، حتى يستشير أهل مكة، فقد رأى أن يوسع قاعدة الشورى، فيدخل فيها إلى جوار المهاجرين والأنصار من أهل المدينة آخرين من المسلمين ذوي الرأي.. فلماذا يخص أهل

المدينة وحدهم بالشورى، وما بال أهل مكة، وأهل القرى الآخرين<sup>(١)</sup>!

ولما أذاع الصديق رضي الله عنه أنه سيرسل إلى أهل مكة ليشيروا عليه، خالفه عمر، وعزم على أن السابقين هم وحدهم، دون غيرهم، أهل الشورى! فعلم عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو بما كان من عمر، فأتيا المدينة، فقال سهيل لعمر رضي الله عنه: ألسنا إخوانكم في الإسلام، وبني أبيكم في النسب؟! أفإنكم إن الله قدم لكم في هذا الأمر قدماً صالحاً قاطعو أرحامنا، ومستهينون بحقنا؟! فقال عمر رضي الله عنه: إني والله ما قلت ما بلغكم إلا نصيحة لمن سبقكم بالإسلام، وتحرياً للعدل فيما بينكم وبين من هو أفضل منكم من المسلمين. وكل هذا يؤكد على عمق فاعلية الشورى في واقع حياة المسلمين، فها هم ما بين معارض وموافق ومتسائل ومبدل رأيه أمام قادة الأمة دون أي تردد أو توجس، مما يفسر لنا بعض أسرار النجاح الهائل الذي حققه الراشدون للأمة، دون أن يشعر أحد منهم بحرج أو تهميش في الحياة العملية والسياسة التطبيقية.

فكان الصديق رضي الله عنه يسوي بين المسلمين في كل أمر: في العطاء والمشورة، أما الفاروق فكان يرى تقديم السابقين، ويقول لمن يعاتبونه في ذلك: لا تلومن إلا أرواحكم التي قد تأخرت بكم! فلما اتفق الصديق رضي الله عنه والناس على مناجزة الروم، قال لهم: فإني مؤمر عليكم أمراء وعاقد لهم عليكم، فأطيعوا ربكم، ولا تخالفوا أمراءكم، ولتحسن نيتكم وسيرتكم ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأرسل الصديق رضي الله عنه إلى خالد بن سعيد بن العاص الذي كان مرابطاً على حدود الشام الرد الذي طال انتظاره<sup>(٣)</sup> بعد أن أنجز الرأي القاطع المجمع عليه بالشورى وتبادل الرأي والنظر في العواقب على وجوب إزاحة العوائق التي تضعها الدكتاتورية الصليبية الرومانية أمام نشر الإسلام في العالمين فكتب له: أقدم ولا تحجم، واستنصر بالله. فاقترح خالد بن

(١) الشراقي: الصديق أول الخلفاء، ١٣٤. (٢) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٣) الشراقي: الصديق أول الخلفاء، ١٣٥.

سعيد صفوف الروم، ففرقوا عنه هارين وكتب إلى أبي بكر بالنصر، فرد عليه: تقدم، ولا تقتحم حتى لا تؤتى من خلفك! فتقدم حتى بلغ القسطل في طريق البحر الميت، فلقي الروم على شاطئه فهزمهم مرة أخرى. ففرق الروم يتميزون من الغيظ، يجيبون لما عاينوه وعانوه من قوة العرب المسلمين..! وأعدوا جيشًا ضخماً. فأرسل إلى الخليفة يشره بهزيمة الروم مرة أخرى وبنائه بكثافة ما حشدوه، ويطلب منه مدداً.. وأبو بكر رضي الله عنه ما زال يفكر فيمن يجعلهم أمراء على الجيوش التي يعدها لفتح الشام، فهذه مواقف خطيرة أسست لدولة الإسلام الكبرى لم يقدم الصديق رضي الله عنه على تنفيذ مراحلها إلا بعد مشاورات مكثفة مع الأنصار والمهاجرين ووجوه الأمة ممن حوله، واستمر خليفة رسول الله ﷺ يحث جنده وقادته على التخلق بهذا الخلق الكريم وتفعله في الأمة في عامة المواقف التي تعترض طريق نهضتها وبنائها.

ومن صور الشورى في عصر خليفة رسول الله ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وهو يؤكد أهمية الشورى في خلافة الصديق رضي الله عنه فقال: ثم كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ شاور في أمر الحرب فعليك به<sup>(١)</sup>. أي التزم الشورى قبل الإقدام على أي أمر، وهذا ما كان يعمل به الولاة وقادة الجند في عصر خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه حتى أصبح ذلك خُلُقًا ثابتًا جنت الأمة ثماره الطيبة المباركة فتوحًا وانتصارات وعدلاً ورفاهًا وأمنًا وسلامًا وقبولًا ومحبة في كل أرض تحل بها جيوشها.

ولما استمده خالد رضي الله عنه ببعض الجند أرسل إليه خليفة رسول الله القعقاع بن عمرو رضي الله عنه فسأله بعض أهل الشورى: يا خليفة رسول الله، أتمد رجلاً ازفص عنه جنوده برجل واحد؟! قال: لا يُهزم جيش فيه مثل هذا. ثم كتب إلى خالد مع القعقاع: استنفر من قاتل أهل الردة ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله ﷺ ولا يقاتلن معكم أحد ارتد

(١) الطبراني: المعجم الكبير، ١/٦٤.

حتى أرى رأيي<sup>(١)</sup>.

ولم يكن خليفة رسول الله متبعًا متجمد الاتباع، ولكنه كان مجددًا، ينظر إلى الأحداث المتجددة بروح الواقع الذي يعيشه ويقيس على ما مر به من تجارب مماثلة وكيف كان قائده رسول الله ﷺ يعالج المعضلات التي تمر بالأمة، فكان يحسن التفرقة بين التجديد والابتداع فأجاب على ما طرحته الحياة عليه من أسئلة، وما استحدثه العصر من أفضية، بما كان الرسول ﷺ حريًا أن يأخذ به ويعمله، فيستنبط الوجه الجديد مما لم يجد له حكمًا في الكتاب أو السنة بابتكار المجتهد الفطن النبيه: فهو أحيانًا يشحذ عقول الصحابة ليجمعوا على حكم فيقضي به، أو يستنبط قضاء يتحرى فيه هدف الشريعة: وهو تحقيق المصلحة وتحصيلها.

وأحيانًا يقر اجتهاد أحد الصحابة، ولا سيما الفاروق عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وكانا أكثر الصحابة اجتهادًا. وقد اعتاد خليفة رسول الله ﷺ كلما اجتهد برأيه أن يقول: هذا رأيي، فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني، وأستغفر الله<sup>(٢)</sup>.

ليس للخليفة حصانة خاصة به إذا خالف الكتاب والسنة، وهذا لم يحصل إلا أن الشعور بالمسؤولية أمام الله وأمام المسلمين كان هو الهم الذي ينوء تحته قادة الأمة في عصر الخلافة.

فقد كان من حق الأمة مراقبة تنفيذ القرارات ومن ثم لكل مسلم حق النقد المشروع والاقتراح والسؤال عن أي ظاهرة يراها تثير اهتمامه ولا يجد لها تفسيرًا في دستور الكتاب والسنة. وهذا ما أقره الخليفة في أول خطبة ألقاها على أبناء أمته قائلاً: «إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة» وهو في هذا يشترط على نفسه أن يكون صادقًا مع ربه ومع أمته ومع نفسه، ويشترط على الأمة أن تكون صادقة مع ربها ومع نفسها

(١) الشرقاوي: الصديق أول الخلفاء، ١٢٦.

(٢) ينظر: الشرقاوي: الصديق أول الخلفاء، ٢٠٩.

ومع خليفة المسلمين فلا تغشه ولا يغشها ولا تنافقه ولا ترائيه، بل تعينه إذا أحسن وتقومه إذا أساء بالنقد والتوجيه والإرشاد<sup>(١)</sup>، وهذا ما لم تحتجبه الأمة مع خليفة رسول الله ﷺ؛ لأنه كان مقومًا راشدًا قويًا أمينًا، بل كان أمة وحده رضي الله عنه ومن أهم أعماله التي كان يقوم بها:

١- إمامة المسلمين في الصلاة والقيام على متابعة شؤون الشعائر الإسلامية كما جاء بها رسول الله ﷺ.

٢- جمع القرآن الكريم: إذ تعد هذه الفضيلة من أهم الأعمال الجليلة التي قام بها الصديق رضي الله عنه، والتي كان لها أثرها البعيد في حفظ كيان الأمة المسلمة على مر القرون، وقد قام رضي الله عنه بجمع القرآن الكريم حرصًا على ألا يتطرق إليه أي تبديل أو تغيير، أو تختلف الأمة فيه كما اختلف اليهود والنصارى في كتبهم.

وذلك أن رسول الله ﷺ حين انتقل إلى الرفيق الأعلى لم يكن قد جمع القرآن في مصحف واحد، وإنما كان القرآن آنذاك متفرقًا في صدور الرجال. وقد كتب الناس منه في صحف وفي جريد وفي لخاف وفي خزف وغير ذلك. وعن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر رضي الله عنه بعد مقتل أهل اليمامة، فقال: يا زيد بن ثابت أنت غلام شاب عاقل، لا تنهك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن، فاجمعه<sup>(٢)</sup>. وقد قام زيد رضي الله عنه ومن معه بذلك خير قيام وأتمه وأكمله وقدم بذلك خدمة للأمة ما زالت تستقي الأجيال من فضائلها علوم القرآن كما أنزلت على رسول الله ﷺ، لا يشك في ذلك إلا عدو لله ولرسوله وللمؤمنين.

(١) ينظر: جمال ووفاء: استخلاف أبي بكر الصديق، ٢٠٦.

(٢) ابن حنبل: المسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، باب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح ٥٨.

- ٣- قيادة الجهاد لحماية الأمة ونشر عقيدتها في العالمين وكان يقوم بذلك أمراء الأجناد في بلاد الفتح وبتوجيهات وتوصيات خليفة رسول الله ﷺ، فكانوا يتولون أموره وما فيه من مهام مختلفة بأنفسهم، أو ينيبون غيرهم في بعض المهام كتقسيم الغنائم، أو المحافظة على الأسرى أو غير ذلك.
- ٤- إدارة شؤون البلاد المفتوحة، وتعيين القضاة والعمال عليها من قبل الأمراء أنفسهم وإقرار من الخليفة رضي الله عنه، أو تعيين منه عن طريق هؤلاء العمال<sup>(١)</sup>.
- ٥- أخذ البيعة للخليفة، فقد قام الولاة في اليمن وفي مكة والطائف وغيرها، بأخذ البيعة لأبي بكر رضي الله عنه من أهل البلاد التي كانوا يتولون عليها.
- ٦- كانت هناك أمور مالية توكل إلى الولاة أو إلى من يساعدهم ممن يعينهم الخليفة أو الوالي لأخذ الزكاة من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء، أو أخذ الجزية من غير المسلمين و صرفها في محلها الشرعي، وهي امتداد لما قام به ولاة الرسول ﷺ.
- ٧- تجديد العهد القائمة من أيام الرسول ﷺ، حيث قام والي نجران بتجديد العهد الذي كان بين أهلها وبين الرسول ﷺ بناء على طلب نصارى نجران<sup>(٢)</sup>.
- ٨- إقامة الحدود وتأمين البلاد وحمايتها وإفاضة العدل على الجميع؛ ليتفرغ الناس لأعمالهم وعباداتهم وطلب العلم أو الجهاد في سبيل الله، والإسهام في نشر العلم، والدعوة إلى الإسلام، وكل ذلك كان يتم في جو من التوافق والتشاور وروح الاحتساب والتفاهم والحب والتقدير المتبادل، دون الشعور بالتسلط على الناس أو تسلط الخلافة على الولاة، بل كان الكل يتسلح بروح التنافس والشعور بالمسؤولية والرغبة في الأجر والمثوبة<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق، ١/٥٩. الصلابي: أبو بكر الصديق، ١٦٤.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣/١٦٥.

(٣) ينظر: الصلابي، أبو بكر الصديق، ١٦٥.

وبذلك تتجلى أسس التوجهات الإدارية في خلافة الصديق رضي الله عنه من خلال التمسك بمنهاج النبوة وتأسيس المحاور التي تنطلق منها قيادة الأمة في كيانها السياسي وهويتها الإسلامية ومسارها الإداري الذي اتضح فيما يلي:

أولاً: تعيين أمراء الأمصار وقادة الجيوش وما يتبع أولئك من أركان الإدارة لكل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية.

ثانياً: إعلان السياسة المالية على أسس من المساواة المطلقة بين جميع أبناء الدولة السابقين والمتأخرين والسادة والرقيق والرجال والنساء.

ثالثاً: اكتفاء الخليفة بما خصص له وبما يكفي أسرته كأوسط ما يعيش أهل الإسلام مقابل التفرغ التام لخدمة الأمة بأجمعها وفي كل شؤونها، فبقي خليفة رسول الله ﷺ على حاله قبل الخلافة، دون أن يغير من أخلاقه، أو عاداته، أو مظهره، أو مركبه، أو مسكنه، فلم يتخذ قصرًا، ولا مركبًا خاصًا به، ولا حراسة، ولا حجابًا، بعكس ما يفعله عبيد الدنيا من نهب حقوق الناس بما يفرضونه عليهم من المكوس وألوان الضرائب وتخصيص ريع ذلك لخدماتهم ومفاسدهم وبما يشغلهم من اللهو والبطالة ويعيقهم عن أداء الواجبات، بدلًا من تفقد أحوال الناس والسهر على مصالحهم وخدمة دينهم وحماية عقيدتهم.

ولعل في هذه السياسة الراشدة التي قادها خليفة رسول الله الحجة الظاهرة على كل من يتولى شأنًا من شؤون المسلمين، من الحكام وزعماء التجمعات والأحزاب والتقابات والجمعيات الخيرية بما يلي ذلك قادة الحركات الإسلامية والعلماء وأصحاب الاتجاهات الرسمية المتمثلة في أصحاب الفتاوى والذين يجعلون لأنفسهم الوصاية على الناس.

فإذا كان الصديق رضي الله عنه امتثل هذه السياسة وأثبت نجاحها في قهر الرفض والردة وزلزلة الطغيان والهيمنة والظلم؛ ونشر العدل والأمن ورسم هذه السياسة الراشدة في كل زوايا الدولة على الوجه الذي أقره الشرع ونفذه خليفة رسول الله ﷺ على نفسه وأهله، وعلى أمراء الناس ووجهاء الأمة وقادة الجيوش والعلماء وغيرهم من عامة أبناء المجتمع

الإسلامي، فأزالوا بذلك كل العوائق التي تحول بين الناس وبين نيل حقوقهم، وأغلقوا الأبواب أمام كل متنفذ وجشع يسعى بأنانيته إلى الهيمنة والكسب الرخيص على حساب الأمة ودماء أبنائها.

إن الأمة في هذا العصر بأمس الحاجة إلى قائد يتبنى هذه السياسة ويقر معانيها في نفوس الناس وفي المؤسسات وفي الدوائر الرسمية والشعبية؛ حتى يصبح ذلك خُلُقًا يتخلق به المسلمون في كل شؤون حياتهم، ولعل تبني هذه المسألة الأساسية في سُلْمِ الإصلاح المعاصر يظهر أسباب الفشل العام الذي يسود التوجهات التي تزعم الإصلاح وتدعو إلى التجديد بما في ذلك الحركات الإسلامية وزعمائها التاريخيون الذين يتمسكون بما يتمسك به العلمانيون من المواقع والمكاسب حذو القذة بالقذة إلا من رحم الله تعالى وقليل ما هم، مما يجعل من سياسة الصديق رضي الله عنه ميزانًا يقاس عليه أذعياء الإصلاح الذين أمضوا عشرات السنين وهم يدورون حول مصالحهم وما يحقق مكاسبهم الرخيصة على حساب الدين والأمة.

ولا أدري بأي وجه يقوم بعض زعماء الحركات الإسلامية في هذا العصر بسلب حقوق العامة من أبناء دعوتهم وسن القوانين الظالمة التي تسحق الأنصار وتطغي الأتباع وبما لا يقبل تأويلًا ولا اعتذارًا؛ لأن ذلك شُرِّعَ بعد ترصد وإصرار ودراسة وتحايل يطمس وجوه السلب والارتزاق اللا مشروع باسم القيادة والمصالح العامة وما إلى ذلك من الزيف والفرى.

ولعل مما يثير العجب والسخرية في آن واحد، هو حديث كثير من المحتالين عن منهج الإصلاح الإسلامي، وهذه سواتهم بادية، وعوراتهم مكشوفة، وعجزهم بين، وعيوبهم لا تختلف عن عيوب الطغاة والجبابرة إلا بالمسميات، ولا يمنعهم من تنفيذ مناهج الظلمة والمتسلطين سوى قصور اليد، وعدم موآاة الظروف لتنفيذ ما في النفوس من نزعات جاهلية لم يغير منها الانتماء إلى الحركات الإسلامية شيئًا، بل سُخرت كثير من الشعارات لتخدم أولئك الأذعياء الذين يزعمون الإصلاح والتغيير وهم يدينون بمناهج من شردهم وأقصاهم

ونكبهم، ولم يتغير من ذلك سوى المسميات، فالحزبية قائمة والإقليمية هي الدعوة التي ترفع أيام ما يسمى بالانتخابات، وتشكيل القيادات، وما يتبع ذلك من التفاوض على تقاسم المسؤوليات وحفظ المنافع بما لا يدع مجالاً للشك في أن هذه النفوس التي لم تغادرها أهواؤها قيد أنملة؛ لو وليت أمور الأمة لما زادتها إلا خبألاً، والطامة الكبرى أن ذلك سيشرع له زوراً وبهتاناً باسم الدين ومصلحة الأمة كما هو حاصل بين الغوغاء التي تزعم قيادة الحركات الإسلامية المعاصرة وهي لا تميز بين السنة والردة ولا بين الاتباع والابتداع، بل أصبحت بركوعها لأعداء الكتاب والسنة في وإدِّ والعقيدة في وإدِّ آخر!!

وبالطبع لا يقاس على هذه المعاني من يعلن بملء فيه أنه علماني، وأنه لا يرتضي شرع الله ورسوله ﷺ منهجاً للإصلاح، وهو مقلد لسنن الغرب العلماني أو الصليبي في رذائل الأخلاق من الإباحية والاختلاط وإحلال الخمر والسفور والقمار والربا ونهب الثروات وركاز الأرض وما إلى ذلك، في ذات الوقت الذي يحرم على الأمة حرية طلب العلم وتشجيع الصناعة والتجارة، وما يؤدي إلى رفاهية المجتمع وتأسيس بنيانه على الهدى والعلم وتحمل المسؤولية وأداء الأمانة، ومن هنا فإنه بإمكان المتابع أن يعلم القيود التي ما زالت تكبل المجتمعات الإسلامية، وتمنعها عن الحركة والتقدم والوحدة والرقى، فيعلم الناس حينها الفارق بين سياسة خليفة رسول الله ﷺ وسياسات المبطلين الذين أعرضوا عن سنة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم.

ومن هذه المقارنات يظهر التفاوت الهائل بين من يقلد الغرب بسياساته المادية مجردة عن قوانينه الصارمة، بما يجلبه ذلك على الأمة من الإرهاق والعنت وضيق الحياة وموت الضمائر وانعدام القانون الرادع الذي يخضع له الجميع في الغرب، وبين من يؤثر سياسة رسول الله ﷺ ومناهج خلفائه الراشدين؛ وما تجنيه الأمة من ثمار عدل الاحتكام إلى الشرع ومساواة الناس وزرع الثقة في النفوس وما ينتج عن ذلك من نشر السلام والاستقرار والانطلاق نحو آفاق المستقبل المشرق.

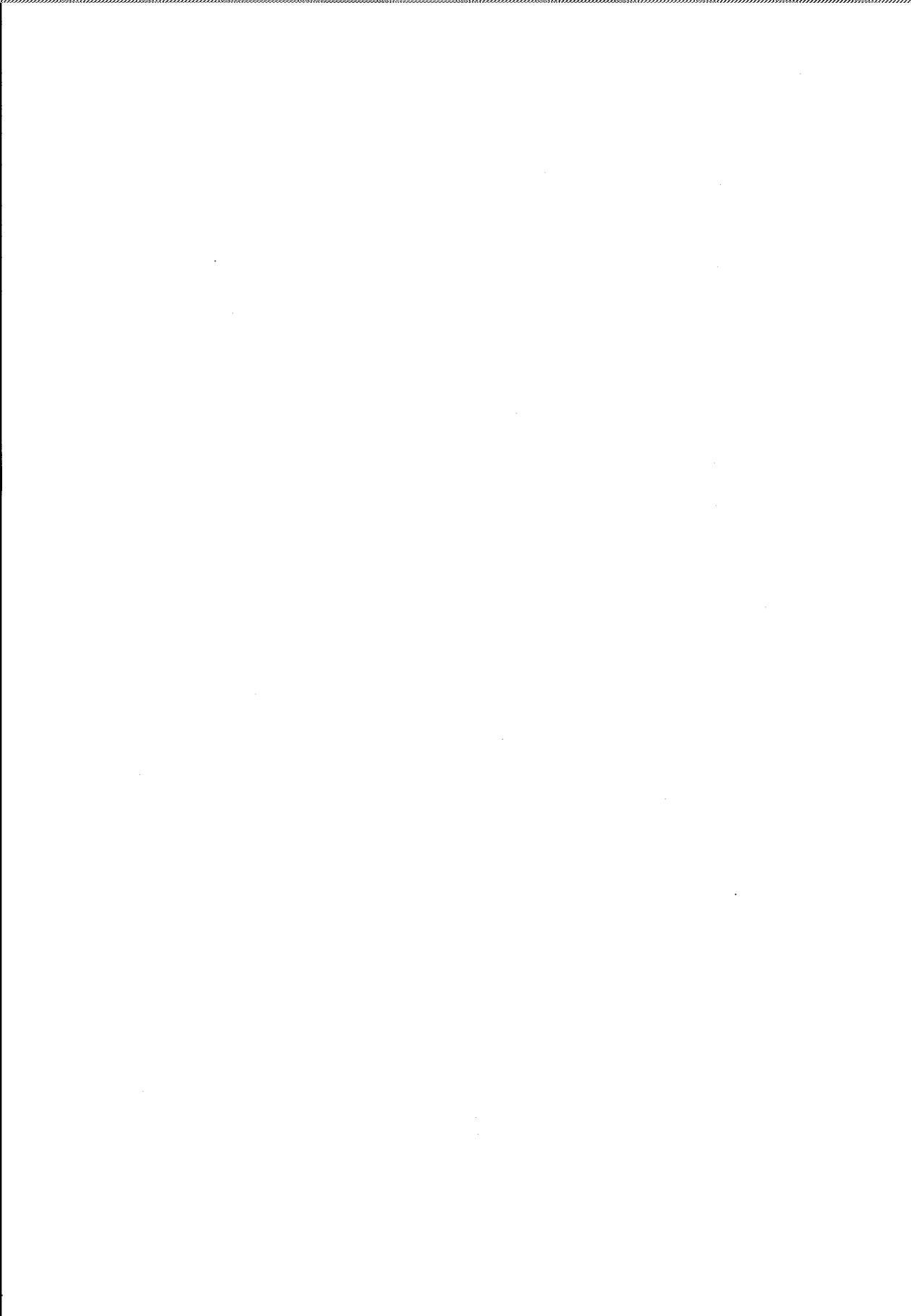
فكان من الطبيعي أن يحرص خليفة رسول الله ﷺ على الأمراء والقادة الذين ولاهم النبي ﷺ على الأمصار، ثقة منه أنهم خير الأمراء، وأن إقرارهم في المكان الذي أقرهم فيه النبي ﷺ إنما هو استمرار لإدارة النبي ﷺ وسياسته، فبلغ من حرصه رضي الله عنه الاحتفاظ بمن أمرهم الرسول ﷺ؛ إذ كان يرجو بقاءهم في مهامهم، فلما بلغه أن خالدًا وأبان وعمراً أبناء سعيد بن العاص رجعوا من عمالتهم حين توفي رسول الله ﷺ، التقاهم الصديق رضي الله عنه، وقال لهم مستفسراً: ما لكم رجعتم عن عمالتكم؟ ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ، ارجعوا إلى أعمالكم. فقالوا: نحن بنو أبي أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ أبداً. ثم مضوا إلى الشام فقتلوا جميعاً هناك<sup>(١)</sup> بعد أن لحقوا بكتائب المجاهدين ﴿فَأَنَّهُمْ لَأَنَّ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. مؤثرين الجهاد على الديار والأولاد والإمارة التي يصطرع عليها الناس، ولا سيما في هذا العصر، فيداهنون على حساب الدين والأمانة، وينافقون للجبارة والظلمة، ويكتمون الحق في سبيل الوصول إلى أي إمارة حتى قال قائلهم: يا حبذا الإمارة ولو على الحجارة. قال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنَنْتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) الباكستاني: عصر الصديق، ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.



## المبحث الرابع

### في الشؤون المالية

#### إنفاق أبي بكر رضي الله عنه ماله كله في سبيل الله:

لم يعرف عن أحد من الصحابة أو غيرهم أنه أنفق ماله كله ولم يبق لنفسه ولا لعياله شيئاً سوى خليفة رسول الله رضي الله عنه، بل إن بعض الصحابة حاول أن ينفق الكثير من ماله أو يوصي بأكثر ماله، إلا أن رسول الله ﷺ لم يقرهم على ذلك، بينما كان يقر خليفته رضي الله عنه على كل ما ينفقه، وقد يكون ذلك إقراراً للحال التي كان عليها أبو بكر رضي الله عنه؛ لأنه مؤهل لتحمل تبعات كل ذلك وأن أهله أيضاً يتحملون تبعات ذلك، وهذا ما لم يتوصل إليه كثير من الناس وإن ارتقوا في أبواب الإنفاق والبدل إلى مراتب عالية سامية. قال ابن عمر رضي الله عنهما: أسلم أبو بكر رضي الله عنه يوم أسلم وفي منزله أربعون ألف درهم، فخرج إلى المدينة من مكة في الهجرة وماله غير خمسة آلاف، كل ذلك ينفق في الرقاب، والعون على الإسلام<sup>(١)</sup>.

وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك ما لا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، قال: فقال لي رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: فقلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله!! قلت: لا أسابقك

(١) ابن عساکر، تاریخ دمشق، ٦٨/٣٠. البلاذري، الشيخان: ٣٣.

إلى شيء أبداً. وروي لما حض رسول الله ﷺ على الصدقات فجاؤوا بصدقات كثيرة، فكان أول من جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه، جاء بماله كله «أربعة آلاف درهم» فقال رسول الله ﷺ: «هل أبقيت لأهلك شيئاً؟» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله<sup>(١)</sup>.

وهذه حال من السمو الروحي والرقى الإيماني والكرم المطلق لم تشتهر وتعرف إلا عن خليفة رسول الله ﷺ وما سطره من مواقف تفردها بين المؤمنين، ولا شك أنها مزينة باقية إلى الأبد تدعو المؤمنين إلى الاهتداء والافتداء بما فعله أبو بكر رضي الله عنه، وإلى تقديم المال لنصرة الكتاب والسنة، ولا سيما في هذا العصر الذي أقصيت فيه السنة، وأبعدت عن واقع الناس، فعندما رأى ذلك غيارى المؤمنين وأبطالهم مدوا أجسادهم وقلوبهم لتكون جسوراً لعودة السنة إلى قيادة الحياة؛ فصبروا على الأذى وقتلوا وسجنوا وشردوا بعد أن أدوا ما في أعناقهم تجاه سنة نبينهم ﷺ، فبقيت التبعات على من يستطيع أن يمد هذه الجسور بقوة البقاء والديمومة، ولا أقدر على ذلك من أهل الأموال، ولكن ببالغ الأسف فإن المتابع لوجوه دعم سنة رسول الله ﷺ لا يمكنه إلا أن ينعى على أهل السنة غياب جانب الجهاد بالمال على الوجه الصحيح إلا عند من رحمه الله تعالى منهم مع تكديس الأموال عند الكثيرين على نحو لم يحصل في تاريخ الأمة من قبل، أما ما يعطى للجمعيات وما هو على شاكلتها فهذا يدخل في باب النظام الرسمي الذي لم يأت على الأمة بغير الإعلام والبهارج وما يدخل في دائرة إرضاء الآخرين، ولا سيما أعداء السنة الذين كثروا وطغوا في هذا العصر حتى أصبحت الأموال تقدم إليهم قرباناً من الكثيرين الذين يزعمون أنهم من أهل السنة، فتذهب تلك الأموال لتكون حسرة على أهلها الذين لم يضعوها في مواضعها. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

(١) البخاري: بفتح فتح الباري (٤٤١٩)، ومسلم: صحيح مسلم، (٢٢٨٦ - ٢٩٨٠)، ابن حنبل: المسند، ٩/٢، ٥٨، ٧٢، ٧٤، ١١٣، ١٣٧، البيهقي: دلائل النبوة، ٥/٢٣٣، السنن، ٤٥١/٢، الطبراني: المعجم الكبير، ١٢/٤٥٧، الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٥/٤٣٦.

إِنَّ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿١﴾. فما فائدة مال من يزعم الإيمان إذا كان ذلك المال حرباً على السنة وأهلها الذين يعانون تحت وطأة التحالفات الماكرة بين الكفر وأعداء السنة النبوية، مما ينذر بعقاب الحرمان من كل خير، حيث إن الله تعالى أعطى وتفضل وزاد في العطاء، واستخلف على ما أعطى فلم تؤدَّ الأمانات ولم تعطَّ الحقوق، بل وجهت أموال عامة المسلمين على غير وجهها الصحيح وسخرت لحرب الله ورسوله ﷺ في كثير من المواقف، مما يدعو إلى تنبيه كل صاحب مال من أهل السنة أن ينظر ماذا قدم من ماله لنصرة السنة النبوية، وأن يعلم أن إمام السنة وقائدها أبا بكر رضي الله عنه أنفق ماله كله في سبيل إعزازها وسيادتها، فكان من ثمار ذلك أن أعزه الله وأعز أمته وأخلف عليهم أضعاف أضعاف ما أنفقوا، ونحن في هذا العصر الذي تُحاصر فيه السنة من أعدائها الذين يبذلون لحصارها واستباحة أهلها كل ما يملكون، وهم لا يرجون من الله ما يرجوه أهل السنة، لا يسعنا إلا أن نذكر وندعو بالحاح إلى إحياء منهج الصديق في هذا الباب لإغاثة الأمة وإمداد حماة السنة المدافعين عنها في كل مصر وفي كل عصر، وتفريغ أنصارها من هموم الرزق والعمل، وحثهم على الثبات والصبر في مواطن المحن، وعلى طلب العلم لحراسة السنة وحماية أهلها ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ﴾ (٢)، ووجوه نصرته السنة المطهرة كثيرة سلكها خليفة رسول الله ﷺ بقوة واقتدار؛ مبتغياً في كل ذلك وجه الله تعالى. ومن أهم تلك الوجوه:

### إعتاق المستضعفين:

النفوس السامية لا تقبل الظلم ولا ترضى أن يطال الحيف أحداً من الناس وهذا هو حال الصديق في كل أطوار حياته رضي الله عنه لا يقبل الظلم ولا يقف مكتوفاً أمامه كما يفعل ذلك الكثيرون من المهزومين الذين يزعمون أنهم من أهل السنة والجماعة عندما يرون أبناء أهل القرآن والسنة ينكل بهم بكل أشكال التنكيل وتراهم يصفقون للقاتل الذي لا يميز

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٦.

(٢) سورة محمد، الآية: ٣٨.

بين من يدعو له وبين من يدعو عليه حال تمكنه، ولكن الغوغاء لا يفقهون<sup>(١)</sup> أولئك الذين

(١) ولعل الذي سمع ليلة ١٣/٨/٢٠٠٦ في برنامج الشريعة والحياة، على قناة الجزيرة نائب رئيس ما يسمى باتحاد علماء المسلمين العالمي ومحاولاته المستميتة لتزييف الحقائق القائمة على الأرض وتمجيده لأعداء السنة من الرافضة، وتعاميه عن كل ما يصدر من صحبته استغاثة من أهل السنة في جنوب لبنان وجنوب العراق وما يعانونه على أيدي الرافضة الحاقدين وما يعانيه أهل السنة من ظلمهم وغدرهم وبهتانهم، وتغافله التام عما أوصى به علماء السلف من أمثال البخاري والشافعي وأحمد وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وغيرهم من الحذر من غدر الرافضة، وتغافله عن كل ما قاموا به سابقاً وحاضراً من ولاء وتحالف مع الصليب وغيره من الغزاة، يتضح له أن عامة الشر الذي يعانيه أهل السنة من بغي وظلم وخسة ما يقوم به الرافضة إنما يتحمل الكثير من أوزاره ما يسمى ظلمًا علماء السنة الذين يفتقدون إلى موالاة السنة النبوية وأهلها، والذي يصغي إلى كثير منهم يجزم أنهم لم يسمعوا بشيء اسمه الغيرة على السنة وأهلها التي كان عليها أبو بكر وعمر والصحابة رضي الله عنهم وأنهم يعلمون أن ما يقولونه عن التقريب بين الردة والسنة النبوية إنما هو من الخداع والتخدير والغش لأهل السنة. حيث كان يهرف بالباطل، والواقع يؤكد أنه ينطق بالزيف حيث تزامن حديثه مع نشر هذا الخبر المفجع في الفضائيات والجرائد. جريدة الشرق القطرية: ١٣/٨/٢٠٠٦ ص ١٣. ولعل هذا الخبر وغيره يؤكد عمق المأساة التي يعاني منها أهل السنة وترد على كل زيف يروج له المبطلون الغششة والخبر هو: مذبحه في حي للعرب السنة (العكيدات) ترتكبها ميليشيات شيعية مسلحة بغطاء أممي حكومي، بغداد - قدس برس: ١٤/٨/٢٠٠٦ م. هاجمت ميليشيات شيعية مسلحة تنتمي إلى «جيش المهدي» الجناح المسلح للمتعصب مقتدى الصدر حياً سنيًا (الطوبجي الذي يسكن فيه أبناء قبيلة العكيدات السنية) في العاصمة بغداد أمس، وقامت بقتل وحرق وسلب منازل العديد من أبناء المنطقة، في وقت قال فيه مصدر حكومي: إن الأهالي هربوا من ديارهم ووصلوا إليه حفاة من هول ما فعل بهم الشيعة. وقال مراسل لوكالة «قدس برس» في بغداد: إن ميليشيات شيعية مسلحة وبأعداد كبيرة هاجمت منطقة الطوبجي الواقعة على الجانب الغربي لنهر دجلة وسط بغداد، مستخدمة سيارات تابعة لقوات الشرطة وتحديداً لمركز شرطة الحرية المجاور، وكانت ترتدي زي تلك القوات، موضحاً نقلاً عن شهود عيان من أهالي المنطقة أن هذه العناصر دخلت إلى المنطقة التي تخضع لإجراءات أمنية مشددة من قبل قوات الحرس الوطني والقوات التابعة لوزارة الداخلية الشيعية، حيث سمحت لهم تلك القوات بالدخول إلى المنطقة، ومعهم أسلحة مختلفة من بينها قاذفات من نوع «آر بي جي ٧»، حيث قامت تلك العناصر بالهجوم على جامع الزيدان ومحاصرته، كما قامت تلك العناصر بالدخول إلى منطقة =

أسهموا في جلب عامة الشر الذي يعاني منه أهل السنة في كل محنة بتخاذلهم وجهلهم ونفاق البعض منهم، ولا سيما الذين ينتمون إلى مواقع رسمية يجنون من ورائها مكاسب من السحت؛ ليكونوا شهود زور، ودعاة زيف وباطل، على حساب الدين وروابط الإيمان، ألا فليحذر كل مسلم يجري في دمه حب السنة النبوية من هذا الصنف الذي يساوي بين الفاروق وقاتليه وبين السنة والردة، ولينظر إلى واقع الأحداث وما يجري لأهل السنة في هذه الأيام وليوازن بين مواقف علمائهم وحكامهم وبين مواقف وحكام أعداء السنة ليستقي العبر والدروس وليعيد صياغة الولاء والبراء في النفوس من جديد كما فعل ذلك الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

= العكيدات والتي تضم العشرات من منازل عشيرة العكيدات السنية، وقامت بقتل العشرات من أبناء المنطقة وجرح آخرين في وقت تم تهجير الأهالي من منازلهم وقامت تلك العناصر بسلب المنازل وحرقتها، في حين وقفت قوات حكومية عند مداخل المدينة مانعة خروج أو نجاة أحد من الأهالي بمن فيهم النساء والأطفال، حيث تم قتل عدد من النساء من قبل تلك الميليشيات بعد أن طالبن بإطلاق سراح أبنائهن. وعلم مراسل الوكالة أن تلك الميليشيات قامت باعتقال العشرات من أبناء المنطقة وتم نقلهم إلى مقر تابعة للتيار الصدري في مناطق شرق العاصمة بغداد، وحسينيات تتخذ كمواقع لاعتقال العشرات على الهوية. في غضون ذلك قال مصدر رسمي: إن تلك العناصر المشبوهة أصبحت أداة بيد جهات لها أجندة إقليمية تقوم بتنفيذ ما تريد منها مقابل «حفنة من الدولارات». وكانت الطوبجي وهي حي السلام الذي يقطنه العكيدات تعرضت خلال اليومين الماضيين إلى هجمات مماثلة من قبل ميليشيات تنتمي إلى التيار الصدري الرفض، وغطاء رسمي حكومي شيعي. ينظر: جريدة الشرق القطرية: ١٤/٨/٢٠٠٦ ص ١٣. ولا غرابة في كل ما يفعله الرفض مع شناعته وانحطاطه، ولكن الغرابة في عامة ما يقوله ويفعله ما يسمى بعلماء السنة الذين تجرد الكثير منهم من الغيرة على دينهم وهويتهم مما يؤكد: أن كل عالم يزعم أنه من أهل السنة وليس له موقف من جرائم الرفض ومن تكفيرهم للصحابة واستباحتهم لأهل السنة فهو لا يؤمن ولا يصدق ولا يسمع لقوله، وقد يكون أداة بأيديهم يتلبس بلبوس أهل السنة، وأيضاً يجب صياغة المناهج التي يتلقاها أهل السنة ووجوب تأصيلها على أساس حب السنة والبراءة التامة والحدز الكامل من رافضيها، وأن كل من يزعم أن السنة والرفض سيلتقيان في يوم من الأيام فإنما هو الآثم الخاطيء المضيع لأمة ولعقيدته والمنتصل من مسؤولياته وإنسانيته.

أما خليفة رسول الله ﷺ فكانت تتجسد فيه شخصية المؤمن الكيس الفطن، فلم يستطع أن يخدعه أعداء السنة من المتبئين الكذابين إخوان مسيلمة والأسود العنسي، ولا مشركو قريش من قبل بما لديهم من التملق السياسي والجمال اللفظي لسبب واضح وهو أنه يوالي من يوالي السنة ويعادي من يعاديها، ويُسخر كل طاقاته لنصرة كل محيها حتى لو كانوا من الرقيق المؤمنين، كما فعل مع بلال وإخوانه المستضعفين والمستضعفات، الذين بذل في سبيل خلاصهم من أيدي المشركين الكثير مما يملك.

فهل شكّل أهل الأموال ممن يدعون أنهم من أهل السنة لجاناً إنسانية لإعتاق إخوانهم من أحرار أهل السنة وليس من رقيقهم من سجون أعداء الصحابة ولا سيما في العراق وما حولها، حيث يرى الجميع كيف يساق أهل السنة إلى حتفهم في سجون أعدائهم فلا يعرف عنهم إلا أنهم أخذوا على أيدي أولئك الحاقدين، ثم تغيب تلك الوجوه الطاهرة إلى الأبد على أيدي إخوان دعاة التقريب بين الحق والباطل وبين النور والظلمة.

وقد كان بلال بن رباح واسم أمه حمامة صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح يخرج به إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد. وكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك، وهو يقول: أحد أحد والله يا بلال، ثم يقبل على أمية بن خلف، ومن يصنع ذلك به من بني جمح يومئذ فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً، حتى مر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً، وهم يصنعون به ذلك، وكانت دار أبي بكر رضي الله عنه في بني جمح فقال لأمية بن خلف، ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى. فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك، أعطيكه به. قال: قد قبلت. فقال: هو لك. فأعطاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلامه فأعتقه<sup>(١)</sup>.

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ١/٣٥٤.

وأعتق أبو بكر رضي الله عنه «سبعة كلهم يعذب في الله: أعتق بلالاً، وعامر بن فهيرة، وزنيرة، والنهدية، وابنتها، وجارية بني المؤمل، وأم عبيس»<sup>(١)</sup>. وكان أبو بكر رضي الله عنه يهتم بحال الرقيق المسلم اهتماماً شغل عليه باله واستنفد كثيراً من ماله ولم يبال بما كان ينفق ولا بما كان يعاني من صلف المشركين وكبرهم. قال سفيان: فأما زنيرة فكانت رومية، وكانت لبني عبد الدار، فلما أسلمت عميت، فقالوا: أعمتها اللات والعزى. قالت: فهي كافرة باللات والعزى، فردّ الله إليها بصرها. وأما بلال فاشتراه وهو مدفون في الحجارة فقالوا: لو أبيت إلا أوقية لبعناكه. فقال أبو بكر رضي الله عنه: لو أبيت إلا مائة أوقية لأخذته. وقد يكون ذلك مع الغلام الجلد الذي أعطاهم إياه والله أعلم. قال: وفي أبي بكر رضي الله عنه نزلت الآية: ﴿وَسَيَجَنَّبُهَا الْأَتَمَّى (٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾<sup>(٢)</sup> إلى آخر السورة. وقد ثبت بالتواتر أن أبا بكر رضي الله عنه أنفق ماله في سبيل الله، وأنه مقدم في ذلك على جميع الصحابة.

وكان بلال رضي الله عنه إذا اشتد عليه العذاب قال: أحد أحد. فيقولون له: قل كما نقول. فيقول: إن لساني لا ينطق به ولا يحسنه. قال البلاذري: وروي أن بلالاً قال: أعطشوني يوماً ليلة ثم أخرجوني فعذبوني في الرمضاء في يوم حار. وروى البلاذري بسند صحيح عن محمد بن سيرين. قال: لما أسلم بلال أخذه أهله فقمطوه وألقوا عليه من البطحاء، وجعلوا يقولون: ربك اللات والعزى. فيقول: أحد أحد. فأتى عليه أبو بكر رضي الله عنه فقال: علام تعذبون هذا الإنسان؟ فاشتراه بسبع أواق وأعتقه. فذكر ذلك للنبي ﷺ أنه قد اشتراه فقال: «الشركة يا أبا بكر»<sup>(٣)</sup>. فالله أعلم أي ذلك كان؛ فهو استبدال بلال بعبد لأبي بكر رضي الله عنه؟ أم أنه اشتراه من ماله؟ أم أن كل ذلك كان؟ وهذا كله لا يغير في الحقيقة شيئاً، بل يؤكد أن خليفة رسول الله ﷺ كان كله غيرة وحمية على الدين وأهله وأنه كان على أهبة الاستعداد لخوض غمار كل بحر ينصر من خلاله سنة النبي ﷺ ومنهجه الذي سار عليه ودعا إليه في حياته ﷺ وأهلها الذين آمنوا بها واختاروها.

(١) الصالحى: سبل الهدى، ٣٤٨/١٢. (٢) سورة الليل، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٣) الصالحى: سبل الهدى، ٣/٣٦٠.

وممن أعتقهم الصديق رضي الله عنه أبو فكيهة، واسمه أفلح، ويقال: يسار. وكان عبدًا لصفوان بن أمية فأسلم حين أسلم بلال رضي الله عنه، فمر به أبو بكر رضي الله عنه وقد أخذه أمية بن خلف فربط في رجله حبلاً وأمر به فجر ثم ألقاه في الرمضاء فمر به فجعل فقال: أليس هذا ربك؟ فقال: الله ربي خلقتني وخلقك وخلق هذا الجعل. فغلظ عليه وجعل يخنقه ومعه أخوه أبي بن خلف يقول: زده عذاباً حتى يأتي محمد ﷺ فيخلصه بسحره. فأخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيداً إلى الرمضاء ووضع على بطنه صخرة فدلع لسانه فلم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات، ثم أفاق فمر به أبو بكر رضي الله عنه فاشتراه وأعتقه. وروى ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: كان أبو فكيهة يعذب حتى لا يدري ما يقول. ومنهم عمار بن ياسر وأبوه وأمه سمية وأخوه عبد الله رضي الله عنهم، فقد روى البلاذري والبيهقي عن مجاهد قال: أول من أظهر الإسلام أبو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر رضي الله عنه فمنعه قومه، وأما الآخرون فألبسوا دروع الحديد وصهروا في الشمس حتى بلغ الجهد منهم، وجاء أبو جهل إلى سمية فطعنها في قبلها فهي أول شهيدة في الإسلام<sup>(١)</sup>.

وأعتق أبو بكر رضي الله عنه ممن كان يعذب في الله على الإسلام عامر بن فهيرة، وكان للطفيل بن الحارث أخي أم المؤمنين عائشة لأما أم رومان فأسلم عامر فاشتراه أبو بكر رضي الله عنه فأعتقه، وكان يرعى منيحة من غنم له. وأسلم عامر بن فهيرة قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم. وقال عروة بن الزبير: كان عامر بن فهيرة من المستضعفين من المؤمنين وكان ممن يعذب بمكة ليرجع عن دينه. وقال الواقدي: إن جبار بن سلمى الكلبي طعن عامر بن فهيرة يوم بئر معونة فأنفذ الرمح فيه. فقال عامر: فزت ورب الكعبة. قال: وذهب بعامر علواً في السماء حتى ما أراه فقال رسول الله ﷺ: «فإن الملائكة وارت جثته وأنزل عليين»<sup>(٢)</sup>. وسأل جبار بن سلمى لما رأى من أمر عامر، ما قوله: فزت والله؟ قالوا:

(١) ينظر: الصالحى: سبل الهدى، ٣/ ٣٦١. ابن الجوزي: صفة الصفوة، ٢/ ٦٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٢/ ٥٢.

الجنة: فأسلم جبار لما رأى من أمر عامر وحسن إسلامه<sup>(١)</sup>.

ومنهم جارية بني المؤمل بن حبيب: وكان يقال لها لبيبة، أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطاب وكان عمر يعذبها حتى يفتر فيدعها ثم يقول: أما إنني أعتذر إليك بأني لم أدعك إلا سامة فتقول: كذلك يعذبك ربك إن لم تسلم. فاشتراها أبو بكر رضي الله عنه فأعتقها. ومنهم زينة وهي في اللغة الحصاة الصغيرة. ويروى: زينة الرومية كان عمر قبل إسلامه وأبو جهل يعذبانها. وكان أبو جهل يقول: ألا تعجبون لهؤلاء وأتباعهم محمداً؟ فلو كان ما أتى به محمد خيراً وحقاً ما سبقونا إليه أفسقتنا زينة إلى رشد وهي من ترون؟ وكانت زينة قد عذبت حتى عميت فقال لها أبو جهل: إن اللات والعزى فعلتا بك ما ترين. فقالت وهي لا تبصر: وما تدري اللات والعزى من يعبدهما، ولكن هذا أمر من السماء، وربى قادر على أن يرد بصري. فأصبحت تلك الليلة وقد ردّ الله بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر محمد. فاشتراها أبو بكر رضي الله عنه فأعتقها.

ومنهم أم عيسى: أمة لبني زهرة، وكان الأسود بن عبد يغوث يعذبها فابتاعها أبو بكر فأعتقها. ومنهم النهديّة وابتنتها: وكانت مولدة لبني نهد بن زيد فصارت لامرأة من بني عبد الدار فكانت تعذبهما وتقول: والله لا أقلعت عنكما أو يعتقكما بعض من صباً بكما. فمر بهما أبو بكر رضي الله عنه وقد بعثتهما في طحين لها وهي تقول: والله لا أعتقكما أبداً. فقال رضي الله عنه: حل يا أم فلان - أي تحللي من يمينك. فقالت: حل أنت والله أفسدتهما فأعتقهما. قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا. قال: قد أخذتكما به وهما حرتان، أرجعا إليها طحينها. قالتا: أونفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها؟ قال: وذاكما إن شئتما.

ومنهم أم بلال حمامة. ذكرها أبو عمر ابن عبد البر في الدرر فيمن كان يعذب في الله فاشتراها أبو بكر وأعتقها. وأهملها أبو عمر في الاستيعاب واستدركوها على الاستيعاب. والحاصل مما تقدم: أن أبا بكر رضي الله عنه اشترى جماعة ممن كان يعذب في الله

(١) ابن الجوزي: المتظم، ٣/ ٧٤. ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/ ٢٣٠.

تعالى، وهم: بلال وأمه وعامر بن فهيرة وأبو فكيهة وجارية بني المؤمل «حي من بني عدي» والنهدية وابنتها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار، وزنيرة<sup>(١)</sup> - واسم أبي فكيهة أفلح ويقال يسار - وعمار بن ياسر وأبوه وأمه سمية وأخوه عبد الله<sup>(٢)</sup> وبهذا يتجاوز عدد الذين أعتقهم أبو بكر عدد السبعة المعروف في كتب السيرة بل يكاد يتضاعف ذلك العدد ولا شك أن هذا هو الأقرب لذلك الواقع الذي كان يمر به المؤمنون في مرحلة الاستضعاف آنذاك، حيث ظهر بينهم التضامن والتآزر ووحدة المشاعر إلى أسمى وأعلى ما يمكن أن يصل إليه بين الناس.

ولما كان أبو بكر رضي الله عنه يعتقد كل من يراه من المسلمين واقعاً تحت العذاب نصرة لله ولسنة رسوله ﷺ دون أن يجني من ذلك مكاسب مادية، أثار موقفه ذلك سخرية المشركين الذين لا يرون الدنيا إلا من خلال الدرهم والدينار، كما أثار بعض المشفقين الذين يحبون لأبي بكر رضي الله عنه النصره حتى قال أبو قحافة لأبي بكر رضي الله عنهما: يا بني أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنك فعلت ما فعلت فأعتقت رجالاً جلداء يمنعونك ويقومون دونك؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبت إنما أريد ما عند الله عز وجل. فأنزل الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ آتَىٰ وَأَنْقَىٰ﴾<sup>(٣)</sup> إلى آخر السورة<sup>(٤)</sup>. قال عمار بن ياسر رضي الله عنه يذكر بلالاً وأصحابه الذين أعتقهم أبو بكر رضي الله عنه مما كانوا فيه من البلاء وكان أحد ألقاب أبي بكر رضي الله عنه عتيقاً:

جزى الله خيرًا عن بلال وصحبه  
عتيقًا وأخزى فاكها وأبا جهل  
عشية همًا في بلال وصحبه  
ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل

(١) الصالحى: ٣٦٢/٢. ابن هشام: ٣٥٥/١.

(٢) ينظر: الصالحى: سبل الهدى، ٣/٣٦١.

(٣) سورة الليل، الآية: ٥.

(٤) الطبري: تفسير الطبري، ٢/٦١١. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٣٥/١٥ في سياق تفسير الآيات المذكورة.

بتوحيده رب الأنام وقوله  
 فإن تقتلونني تقتلونني ولم أكن  
 فيا رب إبراهيم والعبد يونس  
 لمن ظل يهوى العز من آل غالب  
 شهدت بأن الله ربي على مهل  
 لأشرك بالرحمن من خيفة القتل  
 وموسى وعيسى نجني ثم لا تمل  
 على غير حق كان منه ولا عدل<sup>(١)</sup>

وروي أنه لما قال أبو قحافة لأبي بكر رضي الله عنه: يا بني أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت ما فعلت قومًا جلدًا يمنعونك فقال له أبو بكر رضي الله عنه: إني أريد ما أريد، أي من الله تعالى<sup>(٢)</sup>، روي أنه نزلت فيه ﴿ وَسَيُحَنِّبُهَا آلُ نَفْيٍ ﴾<sup>(٣)</sup> الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ، يَزَكِّي ﴿<sup>(٤)</sup> إلى آخر السورة<sup>(٤)</sup>.

### إنفاقه في ركائب رسول الله ﷺ:

كانت ناقة رسول الله ﷺ القصواء من نعم بني الحريش ابتاعها أبو بكر رضي الله عنه بأربعمائة، وكانت عند النبي ﷺ حتى نفقت، وهي التي هاجر عليها ﷺ وكانت حين قدم رسول الله ﷺ المدينة رباعية، وكان اسمها القصواء والجدعاء والعضباء. وروي أيضًا عن ابن المسيب قال: كان اسمها العضباء، وكان في طرف أذنها جدع وكانت تسبق كلما وقعت في سباق، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كانت لرسول الله ﷺ ناقة تسمى العضباء، لا تسبق، فقدم أعرابي على قعود له فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه رسول الله ﷺ فيهم. فقال رسول الله ﷺ: «حق على الله تعالى ألا يرفع شيئًا في الدنيا إلا وضعه»<sup>(٥)</sup>. وفي رواية قال: سابق رسول الله ﷺ أعرابي فسبقه، وكان أصحاب رسول الله ﷺ وجدوا في أنفسهم

(١) ابن الجوزي: المتظم، ٤/١٢٧. (٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/٢٣.

(٣) سورة الليل، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٤) ابن كثير: فصول من السيرة، ١/٩٩، ٤٩٣.

(٥) صحيح البخاري: ك. الجهاد والسير، باب إضمام الخيل للسبق، (٢٧١٧). هناد بن السري:

الزهد، ١/٣١٩. سنن البيهقي الكبرى، باب لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل، (١٩٥٣٨).

من ذلك، فقليل له في ذلك، فقال ﷺ الحديث آنفاً.

وأهدى فروة بن عمرو الجذامي إلى رسول الله ﷺ بغلة يقال لها فضة، فوهبها لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان لرسول الله ﷺ حمار اسمه يعفور نفق منصرفه من حجة الوداع. وكانت له بغلة اسمها دلل أهداها فروة بن عمرو الجذامي، وحضر رسول الله ﷺ عليها القتال يوم حنين. قال الواقدي: كانت ناقة رسول الله ﷺ القصواء من نعم بني قشير ابتاعها أبو بكر الصديق وأخرى معها بثمانمائة درهم، فأخذها رسول الله ﷺ وهي التي هاجر عليها، وكانت حين قدم رسول الله ﷺ رباعية، فلم تزل عنده حتى نفقت، وكان اسمها القصواء والجدعاء والعضباء كل هذا كان يقال لها، والقصواء لقطع في أذنها يسير، والعضباء مثلها، والجدعاء النصف من الأذن<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: سألت سعيد بن المسيب عن العضب في الأذن؟ قال: النصف فما فوقه<sup>(٢)</sup>.

### إنفاق أبي بكر رضي الله عنه في بناء المسجد النبوي الشريف:

ولما أراد النبي ﷺ شراء أرض المربرد لبناء مسجده الشريف. قالوا: لا نطلب ثمنه إلا من الله. فسأل عمن يختص بملكه منهم، فعينوا غلامين، فابتاعه منهما أو من وليهما إن كانا غير بالغين، وحيثئذ فيحتمل أن الذين قالوا: لا نطلب ثمنه إلا من الله تحملوا عنه للغلامين بالثمن، فقد نقل ابن عقبة أن أسعد بن زرارة رضي الله عنه عوض الغلامين عنه نخلاً له في بني بياضة من الأنصار وذكر أن أبا أيوب قال: أنا أرضيهما، فأرضاهما، وكذلك معاذ بن عفراء، فيكون بعد الشراء. ويحتمل أن كلاً من أسعد وأبي أيوب وابن عفراء رضي الله عنهم أرضى اليتيمين بشيء فنسب ذلك لكل منهم.

وقد روي أن اليتيمين امتنعا من قبول عوض، فيحتمل ذلك على بدء الأمر، ولكن قال الواقدي: إنه ﷺ اشتراه من بني عفراء بعشرة دنانير ذهباً دفعها أبو بكر الصديق رضي الله

(١)، (٢) الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ١١/ ٤٢٢.

عنه فلعله رغب في الخير، فدفعت العشرة مع أولئك، أو أنه ﷺ أخذ أولاً بعض المربرد في بنائه الأول سنة قدمه، ثم أخذ بعضاً آخر لما سبق أنه بناه مرتين وزاد فيه فكان الثمن من مال أبي بكر رضي الله عنه في إحداهما ومن الآخرين في الأخرى<sup>(١)</sup>.

وقد يقال: إن الشراء وقع من ابني عفرأ، لأنهما كانا وليين لليتيمين، ورغب أبو بكر في الخير كما رغب فيه أسعد وأبو أمامة، ومعاذ بن عفرأ، فدفعت لهما أبو بكر العشرة الدنانير ودفعت لهما من كل أولئك ما تقدم، ولم يقبله ﷺ أولاً لكونه لليتيمين. وذكر البلاذري: أن أسعد بن زرارة عرض على رسول الله ﷺ أن يأخذه ويدفع لليتيمين ثمنه فأبى رسول الله ﷺ ذلك وابتاعه منه بعشرة دنانير، أداها من مال أبي بكر، فيحتمل أنه ﷺ أخذ أولاً بعض المربرد ثم أخذ بعضاً وقد ورد ما يقتضي أن أسعد بن زرارة رضي الله عنه كان قد بنى بهذا المربرد مسجداً آخر، فليست القصة متحدة<sup>(٢)</sup> والشاهد في ذلك أن خليفة رسول الله ﷺ كان حريصاً كل الحرص على ألا يفوته باب من أبواب خدمة الأمة ورعاية السنة وأهلها إلا وله فيه يد بيضاء يدخرها عند الله تعالى وتكون معلماً على مسار ومنهج العاملين في حقول نصرته الدين ونشر السنة المطهرة في العالمين.

### حول سياسته المالية:

كان لخليفة رسول الله ﷺ الصديق رضي الله عنه بيت مال بالسُّنح معروف ليس يحرسه أحد، فقبل له: يا خليفة رسول الله ألا تجعل على بيت المال من يحرسه؟ فقال: لا يُخاف عليه. عليه قفل. وكان يعطي ما فيه حتى لا يبقى فيه شيئاً، فلما تحول أبو بكر إلى المدينة حوله فجعل بيت ماله في الدار التي كان فيها، وكان قدم عليه مال من معدن القبلية ومن معادن جُهينة كثير، وانفتح معدن بني سُليم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فقدم عليه منه بصدقته، فكان يوضع ذلك في بيت المال، وكان أبو بكر رضي الله عنه يقسمه على الناس

(١) الصالحي: سبل الهدى، ٢/٣٤٤.

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ١٢/٣٤٨.

نقراً نقراً، فيصيب كل مائة إنسان كذا وكذا، وكان يسوي بين الناس في القسّم، الحر والعبد والذكر والأنثى والصغير والكبير فيه سواءً، وكان يشتري الإبل والخيل والسلاح فيحمل في سبيل الله، واشترى عامّاً قطائف أتى بها من البادية، ففرّقها في أرامل أهل المدينة في الشتاء، فلما توفي أبو بكر رضي الله عنه ودفن دعا عمر رضي الله عنه الأُمّاء، ودخلَ بهم بيت مال أبي بكر رضي الله عنه ومعه عبد الرَّحْمَن بن عوف، وعثمان بن عفان، ففتحوا بيت المال، فلم يجدوا فيه ديناراً ولا درهماً، ووجدوا خيشة للمال فنُقِضت، فوجدوا فيها درهماً فترحموا على أبي بكر رضي الله عنه<sup>(١)</sup> وهكذا يثبت خليفة رسول الله لمن بعده من قادة الأمة أن الزهد في الدنيا هو أولى علامات السلامة وصحة مسار الحكم ومن أسقطه الدرهم فهو إلى غيره سيكون أسرع في السقوط. وقسم رضي الله عنه قسماً سوى فيه بين الناس، فقال له عمر رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله تسوي بين أصحاب رسول الله وسواهم من الناس؟! فقال أبو بكر رضي الله عنه: إنما الدنيا بلاغ وخير البلاغ أوسعُه وإنما فضلهم في أجورهم<sup>(٢)</sup>.

هذا هو أبو بكر رضي الله عنه الخليفة الإمام والقائد والداعية والمصلح، والمجاهد الحامي للثغور والناشر للأمن والعزة في ربوع المؤمنين، ومعلم الدنيا معاني الانتساب للإسلام، ومعاني روح الحضارة الإسلامية، ومعاني قيادة أصحاب الأنبياء للبشرية، الذين يبنون على أسس التوحيد والعدل والمساواة والزهد والتواضع والتفرغ لخدمة الدين ودنيا المؤمنين وإنصاف الجيران وحتى المحاربين، فلا ظلم ولا تعالي ولا طغيان ولا جبروت، أولئك أصحاب محمد ﷺ فكل من يعاديهم إنما يعادي الله ورسوله ﷺ ومن لا يسير على هداهم فليس منهم ولا من أمتهم، وإذا كان الأمر كذلك فكم هم الأذعياء في هذا العصر ممن نصب شباكه ونشر أصحابه لخداع الناس باسم الإسلام والدين، والإيقاع بهم بين أيدي

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٢٠.

(٢) عمر الشيباني: الزهد، ١/١١٠.

المتفعين والمداهنين ممن عرضوا الكتاب والسنة في أسواق المنافع فلم يفرقوا في موازين أهوائهم بين من يكذب القرآن ويرفض السنة ويشتم الصحابة، وبين من يدافع عن كل ذلك وعن موروث الأمة في العقيدة والفكر والأصالة؛ ما دامت مصالحهم حاصلة وأتباعهم مترفين حتى لو كان ذلك على حساب الأمة والهوية.

أما «إمام الأمة وقائدها» أبو بكر رضي الله عنه حين استُخلف ألقى ماله في بيت مال المسلمين<sup>(١)</sup> معلناً بذلك أن من يتولى أمر الأمة لا يمكن أن يجمع بين منفعه الخاصة وخدمة الأمة ولا ينبغي له أن يعمل في التجارة وينافس الناس على معاشهم، لأنه قد يسخر تشريع المكوس والضرائب على غير ما يحبه الله، وقد يقع في الاحتكار الذي يعمل به كثير من حكام هذا العصر الذين هيمنوا على الشركات وتملكوا الثروات، فأبو بكر يحتسب نفسه ويبدل ماله في سبيل الله لأنه حمل مسؤولية المسلمين، بينما يرى المخلصون في هذا العصر أن كثيراً ممن يزعم الإصلاح يحفظ ماله وينفق على أتباعه من مال المسلمين باسم التفرغ للقيادة والسفر لخدمة المبادئ والمصالح وما شابه ذلك، حتى شمل هذا الداء الكثير ممن يزعم العمل في مجالات خدمة الأمة ونصرة الدين؛ وبما في ذلك أوقاف المسلمين وصدقاتهم وحقوقهم ومصالحهم المالية، التي جمدت نشاطاتها وجفت ثمارها؛ لأن كثيراً من القائمين عليها أخذ يجريها باتجاه الأتباع والأصدقاء ومن هم على وفق هواه في الهيئات، وإن كان السميت الظاهر أنها على حساب أهلها ومستحقيها تحت بعض الأعذار الواهية والأنظمة التائهة المضللة، مما أوجب على كل صاحب نعمة، أن ينظر أين جعل حق الله فيها، وأن يشرف على ذلك بنفسه وأنه لم يعد يجزيه أن يضعها في بعض الأماكن التي ترفع لافتات العمل لخدمة أوقاف المسلمين وصدقاتهم، فمن لم يوصلها إلى أهلها أو يضعها في الأيدي الأمينة المحتسبة فإنه مفرط بحق الله الذي أنعم عليه ولسوف يسألون. قالت أم المؤمنين الطاهرة العالمة الفقيهة الزاهدة الكريمة عائشة رضي الله عنها: والله ما ترك أبو بكر ديناراً

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٢٣.

ولا درهماً ضرب الله سكتته<sup>(١)</sup>. فأنفق كل ما يملك وكل ما جاءه من أموال المسلمين؛ إلى أهلها ومستحقيها دون وسائل خشية من التفريط والإهمال.

وكان أبو بكر رضي الله عنه من كبار تجار العرب أياديه في الكرم المعروف حديث المجالس ومحل تقدير سادة القبائل. ولكنه أثر التفرغ لخدمة الأمة قال: فلما وليت شغلوني عن التجارة والطلب<sup>(٢)</sup>. قالت الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: مات أبو بكر رضي الله عنه فما ترك ديناراً ولا درهماً وكان قد أخذ قبل ذلك ماله فألقاه في بيت المال<sup>(٣)</sup>.

عن هشام بن عروة: أن أبا بكر حين استخلف طرح ماله في بيت المال وقال: احتسبت نفسي لله، فظفروا فإذا هو لا يسعه ذلك، وقد ترك تجارته. فأصبح يوماً غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجرُّ بها، فلقبه عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: السوق. قالوا: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قال له: انطلق حتى نفرض لك شيئاً. فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة وماكساه في الرأس والبطن. فقال عمر: إليّ القضاء. وقال أبو عبيدة: وإليّ الفيء. قال عمر: فلقد كان يأتي عليّ الشهر ما يختصم إليّ فيه اثنان<sup>(٤)</sup>.

فمكث كذلك بالسُّنح ستة أشهر ثم نزل إلى المدينة فأقام بها ونظر في أمره. فقال: لا والله ما يصلح أمر الناس التجارة وما يصلح لهم إلا التفرغ والنظر في شأنهم، ولا بد لعيالي مما يصلحهم. فترك التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوماً بيوم ويحج ويعتمر. وكان الذي فرضوا له كل سنة ستة آلاف درهم. فلما حضرته الوفاة لم

(١) عمر الشيباني: الزهد، ١/١.

(٢) عمر الشيباني: الزهد، ١/١١٣.

(٣) عمر الشيباني: الزهد، ١/١١١.

(٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٢٢.

يقبل أن يترك هذه الدنيا دون أن يتطهر من كل أدرانها، ويتنازل عن كثير من حقوقه، ويرد ما يحق له من حقوق، لتتعلم منه الأمة كيف يكون الإخلاص للدين وحماية المؤمنين، ومنهج التجرد من الدنيا وحقيقة الإقبال على الآخرة<sup>(١)</sup>. ولا شك أن من يسير على منهج خليفة رسول الله سيتعب كثيرًا في سبيل حماية الأمة وحفظ حقوقها ورعاية مصالحها.

## بيت المال:

كان لخليفة رسول الله بيت مال بالسُّنْح معروف ليس يحرسه أحد فقيل له: يا خليفة رسول الله ألا تجعل على بيت المال من يحرسه؟ فقال: لا يُخاف عليه. قيل: لم؟ قال: عليه قفل. وكان يعطي ما فيه حتى لا يبقي فيه شيئًا، فلما تحول أبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة حوله فجعل بيت ماله في الدار التي كان فيها، وكان قدم عليه مال من معدن القبلية ومن معادن جُهينة كثير، وانفتح معدن بني سُليم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فقدم عليه منه بصدقته، فكان يوضع ذلك في بيت المال، فكان أبو بكر رضي الله عنه يقسمه على الناس نقرًا نقرًا، فيصيب كل مائة إنسان كذا وكذا، وكان يسوي بين الناس في القَسْم الحر والعبد والذكر والأنثى والصغير والكبير فيه سواء، وكان يشتري الإبل والخيل والسلاح، فيحمل في سبيل الله، واشترى عامًا قطائف أُتي بها من البادية، ففرقها في أرامل أهل المدينة في الشتاء، فلما توفي أبو بكر، ودفن دعا عمر الأمراء ودخل بهم بيت مال أبي بكر ومعه عبد الرَّحْمَن بن عوف، وعثمان بن عفان، ففتحوا بيت المال، فلم يجدوا فيه لا دينارًا ولا درهمًا، ووجدوا خيشة للمال فنُقِضت، فوجدوا فيها درهمًا فترحموا على أبي بكر رضي الله عنه وكان بالمدينة وَرَّان على عهد رسول الله ﷺ وكان يزن ما عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: فسئل الوَرَّان كم بلغ ذلك المال الذي ورد على أبي بكر؟ قال: مائتي ألف<sup>(٢)</sup>.

ومع كل ما كان يتحرز منه خليفة رسول الله من أموال المسلمين فإنه لم تطمئن نفسه ولم

(١) ينظر: ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٤٢٣/٣٠.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٢٠/٣٠.

يهدأ حاله حتى قال: «انظروا كم أنفقت منذ وليت من بيت المال فاقضوه فنظر عمر فوجدوا مبلغه ثمانية آلاف في ولايته»<sup>(١)</sup> وأدى كل ذلك إلى بيت مال المسلمين دون أن يستبيح لنفسه ولو درهماً واحداً. فغادر هذه الدنيا بعد أن رسم لكل مسلم كيف يكون منهج قادة الإصلاح وسادة الدنيا وكيف يكون السمو والرقي الحضاري وأداء الأمانة. ف«مات أبو بكر رضي الله عنه فما ترك ديناراً ولا درهماً وكان قد أخذ قبل ذلك ماله فألقاه في بيت المال»<sup>(٢)</sup>.

فأين عبيد الدنيا ممن يغرقون في العمالة والتبعية وبيع الأمة فيتسلطون بذلك على بررة الإسلام باسم الثورات والوحدة والأمن والحرية بينما كل ذلك يثمر عكس هذه الشعارات من قتل البررة وطمس السنة وفرقة الأمة وتمزيق صفوفها وخدمة أعدائها ومحاربة أبنائها ورفض القرآن ورد السنة وهدم المساجد أو حبسها على ما يشتهيها الطغاة وعبيدهم ممن استباحوا أموال أتباعهم باسم الخمس وحقوق الأئمة وما إلى ذلك من شباك الخداع والاحتيال.

فيبقى أمام كل ذلك المنار الساطع والحجة البينة والمنهج السديد واضحاً في مسار خليفة رسول الله، فمن وافقه فهو من أهل هذه الأمة ومن خالفه فهو الضال المبتدع الراكع للدنيا والمستعبد لأهلها، كل ذلك تكشفه سيرة خليفة رسول الله. قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قال: يا عائشة، انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها، والجفنة التي كنا نصطح فيها، والقטיפه التي كنا نلبسها، فإننا كنا نتفجع بذلك حين كنا في أمر المسلمين، فإذا مات فارديه إلى عمر، فلما مات أبو بكر رضي الله عنه أرسلت به إلى عمر رضي الله عنه فقال عمر: رضي الله عنك يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك<sup>(٣)</sup>.

والباحث في السياسة المالية لخليفة رسول الله لا يسعه إلا أن يقف إجلالاً لهذا النموذج الفريد في الأداء والتنفيذ وحفظ الأمانة، بل إنه يزول عنه العجب حينما يجد هذه الروح

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ٢/٣٥٥. ابن الجوزي، المنتظم، ٤/٧٣.

(٢) عمر الشيباني: كتاب الزهد: ١/١١٠. (٣) الطبراني: المعجم الكبير، ١/٦٠.

المبنية على ثوابت الطهر والنقاء وحفظ الحقوق والمساواة؛ قد سادت في جميع جوانب الحياة الاقتصادية الإسلامية أيام الراشدين رضي الله عنهم، وما ذلك إلا لأنها أصبحت خلقاً وقيمة متجسدة في نفوس وضمائر محبي الصديق رضي الله عنه ولم يكن تنفيذ ذلك خاصاً في المجتمع الإسلامي آنذاك وإنما هو قيمة حضارية في التعامل مع جميع الناس، وهذا ما يؤكد الفارق الهائل بين محبي الصحابة وبين مبغضهم الذين يدينون بدين: غش أهل السنة تدخل الجنة.

وقالت أم المؤمنين: إن أبا بكر حين استُخلف قال: احتسبت نفسي لله، فنظروا فإذا هو لا يسعه ذلك، وقد ترك تجارته<sup>(١)</sup> ولم يكتف بهذه المحاسبة لنفسه ولعياله التي تصل شدتها إلى الحد الذي لا يساوي حالة الكفاف، فأين هذا من حالة الانفلات التي يطلق فيها كثير من حكام المسلمين أيديهم وأيدي أتباعهم في أموال الأمة؟ التي تزيد عن حد الاستباحة في كثير من المواقع!! دون وازع من ضمير أو خوف من رقيب أو حساب في الدنيا أو في الآخرة، وهنا على المحك المادي تتكشف معادن الناس ومناهج السياسة التي تصلح لقيادة الأمة من التي لا تصلح. فمع كل ما عرف عن خليفة رسول الله من دقة حسابه لنفسه وللمن يعول وللمن يعمل له من الأمراء والقادة، ومع أنه ألقى ماله في بيت مال المسلمين، وعمل لهم إماماً وقائداً وخليفة رضي الله عنه بما يقوته فقط؛ فإنه لم يكتف بذلك بل «قال أبو بكر رضي الله عنه: لي من مالي ما رضي ربي من الغنيمة فأوصى بالخمس»<sup>(٢)</sup>.

ومن كل ما سبق يظهر زيف أعداء الصحابة والعلمانيين وأدعياء التجديد وممتهني التضليل الذين يدعون إلى محبة قتلة الراشدين، أنه لا إصلاح ولا صلاح في العبادة والقيادة والسياسة والاقتصاد؛ من دون التقيد بما تقيد به إمام الأمة وقائدها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومن سار على منهجه، في الاتباع والاقتداء والمحاسبة الدقيقة والمقاصد السامية المبنية على الأمانة والصدق والكسب الحلال، والاستعداد لحماية مكاسب الأمة في عقيدتها

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٣١.

(٢) الطبري: تاريخ، ٤/٥٣.

واقتصادها وغير ذلك من شؤونها في الجهاد الخالص لوجه الله تعالى والمنبثق من الفهم الصحيح للدين الحنيف، وأن كل من يريد أن يقفز فوق هذه الحقيقة فلن يجد أمامه سوى عبيد الدنيا ممن يسلبون المسلمين حقوقهم وينهبون ثرواتهم حتى بلغ ببعض الثائرين على الكتاب والسنة أنهم لا يدخلون ثروة النفط في الميزانية العامة لكي يسلبوا تلك الثروة خالصة ويدفعوا أجور عمالها وموظفيها من الميزانية العامة، ومن ثم لا يباليون بالمسلمين في بلادهم إن جاعوا أو شردوا أو أهينوا أو ذلوا، أما بلادهم وعقيدتهم فلا بأس أن تعرض بأسواق النخاسة بأي ثمن، لكل هذا فإن شعار هذه الدراسة هو إما خليفة رسول الله والراشدون ومنهجهم وإما الزيف والضلال. يؤكد ذلك ويوضحه الحقائق والخصائص الآتية:

المساواة في العطاء بين المسلمين الأحرار والرقيق وبين الرجال والنساء، فكان يعطي ما في بيت ماله حتى لا يبقى فيه شيئاً، ولما قدم عليه مال من معدن من معادن جهينة، وكان كثيراً، وانفتح معدن بني سليم في خلافته، فقدم عليه منه بصدقة، كان يضع ذلك في بيت المال، فيقسمه بين الناس سويّاً، بين الحر والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير على السواء.

قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: «فأعطى في أول عام؛ الحُر عشرة، والمملوك عشرة، وأعطى المرأة عشرة، وأمتها عشرة. ثم قسم في العام الثاني فأعطاهم عشرين عشرين» فجاء ناس من المسلمين فقالوا: يا خليفة رسول الله، إنك قسمت هذا المال فسويت بين الناس، ومن الناس أناس لهم فضل وسوابق وقدم؛ فلو فضلت أهل السوابق والقدم والفضل. فقال: أما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما أعرفني بذلك. وإنما ذلك شيء ثوابه على الله جل ثناؤه، وهذا معاش، فالأسوة خير من الأثرة.

وكان يشتري الإبل والخيل والسلاح، فيحمل في سبيل الله، ويشتري أكسية المخمل، ويفرقها في أرامل أهل المدينة في الشتاء، فلما توفي أبو بكر رضي الله عنه ودفن، فتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه ديناراً ولا درهماً<sup>(١)</sup>. فأبو بكر رضي الله عنه بعد وفاته يرد جميع ما أخذ

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٢٠. ابن الأثير: الكامل: ٢/٢٨٩. المتقي الهندي: كنز =

من بيت المال الذي أعطاه إياه المسلمون لنفقتة ترفعاً وورعاً ونقاء وعزة في الحياة وبعد الممات «فلما حضرته الوفاة أوصى أن تباع أرض له ويصرف ثمنها عوض ما أخذه من مال المسلمين» والطمع عند ما تحضرهم الوفاة يغتصبون أراضي المسلمين ويقسمون ما بقي من أموالهم بين ذويهم وأتباعهم ليزدادوا أوزاراً على أوزارهم، ألا يعلم أولئك إلى أين هم ذاهبون؟! أم أن هذا هو مكر الله تعالى الذي جاء في قوله عز وجل: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾<sup>(١)</sup>؟ فمكر الله بهم بأن يأخذهم وهم غارقون في الظلم، ومتلبسون بالجشع والطمع وحب المال السحت.

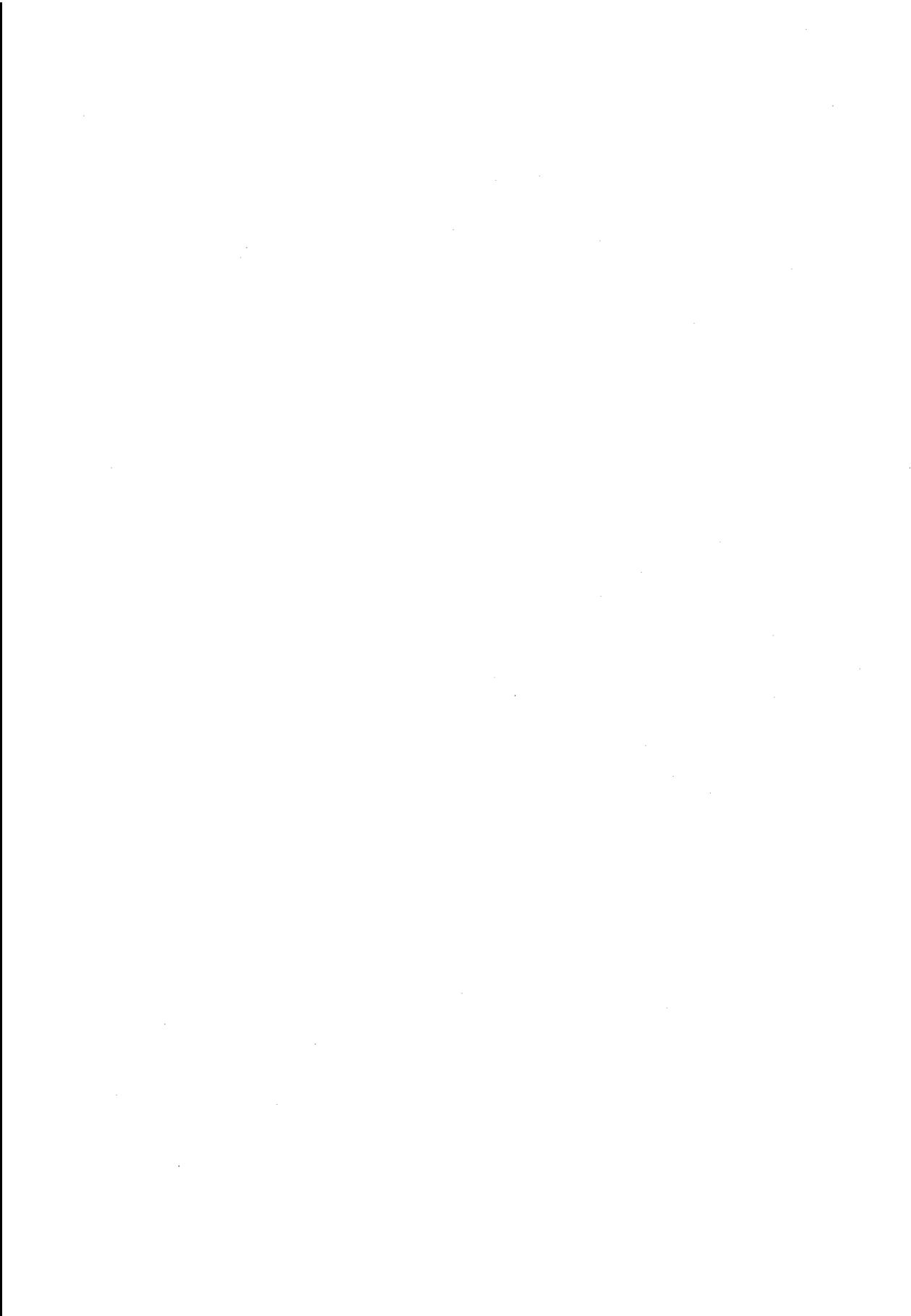
ولم يكتف خليفة رسول الله بكل ما قدمه للأمة من نماذج في وسائل القيادة والإمامة والعفة والنزاهة والعدل والمساواة، بل إنه سنّ لهم ما يحمي كل ذلك ويشرعه اتباعاً لما كان عليه النبي ﷺ فأقر حق الأمة في محاسبة الحاكم في أول خطبة ألقاها على المسلمين، وذلك في قوله رضي الله عنه: «فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني» فأعطى الأمة حق المحاسبة وحق إلزام الحاكم سلوك الطريق السوي الذي يخدم الأمة ويشيد بنيانها، وأقر لها أن شرعية حكامها تطلق من خدمة عقيدتها والتمسك بثوابتها وسنة نبينا ﷺ وأن كل من يزيغ عما جاء به رسول الله ﷺ فإنما هو الأثم الغاصب الظالم، المخالف لمنهج الصديق رضي الله عنه في الحياة والإدارة وغيرها. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(٢)</sup>.



= العمال ٥/ ٣٤٣. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ١٨٨.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٢) سورة سبأ، الآية: ١٢.



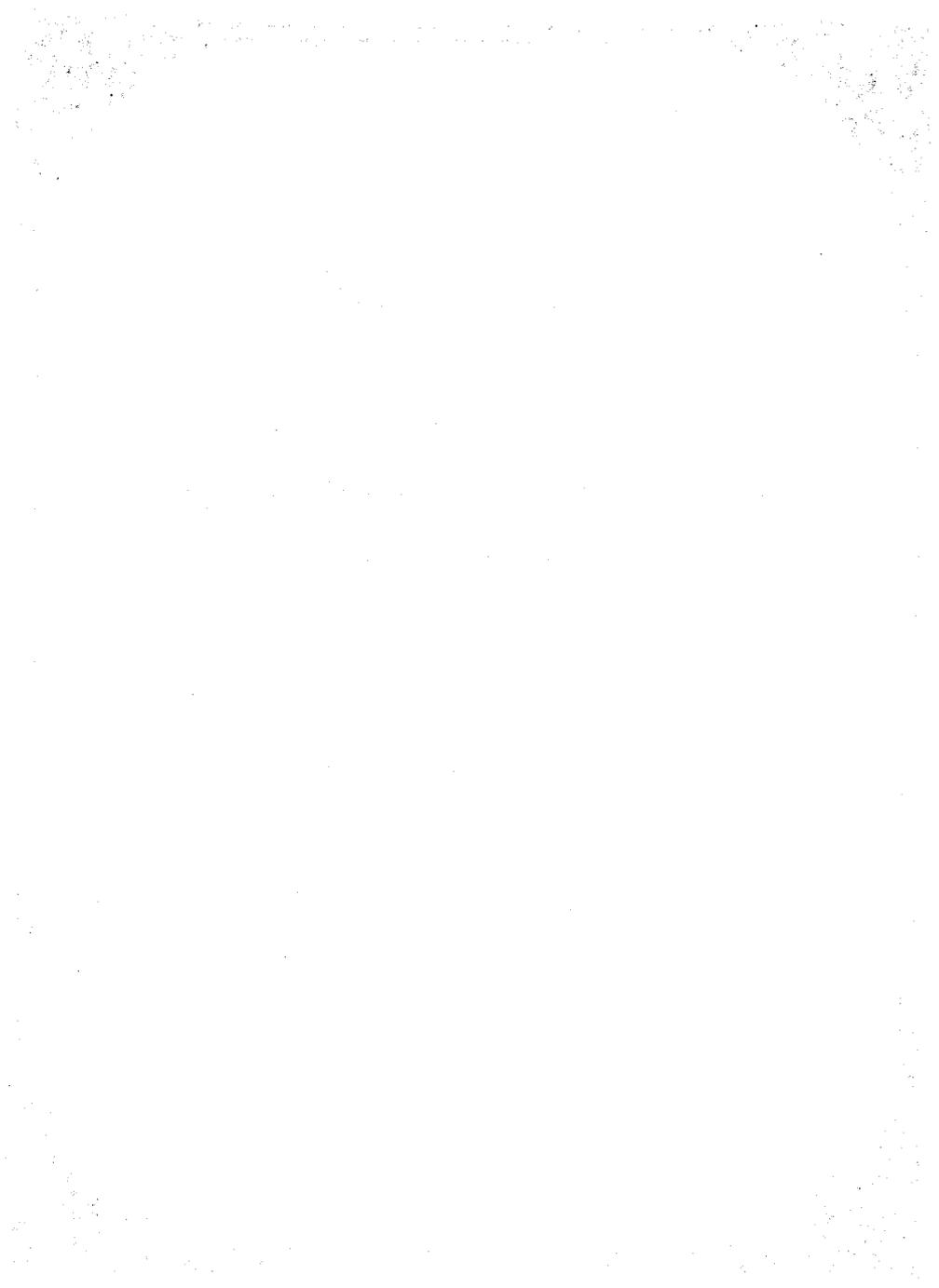
## الفصل السادس

موقف خليفة رسول الله ﷺ  
أبي بكر الصديق من إنفاذ جيش أسامة  
ومن حركات الرفض والردة

المبحث الأول: موقف خليفة رسول الله ﷺ من إنفاذ جيش أسامة  
بعد وفاة النبي ﷺ.

المبحث الثاني: أقسام الردة وأسبابها وموقف خليفة رسول الله منها.  
المبحث الثالث: الموقف من المتنبئين والمرتدين.

المبحث الرابع: موقف خليفة رسول الله من مسيلمة الكذاب والمرتدين  
في البحرين واليمن وعمان وحضرموت.



## المبحث الأول

### موقف خليفة رسول الله ﷺ

### من إنفاذ جيش أسامة بعد وفاة النبي ﷺ

إن موقف أبي بكر رضي الله عنه من إنفاذ جيش أسامة بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة كان صارمًا حاسمًا واضحًا مع خطورة الموقف العام في دولة المسلمين الناشئة، وتمرد المرتدين على الله ورسوله ﷺ برفضهم دفع الزكاة وخلافة النبوة وإمامته رضي الله عنه وإشفاق الصحابة على إنجازات النبوة وجهادهم الذي أثمر دولة التوحيد وإعلانهم عن رأيهم في المهادنة والملاينة والمسايسة والتجاوز والتغاضي إلى حين، والتمسك بكل قوة المؤمنين داخل المدينة حتى تستبين الطريق وتتجلى المواقف، ومشورة الصحابة على خليفة رسول الله بذلك وبضرورة إبقاء جيش أسامة بين ظهرانيهم في المدينة حتى تنجلي تلك الظروف العصبية.

إلا أن كل ذلك لم يجعل خليفة رسول الله ﷺ إلا أن يزداد إقدامًا و يقينًا وثقة بموقفه المستند إلى وجوب التمسك بأوامر رسول الله ﷺ وإشاراته وتوجيهاته تامة دون أي تأجيل أو تفريط، حتى سطر آنذاك موقفًا فريدًا تأكد من خلاله أنه الإمام الأكبر والقائد الأوحده وأنه فحل الإسلام وخليفة سيد الأنام ﷺ وأظهر أن كل من يرفض خلافته إنما هو منافق مرتد رافض لكل ما جاء به محمد ﷺ؛ لأنه ثبت أنه هو الأمين على ميراث محمد ﷺ وأن كل من يوالي أعداء خليفة رسول الله ﷺ قديمًا وحديثًا ويحسن الظن فيهم ولا يُحذَر منهم في لسانه وقلمه وماله وعمله إنما هو وجه من وجوه الزيف والتبعية للمتنبئين وعبيد الأهواء

وأعداء النبوة الرافضين للسنة، تحت أي ذريعة تكون تلك الموالاتة التي لا تثمر سوى اختراق الأسرار وانتهاك الجوار واستهداف الأختيار.

وقد أثبت إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله بمواجهته لكل تلك المخاطر وبعزيمة لا تلين وإقدام لا يعرف التردد أو الوهن أو المساومة، أثبت أنه يسير على منهج السنة النبوية على ما جاء به رسول الله ﷺ وأنه عازم على حفظ مسار الرسالة المحمدية من التحريف، فلم يقبل أي تنازل أمام مخاطر المرتدين الذين سرّهم مرض النبي ﷺ ووفاته فتلبسوا بوسائلهم الباطنية المخادعة في العمل على مواجهة الإسلام بالتقية والإيهام لتشيت الصفوف وتفتيت الأمة وتزييف التوحيد والعودة إلى عبادة القبور والمشاهد والأصنام البشرية والحجرية وإسقاط الفرائض واستبدال السنّة بالبدعة وأقوال رسول الله ﷺ وأحاديثه بأقوال أئمة الرفض المتنبيين المشرعين ما لم يأذن به الله.

ولقد كان موقف خليفة رسول الله القاطع من أولئك المخادعين الحاقدين على الدين والأمة يمثل العلاج الناجع الذي أثمر سلامة الدين ونصر المؤمنين ووحدة أمتهم وانقياد الصحابة له وإقرارهم بأنه هو الموقف الصحيح الصريح، ومن ثم جهادهم بكل قوتهم لتحقيق أهدافه ومراميه ودفع كل عوائق الرفض والردة من أمام عجلة الإسلام الذي لم تعد أي قوة قادرة على الإفصاح والمجاهرة برفضها وردها لمساره عن مسارها الصحيح، كل ذلك بفضل الله ثم بيقين خليفة رسول الله وذكائه وعلمه وجرأته وبركة إمامته وإنجازات قيادته الرائعة الراشدة.

وبذلك رسم خليفة رسول الله منهج العاملين لصحوة الأمة ونهضتها ووحدها وحمائتها من أعداء عقيدتها المتلبسين بالتعاون والتحالف مع الغزاة والمحتلين المعتدين على أمنها ومقدساتها وحرماتها ودماء أبنائها. فمن زعم أنه على طريق النهضة والصحوة والعودة إلى قواعد العقيدة وعز الأمة وقيادتها للبشرية فإنه ملزم شرعاً بإجماع الصحابة بالبراءة من كل ما تبرأ منه خليفة رسول الله وموالاتة كل من والاه رضي الله عنه، ومن قال بغير هذا فإنما

هو ضال تائه أو منتفع يعرض العقيدة في مزاد البوائق والصفقات التي يجريها عبيد البريق والزيف، الذين لم يجلبوا للأمة سوى الهوان والضياع والفرقة والتبعية.

مع علمهم ومعرفتهم بأن أعداء الصحابة حرب على السنّة وأهلها في كل عصر ومصر؟! ويعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من قرَّ صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام»<sup>(١)</sup>. فهل التحالف مع أعداء الصحابة ومدحهم وزيارتهم وتزكيتهم، وهم على ما هم عليه من الحقد والرفض والكفر بالثواب وتدليس أمرهم على الأمة، يعد من توقيير المبتدعين فقط؟ أم أنه من التكذيب للكتاب والسنّة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم؟ وأنه صورة من صور القيام بشهادة الزور والرفض لما جاء به رسول الله ﷺ من الهدى والنور؟! إن كل هذا ظاهر يعلمه العقلاء الأوفياء، ويتجاهله المرأون والأدعياء.

### تهيئة جيش أسامة بن زيد بن حارثة:

أقام رسول الله ﷺ بعد حجة الوداع بالمدينة بقية ذي الحجة، والمحرم، ولكنه ما زال يذكر شهداء موقعة مؤتة وقد وجدَ عليهم وجدًا كبيرًا، ولا سيما أنّ منهم الأمراء الثلاثة الذين كانوا من أقرب الناس إلى نفسه ﷺ، فلما جهز جيش أسامة أمرهم ﷺ بالمسير إلى تخوم البلقاء من الشام حيث قتل الأمراء الثلاثة، وقبروا هناك ليكونوا أعلامًا على طريق عزة الإسلام وكرامة أهله.

وكان رسول الله ﷺ قد أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم في يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة، فلما كان من الغد دعا ﷺ أسامة بن زيد فقال: «سر إلى موضع مقتل أبيك فأوظئهم الخيل فقد ولتلك هذا الجيش فأغر صباحًا على أهل أبنى - وهي أرض السراة ناحية البلقاء - وحرِّق عليهم».

(١) شعب الإيمان: باب مباحة الكفار والمفسدين. فصل: في مجانية الفسقة والمبتدعة، ح (٩٤٦٤).

الطبراني: المعجم الأوسط، كتاب وباب من اسمه محمد، ح (٦٧٧٢).

ولما كان يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر بُدئ برَسُولِ اللهِ ﷺ وجعه فحمّ وصدع. فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده. ثم قال ﷺ موصياً وموجهاً له: «اغز باسم الله في سبيل الله فقاتل من كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا تتمنوا لقاء العدو فإنكم لا تدرن لعلكم يتلون بهم ولكن قولوا: اللهم اكفناهم بما شئت واكفف بأسهم عنا، فإن لقوكم قد جلبوا وضجوا فعليكم بالسكينة والصمت ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وقولوا: اللهم إنا نحن عبيدك وهم عبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك وإنما تغنيهم أنت، واعلموا أن الجنة تحت البارقة»<sup>(١)</sup>. أي بارقة السيوف والصبر في مواطن الشدة والبأس ومواطن الشهادة.

فخرج أسامة رضي الله عنه بلوائه «معقوداً» فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي، وعسكر بالجرف. فخيّموا به وكان فيهم عمر بن الخطاب، ويقال: أبو بكر الصديق استنّاه رسول الله منهم للصلاة وإمامة الأمة، فلما ثقل رسول الله ﷺ أقاموا هنالك مخيمين.

ولم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزاة فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين؟! فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، فخرج وقد عصب رأسه عصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة فلئن طعنتم في إمارتي أسامة، لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وإيم الله إن كان للإمارة لخليقاً وإن ابنه من بعده لخليقاً للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم» وعند البخاري: أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً، وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن الناس في إمارته، فقام رسول الله ﷺ فقال: «إن تطعنوا في إمارته فقد كتتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وإيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده»<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن سعد: الطبقات: ٢/١٣٦. المتقي الهندي: كنز العمال، (٣٠٢٦٦).

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب بعث أسامة، ح (٤١٩٩) ابن حبان: صحيح =

ثم نزل فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر ليالٍ خلون من ربيع الأول وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله ﷺ ويمضون إلى العسكر بالجرف قرب المدينة وثقل رسول الله ﷺ فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله ﷺ وجعه فدخل أسامة من معسكره والنبي ﷺ مغمور من شدة المرض، فطأطأ أسامة فقبله فجعل رسول الله ﷺ يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة. قال: فعرفت أنه يدعو لي ورجع إلى معسكره. ودخلت أم أيمن رضي الله عنها فقالت: يا رسول الله، لو تركت أسامة يقيم في معسكره حتى تتماثل، فإن أسامة إن خرج على حالته هذه لم يتفع بنفسه. فقال ﷺ: «أنفذوا بعث أسامة». فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد. ثم دخل إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين وكان ﷺ قد أفاق من مرضه. فقال له ﷺ: «اغد على بركة الله» فودعه أسامة وخرج إلى معسكره.

ودخل أبو بكر رضي الله عنه في ذلك اليوم - أي الاثنين - إلى النبي ﷺ وهذا يثبت أنه لم يكن في جيش أسامة وإنما كان مستخلفاً لمهمة الوقوف مع رسول الله ﷺ وسد فراغ غيابه ﷺ. فقال رضي الله عنه: يا رسول الله، أصبحت مفيقاً بحمد الله واليوم يوم ابنة خارجة فأذن لي آتيها. فأذن له فذهب إلى بيته في السنح<sup>(١)</sup> في منطقة العالية من المدينة حيث زوجته الأنصارية هناك.

وبينما كان أسامة رضي الله عنه يريد الركوب إذا رسول أمه أم أيمن قد جاءه يقول: إن رسول الله ﷺ يموت فأقبل، وأقبل معه عمر وأبو عبيدة فانتهاوا إلى رسول الله ﷺ وهو يموت فتوفي ﷺ حين زالت الشمس يوم الاثنين فدخل المسلمون الذين عسكروا في الجرف إلى المدينة. ودخل بريدة بن الحصيبي بلواء أسامة حتى غرزه عند باب رسول الله ﷺ فلما بويع

= ابن حبان، كتاب وياق مناقب الصحابة ونسائهم بذكر أسمائهم، ح (٧٠٤٤) الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٢٤٩/٦.

(١) ابن الجوزي: المتظم، ٩/٤. ابن حبان: السيرة، ٤٢٣/١. الصالحى: سبل الهدى، ٢٤٩/٦. ابن الأثير: الكامل، ٢١٨/١.

لأبي بكر رضي الله عنه أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى أسامة ليمضي لوجهه فمضى بريدة إلى معسكرهم الأول.

### موقف خليفة رسول الله من المعارضين لبعث جيش أسامة بعد وفاة النبي ﷺ:

لما أصرَّ النبي ﷺ على إنفاذ جيش أسامة التحق الصحابة رضي الله عنهم بمواقعهم فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله ﷺ فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر رضي الله عنه: ارجع إلى خليفة رسول الله فاستأذنه يأذن لي أن أرجع بالناس، فإن معي وجوه الناس وحدهم، ولا آمن على خليفة رسول الله، وثقل رسول الله ﷺ وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون.

وقال بعضهم فإن أبي خليفة رسول الله إلا أن نمضي فأبلغه عتاً واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلاً أقدم سنّاً من أسامة. فخرج عمر بأمر أسامة وأتى أبا بكر رضي الله عنه فأخبره بما قال أسامة. فقال أبو بكر رضي الله عنه: لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاءً قضى به رسول الله ﷺ، قال عمر رضي الله عنه: فإن الأنصار أمروني أن أبلغك، وإنهم يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلاً أقدم سنّاً من أسامة. فوثب أبو بكر رضي الله عنه وكان جالساً فأخذ بلحية عمر فقال له: ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمروني أن أنزعه؟! فخرج عمر إلى الناس. فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: امضوا ثكلتكم أمهاتكم، ما لقيت في سبيكم من خليفة رسول الله. ولما انتشر خبر موت رسول الله ﷺ عظم الخطب واشتد الحال ونجم النفاق بالمدينة، وارتدّ من ارتدّ من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق رضي الله عنه.

ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة، وكانت جواثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق، وقد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الإسلام، لم يفروا ولا ارتدوا<sup>(١)</sup>.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٢٩٨. الطبري: تاريخ، ٤/٢٥٦.

ومعلوم كما سبق أن موقف البعض من إمارة أسامة كان يشوبه بعض التناقل نظرًا لصغر سنه رضي الله عنه، فلمّا بويع أبو بكر رضي الله عنه بإمامة الأمة وخلافة النبوة كانت العرب قد ارتدت إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق، واشترأت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم وقتلهم وكثرة عدوهم فقال رضي الله عنه: لئتم بعث أسامة. فقال له الناس: إن هؤلاء جل المسلمين، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك، فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته.

ثم اجتمع من حول المدينة من القبائل التي غابت في عام الحديبية وخرجوا وخرج أهل المدينة في جند أسامة فحبس أبو بكر رضي الله عنه من بقي من تلك القبائل التي كانت لهم الهجرة في ديارهم، أي لم يلزمهم النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة فصاروا مسالحو قبائلهم وهم قليل<sup>(١)</sup>.

فسار خليفة رسول الله على الطريق ذاتها فاتضح منه الفقه والعلم وإتقان دور القيادة، والكفاءة في تحمل مسؤولياتها باقتدار وتمكن لا مثيل لهما، بل كان أشبه الناس بقيادة رسول الله ﷺ وتدابيره ومنهجه والتمسك بسنته في كل مواقفه التي بقيت منارات لأبناء الأمة على مر السنين يهتدون بها ويسرون على ضوئها.

اتضح ذلك حين نادى مناديه رضي الله عنه من بعد الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ وقوله: لئتم بعث أسامة ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف، وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس إنما أنا مثلكم وإني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله ﷺ يطيق، إن الله اصطفى محمدًا ﷺ على العالمين وعصمه من الآفات<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٩٨/٦، الطبري: تاريخ، ٢٥٦/٤.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ١٠/٤.

قال الشعبي: قال أبو بكر لعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد وأمثالهم رضي الله عنهم: أترون ذلك؟ يعني قبول الصلاة منهم دون الزكاة. قالوا: نعم، حتى تسكن الناس وترجع الجنود. ولعل هذا الموقف يعد من أصعب المواقف التي عالجها خليفة رسول الله؛ لأن من يشير عليه ببقاء الجيش في المدينة هم أقرب الناس إليه وهم من كان يرجو مساندتهم ونصرتهم لمواجهة مكر وأخطار الرافضة، لذلك واجههم بحزم قطع عن نفوسهم كل أمل بإمكانية تأجيل أمر أمر به رسول الله ﷺ.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته. فلما رأى خليفة رسول الله بعض الوهن في بعض النفوس قام يثير فيهم روح الثبات وحب الشهادة وافتداء السنة أمام أخطار الردة حتى انتفض في ضمائرهم الشوق إلى رسول الله وإلى الجنة التي وعدهم بها ﷺ إن هم وفوا بنصرة الدين وحماية السنة فكانوا رضي الله عنهم على حسن العهد وجميل الوفاء، وكان لأبي بكر رضي الله عنه الفضل الأكبر في تحريك الغيرة والحمية على السنة وأهلها في نفوس المؤمنين حتى أخدموا تلك الفتنة ووأدوا أخطارها بجهادهم وصبرهم فرسموا الطريق لحملة السنة وحماتها للسير على آثارهم بثقة ويقين.

### تثبيته للمسلمين وخطبه في الأمة بعد وفاة النبي ﷺ:

نادى منادي أبي بكر رضي الله عنه من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ لیتم بعث أسامة: ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا أخرج إلى عسكره بالجرف. وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال رضي الله عنه: يا أيها الناس إنما أنا مثلكم وإنني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله يطيق، إن الله اصطفى محمدًا على العالمين وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمتم فتابعوني وإن زغت فقوموني وإن رسول الله ﷺ قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة سوط فما دونها، ألا وإن لي

شيطانًا يعتريني فإذا أتاني فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، وأنتم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قوماً نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فإياكم أن تكونوا أمثالهم، الجد الجد، والوحي الوحي، والنجاء النجاء فإن وراءكم طالبًا حثيثًا، أجلًا مرّه سريع احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات.

وقام أيضًا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه فأريدوا الله بأعمالكم، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتها وخطأ ظفرت به وضرائب أديتموها وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية لحين فقركم وحاجتكم، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم وتفكروا فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟ أين الجبارون؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب؟! قد تضعض بهم الدهر وصاروا رميمًا قد تركت عليهم القالات. الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟ قد بعدوا ونُسي ذكرهم وصاروا كلا شيء إلا أن الله قد أبقى عليهم التبعات وقطع عنهم الشهوات ومضوا والأعمال أعمالهم والدنيا غيرهم وبقينا خلفًا بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا، وإن اغتررنا كنا مثلهم، أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم؟ صاروا ترابًا وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم. أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزًا؟

أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت، ألا إن الله لا شريك له ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيرًا، ولا يصرف عنه به سوءًا إلا بطاعته واتباع أمره، واعلموا أنكم عبيد مدينون وإن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته، أما إنه لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر

بعده الجنة<sup>(١)</sup>.

وقام فحمد الله وأثنى عليه وقال مردفاً القول بالعمل: لو منعوني عقلاً مما أعطوه رسول الله ﷺ ما قبلت منهم، ألا برئت الذمة من رجل من هؤلاء الوفود وجد بعد يومه وليلته، فتواثبوا يتخطون رقاب الناس ثم أمر أبو بكر علياً بالقيام على نقب من أنقاب المدينة، وأمر الزبير بالقيام على نقب، وأمر طلحة بالقيام على نقب آخر. وأمر عبد الله بن مسعود بالعيسيس أي الحراسة الليلية. وقال إبراهيم النخعي: أول ما ولي أبو بكر ولي عمر القضاء وأمر ابن مسعود بعسس المدينة<sup>(٢)</sup>.

فاتضح من تلك المواقف أن رسول الله ﷺ كان واثقاً كل الثقة حين قدم صاحبه لإمامة الأمة وقيادتها لما فيه من الصفات التي لا تتوافر في غيره، تبين ذلك في عامة مواقفه رضي الله عنه منذ أن توفي رسول الله ﷺ حيث كان هو المرجع لكبار الصحابة وصغارهم؛ فلا يُسأل عن أمر إلا ويجيب عليه، ولا تمر الأمة بموقف حرج إلا وجد لها المخرج الأسهل والأكرم دون تردد أو تكلف، وكل ذلك يجري على يديه سجية، رضي الله عنه، ولا أدل على الفارق بين رؤية خليفة رسول الله القيادية ورؤية غيره من الصحابة، بما فيهم عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن وغيرهم من أئمة الأمة وقادتها رضي الله عنهم من الموقف الذي سار عليه لمعالجة أمر الزكاة وأمر إنفاذ جيش أسامة، فالصحابة كانت اجتهاداتهم تدور حول دراسة الموقف من حيث موازين القوى وما إلى ذلك من تدابير، وخليفة رسول الله ينظر إلى الأمر بمنهج رسول الله ﷺ وأنه لا بد من أن ينفذ كل ما أمر به ﷺ، ومن ثم النظر في التدابير فكان ذلك المنهج هو الذي واجه به الرافضة في حركات الردة الهادفة إلى تخريب الدين وإفساد النفوس ورفض العقيدة، ومن ثم واجه بها المجوس الفرس والصلبيين الروم، وحقق النجاح التام في كل ذلك بفضل الله تعالى، ومن ثم بركات خيار النبوة للخلافة التي تجلت في مواقف الصديق رضي الله عنه الرائعة الراشدة.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ٩/٤.

(١) الطبري: تاريخ، ٢/٢٥٦.

## الموقف بعد إنفاذ جيش أسامة:

كان من حكمة ونباهة خليفة رسول الله أنه منذ أن حمل الراية بعد وفاة النبي ﷺ لم ينم ولم يُنم عدوًّا أو مترددًا أو من في نفسه بوائق ضد المؤمنين، فكل من لم يعلن موقفه صريحًا في نصرة دولة الراشدين والتزامه بسنة سيد المرسلين ﷺ فقد عده خليفة رسول الله في دائرة الأخطار المحدقة بالمؤمنين، ولم يكن حذر خليفة رسول الله نظرًا، بل كان عمليًا علميًا تطبيقًا مبنياً على فهم النبوة واجتهاداتها في مسارها وتعاملها مع الأعراب ومن يساندنهم وينفخ فيهم روح الرفض والردة.

فلما فصل أسامة بجيشه عن المدينة وغادرها لتنفيذ أمر رسول الله ﷺ الذي يراعه خليفته رضي الله عنه ارتدت العرب وتروخي عن مسيلمة وطليحة فاستغلظ أمرهما، وارتدت غطفان إلا ما كان من أشجع وخواص من الأبناء، وقدمت هوازن رجلاً وأخرت أخرى وأمسكوا الصدقة إلا ما كان من ثقيف وارتدت خواص من سليم ومن سائر الناس بكل مكان، وقدمت رسل رسول الله ﷺ من اليمن واليمامة وبلاد بني أسد فكان أول من صادم أبو بكر رضي الله عنه عبسًا وذيان عاجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة وجيشه.

وقدمت وفود أسد وغطفان وهوازن وطبى فعرضوا الصلاة على أن يُعفوا من الزكاة واجتمع جماعة من المسلمين على قبول ذلك منهم، فأتوا أبا بكر رضي الله عنه فأبى إلا ما كان رسول الله ﷺ يأخذ وأجلهم يومًا وليلة فتطايروا إلى عشائرهم، يعلمونهم بالموقف الجديد وخلّوا المدينة من عامة قوتها المقاتلة.

فلما سمع أعداء الصحابة بما أصبح عليه حال المسلمين بعد وفاة نبيهم ﷺ ومغادرة جيشهم إلى أرض بعيدة أجمعوا الغدر ومباغته المدينة وسحق من فيها من الصحابة رضي الله عنهم ناسين أن خليفة رسول الله لهم بالمرصاد يفقه ما يدور في أذهانهم وهم على فرشهم بين نسائهم، فجاء المشركون فطرقوا المدينة بعد ثلاث فوافقوا أنقاب المدينة ومدخلها محروسة بجند وكتائب خليفة رسول الله ﷺ فبهتوهم فارتدوا خائبين، وخرج إليهم

أبو بكر رضي الله عنه في أهل المسجد على النواضح يتتبعهم فانفّس المشركون ورافضو خلافة النبوة رهبة من الصحابة فاتبعهم المسلمون إلى جحورهم التي انطلقوا منها، فإذا لهم كمائن ومعهم قرب قد نفخوها بالهواء ثم دهدوها بأرجلهم في وجوه الإبل التي يركبها الصحابة رضي الله عنهم فنفرت بالمسلمين إبلهم وهم عليها حتى دخلت بهم المدينة لشدة نفرتها من مثل تلك المناظر، ولكن لما كان الصحابة رضي الله عنه فرسان القتال وسادة الميادين وأصحاب الخبرة في المفاجآت العسكرية كانوا متحوظين لكل ذلك، فلم يصرع منهم أحد ولم يصب، وسايروا إبلهم حتى ذهب عنها روع المفاجأة ثم أعدوا للغارة من جديد يتبعون خطط أعداء السنة المرتدين المتأمرين على المسلمين.

فبات خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه ليلتئذ يتهياً فعبأ الناس وخرج على تعبته في آخر الناس يمشي وعلى ميمنته النعمان بن مقرن وعلى يسرته عبد الله بن مقرن، وعلى الساقة سويد بن مقرن معه الركاب، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد فما سمعوا للمسلمين حساً حتى وضعوا فيهم السيوف فما ذرّ قرن الشمس حتى ولّى المشركون الأدبار. واتبعهم أبو بكر رضي الله عنه بجنده حتى نزل بذي القصة ونزل بها النعمان بن مقرن في عدد من المسلمين ورجع بالمسلمين إلى المدينة بعد أن دكوا قوة المشركين وأبطلوا مفاجاتهم في وقعة ما زالت حديث الناس لما ظهر فيها من حزم خليفة رسول الله وجرأته وقوته ونباهته وعميق خبرته وحسن تديره رضي الله عنه، ونظرًا لفشل أعداء الصحابة المرتدين وحنقهم أمام ما فاتهم من فرصة المفاجأة وما لحقهم من عار الهزيمة وانكشاف أمر باطنيتهم وخداعهم وانقلاب وفودهم من مفاوضين إلى جواسيس تتبع عورات أهل المدينة، نظرًا لانكشاف كل ذلك أزالوا عن وجوههم ستار الحياء وقاموا بالغدر بأبناء قبائلهم من المؤمنين الذين لم يكن لهم أي ذنب فيما حصل للمشركين «فوثب بنو ذبيان وعبس على من كان فيهم من المسلمين فقتلوه»<sup>(١)</sup>.

(١) ابن الجوزي: المتظم، ١٠/٤.

وبعد أن انتشر خبر هذه الواقعة بين القبائل في جزيرة العرب لم يعد هناك من يجروء على التعدي على أهل المدينة، فعاشت المدينة آمنة عزيزة بمن فيها، وانقلبت مكائد المشركين وأعداء الصحابة بكل أصنافهم وبالأعلى عليهم أمام حزم خليفة رسول الله والصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا يسرون على هدي عقيدتهم يوالون من والها ويحاربون من حاربها، ولما علم خليفة رسول الله بما فعله الرافضة المرتدون بالمؤمنين باشر علاج مكرهم فأذاقهم رضي الله عنه من كأسهم التي سقوا منها المستضعفين غدرًا أضعافًا مضاعفة بغيرته على الدين والسنة وأهلها رضي الله عنه، لذلك توارث أعداء الصحابة ومبغضو السنة منذ ذلك اليوم كراهية خليفة رسول الله والصحابة المكرمين، بقدر ما أحبوا المذبذبين أعداء السنة الألداء الذين يزعمون أنهم من أهل السنة وهم يوالون ويحبون ويمجدون ويزورون أعداء أصحاب رسول الله مبالغة في غش السنة وأهلها وتضليلهم والتمكين للرافضة من التغلغل في بلادهم وإقصاء سنة نبيهم ﷺ.

### أثر جيش أسامة العسكري والمعنوي:

أشار كثير من الناس على الصديق رضي الله عنه ألا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم، ولأن ما جهز بسببه في حال السلامة وقبل وفاة النبي ﷺ وغدر الرافضة وإعلانهم عن رفض إمامة أبي بكر رضي الله عنه ورفض أداء الزكاة وردّ نصوص القرآن والسنة النبوية، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فامتنع الصديق عن ذلك، وأبى أشد الإباء، إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهز جيش أسامة كما أمر رسول الله ﷺ، وأمر رضي الله عنه الحرس أن يكونوا حول المدينة تحوطًا من غدر الرافضة ومكرهم.

ولما بويع أبو بكر رضي الله عنه قال: لیتم بعث أسامة وكانت العرب قد ارتدت إما عامة وإما خاصة، في كل قبيلة، ونجم النفاق واشربت اليهودية والنصرانية، والمسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، لفقد نبيهم ﷺ وقتلتهم وكثرة عدوهم، فقال له الناس: إن

هؤلاء جلّ المسلمين، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك، وليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين، فقال: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته.

وقالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة واشرب النفاق، والله لقد نزل بأبي ما لو نزل بالجمال الراسيات لهاضها، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى مطيرة في حش أي بستان في ليلة مطيرة بأرض مسبعة، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بخطها وعنانها وفصلها، ثم ذكرت عمر فقالت: من رأى عمر رضي الله عنه علم أنه خلق عناية للإسلام، كان والله أحوذياً نسيج وحده قد أعد للامور أقرانها.

فكان خروج أسامة وجيشه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أربعوا منهم كل من في نفسه حب الوثوب والرفض والتمرد، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة، فقاموا أربعين يوماً ويقال سبعين يوماً، ثم أتوا سالمين غانمين، ثم رجعوا فجهزهم خليفة رسول الله ﷺ حيثئذ مع الأحياء والقبائل الذين أخرجهم لقتال المرتدين ومانعي الزكاة<sup>(١)</sup>.

فلما انجلت المحنة تبين للصحابة تقدم أبي بكر رضي الله عنه عليهم فقدروا له ذلك وازدادت ثقتهم به حتى إن أبا هريرة رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقيل له: مه يا أبا هريرة؟ فقال: إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد إلى الشام، فلما نزل بذي خشب قبض رسول الله ﷺ وارتدت العرب حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا بكر رُدَّ هؤلاء، تُوجَّه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟! فقال: والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله ﷺ ولا حللت لواء عقده رسول الله ﷺ.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٢٩٨.

فوجه أسامة وجيشه حيث وجههم رسول الله ﷺ فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم، ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام.

### وداع خليفة رسول الله جيش أسامة ووصيته لهم:

نادى منادي خليفة رسول الله فقال: عزمت لا يتخلف عن أسامة من بعثه من كان انتدب معه في حياة رسول الله ﷺ فإني لن أوتى بأحد أبطأ عن الخروج معه إلا ألحقته به ماشياً. فلم يتخلف عن البعث أحد. فلما اكتملت الاستعدادات كافة، خرج أبو بكر يشيع أسامة ومن معه فركب من الجرف لهلال ربيع الآخر في ثلاثة آلاف فيهم ألف فارس، وقيل غير هذا العدد، ثم خرج أبو بكر رضي الله عنه حتى أتاهم وهم في معسكرهم فأشخصهم وشيعهم مودعاً لهم وهو ماشٍ وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر رضي الله عنه فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن، فقال: والله لا تنزل ووالله لا أركب وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة؟

وسار أبو بكر إلى جنبه ساعة ثم ودعه وقال: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، إني سمعت رسول الله ﷺ يوصيك، فأنفذ لأمر رسول الله ﷺ فإني لست أمرك ولا أنهاك عنه إنما أنا منفذ لأمر به رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. فسار رضي الله عنه ساعة إلى جانبه، ثم وقف خطيباً بين الجنود موصياً عامة الجيش قائلاً: أيها الناس: قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني:

- لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تفسدوا، ولا تمثلوا. ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة.
- ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة. ولا تذبحوا شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة.

(١) الصالحى: سبل الهدى والرشاد: ٢٥٠/٦.

- وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وتقدمون على قوم يأتونكم بأنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء، فاذكروا اسم الله عليه.
- وتلقون قوماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها من العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقاً. اندفعوا باسم الله أفناكم الله بالطعن والطاعون»<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن هذه الوصايا التي تنبع من مفاهيم وقيم النبوة التي جاءت رحمة للعالمين لتثبت الفارق الكبير بين حضارة الإسلام وما فيها من الضبط الشرعي الحاسم في عدم التجاوز على حقوق الغير بأي صيغة كانت كما أن الرقابة كانت، نابعة من الذات كثمرة من ثمار صلاح نفوس المؤمنين وإنسانيتهم ورؤيتهم العالمية التي علمهم الإسلام من خلالها كيف يكون المسلم قدوة لبني البشر في الجوانب الأخلاقية والقيم الحضارية، وواضح كم هو الفرق بين قيم الإسلام العالمي الذي ينظر إلى بني الإنسان بمنظار الأخوة والمساواة وبين منظار الحضارة الغربية في هذا العصر، حيث أصابها الغرور بما لديها من فارق في القوة العسكرية حيث إن جيوشهم وكثيراً من سياسيتهم ينظرون إلى الآخرين شزراً فيعملون على تنفيذ مآربهم دون وازع من ضمير أو بقية من حياء، ولعل ما يجري في فلسطين والعراق على أيدي جنود الغرب وحلفائهم من اليهود والرافضة، ما يثبت أن قوتهم سلبتهم إنسانيتهم وأفقدتهم الرحمة وسهلت عليهم استمرار الظلم وأكل حقوق الآخرين، وهذا ما ينذر بانهيار حضارتهم واضمحلال قوتهم؛ لأن الظلم الذي بلغوه مناقض لاستمرار الحضارة ومؤذن بانهيارها.

وبعد أن زدوهم بهذه النصائح السامية والوصايا العادلة المنصفة، التي تصور نبل الإسلام ورحمته حتى في محاربتة لأعدائه، قال رضي الله عنه لأسامة مودعاً وناصحاً: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، إن رسول الله ﷺ أوصاك، فانفذ لأمر رسول الله، فإني

(١) تاريخ الطبري، ٣/٢٢٧، مختصر تاريخ ابن عساکر، ١/١١٨.

لست أمرك ولا أنهاك عنه، إنما أنا منفذ لأمر أمر به رسول الله<sup>(١)</sup>.

ثم قال لأسامة: اصنع ما أمرك به النبي ﷺ ابدأ ببلاد قضاة، ثم ائت آبل ولا تقصرن في شيء من أمر رسول الله ﷺ ولا تعجلن لما خلفت عن عهده فمضى أسامة مُغذًا على ذي المروة والوادي وانتهى إلى ما أمره به النبي ﷺ من بث الخيول في قبائل قضاة والغارة على آبل فسلم وغنم وكان فراغه في أربعين يومًا سوى مقامه ومنقلبه راجعًا<sup>(٢)</sup>.

وروي خروج أسامة سريعًا فوطئ بلادًا هادئة لم يرجعوا عن الإسلام جهينة وغيرها من قضاة. حتى نزل وادي القرى، فسار إلى أبنى في عشرين ليلة<sup>(٣)</sup>.

ولما سار قدّم عينًا له من بني عذرة يدعى حُرَيْثًا، فانتهى إلى أبنى، ثم عاد ذلك العين فلقى أسامة على ليلتين من أبنى فأخبره أن الناس غارون ولا جموع لهم، وحثهم على السير قبل اجتماعهم. فسار إلى أبنى وعبأ أصحابه ثم شن عليهم الغارة، فقتل من أشرف له وسبى من قدر عليهم، وحرّق بالنار منازلهم وحرثهم ونخلهم فصارت أعاصير من الدواخين وأجال الخيل في عرصاتهم، وأقاموا يومهم ذلك في تعبئة ما أصابوا من الغنائم. وكان أسامة رضي الله عنه على فرس أبيه سبحة، وقتل قاتل أبيه في الغارة، وأسهم للفرس سهمين وللفراس سهمًا واحدًا، وأخذ لنفسه مثل ذلك. فلما أمسى أمر الناس بالرحيل ثم أغذ السير فورد وادي القرى في تسع ليالٍ ثم بعث بشيرًا إلى المدينة بسلامتهم ثم قصد بعد في السير فسار إلى المدينة ستًا حتى رجع إلى المدينة ولم يصب أحد من المسلمين<sup>(٤)</sup>.

### قدوم جيش أسامة وعودته إلى المدينة:

لم يعد جيش المسلمين إلى المدينة إلا بعد أن ترك رهبة قوية في نفوس الروم، وذلك أنه قدم بنعي رسول الله ﷺ إلى هرقل وإغارة أسامة في الأرض العربية التي كان يخضع أهلها

(١) الطبري: تاريخ، ٤/٢٥٧. المقرئ: إمتاع الأسماع، ٥٤٠. مختصر تاريخ ابن عساکر، ١/١٢٣.

(٢) الطبري: تاريخ، ٤/٢٥٧.

(٣)، (٤) الصالحي: سبل الهدى والرشاد: ٦/٢٥٠.

للروم بخبر واحد، فقالت الروم: ما بال هؤلاء يموت صاحبهم ثم أغاروا على أرضنا<sup>(١)</sup>؟ وقالت القبائل العربية: لو لم يكن للمسلمين قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما يريدون أن يفعلوه<sup>(٢)</sup> وبقدر ما حقق جيش أسامة من انتصارات على الأرض حقق انتصارات في نفوس الأعداء حتى هُزموا من داخلهم فتشتت جموعهم وتفرقت تحالفاتهم وباتوا يخشون أن يفاجئوا بغارات جديدة من جيوش خلافة النبوة التي لا ترد ولا تهزم.

وقدم أسامة وجيش المؤمنين بعد أن غابوا شهرين وأيامًا وقيل أربعين يومًا وقيل غير هذا، فسمع به المسلمون فخرج أبو بكر ومعه المهاجرون والأنصار، يتلقونهم سرورًا بسلامتهم، ودخل المدينة على فرس أبيه سبحة واللواء أمامه يحمله بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه حتى انتهى إلى باب المسجد. وما زال لواء أسامة الذي عقده له رسول الله ﷺ معقودًا بعد عودته حتى دخل المسجد فصلى ركعتين ثم دخل بيته ويقال: إنه لم يحل اللواء حتى توفي ووضعه في بيته رضي الله عنه. وبلغ هرقل وهو بحمص ما صنع أسامة وجيشه فبعث رابطة من جنده يكونون باللقاء فلم تزل هناك حتى قدمت البعوث إلى الشام في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما<sup>(٣)</sup>.

ولما دخل أسامة المدينة استخلفه أبو بكر رضي الله عنه عليها، وقال له ولجنده: أريحوا وارعوا ظهركم. ثم خرج رضي الله عنه في الذين خرجوا إلى ذي القصة والذين كانوا على الأنقاب رضي الله عنهم وكان خليفة رسول الله في مقدمتهم. فقال له المسلمون: نشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو فابعث رجلًا فإن أصيب أمّرت آخر. فقال: والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي، فخرج في تعيينه إلى ذي القصة فنزلها وهي على يريد من

(١) الذهبي: عهد الخلفاء الراشدين، ٢٠. الصلابي، أبو بكر الصديق، ١٨٢.

(٢) الكامل لابن الأثير (٢/٢٢٧).

(٣) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٦/٢٦٤. الطبراني: المعجم الأوسط، ٨/٣٧٣. الصنعاني:

المصنف، ح (١٣٩٨٧).

المدينة فقطع فيها الجنود وكتب الكتاب<sup>(١)</sup> وكان خليفة رسول الله رضي الله عنه يقول: فاتقوا الله أيها الناس! واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم وإن كلمة الله تامة وإن الله ناصر من نصره ومعز دينه، والله! لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد، ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ، فلا يبيغين أحد إلا على نفسه<sup>(٢)</sup>.

واستعد رضي الله عنه لمتابعة الرافضة المرتدين في كل أرض؛ لأنهم كانوا أخطر على الإسلام وأهله من المشركين والروم الصليبيين، وأخطر من كل أعداء الإسلام، لما لديهم من وسائل الخداع والتضليل والجاسوسية، ولما يحملون في نفوسهم وعقائدهم من الحقد والكراهية للإسلام وأهله فكان خليفة رسول الله ﷺ مصيباً في كل اجتهاداته رضي الله عنه فجنت الأمة من مساعيه المشهودة الأمن والوحدة والانطلاق إلى قيادة العالم ونشر الأمن والعدل في ربوعه على هدي النبوة وتعاليم الوحي.

لقد كان أروع ما في موقف خليفة رسول الله في مواجهته لفتنة المرتدين أنه قابلها بأحزم ما تقابل به من الحزم والعزم المتواصل على استئصالها من صيحتها الأولى ولم يلتفت إلى متأول أو منظر أو متردد، فلم يكن بحاجة لشيء من ذلك حيث كان يبصر الحقيقة بينة واضحة لا لبس فيها ولا غموض، فقاعدته الصلبة التي سار عليها إما السنة وإما الردة ولا لقاء بينهما، فتعقب الردة بحزم متجدد لا خور فيه ولا وهن، واستمر على ذلك حتى أسلمت مقادها وثابت إلى قرارها وانطفأت نارها، التي جاء المفلسون في هذا العصر ممن يزعمون أنهم من أهل السنة ليحرثوا في رمادها أملاً في بعثها من جديد لتحرق السنة وأهل السنة ويجني أولئك المفتونون اللعنة في الدنيا والآخرة بمخالفتهم منهج الصحابة وفقههم وإجماعهم ويتدليسهم على أمة السنة دينها وعقيدتها.

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ٩/٤.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/٢١٣.

## موقف خليفة رسول الله بعد عودة جيش أسامة:

لما قدم أسامة بن زيد خرج أبو بكر رضي الله عنه واستخلفه على المدينة ومضى حتى انتهى إلى الرّبذة على ثلاثة مراحل من المدينة يلقى بني عبس وذبيان وجماعة من بني عبد مناة ابن كنانة فلقبهم بالأبرق فقاتلهم فهزمهم الله وفلهم، ثم رجع إلى المدينة فلما جمّ جند أسامة وثاب من حول المدينة خرج إلى ذي القصة فنزل بهم وهو على بريد من المدينة تلقاء نجد فقطع فيها الجند وعقد الألوية فقد عقد أحد عشر لواء على أحد عشر جنداً، وأمر أمير كل جند باستنفاً من مر به من المسلمين من أهل القوة وتخلف بعض أهل القوة لمنع بلادهم.

فلما أراح أسامة وجنده ظهرهم وجمّوا بعد عودتهم، وقد جاءت صدقات كثيرة إلى المدينة ممن ثبتوا على الإسلام تفضل عن حاجة أهل المدينة قطع أبو بكر رضي الله عنه البعوث وعقد الألوية فعقد أحد عشر لواء عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له. ولعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة، وللمهاجر بن أبي أمية وأمره بجنود العنسي ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح ومن أعانه من أهل اليمن عليهم، ثم يمضي إلى كندة بحضرموت. ولخالد بن سعيد بن العاص وكان قدم على تفيئة ذلك من اليمن وترك عمله وبعثه إلى الحمقتين من مشارف الشام. ولعمرو بن العاص إلى جماع قضاة ووديعة والحارث ولحذيفة بن محصن الغلفاني وأمره بأهل دبا. ولعرفجة بن هرثمة وأمره بمهرة وأمرهما أن يجتمعا وكل واحد منهما في عمله على صاحبه. وبعث شرحبيل ابن حسنة في أثر عكرمة بن أبي جهل، وقال: إذا فرغت من الإمامة فالحق بقضاة وأنت على خيلك تقاتل أهل الردة، ولطريفة بن حاجز وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن، ولسويد بن مقرن وأمره بتهمة اليمن، وللعلاء بن الحضرمي وأمره بالبحرين ففصلت الأمراء من ذي القصة ونزلوا على قصدهم فلحق بكل أمير جنده وقد عهد إليهم عهده وكتب إلى من بعث إليهم من جميع المرتدة بكتاب واحد<sup>(١)</sup>.

(١) الطبري: تاريخ، ٢/٢٥٧.

## فكان كتاب الخليفة إلى المرتدين واحداً:

فكانت الكتب إلى قبائل العرب المرتدة كتاباً واحداً: بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة أقام على إسلامه أو رجع عنه، سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله نُقِرَ بما جاء به ونُكفر من أبي ونجاهده، أما بعد: فإن الله تعالى أرسل محمداً ﷺ بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله بإذنه من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعاً وكرهاً، ثم توفى الله رسوله ﷺ وقد نفذ لأمر الله، ونصح لأمته، وقضى الذي عليه، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد حي قيوم لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره، منتقم من عدوه يجزيه، وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبيكم من الله وما جاءكم به نبيكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم يعافه مبتلى، وكل من لم يعنه الله مخذول، فمن هداه الله كان مهتدياً، ومن أضله كان ضالاً. قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾<sup>(٤)</sup>. ولم يُقبل منه في الدنيا

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١٧.

عمل حتى يقر به، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل، وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به اغترارًا بالله وجهالة بأمره وإجابة للشيطان قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾<sup>(١)</sup>. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(٢)</sup>. وإني بعثت إليكم فلائنا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته ألا يقاتل أحدًا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحًا قبل منه وأعانته عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة وأن يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم، والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون فأذّنوا كفوا عنهم، وإن لم يؤذّنوا عاجلوهم، وإن أذّنوا أسألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقرؤا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم. فنفذت الرسل بالكتب أمام الجنود وخرجت الأمراء ومعهم اليهود وفيها:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وعلايته، وأمره بالجد في أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان، بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم، حتى يقرؤا له ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له قبل ذلك منه وأعانته عليه بالمعروف، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل، وكان الله حسيبه بعد فيما استسّر به، ومن لم يجب

(٢) سورة فاطر، الآية: ٦.

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمه لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام، فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه ومن أبى قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس فإنه يُبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وألا يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم لا يكونوا عيوناً ولثلاً يؤتى المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل، ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول<sup>(١)</sup>.

وبهذا الحزم والعدل والوضوح تصدى خليفة رسول الله لأكبر فتنة تمر بها الأمة بعد وفاة نبيها عليه الصلاة والسلام قادها أعداء الصحابة ببيغهم وحقدهم وظلمهم وكفرهم، لكنهم صدموا بما كان عليه خليفة رسول الله فحلل الإسلام وقاهر الرافضة المرتدين ومن يسانداهم من حلفائهم المجوس والصليبيين، حتى استقرت رايات السنة في ربوع العالمين، وطمس نار المجوس، وغسل الأرض من رجس الصليبيين، فبقيت الرافضة بباطنيتها تجتر الحقد على خليفة رسول الله والصحابة أجمعين ومعهم أمة العرب التي أنجبتهم، تتحين الفرص في كل عصر، تتحالف مع الأعداء والغزاة والمحتلين وتزيف نصوص الشرع وتشكك في ثوابت الدين وتجدد جلدها وحقدتها للتعامل بذلك المكر والبغض للسنة وأهلها في كل مصر وعصر تتمكن فيه من ذلك، وعلى هذا بقيت السنة النبوية وموروث النبوة وحب الصحابة وحماية أعراضهم والذود عن إنجازاتهم والتمسك بمنهجهم أمانة في أعناق المؤمنين وأحرار الإسلام وحملة القرآن وحماته يبذلون من أجلها الوقت والمال والدم حتى يبقى ذلك الموروث الطاهر نقياً صافياً عزيزاً كما أراده رسول الله ﷺ وأصحابه الأكرمون رضي الله عنهم، ومن بعدهم السائرون على منهاج النبوة من أختيار هذه الأمة وسادتها.

\*\*\*

(١) الطبري: تاريخ، ٢/٢٥٨.



## المبحث الثاني

### أقسام الردة وأسبابها

### وموقف خليفة رسول الله منها

#### الردة:

قال تعالى: ﴿يَتَّخِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ بَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْبَلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢﴾.

والرد: صرف الشيء ورجعه، وقد ارتد وارتد عنه. والردة عن الإسلام: الرجوع عنه. وارتد عن دينه: إذا كفر بعد إسلامه<sup>(٣)</sup> والردة ولغت فيها قبائل أنسابها متعددة، وديارها متفرقة، وأهدافها متشعبة، وبدوافع ووسائل وأفكار متنوعة، وفي أوقات مختلفة، فمنهم من نابذ الإسلام وعاد إلى الكفر، ومنهم من ترك الصلاة ومنع الزكاة، ومنهم من أعلن رفض

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة (ردد)، ٣/ ١٧٣. الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٢٠٩.

الزكاة فقط، وكان من بينهم من سمح بالزكاة كبني يربوع الذين منعهم زعيمهم مالك بن نويرة من ذلك.

## أقسام المرتدين:

لم يكن المرتدون أبناء مدرسة واحدة، لذلك تباينت أهدافهم نوعًا ما، وإن كانت تقف جميعها على أرضية مشتركة تتمثل في العمل على رفض خلافة النبوة وإنهاء وجودها، ولكن من هؤلاء من اكتفى بالإعلان عن رفضه لفريضة الزكاة وهدمه لهذا الركن من أركان الدين وتظاهره بالسكوت عما سوى ذلك.

وهم المطالبون بالإعفاء من الزكاة، حيث يظهر أن هؤلاء أخف الناس خطرًا على السنة النبوية والخلافة الراشدة، ولكنهم كانوا أول من شق عصا الطاعة وسعر الفتنة، مما أكد سلامة وصحة ودقة موقف خليفة رسول الله الحاسم من الرفضة المرتدين، وأنه ليس أمامهم إلا التمسك بالسنة النبوية أو الانغماس بالرفض والردة، ومن هذا الصنف عامة قبائل بني عبس وذبيان. ومن انضم إليهم من بني كنانة وغطفان وفزارة، الذين سولت لهم أهواؤهم أن الزكاة ضريبة اختص بجبايتها رسول الله ﷺ فساروا بجمعهم نحو المدينة حتى نزلوا بالأبرق وذو القعدة وهي عن المدينة على مرحلة، وبعثوا وفدًا منهم إلى خليفة رسول الله يطلبون إليه أن يعفيهم من الزكاة ما داموا يقيمون بقية الفروض والأركان كما يزعمون، فتبين أن هؤلاء وإن زعموا أنهم يؤدون فرائض الإسلام الأخرى ما عدا الزكاة؛ لكنهم أول من حمل السلاح وعمل على شق الصف الإسلامي وتدخل فيما لا يجوز الاجتهاد فيه من ثوابت الدين؛ لذلك كان الموقف حاسمًا معهم لأنهم حملوا السلاح وأرادوا فرض ما يعتقدون على المسلمين بالقوة، ولأنهم أول من اجتروا على عاصمة المسلمين بما يؤكد أن تحضيراتهم وجمعهم التي كانت ترافق مطالبهم تنقض ما يزعمونه من الرضا بفرائض الإسلام الأخرى وإنما أرادوا مخادعة الخلافة كما هو خلقُ الرفضة.

وهناك صنف آخر من الرفضين لخلافة النبوة أعلنوا ردتهم عن الإسلام ككل ورفضهم

لكل ما جاء به النبي ﷺ من تكاليف في العبادة أو غيرها، وذلك بعد أن بايع قادتهم رسول الله ﷺ على الإسلام في عام الوفود عن أنفسهم وعن قبائلهم، مما وفر لهم الأمن في بلادهم فلم تتعرض لهم سرايا الصحابة وكتائب المجاهدين التي كان يبعثها رسول الله ﷺ لتبليغ الدين وتوطيد وحدة المسلمين وتنظيم إدارتهم بكل جوانبها الإدارية والسياسية والمالية والأخلاقية والاجتماعية إلا أن هؤلاء على ما يبدو لم يعودوا إلى دين الجاهلية وتعظيم الأصنام وعبادة الأوثان وما إلى ذلك.

مثل أهل البحرين وملكهم المنذر بن ساوى العبدي، وكان النبي ﷺ قد بعث العلاء بن الحضرمي إليه فأسلم على يديه، وأقام فيهم الإسلام والعدل، حتى مات المنذر بعد وفاة النبي ﷺ فارتد أهل البحرين إلى وثنيهم الأولى، وقال قائلهم: لو كان محمد نبياً ما مات، ولم يبق على الإسلام سوى قرية يقال لها جوثا وهي حصن في البحرين حاصروهم فيها المرتدون، وضيقوا عليهم، ولكنهم ثبتوا على إسلامهم بفضل ثبات إيمان رجل من أشرفهم، هو الجارود بن المعلى، فقد خطبهم قائلاً: «أتعلمون أنه كان لله أنبياء قبل محمد ﷺ؟ قالوا: نعم. قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا، قال: فإن محمداً ﷺ مات كما ماتوا، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا: ونحن أيضاً نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. فثبت أهل جوثا على الإسلام دليل دامغ على أن الرفض من حولهم كانوا متعمدين رفض الإسلام وتبني الردة، وفي موقف الجارود ما يؤكد أن هذا الدين إنما ينصر بمواقف الرجال وليس بأقوالهم فقط، وأن من لم تكن فيه الغيرة والحمية على الكتاب والسنة فإن إسلامه فارغ المحتوى وإن زعم، حيث إن قيمة الإسلام في نفوس أهله تظهر من استعدادهم للدفاع عنه والتضحية من أجله.

وصنف ثالث ارتدوا عن الإسلام بعد الدخول فيه واتبعوا ادعاء النبوة الذين ظهر بعضهم في حياة النبي ﷺ كمسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وطلحة الأسدي، وبعضهم ظهر

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٣٢٨.

بعد وفاة النبي ﷺ مثل سجاح بنت الحارث التغلبية، وهي من نصارى العرب، وقد استجاب لها بعض بني تميم وجماعة من أمرائها، وكان ممن استجاب لها مالك بن نويرة، وعطار بن حاجب، وتخلف عنها آخرون، ثم تحالفت مع مسيلمة الكذاب وتزوجته وجعل صداقها أن يضع عن قومها صلاتي الفجر والعشاء<sup>(١)</sup>.

وصنف آخر من الرافضة المرتدين سوغ موقفه الخارج على خلافة النبوة بعدم اقتناعه بأداء التكاليف الشرعية بما فيها من عبادات بدنية ومالية وضوابط أخلاقية وقيم اجتماعية، وأمام وطأة شهواته وعاداته وعلاقاته الجاهلية ارتد عن الإسلام خاضعاً في ذلك لعبودية مؤسسي دين رفض خلافة النبوة والرضا بطاعة الأهواء وعبادة المراجع البشرية، ومن يشرع لهم من دون الله تعالى بدلاً عن الكتاب والسنة النبوية.

على أن المرتدين لم تكن لهم قيادة موحدة، ولم تجمعهم أرض واحدة، ولم يعلنوا رفضهم وردتهم في وقت واحد، وإنما جاءت أحداث متلاحقة وإن تقاربت صبغتها العامة، لكنها لم توحد جهودها، ولم تعمل على توحيد قيادتها في أنحاء الجزيرة العربية، وإن توحدت بعض القبائل في بعض المواضع، وهذا يدل على أن تحرك تلك القبائل الرافضية كان على غير هدى ولم تكن لهم أهدافهم المعلنة الواضحة كما هو اليوم، وإنما كانت محاولاتهم تدور حول إثبات سلطان بعض القبائل أو التمرد عن أداء المناسك والعبادات والتمرد على الضوابط الشرعية، وإن كان بعض تلك القبائل يحاول العمل على انتزاع السلطة من المدينة ومن المهاجرين والأنصار، لكن لم تكن خططهم ومناهجهم واضحة في هذا الباب، لذلك سرعان ما انطفأت نارهم وتمزقت قواتهم أمام صبر المجاهدين واحتسابهم ووضوح أهدافهم وقوة حججهم وعدالة قضيتهم.

فلم تصمد الردة بكل أطراف رفضها أمام إرادة أهل الإيمان بالكتاب والسنة ووضوح المنهج وسمو الأهداف التي كان يغذي بها خليفة رسول الله كتائب المجاهدين الذين سرعان

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٢٣١.

ما أزهقوا قادة الردة المتنبئين والسياسيين والأذئاب، وأخرجوا المغرر بهم من بين أيديهم وأعادوهم إلى الرشد والهدى، ومن ثم نصرروا المؤمنين الذين استضعفتهم الرفضة في جولة ردتها فشنعوا بهم تقتيلاً وتعذيباً، ومن أصر على رفض خلافة النبوة ولم يقبل الحوار والعودة إلى السنة وما جاء به رسول الله ﷺ واجههم خليفة رسول الله بأقصى وسائل المواجهة لعظيم ما اقترفوه واجترأوا عليه من رفض القرآن والسنة، وكانت أوامر خلافة النبوة واضحة في مواجهتهم دون أي لبس أو غموض، فمن أصر على الرفض فإنما له القتل والحرق والإلقاء من شامخات الجبال، وهذا ما كان يؤمن به الأنصار والمهاجرون ومن معهم من تابعيهم من جند خليفة رسول الله، فقضوا بذلك على دابر الرفضة المجترئين على الله ورسوله ﷺ حتى استقام الدين ورسخت السنة، وهذا هو المنهج النبوي الراشدي الذي يجله كثير ممن يزعم أنهم من علماء السنة في هذا العصر في مواجهة الرفض وحركات هدم الإسلام، حتى جعلوا بجهلهم من أنفسهم جسراً لتمدد الرفض والردة بين أهل السنة النبوية، وذلك بما يجترونه من مدح لأعداء الصحابة وثناء على جهودهم الموهمة والمخادعة التي يزعمون أنهم يخدمون فيها الإسلام، فأنجز لهم عبيد الخميصة والخميصة من أدياء السنة بذلك الثناء الواهم الذي يقوم مقام التزكية لدينهم وأعمالهم الهدامة ومخططاتهم المدمرة، ما لم يتمكنوا من إنجازها خلال قرون طويلة.

وبقي الخطر الأكبر من آثار حركة الرفض والردة الأولى، أنها أوجدت الأرضية التي يقف عليها أعداء الكتاب والسنة وفي مقدمتهم المجوس الذين غلبوا أمام المسلمين فتلبسوا بالباطنية والغدر لمواجهتهم، ومن ذلك التظاهر بالإسلام والدفاع عنه؛ مع الاتفاق التام على رفض كل ما جاء عن طريق العرب وأصحاب رسول الله ﷺ ومعلوم أن الإسلام كله جاء عن تلك الطريق وكل ما لم يأت عنها فليس من الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، وهذا ما يشهده العقلاء في هذه الأيام حيث العمائم والمسميات والمظاهر الإسلامية التي خطفت أبصار الغوغاء، بينما المستباح هو الإسلام ولا سيما المصاحف وكتب السنة المطهرة والمساجد والأئمة والقراء والحفاظ وجميع العقلاء من أهل السنة النبوية، والمتابع لما يحصل على

أرض الواقع يجد البون الشاسع والتناقض الكامل بين ما يقوله الرافضة وما يقومون به. وقد سلك هذا المنهج أعداء العقيدة من كل الأجناس الذين يحاربون السنة في هذا العصر بأفكار علمانية صليبية وإلحادية أقامت تحالفات مع الرافضة على حرب السنة وأهلها على الصعد كافة في العالم الإسلامي.

ومع تنوع حركات الردة فإنها تتفق في سمة واحدة وهي رفض خلافة النبوة، وهذا ما يدين به الرافضة في عملهم المستمر منذ ذلك التاريخ للإطاحة بالخلافة، والردة إلى الجاهلية ولكن بعد أن طوروا وسائل عملهم بما يعين على تمويه أهدافهم وإخفاء مطالبهم الحقيقية مما ساعدهم على الوصول إلى الكثير من تلك الأهداف الخبيثة يعينهم على ذلك غفلة الكثير ممن يحسب على علماء السنة وهو فاقد لرابطة الولاء لها والبراءة من أعدائها، لذلك سقط في الهاوية كل من يحسن الظن في الرافضة، لأنهم يدينون بعداء الصحابة والكفر بكل ما جاء عن طريقهم، الأمر الذي جعلهم ومن يعتقد فيهم الإسلام بعيدين كل البعد عما جاء به النبي ﷺ.

وذلك أن القرآن والسنة حملهما الصحابة رضي الله عنهم والرافضة يعتقدون أن الصحابة ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ<sup>(١)</sup> وبالتالي فإن كل ما جاء عن طريقهم فهو مردود لا يعملون به، والحقيقة أن كل الإسلام جاء عن طريق الصحابة، وكل ما لم يأت عن طريقهم فليس من الإسلام؛ لأن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ إنما حمله أصحابه رضي الله عنهم ومن ثم بلغوه للناس وجاهدوا من وقف أمامهم لمنع تبليغه كما جاء به محمد ﷺ، لا كما يريد المبطلون الملبسون على الأمة أمر دينها.

ومن هنا تأتي خطورة من يُحسن الظن في الرافضة وهو يزعم أنه من أهل السنة، لأن هذا

(١) إن كراهية الرافضة لأهل السنة النبوية ليست وليدة اليوم، ولا تختص بالمعاصرين، بل هي كراهية عميقة تمتد إلى جيل الصحابة ما عدا ثلاثة منهم وهم: أبو ذر والمقداد وسلمان، روى الكليني عن أبي جعفر قال: (كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة المقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري) الكليني: روضة الكافي، ٨/٢٤٦. الموسوي: له ثم للتاريخ، ٨٢.

سيخرجه عن عقيدته وينقله إلى ما لا يعتقد أهل السنة والجماعة، وما يخالف به منهج خليفة رسول الله والصحابة رضي الله عنهم فيقوده ذلك إلى اللحاق بركب الرافضة الذين يردون كل ما جاء عن الصحابة من الدين، وأهل السنة يقولون: إن كل من يطعن في الصحابة رضي الله عنهم إنما هو زنديق هدفه الطعن في الكتاب والسنة، ولما لم يجزؤ على إعلان عقيدته هذه أخذ يموه ويشبه ويصنع الأباطيل ويضع الروايات المكذوبة وينسبها إلى الصحابة رضي الله عنهم لتغيير الناس عنهم وبالتالي إبعادهم عن القرآن والسنة وعن كل ما رواه الصحابة، وهذا ما وقع فيه الغوغاء من أهل السنة، حتى إن البعض منهم تجده عالمًا في أحكام الفقه أو في التفسير أو اللغة وغير ذلك، لكنه لم يضع لنفسه ثوابت يسير على هديها فتجده تارة يهوي وتارة يقف، فتتلاعب به أهل الأهواء ويسخرونه لخدمة أهدافهم البعيدة الرامية إلى إقصاء السنة وتحطيم أهلها، وهذا ما يفعله في هذا العصر من يزعم أنه من علماء أهل السنة لكنه معجب بالرافضة ويمجد مكرهم وحقدهم على السنة وحملت أصحاب رسول الله ﷺ وعلى ورثتهم، وهذه هي عقيدة الغوغاء التي طالما هوت بهم ثمالي في أحوال مكر الرافضة وأوقعتهم في شباكهم، وزينت لهم الردة ومعاداة حملة الكتاب والسنة، وأوقعت عوامهم في الفرقة والوهم لأن الغوغاء لم يربطوا علمهم بالعقيدة وثوابتها الراسخة.

وكل هذا يوجب على المسلمين معرفة سيرة خليفة رسول الله بكل تفاصيلها، وكيف كان يقتدي بمواقف رسول الله ﷺ، ويتذكر كيف كان المشركون يموهون عليه ويساومونه حتى قال ﷺ يرد على إغراءاتهم: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» فكيف يُغلب من كان رسول الله ﷺ قدوته وقد طبق ذلك أبو بكر رضي الله عنه عملياً ومعه أصحاب رسول الله ﷺ في مواجهتهم للمرتدين، فوجب على كل مسلم في هذا العصر الذي استعرت فيه الدعوة إلى الرفض والردة بأشكال وألوان متعددة؛ معرفة تلك السيرة العطرة ووسائلها التي أنقذت الأمة من كيد الرافضة المرتدين وأحقادهم وتفعليل ذلك والتخلق به وتطبيقه في هذا العصر لإنقاذ السنة النبوية وأهلها من تلك الأخطار التي تضاعفت وازدادت خبرة في التآمر على الإسلام

والمسلمين، وحقداً على السنة النبوية المباركة وأهلها الأبرار. ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾<sup>(١)</sup>.

## أسباب الردة:

لعل القارئ يتساءل عن أسباب الردة ودوافعها الحقيقية، وهنا يمكن القول: إن أسبابها لا تنحصر في سبب واحد، ولعل من أبرز تلك الأسباب:

اعتقاد كثير من زعماء القبائل أن مسألة النبوة انتهت بوفاة النبي ﷺ وأنهم أصبحوا في حل من أي التزام تجاه التوحيد ووحدة الأمة وأركان الإسلام وضوابطه، وأنهم غير معنيين بكل ما يقوم به المهاجرون والأنصار من إجراءات أو قرارات بما في ذلك بيعتهم لخليفة رسول الله وليقوم بكل ما كان يقوم به رسول الله ﷺ في قيادة الأمة والنظر في مصالحها، فهذا الاعتقاد وأبعاده من أهم ما أوقعهم في هاوية رفض طاعة الخلافة والردة عن الإسلام ككل، وذلك لقرب عهدهم بالجاهلية والفوضى الإدارية والسياسية التي كانت تعيشها أمة العرب، وعمل كل زعيم بما يراه مناسباً لتثبيت زعامته وما يتبعها من دوافع المنافسة والسمعة وما إلى ذلك.

ومن أسبابها ضعف إيمان المرتدين لحدائثة عهدهم بالإسلام ولعدم فهم الأبعاد الحقيقية الربانية والعالمية في الرسالة الإسلامية، وما على كل مسلم من واجبات تجاهها، وعدم فهمهم أن الإسلام جاء ليرفع الذل عن الأذلاء ويزيد الأعداء عزاً، وأنه لجميع بني البشر، وعدم قدرتهم على الخروج من قوقعة العصبية القبلية وتبعاتها السلبية حتى قال قائل المرتدين في هذا الباب: كذاب ربيعة خير من صادق مضر. وهذا كله يدور في عادات الجاهلية وأخلاقياتها وعمل أهلها على تثبيت سلطانهم على أي شريعة كانت، حتى لو كان ذلك بالحيف والظلم للآخرين.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٩.

ومن أسباب الردة الأخرى التحالفات التي كانت قائمة بين بعض القبائل العربية في الجاهلية ودخول بعض القبائل في الإسلام وبعضها بقي خارج الطاعة مما فكك بعض تلك الروابط فكان من نتيجة ذلك أن تغيرت الخارطة الجغرافية لسكنى بعض القبائل حيث ضعف بعضها وقوي بعضها الآخر؛ فأزاحت القبائل القوية القبائل الضعيفة عن مواطنها، فعندما ظهر الرفض المتنبئون تغيرت التحالفات من جديد فسعت بعض القبائل إلى إحياء تحالفاتها القديمة، وبعضها عقد تحالفات جديدة؛ فتغيرت الأهداف، وتضاربت المصالح عند طلاب الدنيا ممن كان يبحث عن المكاسب بأي وجه كان حتى لو كان ذلك على حساب الدين وحقوق الآخرين<sup>(١)</sup>.

ولعل من دوافعها الأخرى عند بعض المرتدين عدم قدرتهم على العيش في حياة مستقيمة بضوابطها الشرعية الصحيحة، ورغبتهم في العودة إلى نزوات الجاهلية وما فيها من آثام المعاصي وانعدام الضوابط، وهذا ما تعمل الرفضة على إعادته إلى النفوس المريضة التي تتبعهم تحت مغريات الشهوات وانعدام الحواجز الشرعية من الحلال والحرام.

ولعل ما يدين به الرفضة في هذا العصر من الإباحية المسماة بالمتعة التي لا يحد النساء فيها عدد ولا زمن سواء كانت بكرًا أم ثيبًا أو غير ذلك، وإباحة كل ذلك على ألا يسمى هذا إباحية وإنما يُسمى متعة، لعل ذلك من الأبواب المغرية عند البعض للدخول في الرفض والردة، وكذلك ما صنعه من أحاديث مكذوبة تهون عليهم الولوغ في المعاصي، ومن ثم تدعوهم إلى الإسهام في إقامة الطقوس التي تغذي الحقد على السنة النبوية، وأن المشاركة في تلك الطقوس تغفر جميع الذنوب التي يرتكبونها في حياتهم<sup>(٢)</sup>! أي أن إيذاء أهل السنة ومخالفتهم دين عند الرفضة!!

وكذلك في الصلوات وفي الصيام واستبدال الحج إلى بيت الله بالحج إلى أوثان القبور والمشاهد التي أوجدوها لتشتيت الولاء وتمزيق الصفوف وإحداث المنافذ وإكثار المعظم

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الطبري، ٢/٢٦٢. (٢) الموسوي: لله ثم للتاريخ، ١٠٩.

من دون الله، ولصرف الناس عن الكعبة المشرفة التي تجتمع عليها الأمة في أكبر مظاهر وحدتها في فريضة الحج، واستبدال طاعة الله بطاعة المراجع الذين يشرعون من دون الله كما نشهده الآن في موالة الرافضة لليهود والصليبيين ورفضهم لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، بل إنهم في فتاواهم جعلوا من يقاتلهم دفاعاً عن دينه وأرضه وعرضه مرتدّاً يجب مقاتلته واتهامه وتسويد سيرته والاستعانة عليه بكل حاقد وعدو لأمة محمد ﷺ، وهذا ما هو ثابت في العراق اليوم لكل مراقب عاقل عادل يعي الأهداف الحقيقية لما يدور حوله.

ولا يخفى أن الرافضين لخلافة النبوة من المرتدين كانوا يجدون الامتداد الداعم لهم في أحضان أعداء العرب المسلمين الذين يرفضون أن يكون لهذه الأمة دولة وكيان أو ديانة وشريعة حتى لو كانت دولتهم خير دولة يعيش فيها الناس جميعاً سواسية، وما يحمله الفرس والروم على أمة السنة النبوية من الأحقاد والحسد والعمل على تقويض هذا الكيان منذ نشأته الأولى على يدي رسول الله ﷺ ظاهر معلوم، وقد فعل هؤلاء كل ما في وسعهم للحيلولة دون وصول الإسلام إلى الناس، وهذا ما شجع الرافضة سابقاً ولاحقاً على التعامل مع المسلمين بمتتهى الحقد والكراهية، وذلك أنهم ورثوا حقد كل أعداء الإسلام ووجدوا فيهم الحليف الطبيعي الذي يؤويهم ويساندهم ويمددهم بالغي ويشحنهم بالبغضاء والكراهية فضلاً عن المال والسلاح والتحريض على حرب السنة وتدمير أهلها بأي وسيلة متاحة وتحت أي مظلة كانت، ولعل هذا ما يشهده الناس من استمرار هذا التحالف الآثم على السنة النبوية في هذا العصر وبما هو أشد مما كان عليه أجدادهم من قبل.

ولكنهم لن يفلحوا بإذن الله تعالى فكما استطاع المهاجرون والأنصار دحر الرفض والردة تحت راية إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله فإن تابعيهم بإحسان من أبناء الطائفة

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١.

المنصورة، ومع الوهن والعجز والمداهنة وسوء الفهم الذي يتلبس به الكثير من أهل السنة المعاصرين، سائرون على ذات المنهج حتى يفتقروا عيون الرفض والردة المعاصرة وبكل مسمياتها وتمويهاتها كما فعل سلفهم الصالح الذي رسم لهم الطريق، ولتبقى أمة الكتاب والسنة كما أَرادها نبيها ﷺ بأن تكون بلا تبديل ولا تغيير. قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذَابَ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

## الخلافة والمرتدون:

لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت عامة العرب، واشربأت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ، حتى جمعهم الله على إمامهم أبي بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله. قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله ﷺ فنزل بأبي ما لو نزل بالجمال الراسيات لهاضها، اشربأ بالمدينة النفاق وارتدت العرب. فوالله ما اختلفوا في واحدة إلا طار أبي بحظها وغنائها عن الإسلام<sup>(٢)</sup>.

وذكر أن كثيرًا من أهل مكة لما توفي رسول الله ﷺ هموا بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك حتى خافهم والي مكة عتاب بن أسيد رضي الله عنه فتواري عن الأنظار، فقام سهيل بن عمرو رضي الله عنه خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رابنا ضربنا عنقه. فتراجع الناس وكفوا عمًا همّوا به، فظهر عتاب بن أسيد رضي الله عنه. وهذا هو المقام الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر رضي الله عنه حين أشار عليه بقلع ثنيتي سهيل بن عمرو يوم جاء سفيرًا مفاوضًا عن قريش وأهل مكة في يوم الحديدية، وقول النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه: إنه عسى أن يقوم مقامًا لا تدمنه! وقد قام ذلك المقام وخطب كخطبة إمام الأمة خليفة رسول الله.

قال ابن كثير: وقد ذكرنا ما وقع بعد وفاة رسول الله ﷺ من الردة في أحياء كثيرة من العرب، وما كان من أمر مسيلمة بن حبيب المتنبّي باليمامة، والأسود العنسي باليمن، وما

(٢) البلاذري: الشيخان، ٢٨.

(١) سورة هود، الآية: ٤٩.

كان من أمر الناس حتى فاءوا ورجعوا إلى الله تائبين نازعين عما كانوا عليه في حال ردتهم من السفاهة والجهل العظيم الذي استفزهم الشيطان به، حتى نصرهم الله وثبتهم وردهم إلى دينه الحق على يدي خليفة رسول الله الصديق أبي بكر رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

فإذا كانت فتنة الردة قد كشفت عن زيغ الزائغين وريبة المرتابين، فهي قد كشفت عن الإيمان والدين والفداء السمح واليقين المبين عند المؤمنين، فحفظت للناس نماذج للصبر والشجاعة والإيثار والحمية التي ما زالت تشرق بها صفحات الأيام، وجاءت الشهادة الأولى على لسان رجل من أصحاب طليحة بن خويلد الأسدي حين سأله طليحة: ويلكم ما يهزمكم أمام المسلمين؟ فقال له: أنا أحدثك ما يهزمنا؛ إنه ليس رجل متاً إلا وهو يحب أن يموت صاحبه قبله، وإنا لنلقى قوماً كلهم يحب أن يموت قبل صاحبه! وقد سأل آخرون من أعداء المسلمين هذا السؤال فكانت الإجابة واحدة، وهذه هي روح النصر والحمية النابعة من الإيمان التي كان يحملها السلف فواجهوا بها الرافضة المرتدين بأعلى درجات الاستعداد والعنفوان حتى سحقوا رفضهم ومكرهم وحقدهم ولم ينجمهم إلا الإعلان بدخول الإسلام، والشهادة على أنفسهم بالردة والتوبة المعلنة عن كل ذلك مع الحذر الدائم منهم إلا أن يثبت حسن إسلامهم، وهذه السياسة في التعامل مع أعداء السنة هي التي يجب أن تُبعث في قلوب المؤمنين في هذا العصر حتى تثبت السنة وتزول عواصف الردة والمكر والكيد الرافضي الذي صال وجال في ديار أهل السنة بعد أن غابت سياسة خليفة رسول الله التي رسمها لمن يُبتلى بالرافضة في أي عصر أو مصر.

وقد امتحنت دعوة الإسلام وامتحنت جميع الدعوات التي نهضت لمنافسة الإسلام بقوة السلاح وقوة الدهاء وقوة العصبية فقضت له بالبقاء وقضت عليها بالفناء. ولو كان نجاح الدعوة الإسلامية نجاح سلاح أو دهاء أو عصبية لكان أصغر متنبئ من أذعياء الردة خليفاً أن يطمع في ذلك النجاح، لأنهم بدؤوا دعوتهم ومعهم من جموع القبائل التي تعزز بعصبياتها

(١) ابن كثير: السيرة، ٤/ ٥٥٤.

ما لم يتهيأ لصاحب الدعوة المحمدية قبل عدة سنين، وصدقهم أناس كانوا يقولون: إن نبياً كاذباً منهم خير من نبي صادق من مضر أو قريش<sup>(١)</sup>.

### موقف خليفة رسول الله من الردة:

من المواقف المشهورة بعد وفاة النبي ﷺ أن خليفة رسول الله سير جيش أسامة وفيه زهرة قوات المدينة؛ فارتدت العرب، وتضمرت الأرض نازاً، وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشاً وثقيفاً، وقال ابن إسحاق: ارتدت العرب عند وفاة رسول الله ﷺ ما خلا أهل المسجدين، مكة، والمدينة، وارتدت أسد وغطفان وعليهم طليحة بن خويلد الأسدي الكاهن، وارتدت كندة ومن يليها، وعليهم الأشعث بن قيس الكندي، وارتدت مذحج ومن يليها، وعليهم الأسود بن كعب العنسي الكاهن، وارتدت ربيعة مع المغرور بن النعمان بن المنذر، وكانت حنيفة مقيمة على كفرها مع مسيلمة بن حبيب الكذاب. وارتدت سليم مع الفجاءة، واسمه أنس بن عبد ياليل، وارتدت بنو تميم مع سجاح الكاهنة.

وبعد أن تبلورت هذه المواقف اجتمعت أسد وغطفان وطبيخ على طليحة بن خويلد الأسدي وبعثوا وفوداً إلى المدينة، فنزلوا على وجوه الناس فأنزلوهم، فحملوهم إلى أبي بكر رضي الله عنه على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، فعزم الله لأبي بكر رضي الله عنه على الحق، وقال: لو منعوني عقلاً لجاهدتهم، فردهم فرجعوا إلى عشائرتهم، فأخبروهم بقلة أهل المدينة، وأطمعوهم فيها، فجعل أبو بكر الحرس على أنقاب المدينة، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد وقال: إن الأرض كافرة، وقد رأيت وفود الرافضة المرتدين منكم قلة، وإنكم لا تدرّون ليلاً يأتون أم نهاراً، وأدناهم منكم مسافة على بريد.

وقد كان القوم يؤتمنون أن نقبل منهم ونوادعهم وقد أبيناهم، فاستعدوا وأعدوا.

فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقت المدينة غارة، وخلصوا نصفهم بذي حُسي ليكونوا ردةً

(١) البلاذري: الشيخان، ١٠٧.

لهم، وأرسل الحرس إلى أبي بكر يخبرونه بالغارة، فبعث إليهم: أن الزموا مكانكم. وخرج أبو بكر رضي الله عنه إليهم في أهل المسجد على النواضح من الإبل، فانفض العدو واتبعهم المسلمون على إبلهم، حتى بلغوا ذا حُسى فخرج عليهم الكمين ثم التقوا مع الجمع فكان الفتح والنصر للمسلمين والهزيمة للرافضة المرتدين. وقد قال الحطيل بن أوس، ويقال الحطيئة يؤكد رفضهم لخلافة النبوة وتمردهم على المسلمين ورفضهم لأداء الزكاة وأن عدم قبول المسلمين منهم الصلاة دون الزكاة أمر يبعث على السرور في نفوسهم؛ لأنهم يريدون أن تنتهي الأمور إلى ذلك كما سيتأكد هذا لاحقاً أيضاً:

أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ وَسَطَنَا      فَيَا لِعِبَادِ اللَّهِ مَا لِأَبِي بَكْرٍ  
 أَيُورِثُنَا بَكْرًا إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ      وَتِلْكَ لَعَمْرُ اللَّهِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ  
 وَإِنَّ التِّي سَأَلُوكُمُو فَمَنْعْتُمُو      لَكَالتَمْرِ أَوْ أَحَلَّى إِلَيَّ مِنَ التَّمْرِ<sup>(١)</sup>

أي سؤالهم للمسلمين أن يعفوهم من دفع الزكاة وكان في ذلك تدليس في التفاوض فهم إنما يريدون أن ينظروا إلى أي مدى يتمسك المسلمون بشعائرتهم ولو أجابوهم إلى مطلبهم هذا لاحتجوا بغيره إلا أنهم وجدوا من يفقه كل ما يدور في أذهان رافضي خلافة النبوة ويعلم مقاصدهم ووسائلهم فقطع عليهم الطريق وأكد لهم أن الإسلام كل متكامل إما أن يقبل كله أو يرفض كله وأمام موقف خليفة رسول الله الحاسم من الرافضة انكشفت مقاصدهم الهدامة، بل أبدوا فرحهم لرفض المسلمين إعفاءهم من فريضة الزكاة، وهذا ما اتضح في قول شاعرهم الذي أكد تمنيهم رفض المسلمين قبول الصلاة من دون الزكاة ليجعلوا من ذلك ذريعة لقتالهم ومهاجمة المدينة، وهذا ما فعلوه.

وبعد هذه الأحداث وانشغال الخلافة بالرافضة من حول المدينة، ومن ثم انضمام المنهزمين منهم إلى تجمعات المرتدين استغلظ أمر مسيلمة الكذاب، واجتمع طليحة مع قبائل طيء وأسد وارتدت غطفان تبعاً لزعيمها عيينة بن حصن، وهو صاحب المقولة

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٣٠٦/٦.

المشهوره أيام الردة: نبي من الحليفين - يعني أسدًا و غطفان - أحب إلينا من نبي من قريش، وقد مات النبي ﷺ و طليحة حي، فاتبعه وتبعته غطفان. وقدمت رسل النبي ﷺ من اليمامة وأسد وغيرهما، فدفعوا كتبهم لأبي بكر رضي الله عنه وأخبروه الخبر عن مسيلمة و طليحة وعن غدر الرافضة المرتدين.

فقال خليفة رسول الله لعمال النبي ﷺ: لا تبرحوا حتى تجيء رسل أمرائكم وغيرهم بأدهى مما وصفتم، فكان كذلك وقدمت كتب أمراء النبي ﷺ من كل مكان بانتفاض العرب عامة أو خاصة وتسلطهم على المسلمين، فحاربهم أبو بكر رضي الله عنه بما كان رسول الله ﷺ يحاربهم، حاربهم بالرسول فرد رسلهم بأمره وأتبع رسلهم رسلًا وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة وجيشه، فكان عمال رسول الله ﷺ: على قبائل قضاة و كلب: امرؤ القيس بن الأصبع الكلبي. وعلى القين: عمرو بن الحكم. وعلى سعد هذيم: معاوية الوالبي فارتد وديعة الكلبي فيمن تبعه، وبقي امرؤ القيس على دينه. وارتد زميل بن قطبة القيني وبقي عمرو بن الحكم. وارتد معاوية فيمن اتبعه من سعد هذيم. فكتب خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه إلى امرئ القيس الكلبي وقد ثبت على الإسلام وفارق الرافضة، وهو جد سكينه بنت الحسين رضي الله عنه فسار بوديعة إلى عمرو، فأقام لزميل، وإلى معاوية العذري، وتوسطت خيل أسامة رضي الله عنه ببلاد قضاة فشن الغارة فيهم، فغنموا وعادوا سالمين<sup>(١)</sup>.

وواضح أن خليفة رسول الله لم تفجأه حركة الردة ورفض خلافة النبوة لما كان لديه من علوم وأخبار استقاها مما كان صاحبه ﷺ يستشرف بها مستقبل الأمة أو من إشارة من دلائل النبوة أشار بها ﷺ إلى ذلك، ففقهها الصديق رضي الله عنه الذي ثبت أنه كان يفقه عن النبي ﷺ ما لا يفقه غيره ويستنبط من إشارات ﷺ من العلوم والأحكام ما جعله على بصيرة في كل ما اتخذ من إجراءات ووسائل كافح بها الرافضة وأحقادهم التي لا تنتهي، فعندما جاءه

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٣٢.

عمال رسول الله مندهشين من مكر الرافضة وبغيهم وظلمهم قال لهم رضي الله عنه مخبراً عما سيجري من أحداث أسوأ مما جاؤوا به، مستشرفاً ذلك مما لديه من علم ومن قياس الأمور ومعرفة بتوجهات وتحالفات الكثير من زعماء الأعراب ومن يدور في فلکهم. فقال: لا تبرحوا حتى تجيء رسل أمرائكم وغيرهم بأدهى مما وصفتم فكان كذلك. فلم تفت في عضد الصديق كل تلك الأهوال؛ لأنه كان يسير على خطى النبي ﷺ فيما كان يلتزمه من تدابير لمواجهة فواجهم بالإعلام المضاد والعمل على كسب الوقت لاجتماع قوى الموحدين ومعرفة الرافضة المرتدين على حقيقتهم، وانتظاراً لاجتماع كتائب الصحابة وتبلور رأيهم فيما يعالجون به محنة المرتدين التي تداخلت من خلالها العلاقات الاجتماعية والسياسية والعسكرية وغيرها، حيث قاد الرافضة أسوأ حركة تمرد لهدم الإسلام وإفشال خلافة النبوة، فقد أصبح في الأسرة الواحدة والقبيلة الواحدة مؤمنون ورافضة مرتدون مما كان له أثر في وقوع كثير من المسلمين في الحيرة لما يحصل، فالرافضة يقولون: لا إله إلا الله ولكنهم يعملون على هدم دولة لا إله إلا الله وخطورة دم من يقول: لا إله إلا الله يعلمها كل مسلم فبلغ الحال في المسلمين كل مبلغ من الدهشة والحيرة وضبابية الرؤية وعدم وضوح العدو فيما عدا خليفة رسول الله.

وقد وصف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه تلك الحال فقال: لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقاماً كدنا نهلك فيه لولا أن الله منّ علينا بأبي بكر رضي الله عنه أجمعنا على ألا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون من الإبل، وأن نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين، فعزم الله لأبي بكر رضي الله عنه على قتالهم فوالله ما رضي منهم إلا بالخطبة المخزية وأن يقرؤا بأن من قتل منهم في النار ومن قتل منا في الجنة، وأن يدوا قتلانا ونغنم ما أخذنا منهم، وأن ما أخذوا منا مردود علينا. وإما الحرب المجلية بأن يخرجوا من ديارهم ويجلوا عنها. وبهذه العزيمة والصراحة والوضوح واجه خليفة رسول الله المرتدين فأزال بوضوح رؤيته وقوة حجته وعنفوان عزمته كل ما في نفوس الصحابة من تردد ووجل مما كان يلبس به الرافضة من طقوس يؤدونها؛ لكي يلبسوا على الصحابة دينهم، وهذا ما يعاني

منه أهل السنة في هذا العصر إذ لا عزيمة ولا وضوح في الرؤية مما أوقع الكثيرين ليس من عامتهم، بل من علمائهم في أحوال الرفض وشبهات المتنبئين.

وهذا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»<sup>(١)</sup>. قال: فلما كانت الردة قال عمر لأبي بكر رضي الله عنهما: تقاتلهم وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا؟ قال: فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة، ولأقاتلن من فرق بينهما. قال: فقاتلنا معه فرأينا ذلك رشداً<sup>(٢)</sup>.

ولما انقاد جمهور الصحابة لخليفة رسول الله وأقروا أنه كان أصوبهم موقفاً وأثبتهم جناتاً ازدادوا قبولاً لكل ما يأمر به أو ينهى عنه حتى إن أبا هريرة كان يقول: والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقيل له: مه يا أبا هريرة، فقال: إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد رضي الله عنه في جيش إلى الشام، فلما نزل بذي حُشب قبض النبي ﷺ وارتدت العرب حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا بكر رد هؤلاء، توجه هؤلاء إلى الروم، وقد ارتدت العرب حول المدينة، فقال: والذي لا إله إلا هو لو جرّت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله ﷺ ولا حلت لواء عقده رسول الله ﷺ فوجه أسامة، فجعل لا يمرّ بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم، وقتلوا منهم ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام<sup>(٣)</sup>.

(١) مسلم: صحيح مسلم، ك. الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ح (١٢٦).

(٢) ابن حنبل: المسند، كتاب وياب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه ح (٦٨). ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/٣٠٤.

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣١٥.

ولم يقف خليفة رسول الله عند إرسال هذه القوة إلى خارج المدينة لبث الثقة في نفوس المؤمنين والوهن في قلوب المترددين والرافضين لخلافة النبوة لكيلا يقوموا بإثارة الفتن داخل الدولة الإسلامية، بل إنه احتاط لما حوله واتخذ كل الإجراءات المطلوب اتخاذها لدولة تمر بما تمر به خلافة النبوة، وذلك أن الرافضة لا أمان لهم وأن المنافقين يبشون كل ما في نفوسهم من ضغائن على المسلمين لتصديق الصفوف وتمزيق الأمة الناشئة على حب الكتاب والسنة.

قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: «خرج أبي شاهراً سيفه، راكباً على راحلته إلى ذي القصة فجاء علي بن أبي طالب يأخذ بزمام راحلته، فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أُحد: «شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أُصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً»<sup>(١)</sup>.

- ومما لاحظته المسلمون على خليفة رسول الله تلك الشجاعة الخارقة والثقة المطلقة فلم يلاحظوا عليه أنه يخشى شيئاً من قوة البشر، فقد قال قائل لأبي بكر رضي الله عنه: «ما أراك تخاف لما قد بلغ من الناس، ولما تبويج من إغارة العدو، فقال: ما دخلني إشفاق من شيء، ولا دخلني في الدين وحشة إلى أحد بعد ليلة الغار، فإن رسول الله ﷺ حين رأى إشفاقى عليه وعلى الدين قال لي: «هون عليك، فإن الله قد قضى لهذا الأمر بالنصر والتمام»<sup>(٢)</sup>. وهذا ما أكدته سيرته رضي الله عنه فلم يسجل عليه أحد أنه تلعثم في يوم من الأيام أو تردد أو شك وإنما هو الإقدام واليقين بالنصر في جميع الظروف والأوضاع، والمتابع لهذه الخاصية التي انفرد بها خليفة رسول الله عن غيره من المؤمنين يلمسها في مواقفه وأقواله التي تؤكد خطبته يوم الردة.

فقد قام خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه خطيباً فحمد الله، وأثنى عليه ثم

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣١٦.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣١٧.

قال: الحمد لله الذي هدى فكفى، وأعطى فأغنى، إن الله بعث مُحَمَّدًا ﷺ والعلم شريد، والإسلام غريب طريد، قد رث حبله وخلق عهده، ووصل أهله منه، ومقت الله أهل الكتاب، فلا يعطيهم خيراً، لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم، قد غيروا كتابهم، وأتوا عليه ما ليس فيه، والعرب الأميون صفر من الله لا يعبدونه، ولا يدعون، أجهدهم عيشاً، وأضلهم ديناً في ظلف من الأرض مع قلة السحاب فجمعهم الله بمُحَمَّد ﷺ وجعلهم الأمة الوسطى، نصرهم بمن أتبعهم، ونصرهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيه ﷺ فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله الله عنه، وأخذ بأيديهم، وبغى هلكتهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ (١). إن من حولكم من العرب منعوا شأتم وبعيرهم، ولم يكونوا في دينهم وإن رجعوا إليه أزهدهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا، على ما قد فقدتم من بركة نبيكم ﷺ ولقد وكلكم إلى الحي الذي وجده ضالاً فهداه وعائلاً فأغناه، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، والله لا أدع أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده، ويوفي لنا عهده، ويقتل من قتل منا شهيداً من أهل الجنة، ويبقى من بقي منا خليفته وورثته في أرضه، قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خلف له: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢). ثم نزل رضي الله عنه (٣).

فاتضح في خطبة خليفة رسول الله أمور ومواقف كثيرة منها: استيعاب خليفة رسول الله التام لمسيرة الإسلام ومقوماتها وأطوار بنائها ويقين كامل بموعد الله وبشارته بالتمكين لعباده وثقة مطلقة بالنصر وسيادة المؤمنين، وتوصيف دقيق لحال الرافضة المرتدين، وبيان

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤. (٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣١٨. البداية والنهاية: ٦/٣٠٤.

أسباب رفضهم لخلافة النبوة، وشرح لما كانت عليه أوضاع المسلمين، وبيان لطاقتهم وقدراتهم، ثم انتقل خليفة رسول الله ﷺ إلى بيان توجهات الخلافة وموقفها من كل تلك الأحداث الخطيرة والتأكيد على الهدف الذي لا يتغير عند أولي العزم من المؤمنين الصادقين وهو إحراز النصر وإنجاز موعود الله في وراثة الأرض وخلافة الله تعالى فيها، وأن نهاية جهاد المؤمنين هو تحقيق ذلك ومن سقط منهم شهيداً فإن جزاءه الجنة وأن كل ذلك حقيقة لا تقبل الشك ولا التأويل؛ لأن ذلك هو قضاء الله وقوله الحق سبحانه وتعالى، وهذا ما سار عليه خليفة رسول الله وقاد على جنابته الأمة حتى تحقق لها موعود الله الذي هو قريب من المؤمنين؛ متى ما صدقوا وأخلصوا الدعاء والعمل في كل عصر ومصر.

وجاء فيها الكثير من التبيان الذي كان عليه العرب قبل البعثة النبوية، ورسم الصور التي تعبر عن الواقع الذي عاشته الأمم السابقة فضلاً عن أمة العرب التي كانت محصورة في جزيرتها حتى أكرمها الله بمحمد ﷺ الذي جاءها بالشرعية والنظام وعقيدة التوحيد مع ما كانت فيه من جهد العيش وسوء الحال، وقد جاءها ﷺ بالبشارات التي تضمن لهم النصر والسيادة والأمن إن هم لازموا التوحيد ونصرة السنة النبوية وساروا على ما رسمه لهم رسول الله ﷺ، وهذا ما انتهجه رضي الله عنه في كل مفردات حياته التي عاشها بعد رسول الله ﷺ.

فاتضح أن قيادة خليفة رسول الله كانت قيادة عقيدة تبني على مفهومها وتنطلق من ذلك المفهوم المرتبط بالله ورسوله ﷺ والقائم على أن محمداً ﷺ بشري يموت، وأن ما جاء به من عقيدة التوحيد لا يقبل التبديل ولا التعديل، وأن الله حي لا يموت.

وتبين أن خليفة رسول الله كان يعلم أنه مؤتمن على أمة محمد ﷺ فكان محتاطاً لذلك أشد الاحتياط أخذاً لحِذْرِهِ متوثباً لإنجاز كل ما يحمي السنة ويحفظ الأمة ويرد كيد الرافضين لعقيدتها.

وانطلاقاً من هذه المعاني اتخذ الحرس على مداخل المدينة المعروفة، قياماً بالأمانة وتحسباً لأخلاق الرافضة القائمة على الغدر والإفك واستباحة الحرمات، ولم يكتف بما

أنجزه من احتياطات لحفظ أمن المسلمين واستقرارهم حتى قام بنفسه رضي الله عنه يقود المدافعين عن المدينة ويتقدم المنافحين عن حمى رسول الله ﷺ وأصحابه الأكرمين، وكان يمضي الليالي يرصد حركات الأعداء ويعد المجاهدين ويوزع مهام الكتائب ويختار القادة ويرسم لهم طريق الفلاح والنجاح لحماية الأمة وعقيدتها.

### أهمية موقف خليفة رسول الله من الرفض المرتدين:

إن موقف خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الرفض المرتدين يعد من أعظم خصائصه التي امتاز بها عن بقية إخوانه الصحابة رضي الله عنهم حيث لم يكن لأي رأي يفرط بأي جزئية من الدين، وأنه لا يبالي بجموع الراضين لخلافة النبوة؛ لأن الله حافظ دينه ومعز عباده، تجلى ذلك كله في خطبه المباركة التي أعادت روح الثبات والتحمدي في نفوس الصحابة المكلمين بفقد نبيهم ﷺ بعد وفاته، وذلك لما تحمل في طياتها من وسائل النصر والنجاح الذي تستمده من وحدة الخطاب ووضوحه، ومن معرفة المهمات وتحديد الهدف ومعرفة العدو وتشخيص وسائله والاستعداد التام لمواجهة على الصعد كافة بالحجة والدليل والسنان.

ومن ثمَّ إعلان المواجهة الشاملة على كل أعداء السنة النبوية، وعلى كل من يرد أي ركن من أركان العقيدة، وعدم الالتفات إلى المترددين، ولوم من ظهر منه أي إشارة تدعو إلى التريث أو الملاينة مع الداعين إلى الردة عن سنة رسول الله ﷺ تأكد ذلك في موقف خليفة رسول الله الذي أعلن فيه الحرب حتى على من يمنع عقلاً كان يؤدي في زمان رسول الله ﷺ إلى عمال الزكاة.

وبهذا يؤكد خليفة رسول الله بالقول والموقف البراءة من جميع الرفض وأنه ليس فيهم معتدل ومتطرف؛ إذ إن كل من يرفض السنة إنما هو مكذب للنبوة، ومجرم بحق الإسلام؛ لأن خلاصة موقفه أنه يدعو الناس أن يكذبوا النبي ﷺ ويصدقوا أوهام الرفض ومراجعهم المتنبئين.

وبهذه العزيمة وهذا الوضوح استقامت الأمة وانقادت لخلافة النبوة بكل ما فيها من عزم كانت تتمتع به في حياة رسول الله ﷺ، وتأتي أهمية ذلك الموقف من أنه ثبت نجاحه التام في التعامل مع الرافضة فعلم الأمة في كل أيام صحتها وعافيتها كيف تسير إلى أهدافها العظيمة دون تردد، ولا أدل على ذلك العزم من رده على الفاروق رضي الله عنه حين قال له: يا خليفة رسول الله، تألف الناس وارفق بهم؛ فإنهم بمنزلة الوحش. فقال أبو بكر رضي الله عنه: بماذا عسيت أن أتألفهم؟ بشعر مفتعل؟ أو بسحر مفترى؟ هيهات هيهات، مضى النبي ﷺ وانقطع الوحي، والله لأجاهدنيهم ما استمسك السيف في يدي إن منعوني عقلاً. قال عمر رضي الله عنه: فوجدته في ذلك أمضى مني وأحزم، وأدب الناس على أمور؛ هانت علي كثير من مؤونتهم حين وليتهم<sup>(١)</sup>.

وهذه المعاني هي التي يفتقدها خطاب أهل السنة في هذا العصر الذي ما زال يشوبه التردد والخلط والوهن، وأحياناً الخداع والغش لأهل السنة من أوساط تعدد نفسها قيمة عليهم، وأمام هذا اللبس والتداخل والوهن ما زال أهل السنة في هذه السنين العجاف يدفعون الثمن من عقيدتهم التي ما زالت محشورة في الزاوية الضيقة المظلمة، ومن وحدتهم التي ما زالت في حالة تمزق وانحطار نحو الهاوية، ومن دمائهم التي ما زال يدفعها أختيارهم العاملون على إعادة عز السنة وسيادتها بمنهاج الراشدين في رحمتهم وعدلهم وصفاء عقيدتهم وشموخ حضارتهم وأصالة هويتهم التي ظهرت جلياً في مسار خليفة رسول الله الذي أزهق الردة ومحق الرافضة وأقام السنة وثبت أركان الدين ووحدة الأمة في سياسته الراشدة، وذلك ضمن خطوات واضحة ومحددة أسسها على مبدأ الشورى البناء التي تنطلق من الغيرة على الكتاب والسنة وحملتهما وحمايتهما، وتمثل ذلك في خطة تقوم على منهج عملي تطبيقي محكم واضح. من مفرداته:

١ - إعداد المدينة وأهلها لكل طارئ والتحسب لغدر الرافضة المرتدين الذين لا يمنعمهم

(١) باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ٨٢.

دين ولا خلق عن الغدر والخيانة وارتكاب الموبقات بكل صورها، فضلاً عن الإفك والبهتان ورمي أهل السنة وأشرفهم وأتمتهم بذلك للحيلولة دون استماع الناس إليهم والانقياد لهم.

٢- ولم تقتصر تلك الخطوات على الجانب النظري، بل باشر خليفة رسول الله بإعداد ما يستطيع من قوة لمواجهةهم قبل أن يسبقه غدرهم، وهذا ما حصل حين حاول أعداء الصحابة مهاجمة مدينة الرسول ﷺ فواجههم أبناء السنة النبوية بأقصى وسائل المواجهة حتى فروا مذعورين لا يلوون على شيء في موقف كان له نتائجه البعيدة على انهيار تيارات الرافضة وبؤر الردة في عصر خليفة رسول الله الواحدة تلو الأخرى حتى لم يبق لهم أثر في ذلك العصر الراشدي المبارك.

٣- ولما علم الناس حقد الرافضة المرتدين على الإسلام والمسلمين وعلموا عميق فقه وحكمة خليفة رسول الله انقادوا له في كل ما يقرره وعلموا أن البركة والخير والنصر في طاعته ونصرته، فلما اتضح ما كان مخفياً على المسلمين من عقيدة الرافضة المرتدين، القائمة على هدم السنة ومحاربة الصحابة والعمل على إفشال دولتهم، أقر خليفة رسول الله أن هؤلاء أشد خطراً على الإسلام وأهله من اليهود والنصارى، وأكد لهم ضرورة البدء بمواجهتهم وإنهاء خطرهم المتغلغل في ديار العرب والمسلمين، فقام بإعداد الجيوش وتسمية الأمراء والقادة وتحديد المهام وتوزيع الألوية، وإعداد الخطاب الذي يسمي الأشياء بمسمياتها ويخاطب القادة والجماهير ولا يدع أحداً دون أن يبين موقعه وموقفه وما له وما عليه، حتى أصبح الجميع أمام مهامهم وواجباتهم فكان ثمرة ذلك الفهم؛ النجاح والنصر والأمن والرفاه ونقاء العقيدة.

### المفاوضات بين الخلافة وبين المرتدين:

وقد سبقت حروب الردة مفاوضات بين الخلافة الراشدة ووفود قبائل المرتدين المتمثلة في أسد وغطفان وطبيع وثعلبة بن سعد ومن لحق بهم ممن ارتد من بني مرة وعبس وكنانة

والدليل ومدلج، وكان البعض منهم يُقرون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة، ومنهم من امتنع من دفعها إلى الصديق رضي الله عنه، وذُكر أنّ منهم من احتج بقوله تعالى: ﴿حَدَّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>. فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا، وأنشد بعضهم:

أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ كَانَ بَيْنَنَا  
فَوَا عَجَبًا مَا بَالُ مُلْكِ أَبِي بَكْرٍ

فلما سمع الصحابة هذا المكر اعتقد البعض منهم أن الأمر لا يحتاج إلا إلى بعض الوقت لإفهام المرتدين أمر الدين، وأنه لا يجوز العمل بقولهم هذا، فتكلم بعض الصحابة مع خليفة رسول الله في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم، ثم هم بعد ذلك يزكون، فامتنع الصديق من ذلك وأباه أشد الإباء. وقد قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا قَالُواهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا»؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لو منعوني عناقاً - وفي رواية: عقالاً - كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق<sup>(٢)</sup>، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>. وهذا يعني أن من لا يصلي ولا يزكي فإنما هو مرتد، لا يخلى سبيله حتى يستتاب من رده، فإن تاب واستقام، وإلا أقيم عليه الحد الشرعي الذي يقام على تاركي الصلاة ومانعي الزكاة.

وقد اتضح من خلال المفاوضات عدم جدية المفاوضين، وأن تذرعههم بمنع الصدقة ما هو إلا وسيلة لاستطلاع موقف المسلمين ممن يعلن رفضه وخروجه على سلطة المدينة،

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٢) ينظر البخاري: صحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب أداء الزكاة، ح (١٣٣٥).

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥.

ولما اطلع الرافضة المرتدون على قلة أهل المدينة بعد خروج جيش أسامة بن زيد إلى الشام، أرسلوا إلى عشائرتهم يعلمونهم بقلتهم ويطمعونهم فيهم، وهذا يبين ويؤكد أن الرافضة في كل عصر لا أمان لهم وأنهم يجمعون بين الجاسوسية والسياسة والطائفية وعداء السنة، ومما أظهر عدم جديتهم في التفاوض مع الخلافة النبوية، وجلّى موقفهم الكلي من الإسلام، ورفضهم الولاء للدولة الإسلامية، وتعاونهم مع أعدائها - أنهم لم يكونوا يبحثون عن حلول، وإنما كان همهم استطلاع الموقف السياسي للخلافة والتجسس على قوة المدينة العسكرية، ولا سيما بعد خروج الجيش الذي يقوده أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وهذا ما أكدوه في أشعارهم التي يردّون فيها على موقف الخلافة الراض للتعامل مع من يفرق بين أركان الإسلام فيرفض بعضها ويقبل بعضها، وذلك في مثل قولهم:

وإن التي سألوكمُ فمَنعتمُ لكالتمرِ أو أحلى إليّ من التمرِ

أي أنهم لم يكونوا يبحثون عن حل مع المسلمين، وإنما هدفهم التشويش والعبث والعمل على صناعة أزمات تعيق حركة الخلافة، وتحول بينها وبين تحقيق مهامها وأهدافها في نشر الأمن وتبليغ الرسالة والمحافظة على الوحدة الإسلامية.

إلا أن مواقف الرافضة المرتدين التي كانت تظهر الاستخفاف بقدرات الخلافة وقوة المسلمين وحرص المفاوضين منهم على إظهار عامة مواقفهم الاستفزازية هذه دون أي حساب لموقف الخلافة منها. كان له أثر إيجابي في جانب الخلافة النبوية والتفاف المسلمين حولها وقناعة كل من كان متردداً في قتال المرتدين بأنهم هم الخطر الأول الذي يهدد العقيدة والسنة والأمة قبل المشركين واليهود والصليبيين مما فوت عليهم فرصة مهاجمة المدينة بغتة، ومن ثم إلحاق أول هزيمة بهم في ذي القصة وقتل جبال بن خويلد الأسدي الذي يعد من أكبر قادة المرتدين الذين صادموا المسلمين فضلاً عن كونه أخا طليحة بن خويلد المتنبئ مرجع الرافضة المرتدين وقائدهم في منطقة بُزَاخَة وما حولها، وذلك بعد أن عزم خليفة رسول الله على مواجهة كل من يرفض خلافة النبوة أو يُسقط أي ركن من أركان الدين

في خطة محكمة لا تصدر إلا عن إخوان الأنبياء المؤتمنين على الأمة وعقيدتها، لما في تلك الخطة من الرشد والحزم والشدة على المرتدين والرفق والرحمة بالمؤمنين.

### حراسة أنقاب المدينة ومدخلها:

وبعد أن عادت الوفود من المدينة إلى قبائلها جعل الصديق على أنقاب المدينة حراسًا يبيتون بالجيوش حولها، فمن أمراء الحرس عليّ بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدو لقربهم، فما لبثوا إلا ثلاثًا حتى طرقت المدينة غارة مع الليل وأخلفوا بعضهم بذئ حُسي ليكونوا لهم رداءً، فوافوا ليلاً الأنقاب وعليها المقاتلة فمنعواهم، وأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر، فخرج إليهم بأهل المسجد على الإبل فردوا العدو واتبعوهم حتى بلغوا ذا حُسي، فخرج عليهم كمين بقربٍ قد نفخوها وفيها الحبال، ثم ددهوها على الأرض، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم إلى المدينة ولم يصرع مسلم.

وظن الكفار بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى أهل ذي القصة بالخبر، فقدموا عليها، وبات أبو بكر يعبئ الناس، وخرج على تعيينه يمشي وعلى ميمته النعمان بن مقرن وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن وعلى أهل الساقة سويد بن مقرن. فما طلع الفجر إلا وهم والعدو على صعيد واحد، فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف، فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتل رجال، وأتبعهم أبو بكر حتى نزل بذئ القصة، وكان أول الفتح، ووضع بها النعمان بن مقرن في عدد، ورجع إلى المدينة، فذل له المشركون. فوثب بنو عبس وذبيان على من فيهم من المسلمين فقتلوهم، فحنف أبو بكر رضي الله عنه ليقتلن في المشركين بمن قتلوا من المسلمين وزيادة، وازداد المسلمون قوة وثباتاً<sup>(١)</sup> بعد أن خطب فيهم خليفة رسول الله خطبته المشهورة يوم الردة، تلك الخطبة

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٣٤. ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/ ٣٠٤.

الفاصلة التي سبق ذكرها آنفاً مما يؤكد قول المفسرين: إن المقصود في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾<sup>(١)</sup> إنما هو أبو بكر الصديق وأصحابه رضي الله عنهم في قتالهم المرتدين الذين رفضوا الزكاة<sup>(٢)</sup>.

### الموقف العام لقبائل المرتدين حول المدينة بعد وفاة النبي ﷺ

لما توفي رسول الله ﷺ اجتمعت قبائل أسد وغطفان وطبيع على طليحة إلا ما كان من خواص أقوام في القبائل الثلاث، حيث ثبتوا على دينهم ولم يستخفهم الرفض بمكرهم وكيدهم، فاجتمعت قبيلة أسد بمنطقة سميراء، وفرارة ومن يليهم من غطفان بجنوب طيبة وطبيع على حدود أرضهم، واجتمعت ثعلبة بن سعد ومن يليهم من مرة وعبس بالأبرق من الرَبْذة التي تبعد عن المدينة ثلاثة مراحل، وتأشب إليهم ناس من بني كنانة فلم تحملهم البلاد وضائق عليهم، فافترقوا فرقتين فأقامت فرقة منهم بالأبرق وسارت الأخرى إلى ذي القصة، وأمدهم طليحة بأخيه جبال فكان جبال على أهل ذي القصة من بني أسد ومن اجتمع إليهم من قبائل ليث والديل ومدلج.

وكان على مرة بالأبرق عوف بن فلان بن سنان، وعلى ثعلبة وعبس الحارث بن فلان أحد بني سبيع، وقد بعثوا وفوداً فقدموا المدينة فنزلوا على وجوه الناس فأنزلوهم، ما خلا عبساً فتحملوا بهم على أبي بكر رضي الله عنه على أن يقيموا الصلاة وعلى ألا يؤتوا الزكاة فعزم الله لأبي بكر رضي الله عنه على الحق. وقال: لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه وكانت عقل الصدقة على أهل الصدقة تؤدي مع الصدقة، فردهم ولم يحققوا شيئاً من أهدافهم.

فرجع وفد المرتدين القرييين من المدينة خائبين، فأخبروا عشائرهم بقله أهل المدينة من المسلمين وأطمعواهم فيها. ولكن ما كانوا يخططون له من الغدر، كان خليفة رسول الله يدبر أمره لمواجهة، فجعل رضي الله عنه بعدما خرج وفدهم؛ على أنقاب المدينة وداخلها كتائب

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/٣٠٥.

تحرس المدينة وعين عليها أمراء كان منهم علي بن أبي طالب والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم وألزم خليفة رسول الله أهل المدينة بحضور المسجد كما سبق ذكر ذلك آنفًا ثم ذكر لهم الأسباب الموجبة لاتخاذهم تلك الإجراءات ومنها أن الرافضة لا عهد لهم ولا ميثاق وأن الحذر منهم فريضة على كل مسلم يعتقد بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فلما هاجم المرتدون المدينة وجدوا خليفة رسول الله على أتم الاستعداد فتصدى لهم ولاحقهم خارج المدينة، وكان لهم كمين قد أعدوا معه قربًا منقوخة بالهواء فألقوها على إبل المسلمين فانجفلت منها ورجعت منكفئة إلى المدينة، فسلم الله المسلمين ولم يصب أحد منهم. فقال في ذلك الخطيل بن أوس أخو الحطيئة بن أوس يمدح فعل المرتدين:

فدى لبني ذبيان رحلي وناقتي عشية يُحذى بالرماح أبو بكر

وكانت بنو عبد مناة من المرتدة هم وبنو ذبيان في ذلك الأمر بذى القصة وبذي حُسى، ومن أشعار الرافضة التي يسوغون بها رفضهم لخلافة النبوة قولهم الذي سبق ذكره:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر

فظن القوم بالمسلمين الضعف وبعثوا إلى أهل ذي القصة بالخبر فقدموا عليهم اعتمادًا على الذين أخبروهم وهم لا يشعرون لأمر الله عز وجل الذي أراه وأحب أن يبلغه فيهم، فبات أبو بكر رضي الله عنه ليلته يهيم المسلمون ويعبى الجند ثم خرج على تعبته من أعجاز ليلته يمشي وعلى ميمته النعمان بن مقرن وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن وعلى الساقة سويد بن مقرن معه الركاب فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد فما سمعوا للمسلمين همسًا ولا حسًا حتى وضعوا فيهم السيوف، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار وغلبوهم على عامة ظهرهم، وقتل جبال أبرز قادة المرتدين، وأتبعهم أبو بكر رضي الله عنه حتى نزل بذى القصة ووضع بها النعمان بن مقرن في عدد ورجع إلى المدينة كما سيتضح لاحقًا.

فذل الرافضة بعد تلك الواقعة وانكسرت نفوسهم لما فاجأهم به خليفة رسول الله من

الحذر والنباهة وحسن التخطيط والمعرفة التامة بغدرهم وفساد نواياهم، فوثب بنو ذبيان وبنو عبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم كل قتلة، وفعل من وراءهم من الرفضة المرتدين فعلهم من الغدر والاعتيال لأهل السنة من الصحابة والتابعين والقراء والحفاظ وأهل الدين، ولكن مع كل هذه العمليات التي تؤكد الحقد على الصحابة وعقيدتهم؛ فإن المسلمين قد عزوا وارتفعت معنوياتهم بوقعة خليفة رسول الله ومن معه بالمرتدين وعلما أن الرفضة مهما بلغت جموعهم فإنهم لن يحصدوا سوى الخزي والهزيمة، وأمام ما تعرض له المسلمون القاطنون في قبائلهم من غدر الرفضة، حلف خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه ليقتلن فيهم كل قتلة وليقتلن في كل قبيلة من الرفضة بمن قتلوا من المسلمين الذين ثبتوا على سنة نبيهم ﷺ وزيادة، وفي ذلك يقول زيادة بن حنظلة التميمي:

غداة سعى أبو بكر إليهم      كما يسعى لموته جلال  
أراح على نواحقها عليًا      ومج لهن مهجته جبال

والمقصود بالجلال هنا الجمل وعلي هنا هو علي بن أبي طالب حين خرج مع خليفة رسول الله يردون شر الرفضة الغادرين من حول المدينة، أما جبال فهو أخو طليحة وقال زياد أيضًا:

فما صبروا للحرب عند قيامها      صبيحة يسمو بالرجال أبو بكر

وكان لتلك الوقعة أثر عظيم في النفوس، ازداد فيه المسلمون ثباتًا على دينهم في كل قبيلة وازداد لها المشركون انعكاسًا من أمرهم في كل قبيلة، وقد جاء بعد ذلك ما دعم أمر المسلمين حين بعث بعض المسلمين في القبائل صدقاتهم إلى خليفة رسول الله ليؤكدوا ولاءهم وثباتهم على ما جاء به رسول الله ﷺ فكان لذلك أجمل الأثر وأطيبه على أهل السنة جند الخلافة الميامين.

وطرقت المدينة صدقات نفر من المسلمين منهم: صفوان بن صفوان والزبيرقان وعدي بن حاتم، وصفوان ثم الزبيرقان ثم عدي، صفوان في أول الليل، والثاني في وسطه، والثالث في

آخره، وكان الذي بشر بصفوان سعد بن أبي وقاص، والذي بشر بالزبرقان عبد الرحمن بن عوف، والذي بشر بعدي عبد الله بن مسعود، وقال غيره: أبو قتادة.

وظن بعض الناس حين رأوا إبل الصدقة أن هؤلاء نذير. فقال أبو بكر رضي الله عنه: هذا بشير هذا حام وليس بوان فإذا نادى بالخير قالوا: طالما بشرت بالخير، وذلك لتمام ستين يوماً من مخرج أسامة، وقدم أسامة بعد ذلك بأيام لشهرين وأيام فاستخلفه أبو بكر رضي الله عنه على المدينة وقال له ولجندة: أريحوا وأريحوا ظهركم؛ ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذي القصة والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظهر. فقال له المسلمون: ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو فابعث رجلاً فإن أصيب أمرت آخر. فقال: لا والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي. فخرج في تبعيته إلى ذي حُسى وذي القصة. والنعمان وعبد الله وسويد على ما كانوا عليه حتى نزل على أهل الرَبذة بالأبرق فاقتتلوا فهزم الله الحارث وعوفاً وأخذ الحطيئة أسيراً فطارت عبس وبنو بكر هارين وأقام أبو بكر رضي الله عنه على الأبرق أياماً.

وقد غلب بنو ذبيان على البلاد فقال رضي الله عنه: حرام على بني ذبيان أن يملكوا هذه البلاد إذ غنمناها الله وأجلاهم عنها، فلما غلب أهل الردة ودخلوا في الباب الذي خرجوا منه وسامح الناس جاءت بنو ثعلبة وهي كانت منازلهم لينزلوها فمنعوا منها، فأتوه في المدينة فقالوا: علام نمنع من نزول بلادنا؟ فقال: كذبتكم ليست لكم بلاد، ولكنها موهبي ونقذي؛ ولم يعتبهم وحمى الأبرق لخيول المسلمين وأرعى سائر بلاد الرَبذة الناس على بني ثعلبة، ثم حماها كلها لصدقات المسلمين، لقتال كان وقع بين الناس وأصحاب الصدقات فمنع بذلك بعضهم من بعض، ولما انفضت عبس وذبيان مهزومين أمام المسلمين انضموا إلى طليحة وقد نزل طليحة على ماء بُراخة وارتحل عن سميراء إليها فأقام عليها وقال في يوم الأبرق زياد بن حنظلة:

ويوم بالأبارق قد شهدنا      على ذبيان يلهب التهابا

أتيناهم بداهية نسوف مع الصديق إذ ترك العتاباً<sup>(١)</sup>.

ولعل في هذا الشعر ما يؤكد منهجية الراشدين في التعامل مع من رفض الخلافة ورد إجماع المهاجرين والأنصار وخرج عن ثوابت الدين حيث لم يجد عند خليفة رسول الله سوى الحزم بأقصى ما يكون دون عتاب أو ملاينة أو محاوراة، بعد أن أصر المرتدون على مواقفهم، وفي هذا دليل على أن الحوار لا ينفخ مع المرتدين وأن من يزعم من الناس أن سياسة التقريب من الممكن أن تؤتي ثمارها في إقرار الحق فإنما هو جاهل واهم أو خائن آثم، لأن من يرفض أمر الله وسنة رسول الله ﷺ لن يستجيب للصحابة رضي الله عنهم أو لغيرهم، وهذا ما تعامل به الخليفة رضي الله عنه ومعه المهاجرون والأنصار مع كل من أصر على رفض خلافة النبوة أو أسقط فريضة الزكاة أو غير ذلك.

وفي منعطف مهادنة مكفري الصحابة وقع كثير ممن يزعم الانتساب إلى السنة النبوية في هذا العصر؛ فبدلاً من أن يحذر أعداء الصحابة ومكرهم، راح يداهنهم ويزين قبائحهم أمام جماهير المسلمين حتى استغفلوا العامة منهم وراحوا يمدون باطلهم يميناً وشمالاً على حساب السنة وعقيدة التوحيد مما أحدث فتناً وتصدعات في المجتمعات الإسلامية ستمتد آثارها عقوداً كثيرة على حساب الأمن والوحدة والاستقرار وصفاء الهوية وأصالتها.

### من مقومات النصر على المرتدين:

اتخذت الخلافة كل الاحتياطات المتاحة لحماية المدينة وأهلها ومصالحها، واتبعت سياسة الحذر عملاً بقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فكان الاستعداد قائماً للتعامل مع كل الاحتمالات، ومنهج عدم الثقة مطلقاً بالرافضة المرتدين ومتابعة أخبارهم وبذل الوسع للتوصل إلى حقيقة مواقفهم دون ظلم أو تعجل،

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٣٠٩/٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧١.

ومن ثم الإفادة ممن ثبت على الإسلام من أبناء تلك القبائل في رصد حركات الرافضة وتحالفاتهم الموجهة ضد الخلافة الراشدة وعقيدة السنة النبوية التي يدين بها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم.

وعملت الخلافة على مشاغلة أنصار الرافضة ومحاربتهم بالكتب والرسول والإغراء والتهديد وقطع أمدادهم وإثارة المخاوف في نفوسهم من مواجهة المؤمنين، ومراسلة المتشككين وحثهم على الثبات على الدين وتشجيع الأخيار من أبناء قبائل المرتدين على عدم الانجرار مع أهل الأهواء من دعاة الفتن والردة.

وهذا المنهج الراشد الناجع أهمله عامة أهل السنة في هذا العصر، حتى أصبح الكثير منهم عرضة للانتهاك والاستباحة في كل شؤونهم، فلم يعد أمامهم سوى مراجعة أنفسهم والعودة إلى ما سنه لهم سلفهم الصالح، وإما الهلاك والضياع على أيدي أعداء الصحابة الذين خرجوا على خلافة النبوة وعملوا على استباحة أهلها، حتى واجههم خليفة رسول الله ﷺ بما يرد شرهم ويمحق حقدهم باتباعه سياسة الحسم الأقصى مع من أسقط الدين والقيم وتمثل ذلك في:

### أولاً: تهيئة المدينة لرد عدوان المرتدين:

لم يمض إلا القليل من الوقت على وفاة النبي ﷺ حتى طرق المرتدون المدينة بكل أحقادهم وأوهامهم لكنهم سرعان ما انهزموا وداخلهم الرعب من الدفاعات المحكمة حول المدينة وسرعة التواصل بين المسلمين والجرأة والمهارة القتالية ودقة المتابعة لكل تحركات الرافضة التي يتمتع بها أبناء الخلافة الراشدة التي مكنتهم من رقاب المرتدين المعتدين، فثبت للعقلاء أن أعداء الصحابة لا يجدي معهم سوى الحزم والحيلة والاستعداد الدائم للتضحية، كما تبين أن كل من يقلل من خطورتهم ممن يزعم أنه من أهل السنة إنما هو جاهل بأحقادهم، أو أنه مداهن فاسد العقيدة معدوم الغيرة على الكتاب والسنة وأهلها.

ومما زاد في قوة المسلمين، وأضعف من قوة المشركين ومعنوياتهم عودة أسامة وجيشه

المنتصر ومن معه من المجاهدين غانمين مظفرين، مع ما رافق ذلك الجيش من الهيبة التي أدخلت الوهن في نفوس الرافضة ومن كان يحدث نفسه بالردة أو هم بإعلان رفضه وتمرده على خلافة النبوة، وقد قطف خليفة رسول الله ثمار تخطيطه الناجح حين تابع مساره دون أن يدع لهم أي فرصة يمارسون من خلالها غدرهم بالمؤمنين، فاستخلف أسامة على المدينة ودعا جيشه إلى الراحة بعد ذلك الإنجاز الكبير ومن ثم الاستعداد لما هو أعظم في حياتهم من مهمة محدودة بالزمان والمكان، فخرج رضي الله عنه بمن كان معه من أهل المدينة يتقدمهم إلى ذي القصة، فاعترض عليه الصحابة رضي الله عنهم قائلين: نشدك الله يا خليفة رسول الله ألا تعرض نفسك، فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو، فابعث رجلاً، فإن أصيب أمّرت آخر. فقال: لا، والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي. فخرج بتبعيته إلى ذي حُسى وذي القصة<sup>(١)</sup> فأنجز رضي الله عنه النصر الذي أعز أهل الإسلام وأذل أهل الرفض والغدر والخيانة.

فكان لصديق عزيمة إمام الأمة وقائدها أبي بكر رضي الله عنه في مجاهدة المرتدين، وعمق يقينه بالله عز وجل أقوى العوامل في تحقيق النصر، فقد ضرب رضي الله عنه المثل الأعلى للقائد الباسل الذي يشارك أمته وجنده كل أخطار القتال ليتعلم منه جنده وسائل المقاومة ومطاوله الأعداء، في أول معركة وأخطرها، في وقت تبلبلت فيه الأفكار واضطربت الآراء وتزعزعت الثقة بالنصر لكثرة الأعداء ووفرة أمدادهم.

وكان لانقياد المؤمنين لخليفة رسول الله والتفافهم من حوله أثر قوي في تحقيق النصر الذي جاء تحت راية يؤمن أصحابها أن الحياة لا تكون كريمة إلا بإحدى الحسنين النصر أو الشهادة فكانوا يتسابقون إلى مواقع الخطر يفتدي بعضهم بعضاً وكل منهم يريد أن يكون دريئة لأخيه، كما فهموا مقاصد وثمار قوله تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. أولئك هم أهل السنة النبوية الحق وشتان

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ٢/٢٤٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

بين أولئك وبين من يزعم الانتساب إلى السنة في هذا العصر وهو ملوث الولاء فاسد الانتماء لا فرق عنده بين من مرجعهم القرآن وبين من مرجعهم أهل الزور والبهتان.

ومثلما كان جند خليفة رسول الله حريصين على طاعته كان هو رضي الله عنه حريصاً على طاعة الله ورسوله ﷺ طاعة مطلقة بكل قوة ويقين دون تردد أو تأويل، تجلى ذلك حين أشار عليه بعض الصحابة رضي الله عنهم بعدم إنفاذ جيش أسامة حتى تهدأ سورة الردة، لكنه علم الصحابة أن الطاعة لرسول الله ﷺ بعد وفاته كما هي في حياته وأنه لا سبيل للنصر والنجاح والأمن إلا بطاعته ﷺ.

ومن عوامل النصر سمو غاية المسلمين وأنهم كانوا يقاتلون لنصرة الله ورسوله ﷺ ويجاهدون الغادرين الناكثين لبيعتهم على الإسلام الراضين لخلافة النبوة، أولئك الذين كانوا مهزومين من داخلهم لأنهم يعلمون زيف راياتهم وانحطاط مقاصدهم وتعلقهم بمطامع فانية، وهم يعلمون أنهم على باطل وفي سبيل الشيطان يعملون ولنصرة الطاغوت يقاتلون. والله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الْأَطْغُوتِ فَفَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾<sup>(١)</sup>. وقد كان لانتصار خلافة النبوة في حروب الردة آثار بعيدة المدى داخل الجزيرة العربية وخارجها.

منها سيادة الإسلام بعقيدة التوحيد على مختلف أنحاء الجزيرة العربية، وهزيمة المرتدين عسكرياً وفكرياً حيث ظهر للقاصي والداني كذب مراجعهم الأفاكين المنتسبين، ومن ثم توحيد العرب تحت لواء خليفة رسول الله الذي عاد بها إلى ما كانت عليه أيام رسول الله ﷺ.

يقين المؤمنین برفعة مكانة خليفة رسول الله وعميق فهمه وفقهه وقدرته على تطبيق ذلك على أرض الواقع وأهليته الكبرى لتحمل المسؤوليات التي كان يضطلع بها رسول الله ﷺ ومقارعة للشدائد والأهوال والتغلب عليها، مما حمل الجميع ولا سيما المخالفين له في بداية خلافته على الانقياد له ومحبة والإعجاب ببطولته ورسالته وحنكته السياسية ومهاراته

(١) سورة النساء، الآية: ٧٦.

الحربية، التي أخذت بألباب الجميع، وأظهرت كوامن قدراته وجميل صبره وجرأته.

الغيرة الشديدة على السنة النبوية والمحبة والمودة التي كانت تربط بين أهلها والاعتزاز بها والاستعداد الواسع للدفاع عنها ضد رافضيها ومبغضي أهلها والتعامل معهم بالشك والريبة وتوقع الغدر والسوء لأن ذلك هو دين أعداء الصحابة، ومعلوم لدى الأمة أن من يرفض السنة ويبغض حملتها فإنه لغيرها من أمور الدين أشد رفضًا، وقد كان هذا جزءًا من الثقافة التي كانت سائدة في أوساط السلف عن أصناف المبتدعين، وهي التي أصبحت مفقودة في هذا العصر لتصدر الغوغاء وعلماء المنافع المدهنين بدلًا من المخلصين المتمسكين بمنهج السلف الصالح، إضافة إلى مناهج الرافضة التي تدين بالمكر والغدر والباطنية التي يجهلها عامة أهل السنة.

ظهور قيادات وطاقات في الأفراد ما كانت لتظهر لو لم تكن حروب الردة، فالصديق رضي الله عنه تمكن من متابعة جهود القادة والمجاهدين ومن ثم انتقاء المميزين منهم وتكليفهم بمهام كبيرة قاموا بها على أتم وجه وأكمله عادت على الأمة بالعز والوحدة والهيبة وانتشار عقيدة التوحيد وهيمنة الكتاب والسنة على ما سواهما من أديان بشرية مصنوعة أو عقائد سماوية محرفة، فشهد الجميع لخليفة رسول الله بالفضل وحسن القيادة وبعده النظر والتخطيط الناجح لخدمة الأمة وعقيدتها والقدرة الهائلة على معرفة الرجال وطاقاتهم التي مكنته من اختيار قادة الألوية الذين سحقوا الردة، ومن ثم قادوا الفتوح فكانوا دائمًا في المقدمة شموخًا في تاريخ العدل والفتح والطاعة، تقرأ فيهم الأمة روح خليفة رسول الله ﷺ وعظيم اعتزازه بعقيدته وسنة نبيه ﷺ التي جلبت الأمن والاستقرار والرفاه والعلم وحفظت التوحيد والوحدة وأعزت الكتاب والسنة وأهلها.

### ثانيًا: عقد الألوية وإعداد الجيوش وتعيين القادة لمواجهة المرتدين:

وبعدما جمّ أفراد جيش أسامة واستراحوا، ركب خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه في جيش المسلمين شاهرًا سيفه مسلولًا، من المدينة إلى ذي القصة، وهي من المدينة على

مرحلة، وعلي بن أبي طالب يقود براحلة الصديق رضي الله عنهما، فسأله الصحابة، وألحوا عليه أن يرجع إلى المدينة، روى الدارقطني عن ابن عمر قال: «لما برز أبو بكر إلى ذي القصة واستوى على راحلته، أخذ علي بن أبي طالب بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً»، فرجع وأمضى الجيش<sup>(١)</sup>.

ولما استراح أسامة وجنده، وافق ذلك قدوم صدقات كثيرة تفضل عن حاجة المسلمين، قدم بها صفوان بن صفوان والزبرقان بن بدر وعدي بن حاتم، وذلك لتمام ستين يوماً من مخرج أسامة، وقدم أسامة بعد ذلك بأيام، وقيل: كانت غزوة أسامة وعوده في أربعين يوماً. فقطع خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه البعوث، وعقد أحد عشر لواء:

- عقد لواء لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد الأسدي ومن معه من جموع الرافضة، فإذا فرغ منه سار إلى الرافضي مالك بن نويرة بالبطح إن أقام له ولم يفرّ.
- وعقد لعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة الكذاب ومن معه من بني حنيفة.
- وبعث شرحبيل ابن حسنة في أثر عكرمة بن أبي جهل وقال: إذا فرغت من اليمامة فالحق بقضاة وأنت على خيلك تقاتل أهل الردة.
- وعقد للمهاجر بن أبي أمية وأمره بجنود العنسي ومعونة الأبناء على قيس بن مكشوح، وذلك أنه كان قد نزع يده من الطاعة، ثم يمضي إلى كندة بحضرموت.
- وعقد لخالد بن سعيد وبعثه إلى مشارف الشام.
- وعقد لعمر بن العاص وأرسله إلى جموع قضاة ووديعه والحارث.
- وعقد لحذيفة بن محصن العطفاني - وعند ابن الأثير: الغلفاني - وأمره بأهل دبا.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٣٠٨/٦.

- ولعرفجة بن هرثمة وأمره بمهرة وأمرهما أن يجتمعا وكل واحد منهما على صاحبه في عمله.
- ولطرفة بن حاجب وعند ابن الأثير معن بن حجاز وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن.
- وعقد لسويد بن مقرن وأمره بتهامة باليمن.
- وللعلاء بن الحضرمي وأمره بالبحرين. وقد كتب لكل أمير كتابَ عهده على حدته، ففصل كل أمير بجنده من ذي القصة، ورجع خليفة رسول الله إلى المدينة<sup>(١)</sup>.

كان للنصر الذي أحرزه خليفة رسول الله على الرافضة المرتدين في ذي القصة أولاً قبل رجوع جيش أسامة وثانياً في ذي حُسى بعد عودة أسامة بجيشه، كان لهذا النصر دوي واسع في كل أنحاء الجزيرة العربية وأثر كبير في تحطيم الروح المعنوية عند كافة المخالفين فأراد رضي الله عنه أن يتابع ضرباته بتعبئة الجيوش وإعدادها، فبدأ بعقد الألوية والانتفاع بكل الطاقات الموجودة بين يديه من المؤمنين القادرين على القتال وتسخيرها لنصرة الكتاب الكريم والسنة النبوية وطمس كل باطل يضع العوائق في طريقهما، سواء كان ذلك على أيدي الرافضة المرتدين أو أهل الجاهلية المشركين.

وأخذ خليفة رسول الله في توجيه الجيوش إلى القبائل المرتدة على ضوء من ظروفها وقوتها فاختر من القادة أكثرهم دراية وشجاعة لمحاربة أكثر القبائل عدداً وعدة، وأشدهم كفراً وعداوة لأصحاب رسول الله وأقربهم إلى المدينة داراً. فولّى سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه قيادة الجيش المعد لقتال طليحة بن خويلد الأسدي الذي كان من أقوى مدعي النبوة شوكة وأكثرهم خطراً لكثرة من تجمع حوله من الرافضة المرتدين، ولقربه من عاصمة الإسلام مدينة الرسول ﷺ وكان في صحبة خالد رضي الله عنه كوكبة من المجاهدين من المهاجرين والأنصار أصحاب رسول الله ﷺ وكانت مهمته دحر مرجع المرتدين وقائدهم

(١) البداية والنهاية: ٦/٣٠٩. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٣٥.

المتنبئ طليحة بن خويلد، ثم إذا انتهى منه توجه إلى قائد الرافضين لفريضة الزكاة مالك بن نويرة المبايع للكهنة سجاح التعليلية وحليفها الأكبر مسيلمة الكذاب<sup>(١)</sup> وهذا ما فعله سيف الله خالد رضي الله عنه فقد أنجز كل ما أمر به، ومن ذلك قتل مالك بن نويرة الذي ما زالت الرافضة متعلقة بحبه كمرجع وحليف طبيعي؛ لأنه رفض طاعة الصحابة، وتدافع عنه بالإفك والبهتان ويردد ذلك الغوغاء وأعداء أصحاب رسول الله ﷺ.

ثم وجه خليفة رسول الله باقي الألوية إلى مختلف القبائل المرتدة، في جنوب الجزيرة العربية وشمالها، فكان لخروجها في وقت واحد أعمق الأثر في نفوس المرتدين، فتطرق الرعب إلى قلوبهم وأيقن أعداء الخلافة الراشدة أن المسلمين ما كانوا لينفروا بهذه الصورة الشاملة التي غطت كل نواحي الجزيرة إلا وهم قادرون على النصر واثقون من هزيمة العدو مستعدون كل الاستعداد لسحقه وتشتيت شمله. وهكذا هزم خليفة رسول الله المرتدين معنوياً قبل أن يلتقي بهم، فلما التقى المسلمون بهم لم يستطع الرافضة مصابرة المسلمين في عامة معاركهم سوى قتالهم مع مرجعهم الأكبر مسيلمة الكذاب، الذي استشهد فيه الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ من القراء وسواهم رضي الله عنهم، وقد كانت حرب خليفة رسول الله الإعلامية تقع على المرتدين وقعاً أليماً لما فيها من حقائق ناصعة لا يجحدها عاقل ولا يردها منصف، ولما فيها من الحق والهدى والدين، جاء ذلك في كتبه التي كانت تسبق حركة الجيوش المجاهدة فتوضح الهدف وتبين الحق، وتؤكد العزم على نصرته الكتاب والسنة وقاتل كل رافض لهما من عبيد المراجع الوثنية المتمردين على الله ورسوله ﷺ الذين لا تجمعهم سوى المصالح الآنية وعداوة السنة النبوية.

### خطاب خليفة رسول الله إلى عامة الناس:

وبعدما انتهى خليفة رسول الله من تنظيم الألوية، وتعيين الأمراء والقادة كتب كتاباً موجهاً إلى الأمة بأجمعها عامة وخاصة كان يرمي من ورائه إلى هدفين أساسيين: الأول:

(١) ينظر: الشرقاوي: الصديق أول الخلفاء، ٩٦.

نشر الإحباط والهزيمة في نفوس المرتدين وإعلامهم أنه لا يوجد أمامهم سوى المسارعة بالتوبة والعودة إلى الدين الذي خرجوا منه بعد وفاة النبي ﷺ أو مواجهة الانتحار المحقق على أيدي أسود الجهاد وطلاب الجنة الذين يحملون شعارًا لا يهزم أبدًا إما النصر وإما الشهادة.

و الثاني: هو التلاحم مع المسلمين المستضعفين الصابرين بين أنياب الرافضة المرتدين الحاقدين وما يحملونه في صدورهم من غل على أهل التوحيد ولا سيما أصحاب رسول الله ﷺ وإعلامهم أن نصرهم قريب وتبشيرهم بخروج المجاهدين لنصرتهم ليزيدهم إيمانًا وثباتًا وقدرة على المناورة والمواجهة. وقد كان نص خطاب خليفة رسول الله العام هو:

من أبي بكر خليفة رسول الله إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على الإسلام أو رجع عنه: سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأقر بما جاء به ﷺ. أما بعد: فإن الله أرسل محمدًا ﷺ بالحق من عنده إلى خلقه بشيرًا ونذيرًا ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾<sup>(١)</sup> ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> يهدي الله للحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ بإذنه من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعًا وكرهًا، ثم توفي رسول الله ﷺ وقد نفذ لأمر الله ونصح لأمته وقضى الذي عليه، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزله، فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾<sup>(٤)</sup> وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٦. (٢) سورة يس، الآية: ٧٠.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٠. (٤) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.

الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾ فمن كان يعبد محمدًا ﷺ فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له، فإنه له بالمرصاد، حيَّ قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره منتقم من عدوه يجزيه، وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصييكم من الله، وما جاء به نبيكم ﷺ، وأن تهتدوا بهديه وأن تعتمسوا بدين الله، فإنَّ من لم يهده الله ضل، وكل من لم يعافه يُبتلى، وكل من لم ينصره مخذول، فمن هداه كان مهديًا ومن أضله كان ضالًّا: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ﴿٢﴾ ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقربه ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل.

وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به؛ اغترارًا بالله، وجهالة بأمره وإجابة للشيطان، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ ﴿٣﴾. وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿٤﴾. وإني بعثت إليكم فلانًا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته ألا يقاتل أحدًا ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحًا قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة، وأن يسيي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون فأذّنوا كفّوا عنهم، وإن لم يؤذّنوا عاجلوهم وإن أذّنوا أسألوهم ما عليهم فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقرأوا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم ﴿٥﴾.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤. (٢) سورة الكهف، الآية: ١٧.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٥) الطبري: تاريخ، ٢/٢٥٨. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ٦/٣٨٤.

«وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا أرسل أمراءه إلى أهل الردة يوصيهم فيقول إذا سمعتم في نادي قوم بأذان للصلاة فكفوا عنهم حتى تعلموهم ما عليهم من شرائع الإسلام وإن لم تسمعوا الأذان فشنوا الغارات وحرقوا وأنهكوا في القتل والجراح ولا يؤودنكم وهن لموت نبيكم ﷺ وأمر على المهاجرين خالد بن الوليد رضي الله عنه وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن الشماس رضي الله عنه»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا البيان العام يتضح مدى وضوح وشفافية الخلافة الراشدة ومدى حرصها على وحدة الصف وتجنب الفتن وعميق التزامها بالشرع ورغبتها في التزام جميع الناس به، ومن خلال هذا البلاغ تمكنت الخلافة من إقامة الحججة على الناس عامة وعلى الرافضة المرتدين خاصة، وفيه نعى الصديق رسول الله ﷺ إلى الأمة المسلمة، وأوضح أن الباقي هو الله تعالى وأن الناس مطالبون بالتزام العقيدة التي جاء بها محمد ﷺ بلا تغيير ولا تبديل، وأن العبادة لا تكون إلا لله وحده، وأن الولاء في الإسلام لله تعالى وإن تغير الأشخاص والقادة، وفي هذه التوجيهات تأكيد على خطورة التعلق بالقيادة البشرية حتى يبقى التعظيم المطلق لله وحده لا شريك له، بعكس المجتمعات التائهة التي تعظم الطغاة الذين يحرفونها عما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام.

كما اتضح في كتاب خليفة رسول الله أن المسلمين مطالبون بتبليغ شرع الله للناس كافة والتخلق بتقوى الله تعالى والزهد في الدنيا وما فيها من حظوظ زائلة، وأن من يرفض الكتاب والسنة لا حرمة له ولا لمن يواليه وينصره، فسارت كتائب المؤمنين على هدي ما أمر به خليفة رسول الله الذي أقر ما جاء في كتابه المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم، فأصبح كل من يخالف ذلك الكتاب إنما هو ضال محارب لله ولرسوله ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. فكل من يزعم أنه من أهل الإيمان وأنه مسلم فإنه مطالب بموالة المهاجرين والأنصار لأنهم هم الذين آمنوا وجاهدوا

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/٣٠٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

وأنفقوا، ومن زعم الإسلام وهو يحمل في قلبه الغل عليهم رضي الله عنهم فإنما هو رافض لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ متلبس بالردة لا رحمة له في دولة الراشدين لأن رحمته طعن في الدين وموالاته للمرتدين عمّا جاء به رسول الله ﷺ.

### عهد خليفة رسول الله إلى الأمراء قادة الجيوش:

وكتب خليفة رسول الله عهدًا لكل أمير من الأمراء الذين بعثهم لجهاد المرتدين يشتمل على نص واحد جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وعلايته وأمره بالجد في أمر الله، ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقرؤا له، ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم، لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به، ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمه، لا يقبل من أحد شيئًا أعطاه إلا الإسلام، فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه، ومن أبى قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس فإنه يبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وألا يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم؛ حتى لا يكونوا عيوناً ولثلا يؤتى المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول»<sup>(١)</sup>. ثم أخذ كل أمير عهده وتوجهوا إلى حيث أمروا وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة من الهجرة، والموافق فبراير سنة ٦٣٣ ميلادية<sup>(٢)</sup>.

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ٢/٢٥٨. (٢) باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ٨٨.

ثم اختتم خليفة رسول الله خطابه العام إلى الناس بأن أوضح لهم الخطة التي أمر رسله وقادته باتباعها معهم، من قراءة لكتابه في كل مجمع، وجعل الأذان علامة على إسلامهم، فمن أذن منهم كف المسلمون عنه، وإلا عاجلوه بالقتال دون إعلام وإنذار بعد أن يطلع على ذلك الكتاب الشامل الواضح، فإن أذنوا سألوهم ما عليهم من حق الله، فإن أبوا عاجلوهم بالقتال، وإن أقروا قبلوا منهم وحملوهم على ما ينبغي لهم، وأن الخلافة تقبل منهم الظاهر من ذلك وتكل سرائرهم إلى الله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وبالنظر إلى الكتاب العام وكتاب الأمراء يتضح أن مضمون الكتابين اشتمل على ضوابط عامة قائمة على تعاليم الإسلام، ولكن الكتاب الثاني امتاز بنصائح وتعليمات أخرى تتفق مع أحوال القادة والجند ومع تحركاتهم ومواجهاتهم ومع ما يتفق وحياة المجاهدين، وتضمن تلك النصائح التالية:

- ١- التمسك بتقوى الله العظيم الذي بيده مقاليد الأمور وبيده النصر والهزيمة. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٢- الحزم والجد في كل ما يرضي الله تعالى، والحذر من الوهن والتواكل والشدة القصوى على المرتدين، وعدم قبول تمويهاتهم وباطنيتهم فيما العودة إلى الإسلام وإما السيف، وألا يقبل منهم عذراً ولا ينتظر مواجهتهم ولا منع أحد من المسلمين من قتالهم لأنهم هم الأخطر والأمر بالمسلمين.
- ٣- ألا يقبل من أعداء الصحابة سوى الإقرار بكل ما جاء به النبي ﷺ دون تحريف أو تزيف.
- ٤- أن يقبل منهم ظاهر مواقفهم بعد الإعذار إليهم وإقرارهم بذلك، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى، وأن يعلمهم بما يجب عليهم إذا دخلوا في الإسلام.

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٦. (٢) سورة محمد، الآية: ٧.

٥- إن أبي الراضة إلا قتال أهل الكتاب والسنة من الصحابة والتابعين، قاتلهم المجاهدون من جند الخلافة فإن ظهروا عليهم فلا أمان لهم لأنهم قوم غدر لا ثقة فيهم؛ وأن ينكل بهم ليجعلهم عبرة لغيرهم من أعداء الكتاب والسنة النبوية.

٦- إن غنم من أموالهم فله ولجنده أربعة أخماس الغنيمة، والخمس الآخر يرسل إلى دار الخلافة ليقسم في مصالح المسلمين كما أمر الله في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِنِ السَّبِيلِ﴾<sup>(١)</sup>.

٧- أن يرفق القادة بجندهم في حركتهم وإقامتهم ولا سيما الصحابة رضي الله عنهم وأهل السابقة وألا يترك مشاورتهم، وأن يحرص على الاستفادة من نصائحهم.

٨- أن يختار القادة مواقع معسكراتهم وألا يغفلوا عن حراستها وحمايتها من غدر المرتدين الذين لا يقيمون وزناً لقيم ولا لأعراف أو أديان إذا سنحت لهم فرصة من الغدر.

٩- ألا يغفل القائد عن حاجات جنده وتزويدهم بكل وسائل البقاء والنصر، وأن يستهدي بثقات الأدلاء وينتفع من خبراتهم في اختصار المواصلات وسلوك الطرق الآمنة منها.

١٠- أن يعمل على تعبئة الجيش، وأن يكون مستعداً لكل المفاجآت، ويرسل أمامه الطلائع الذين يرصدون تحركات الأعداء ويؤمنون السبل لمسار جيوش المسلمين، وألا يغفل عن تفقد قواته في كل أحواله.

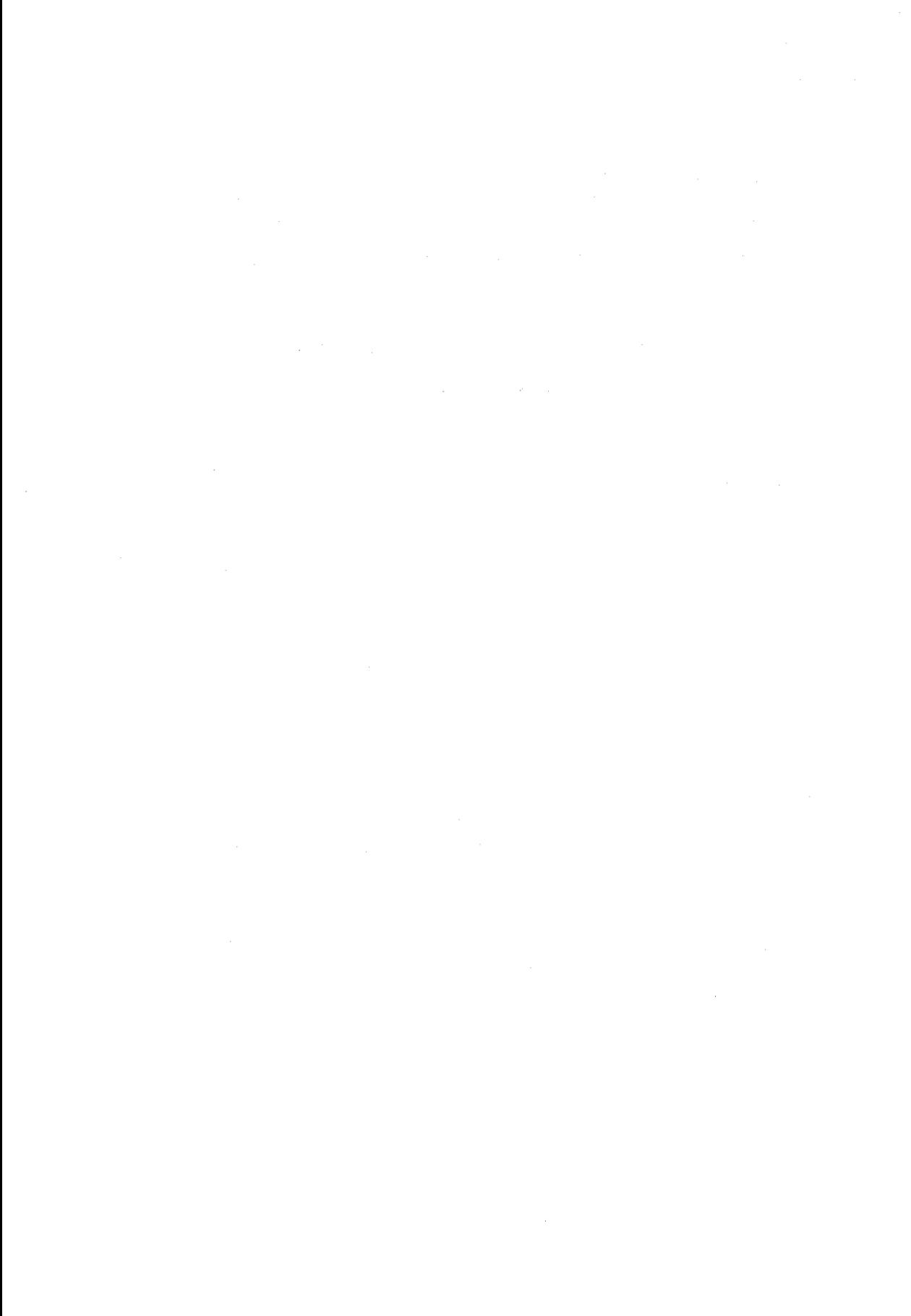
(١) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

١١- أن يحرصوا على الموت في سبيل الحق المتمثل في سيادة الكتاب والسنة على سواهما من الشرائع البشرية، وألا يصددهم عن ذلك خطر مهما بلغ شأنه، وألا يتوانوا عن قذف الرعب في قلوب الرافضة المرتدين؛ لأن ذلك هو السبيل الوحيد للتعامل معهم، ومن ثم إلزامهم بما أمر الله به وكف عاديتهم عن المسلمين؛ لأن طبيعة تكوينهم الثقافي والفكري قائمة على استباحة الضعيف وسحقه وخدمة القوي والنفاق له.

١٢- والأهم من كل ما سبق أن يتحرى المسلمون في قتالهم وجه الله، وأن يحافظوا على هويتهم المتمثلة في التمسك بالسنة وتعاليم النبوة، وأن يقبلوا من الناس علانيتهم فلا يتعرضوا لمن قابلهم بالأذان أو اشتغلوا بالصلاة حتى تظهر حقيقتهم، فإن تبين أنهم مصرون على رفضهم للكتاب والسنة وإمامة خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه فليشنوا عليهم الغارة ويقتلوهم بلا هوادة حتى يسلموا ويقيموا أركان الإسلام كاملة.

١٣- وأن يدفعوا الزكاة دون أي تأخير أو تأويل كما أمر الله تعالى بذلك في كتابه الكريم، ويقروا بأن أصحاب رسول الله ﷺ هم حملة الكتاب والسنة وحماتهما وهم خير أمة أخرجت للناس، وأن كل من يخالفهم أو يحمل الغل عليهم أو على تابعيهم بإحسان فإنما هو عدو لله ولرسوله ﷺ.

\*\*\*



## المبحث الثالث

### الموقف من المتنبئين والمرتدين (الأسود العنسي وطلحة بن خويلد الأسدي وموقف بني عامر وهوازن وسليم)

#### الأسود العنسي المتنبئ الكذاب:

هو عبهلة بن كعب ويكنى بذي الخمار؛ لأنه كان معتمًا متخمرًا دائمًا ويعرف بالأسود لاسوداد وجهه وهو ضخم الجسم قوي البنية، يستخدم الكهانة والسحر والخطابة البليغة وكان مشعوذًا يري قومه الأعاجيب، وكان يستخدم المال لشراء الذمم واستمالة القلوب، وكان أول المتنبئين الكذابين.

انتشر خبره في حياة النبي ﷺ وكان يدّعي النبوة لنفسه ولا ينكر نبوة رسول الله ﷺ، وكان يزعم أن ملكين من الملائكة يأتونه بالوحي وهما سحيق وشريق<sup>(١)</sup> وجعل من نفسه مرجعًا أعلى لكل من يرفض الكتاب والسنة ويبغض الصحابة رضي الله عنهم، وكان يجمع الجموع سرًا حتى كثر أتباعه فأعلن عن دعوته فكان أكثر أتباعه من قبيلته عنس، ثم تبعه عوام مذحج وكانت عنس فرعًا من مذحج، وتبعه من الزعماء قيس بن المكشوح المرادي وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، وغيرهما من طالبي الرياسة والجاه والتسلط وتبع هؤلاء

(١) المقدسي: البدء والتاريخ، ١٥٤/٥. الصلابي: أبو بكر الصديق، ٢١٨.

كثير من العوام، وقد سيطر على نجران وأخرج منها عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص، ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مسيك المرادي رضي الله عنه فأجلاه وقام مقامه في الإمارة على مراد، ثم هاجم الأسود صنعاء فتصدى له شهر بن باذان فقتله الأسود واستولى على صنعاء وكان باذان أميراً على جميع اليمن فلما توفي قسّم رسول الله ﷺ عمله على عدد من الولاة ولما علم رسول الله ﷺ بما يفعله الأسود الكذاب راسل مجموعة من زعماء القبائل ووجهاء اليمن ممن كان أسلم ودعاهم إلى التعاون على قتل الأسود العنسي فكان لمراسلات النبي ﷺ أثر عظيم في ثباتهم على الإسلام بعد وفاته وفي استمرار تعاونهم للتخلص من شره وفتنته.

وقد استغلظ أمر الأسود العنسي حتى خافه من حوله وداهنه أهل الأهواء والمنافقون وكثرت حوله الرافضة الذين يتعاونون مع كل محارب للإسلام، وتزوج الأسود امرأة شهر بن باذان بعد أن قتله وهي مسلمة وهي ابنة عم فيروز الديلمي. ولما بلغ أمر الأسود إلى هذه القوة خاف أهل حضرموت من المسلمين أن يبعث إليهم هذا الكذاب جيشاً أو أن يظهر بينهم كذاب مثله، فتزوج معاذ امرأة من السكون فعطفوا عليه وقام معاذ بذلك خير قيام فقويت نفوس المسلمين هناك، وكانت كتب النبي ﷺ قد وصلت تحت المسلمين على قتل الأسود مصادمة أو غيلة.

وكان المؤمنون من أهل اليمن وأمراؤهم صابرين على هذه المحنة يقبلون أمورهم ويتواصلون ويتراسلون حتى أجمع أمرهم بعدما وصلهم كتاب النبي ﷺ على قتل هذا الطاغية الرافض للسنة المبغض للصحابة رضي الله عنهم الذي يكذب على الله ورسوله ﷺ جاعلاً من نفسه إلهاً ومشرعاً من دون الله، فتعاون فيروز الديلمي وداذويه وقيس بن عبد يغوث وكان الأسود قد تغير عليه، فأجمعوا على قتله فتعاونت معهم أرملة شهر التي تزوجها الأسود وأرشدتهم إلى مكان نومه وإلى أقرب الطرق الموصلة إليه وهيأت لهم جميع السبل للتخلص منه، وبعد جهود شاقة وعملية جريئة ودقيقة تمكنوا من ذبحه على فراشه، ومن ثم الإعلان بأذان الفجر أن محمداً رسول الله وأن عبهلة كذاب ثم رموا برأسه

على أصحابه فأصابهم الرعب ففروا من صنعاء بعد أن أعد المسلمون أنفسهم للدفاع عنها، وبقتل هذا الطاغية قضى المسلمون على أكبر مرجع للرفض والردة ومحاربة السنة النبوية واستباحة حرمة أصحاب رسول الله ﷺ في اليمن ورجع الصحابة إلى أعمالهم التي كانوا عليها، وعاد معاذ رضي الله عنه يترنم بالقرآن إمامًا ومعلمًا للمسلمين في صنعاء، تأخذ قراءته بمجامع القلوب، فعلم النبي ﷺ بخبر قتل الأسود العنسي من ليلته التي قتل فيها. فقال ﷺ: «إن الله قتل الأسود الكذاب العنسي قتله بيد رجل من إخوانكم». وروي أن فتنة العنسي استمرت حوالي أربعة أشهر من أولها حتى قتل وكان قبلها مستسرًا، وقدم البشير بقتله بعد وفاة النبي ﷺ فكانت أول بشارة يتلقاها خليفة رسول الله وهو بالمدينة، وبعد أن استقرت الأمور في اليمن لأصحاب رسول الله ومن آمن معهم من المسلمين جاءهم خبر وفاة رسول الله ﷺ فانقضت الأرض من جديد<sup>(١)</sup>.

وبدأ خليفة رسول الله يرسل الجيوش لمواجهة أعداء الصحابة الذين لا يدعون فرصة يمكنهم فيها النيل من الإسلام إلا اقتنصوها لا همّ لهم سوى طمس السنة والخلاص من المؤمنين بها في كل أرض من بلاد العرب.

فتبين في هذه الأحداث جملة من الحقائق نوجزها في النقاط التالية:

- ١- أن من يدخل في هذا الدين لا بد وأن يمتحن ويختبر إيمانه ولله في ذلك شؤون يمتحن بها عباده ليعلموا هم أنفسهم مدى عمق إيمانهم وصحته من عدمه، وقد كانت فتنة الأسود الكذاب فتنة كبيرة لما جمع من قوة وحقق من نجاحات على الصعيد العسكري.
- ٢- وأن المؤمنين الصادقين لا يقبلون بسنة نبيهم ﷺ بديلاً وأن كل من يزعم أنه من أهل الإسلام ولا يسير على منهج سنة رسول الله ﷺ فإنما هو مفترٍ مهما ادعى من دعاوى ورفع من شعارات.

(١) الطبري: تاريخ، ٢/٢٥١. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٣٠. الصلابي: أبو بكر الصديق، ٢٢٠.

٣- وأن أمر الرافضة قديم وأن الحرب على السنة النبوية لم يكن يشنها المشركون الوثنيون فقط، وإنما كان هناك الكثير من الأدعياء الذين يزعمون للناس أن لهم صلة بالله تعالى إما عن طريق الوحي الكاذب الذي يصنعونه من وحي أنفسهم أو من وحي شياطينهم، ولكن هذا الضرب الآثم من الناس لا يكفي بما يشرعه للناس من دون الله حتى يقرن ذلك التشريع بالحرب على السنة النبوية والدعوة التامة إلى مناقضتها ومخالفتها للفصل بين الناس وبين الكتاب والسنة باسم الإسلام والإيمان وما إلى ذلك.

٤- وتأكد من هذه الأحداث أيضًا أن المسلمين لا يقبلون بديلاً للسنة النبوية وأنهم على استعداد للصبر والتضحية بكل ما يملكون من أجل نصرتها، وأنهم وإن غلبوا في الظاهر في بعض المراحل التاريخية إلا أنهم لم يستكينوا لأعداء السنة وإنما هم دائماً متواصلون يخططون ويدبرون لإعادة السيادة للكتاب والسنة وأن ثقتهم في ذلك لم تضعف بضعف قوتهم العسكرية فكانوا دائماً هم أصحاب الجولة الأخيرة، شعارهم في ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ الْعَقِبَةَ لِلْمُنْقِبِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

٥- وأن الغوغاء في كل عصر هم أعوان للكذابين والأدعياء؛ لأنهم لا يتبصرون ولا يبنون مواقفهم على العقيدة الصافية، تستميلهم المكاسب والمناصب فيخضعون لأصحابها ويدهنونهم على باطلهم على حساب الحق والأمانة، فتستوي عندهم السنة النبوية والردة العنسية، وهذا ما اتضح من قصر فترة تسلط مرجع الرفض والشرك والردة العنسي الذي لم يتجاوز حكمه أربعة أشهر حتى تناولته سيوف المؤمنين من أهل السنة النبوية معيدين الحق إلى نصابه بعد أن تبين الأدعياء من الدعاة، وأهل السنة من أهل البدعة.

(١) سورة هود، الآية: ٤٩.

٦- كما ظهر دور المرأة المؤمنة واستعدادها لنصرة السنة النبوية بدمها وروحها، وهذا ما فعلته المؤمنة آزاد أرملة شهر بن باذان؛ حيث أسهمت في التخطيط والإعداد وهيأت وسائل التنفيذ ثم كانت من المشجعين للمجاهدين في أخطر مراحل تنفيذ تلك العملية الفدائية التي أطاحت برأس الفتنة الرفض للسنة، ولم تغتر تلك المرأة المؤمنة ببهارج الدنيا وكونها حصلت على أقصى ما تفكر به الكثير من النساء وهو العيش في القصور والانغماس في النعم عند أهل الجاه والمال والسلطان، فسنت بذلك سنة حسنة للمرأة المسلمة التي ما زلنا نسمع أخبارها الباهرة في هذا العصر وأنها على استعداد تام لتقديم روحها نصرة لعقيدتها وسنة نبيها ﷺ وعزة أمتها، فكم من امرأة مؤمنة تركت بيتها وأولادها وسارت على منهج آزاد ونسبية وأخواتهما في محاربة أعداء السنة وتقديم دمائهن لنصرة الإسلام والمسلمين، مما يؤكد لكل عاقل أن السنة النبوية محروسة بدماء أهلها وأنها هي المنصورة لأنها المنهج الأسمى والطريق الأقوم الموصل إلى رضا الله والرسول ﷺ.

٧- وتبين أن القيادة الراشدة كانت لا تساوم ولا تهادن الرفض والردة وإنما كان منهجها هو الثبات على السنة والقضاء على الردة ليس بينهما إلا السيف؛ لأن الرفض والردة قائمان على هدم السنة، فأى مهادنة لهذا الباطل يعني المشاركة في الحرب على النبوة، لذلك كان خليفة رسول الله ﷺ دائم التواصل مع قادته متيقظاً في كل أحواله داعياً إلى الإقدام والتضحية لعزة الكتاب والسنة النبوية وإبلاغهما إلى العالمين، وهذا ما كان عليه خليفة رسول الله حتى أطفأ الردة ونصر السنة وأعز أهلها في ظلال قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

## الموقف من طليحة بن خويلد الأسدي:

طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة الأسدي الفقعسيّ قدم مع وفد قومه على رسول الله ﷺ في عام الوفود سنة تسع من الهجرة فسلموا على رسول الله ﷺ وقالوا له ممتنين: جئناك نشهد أن لا إله إلا الله وأنت عبده ورسوله ولم تبعث إلينا بعثاً، فأنزل الله تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلَايْمَنِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وسرعان ما تنبأ طليحة في آخر حياة النبي ﷺ واستعان على ذلك ببعض الأسجاع والشعوذات مستخدماً الشعر وبعض الحيل التي تنطلي على العامة.

وقد كان طليحة ينسج للناس الأكاذيب والأباطيل ويزعم أن جبريل يأتيه، وكان يقول للناس: أيها الناس! إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أدباركم شيئاً واذكروا الله قعوداً وقياماً. وجعل يعيب الصلاة وهو يقول: إن الصريح تحت الرغوة. وكان أول ما ابتلى من الناس طليحة أنه أصابه هو وأصحابه العطش في منزل لهم، فقال طليحة فيما سجع لهم من أباطيله: «اركبوا علالاً - يعني فرساً - واضربوا أميالاً، تجلدوا قلالاً» ففعلوا فوجدوا ماء، فافتتن الأعراب به، ثم قال أبو بكر رضي الله عنه لخالد بن الوليد: لآتيك من ناحية خبير إن شاء الله فيمن بقي من المسلمين، وأراد أبو بكر أن يبلغ الخبر الناس بخروجه إليهم، ثم ودع خالدًا ورجع إلى المدينة<sup>(٢)</sup>.

وبعد وفاة رسول الله ﷺ رفض خلافة النبوة وأعلن الحرب على المهاجرين والأنصار وسنة النبي ﷺ وارتد عن الإسلام، وكان سبباً في فتن كثيرة راح ضحيتها الكثير من الناس، واستمر على ذلك حتى جاءه سيف الله خالد بن الوليد بسيف السنة النبوية من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم فانهزم منهم بعد أن غلبت جموعه وانفضوا عنه ولوا هاربين، ثم تاب بعد ذلك وأسلم وشهد القادسية ونهاوند مع المسلمين وكان له مواقف عظيمة في الفتوح<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٧. (٢) ابن حبان: سيرة ابن حبان، ١/ ٤٣٠.

(٣) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٣/ ٤٤٠.

## وقعة ذي القصة:

كان طليحة بن خويلد قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ فوجه إليه النبي ﷺ ضرار بن الأزور رضي الله عنه حتى لم يبق إلا أخذه، فضربه بسيف، فلم يصنع فيه شيئاً، فظهر بين الناس أن السلاح لا يعمل فيه، فكثر جمعه وتبعه كثير من الغوغاء والمغرورين. ومات النبي ﷺ وهم على ذلك، فكان طليحة يقول: إن جبرائيل يأتيني، وسجع للناس الأكاذيب، وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول: إن الله لا يصنع بتعفر وجوهكم وتقبح أدباركم شيئاً، اذكروا الله أعفة قياماً، إلى غير ذلك، وتبعه كثير من العرب عصبية، فلهذا كان أكثر اتباعه من أسد وغطفان وطبيء. فسارت فزارة وغطفان إلى جنوب طيبة، وأقامت طبيء على حدود أراضيهم وأسد في منطقة سُميراء، واجتمعت عبس وثلعبة بن سعد ومرة بالأبرق من الرَبْدَة، واجتمع إليهم ناس من بني كنانة، فلم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين، أقامت فرقة بالأبرق، وسارت فرقة إلى ذي القصة، وأمدهم طليحة بأخيه جبال فكان عليهم وعلى من معهم من الدئل وليث ومدلج، وأرسلوا إلى المدينة يبذلون أداء الصلاة ويمنعون الزكاة، فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه. وكانت عقل الصدقة على أهل الصدقة - أي الحبل الذي يقيدون به البعير - وردهم رضي الله عنه فرجع وفدهم، فأخبروهم بقله من في المدينة وأطمعوهم فيها كما سبق ذكر بعض ذلك<sup>(١)</sup>.

وفي جمادى الآخرة ركب الصديق في أهل المدينة وأمراء الألقاب الذين يحرسون مداخل المدينة إلى من حولها من الأعراب الذين أغاروا عليها، فلما تواجه مع المرتدين من بني عبس وبني مرة، وذبيان، ومن ناصب الصحابة العداء معهم من بني كنانة، وأمدهم طليحة بأخيه جبال وكانوا قد صنعوا مكيدة وهي أنهم عمدوا إلى أنحاء - أي قرب ماء فارغة - فنفخوها ثم أرسلوها من رؤوس الجبال، فلما رأتها إبل المسلمين نفرت وذهبت كل مذهب فلم يملكوا من أمرها شيئاً إلى الليل، وحتى رجعت بهم إلى المدينة كما سبقت

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٣٣.

الإشارة إلى ذلك فقال الحطيل بن أوس حينها:

فَدَى لِبَنِي ذَبِيانَ رَحْلِي وَناقَتِي      عَشِيَّةَ يُحَدَى بِالرِّماحِ أَبُو بَكْرٍ  
أَطعنا رسول الله ما كان بيننا      فيا لعباد الله ما لأبي بكر<sup>(١)</sup>

فلما وقع ما وقع ظن القوم بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى عشائريهم من نواحي آخر، فاجتمعوا وبات أبو بكر رضي الله عنه قائماً ليله يعبئ الناس، ثم خرج على تعبته من آخر الليل، وعلى ميمنته النعمان بن مقرن، وعلى اليسرة أخوه عبد الله بن مقرن، وعلى الساقة أخوهما سويد بن مقرن فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين حساً ولا همساً، حتى وضعوا فيهم السيوف، فما طلعت الشمس حتى ولوهم الأدبار، وغلبوهم على عامة ظهرهم، وقتل جبال، واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة، وكان أول الفتح، فذل بها المشركون، وعز بها المسلمون، ووثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم، وفعل من وراءهم كفعالهم، عند ذلك حلف خليفة رسول الله الغيور على المسلمين؛ ليقتنص من الرافضة الغادرين، بمن قتلوا من المسلمين؛ ذلك أن العفو عن الغادر إنما هو تشجيع له على ارتكاب المزيد من الجرائم، وفي القصاص استقامة للحياة الآمنة، وردع للباطل لكيلا يتمادى في ظلمه ونصرة للحق لكيلا يضعف فيهمزم. وفي ذلك قال الشاعر التميمي زياد بن حنظلة:

فما صَبَرُوا لِلحَرْبِ عِنْدَ قِيامِها      صَبِيحَةَ يَسْمُو بِالرِّجالِ أَبُو بَكْرٍ  
طَرَقْنَا بَنِي عَبْسٍ بِأَدنى نَباحِها      وَذَبِيانَ نَهَنها بِقاصِمةِ الظَّهْرِ<sup>(٢)</sup>

فكانت وقعة ذي القصة من أكبر العون على نصر الإسلام وأهله، وذلك أنه عز المسلمون في كل قبيلة، وذل المرتدون في كل قبيلة، ورجع أبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة مؤيداً منصوراً، سالمًا غانمًا بعد تلك الإنجازات التي ثبت الله بها أركان خلافة النبوة وكشف بها

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/٣٠٧.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/٣٠٨.

بوائق الراضية وزيف عقيدتهم وهشاشة انتمائهم للأمة وبعدهم عن سنة نبينا ومفارقتهم لدينها<sup>(١)</sup>.

### مسير خالد إلى طليحة بن خويلد في منطقة بُزَاخَة:

ولما فصلت الأمراء من ذي القصة ولحق بكل أمير جنده، وعهد خليفة رسول الله إلى كل أمير بمهمته، وكتب إلى جميع المرتدين يأمرهم بمراجعة الإسلام ويحذرهم من مغبة رفض خلافة النبوة، وسيّر الكتب إليهم مع رسله. ولما انهزمت عبس وذبيان ورجعوا ببزَاخَة أرسل إلى جديلة والغوث من طيء يأمرهم باللحاق به، فتعجل إليه بعضهم وأمروا قومهم باللحاق بهم، فقدموا على طليحة وكان أبو بكر رضي الله عنه بعث عدي بن حاتم قبل خالد إلى طيء وأتبعه خالدًا وأمره أن يبدأ بطيء ومنها يسير إلى بُزَاخَة حيث جموع طليحة، ثم يثلث بالبُطاح التي يقيم فيها مالك بن نويرة ومن معه من الراضية، ولا يبرح إذا فرغ من قوم حتى يأذن له. وأظهر أبو بكر رضي الله عنه للناس أنه خارج إلى خيبر بجيش حتى يلاقي خالدًا رضي الله عنه يهرب العدو بذلك<sup>(٢)</sup>.

وقدم عدي بن حاتم إلى طيء فدعاهم وخوفهم، ومعلوم مكانه فيهم، فأجابوه وقالوا له: استقبل الجيش فأخره عنا حتى نستخرج مَنْ عند طليحة مِنْ إخواننا لئلا يقتلهم وكانوا قد انضموا إليه لحرب المسلمين. فاستقبل عدي خالدًا وأخبره بالخبر، فتأخر خالد، وأرسلت طيء إلى إخوانهم عند طليحة يدعونهم للعودة إليهم فلاحقوا بهم، فعادت طيء إلى خالد بإسلامهم، ورحل خالد يريد جديلة، فاستمهله عدي عنهم، ولحق بهم عدي يدعوهم إلى الإسلام، فأجابوه، فعاد إلى خالد بإسلامهم، ولحق بالمسلمين ألف راكب منهم، وكان عدي خير مولود في أرض طيء وأعظمه بركة عليهم.

وأرسل خالد بن الوليد عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم الأنصاري طليعة له، فبلغ

(١) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية: ٦/٣٠٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٣٥.

خبرهما طليحة فخرج هو وأخوه سلمة بمن معهما فقتلا طليحة المسلمين عكاشة وثابت بن أقرم ثم رجعوا.

وأقبل خالد بالناس فرأوا عكاشة وثابتاً قتيلين، فجزع لذلك المسلمون، وانصرف بهم خالد نحو طييء فقالوا له: نحن نكفيك قيساً، فإن بني أسد حلفاؤنا. فقال: أي الطائفتين شئتم. فقال عدي بن حاتم: لو نزل هذا على الذين هم أسرتي الأدنى فالأدنى لجاهدتهم عليه، والله لا أمتنع عن جهاد بني أسد لحلفهم. فقال له خالد: إن جهاد الفريقين جهاد، لا تخالف رأي أصحابك وامض بهم إلى أي القوم الذين هم لقتالهم أنشط، ثم سار لقتالهم حتى التقيا على بزاحة، وبنو عامر قريباً يتربصون على من تكون الدائرة، قال: فاقتتل الناس على بزاحة<sup>(١)</sup>.

وكان عيينة بن حصن مع طليحة في سبعمائة من بني فزارة، فقاتلوا قتالاً شديداً وطليحة متلف في كسائه يتنبأ لهم، فلما اشتدت الحرب كر عيينة على طليحة وقال له: هل جاءك جبرائيل بعد؟ قال: لا، فرجع فقاتل، ثم كر على طليحة فقال له: لا أباك! أجماعك جبرائيل؟ قال: لا. فقال عيينة: حتى متى؟ قد والله بلغ منا! ثم رجع فقاتل قتالاً شديداً ثم كر على طليحة فقال: هل جاءك جبرائيل؟ قال: نعم. قال: فماذا قال لك؟ قال: قال لي: إن لك رحاً كرحاه وحديثاً لا تنساه. فقال عيينة: قد علم الله أنه سيكون حديثاً لا تنساه، انصرفوا يا بني فزارة فإنه كذاب، فانصرفوا وانهزم أعداء الصحابة الذين أعلنوا الحرب على خلافة النبوة دونما أي سبب.

وكان طليحة قد أعد فرسه وراحلته لامرأته النوار، فلما غشوه ركب فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها وقال: يا معشر فزارة من استطاع أن يفعل هكذا وينجو بامرأته فليفعل. ثم انهزم فلحق بالشام، ثم نزل على بني كلب فأسلم حين بلغه أن أسداً وغطفان قد أسلموا، ولم يزل مقيماً في كلب حتى توفي أبو بكر رضي الله عنه.

وكان قد خرج معتمراً في خلافة أبي بكر ومرّ بجنابات المدينة، فقيل لأبي بكر رضي الله

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٣٦. ينظر: ابن حبان: سيرة ابن حبان، ١/٤٣٣.

عنه: هذا طليحة! فقال رضي الله عنه: ما أصنع به؟ قد أسلم! ثم أتى عمر رضي الله عنه فبايعه حين استخلف. فقال له: أنت قاتل عكاشة وثابت؟ والله لا أحبك أبدًا! فقال: يا أمير المؤمنين ما يهكم من رجلين أكرمهما الله بيدي ولم يهني بأيديهما؟! فبايعه عمر رضي الله عنه وقال له: ما بقي من كهانتك؟ فقال: نفخة أو نفختان بالكبير. ثم رجع إلى قومه فأقام عندهم حتى خرج إلى العراق فشارك في حرب القادسية. وقيل في نهاية طليحة: إنه مضى وأصحابه إلى الشام بعد هزيمتهم، فأصابهم في طريقهم عطش شديد فقالوا: هلكننا عطشًا فما بقي من كهانتك؟ فقال لرجل منهم: يا مخراق اركب فرسًا وبيالًا ثم شن عليه إقبالًا، فإنك سترى فارات طوالًا ثم تجد عندها حلالًا. فركب مخراق فرأى الفارات وعندها عين فشربوا وسقوا دوابهم ثم مضى إلى الشام فلما علم من هناك من المسلمين بطليحة أخذوه فأوثقوه ثم وجهوا به إلى أبي بكر فتوفي أبو بكر رضي الله عنه وطليحة في الطريق فقدم به على عمر رضي الله عنه فأسلم وحسن إسلامه<sup>(١)</sup>. والمتفق عليه أن طليحة أسلم وحسن إسلامه وجاهد مع المسلمين في الفتوح.

ولما انهزم الناس عن طليحة أسر عيينة بن حصن، فقدم به على أبي بكر رضي الله عنه فكان صبيان المدينة يقولون له وهو مكتوف: يا عدو الله أكفرت بعد إيمانك؟ فيقول: والله ما آمنت بالله طرفة عين. فتجاوز عنه أبو بكر رضي الله عنه وحقن دمه. وأخذ من أصحاب طليحة رجلًا كان عالمًا به، فسأله خالد رضي الله عنه عما كان يقول، فقال: إن مما أتى به: «والحمام واليمام، والصرد الصوام، قد صمن قبلكم بأعوام، ليلغن ملكنا العراق والشام». قال: ولم يؤخذ منهم سبي لأنهم كانوا قد أحرزوا حريمهم فلما انهزموا أقرؤا بالإسلام خشية على عيالاتهم فأمنهم<sup>(٢)</sup>.

ولما حقق سيف الله رضي الله عنه النصر المؤزر على أعداء الصحابة الذين تمردوا على الخلافة وارتدوا عن الدين وفرّ مرجعهم المتنبئ طليحة هاربًا تاركًا دينه المزعوم وأهله،

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ٣٥/٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٣٦/٢.

كتب خليفة رسول الله إلى خالد بن الوليد ومن كان في صفه وقام بنصره كتابًا جاء فيه:

«ليزدك ما أنعم الله به خيرًا وابق الله في أمرك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، جدّ في أمرك ولا تلن ولا تظفر بأحد من المشركين قتل من المسلمين إلا نكلت به، ومن أخذت ممن حادّ الله أو ضاده ممن يرى أن في ذلك صلاحًا فاقتله. فأقام خالد بيزاخة شهرًا يصعد فيها ويصوب ويرجع إليها في طلب الذين أوصاه بسببهم الصديق رضي الله عنه فجعل يتردد في طلب هؤلاء شهرًا يأخذهم بمن قتلوا من أهل السنة المسلمين الذين كانوا بين أظهرهم حين ارتدوا، فمنهم من حرقه بالنار، ومنهم من رضخه بالحجارة، ومنهم من رمى به من شواهق الجبال، كل هذا ليعتبر بهم من يسمع بخبرهم من المرتدين»<sup>(١)</sup> ولكيلا يجترئ الرافضة على أحد من المسلمين.

ولما قدم وفد أسد وغطفان من بيزاخة على أبي بكر رضي الله عنه يسألونه الصلح، خيرهم بين حرب مجلية أو خطة مخزية، فقالوا: يا خليفة رسول الله أما الحرب المجلية فقد عرفناها، فما الخطة المخزية؟ قال: تؤخذ منكم الحلقة والكراع وتُركون أقوامًا يتبعون أذنان الإبل حتى يُري الله خليفة نبيه ﷺ والمؤمنين أمرًا يعذرونكم به، وتؤدون ما أصبتم منا، ولا تؤدي ما أصبنا منكم، وتشهدون أن قتلانا في الجنة وأن قتلاكم في النار، وتدون قتلانا ولا ندي قتلاكم. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أما قولك: تدون قتلانا، فإن قتلانا قتلوا على أمر الله لا ديات لهم. فامتنع عمر رضي الله عنه. وقال عمر في رأي خليفة رسول الله الثاني: نَعَمْ ما رأيت<sup>(٢)</sup>.

فتبين مما سبق أن المرتدين كانوا لا يفكرون بعقولهم، وإنما أوكلوا التفكير في المسائل المصيرية مثل مسألة العقيدة ومسألة رفض خلافة النبوة وإعلان الحرب على الصحابة رضي الله عنهم وسنة النبي ﷺ أوكلوا ذلك إلى مراجعهم المتنبئين الكذابين الذين كانوا يُسخرُونَ الفتوى والتشريع لما يخدم مصالحهم تحت ذرائع واهية وفرضيات مبنية على أوهام تخدم

(١)، (٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٣١٢.

في النهاية توجهاتهم الجاهلية ومصالحهم القبلية وتحارب التوحيد والوحدة والنظام والشرع والمساواة، وكانوا لا يزيدون في كل ما فعلوه عن أن يكونوا مغامرين، فإن نجحت مغامراتهم فيها ونعمت، وإن فشلوا فلا حرج من الهزيمة والتربص فإن انتصر المسلمون فهم رحماء يغفرون لمن أساء إليهم.

أما المسلمون فكانوا يسرون على خطط مرسومة وأهداف معلومة وضوابط مشروعة تحكم كل أفعالهم ويتوخون فيها العدل وتحبيب الإسلام إلى الناس مع التحوط التام والإعداد الكامل لكل الاحتمالات والعقبات التي من الممكن أن تواجههم، فضلاً عن وحدة القيادة وبراعتها ومجالس الشورى وعمق الشعور بالمسؤولية ومتابعة كل ما يجري تحت سلطانهم، لذلك حققوا جميع أهدافهم وأنقذوا الناس من ظلمات الرفض والردة إلى عدل الإسلام وسماحته وانفتاحه وعالميته.

واتضح في كتاب خليفة رسول الله إلى سيف الله الحزم الذي أخذ به خليفة رسول الله جند الخلافة، ووضوح أوامره في مواجهة المرتدين وأن من يرفض الخلافة ويجعل له مرجعاً من دونها فإنما هو مرتد لا أمان له، وإن أنجع وسائل علاج معضلهم هو الحسم، ومن داهنهم فإنما ذلك سيكون على حساب العقيدة والهوية، فلم يقرّ خليفة رسول الله معهم سوى منتهى الشدة؛ وهو الرحيم الرقيق وما ذلك إلا لعلمه بمكرهم وحقدهم وشدة خطرهم على الإسلام والمسلمين، وهذا هو منهج خلافة النبوة في مواجهة الرافضة وهو المنهج الذي يجب أن يعلمه كل من يؤمن بخلافة النبوة وعليه أن يعلم أن كل من يدعو إلى أخوة الرافضة إنما يدعو إلى وجه من وجوه الردة مخالف لمنهج الصحابة رضي الله عنهم ولن يحصد هذا الصنف سوى خداع الأمة وإلحاق الأذى بأهل السنة الذين لا يقبلون سوى منهج الصحابة رضي الله عنهم ومساوهم الذي سلكوه في حياة الراشدين رضي الله عنهم وأن من يُلبس على المسلمين ويزعم التقريب بينهم فقد حاد عن الطريق الصحيح، وعن منهج السلف الصالح، فإن المرجع في ذلك كتاب الله وسنة النبي ﷺ فمن خرج عنهما فعليه أن يعود من حيث خرج ومن يصر على رفض السنة فإن التقرب إليه إنما يعني الخروج من

الإسلام والتقارب مع المرتدين وهذا ما لم يقل به مسلم عاقل.

كما اتضح في نص هذا الكتاب كم كان سيف الله خالد رضي الله عنه حريصًا على تنفيذ إشارات خليفة رسول الله وتعاليمه كاملة دونما أي تردد أو إبطاء، وقد جنى المسلمون من تلك الطاعة لخليفة رسول الله ومن تلك الشدة على المرتدين ثمارًا طالما تذوقوا طعمها عزًا ووحدة واستقرارًا بالإضافة إلى سلامة التوحيد وما جاء به النبي ﷺ دون أي تغيير أو تبديل واستمر ذلك قرونًا طويلة، ولعل ذلك يعد من أكبر الانتصارات التي حققها المسلمون في حروبهم بعد وفاة النبي ﷺ وعليه فلا مخرج لأهل السنة في هذا العصر من المحن المتلاحقة التي تصب عليهم إلا بفهم منهاج خلافة النبوة في التعامل مع الرافضيين للدين المتعاونين مع أعداء المسلمين الحاقدين على سنة سيد المرسلين ﷺ وأهلها الأكرمين.

### أثر عدي بن حاتم في دحر المرتدين وإنقاذ قومه منهم:

لما اجتمعت عبس وذبيان ومن تحالف معهم على حرب الصحابة عند ماء البُرَاخة أرسل طليحة بن خويلد إلى جديلة والغوث أن ينضموا إليه، فتعجل إليه أناس من الحيين وأمروا قومهم باللحاق بهم فقدموا على طليحة مناصرين له، وبعث خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه عدي بن حاتم رضي الله عنه قبل توجيه خالد رضي الله عنه من ذي القصة إلى قومه، وقال له: أدركهم لا يؤكلوا فخرج إليهم فقتلهم في الذروة والغارب، أي حاورهم ودعاهم إلى ترك الرفض والعودة إلى السنة النبوية وخرج خالد في أثره وأمره أبو بكر رضي الله عنه أن يبدأ بطييء على الأكناف، ثم يكون وجهه إلى البُرَاخة ثم يثلث بالبطاح ولا يريم إذا فرغ من قوم حتى يحدث إليه ويأمره بذلك، وأظهر أبو بكر رضي الله عنه أنه خارج إلى خيبر ومنصب عليه منها حتى يلاقيه بالأكناف أكناف سلمى، فخرج خالد رضي الله عنه فَازْوَارًا عن البُرَاخة وجنح إلى أجأ وأظهر أنه خارج إلى خيبر ثم منصب عليهم، فأقعد ذلك طيئًا وبطأهم عن طليحة وقدم عليهم عدي رضي الله عنه فدعاهم فقالوا: لا نبايع أبا الفصيل أبدًا.

وهذا شأن الرافضة في الطعن في خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه فقال لهم عدي: لقد أتاكم قوم لبيحن حريمكم ولتكننه بالفحل الأكبر فشأنكم به. فقالوا له: فاستقبل الجيش فنهته وأخره عنا حتى نستخرج من لحق بالبزاحة منا فإننا إن خالفنا طليحة وهم في يديه قتلهم أو ارتهنهم. فاستقبل عدي خالدًا. فقال: يا خالد أمسك عني ثلاثًا يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوك، وذلك خير من أن تعجلهم إلى النار وتشاغل بهم. ففعل، فعاد عدي إليهم وقد أرسلوا إخوانهم فأتوهم من بزاحة كالممدد لهم. ولولا ذلك لم يُتركوا فعاد عدي بإسلامهم إلى خالد وارتحل خالد رضي الله عنه يريد جديدة فقال له عدي: إن طيئًا كالطائر، وإن جديدة أحد جناحي طيئ فأجلني أيامًا لعل الله أن ينقذ جديدة كما أنقذ الغوث ففعل، فأتاهم عدي رضي الله عنه فلم يزل بهم حتى بايعوه، فجاءه بإسلامهم ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب، فكان موقف عدي خيرًا على قومه وعلى المسلمين وأعظمه عليهم بركة.

وذكر أن خيل طيئ كانت تلقى خيل بني أسد وفزارة قبل قدوم خالد عليهم فيتشامون ولا يقتتلون فتقول أسد وفزارة لبني طيئ: لا والله لا نبايع أبا الفصيل أبدًا. تصغيرًا لكنية خليفة رسول الله حيث إن الفصيل أصغر من البكر من الإبل. فتقول لهم خيل طيئ: أشهد ليقاتلنكم حتى تكنوه أبا الفحل الأكبر<sup>(١)</sup>.

وقد كان ذلك حيث أذعنوا الطاعة لخليفة رسول الله بعد أن وجدوه وجنده أسودًا وفحولًا وأن الرافضة المرتدين لا يزيدون على أن يتحينوا فرصة للغدر أو التحالف مع الأعداء لخيانة الأمة واستباحتها مجردين من شيم الكرام وقيم الفروسية وكيف لا يكونون كذلك وهم يطعنون بخير الناس ويناصبونهم العدا والبهتان؟ فعلم كل عاقل أن المرتدين هم الذين ينتقصون من خليفة رسول الله ويحرضون على حربه والخروج عن طاعته، وهذا ما يخالف إجماع المهاجرين والأنصار ويمثل كفرًا بسنة رسول الله ﷺ، وهذه هي عقيدة الرافضة

(١) الطبري: تاريخ، ٢/٢٦٣.

التي يجب أن يعرفها أهل السنة ويحترسوا منها ومن أهلها على مرّ السنين؛ لأن من لا يثق بخليفة رسول الله فمن باب أولى أنه لا يثق بمن يسير على منهج سنة رسول الله ﷺ، وكلما ازداد تهاونهم وضعف حزمهم ازداد أعداء الصحابة تمكناً من رقابهم؛ إذ إنهم لا عدو لهم ولا بغيض عندهم إلا السنة النبوية وأهلها ومن لم يشارك في الدفاع عن السنة في قوله وفعله وماله وقلمه أو دعائه وبراءته من أعدائها فهو مقطوع الرحم مع السنة مُفَرِّط بنسبه إليها.

وكان الصديق رضي الله عنه على علم بأحقاد الرافضة وغدرهم وأن من يجترئ على الله ورسوله لا يبالي فيما سواهما، فاحتاط لذلك رضي الله عنه حين وجه خالدًا إلى قتال طليحة الأسدي وأوصاه بكل ما يجب أن يوصي به قائد جنده من الحيطة والحذر والتعبية والاستعداد الدائم ثم مواجهتهم بمتتهى الحزم، وهذا ما فعله سيف الله خالد رضي الله عنه ومن معه من الصحابة والتابعين، فكان النصر الذي أقر العيون وأثلج الصدور وأطفأ فتنة الرافضة المرتدين في بلاد بني أسد وغطفان ومن ناصرهم.

### موقف مالك بن نويرة:

كان مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد التميمي اليربوعي، يكنى أبا حنظلة، ويلقب الجفول، زعيم بني يربوع من تميم يسكن في منطقة البطاح، وكان شاعرًا فارسًا استعمله النبي ﷺ على صدقات قومه فلما بلغته وفاة النبي ﷺ أمسك أموال الزكاة وفرقها في قومه، وقال في ذلك:

فقلت خذوا أموالكم غير خائف ولا ناظر فيما يجيء من الغد<sup>(١)</sup>

ولما تسعرت فتنة الردة كان المسلمون الثابتون على الكتاب والسنة يقفون مقابل الرافضة المرتدين، وبينما كانوا على تلك الحال جاءتهم جموع سجاح بنت الحارث بن سويد بن عققان في بني تغلب، وقد تنبأت بعد وفاة النبي ﷺ فوادعها مالك بن نويرة، فخرج بعض بني

(١) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٥/ ٥٦٠.

يربوع محتجين على ما فعل مالك ونزلوا في بني مازن كارهين لما صنعه زعيمهم، فلما ذهبت سجاح وقدم سيف الله بجنده ندم من صانع سجاح المتنبئة الكذابة فاستقبلوا خالدًا رضي الله عنه واعتذروا عمّا بدر منهم وبينوا له أسباب ذلك، فلم يبق في بلاد بني حنظلة شيء يكرهه خالد رضي الله عنه إلا ما كان من مالك بن نويرة ومن تجمع عنده في البطحاء، فلما رأى ألا قبل لأحد بخالد رضي الله عنه أمر قومه بالتفرق في بلادهم ومن ثم الدخول مما خرجوا منه، وبقي هو مترددًا لم يستقبل المسلمين ولم يعتذر عمّا بدر منه من تحالف مع المرتدين ولا عن تفريقه أموال الصدقة التي كان يجيئها للمسلمين وبقي على ذلك حتى جاءت به خيل المسلمين أسيرًا مع الأسرى وهناك بين يدي خالد والمسلمين بقي مكابرًا حتى قتل<sup>(١)</sup>.

والذي لا شك فيه أن مالكًا كان رافضياً خارجاً عن طاعة خلافة النبوة الراشدة، وقد راجعه خالد رضي الله عنه في إسلامه، ولكنه أصر على منع الزكاة ولم يصرح بنبوّة رسول الله ﷺ فكان يقول لخالد: قد كان صاحبكم يقول ذلك. يريد رسول الله ﷺ واستنكر منه خالد قوله فسأله: أما تراه لك صاحبًا؟ فلم يجب خالدًا رضي الله عنه بأن رسول الله ﷺ صاحبه أيضًا وأمام هذه الخلافة التي قابل بها مالك قائد الجيش الذي تهابه الجبايرة وهو المجاهد الذي لا يتهاون مع أهل البوائق والرفض فكيف بالمرتدين وأعاونهم وأنصار سجاح التغلبية ومسيلمة الكذاب، بالإضافة إلى التعليمات المشددة تجاه الرافضة المرتدين التي لا يستطيع خالد تجاوزها وهو القائد المثالي في الطاعة والنظام وتنفيذ تعليمات الخلافة الراشدة، فلم يكن أمام خالد مفر من قتله اتباعًا لتعليمات الخلافة الراشدة التي كانت تتعامل مع الردة بأقصى وسائل الشدة، فبعد أن أصرّ ابن نويرة على التفريق بين الصلاة والزكاة واستنكف أن يعترف بنبوّة رسول الله ﷺ قتله ضرار بن الأزور بأمر من خالد رضي الله عنه.

وهذه الرواية رواها عامة المؤرخين عن ابن جرير الطبري<sup>(٢)</sup> وأخذها عنه ابن الأثير وابن كثير وغيرهم بما فيها من أحاديث تناقض ثوابت الدين وقيم الأمة وسير الصحابة، بل إن

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٧٠، ٢٧٢. ابن الأثير: الكامل، ٢٤٢.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٧٢. ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣١٥. ابن الأثير: الكامل، ٢٤٢.

الطبري الذي استقى عنه عامة المؤرخين هذه الرواية، استرسل في روايات باطلة عقلاً وشرعاً وأسفت رواياته كثيراً عندما شككت في زواج خالد من أرملة مالك بعد انقضاء عدتها ليطعن بذلك في حكمه على ابن نويرة الذي خالف أمر رسول الله ﷺ عمداً، وهو الذي كان يُرتجى منه الثبات على الدين في أيام الردة لأنه أحد عمال رسول الله ﷺ فكيف يطعن الطبري في خالد ولا يطعن في ابن نويرة الذي ارتكب ما ارتكب من جريمة مخالفة الكتاب والسنة بمنع الزكاة ورفض طاعة خليفة رسول الله ومبايعته في الوقت الذي قبل فيه بيعة سجاح المتنبهة الكذابة، وكيف يجرؤ الطبري ومن أخذ عنه بأسانيد واهية الطعن في سيف الله الذي سلّه الله على الكافرين رضي الله عنه وهو القائد الذي عمل لرسول الله ﷺ والمشهود له بالشدة على الكافرين والمنافقين والرحمة على المؤمنين؟!!

هذه المسائل وغيرها تقود إلى ما لا يمكن إخفاؤه بأن في روايات تاريخ الطبري نزعة رافضية تزكم الأنوف لا مسوغ لها ولا يمكن الاعتذار عنها بوجه من الوجوه المعتمدة ، وأن الزعم بأنه يورد السند لا يعد عذراً علمياً لأن أسانيد مثل هذه الروايات أسانيد فاسدة مكذوبة وعامتها رافضية فكيف يدونها في تاريخه وهي تطعن في الصحابة بما يناقض ما ورد عن الصحابة في الكتاب والسنة، فما هذه الأسانيد التي يتمسك بها إن كانت النية سليمة؟ ثم لماذا هذا الكم الهائل من الطعن على الصحابة والتشكيك في كثير من مواقفهم وفي عدالتهم!!؟

لقد أسفت روايات الطبري في مفاصل كثيرة من تاريخه الذي ما زال يحوي بؤراً آسنة منتنة لما فيها من طعن على أصحاب رسول الله ﷺ ولمز السنة النبوية، لم يكن له أن يسقط فيها ويخالف إجماع الأمة على أن الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول وأن مكانة الصحبة لا يرقى إليها أحد من الناس مهما بلغ شأوه، ولم يكن يُرتجى من الطبري أن يوفر لأعداء الصحابة من الأباطيل والبهتان الذي تعجز مراجعهم المتخصصة عن حفظها وتسويقها بين عامة الناس لتبقى العامة تخوض في أحوالها بما يفسد العقيدة ويمزق الهوية ويزيف الولاء!!

إلا إذا كان هناك من عبث في تاريخ الطبري ونسب إليه ما لم يدونه، وحذف منه ما يفضح مثل هذه الأباطيل، وليس ذلك من أعداء الصحابة ببعيد!!

فهو يروي أن مالك بن نويرة لم يدفع الزكاة ولم يعترف بها من دون زعماء بني تميم، ويروي أنه تابع سجاح التغلبية الكاهنة المتنبهة زوجة مسيلمة الكذاب، وأنه لم يستقبل جيش خالد رضي الله عنه مع من استقبله من بني تميم، ولم يقدم الصدقة التي كان جابياً لها ومكلفاً بجمعها منذ أن بايع رسول الله ﷺ وهو يعلم أن خالدًا رضي الله عنه مكلف بتنفيذ سياسة الخلافة التي لا ترحم الرافضة المرتدين المكذبين للكتاب والسنة، وتلزم المرتدين بدفع زكاة أموالهم كبقية المسلمين ولا تعاتب الرافضة ولا تحاورهم؛ لأنهم متعمدون للإفساد ورد نصوص الشرع.

وكيف يروي الطبري أن خالدًا رضي الله عنه أمر ضرار بن الأزور بضرب عنقه بين الصحابة رضي الله عنهم وأنه نفذ ذلك؛ ثم يشكك في ذلك الحكم لیتهم خالدًا وضرارًا ومن شهد معهم من الصحابة رضي الله عنهم وليبرئ هذا الرافضي المتمرد على خلافة النبوة!! وهذا ما لا يُقبل ولا يُستر، فإذا ثبت أن خالدًا أمر بقتل مالك فإن ذلك القتل مستحق لما نزل به لأن الصحابة عدول والرافضة محتالون يفترون ويكذبون، فهم لا أمان لهم ولا عقيدة سوى مصالحهم وشهواتهم، ولو وجد خالد رضي الله عنه له مخرجًا عند خليفة رسول الله لما قتله ولكن الحق أحق أن يتبع.

وكيف يغفل خالد وجنده عن محاسبة من خان عهد رسول الله ﷺ بعد وفاته والتحق بسجاح المتنبهة الكاهنة الكذابة، وأبى دفع الزكاة مرارًا وتكرارًا عند مناقشته في ذلك فإذا كان الرافضة والمستشرقون يرون في هذا الحكم قسوة، فإن الخلافة الراشدة كانت ترى في المرتدين خطرًا على الدين وأهله حيث إنهم يسعون للإفساد في الأرض وتأليه أنفسهم بقبول ورفض ما يشاؤون، وهذا ذنب تقصر عنه كل عقوبة مهما بلغت شدتها، إضافة إلى تهديدها لأمن ووحدة الأمة.

ممارسة أعداء الصحابة للتضليل والتشويش على الصحابة وأهل السنة عامة يعد أحد أركان دينهم، فهم يروجون أن خالدًا رضي الله عنه تزوج أرملة مالك بن نويرة أم تميم ليلي بنت سنان بن المنهال وكان هذه إحدى الكبر، بينما يمجدون أبا لؤلؤة المجوسي قاتل الفاروق رضي الله عنه وكأنه فتح مكة حتى جعلوه من كبار أوليائهم الذين يزارون ويمجدون!! أو كأن الحفاظ على الأعراض مما يقع ضمن اهتمامات أعداء الصحابة الذين جعلوا من المتعة دينًا يحتالون من خلاله على هتك الأعراض ونشر الإباحية ومحاربة الزواج الشرعي الذي يصون المرأة ويحفظ حقوقها وكرامتها!!

لقد تزوج خالد رضي الله عنه تلك المرأة لأنها ربما ثبتت على دينها ولم ترتد فأكرمها بذلك الزواج وأنقذها من ذل السبي وعاره عليها وعلى قومها، فهل يريد المفترون على خالد رضي الله عنه الزاعمون الدفع عن أم تميم أن تبقى سبية خادمة بعد أن كانت مكرمة في بيت عز ونسب؟ ألم يكن من الواجب الثناء على موقف خالد هذا وإكبار قبوله الزواج من امرأة في مثل حال أم تميم آنذاك؟ ألا يعد شرفًا عظيمًا لأي امرأة عربية أن تحظى بالزواج من خالد الصحابي القرشي الأمير الفارس الفصيح السيد القائد المنصور أبدًا رضي الله عنه الذي هزم بجهاده مجوس الفرس وصليبي الروم وأذنا بهما؟

لقد كان القتل والسبي من أحكام الردة، التي أقرها أصحاب رسول الله ﷺ فكيف ينكرون على خالد رضي الله عنه الزواج من تلك الأرملة الشريفة في قومها، وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه تزوج من خولة الحنفية وهي إحدى سبايا المسلمين من نساء بني حنيفة وهي أم محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي غلب عليه اسم محمد ابن الحنفية رضي الله عنه؟!

وكيف ينكرون على خالد رضي الله عنه الزواج في الحرب وهذا رسول الله ﷺ تزوج يوم فتح خيبر من صفية بنت حبي بن أخطب اليهودية بعد أن قتل زوجها في خيبر، فتزوجها ﷺ وهو في الطريق إلى المدينة وبعد أن أعتقها من السبي وأسلمت وأصبحت

من أمهات المؤمنين<sup>(١)</sup>. وتزوج ﷺ من جويرية بنت الحارث ابنة سيد بني المصطلق بعد أن أعتقها من السبي أيضًا وجعل صداقها عتقها، فكانت أيمن امرأة على قومها حيث أطلق أسارى قومها بذلك الزواج الميمون، وكانوا مائة أهل بيت، ومن ثم دخلوا في الإسلام<sup>(٢)</sup>. ثم أصبحت أيضًا من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن اللاتي قال الله فيهن: ﴿وَأَقَمْنَ الصَّلَاةَ وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطَعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>. فلماذا استهداف الصحابة والافتراء عليهم وهم أولى الناس بالمحبة والاتباع، لما هم عليه من التمسك بالسنة النبوية؟! أم أن ذلك التمسك بالسنة هو الذي يثير عليهم حفيظة الرافضة وأحقادهم ويدعوهم إلى الكذب عليهم لكيلا يثق الناس بهم فيضلوا عن السنة إلى أباطيل أعداء الصحابة وبدعهم الهدامة!؟

وأما ما ينسب إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه من تشكك في زواج خالد رضي الله عنه فيكفي في إثبات عدم صحته قول عمر رضي الله عنه حين عزل خالدًا: ما عزلتك عن ربية. بل لشدة تعلق الناس به ومحبتهم له وثقتهم به، ولكيلا يتعلق المسلمون بغير خالقهم سبحانه وتعالى كان تأخير عمر لخالد من مكان القائد الأول إلى نائب القائد العام، وهذه تحصل ضمن تبادل الخبرات وتداول المواقع ويعمل بها حتى في القواعد العسكرية المعاصرة ولكن الرافضة قوم يفترون؛ ولا يسمع لهم إلا المتشككون في دينهم الفاقدون لهويتهم، ولا شك أن خالدًا رضي الله عنه من أعظم المجتهدين في علم تعبئة الجيوش وتدبير الحروب، وهو أعلم بالسنة من كل من يزعم أنه ينتقده من الجهلة والمفتريين، وليس في استطاعة أحد أن يسوق سندًا واحدًا صحيحًا يصم فيه خالدًا بمخالفة الشرع في هذه المسألة التي ملأ بها أعداء الصحابة والغوغاء الدواوين، مع أن أخبار الأحاد لا تفيد علمًا في مثل هذا الموضوع، وهذا المطلب علمي يحتاج إلى دليل يفيد العلم<sup>(٤)</sup>، ومتى كان أهل الحقد والبهتان يسألون

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/٢٣٩. (٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/٢٩٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٤) تاريخ الإسلام: ١/٣٥٤.

عن العلم والدليل وهمهم الأول هو إطلاق الشائعات والكذب على الصالحين؟

وكيف يجروؤ المؤرخون على اتهام خالد رضي الله عنه وفي الرواية ذاتها التي يتداولونها يكذبهم متمم بن نويرة ويشهد على أخيه بالكفر؟! كما جاء ذلك في الخبر ذاته الذي يلمزون به سيف الله وأنه لما قدم متمم بن نويرة على عمر رضي الله عنه قال له: ما بلغ بك الوجد على أخيك مالك؟ قال: بكيته حولاً... إلخ. إلى أن قال عمر: أنشدني بعض ما قلت في أخيك، فأنشده مرثيته التي يقول فيها:

وكنّا كندمانى جذيمة حقة  
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا  
فلما تفرقنا كآنى ومالكاً  
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فقال عمر: لو كنت أقول الشعر لرثيت أخي زيداً. فقال متمم: ولا سواء يا أمير المؤمنين لو كان أخي صرع مصرع أخيك لما بكيته. فقال عمر: ما عزاني أحد بأحسن مما عزيتني به<sup>(١)</sup>. فهذه الرواية تدل على أن متمماً شهد على أخيه أنه مات على غير الإسلام الذي مات عليه زيد بن الخطاب أخو عمر رضي الله عنهما، وليس بعد شهادة متمم بن نويرة على أخيه مالك شهادة يعتمد عليها في رد الطعن الموجه إلى خالد بن الوليد في هذه القضية، ولعل في هذا إلجاءاً لكل زنديق يتناول على أحد من أصحاب رسول الله أو جاهل يصدق كل ما يسمع.

وبهذا تتبين براءة صاحب رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه ويتأكد لكل عاقل أن أعداء الصحابة يفترون الكذب متعمدين للتشويش على الصحابة ولا سيما القادة الفاتحين أو الرواة المحدثين بقصد الإساءة إلى الإسلام وميراث المسلمين وحضارتهم، وهذا ما يجب التنبه إليه والجزم في كل مسألة يكون الرفض فيها طرفاً؛ أنهم هم أهل الكذب والإفك ولو كانوا صادقين لآمنوا بما في الكتاب والسنة اللذين رواهما أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم أصدق البشر بعد الأنبياء عليهم السلام، وعلى هذا فإن كل من يتشكك في أباطيل وروايات

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١/٢٤٣.

أعداء الصحابة فإنما هو جاهل بمكائدهم أو قاصر عن فهم بوائقهم فاقد للفقهِ والعلم، أو فيه لوثة من الشك في الكتاب والسنة المشرفة، وإلا فكيف يقبل أن يقارن بين من تشهد له حياته كلها بالصدق والإيمان وبين من تشهد عليهم أيامهم كلها بالعدو والحقد والبهتان على أمة الصحابة رضي الله عنهم وتابعيهم وكل من يسير على سنة رسول الله ﷺ.

### موقف بني عامر وهوازن وسليم أيام الردة:

عندما اشتبكت الخلافة النبوية الراشدة في قتال شامل مع الرافضة المرتدين، كانت بنو عامر ومن معها تقدم إلى الردة رجلاً وتؤخر أخرى وتربص وتنظر ما تصنع أسد وغطفان وزعيمهم طليحة بن خويلد. فلما أحيط بهم وهزمهم خالد وجنده رضي الله عنهم، كان بنو عامر على قادتهم وسادتهم، فكان قره بن هبيرة في كعب ومن لافها، وعلقمة بن علاثة في كلاب ومن لافها، وكان علقمة أسلم ثم ارتد في زمن النبي ﷺ ولحق بالشام بعد فتح الطائف، فلما توفي النبي ﷺ أقبل مسرعاً حتى عسكر في بني كعب مقدماً رجلاً ومؤخراً أخرى.

فبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه فبعث إليه سرية عليها القعقاع بن عمرو، وقيل: بل القعقاع ابن سور وقال له ليغير على علقمة بن علاثة لعله يقتله أو يأسره. فخرج حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة وكان لا يبرح إلا مستعداً، فسابقهم على فرسه فسبقهم، وأسلم أهله وولده، وأخذهم القعقاع وقدم بهم على أبي بكر رضي الله عنه فجحدهوا أن يكونوا على حال علقمة، ولم يبلغ أبا بكر رضي الله عنه عنهم أنهم فارقوا دارهم، وقالوا له: ما ذنبنا فيما صنع علقمة؟ فأرسلهم ثم أسلم علقمة فقبل ذلك منه خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه.

وأقبلت بنو عامر بعد هزيمة طليحة ومن معه من أهل بُزَاخة. يقولون: ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله، وأتوا خالدًا فبايعهم على ما بايع عليه أهل بُزَاخة وأعطوه بأيديهم على الإسلام وكانت بيعته على النحو الآتي: «عليكم عهد الله وميثاقه لتؤمنن بالله ورسوله، ولتقيمن الصلاة، ولتؤدن الزكاة، وتبايعون على ذلك أبناءكم ونساءكم؟ فيقولون: نعم. ولم

يقبل من أحد من أسد وغطفان وطبيع وسليم وعامر إلا أن يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على المسلمين في حال ردتهم، فأتوه بهم، فأوقع بهم وحرّقهم ورضخهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم في الآبار، قصاصًا لما اقترفت أيديهم الآثمة من غدر بالمؤمنين من أهل السنة رضي الله عنهم وأرسل إلى أبي بكر رضي الله عنه يعلمه ما فعل، وأرسل إليه قرّة بن هبيرة زعيم بني كعب ونفرًا معه موثقين»<sup>(١)</sup>.

فتبين في هذا النص أن القبائل لم تكن كلها تحمل الأحقاد على المسلمين أو أنها تتمنى زوال دولتهم، وذلك أن الشائعات التي انتشرت بعد وفاة النبي ﷺ استغلها أعداء الصحابة لنشر الردة وبث أفكارها، فوقع في ذلك كثير ممن غلب على أمره، كما أن بعض القبائل كانت مصالحتها عندها أقوى من دينها فهي تتربص لتعرف لمن الدائرة حتى تكون مع الغالب، فلما رأى بنو عامر ومن معهم غلبة المسلمين وقوتهم وشدتهم على الرافضة المرتدين سارعوا بإعلان توبتهم وعودتهم إلى الطاعة والالتزام بالشرع وضوابطه وشعائره دون أي تفريط.

فقبل منهم المسلمون ولكن بشرط القبض على القتلة الغادرين الذين قتلوا المسلمين الذين ثبتوا على دينهم وتمسكوا بسنة نبيهم ﷺ دون تحريف أو تفريط ولم يغادروا مواطنهم مما أغرى الرافضة على الغدر بهم دون ذنب سوى تمسكهم بسنة النبي ﷺ وأنهم لم يتعاونوا مع أعداء الصحابة ضد دينهم وعقيدتهم، وهذا ما يفسر كثيرًا من الأحداث التي تجري في هذا العصر من تحالفات أعداء الصحابة مع الغزاة والمحتلين الذين جاؤوا لنهب البلاد وإفساد الدين وحرب السنة، وهذا ما يؤكد أيضًا أن ما يقوم به أعداء الصحابة في أكثر من بلد الآن لم يكن من الأفعال العابرة أو النزوات الزائلة، وإنما هو دين وعقيدة وأحقاد على السنة النبوية توارثها أعداء الصحابة المعاصرين عن أجدادهم المرتدين.

فكان إسلام بني عامر ومن معهم إحدى ثمار نصر المسلمين على طليحة ومن تجمع معه في منطقة بؤراة وانضمام أعداد كبيرة من القبائل العربية إلى صفوف المجاهدين، ولعل

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٣٦.

الأثر المباشر في سرعة إسلام هؤلاء هو تلك الشدة التي تعامل بها جند الخلافة الراشدة مع العابثين بالعقيدة المتمردين على النبوة الراضين للسنة، بما يؤكد أن هذا الصنف من الناس لا يفهم ويفقه إلا لغة الحزم والشدة، لأنهم مجردون من مشاعر الإنسانية والرحمة فاقدون للعدالة مشبعون بثقافة الحقد والظلم والبهتان، وهل هناك أسوأ من أمة تدين بيبغض الصحابة رضي الله عنهم وتمجد قتلة الخلفاء الراشدين؟ وهل هناك أسفه وأضل ممن يزعم أن هؤلاء القتل الظلمة الفجرة إخوانه في العقيدة والإسلام؟!

### أم زمل:

لما هزمت جموع الراضة بعد هروب مرجعهم المتنبئ طليحة بن خويلد أمام صبر الصحابة رضي الله عنهم وصدق جهادهم، اجتمعت فلول غطفان وطبيع وسليم وهوازن وغيرها إلى أم زمل سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر في منطقة ظَفَر وكانت أمها أم قرفة بنت ربيعة بن بدر وهي زوجة مالك بن حذيفة، وكانت أم زمل قد سببت أيام أمها أم قرفة على أيدي المسلمين، فوَقعت لأَم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكثيرًا ما كانت تكون عندها. وكان النبي ﷺ قد دخل يومًا إلى أم المؤمنين فقال: «إن إحدانك تستنبح كلاب الحوَّاب» والحوَّاب اسم مكان فيه ماء قرب ظَفَر على طريق المدينة - البصرة الذي وقعت فيه المعركة مع جموع أم زمل حيث قتلت هناك، وهذا ما يفتره الراضة في إفكهم على أم المؤمنين الطاهرة رضي الله عنها حين سارت مع ابن أختها الذي عاش في حجرها وكان رسول الله ﷺ يكنيها به عبد الله بن الزبير والصحابيين الكبارين طلحة والزبير رضي الله عنهما ومن معهما من الأخيار للإصلاح بين المسلمين في البصرة وتتبع قتلة الشهيد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه حيث دبر لها الراضة بمكرهم وحقدهم معركة الجمل وحاولوا اغتيالها هناك رضي الله عنها<sup>(١)</sup> والحاصل أن أم المؤمنين رضي الله عنها أعتقت أم زمل فرجعت إلى قومها وارتدت واجتمع إليها فلول بُزَاخة ممن أصروا على الرفض

(١) ينظر: الخليفة: الإنصاف، ٣٦٧.

والردة، فأمرتهم أم زمل بالقتال، فكثف جمعها وعظمت شوكتها. فلما بلغ خالدًا رضي الله عنه أمرها سار إليها، فاقتتلوا قتالًا شديدًا أول يوم وهي واقفة على جمل كان لأمها وهي في مثل عزها، فاجتمع على الجمل فوارس فعقروه وقتلوهما وقتل حول جملها مائة رجل، وبعث بالفتح إلى خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

وكان هذا النصر أيضًا ثمرة من ثمار سياسة خليفة رسول الله تجاه المرتدين حيث استخدم معهم الحزم والسرعة ومنتهى الشدة ليؤدب بهم غيرهم، وهذا الذي حصل حيث إن هيبة المسلمين كانت تسبقهم فتقذف الرعب والخوف في قلوب أعداء الصحابة فيفرون من أرض المعركة فإما أن يعودوا طامعين في عفو الخلافة وتسامحها مع التائبين وإما أن يلتحقوا برافضة حاقدين آخرين، فاتضح من ذلك أن خليفة رسول الله كان يزن الأمور بموازينها ويسوس العرب آنذاك بما يتفق مع فهمهم وثقافتهم التي عبر عنها شاعر العرب بقوله:

ووضع الندى في موضع السيف للعلا      مضر كوضع السيف في موضع الندى

فكان خليفة رسول الله يضع السيف والشدة والقوة في مواضعها، والرحمة والعفو والتسامح في موضعها فأنتجت تلك السياسة الراشدة هيبة ونصرًا دائمًا على الصعيد العسكري، وقبولًا للإسلام ودخولًا فيه على مستوى الفكر والدعوة بين القبائل آنذاك.

### الفجاءة السلمي:

واسمه إياس بن عبد الله بن عبد ياليل من بني سليم فإنه جاء إلى أبي بكر فقال له: أعني بالسلاح أقاتل به أهل الردة. فأعطاه رضي الله عنه سلاحًا وأمره بأمره، فخالف إلى المسلمين وخرج حتى نزل بالجواء، وبعث نجبة بن أبي الميثاء من بني الشريد وأمره بالمسلمين، فشن الغارة على كل مسلم في سليم وعامر وهوازن، فبلغ ذلك أبا بكر فأرسل إلى طريف بن حاجر فأمره أن يجمع له فيسير إليه، وبعث إليه عبد الله بن قيس الجاسي عونًا، فنهضوا إليه وطلباه،

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٣٧. الطبري: تاريخ، ٢/٢٦٥.

فلاذ منهما، ثم لقيه على الجِواء فاقتتلوا وقتل نُجبة بسهم وهرب الفجاءة، فلحقه طُريفة فأسره ثم بعث به إلى أبي بكر، وقيل غير هذا في أسره، فلما قدموا به إلى المدينة أمر أبو بكر رضي الله عنه أن توكله نار في مصلى المدينة ثم رمي به فيها مقموطاً. فقال خفاف بن ندبة - واسم ندبة عمير - يذكر ما صنع الفجاءة:

لَمْ يَأْخُذُونَ سِلَاحَهُ لِقِتَالِهِ      وَلِذَا كُمْ عِنْدَ الْإِلَهِ أَثَامُ  
لَا دِينَهُمْ دِينِي وَلَا أَنَا مِنْهُمْ      حَتَّى يَسِيرَ إِلَى الصَّرَاةِ شِمَامُ<sup>(١)</sup>

فحكّم عليه خليفة رسول الله بما يوافق جرائمه التي ارتكبتها وهي قتل المسلمين ونهب أموالهم وقد يكون ممن كان يتفنن في تعذيبهم لا لسبب سوى أنهم متمسكون بدينهم وستة نبيهم كما يفعل أعداء الصحابة بأهل السنة في هذا العصر، فحاسبه خليفة رسول الله حساب المفسدين في الأرض الذين يخربون ولا يصلحون لينال جزاءه العادل ويكون عبرة لمن خلفه ممن يعتدي على المسلمين، فلم يسمع أحد من الناس أن أحداً اجتراً أن يفعل ما كان يفعله الفجاءة السلمي الذي أصبح نكالا لأعداء السنة الذين لا يحفظون حرمة ولا عهداً، وهذا المنهج الراشدي مع أعداء السنة هو الذي دفع الأذى عن المسلمين، وهو وحده الذي يحمي أهل السنة من أحقاد أعدائهم في هذا العصر، وهو الذي ما زال يجهله الكثير ممن يزعم أنه من أهل السنة فيضع العوائق أمام رد الظلم والأذى عن السنة حتى سقطت بلاد كثيرة في أيدي أعداء الصحابة فساموا فيها أهل السنة سوء العذاب وما زال المغفلون من المتصدرين في أهل السنة يخذعون قومهم وبشطونهم ويغشونهم بدلاً من أن يرشدوهم إلى منهج خليفة رسول الله وسيرته التي أعزت الإسلام وحمّت السنة وأهلها.

### أبو شجرة السلمي:

وأما أبو شجرة بن عبد العزى السلمي، وهو ابن الخنساء الشاعرة المعروفة، فإنه كان قد ارتد فيمن ارتد من سليم، وثبت بعضهم على الإسلام مع معن بن حاجر، وكان أميراً

(١) الطبري: تاريخ، ٢/٢٦٦.

لأبي بكر رضي الله عنه، فلما سار خالد رضي الله عنه إلى طليحة كتب إلى معن أن يلحقه فيمن معه على الإسلام من بني سليم، فسار واستخلف على عمله أخاه طُريفة بن حاجز. فقال أبو شجرة حين ارتد:

صحبا القلب عن مي هواه وأقصرا      وطاوع فيها العاذلين فأبصرا  
ألا أيها المدلي بكثرة قومه      وحظك منهم أن تضام وتقهرها  
سل الناس عنا كل يوم كريهة      إذا ما التقينا دارعين وحسرا  
فرويت رمحي من كتيبة خالد      وإني لأرجو بعدها أن أعمرا<sup>(١)</sup>

ثم إن أبا شجرة تاب وأسلم، فلما كان زمن عمر رضي الله عنه قدم المدينة فرأى عمر وهو يقسم في المساكين فقال: أعطني فإنني ذو حاجة. فقال: ومن أنت؟ فقال: أنا أبو شجرة بن عبد العزى السلمي. قال: أي عدو الله لا والله! أأنت الذي تقول:

فرويت رمحي من كتيبة خالد      وإني لأرجو بعدها أن أعمرا  
وجعل يعلوه بالدرة في رأسه حتى سبقه عدوًا إلى ناقته فركبها وولى هاربًا ولحق بقومه  
وقال:

ضنّ علينا أبو حفص بنائلة      وكلّ مختبظ يومًا له ورق<sup>(٢)</sup>  
لقد كان الراشدون يحامون عن الدين وأهله بكل ما أوتوا من قوة وبديهة وذكاء، ولكنهم مع ذلك كانوا حريصين على دخول الناس في الإسلام، فلو تاب أحدهم ودخل في الإسلام فإن الإسلام يجب ما قبله ويمحوه، وإن كان عمر الفاروق رضي الله عنه قد كثر في وجه الفجاءة المذكرا له بما كان يقوله أيام رده، فإن ذلك من باب التربية واستطلاع موقف أبي شجرة وهل بقي من آثار الرفض شيء في عقيدته، فلم يعتذر أبو شجرة عمّا جنت يداه

(١) الطبري: تاريخ، ٢/٢٦٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٣٧.

ضد المسلمين، أو عمّا قاله من شعر في التشفي بهم، وأخذ خوفه من فتح صفحات ماضيه من جديد مأخذًا لم يعد يرى من خلاله سوى ظهر ناقته، التي كلما أسرعت به طلب منها المزيد، وقد يكون علم عمر رضي الله عنه بأنه لا يستحق الصدقة التي تجري على الفقراء لأنه ليس منهم، وإلا فإن الراشدين هم منبع العدل والحزم والإخلاص والسماحة، والبراءة من حظوظ النفس أو الانتقام عند المقدرة، فكم كان بينهم ممن قتل إخوانهم المؤمنين فعندما أسلموا إسلامًا صحيحًا لم يجدوا من الراشدين سوى العفو والمساندة والدعوة إلى التنافس في أبواب الخير وأعمال الآخرة، وهذه هي أخلاق المؤمنين التي ورثها أهل السنة والجماعة عن سلفهم الصالح، بعكس ما يقوم به الرافضة من المسكنة والنفاق في أوقات ضعفهم، ومن الغدر وانعدام الرحمة والوفاء في أوقات تمكنهم الذي لم يكن في يوم من الأيام إلا مؤقتًا ومقرونًا بالخيانة وبيع الضمائر وإسقاط القيم.

\*\*\*

THE HISTORY OF THE UNITED STATES

The history of the United States is a story of growth and change. It begins with the first settlers who came to the continent in search of a better life. They found a land of opportunity, but also a land of challenges. The early years were marked by conflict and struggle, as the colonies fought for their rights and independence. The American Revolution was a turning point in the nation's history, leading to the birth of a new country. The years following the Revolution were a time of rapid growth and expansion. The United States became a world power, and its influence spread across the globe. The Civil War was a defining moment in the nation's history, as it fought to preserve the Union and abolish slavery. The Reconstruction era followed, a time of rebuilding and reform. The United States continued to grow and change, becoming a global superpower. The 20th century was a time of great achievement and challenge, as the United States led the world in the fight against communism and fought two world wars. The 21st century has brought new challenges and opportunities, as the United States continues to shape the future of the world.

## المبحث الرابع

### موقف خليفة رسول الله

### من مسيلمة الكذاب والمرتدين في البحرين واليمن

### وعمان وحضرموت

#### مسير خالد رضي الله عنه إلى مسيلمة الكذاب في اليمامة:

اليمامة معدودة من بلاد نجد وتسمى «جوى والعروض» وكان رسول الله ﷺ قد كتب إلى أهلها كتاباً يدعوهم فيه إلى الإسلام وأنفذ كتابه ﷺ مع سليط بن قيس الأنصاري<sup>(١)</sup> فبعثوا إلى رسول الله ﷺ وفدهم وكان فيه مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب وهو مسيلمة الكذاب، فلما دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام قال له مسيلمة: إن شئت خيلنا لك الأمر وبايعناك على أنه لنا بعدك! فقال له رسول الله ﷺ: «لا ونعمة عين ولكن الله قاتلك»<sup>(٢)</sup>. وعاد وفد حنيفة وهم يضمرون شراً للإسلام وأهله، فكان المسلمون يعلمون ما يمكنه لهم رافضة بني حنيفة المرتدون من الحقد والعداء.

وكان خليفة رسول الله بعث بالسرايا إلى المرتدين في اليمامة، فأرسل عكرمة بن أبي جهل في عسكر إلى مسيلمة وأتبعه شريحيل ابن حسنة، فعجل عكرمة فواقعهم قبل وصول شريحيل

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ٦٤٦/٢.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ١١٩.

وجنده فنكبوه فتأخر عنهم، وأقام شرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر، وكتب عكرمة إلى أبي بكر بالخبر. فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه: لا أرينك ولا تراني، لا ترجعن فتوهن الناس، امض إلى حذيفة وعرفجة فقاتل أهل عمان ومهرة، ثم تسير أنت وجندك حتى تلقى المهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت. وكتب إلى شرحبيل بالمقام إلى أن يأتي خالد، فإذا فرغوا من مسيلمة يلحق بعمر بن العاص رضي الله عنه يعينه على قضاة.

فما إن فرغ خالد رضي الله عنه من رافضة بزاخته والبطاح ومن حولهما من المرتدين، حتى وجهه خليفة رسول الله إلى هذا الخطر المتربص بالمسلمين شرًا في منطقة اليمامة، فلما أتم خالد وجنده استعداداتهم ولحقت به الإمدادات «نهض حتى أتى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثير، كانوا يومئذ أربعين ألف مقاتل في قراها وحجرها»<sup>(١)</sup>.

قال رافع بن خديج الأنصاري: خرجنا من المدينة أربعة آلاف، وكان الأنصار ما بين أربعمائة وخمسمائة عليهم ثابت بن قيس بن الشماس الأنصاري رضي الله عنه ويحمل رايتهم أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري رضي الله عنه وعلى المهاجرين أبو حذيفة بن عتبة وزيد بن الخطاب، وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم قال: فانتهينا إلى اليمامة إلى قوم هم الذين قال الله فيهم: ﴿سَدُّعَوْنَ إِيَّاهُ قَوْمٌ أُولَىٰ بِأَسِ سَدِيدٍ يُقْتَلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأمد أبو بكر خالدًا بسليط بن قيس ليكون رداءً للثلاثي من خلفه، وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول: لا أستعمل أهل بدر، أدعهم حتى يلقوا الله بصالح أعمالهم، فإن الله يدفع بهم وبالصالحين أكثر مما يتصر بهم. وكان عمر يرى استعمالهم على الجند وغيره<sup>(٣)</sup>.

وكان مع مسيلمة نهارًا رجال بن عنفوة، وكان قد هاجر إلى النبي ﷺ وقرأ القرآن، وفقه في الدين، فبعثه النبي ﷺ معلمًا لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة، فكان أعظم

(١) ينظر: الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٨١. الخليفة، الأنصار في العصر الراشدي، ٢١٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٦. (٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٤٣.

فتنة على بني حنيفة من مسيلمة الكذاب، حين شهد كاذباً أن محمداً ﷺ يقول: إن مسيلمة قد أشرك معه، فصدقوه واستجابوا له، وكان مسيلمة ينتهي إلى أمره، وكان يقيم له الصلاة حجير بن عمير، فكان حجير يقول: أشهد أن مسيلمة يزعم أنه رسول الله. فقال له مسيلمة: أفصح حجير، فليس في المجمع خير. وهو أول من قالها. وكان مما جاء به وذكر أنه وحي: (يا ضفدع بنت ضفدع، نقي كما تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين). وقال أيضاً: (والمبديات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقمًا، إهالة وسمناً، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه، والمعتر فأووه، والباغي فناوئوه)<sup>(١)</sup>.

وخرج خالد بن الوليد بالمهاجرين والأنصار حتى إذا دنا من اليمامة نزل وادياً من أوديتهم فأصاب في ذلك الوادي مجاعة بن مرارة في عشرين رجلاً من بني حنيفة، كانوا خرجوا يطلبون رجلاً من بني تميم وكان أصاب لهم دماً في الجاهلية فلم يقدروا بذلك الوادي، فلم ينهبهم إلا خيل المسلمين قد وقفت عليهم فقالوا: من القوم؟ فقالوا: بنو حنيفة. قال: فلا أنعم لكم عيناً. ثم نزلوا فاستوثقوا منهم فلما أصبح دعاهم خالد بن الوليد فقال: يا بني حنيفة! ما تقولون؟ فقالوا: منا نبيء ومنكم نبيء. فعرضهم خالد على السيف حتى بقي سارية بن عامر ومجاعة بن مرارة. فقال له سارية: يا أيها الرجل! إن كنت تريد هذه القرية فاستبق هذا الرجل، فأوثق مجاعة في الحديد ودفعه إلى أم تميم امرأته وقال: استوصي به خيراً، وضرب عنق سارية بن عامر<sup>(٢)</sup>.

ثم سار خالد رضي الله عنه بالمسلمين حتى نزل على كثيب مشرف على اليمامة وضرب معسكره هناك، وخرج أهل اليمامة بقيادة مسيلمة الكذاب وتصاف الناس، وكان خالد جالساً على سريره ومجاعة مكبل عنده والناس على مصافهم إذ رأى بارقة في بني حنيفة فقال خالد:

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٤٤. الطبري: تاريخ، ٢/٢٧٥.

(٢) ابن حبان: سيرة ابن حبان، ١/٤٣٣. الطبري: تاريخ، ٢/٢٧٥.

أبشروا يا معشر المسلمين! قد كفاكم الله عدوكم واختلف القوم، فكر مجاعة إليه وهو مكبل فقال: كلا والله إنها الهندوانية خشوا من تحطمها فأبرزوها للشمس لتلين لهم فكان كما قال مجاعة. فلما التقى الناس كان أول من خرج رجال بن عنفوة فقتل، واقتل المسلمون قتالاً شديداً حتى تراجع المسلمون وخلص أصحاب مسيلمة إلى الرّحال ودخلوا فسطاط خالد بن الوليد وفيه مجاعة مكبلاً عند أم تميم امرأة خالد، فحمل عليها رجل بالسيف فقال مجاعة: أنا لها جار فعمت الحرة، عليكم بالرجال. فرجلوا الفسطاط بالسيف<sup>(١)</sup>.

واللافت هنا أن الرواية تذكر أن المرتدين وصلوا في بعض هجماتهم إلى فسطاط خالد رضي الله عنه الذي كان فيه مجاعة أسيراً وأن مجاعة خاطبهم ونصحهم وأثنى على أم تميم، إلا أنه مما يبعث على الشك في هذه الرواية هو كيف يصل المرتدون إلى فسطاط خالد وفيه أحد سادتهم أسيراً ولا ينقذونه من الأسر؟! وقد خاطبهم ونصحهم وشفع عندهم! فكيف لم يحملوه معهم وهو من كبارهم؟ وهم بأمس الحاجة إليه، لهذا فإن الوصول إلى فسطاط خالد لو كان صحيحاً لأنقذوا قائدهم الأسير مجاعة، ولما لم يفعلوا فإن هذه الرواية لا تبعث على الثقة وإن كانت تصور شدة الحرب التي خاضها المسلمون مع المرتدين في اليمامة، وأنه تخللها كفر بين الطرفين.

ولما حمى الوطيس واشتد القتال برز خالد بن الوليد رضي الله عنه حتى إذا كان أمام الصف دعا إلى البراز وانتفى وقال: أنا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد. ونادى بشعارهم يومئذ، وكان شعارهم يومئذ «يا محمداه» فجعل لا يبرز له أحد إلا قتله وهو يرتجز.

أنا ابن أشياخ وسيفي السّخثُ  
أعظم شيء حين يأتيك التّفثُ

ولا يبرز له شيء إلا أكله ودارت رحى المسلمين وطحنت، ثم نادى خالد حين دنا من مسيلمة وكان رسول الله ﷺ قال: «إن مع مسيلمة شيطاناً لا يعصيه فإذا اعتراه أزيد، كأن شذقيه زيبتان، لا يهم بخير أبداً إلا حرفه عنه، فإذا رأيت منه عورة فلا تقيلوه العثرة». فلما

(١) ابن حبان: سيرة ابن حبان، ١/٤٣٣.

دنا خالد رضي الله عنه منه طلب تلك ورآه ثابتًا، ورحاهم تدور عليه، وعرف أنها لا تزول إلا بزواله، فدعا مسيلمة طالبًا لعورته فأجابه فعرض عليه أشياء مما يشتهي مسيلمة، فقال له خالد: إن قبلنا النصف تعطينا؟ فكان إذا هم بجوابه أعرض بوجهه مستشيرًا فينهاه شيطانه أن يقبل، فأعرض بوجهه مرة من ذلك، وركبه خالد فأرهبه فأدبر وزالوا، فذمر خالد الناس وقال: دونكم لا تقيلوهم واركبوهم. فكانت الهزيمة، فقال مسيلمة حين قام وقد تطاير الناس عنه، وقال قائلون: فأين ما كنت تعدنا؟ فقال: قاتلوا عن أحسابكم. ونادى المحكم: يا بني حنيفة الحديقة الحديقة! حديقة الموت، فولجوها وأغلقوا عليهم وأحاط المسلمون بهم، وصرخ البراء بن مالك فقال: يا معشر المسلمين احملوني على الجدار حتى تطرحوني عليه ففعلوا فلما وضعوه على الحائط اقتحم عليهم فقاتلهم على الباب حتى فتحه للمسلمين وهم على الباب من خارج، فدخلوا فأغلق عليهم الباب، ثم رمى بالمفتاح من وراء الجدار، وذلك لأجل ألا يفر من المسلمين أحد فإما النصر وإما الموت وهذه الجرأة من نوادر ما يحدث في التاريخ لشدة الأهوال فاقتتلوا قتالًا شديدًا لم يروا مثله حتى أهلكوا من في الحديقة وقتل مسيلمة فيها، واشترك في قتله وحشي مولى جبير بن مطعم قذفه بحرته فطعنه بها، وأدركه رجل من الأنصار فضربه بسيفه، وقيل غير هذا، وصرخ صارخًا: الأسودُ قَتَلَ مسيلمة. وقتل في المعركة الأخيرة والحديقة عشرة آلاف مقاتل<sup>(١)</sup>.

وكان المسلمون قد أعادوا تنظيم صفوفهم وقادتهم يحفزونهم على القتال ويحرضونهم على الثبات، ويذكرونهم بما ينتظرهم عند الله تعالى من نصر مبين، أو شهادة كريمة وما في أعناقهم من أمانة سلامة الدين وعافية الأمة فثبت المسلمون مع سيف الله ثباتًا عظيمًا، وكان من صور قتالهم<sup>(٢)</sup>: موقف عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة أبو عقيل: شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ فإنه حينما اصطف الناس للقتال يوم اليمامة كان أول من خرج أبو عقيل رُمي بسهم فوق بين منكبیه وفؤاده في غير مقتل فأخرج السهم ووهن

(١) الطبري: تاريخ، ٢٨٠. باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ١١٩.

(٢) ينظر: الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٢٢٤.

له شقه الأيسر في أول النهار وجر إلى الرحل فلما حمي القتال وانكفأ المسلمون وجاوزوا رحالهم وأبو عقيل واهن من جرحه سمع معن بن عدي الأنصاري رضي الله عنه يصيح: يا للأنصار، الله الله والكرة على عدوكم.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: فنهض أبو عقيل يريد قومه فقلت: ما فيك قتال. قال: قد نوه المنادي باسمي. قال ابن عمر فقلت: إنما يقول يا للأنصار ولا يعني الجرحى. قال أبو عقيل: أنا رجل من الأنصار وأنا أجيبه ولو حبواً. قال ابن عمر: فتحزم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى مجرداً ثم جعل ينادي: يا للأنصار، كرة كيوم حنين. فاجتمعوا رحمهم الله جميعاً يقدمون المسلمين دُزْبَةً دون عدوهم حتى أقحموا عدوهم الحديقة فاختلطوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم.

قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت بالأرض وقتل عدو الله مسيلمة. قال ابن عمر: فوقعت على أبي عقيل وهو صريع بأخر رمق، فقلت: أبا عقيل. فقال: لبيك - بلسان مُلْتَأَث - لمن الدبرة؟ قال: قلت: أبشر، قد قُتِلَ عدو الله فرجع إصبغه إلى السماء فحمد الله ومات رضي الله عنه. قال ابن عمر: فأخبرت عمر رضي الله عنه بعد أن قدمت خبره كله فقال: رحمه الله ما زال يطلب الشهادة ويطلبها وإن كان - ما علمت - من خيار أصحاب نبينا ﷺ وقديم إسلامهم.

وقام ثابت بن قيس بن الشماس رضي الله عنه يذكر المسلمين بأن هذا ليس قتالهم الذي كانوا يقاتلون مع رسول الله ﷺ ومتى كانوا يتراجعون أمام عدوهم؟ فقال: بثما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين أي بالتراجع أمام العدو، اللهم إني أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء - أي المشركون - واعتذر إليك مما يصنع هؤلاء - أي المسلمون. فقاتل حتى قتل رضي الله عنه.

ورأى زيد بن الخطاب انكشاف المسلمين عن رحالهم فقال: أيها الناس، عضوا على أضراسكم، واضربوا عدوكم، وامضوا قدماً، ووالله لن أتكلم بعد الساعة حتى

يهزمهم الله أو ألقى وجهه الكريم، فتقدم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه، وقام أبو حذيفة يهيب بالمسلمين قائلاً: يا أهل القرآن، زينوا القرآن بالفعال. ونادت الأنصار: يا أصحاب سورة البقرة....

وقام البراء بن مالك أخو أنس بن مالك رضي الله عنهما وكان البراء فيما يقال إذا حضر البأس أخذَه انتفاض حتى يمسك به الرجال ثم يتنفض مثل السبع، فلما رأى ما صنع المسلمون من الانكشاف وما رأى من أهل اليمامة أخذه الذي كان يأخذه، فلما وثب قال: أين يا معشر المسلمين؟ أنا البراء بن مالك، هلموا إلي. فاجتمع عنده جماعة من المسلمين فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى خلصوا إلى محكم اليمامة، وهو محكم بن الطفيل كان يوازي مسيلمة عند بني حنيفة، فلما بلغه القتال قال: يا معشر حنيفة! الآن والله تستحقب الكرائم غير رضيات وينكحن غير حظيات، فما كان عندكم من حسب فأخرجوه. ثم تقدم فقاتل قتالاً شديداً فرماه عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما بسهم فوضعه في نحره فقتله، وزحف المسلمون حتى أتوا الفتح، وقتل مسيلمة، اشترك وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم ورجل من الأنصار في قتله، فرماه وحشي بحرته وضربه الأنصاري بسيفه، فكان وحشي يقول: ربك أعلم أينما قتله! قتلت خير الناس يعني حمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وشر الناس يعني مسيلمة<sup>(١)</sup>.

وقيل غير هذا في قتله فبعض الأنصار يقولون: قتله عبد الله بن زيد بن ثعلبة الحارثي، وبعضهم يقول: قتله أبو دجانة سماك بن خرشة، وقيل: قتله زيد بن عاصم بن مبدول وهو ابن أم عمارة نسيبة المازنية رضي الله عنها، وادعى قتله قوم من قريش؛ منهم خداش بن بشير بن الأصم أحد بني عامر بن لؤي، وكان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما يذكر أنه قتله، وقال قوم: إن هؤلاء جميعاً شاركوا في قتله<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن حبان: سيرة ابن حبان، ٤٣٤/١.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ٢٧/٣. ابن حبيش: غزوات ابن حبيش، ١٣٩/١. الطبري: تاريخ، ٢٨٠. الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٢٢٣.

لقد كان مسيلمة يمثل رمز الرافضة المرتدين ومرجعهم الأكبر لما لفق لهم من أقوال وحيل زادت بني حنيفة بعدًا عن الإسلام وولدت عندهم بغض السنة النبوية وأهلها فكان مقتله يمثل فتحًا للمجاهدين لزوال مرجع الرافض والردة الذي كان يغذي الحقد والكراهية في نفوس أتباعه ضد المسلمين، ونظرًا لذلك النصر الذي يمثله قتل ذلك المرجع المخرب لوحدة الأمة وعقيدتها تعددت الأقوال حول مقتله لأنه قائد القوم ومرجعهم المحاط بالحراسات التي ربما كانت سببًا في تجمع كل من روي عنه أنه شارك في قتله؛ إذ إن مجموعة صغيرة من المجاهدين من الصعوبة أن تصل إليه وتخترق كل حراساته، ولا شك أن كل من صبر واكتسب يوم اليمامة يعد ممن شارك في قتل مرجع الفتن والردة والحرب على السنة النبوية وحملتها الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

### مصاحبة خالد لمجاعة عمن بقي من بني حنيفة:

فلما فرغ المسلمون من مسيلمة الكذاب وقتلوه، خرج سيف الله رضي الله عنه بمجاعة في الحديد يرسف معه ليدله على مسيلمة، وكان يكشف القتلى حتى مر بمحكم بن الطفيل، وكان رجلًا وسيما فقال خالد: هذا صاحبكم؟ فقال مجاعة: لا! هذا والله خير منه وأكرم، هذا محكم اليمامة. ثم دخلوا الحديدية وقلبا القتلى فإذا رويجل أصيفر أخينس فقال مجاعة: هذا صاحبكم قد فرغتم منه. وقال خالد: هذا صاحبكم الذي فعل بكم ما فعل. وقال مجاعة لخالد: إنه والله ما جاءك إلا سرعان الناس وإن جماهير الناس في الحصون. فقال: ويملك ما تقول؟ قال: والله إن ذلك لحق، فهلم أصالحك على قومي. فصالحه خالد بن الوليد على الصفراء والبيضاء والحلقة ونصف السبي، ثم قال لمجاعة: امض إلى القوم فاعرض ما صنعت. فانطلق إليهم ثم قال للنساء: البسن الحديد ثم أشرفن على الحصون. ثم انتهى إلى خالد قال: إنهم لم يرضوا على مصالحتك عليه، ولكن إن شئت شيئًا صنعت وعرضت على القوم! قال: ما هو؟ قال: تأخذ ربع السبي. قال خالد: قد فعلت! قال: قد صالحتك. وصالحه خالد على الذهب والفضة والسلاح ونصف السبي، وقيل: ربه، فلما فتحت الحصون لم يكن فيها إلا النساء والصبيان والضعفاء، فقال خالد لمجاعة: ويحك خدعتني! فقال: هم

قومي ولم أستطع إلا ما صنعت<sup>(١)</sup>.

وهذه الرواية إن دلت على شيء فإنما تدل على تسامح المسلمين وكرمهم وحبهم للسلم وإلا فإن الخداع والغدر لا يُمضي الصلح ولو شاء خالد رضي الله عنه لما قبل إلا بالصلح الأول الذي بني على الحقيقة، ومن يمنعه من تنفيذه؟ ولكنها سماحة المسلمين وسمو أخلاقهم وحبهم للخير ونفع الناس، وأخلاق الشجاعة والفروسية والتجاوز عن الضعيف إلى غير ذلك من الأخلاق الكريمة التي هي جزء من عقيدتهم وقيمهم المتأصلة فيهم، بعكس أخلاقيات أعداء الصحابة القائمة على الغدر والحقد والتشفي بالضعيف وضياع الأمانة واحتراف اللصوصية والتزوير وقلب الحقائق وادعاء ما لم يكن وما لا يحق كما كان يفعل مسيلمة الكذاب وكما يشاهد عقلاء المسلمين ما يجري على أيدي أعداء الصحابة ومبغضي السنة النبوية في هذه الأيام.

وهناك أمر لا بد من إثارته وهو أن بعض بني حنيفة ثبتوا على السنة وقاتلوا مع المسلمين في بعض المواقع، وكان قائدهم ثمامة بن أثال الحنفي رضي الله عنه، وأن الكثير من بني حنيفة كانوا مؤمنين بمرجعية مسيلمة الكذاب ويعتقدون نصرته إما حمية جاهلية؛ لأنه من قومهم وإما لجهل وبلادة حملتهم على اعتقاد صدقه كما هو الحال فيمن يعتقد أن أعداء الصحابة ومن يدينون ببغض السنة النبوية وأهلها أنهم سيقفون في يوم من الأيام مع الإسلام وقضايا المسلمين، وهم ما زالوا يعتقدون أن الإسلام الذي وصل عن طريقهم ما هو إلا دين محرف قام بوضعه الصحابة رضي الله عنهم وربما تعاون معهم النبي ﷺ وجبريل عليه السلام لحرف الرسالة عن مسارها، وهذا ما يتلقاه الغوغاء إلى هذا العصر فيورثهم الحقد على السنة وأهلها حتى أصبح هذا الأمر من الحقائق التي لم يعد يجهلها إلا المغفلون وفاقدو الغيرة على السنة النبوية.

ومصداق هذا القول ما قاله بنو حنيفة حين أسرهم سيف الله وجنده رضي الله عنهم،

(١) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٤٧.

وقال لهم: ما تقولون؟ فقالوا: منا نبي ومنكم نبي!! ولما أصرروا على ذلك هددهم فلم ينفذ معهم فأمر بقتلهم لردتهم ولبهتانهم على الله ورسوله ﷺ بأن مسيلمة الكذاب نبي، فلم يتمكنوا من النجاة لتمكن عقائد الحقد على الصحابة في قلوبهم، وكل هذا يؤكد أن الكثير من الفرق التي تحارب سنة النبي ﷺ لا يحتكم أهلها إلى العقل والمنطق ولا إلى الدين والشرع، وهذا ما نشهده في هذا العصر ممن يقتل أهل السنة مستبيحًا لدمائهم اتباعًا لما يلعبه من صديد عقائد الرفض والردة التي تغذي الكراهية وتعزز ثقافة الطائفية ونبذ السنة وأهلها على كل حال؛ إلا إذا كان أصحاب تلك العقائد في حالة ضعف فهم حينها سيدينون بالنفاق الذي يجمّلونه باسم التقية، وكل أحداث الردة السابقة والردة المعاصرة تؤكد تأثير عقيدة الرفض والتدين بكراهية السنة النبوية التي تُضخ في عقولهم ببرامج مكثفة تقوم مقام العبادة التي يعبد بها أهل السنة ربهم سبحانه وتعالى أو تزيد على ذلك في مفاصل كثيرة.

وهناك موقف آخر مرّ في هذه النصوص وهو خطاب خليفة رسول الله لبعض قاداته ولا سيما لعكرمة بن أبي جهل الذي لم يتمكن من مواجهة جيوش المرتدين مع مسيلمة الكذاب، وخطابه رضي الله عنه لمن أرسلهم لمساندة خالد رضي الله عنه. فإن خليفة رسول الله كان يوصيهم ويوجههم لاتباع ما يخططه لهم فيما بعد مواجهات الإمامة، وكان الأمور كلها مرسومة عند خليفة رسول الله، وهذا ما حصل حيث نفذ قاداته تعليماته كاملة وخطوة خطوة مما يؤكد قوة يقين الصديق رضي الله عنه وأنه لم يكن يشك في انتصار الإسلام على جميع أعدائه والماكرين به، وكذلك قدرات الصديق رضي الله عنه وسعة العلوم العسكرية التي يتمتع بها سجية دون أي تكلف أو تردد حيث كان يخطط المسارات ويرسم التوجهات قبل سير الجيوش فيحسم الأمور قبل حصولها وينضج الثمار في أوانها فيقطع جنده وقادتهم رضي الله عنهم الانتصارات والثقة المطلقة وتجري الأحداث كما خطط وكتب وأراد رضي الله عنه وهذا منتهى العلم في قيادة الجيوش وإثبات العقيدة، ولا أدل على ذلك من أن خالدًا رضي الله عنه القائد الميداني الفريد لم يعترض أو يعدل فيما كان يتلقاه من خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه، بل كان حريصًا كل الحرص

على أن يقوم بكل ما يأتيه من تكاليف عسكرية أو غيرها من خليفة رسول الله، كل ذلك ثقة بقيادته وحباً لطاعته.

وقد حاول بعض الرافضة المرتدين الغدر بخالد رضي الله عنه لكنه فشل في ذلك وقتل، ومعلوم أن عدااء الرافضة لأصحاب رسول الله ﷺ لا يوازيه عدااء آخر، فهم كلهم حقد على الصحابة، وما تَعَبُّهُمْ بتقديس بابا شجاع الدين أبي لؤلؤة المجوسي الغادر وزيارة قبره المزعوم في كاشان والتبرك به والدعاء عنده وإنفاق الأموال إلا دليل دامغ يسفه كل من يزعم أنه يمكن أن يقترب الرافضة يوماً ما من الكتاب والسنة وأهلها<sup>(١)</sup>. فلما فرغ خالد من الصلح نزل وادياً من أودية اليمامة، فبينما هو قاعد إذ دخل عليه رجل من بني حنيفة يقال له سلمة بن عمير فقال لمجاعة: استأذن لي على الأمير، فإن لي إليه حاجة. فأتى عليه مجاعة، ثم قال لمجاعة: إني والله لأعرف الشر في وجهه. ثم نظر فإذا هو مشتمل على السيف فقال: ما لك لعنك الله! أردت أن تستأصل بني حنيفة، والله لئن قتلته ما ترك في بني حنيفة صغير ولا كبير إلا قتل، فانقلب الرجل ومعه سيفه، فوقع في حائط من حوائط اليمامة فلما أوشكوا أن يمسكوه أمر السيف على أوداجه فوقع في بئر فقتل نفسه<sup>(٢)</sup>.

### كتاب خليفة رسول الله أبي بكر إلى خالد:

ثم بعث أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد بسلمة بن سلامة بن وقش يأمره ألا يستبقي من بني حنيفة رجلاً قد أنبت، فأتاه سلمة وقد فرغ خالد من الصلح، فوفى لهم ولم يتراجع بعد أن تم الاتفاق<sup>(٣)</sup> وهذه سمات الصحابة رضي الله عنهم مبنية على العفو والوفاء والصدق ولو كان هذا الأمر قد تم على أيدي أعداء الصحابة ثم جاءهم كتاب مرجع من مراجعهم الذين لا دين لهم يردعهم لما استَبَقُوا أحداً من المسلمين، ولقالوا: هذا أمر المرجع

(١) الموسوي: لله ثم للتاريخ، ٩٤. الخليفة: الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ١٧٧.

(٢)، (٣) الطبري: تاريخ، ٢٨٤. ابن حبان، سيرة ابن حبان، ١/٤٣٥.

لا يمكن رده أو تأخيره حتى لو كان مبنياً على الغدر والجشع والخديعة، فقول مراجعهم أهم من الوفاء وأعظم عندهم مما في الكتاب والسنة، وشتان ما بين الثرى والثريا.

### شهداء الأنصار يوم اليمامة:

وكان من استشهد من المسلمين يوم اليمامة من قريش: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وسالم مولى أبي حذيفة، وشجاع بن وهب بن ربيعة، ومالك بن عمرو، ويزيد بن قيس، وصفوان بن أمية بن عمرو، وأخوه مالك بن أمية، والطفيل بن عمرو الدوسي، وجبير بن مالك وأمه بحينة ويزيد بن أوس، وحيي بن حارثة، والوليد بن عبد شمس بن المغيرة، وحكيم بن حزام بن أبي وهب، وزيد بن الخطاب بن نفيل، وعبد الله بن عمرو بن بحرة، وعبد الله بن الحارث بن قيس، وأبو قيس بن الحارث، وعبد الله بن مخزومة بن عبد العزى، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسليط بن سليط بن عمرو، وعمرو بن أوس بن سعد بن أبي سرح، وربيعة بن أبي خرشة، ومنقذ بن عمرو بن عطية وعبد الله بن الحارث بن رخصة. واستشهد من الأنصار يوم اليمامة: ثابت بن قيس بن شماس، وعباد بن بشر بن وقش، ورافع بن سهل، وعبد الله بن عتيك، وحاجب بن زيد، وسهل بن عدي، ومالك بن أوس ومعن موليان لهم، وفروة بن العباس، وكليب بن تميم، وعامر بن ثابت، وبشر بن عبد الله، وعبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول، وعبد الله بن عتبان، وثابت بن هزال، وأسيد بن يربوع، وأوس بن ورقة، وسعد بن حارثة بن لوذان، وسماك بن خرشة أبو دجانة وسعد بن حمار، وعقبة بن عامر بن نابي، وضمرة بن عياض، وعبد الله بن أنيس، ومسعود بن سنان، وحبيب بن زيد وأبو حبة بن غزية بن عمرو، وعمارة بن حزم بن زيد ويزيد بن ثابت بن الضحاك، رمي بسهم فمات في الطريق، وثابت بن خالد بن عمرو بن خنساء، وفروة بن النعمان بن الحارث، وعائذ بن ماعص الزرقي، وحبيب بن عمرو بن محصن<sup>(١)</sup>.

(١) سيرة ابن حبان، ٤٣٦/١، ابن الأثير، الكامل، ٢٨٤، الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٢١٣، فما بعدها.

وقد قتل من المهاجرين والأنصار من أهل قسبة المدينة يومئذ ثلاثمائة وستون، ومن المهاجرين من غير المدينة ثلاثمائة رجل، وقتل ثابت بن قيس بن الشماس، قطع رجل من المشركين رجله فأخذها ثابت وضربه بها فقتله، وقتل من بني حنيفة بعقرباء سبعة آلاف، وبالحديقة مثلها، وفي الطلب نحو منها<sup>(١)</sup> وذكر غير هذه الأرقام عن عدد القتلى.

واختلف في عدد شهداء اليمامة، فأكثر ما ذكر في ذلك ما جاء في كتاب خليفة رسول الله إلى خالد يلومه على الزواج من ابنة مجاعة بعد الفراغ من أمر مسيلمة وتحقيق النصر على الرافضة المرتدين هناك، حيث جاء في ذلك الكتاب قول خليفة رسول الله: إنك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دماء ألف ومائتي رجل من المسلمين لم تجف بعد<sup>(٢)</sup>.

لا شك أنه لما كان من أهداف هذا الكتاب لوم خالد رضي الله عنه ولفت انتباهه إلى كثرة من استشهد من المسلمين والخشية من أن ينشغل بالزواج عن متابعة أمور من معه من المسلمين كان من الطبيعي أن يذكر أكبر عدد من الشهداء لتحويل الأمر وحجز خالد عن الإقدام على الزواج مرة أخرى في أوقات الحرب ولعل هذا ما حصل فلم تذكر الروايات أمثال هذا الزواج مع كثرة المعارك التي خاضها سيف الله رضي الله عنه في العراق والشام. وقد روي عن سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال: قتل يوم اليمامة ستمائة من المهاجرين والأنصار<sup>(٣)</sup>. فقد يكون الرقم الذي جاء في الكتاب يشمل شهداء حروب الردة كافة.

ولما رجع الناس قال عمر لابنه عبد الله، وكان معهم: ألا هلكت قبل زيد؟ هلك زيد وأنت حي! ألا وارىت وجهك عني؟ فقال عبد الله: سأل الله الشهادة فأعطيها وجهدت أن تساق إلي فلم أعطها. وفي هذه السنة بعد وقعة اليمامة أمر أبو بكر بجمع القرآن لما رأى من كثرة من قتل من الصحابة حيث استحر القتل في القراء لثلا يذهب القرآن<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٤٧. (٢) الطبري: تاريخ، ٢/٢٨٤.

(٣) ابن حبيش: غزوات ابن حبيش، ١/١٥٨. الكلاعي: الاكتفاء، ٣/٧٦. الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٢٢٥.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٤١.

وقد ترك شهداء اليمامة أثراً عميقاً في نفوس المسلمين لمكانتهم في قلوب المؤمنين ولقدّم صحتهم ولعدم وجود من يسد مسدهم إذ إن كل صحابي يقتل يعد ذلك نقصاً في عدد الصحابة الذين توقف عددهم منذ وفاة النبي ﷺ، وقد كان عمر رضي الله عنه يقول: ألحت السيوف على أهل السوايق من المهاجرين والأنصار ولم نجد المعول يومئذ إلا عليهم خافوا على الإسلام أن يكسر بابه فيدخل منه إن ظهر مسيلمة فمنع الله الإسلام بهم حتى قتل عدو الله وأظهر الله كلمته وقدموا يرحمهم الله على ما يسرون به من ثواب جهادهم لمن كذب على الله وعلى رسوله ورجع عن الإسلام بعد الإقرار به. وقال عمر رضي الله عنه: جعل منادي المسلمين يوم اليمامة ينادي يا أهل القرآن. فيجيبون المنادي مثنى وفرادى فاستمر بهم القتل فرحم الله تلك الوجوه، ولولا ما استدرك خليفة رسول الله من جمع القرآن لخنفت ألا يلتقي المسلمون وعدوهم في موضع إلا استحر القتل بأهل القرآن<sup>(١)</sup>.

وأمام هذا الواقع المتمثل في حرص حملة القرآن على الشهادة وحاجة المسلمين إليهم لحفظ القرآن اضطر خليفة رسول الله أن يأمر بجمع القرآن، فكان ذلك القرار المبارك الذي يندرج العمل به في ظلال ومعاني قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

### بعض ما كان يزعمه مسيلمة الكذاب أنه مما يوحى إليه:

ثم إن خالدًا قد بعث وفدًا من بني حنيفة إلى أبي بكر فقدموا عليه فقال أبو بكر: ويحكم! ما هذا الرجل الذي استزل منكم ما استزل؟ قالوا: يا خليفة رسول الله! قد كان الذي بلغك، وكان امرءًا لم يبارك الله له ولا لعشيرته فيه. قال أبو بكر رضي الله عنه: على ذلك ما دعاكم إليه؟ قالوا: كان يقول: يا ضفدع ابنة ضفدع نقي ما تنقين! لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين، لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشًا قوم يعتدون. فقال أبو بكر:

(١) ابن حبيش: غزوات ابن حبيش، ١/١٠٨. الكلاعي: الاكتفاء، ٣/٧٧. الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٢٢٧.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

سبحان الله سبحان الله<sup>(١)</sup>. وقال فيما كان يفعله الأحاليف من الغارة على ثمار اليمامة: «والليل الأطعم والذئب الأدلم، والجذع الأزلم، ما انتهكت أسيد من محرم» ولكنهم عادوا للغارة مرة أخرى فشكوهم إليه فقال: انتظروا الذي يأتيني. فقال: «والليل الدامس والذئب الهامس ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس»<sup>(٢)</sup>. ومما جاء به مسيلمة الكذاب بأنه وحي قوله: «والمبدرات زرعًا، والحاصدات حصدًا، والذاريات قمحًا، والطاحنات طحنًا، والخابزات خبزًا، والثارادات ثردًا، واللاقمات لقمًا إهالة وسمنًا، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه، والمعتر فأووه، والباغي فناوئوه»<sup>(٣)</sup>.

وكان فيما يقرأ لهم أيضًا «إن بني تميم قوم طهر لقاح، لا مكروه عليهم ولا إتاوة، نجاورهم ما حيننا بإحسان، نمنعهم من كل إنسان، فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن» وكان يقول: «والشاء وألوانها، وأعجبها السود وألبانها، والشاة السوداء واللبن الأبيض، إنه لعجب محض، وقد حرم المذق فما لكم لا تمجعون»<sup>(٤)</sup>. وغير ذلك من الترهات التي توافق عقائد أعداء الصحابة المبنية على الأوهام والمضادة لما في الكتاب والسنة، حيث المؤمنون بمثل تلك الأباطيل كانوا منساقين وراء أهوائهم وحميتهم الجاهلية، ولم يكونوا يبحثون عن الحقيقة، أو يحسبون للدار الآخرة حسابًا، وهذا هو شأن الرافضين للسنّة في كل عصر، حيث أكلوا مسألة الإيمان إلى المراجع والأئمة ووكلاء صاحب الزمان، وما إلى ذلك من أباطيل مخالفة للكتاب والسنة المباركة، حيث إن هذا الدين اتباع لرسول الله في كل ما جاء به. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) الطبري: تاريخ، ٢/٢٧٦. ابن حبان: سيرة ابن حبان، ١/٤٣٥.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/٢٧٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٤٤. الطبري: تاريخ، ٢/٢٧٥.

(٤) الطبري: تاريخ، ٢/٢٧٦. باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ١١٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

## ذكر ردة أهل البحرين:

البحرين اسم يطلق على أكثر المنطقة الممتدة ما بين القطيف إلى حدود عُمان، قامت فيها حركة ردة عن الإسلام ورفض لخلافة النبوة فجاهدها جند الخلافة الراشدة حتى أزهقوا باطلها وأعادوا أهلها إلى السنة النبوية وجماعة المسلمين حتى لم يعد فيها أحد من أهل الرفض والردة وذلك أن قبيلة عبد القيس كانت تسكن عامة تلك المنطقة وكانوا من أنصار سنة الرسول ﷺ وخلافة النبوة، لذلك فإن كل مظهر مخالف للسنة في تلك البلاد فإنما هو بعث جديد لمظاهر الردة التي يجب أن تواجه لكيلا تقود أبناء الأمة هناك إلى الفتن والافتتال الذي هو شعار أعداء الصحابة منذ عصر الرسالة حيث لا تربط أولئك المرتدين روابط قوية بالأمة ولا بعقيدتها فهم لا يباليون بنتائج تسعير الفتن لأن ذلك يخدم مصلحتهم في إضعاف أهل الإسلام من سكان تلك البلاد، وكان الجارود بن المعلى العبدي أبرز قادة البحرين آنذاك، فقدم على رسول الله ﷺ وأقام عند النبي ﷺ حتى تفقه في الدين، فرده النبي ﷺ إلى قومه عبد القيس، فكان فيهم. فلما توفي النبي ﷺ كان المنذر بن ساوى العبدي مريضاً أيضاً فتوفي بعد النبي ﷺ بقليل. فلما مات المنذر بن ساوى ارتد بعده أهل البحرين، فأما قبيلة بكر بن وائل فتمت على ردتها وأما عبد القيس فإنهم جمعهم الجارود وكان بلغه أنهم قالوا: لو كان محمد ﷺ نبياً لم يمت. فلما اجتمعوا إليه قال لهم: أتعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم. قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا. قال: فإن محمداً ﷺ قد مات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. فأسلموا وثبتوا على إسلامهم.

وحصرهم أصحاب المنذر بعده حتى استنقذهم العلاء بن الحضرمي. واجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة إلا الجارود ومن تبعه وقالوا: نرد الملك في المنذر بن النعمان بن المنذر، وكان يسمى الغرور. فلما أسلم كان يقول: أنا المغرور ولست بالغرور.

وخرج الحطم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة في بكر بن وائل فاجتمع إليه غير المرتدين ممن لم يزل مشركاً حتى نزل القطيف وهجر، واستغفوا الخط ومن بها من الزط والسبابجة،

وبعث بعثًا إلى دارين، وبعثًا إلى جوثا فحصر المسلمين، فاشتد الحصر على من بها، فقال عبد الله بن حذف، وقد قتلهم الجوع يخاطب خليفة رسول الله وأهل المدينة طالبًا الإسراع بالنصرة:

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً  
فهل لكمو إلى قوم كرام  
كأن دماءهم في كل فج  
توكلنا على الرحمن إنا  
وفتيان المدينة أجمعينا  
قعود في جوثا محصرينا  
شعاع الشمس يغشى الناظرينا  
وجدنا النصر للمتوكلينا<sup>(١)</sup>

فسارع إليهم العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه الذي كان قريبًا من بلادهم يجاهد الرافضة المرتدين وكان سبب استنقاذ العلاء إياهم أن خليفة رسول الله كان قد بعثه على قتال أهل الردة بالبحرين، فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامة بن أثال الحنفي في مسلمة بني حنيفة الذين لم يخذعهم مسيلمة عن دينهم، ولحق به أيضًا قيس بن عاصم المنقري وأعطاه بدل ما كان قسم من الصدقة بعد موت النبي ﷺ وانضم إليه عمرو والأبناء، وسعد بن تميم والرباب أيضًا لحقته في مثل عدته، فسلك بهم الدهناء حتى إذا كانوا في بحبوحتها نزل وأمر الناس بالنزول في الليل، فنفرت إبلهم بأحمالها، فما بقي عندهم بعير ولا زاد ولا ماء، فلحقهم من الغم ما لا يعلمه إلا الله، ووصى بعضهم بعضًا فدعاهم العلاء فاجتمعوا إليه، فقال: ما هذا الذي غلب عليكم من الغم؟ فقالوا: كيف نلام ونحن إن بلغنا غدًا لم تحم حرارة الشمس علينا حتى نهلك. فقال: لن تراعوا، أنتم المسلمون وفي سبيل الله وأنصار الله، فأبشروا فوالله لن تخذلوا. فلما صلوا الصبح دعا العلاء ودعوا معه فلمع لهم الماء، فمشوا إليه وشربوا واغتسلوا. فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل تجمع من كل وجه فأناخت إليهم فسقوها. وكان أبو هريرة رضي الله عنه فيهم<sup>(٢)</sup> وكان في ذلك كرامة ورحمة للمجاهدين

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٤٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٥٠.

المدافعين عن دينهم وسنة نبيهم ﷺ واستجابة لدعائهم واستغاثتهم بالله تعالى. وكان العلاء قد عبر البحر بالمسلمين إلى دارين وكان في ذلك كرامة أيضًا للعلاء رضي الله عنه ومن معه من المسلمين حتى قال في ذلك عفيف بن المنذر:

ألم تر أن الله ذلّل بحره وأنزل بالكفار إحدى الجلائل!  
دعونا الذي شق البحار فجاءنا بأعجب من فلق البحار الأوائل<sup>(١)</sup>

وارتدت ربيعة بالبحرين فيمن ارتد من العرب إلا الجارود بن عمرو بن حنش بن معلى فإنه ثبت على الإسلام فيمن تبعه من قومه، وقالت ربيعة بعضها لبعض: نرد الملك إلى المنذر بن ساوى وكان المنذر ملكهم في حياة رسول الله ﷺ فبعث رسول الله ﷺ إليه العلاء بن الحضرمي فأسلم المنذر، وأقام العلاء بها إلى أن قبض رسول الله ﷺ فملك ربيعة المنذر بن النعمان بن المنذر بن ساوى وجمع جمعهم على الارتداد عن الإسلام ورفض خلافة النبوة، فلما بلغ خليفة رسول الله رضي الله عنه خبرهم، بعث إليهم العلاء بن الحضرمي وأمره بثمامة بن أثال الحنفي، وكان قد أسلم ثمامة وأسلم بنو سحيم معه، فلما مر العلاء بثمامة بن أثال ومعه من اتبعه من قومه من بني سحيم، وسارت ربيعة إليهم فحاصروهم بجوانا - حصن بالبحرين - وأصاب المسلمين جهد شديد من الجوع حتى كادوا أن يهلكوا فخرج عبد الله بن حذف ليلة من الليالي يتجسس أخبار الرافضة المرتدين ويحيى المسلمين بالخبر، فأتى الحصن الذي كانوا فيه واحتال في دخوله فوجد الرافضة سكارى فرجع، فأخبر المسلمين أن القوم سكارى لا غناء بهم، فبيتهم العلاء بن الحضرمي فيمن معه من المسلمين وقتلوهم قتالاً شديداً حتى فتح الله على المسلمين حصنهم، الذي كان بؤرة للشر ولحصار المسلمين والتعدي على حياتهم وحرماتهم وممتلكاتهم، فلما انتصر المسلمون عليهم، قسم العلاء بن الحضرمي الغنيمة بالبحرين وجمع المسلمين هناك وصلّى بهم صلاة الجمعة<sup>(٢)</sup> بعد أن أزال الله عنهم شر أعداء الصحابة وثبت الإسلام في تلك البلاد.

(١) الطبري: تاريخ، ٢/٢٩٠.

(٢) ابن حبان: سيرة ابن حبان، ١/٤٣٧.

## قدوم أهل البحرين إلى أبي بكر يفتدون سباياهم:

وبعد أن انتصر المسلمون على المرتدين في البحرين وغنموا ما غنموا من سبايا وغيرها راجع الناس دينهم هناك، ثم أرسلوا وفدًا إلى خليفة رسول الله يطلب مساعدته على استعادة السبي من أيدي المسلمين فأجابهم خليفة رسول الله إلى مطلبهم.

فخطب أبو بكر الناس فقال: أيها الناس! ردوا على الناس سباياهم، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يغيب عنه منهم أحد. ثم جاء جابر بن عبد الله رضي الله عنه إلى أبي بكر فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن جاءنا مال من البحرين أعطيناك هكذا وهكذا» فحرز له أبو بكر «هكذا» خمسمائة درهم، فأعطاه من مال البحرين ألفًا وخمسمائة درهم. ثم اعتمر أبو بكر رضي الله عنه في رجب وخرج هو وعبد الرحمن على راحلتين واستخلف على المدينة عمر بن الخطاب، وقدا مكة ضحوة وخرج منها رضي الله عنه قبل الليل. ثم خرج أبو بكر رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان وخرج ليلتين بقيتا من ذي القعدة، وأحرم من ذي الحليفة، وقدم مكة لسبع خلون من ذي الحجة، وكان قد ساق معه عشر بدنات، فخطبهم قبل التروية بيوم في المسجد الحرام وأمرهم بتقوى الله ونهاهم عن معصيته وعظم عليهم حرمة الإسلام وأمرهم بالقصد في مسيرهم والترفق، وتلا عليه آيات من القرآن، ثم قال: من استطاع منكم أن يصلي الظهر بمنى غدًا فليفعل. ثم حج لهم ونحر البدن ورمى الجمار ماشيًا ذاهبًا وجائئًا<sup>(١)</sup> وفي أحداث ردة البحرين يظهر تلاحم المسلمين وتعاونهم وبذلهم كل ما يمكن بذله في التناصر على الحق وإقامة السنة والتعاون على حرب البدعة والردة والرفض لخلافة النبوة ووحدة الأمة، وفيه تجلت رعاية الله تعالى لعباده حين التجؤوا إليه سبحانه وتعالى.

## ردة أهل عُمان ومهرة:

نبغ في عُمان ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي، وكان يسامي في الجاهلية الجلندي، وغلب

(١) ابن حبان: سيرة ابن حبان، ١/٤٣٨.

على عُمان مرتدًا، والتجأ جيفر وعباد إلى الجبال، وبعث جيفر إلى خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه يخبره ويستمد عليه فبعث خليفة رسول الله حذيفة بن محصن الغلفاني من حمير إلى عُمان، وعرفجة البارقي من الأزدي إلى مهرة، وكل منهما أمير على صاحبه في وجهه، فإذا قربا من عُمان يكتبان جيفرًا. فسارا إلى عُمان، وأرسل أبو بكر إلى عكرمة بن أبي جهل، بعد أن انكفأ عن اليمامة لشدة مقاومتها قبل وصول خالد رضي الله عنه. فأرسل إليه أن يلحق بحذيفة وعرفجة بمن معه يساعدهما على المرتدين من أهل عُمان ومهرة، فإذا فرغوا منهم سار إلى اليمن. فلحقهما عكرمة قبل عُمان، فلما وصلوا إلى رجام وهي قريب من عُمان، كاتبوا جيفرًا وعبادًا، وجمع لقيط جموعه وعسكر بدبًا، وخرج جيفر وعباد وعسكرا بصُحار وأرسلوا إلى حذيفة وعكرمة وعرفجة، فقدموا عليهما، وكاتبوا رؤساء من كان مع لقيط فرفضوا عنه، ثم التقوا على دبًا فاقتلوا قتالًا شديدًا، واستعلى لقيط ومن معه من المرتدين في بداية المعركة.

فبينما هم كذلك جاءت المسلمين أمداد من بني ناجية وعليهم الخريت بن راشد، ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان، وغيرهم، فقوى الله المسلمين، فولى المشركون الأدبار، وقتل منهم في المعركة عشرة آلاف وركبهم حتى أثنخوا فيهم وسبوا الذراري وقسموا الأموال وبعثوا بالخمس إلى خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه في المدينة مع عرفجة، وأقام حذيفة بعُمان يُسكن الناس وينظم الأمور.

وأما مهرة فإن عكرمة بن أبي جهل سار إليهم لَمَّا فرغ من عُمان ومعه من استنصره من قبائل ناجية وعبد القيس وراسب وسعد، فاقتحم عليهم بلادهم، فوافق بها جمعين من مهرة؛ أحدهما مع سخريت وهو رجل منهم وروي سخريت وشخريت والثاني مع المصباح أحد بني محارب، ومعظم الناس معه، وكانا مختلفين فكاتب عكرمة سخريتًا، فأجابه وأسلم، وكاتب المصباح يدعوه فلم يجب، فقاتله قتالًا شديدًا، فانهزم المرتدون وقتل رئيسهم وركبهم المسلمون فقتلوا من شأؤوا منهم وأصابوا ما شأؤوا من الغنائم، وبعث الأخماس إلى خليفة رسول الله مع سخريت، وازداد عكرمة وجنده قوة بالظهر والمتاع، وأقام عكرمة

حتى اجتمع الناس على الذي يحب وبايعوا على الإسلام<sup>(١)</sup>.

وكان في كتاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعكرمة بن أبي جهل: فإذا فرغتم فامض إلى مهرة ثم ليكن وجهك منها إلى اليمن حتى تلاقي المهاجر بن أبي أمية باليمن وبحضر موت، أو طيء من بين عُمان واليمن ممن ارتد، وليبلغني بلاؤك. فمضى عكرمة في أثر عرفجة وحذيفة فيمن كان معه لحق بهما قبل أن ينتهيا إلى عُمان وقد عهد إليهم أن ينتهوا إلى رأي عكرمة بعد الفراغ في السير معه أو المقام بعُمان، فلما تلاحقوا وكانوا قريبين من عُمان بمكان يدعى رجاما راسلوا جيفراً وعباداً، وبلغ لقيطاً مجيء الجيش فجمع جموعه وعسكر بدباً وخرج جيفر وعباد من موضعهما الذي كانا فيه فعسكرا بصُحار، فاستبرؤوا ما يليهم حتى رضوا به ممن يليهم، وكتبوا رؤساء مع لقيط، حتى ارفضوا عنه ونهدوا إلى لقيط، فالتقوا على دباً وقد جمع لقيط العيالات فجعلهم وراء صفوفهم ليحرضهم على القتال وليحافظوا على حرمهم كما فعل المشركون يوم حنين، وكانت دباً هي المصر والسوق الأعظم، فوقع القتال واشتدت الحرب بدباً واقتتلوا قتالاً شديداً، فولّى المرتدون الأدبار وقتلوا منهم في المعركة عشرة آلاف وركبهم حتى أنخنوا فيهم وسبوا الذرية وقسموا الأموال على المسلمين، وروي أن الذي سار بالخمس إلى المدينة هو عرفجة، ورأى عكرمة وحذيفة أن يقيم حذيفة بعُمان حتى يوطئ الأمور ويسكن الناس، وكان الخمس ثمانمائة رأس، وغنموا السوق بحذافيرها، فسار عرفجة إلى خليفة رسول الله بخمس السبي والمغانم، وأقام حذيفة لتسكين الناس. ومضى عكرمة في الناس وبدأ بمهرة كما سبق. وقال في ذلك عباد الناجي:

لعمري لقد لاقى لقيط بن مالك من الشر ما أخزى وجوه الثعالب<sup>(٢)</sup>

وروي أن عكرمة أقام حتى جمعهم على الذي يحب، وجمع أهل النجد وأهل رياض الروضة، وأهل الساحل، وأهل الجزائر، وأهل المر واللبان وأهل جيروت، وظهور الشحر

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٥٢. ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٣٦.

(٢) باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ١٣١.

والصبرات، وينعب وذات الخيم، فبايعوا على الإسلام، فكتب بذلك إلى الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع البشير وهو السائب أحد بني عابد من مخزوم، فقدم على أبي بكر رضي الله عنه بالفتح، وقدم شخريت بعده بالأخماس<sup>(١)</sup>.

يتضح مما حصل في عُمان أن الردة كانت حركة واسعة النطاق وغالبًا ما يقودها أهل الأهواء ممن لديهم بعض المعلومات عن الإسلام ولديهم الطموح للزعامة وحب الظهور والقيادة فيغتمون ما لديهم من معلومات إسلامية للتليس على عامة الناس فتستجيب لأراجيفهم وأمانيمهم الغوغاء فيقودونهم إلى مغامرات خاسرة على الصعد كافة.

كما يتبين متابعة الخلافة الراشدة لتلك الحركات الرافضية المتمردة على الكتاب والسنة، حيث كانت تباشرهم بالرسول حرصًا على إعادتهم إلى الجادة والدخول مما خرجوا منه والإقرار بالإسلام كاملاً؛ لكن غالبًا ما كانت رسل الخلافة تصطدم بكبر الأعراب وغرورهم وحبهم للفتن، فإذا حصل هذا كانت جيوش الخلافة تقاتلهم بأشد وسائل القتال وتعاملهم بالشدة حتى يتوبوا ويعودوا إلى ما خرجوا منه فإن فعلوا يعيدوا لهم ما سبي منهم ويشجعوهم على الاندماج في المجتمع الإسلامي والعمل على نصرته والتقييد بضوابطه، أما الغنائم الأخرى فلا يعيدونها عليهم بعد توزيعها على مستحقيها، وعلى هذا فإن الخلافة لم تهاود المرتدين الرافضين للزكاة أو لغيرها أو الرافضة المتمردين على خلافة النبوة وقد أثبتت سياسة الشدة على المرتدين مصداقيتها ونجاحها ونضج ثمارها.

### ردة اليمن:

لما توفي رسول الله ﷺ كان عماله على مكة عتاب بن أسيد، وعلى عك والأشعرين الطاهر بن أبي هالة، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص ومالك بن عوف النصراني، عثمان على المدن، ومالك على أهل الوبر، وبصنعاء فيروز ويسانده داؤويه وقيس بن مكشوح، وعلى الجند يعلى بن أمية، وعلى مأرب أبو موسى، وكان منهم مع الأسود الكذاب ما

(١) باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ١٣٣.

ذكرناه. فلما أهلك الله الأسود العنسي بقيت طائفة من أصحابه يترددون بين صنعاء ونجران لا يأوون إلى أحد. ومات النبي ﷺ على أثر ذلك فارتد الناس فكتب عتاب بن أسيد إلى أبي بكر رضي الله عنه يعرفه خبر من ارتد في عمله، وبعث عتاب أخاه خالدًا إلى أهل تهامة وبها جماعة من مدلج وخزاعة وأبناء كنانة<sup>(١)</sup>.

وأما كنانة فعليهم جندب بن سلمى، فالتقوا بالأبارق، فقتلهم خالد وفرقهم، وأفلت جندب وعاد، وبعث عثمان بن أبي العاص بعثًا عليهم حُميضة بن النعمان إلى شنوءة وبها جماعة من الأزد وبجيلة وخثعم، واستعمل عثمان على السرية عثمان بن أبي ربيعة، فالتقوا بشنوءة، فانهزم المرتدون وتفرقوا في البلاد.

وأما بجيلة فإن أبا بكر ردّ جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه إليهم وأمره أن يستنفر من قومه من ثبت على الإسلام ويقاتل بهم من ارتد عن الإسلام وأن يأتي خثعم فيقاتل من خرج غضبًا لذي الخصلة، فخرج جرير وفعل ما أمره، فلم يبق له أحد إلا نفر يسير، فقتلهم وتتبعهم<sup>(٢)</sup>.

## ردة اليمن ثانية:

وكان ممن ارتد ثانية قيس بن عبد يغوث بن المكشوح، وذلك أنه لما بلغه موت النبي ﷺ انتكث وعمل في قتل فيروز وجُشيش عمال المسلمين هناك، فكتب خليفة رسول الله إلى عمير ذي مُرّان وإلى سعيد ذي زود وإلى ذي الكلاع وإلى حوشب ذي ظليم وإلى شهر ذي نياف يأمرهم بالتمسك بدينهم والقيام بأمر الله، ويأمرهم بإعانة الأبناء على من ناوأهم، والسمع لفيروز، وكان فيروز وداذويه وقيس قبل ذلك متساندين. فلما سمع قيس بذلك كتب إلى ذي الكلاع وأصحابه يدعوهم إلى قتل الأبناء وإخراج أهلهم من اليمن، فلم يجيبوه ولم ينصروا الأبناء.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٥٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٥٤. الطبري: تاريخ، ٢/٢٩٤.

فاستعد لهم قيس وكاتب أصحاب الأسود العنسي المترددين في البلاد سرًا يدعوهم ليجمعوا معه، فجاؤوا إليه، فسمع بهم أهل صنعاء فقصد قيس فيروز وداذويه فاستشارهما في أمره خديعة منه ليلبس عليهما، فاطمأنا إليه، ثم إن قيسًا صنع من الغد طعامًا ودعا داذويه وفيروزًا وجشيشًا، فخرج داذويه فدخل عليه فقتله، وجاء إليه فيروز، فلما دنا منه سمع امرأتين تتحدثان فقالت إحداهما: هذا مقتول كما قتل داذويه، فخرج. فطلبه أصحاب قيس، فخرج يركض، ولقيه جُشيش فرجع معه فتوجه نحو جبل خولان. وهم أحوال فيروز، فصعدا الجبل، ورجعت خيول قيس فأخبروه بما حصل، فثار بصنعاء وما حولها مقدمًا رجلًا ومؤخرًا أخرى، فأتته خيول الأسود العنسي<sup>(١)</sup>.

واجتمع إلى فيروز جماعة من الناس، وكتب إلى أبي بكر يخبره، واجتمع إلى قيس عوام قبائل من كتب أبو بكر إلى رؤسائهم، واعتزل الرؤساء، وعمد قيس إلى الأبناء ففرقهم ثلاث فرق: من أقام أقر عياله، والذين ساروا مع فيروز فرق عيالهم فرقتين فوجه إحداهما إلى عدن ليحملوا في البحر وحمل الأخرى في البر، وقال لهم جميعهم: الحقوا بأرضكم.

فلما علم فيروز بذلك جد في حرب قيس وتجرد لها وأرسل إلى بني عقيل بن ربيعة بن عامر يستمدهم، وإلى عك يستمدهم، فركبت عقيل، فلقوا خيل قيس بن عامر ومعهم عيالات الأبناء الذين كان قد سيرهم قيس فاستنقذوهم وقتلوا خيل قيس. وسارت عك فاستنقذوا طائفة أخرى من عيالات الأبناء وقتلوا من معهم من أصحاب قيس، وأمدت عقيل وعك فيروزًا بالرجال. فلما أتته أمدادهم خرج بهم وبمن اجتمع عنده فلقوا قيسًا دون صنعاء فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وانهزم قيس وأصحابه «وتذبذبت رافضة العنسي وقيس معهم فيما بين صنعاء ونجران».

قيل: وكان فروة بن مسيك المرادي قدم على النبي ﷺ مسلمًا فاستعمله النبي ﷺ على صدقات مراد ومن نازلهم ونزل دارهم. وقال مسيك في إسلامه:

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٥٥. الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٩٦.

لما رأيت ملوك حمير أعرضت      كالرَّجُلِ خان الرَّجُلِ عِرْقُ نَسَائِهَا  
يممت راحلتي أمام محمد      أرجو فواضلها وحُسنَ ثنائها

وكان عمرو بن معدي كرب الزبيدي قد فارق قومه سعد العشيرة وانحاز إليهم وأسلم معهم، فلما ارتد العنسي ومعه مذحج ارتد عمرو فيمن ارتد، وكان عمرو مع خالد بن سعيد بن العاص، فلما ارتد سار إليه ابن سعيد فسلب عمرو سيفه الصمصامة وفرسه.

فلما ارتد عمرو جعله الأسود العنسي بإزاء فروة بن مسيك، فامتنع كل واحد منهما من البراح لمكان صاحبه فبينما هم كذلك قدم عكرمة بن أبي جهل بلاد أبين من مهرة، ومعه بشر كثير من مهرة وغيرهم، فاستبرى النخع وحمير، وقدم أيضًا المهاجر بن أبي أمية في جمع من مكة والطائف وبجيلة مع جرير إلى نجران، فانضم إليه فروة بن مسيك المرادي، فأقبل عمرو بن معدي كرب مستجيبًا حتى دخل على المهاجر من غير أمان، فأوثقه المهاجر، وأخذ قيسًا أيضًا فأوثقه وسيرهما إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا قيس قتلت عباد الله واتخذت المرتدين وليجة من دون المؤمنين! فانتفى قيس من أن يكون قارف من أمر داؤويه شيئًا، وكان قتله سرًا، فتجافى له عن دمه وقال لعمرو: أما تستحي أنك كل يوم مهزوم أو مأسور؟ لو نصرت هذا الدين لرفعك الله. فقال: لا جرم لأقبلن ولا أعود. ورجعا إلى عشائرها. فسار المهاجر من نجران والتقت الخيول على أصحاب الأسود العنسي فاستأمنوا فلم يؤمنوا وقتلهم بكل سبيل، ثم سار إلى صنعاء فدخلها وكتب إلى أبي بكر رضي الله عنه بذلك<sup>(١)</sup>.

### الأخايب من عك:

وكان أول منتقض بعد النبي ﷺ بتهمته عك والأشعريون، وذلك أنهم حين بلغهم موت النبي ﷺ تجمع منهم أقوام فأقبل إليهم آخرون من الأشعريين وخضم فانضموا إليهم فأقاموا على الأعلاب وهي طريق الساحل وتجمع إليهم أوزاع متفرقون على غير رئيس.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٥٦. الطبري: تاريخ، ٢/٢٩٧.

فكتب بذلك الطاهر بن أبي هالة إلى خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه وسار إليهم وكتب أيضًا بمسيره إليهم ومعه مسروق العكي حتى انتهى إلى تلك التجمعات على الأعلاب فالتقوا فاقتتلوا فهزمهم الله وقتلوهم كل قتلة حتى أُنشنت السبل لقتلهم وكان مقتلهم فتحًا عظيمًا.

وأجاب أبو بكر رضي الله عنه الطاهر قبل أن يأتيه كتابه بالفتح. فقال: بلغني كتابك تخبرني فيه مسيرك واستنفارك مسروقًا وقومه إلى الأخابث بالأعلاب فقد أصبت فعاجلوا هذا الضرب ولا ترفهوا عنهم وأقيموا بالأعلاب حتى يأمن طريق الأخابث ويأتيكم أمري فسميت تلك الجموع من عك ومن تأشب إليهم إلى اليوم الأخابث وسمي ذلك الطريق طريق الأخابث. وقال في ذلك الطاهر بن أبي هالة يصف لقاءهم مع الأخابث:

ووالله لولا الله لا شيء غيره	لما فضّ بالأجراع جمع العناث
فلم تر عيني مثل يوم رأيته	بجنب صُحار في جموع الأخابث
قتلناهمو ما بين قنة خامر	إلى القبعة الحمراء ذات النبائث
وفئنا بأموال الأخابث عنوة	جهازًا ولم نحفل بتلك الهثاث

وعسكر طاهر بن أبي هالة على طريق الأخابث ومعه مسروق في عك ينتظر أمر خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

### أهل نجران:

ولما بلغ أهل نجران وفاة رسول الله ﷺ وهم يومئذ أربعون ألف مقاتل من بني الأفعى الأمة التي كانوا بها قبل بني الحارث بعثوا وفدًا ليجددوا عهدًا فقدموا إليه فكتب لهم كتابًا:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله لأهل نجران أجازهم من جنده ونفسه وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ إلا ما رجع عنه محمد رسول الله

(١) الطبري: تاريخ، ٢/٢٩٤.

بأمر الله عز وجل في أرضهم وأرض العرب ألا يسكن بها دينان أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم وعاديتهم وغائبهم وشاهدتهم وأسقفهم ورهبانهم وبيعهم ما وقعت، وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير، عليهم ما عليهم فإذا أدوه فلا يحشرون ولا يعشرون، ولا يغير أسقف من أسقفته ولا راهب من رهبانته ووفى لهم بكل ما كتب لهم رسول الله ﷺ وعلى ما في هذا الكتاب من ذمة محمد رسول الله ﷺ وجوار المسلمين وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق شهد المسور بن عمرو وعمرو مولى أبي بكر<sup>(١)</sup>.

في هذا الكتاب تظهر أخلاق المسلمين الحضارية واحترامهم لمخالفهم، وحفاظهم على عهودهم ورعايتهم لجيرانهم من أبناء الأمم والملل الأخرى، كما يظهر حرص المسلمين على عدم التدخل في شؤونهم الداخلية واحترام عقائدهم ومعابدهم ورموزهم، واحترام أتباعهم ومواليهم وما ملكت أيديهم وجميع أملاكهم ما قل أو كثر، ومن يعتدي عليها فإنما يعتدي على ذمة المسلمين المحفوظة بضوابط دينهم وبسيوفهم التي في سواعدهم.

ولعل محتوى هذا الكتاب يبين الفرق الشاسع بين مفاهيم الحضارة العربية الإسلامية المقيدة بشريعتها وقيمتها وحمية أبنائها على الجار، وبين ما يعاني منه المسلمون في هذا العصر وفيما قبله من عدوان كثير من أبناء الحضارات الأخرى وكل من تقع تحت أيديهم قوة مادية.

فإن هؤلاء الآخرين من تبار ومغول وصليبيين ورافضة ويهود وغيرهم لو قلبت صفحات جرائمهم التي لا مسوغ لها ضد المسلمين؛ لشهد كل عاقل بأنه لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب المسلمين، ذلك أنهم تشربوا معاني دينهم المبني على الرحمة ووصايا نبينهم الرؤوف الرحيم ﷺ وكل ذلك موثق في صفحات التاريخ التي ما زالت تشهد لهذه الأمة بكل معاني القيم والسمو والعدل والسماحة، في حين تشهد تلك الصفحات ذاتها على ظلم

(١) الطبري: تاريخ، ٢/٢٩٤.

الآخرين لأبناء هذه الأمة وافترائهم على نبيها ﷺ وعلى رموزها وعقيدتها وتعاونهم دائماً على إقصاء هذه العقيدة العالمية التي تدعو إلى الحوار والتسامح والرحمة وحسن الجوار.

ولا أدل على أحقاد الآخرين على هذه الأمة الرحيمة المرحومة من: غدر يهود قريظة في المدينة بالمسلمين يوم الخندق ومحاولة قتل النبي ﷺ في بني قينقاع أو محاولة اغتياله بالسم في خيبر، ولا من عبث اليهود الآن بأرواح النساء والأطفال والمساجين، وهدم البيوت والعدوان على الشجر والبشر ومحاولات هدم المسجد الأقصى في فلسطين.

ومن حقد الصليبيين على المسلمين منذ أيام محاكم التفتيش إلى غوانتنمو إلى أبي غريب والفالوجة وكابول وسهول أفغانستان وجبالها وما البوسنة وما حولها والشيشان وما حولها من ذاكرة العقلاء ببعيد، إلى غير ذلك من مصائب الطغيان وغرور القوة والتشفي بالضعيف. أما التتار والمغول فإن نهر دجلة وأحياء بغداد أهل السنة النبوية ما زالت تشهد على وحشيتهم.

أما الرافضة فلا إجرام يعادل جرائمهم، وأي جريمة أكبر من اغتيال الشهيد عمر الفاروق وتقديسهم لقاتله؟ وأي مصيبة تعدل مصيبة اغتيال عثمان الشهيد، أم اغتيالهم للشهيد علي في مسجد الكوفة، أم غدرهم بالحسين الشهيد في الكوفة أم طعنهم الحسن في سباط المدائن، أم طعنهم معاوية وهو ساجد في مسجد دمشق، أم محاولة قتل فاتح فلسطين ومصر عمرو بن العاص، أم محاولة قتل صلاح الدين الأيوبي، أم قتلهم لأربعة آلاف ما بين عابد وعالم في ليلة واحدة من أهل تونس كما ذكر ذلك ابن خلدون؟! أم قتلهم للعلامة الشهيد أبي بكر النابلسي وسلخ جلده تشفيًا وتأكيديًا لأحقادهم التي لا تنتهي؟! أم قطعهم الطرق وغدرهم بالمجاهدين أيام الحروب الصليبية؟! أم استباحة دماء أهل السنة ومساجدهم ومصاحفهم ومقدساتهم ورموزهم وعدوانهم حتى على قبور الصحابة رضي الله عنهم في العراق وفي غيرها في هذه الأيام بالتعاون مع اليهود والصليبيين؟! ولو كتب الكتاب ودون المدونون لوجدوا أن جرائم الرافضة بحق السنة النبوية وأهلها أكبر وأقدر وأشد وحشية وتشفيًا من كل ما يمكن أن يكتبه الكتاب والمدونون!!

وكل هذه المآسي التي تجري ضد المسلمين السنة وفكرهم وعقيدتهم ناتج عن الثقافات الحاقدة التي تتبنى البهتان والتزييف في مناهجها، وتنفت الأحقاد والكرامية في نفوس أتباعها ضد الإسلام والمسلمين، لا لشيء سوى الحقد على عقيدة التوحيد والعدل والأخوة.

ولإسقاط أتباع تلك الثقافات من ضمائرهم محاسبة الله والدار الآخرة. في حين ما زال المسلم يستقي ثقافته وفكره الصافي من معاني قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وأمثال ذلك، فهل تمتلك الثقافات والعقائد الأخرى في ثوابتها شيئاً من هذه المعاني؟ وهل يستطيع أبناء ملة أخرى أن تسمو عقولهم وأهدافهم إلى شيء من هذه القيم؟!

### ردة حضرموت وكندة:

توفي رسول الله ﷺ وعماله على بلاد حضرموت: زياد بن ليبيد البياضي رضي الله عنه على حضرموت وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور - عند الطبري ابن محصن ومعلوم أن عكاشة بن محصن استشهد في قتال طليحة بن خويلد الأسدي - والمهاجر بن أبي أمية على كندة، وكان المهاجر بالمدينة لم يخرج حتى توفي رسول الله ﷺ فبعثه أبو بكر رضي الله عنه بعد ذلك إلى قتال المرتدين باليمن ثم المضي إلى عمله أميراً على كندة.

وكان رسول الله ﷺ أمر المهاجر بن أبي أمية على كندة فاشتكى مرضاً ولم يطق الذهاب فكتب المهاجر إلى زياد ليقوم له على عمله وبرأ بعد فأتته له أبو بكر رضي الله عنه أمرته وأمره بقتال ما بين نجران إلى أقصى اليمن، ولذلك أبطأ زياد وعكاشة عن مناجزة كندة انتظاراً له.

وكان سبب ردة كندة إجابتهم الأسود العنسي حتى لعن رسول الله الملوك الأربعة وهم من إحدى بطون كندة وحين أسلموا وأسلم أهل بلاد حضرموت كلهم قبل ردتهم، أمر

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

رسول الله ﷺ بما يوضع من الصدقات أن يوضع صدقة بعض حضرموت في كندة وتوضع صدقة كندة في بعض حضرموت وبعض حضرموت في السكون والسكون في بعض حضرموت، فقال نفر من بني وليعة: يا رسول الله إنا لسنا بأصحاب إبل، فإن رأيت أن يبعثوا إلينا بذلك على ظهر. فقال ﷺ: «إن رأيتم»، قالوا: فإننا ننظر فإن لم يكن لهم ظهر فعلنا. فلما توفي رسول الله ﷺ وجاء ذلك الإبان دعا زياد الناس إلى ذلك فحضره فقالت بنو وليعة: أبلغونا كما وعدتم رسول الله ﷺ. فقالوا: إن لكم ظهراً فهلّموا فاحتملوا. ولا حوهم حتى لاحوا زياداً وقالوا له: أنت معهم علينا. فأبى الحضرميون، ولجّ الكنديون فرجعوا إلى دارهم وقدموا رجلاً وأخروا أخرى وأمسك عنهم زياد رضي الله عنه انتظاراً للمهاجر، فلما قدم المهاجر صنعاء كتب إلى أبي بكر رضي الله عنه بكل الذي صنع وأقام حتى قدم عليه جواب كتابه من قبل أبي بكر رضي الله عنه فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه وإلى عكرمة أن يسيرا حتى يقدم حضرموت، وأقر زياداً على عمله وأذن لمن معك من بين مكة واليمن في القفل إلا أن يؤثر قوم الجهاد وأمه بعبدة بن سعد ففعل فسار المهاجر من صنعاء يريد حضرموت، وسار عكرمة من أبين يريد حضرموت فالتقيا بمأرب، ثم فوزا من مفازة صَهِيد حتى اقتحما حضرموت فنزل أحدهما على الأشعث والآخر على وائل<sup>(١)</sup>.

وكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى المهاجر يخيره اليمن أو حضرموت، فاختر اليمن فكانت اليمن على أميرين فيروز الديلمي والمهاجر، وكانت حضرموت على أميرين عبدة بن سعد على كندة والسكاسك، وزياد بن لبيد رضي الله عنه على حضرموت، وكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى عمال الردة أما بعد، فإن أحب من أدخلتم في أموركم إلي من لم يرتد ومن كان ممن لم يرتد فأجمعوا على ذلك فاتخذوا منها صنائع وأذنوا لمن شاء في الانصراف، ولا تستعينوا بمرتد في جهاد عدو.

وقد وقع إلى المهاجر امرأتان مغنيتان غنت إحداهما بشتم رسول الله ﷺ فقطع يدها ونزع

(١) الطبري: تاريخ، ٢/٣٠٥.

ثنيها فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه: بلغني الذي سرت به في المرأة التي تغنت وزمرت بشتيمة رسول الله ﷺ فلولا ما قد سبقتني فيها لأمرتك بقتلها. لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود، فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد، أو معاهد فهو محارب غادر، وكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه في التي تغنت بهجاء المسلمين: أما بعد: فإنه بلغني أنك قطعت يد امرأة في أن تغنت بهجاء المسلمين ونزعت ثنيتها، فإن كانت ممن تدعي الإسلام فأدب وتقدمة دون المثلة وإن كانت ذمية فلعمري لما صفحت عنه من الشرك أعظم ولو كنت تقدمت إليك في مثل هذا لبلغت مكروهاً فاقبل الدعة وإياك والمثلة في الناس، فإنها مأثم ومنفرة إلا في قصاص<sup>(١)</sup>.

### دور زياد بن لبيد رضي الله عنه في القضاء على الردة في اليمن:

من أبرز القادة الذين واجهوا الردة في اليمن زياد بن لبيد الأنصاري رضي الله عنه، وكان قديم الإسلام شهد بيعة العقبة وأقام في مكة حتى هاجر النبي ﷺ فهاجر معه، فكان يقال زياد مهاجري أنصاري رضي الله عنه، وشهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان عامل النبي ﷺ على حضرموت<sup>(٢)</sup>.

وروي أن رسول الله ﷺ نوه بذكائه وكفايته فقال ﷺ: «إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة»<sup>(٣)</sup>. ولاه رسول الله ﷺ حضرموت ثم ضم إليه كندة، ويقال الذي ضم إليه كندة أبو بكر رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>. ثم أرسل خليفة رسول الله ﷺ كتابًا إلى زياد جاء فيه: «فانظر ولا قوة إلا بالله أن تقوم مقام مثلك ويباع من عندك فمن أبي وطئته بالسيف، وتستعين بمن أقبل على من أدبر»<sup>(٥)</sup>.

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٠٥.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ١٤٠. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٢/ ٥٣٣.

(٣) الحاكم: المستدرک، كتاب ويا ب العلم، ح (٣٣٧).

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ١٤٠. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ١/ ٥٥.

(٥) ابن حبيش: غزوات ابن حبيش، ١/ ١٣٣. الكلاعي: الاكتفاء، ١/ ٩٩. الخليفة: الأنصار في =

فقام زياد رضي الله عنه بذلك أفضل قيام ودعا كندة إلى البيعة فأبى الأشعث بن قيس الكندي أن يبايع<sup>(١)</sup>.

فافتقت كندة فرقتين فرقة أقامت على الدين وفرقة عزمت على الرفض ومنع الزكاة والعصيان، فلما بدأ زياد يجمع الصدقات أخذ قوم من كندة يتبرمون من ذلك وعملوا على اختلاق الأعذار لتعطيل ذلك<sup>(٢)</sup>. منهم حارثة بن سراقة الكندي الذي قال بلسان المرتدين:

وإن أناسًا يأخذون زكاتكم أقل ورب البيت عندي من الذر

أنعطي قريبًا مالنا إن هذه لتلك التي يخزى بها المرء في القبر<sup>(٣)</sup>

وقال الراضة المرتدون من كندة يفصحون عن مواقفهم الراضة لفریضة الزكاة:

إذا نحن أعطينا المصدق سؤله فنحن له فيما يريد عبید

أفي كل يوم للمهاجر جبوة ولابن لبيد إن ذا لشديد<sup>(٤)</sup>

وبعد أن ظهرت هذه المواقف علانية وجه زياد رضي الله عنه ما عنده من أموال الصدقة إلى المدينة ثم سار هو في قبائل كندة فجهز له خليفة رسول الله جيشًا من أربعة آلاف رجل، فاتصلت أخباره بالسكاسك والسكون وهما من قبائل كندة الذين ثبتوا على الإسلام وكانوا قريبًا من معاذ بن جبل رضي الله عنه لما كان في اليمن فاستفادوا منه علمًا، فانضموا إلى زياد رضي الله عنه وعزم رجالهما على نصرته الإسلام ابتغاء رضاء الله تعالى. قال شاعرهم مؤكدًا ذلك:

ونحن نصرنا الدين إذ ضل قومنا شقاء وشايعنا ابن أم زياد

= العصر الراشدي، ٢٢٩.

(١) الواقدي، الردة، ١٧٣. ابن أعثم، الفتوح، ١/٥٦.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ١٤٠.

(٣) الواقدي: الردة، ١٧٠، ابن الأثير: الكامل، ٢/٢٥٧.

(٤) الواقدي: الردة، ١٧٣. ابن أعثم، الفتوح، ١/٥٩.

ولم ينبغ عن حق البياضي مزحلاً وكان تقي الرحمن أفضل زاد<sup>(١)</sup>

وفي تلك المرحلة حاول خليفة رسول الله أن يتألف المرتدين فرغبهم وحاورهم ولكنهم أصروا على الرفض والردة، وكتب إليهم حسان بن ثابت رضي الله عنه ينصحهم بالرجوع إلى دينهم فقال:

أنيبوا إلى الحق يا قومنا فإني لكم ناصح فاقبلوا<sup>(٢)</sup>

لكن المرتدين شطوا كثيراً في غيهم حتى قام ابن عم الأشعث بن قيس بقتل رسول خليفة رسول الله وهو رجل من قيس عيلان<sup>(٣)</sup> وقام رجل من كندة ممن ما زال على إسلامه ينصحهم بالعودة إلى الإسلام فقاموا إليه فأسكتوه ولطموه، فالتحق بزياد رضي الله عنه وقال يصف ذلك الموقف:

فقلت تحلوا بدين الرسول فقالوا سفاهاً تراباً بفيكا<sup>(٤)</sup>

لكن الأشعث ومن معه من الراضية ردوا جميع النصح وأصروا على الردة، فكتب خليفة رسول الله إلى المهاجر بن أبي أمية وهو والي صنعاء أن يلحق بزياد بن ليث بحضرموت<sup>(٥)</sup>. وفي هذه المرحلة جرت حروب بين زياد وبعض قبائل المرتدين التابعة للأشعث بن قيس، انتصر فيها زياد رضي الله عنه وقتل الملوك الأربعة وكانوا من أشراف كندة من بني عمرو وهم مشرح ومخوص وجمد وأبضعة وأختهم العمردة<sup>(٦)</sup> وكانوا يجمعون القبائل لحرب المسلمين.

هذه الأحداث أدت إلى ضعف أنصار الأشعث مما حدا به إلى جمع قبائل كندة ومهاجمة

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ١٤٠. (٢) الواقدي: الردة، ١٩١.

(٣) الواقدي: الردة، ١٩٢. (٤) الواقدي: الردة، ١٨٤.

(٥) ابن خياط: تاريخ ابن خياط، ١١٦. ابن حبيش، غزوات ابن حبيش، ١/١٣٥.

(٦) الواقدي: الردة، ١٨٩. ابن خياط: تاريخ ابن خياط، ١١٦. الطبري: تاريخ، ٢/٣٠٢. ابن حبيش،

غزوات ابن حبيش، ١/١٣٥.

زياد في مدينة تريم، فدارت بينهم وقائع عديدة وصل على إثرها المهاجر بن أبي أمية ممدًا لزياد بن لييد مما اضطر الأشعث إلى الانسحاب والاحتواء في حصن النَجِير وهو حصن منيع قرب حضرموت، وبدأ العمل على جمع القبائل التي لم تشارك معه من بني الحارث وحمير ومن معهم مما دعا زيادًا إلى الاستمداد بالخليفة مجددًا فأمده أبو بكر بعكرمة في سبعمائة فارس<sup>(١)</sup>.

فتمكن زياد من تشديد الحصار حتى نزل الأشعث يطلب الأمان<sup>(٢)</sup> ولما نزل الأشعث من حصنه أرسل به زياد ومعه ثمانون من زعماء كندة مع نهيك بن أوس الخزرجي الأنصاري، وبين يدي خليفة رسول الله أعلن الأشعث التوبة من الرفض والعودة إلى الطاعة والتزام الإسلام، فعفا عنه خليفة رسول الله بعد أن أعطاه الأشعث العهود والمواثيق على الوفاء ثم زوجه الصديق رضي الله عنه من أخته أم فروة بنت أبي قحافة رضي الله عنهم فأقام في المدينة، وروي أن الأشعث خطبها قبل ردة كندة<sup>(٣)</sup>.

وقال الأشعث بن مثناس السكوني يبكي أهل حصن النَجِير بعد هزيمتهم:

لعمري وما عمري علي بهين	لقد كنت بالقتلى لحق ضنين
فلا غرو إلا يوم أقرع بينهم	وما الدهر عندي بعدهم بأمين
فليت جنوب الناس تحت جنوبهم	ولم تمش أنثى بعدهم لجنين
وكنت كذات البو ريعت فأقبلت	على بوها إذ طربت بحنين <sup>(٤)</sup>

ولا شك أنه كما للحق أعوان وأنصار، فإن للباطل أتباعًا سيكونه لما يفقد المبطلون من زواله من نعم كانت تغدق عليهم؛ من أموال السحت ومن الرشاوى واستغلال الموقع

(١) ابن حبيش، غزوات ابن حبيش، ١/ ١٣٥. وذكر الواقدي أن عكرمة قدم بألفين من المسلمين.

(٢) الواقدي: الردة، ٢٠٧. ابن أعمش: الفتوح، ١/ ٨٣. ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٥٩.

(٣) الواقدي: الردة، ٢١١. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٦٩. ابن حبان، السيرة، ١/ ٤٣٨.

(٤) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٠٥.

والمكانة لتحقيق المكاسب الرخيصة على حساب الحق والمصلحة العامة، وهذا ظاهر للعيان في كل البلاد التي تحكمها السياسات القمعية والأهواء الشخصية، التي تخون أمانة المسؤولية فتسرق الضعفاء وتعطي الأتباع لتشبع النزعات والأهواء، دون النظر إلى ما يجلبونه على أممهم من البلاء والشر.

وبأسر الأشعث ومن معه من زعماء كندة تمكن زياد رضي الله عنه من القضاء على الردة في اليمن، تلك الردة التي لا تقل خطورتها عن ردة بني حنيفة في الجانب العسكري لكثرة ما سببت من متاعب للمسلمين، إلا أنه مما خفف من شرها أن الأشعث لم يتنبأ، فكان قتال أتباعه قتال مصالح وقتال حمية جاهلية، ولم يكن عن عقيدة رافضية حاقدة على المسلمين لمجرد إسلامهم.

ولكن المؤكد في تلك المواقف أنّ جميع حجج من حارب زياد بن ليبي رضي الله عنه من قبائل كندة كانت واهية وأن أهدافهم كانت سياسية مصلحة أو حمية جاهلية اتخذت من التذرع بمنع الزكاة ستارًا للتفلت من الخضوع لنظام الدولة الإسلامية، ومما يؤكد ذلك أن خليفة رسول الله حاول استرضاءهم وتحقيق كل مطالبهم لكنهم لجوا في الرفض والتمرد على الولاية.

كما أن المنهج الإسلامي يراعي التدرج في تحقيق أهدافه ومصالحه ولا يستشير أحدًا من الناس، والمنهج الاقتصادي في جمع الزكاة لا يعطي أي مسوغ لرفضه وإعلان العصيان على الدولة وذلك لرحمته ومسيرته لمن يؤدي الزكاة وكذلك لسمو مقاصده وأهدافه، يتضح ذلك المنهج في وصايا رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين أرسله إلى اليمن ومن ذلك قوله ﷺ: «فقل: إن الله فرض عليكم في أموالكم صدقة تؤخذ من أغنيائكم فترد إلى فقرائكم فإن أطاعوك فإياك وكرائم أموالهم»<sup>(١)</sup>. وتبين أن المسلمين اتبعوا هذا المنهج

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة، ح (١٤٢٥). الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٢٣٣.

دون أي زيادة أو نقصان فلم يجدوا أي ممانعة أو رفض من عامة الناس بعد أن سقط عنهم سلطان الزعامات الطامحة بالسلطة التي كانت تبحث عن أسباب الخلاف فإن لم تجدها صنعتها، وهذا هو شأن الرافضة في حب الفتن والتمرد على الجماعة في كل عصر ومصر.

واتضح في هذه الأحداث أن الردة لم تشمل جميع القبائل ولا جميع زعمائها، بل إن هناك الكثير من القبائل التي ثبت قسم من أبنائها على الدين رجالاً ونساء وزعماء وعامة، فكانوا عوناً عظيماً لجيوش الخلافة النبوية الراشدة، فكان منهم من يمثل قوة استطاع ورصد ودلالة، ومنهم من يقوم بالنصح لأقوامهم فيضعف انقيادهم لزعماء الردة، ومنهم من كان يجعل ماله وكل ما يملك لنصرة المجاهدين إلى غير ذلك من مواقف أسهمت في تقريب نتائج النصر والظفر وإصلاح الأمور بعد ذلك برتق ما يحل في تركيب القبائل من خلل، حيث إن عامة من عاد إلى الإسلام وجد من قومه أمامه من اتخذ موقعه في الصف الإسلامي وهو بانتظار إخوانه وأبناء قومه لتمكين موقعه بين المسلمين، وقسم آخر التحق بالرافضة إما جهلاً بمقاصد الإسلام ومهام وجيوش المسلمين، وإما حمية جاهلية، وإما ضعفاً أمام إغراءات الجاهلية وشهواتها، وتفلتاً من ضوابط الإسلام وقيمه السامية، أو تمسكاً بتحالفات جاهلية واتباعاً للرؤساء الباحثين عن مصالحهم وشهواتهم الخاصة الذين كثيراً ما قادوا أتباعهم إلى موارد الذل والهلاك إلى غير ذلك. ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴾<sup>(١)</sup>.

ولما كان المرتدون يدينون بحرب الكتاب والسنة وبغض الصحابة رضي الله عنهم وكراهية كل من يسمع لهم ويحبهم، كانوا هم الأخطر على الدين والأمة، وهذا ما كان يدركه خليفة رسول الله وجند الخلافة، لذلك لم يعد لهم من شاغل إلا القضاء على هذا الصنف الذي يدين بتدمير كل ما جاء به محمد ﷺ إما بالكفر به وإما بتحريفه وتزييف مقاصده، وقد اتضح هذه الحقيقة التي لا يدركها في هذا العصر الكثير من الغوغاء الذين امتطاهم أعداء

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.

الصحابة للقفز على ظهورهم إلى تمزيق صفوف السنة النبوية وطمس معالمها واستباحة أهلها، حتى أصبح هؤلاء الغوغاء دائماً هم الشر القريب الجاثم بين الديار، اتضح ذلك عندما أشغلوا الخلافة عن مهام الفتوح، وبذرهم بذور الفتن وبث روح التباعد وإذاعة البهتان على القادة والعلماء والمجاهدين، فكُونُوا من تلك المفاهيم فرق الموت والغدر التي طالت أيديها الأئمة الراشدين الثلاثة رضي الله عنهم، وأي جرم كإجرام الرافضة الذين يدينون بتقديس قاتل الفاروق وإمامة قاتل ذي النورين؟ وأي جهل وبلادة أو خيانة أعظم من بلادة أو خيانة من يُقبل تلك الأيدي الغادرة الفاجرة باسم العمل على نصرته الإسلام في هذا العصر!!

وبالقضاء على أخطار الرافضة المرتدين؛ واستقامة الأمة على سنة النبي الأمين ﷺ تجلّى فهم خليفة رسول الله الدقيق الصحيح للإسلام، وشدة غيرته على هذا الدين وعلى بقاءه تاماً على ما كان عليه في عهد نبيه ﷺ، اتضح ذلك في الكلمة التي فاض بها لسانه ونطق بها جنانه نوراً ومنهجاً، وهي الكلمة التي تساوي خطبة بليغة طويلة وكتاباً حافلاً، في موقفه الخالد عندما امتنعت كثير من القبائل عن دفع الزكاة إلى بيت المال أو منعوها مطلقاً وأنكروا فرضيتها تأثراً بما لبس عليهم من أوهام. وهي قوله رضي الله عنه: قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص الدين وأنا حي<sup>(١)</sup>؟

لقد كان موقف أبي بكر رضي الله عنه الذي لا هوادة فيه ولا مساومة ولا تنازل ضد الرافضة المرتدين موقفاً ملهماً من الله تعالى يرجع إليه الفضل الأكبر بعد الله تعالى في سلامة هذا الدين وبقائه على نقائه وصفاته وأصالته، وقد أقر الجميع وشهد التاريخ بأن أبا بكر رضي الله عنه قد وقف في مواجهة الردة الطاغية ومحاولة نقض عرى الإسلام عروة عروة موقف الأنبياء والرسل في عصورهم مع أممهم، وهذه الخلافة النبوية التي أدى أبو بكر رضي الله عنه حقها، واستحق بها ثناء المسلمين ومحبتهم إلى أن يرث الله الأرض

(١) ينظر: أبو الحسن الندوي: المرتضى، ٧٠.

وأهلها<sup>(١)</sup>.

إن موقف خليفة رسول الله من المرتدين أصبح هو العلامة على الإيمان بالسنة النبوية أو الكفر بها، فمن آمن بالكتاب والسنة وجب عليه الاقتداء بمواقف أبي بكر والسير على منهجه في العمل على حفظ السنة والتمسك بها والدفاع عنها ضد أعداء الصحابة وأصناف المشركين.

ومن رفض السنة ثبتت رذته وحربه للدين ووجب البراءة منه والحذر من جميع مخططاته لما تحمل في طياتها من مخاطر الغدر المدمر للإسلام وأهله، فأصبح الشعار المستقى من موقف الخلافة الراشدة من المرتدين هو: إما كتاب الله والسنة وخليفة رسول الله والصحابة رضي الله عنهم، وإما مسيلمة الكذاب وابن سبأ والمرتدون، وما في ذلك من الطواغيت والظلمات والبهتان. قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فمن يوالي السنة النبوية وحملتها وحماتها رضي الله عنهم لا يمكن أن يوالي أعداءها تحت أي ذريعة كانت لأن جمع المتناقضات من المحال، كما أن العبودية لله لا تكون بشتم الصحابة وأمتهم، بالادعاء بأن خيري البشر سيرة وسريرة بعد رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما صنما قريش، ولا بتأليه المراجع والاعتقاد فيهم أنهم هم المتصرفون في هذا الوجود المشرعون من دون الله. ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فاتضح من كل ما سبق الدور الهائل والأثر الفاعل الذي قام به خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ حيث تمكن بفضل الله تعالى من سحق الردة

(١) أبو الحسن الندوي: المرتضى، ٧٢. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٧.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.

وأعوانها، ونصر الكتاب والسنة وتثبيت أركان الدين كما جاء به رسول الله ﷺ، وهذه نعمة ما زالت الأمة تستقي من معينها الصافي روح التوحيد والعبادة الحقة لله رب العالمين، وتستمد سبل صناعة الحضارة الإنسانية العالمية، وبناء الدولة الراشدة على أسس من العدل والمساواة وحفظ الحقوق والأمن، ومن تلك المواقف يتعلم المؤمنون وسائل حشد الطاقات لحماية العقيدة والأمة وسنة النبي ﷺ ومنهجه وتعاليمه كما جاء بها ﷺ دون تحريف أو تغيير أو رفض.

فهل من عبرة بعد كل ما سبق ذكره، بأن هذا الدين له أنصار يفتدونه بأرواحهم وأموالهم وكل ما يملكون، وأنه وإن تجمع ضده رافضو التوحيد وكثير من الفرائض مع إخوانهم المرتدين الخارجين من حصن العقيدة وقلعة الأمة؛ ليمدوا أيديهم الأئمة إلى أعداء هذا الدين فيعيشوا في الأمة تميزاً وفتناً وتشيدياً وهدماً وتخريباً، وأن كل ما يفعلونه لن يغير من الحقيقة شيئاً وهي أن من يرفض خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إنما يعث بهوية الأمة ووحدتها وسلامة عقيدتها وأنه بالضرورة حليف مع كل من يناصبها العداوة والبغضاء.

فهل يمكن أن يقف كل منا لينظر أين موقعه من خلافة النبوة؟ وما هي صلاته بأعدائها وبمن يواليهم؟ وأين مكانة العقيدة والسنة النبوية في ضميره؟ وما هي صلته بأهلها؟ وما هي رؤيته لكل ما قام به الصحابة من جهاد وعطاء وتضحية لحفظ الإسلام من كيد الماكرين وردة المرتدين؟ وما هو موقفه من شعار خليفة رسول الله القائل: أينقص الدين وأنا حي؟ ثم ما هو الموقف العام من استنصار خليفة رسول الله جموع المؤمنين لحماية الأمة وعقيدتها وهويتها، فإن كان لا بد من تحديد الموقف من كل هذا، فلينظر كل منا إلى ما يقوم به من عبادات وإلى ما يحفظ ويعرف من ثقافات وما يتناول من مأكولات وملبوسات وإلى ما يركب ويشاهد ويسمع فيفرح ويألم، فإذا عرف مصادر وضوابط كل ذلك ووجدها على الوجه المشروع، فليثبت وليستبشر لأنه بلا شك في نفي خليفة رسول الله وتحت رايته المؤيدة المنصورة، ذلك القائد الإمام الذي صدق فيه قول القائل الذي سبق ذكره فيما مضى:

والله لا يدرك أيامه      ذو منزر حاف ولا ذو رداء  
من يسع كي يدرك أيامه      يجتهد الشد بأرض فضاء



## الفصل السابع

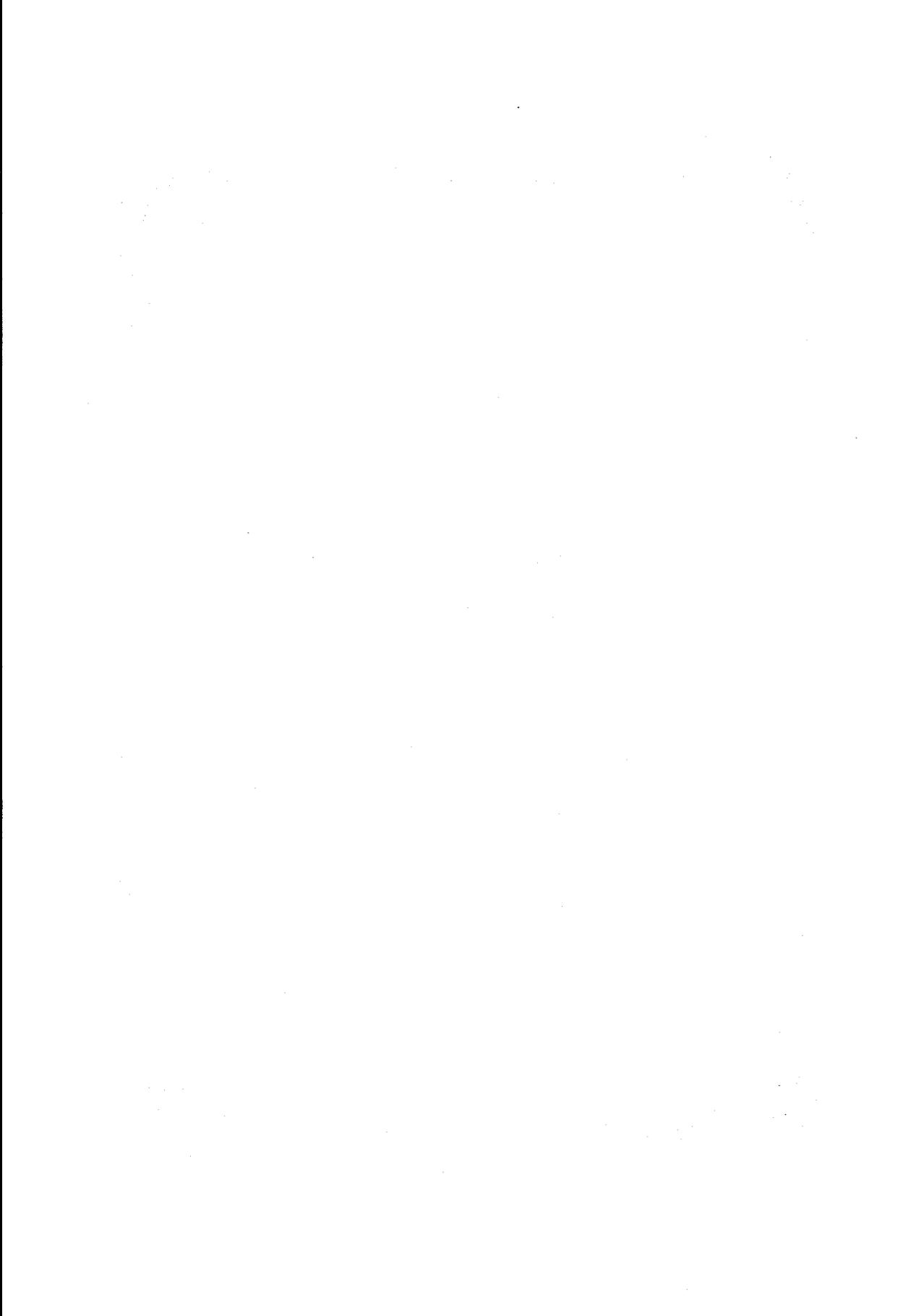
فتوح العراق والشام

في عصر خليفة رسول الله ﷺ  
أبي بكر الصديق رضي الله عنه

المبحث الأول: فتوح العراق في عصر خليفة رسول الله أبي بكر  
الصديق رضي الله عنه.

المبحث الثاني: فتوح الشام في عصر خليفة رسول الله أبي بكر الصديق  
رضي الله عنه.

المبحث الثالث: عهد الصديق إلى الفاروق بالخلافة ووفاته  
رضي الله عنه.



## المبحث الأول

### فتوح العراق في عصر خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه

كان خليفة رسول الله طاقة من العطاء الدائم لا يكل ولا يمل، ولا يداري ولا يماري ولا يبالي بمن يغضب أو يرضى، ولا بمن كثر عدده أو قل، ولا بمن طغت قوته أو هزلت، همه الأول نشر عقيدة التوحيد وأن يعيش الناس تحت ظلالها بلا ظلم ولا تظالم، فمنذ اليوم الذي أسلم فيه حمل راية الإسلام وأخذ يرفعها في كل اتجاه ومكان تقع عليه قدماه، فكان رضي الله عنه كالشهاب في السماء نورًا وقوة وعطاء، لم يتردد ولم يتلعثم في موقف من مواقف المحن التي أصابت المسلمين قبل وفاة نبيهم ﷺ وبعدها، وما إن فرغ من الرافضة المرتدين الذين أشغلوا الخلافة شهرًا عديدة في تتبع مراجعها المتنبئين الذين يضلون ولا يهدون ويأخذون ولا يعطون، وينشرون حب الفتن والتعدي على الجار والطعن في العقيدة وفي رجالها الأخيار، فما إن تمكن المؤمنون من الإجهاز على تلك الحركات المخربة الهدامة حتى تفرغ خليفة رسول الله إلى الأهداف الكبرى التي كان يتطلع إليها رسول الله ﷺ المتمثلة في إزاحة طغيان الفرس المجوس والصلبيين الروم عن الناس، وإزاحة بغيهم السياسي والعسكري وشركهم ووثنياتهم ومعتقداتهم الضالة، وإحلال الإيمان بالله وتوحيد العبودية له، وتحرير العباد والبلاد من أوامم الوثنية وعقائد المجوسية القائمة على عبادة العباد للعباد وطغيان القوي على الضعيف بلا رحمة ولا وازع من ضمير.

وتمكن خليفة رسول الله من رسم أكبر خطة يضعها قائد عسكري لمباشرة الفتوح ونشر الإسلام بمعانيه ومفاهيمه وضوابطه السامية، وكل ذلك بجرأة عظيمة لا مثيل لها تعبر عن مدى الثقة المطلقة التي يستمدّها من مفاهيم قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ويتبين من دراسة الخطة التي وضعها الصديق في سياسته الخارجية أن هدفها هو امتثال أوامر الله تعالى وتعاليم النبوة في وجوب مواصلة الجهاد ونشر الإسلام في جميع الاتجاهات والوسائل. قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومواصلة ما بدأه الرسول ﷺ بمكاتبة الملوك والزعماء الذين عاصروه ﷺ تحت ظلال قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. وترجمة تلك الرسائل إلى واقع تطبيقي على الأرض. فكان على الصديق أن يواصل جهاده، إلى حيث وصلت تلك المكاتبات ليتم ما بدأه رسول الله ﷺ في التبليغ والجهاد ويستنفر أمة النبي ﷺ من أجل تحقيق ذلك، مستهدياً بقوله تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

ولم يكن من أهداف الجهاد في يوم من الأيام الكسب المادي أو العسكري؛ إنما كان وما زال الهدف الأول هو نشر كلمة التوحيد في الأرض وجعلها محور التقاء الحضارات

- |                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة التوبة، الآية: ٣٣.  | (٢) سورة الحج، الآية: ٧٨.     |
| (٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٣. | (٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٤. |
| (٥) سورة التوبة، الآية: ٤١.  |                               |

وبناء الأمة، وكان إسلام الناس أحب إلى قلوب المؤمنين من الدنيا وما فيها، قال ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»<sup>(١)</sup>. وكان الموت في سبيل الله أحب إليهم من الحياة وما فيها من المطامع والشهوات، فمثل هؤلاء مقاصدهم أكبر من الحصول على الغنائم، أو أن يحيوا حياة الترف والنعيم، ولا أدل على ذلك من أن أهل الحيرة حينما خيرهم خالد بن الوليد بين الإسلام والجزية فاختاروا الجزية! قال لهم خالد مستنكراً: تَبَّأَ لَكُمْ، إن الكفر فلاة مضملة فأحمق العرب من سلكها<sup>(٢)</sup>.

فلو كان الحصول على الغنائم مما يفرح له المسلمون لرحبوا بالجزية التي قبل أهل الحيرة دفعها، ولكنهم بدلاً من ذلك حرصوا على نصيحة القوم، وإرشادهم لما فيه خيرهم، ولو كان في ذلك حرمانهم من الأموال التي كانوا سيدفعونها إليهم صاغرين.

كما أن الجهاد في سبيل نشر الدعوة واجب على جماعة المسلمين على أن يكون ذلك عن إيمان وقناعة بمقاصد الجهاد، ولذلك أمر الصديق رضي الله عنه خالدًا عند مسيره إلى العراق ألا يكره أحدًا على المسير معه، وألا يخرج معه إلا من كانت له نية خالصة في الجهاد. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. وبعدما تحمله المسلمون من ثمن باهظ في مجاهدة المرتدين، كان عليهم أن يحرصوا أشد الحرص على التمسك بأسباب النصر ولا سيما أنهم سيلتقون جيوش أمة قوية البأس، شديدة البطش، لا يصلح في نزالها إلا من كان استعداده للجهاد كاملاً ورغبته في الموت في سبيل الله أقوى من رغبته في الحياة.

ولهذا لم يسمح خليفة رسول الله لحديشي العهد بالردة الذين لم تمتحن توبتهم بعد بالخروج مع المؤمنين للجهاد في سبيل الله، لأن مثل هؤلاء أخطر على المؤمنين من

(١) صحيح البخاري: ح (٣٤٩٨). (٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٣٤٣.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

أعدائهم، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا لَكُمْ خَزْفًا يَعْصُونَكُم مِّنْ أَلْفِنَةٍ﴾<sup>(١)</sup>. فقد يفر هؤلاء من الزحف، حرصًا على الحياة، وخوفًا من الشهادة في سبيل الله التي يبحث عنها المؤمنون وتمثل لهم هدفًا ساميًا يتركون من أجله المال والولد.

وكان في أمر خليفة رسول الله لخالد رضي الله عنهما بأن يستصحب معه كل مسلم يمرّ به في طريقه من اليمامة إلى العراق - كثير من الحكم، منها: تعويدهم العمل والجهاد في سبيل الله لصقل إيمانهم وتنقية نواياهم، وتدريبهم على العمل العسكري وخوض المعارك الكبرى، الذي يجب أن يتقنه كل مسلم في كل مكان وزمان، وأيضًا لحشد طاقاتهم مع طاقات المجاهدين ليكونوا جميعًا يداً واحدة تصد الشرك وطغيان الجاهلية.

ومع أن الإسلام قائم على السلم والحوار والدعوة والمجادلة والتي هي أحسن ضمن مفاهيم قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٢)</sup>. فإن المسلمين أمروا أن يتخذوا أقصى درجات الاستعداد والحذر من المشركين بكل أصنافهم ولا سيما أعداء الصحابة، لأنهم لا دين لهم يحجزهم عن الظلم، ولا قيم تضبطهم عن ممارسة الحرام ونقض العهود، وإنما هي الأهواء التي تسيرها الشهوة والمصلحة، ووسائل الخداع والغش التي يتعاملون بها مع هذه الأمة وعقيدتها، قال تعالى: ﴿يُحَدِّثُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾<sup>(٣)</sup>. وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>. أما الجهاد فقد كان هدفًا واضحًا منذ الساعة الأولى لتولي خليفة رسول الله الأمر بعد وفاة النبي ﷺ حيث جاء في أول خطبة له التأكيد عليه. فقال: «لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم بالبلاء»<sup>(٥)</sup>. وبعد أن طويت صفحة الردة آنذاك، وفرغ المسلمون من فتن الرفضة المرتدين استقر الرأي على مواصلة الجهاد ضد الطغيان المجوسي الفارسي الذي كان

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٧.

(٤) سورة النساء الآية: ٧١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٩.

(٥) ابن حبان: الثقات، ٢/١٥٧. سيرة ابن حبان، ١/٤٢٠.

يمد هؤلاء بوسائل الردة والعصيان والتمرد، فعمل ﷺ على توجيه الجيوش إلى تلك الأمة الحاقدة على كل ما له صلة بالإسلام عقيدة ولغة وأمة وأرضاً ورموزاً، إلا من رحم الله منهم ممن آمن من الفرس بسنة النبي ﷺ واقتدى بالخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وما إن فرغ سيف الله رضي الله عنه من حليفهم الطبيعي مسيلمة الكذاب، حتى جاءه الأمر بالتوجه إلى بلاد العراق لدعوة المجوس إلى الإسلام أو ملاحقتهم في عقر دارهم لإطفاء نار الشرك والحقد التي يدينون بها، وإعلان التوحيد لله تعالى فيها. وقد نفذ خالد توجيهات الخلافة بطاعة مطلقة وعزم لا يلين حتى كسر شوكة المجوس الذين ما زال إخوانهم يحملون الحقد على سيف الله خالد رضي الله عنه الذي أطفأ نارهم وزلزل ملكهم، وما زال حقدهم على جميع أبناء أمته من العرب وكل من يدين لله تعالى بسنة الرسول ﷺ، وذلك أن خالدًا قد كسر شوكتهم وزرع الرعب في قلوبهم وأظهر زيف دينهم، قبل أن يؤمر بالتوجه إلى مجابهة الروم الصليبيين في الشام.

فكانت طلائع الفاتحين قد سارت إلى أهدافها في جيشين، أحدهما بقيادة خالد رضي الله عنه والآخر بقيادة عياض بن غنم رضي الله عنه. ولما سار خالد رضي الله عنه كتب إليه خليفة رسول الله كتابًا فيه من الوصايا والتوجيهات التي يعجز عن تقديمها أدهى قادة الجيوش مما كان له أجمل الوقع في نفس خالد رضي الله عنه الذي كان أولى الناس بفقده كل ما يتعلق بالتخطيط العسكري. فجاء في ذلك الكتاب: «سر على بركة الله، فإذا دخلت أرض العدو فكن بعيدًا عن الحملة، فإني لا آمن عليك الجولة، واستظهر بالزاد، وسر بالأدلاء، ولا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه.. وأقل من الكلام، فإنما لك ما وعي منك، واقبل من الناس علانيتهم، وكلهم إلى الله في سرائرهم، وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه... وإذا قدمت إليك وفود العجم فأنزلهم وأسبغ عليهم النفقة، وامنع الناس عن مجادلتهم ليخرجوا جاهلين، كما دخلوا جاهلين، ولا تُلحَنَّ في عقوبة فإن أدناها وجع، ولا تسرعن إليها وأنت تكتفي بغيرها»<sup>(١)</sup>. ولا شك أن هذه الوصية تنبئ عن عميق فهم أبي بكر لروح القيادة وفن

(١) الشرفاوي: الصديق أول الخلفاء، ١٢٤.

التعامل مع الجند ومع الأحداث ومع العدو في جميع الأحوال، ولا أدل على ذلك من أن سيف الله القائد الميداني لم يخالف شيئاً مما كان يوصي به خليفة رسول الله لا في هذه المرحلة ولا بعدها وما ذلك إلا لأن سيف الله كان يذوق في تلك الوصايا أصالة القيادة وانفساح رؤيتها إلى آفاق الأحداث المتوقعة ودقة تشخيصها لمجريات الوقائع التي كان يمر بها المسلمون وهم يشيدون بناء دولتهم التي علمت أحرار البشرية كيف يكون التعامل المسؤول مع الأنصار والأعداء والخصوم فلكل قواعده وضوابطه بلا إسراف ولا انتهازية كما هي عليه أخلاق المتغلبين في هذا العصر الذي استعلى به حلف اليهود وتلامذتهم الرافضة على أهل السنة النبوية المستضعفين بين العلمانيين والمرتدين وحلفائهم الآخرين.

وكانت متابعة خليفة رسول الله لجنده متواصلة تلحظ كل ما يجري حولهم أو أمامهم فيزودهم بما ينير لهم الطريق ويختصر عليهم وسائل الوصول إلى النصر، ومثلما كتب لسيف الله كتب لغيره لكل بما يوافق الموقف الذي هو فيه، فكتب إلى عياض أيضاً أن يقصد العراق ويبدأ بالمصيخ ويدخل العراق من أعلاه ويسير حتى يلقي خالدًا، وكان المثنى بن حارثة الشيباني قد استأذن أبا بكر أن يغزو العراق فأذن له فكان يغزوهم قبل قدوم خالد رضي الله عنه، وأمر أبو بكر رضي الله عنه خالدًا وعياضًا أن يستنفرا من قاتل أهل الردة، وألا يغزواً معهما مرتد ففعلا.

ومما يؤكد معرفة خليفة رسول الله الباهرة بالرجال وبتقدير الأحداث ودقة تشخيصه لها ما قام به من إمداد خالد رضي الله عنه حين طلب منه ذلك، فأمده برجل واحد هو القعقاع بن عمرو التميمي الذي صدق فإسرة خليفة رسول الله، وكأن كل ما فعله القعقاع كان يقرؤه فيه خليفة رسول الله قبل ذلك تأكد ذلك في أعماله الباهرة التي مثل فيها الجرأة والإقدام أعظم تمثيل، ولا سيما يوم القادسية، بعد وفاة خليفة رسول الله، وقد قيل لأبي بكر رضي الله عنه: أتمد خالدًا برجل واحد؟ فقال: لا يهزم جيش فيه مثل هذا. يعني القعقاع بن عمرو<sup>(١)</sup>، فأكدت

(١) تاريخ الطبري، ٣/٣٤٧.

الأحداث صدق فراسة الصديق في اختياره للقعقاع كمدد وحده، فقد حدث عندما التقى الفريقان بالحفير<sup>(١)</sup> أن ترجل هرمل قائد الفرس ودعا إلى النزال بعد أن أضمر الغدر بخالد رضي الله عنه كما هي أخلاق المجوس وتلامذتهم على مر العصور، فترجل خالد وتقدم إليه، فاشتبك في الصراع، واحتضنه خالد في الوقت الذي أقبلت حامية الهرمزل نصرته، وهنا حمل القعقاع عليها حملة صادقة فقتل عليها في الوقت الذي انتهى فيه خالد من قتل عدوه فأفشل مكيدة الفرس الغادرة فانهمزوا وغنم المسلمون منهم وقر ألف بعير<sup>(٢)</sup> وكان ذلك في معركة ذات السلاسل<sup>(٣)</sup>.

وأمد خليفة رسول الله عياضاً أيضاً برجل واحد هو عبد بن يغوث الحميري. وكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى المشنى وقادة آخرين أن يلحقوا بخالد بالأبلة، فتأكد في كل ذلك فراسة خليفة رسول الله وسعة معرفته بالرجال ودقة تشخيصه للأحداث وعميق توكله على الله في كل ذلك، فتبين لكل مؤمن أن النصر من عند الله تعالى وأن أهل الإيمان إن صدقوا لا تغلبهم قوة على وجه الأرض. قال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(٤)</sup>. و﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

وكان مسير خالد إلى العراق في سنة اثنتي عشرة، وفيها كانت موقعة ذات السلاسل وروي أنه سار من اليمامة إلى العراق. وقيل: بل قدم المدينة من اليمامة فسيره أبو بكر رضي الله عنه إلى العراق، فسار حتى نزل بانقيا وباروسما وأليس وصالحه أهلها، ثم سار حتى نزل الحيرة

- (١) الحفير: أول منزل من البصرة لمن يريد مكة. معجم البلدان، ٣/٣٠٣. وهو من أقوى مناطق الفرس وأشدّها شوكة وكان صاحبه هرمل يحارب العرب في البر، والهند في البحر.
- (٢) البداية والنهاية ٦/٣٤٤ تاريخ الطبري: ٣/٣٤٨، ابن الأثير: الكامل ٢/٢٦٣.
- (٣) سميت المعركة بذات السلاسل؛ لأن الفرس قيدوا جنودهم فيها بالسلاسل لئلا يفروا عند اللقاء، فكان ذلك من أهم أسباب هزيمتهم، لما أحدثه الفارّون في النهاية من ارتباك في صفوف الجيش حينما عجزوا عن المقاومة وحاقت بهم الهزيمة.
- (٤) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦. (٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

فخرج إليه أشرافها فصالحهم على تسعين ألف درهم، فكانت أول جزية أخذت من الفرس في الإسلام هي والقريات التي صالح عليها، لأن بعض رعايا المناذرة كانوا فلاحين من الفرس.

وقيل: إنما أمره أبو بكر رضي الله عنه أن يبدأ بالأبلة أي من الشرق، وكتب إلى عياض بن غنم أن يقصد العراق ويبدأ بالمصيخ ويدخل العراق من أعلاه أي من الغرب ويسير حتى يلقي خالدًا، وكانت نقطة لقائهما هي الحيرة في وسط العراق فكانت خطة خليفة رسول الله وكان المثنى بن حارثة الشيباني قد استأذن أبا بكر أن يغزو بالعراق فأذن له، فكان يغزوهم قبل قدوم خالد، وأمر أبو بكر خالدًا وعياضًا أن يستنفرا من قاتل أهل الردة وألا يغزوا معهما مرتد، وكتب أبو بكر إلى المثنى وحرمله ومذعور وسلمى أن يلحقوا بخالد بالأبلة. فقدم خالد معه عشرة آلاف من الصحابة والتابعين، وكان مع المثنى وأصحابه ثمانية آلاف، فبلغ مجموع جيش المسلمين ثمانية عشر ألف رجل من الصحابة والتابعين الذين لا تهزم لهم راية؛ لثقتهم بالله وبقينهم بأن النصر منه وحده ولا استعدادهم الكبير للعطاء والتضحية لنصرة دينهم.

ولما قدم خالد فرّق جنده ثلاث فرق ولم يحملهم على طريق واحد، وجعل على مقدمته المثنى وبعده عدي بن حاتم وجاء خالد بعدهما، ووعدهما الحفير ليصادموا عدوهم، وكان ذلك الفرج أعظم فروج فارس وأشدّها شوكة، فكان صاحبه أسوار اسمه هرمز، فكان يحارب العرب في البر، والهند في البحر. فلما سمع هرمز بهم كتب إلى أردشير الملك بالخبر وتعجل هو إلى الكواظم في سرعان أصحابه، فسمع أنهم تواعدوا الحفير، فسبقهم إليه ونزل به وجعل على مقدمته قباذ وأنوشجان، وكانا من أولاد أردشير الأكبر، واقتربوا في السلاسل لثلاث يفروا فسمع بهم خالد فمال بالناس إلى كاظمة، فسبقه هرمز إليها، وكان هرمز سيئ المجاورة للعرب فكلهم عليه حنق، وكانوا يضربونه مثلاً فيقولون: أكفر من هرمز، لغدره وعدوانه.

وقدم خالد فنزل على غير ماء فقال له أصحابه في ذلك: ما تفعل؟ فقال لهم: لعمرى ليصيرن الماء لأصبر الفريقين، فحطوا أثقالهم، وتقدم خالد إلى الفرس فلاقاهم، وأرسل الله سبحانه

سحابة فأغدرت وراء صف المسلمين فقويت قلوبهم، فخرج هرمز ودعا خالدًا إلى البراز بعد أن تواطأ مع أصحابه على الغدر بخالد رضي الله عنه فبرز إليه خالد ومشى نحوه راجلاً، ونزل هرمز أيضًا وتضاربا، فاحتضنه خالد، وحمل أصحاب هرمز الذين تواطؤوا معه على الغدر، فما شغل ذلك خالدًا عن قتله، وحمل القعقاع بن عمرو على الغادرين قبل وصولهم إلى خالد وحمل المسلمون من وراء القعقاع على المجوس فأناموهم، وانهزم الفرس وركبهم المسلمون، وسميت الواقعة ذات السلاسل، ونجا قباذ وأنوشجان، وأخذ خالد سلب هرمز وكانت قلمسوته بمائة ألف؛ لأنه كان قد تم مكانته في الفرس، وكانت هذه عادتهم، إذا تم أحدهم تكون قلمسوته بمائة ألف. وبعث خالد بالفتح والأخماس إلى خليفة رسول الله<sup>(١)</sup>.

### واقعة المذار ١٢ هـ:

وكانت في صفر سنة اثنتي عشرة. ويقال لها: واقعة الثني، وهو النهر الذي كانت عليه المعركة والعرب تقول للنهر الثني، قال ابن جرير: ويومئذ قال الناس: صفرُ الأصفار، فيه يقتل كل جبار، على مجمع الأنهار. وكان سببها أن هرمزًا كان قد كتب إلى أردشير وشيري، بقدم خالد نحوه من اليمامة، فبعث إليه كسرى بمدد مع أمير يقال له: قارن بن قريانس، فلم يصل إلى هرمز حتى كان من أمره مع خالد ما تقدم وفرّ من فرّ من الفرس، فتلقاهم قارن، فالتفوا عليه فتذا مروا واتفقوا على العود إلى خالد، فساروا إلى موضع يقال له: المذار، وعلى مجنبتَي قارن قباذ وأنوشجان، فلما انتهى الخبر إلى خالد، قسم ما كان معه من أربعة أخماس غنيمة يوم ذات السلاسل وأرسل إلى الصديق بخبره مع الوليد بن عقبة، وسار خالد بمن معه من الجيوش حتى نزل على المذار، وهو على تعبته، فاقتتلوا قتال حنق وحفيظة، وخرج قارن يدعو إلى البراز فبرز إليه خالد وابتدره الشجعان من الأمراء فقتل معقل بن الأعشى بن النباش قارنًا، وقتل عدي بن حاتم قباذ، وقتل عاصم أنوشجان، وفرت الفرس وركبهم

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٦١ - ٢٦٣. ابن حبان: سيرة ابن حبان، ١/٤٢٧. ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٣٣٨.

المسلمون في ظهورهم فقتلوا منهم يومئذ ثلاثين ألفاً وغرق كثير منهم في الأنهار والمياه، وأقام خالد بالمدار وسلم الأسلاب إلى من قتل، وكان قارن قد انتهى شرفه في أبناء فارس. وجمع خالد بقية الغنيمة وخمسها، وبعث بالخمس والفتح والبشارة إلى خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه مع سعيد بن النعمان، أخي بني عدي بن كعب، وأقام خالد رضي الله عنه هناك حتى قسم أربعة الأخماس وسبى ذراري من حصره من المقاتلة، دون الفلاحين فإنه أقرهم بالجزية، وكان في هذا السبي حبيب أبو الحسن البصري وكان نصرانياً، وغيره. ثم أمر على الجند سعيد بن النعمان وعلى الجزية سويد بن مقرن، وأمره أن ينزل الحفير ليحبي إليه الأموال وأقام خالد يتحسس الأخبار عن الأعداء المجوس<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الواقعة ظهرت بطولات فرسان العرب المسلمين بأقصى ما تظهر به بطولات الرجال، بل وصل ذلك إلى حد التنافس على الشهادة لإيقاع أكبر قدر ممكن من الخسائر في صفوف جبابرة عبدة النار، الذين كانوا يستعبدون الضعفاء ولا يرحمون أشرف الناس إذا وقعوا في أيديهم، وهذه هي أخلاق من لا قيم لهم ولا كرامة، لأن الأشراف إذا ملكوا غفروا والكرام إذا قدروا عفوا وسامحوا، واللثام إذا تمكنوا غدروا وأسرفوا وتشفوا بالضعيف، وهذا خلق المجوس وأذنبهم على مرّ السنين، فكم قتلوا من ملوك الحيرة الذين كانوا حلفاء لهم، وكم نهبوا من أموالهم وأسرفوا في التعدي عليهم، وكم غدروا بالمسلمين ولو لم يكن من أفعالهم سوى دعوتهم لهولاكو إلى بغداد وقتل أهل السنة آنذاك ٦٥٦ هـ، ودعوتهم للصليبيين لتدمير بغداد ثانية عام ١٤٢٣ هـ والتشفي بقتل أهل السنة الذين ما زالوا يعتقدون واهمين أن عبيد الغزاة إخوانهم وأنهم جزء من الأمة، فكانت وقعة المدار شمساً أشرقت في ربوع عراق الإسلام والسنة آنذاك جلبت له نور العدل والكرامة، وأزالت عنه ظلم المجوس وأعوانهم الذين ما زال بغضهم لأصحاب رسول الله يوقد في صدورهم نار الحقد على الإسلام وأمة العرب التي حملته وبلغته للناس في مشارق الأرض ومغاربها.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٣٣٨.

## معركة الوجة ١٢هـ:

ثم كان أمر الوجة في صفر أيضًا من هذه السنة، وذلك لما انتهى الخبر بما كان بالمدار من قبل قارن وأصحابه إلى أردشير وهو ملك الفرس يومئذٍ وهزيمة جنده على أيدي العرب المسلمين، بعث أميرًا شجاعًا يقال له الأندرزغر، وكان من أبناء السواد ولد بالمدائن ونشأ بها وأمه بجيش آخر مع أمير يقال له بهمن جاذويه، فساروا حتى بلغوا مكانًا يقال له: الوجة، وهي مما يلي كسكر، فسمع بهم خالد فسار بمن معه من الجنود ووصى من استخلفه هناك بالحذر الشديد، فلما أتم الفرس استعداداتهم وتمت لهم جمعهم، قرروا مهاجمة المسلمين، وبعد أن استطلع خالد وجنده أرض المعركة رأى أن يهاجم الفرس من ثلاث جهات لكي يجهز عليهم مرة واحدة، فكان هو على جيش يواجه المجوس وأخفى كمينين من جنده على يمين مكان المعركة وشمالها لكي يفاجؤوا العدو ويدخلوا عليه عنصر المباغته لتكون المعركة حاسمة فنازل أندرزغر ومن معه بالوجة، فاقتتلوا قتالًا شديدًا هو أشد مما قبله، حتى ظن الفريقان أن الصبر قد فرغ، فما كان إلا يسيرًا حتى خرج الكمينان من ههنا ومن ههنا، فانقضوا على العدو، وفرت صفوف الأعاجم لهول المباغته فأخذهم خالد من أمامهم والكمينان من ورائهم، فلم يعرف رجل منهم مقتل صاحبه، وهرب الأندرزغر من الواقعة فمات عطشًا، وقتل منهم سبعون ألفًا، وقام خالد في الناس خطيبًا فرغبهم في بلاد الأعاجم وزهدهم في بلاد العرب وقال: ألا ترون ما ههنا من الأطمعة؟ وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في سبيل الله والدعاء إلى الإسلام ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نقاتل على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن أثاقل عما أنتم عليه.

ثم خمس الغنيمة، وقسم أربعة أخماسها بين الغانمين، وبعث الخمس إلى الصديق، وأسر من ذراري المقاتلة، وأقر الفلاحين بالجزية. وبارز خالد يوم الوجة رجلًا من الأعاجم يعدل بألف رجل فقتله، ثم اتكأ عليه وأتى بغدائه فأكله وهو متكئ عليه بين الصفيين<sup>(١)</sup>.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٤٠.

وفي هذه المشاهد الإيمانية الخالدة تتضح كم هي ثمرة وحدة العرب تحت ظلال عقيدتهم وأنهم حينما يجتمعون على هذه العقيدة، فإنه لا توجد هناك قوة على وجه الأرض بإمكانها أن تغلبهم، مهما بلغ تعدادها أو قوتها ومهارتها، لأن العرب إذا اجتمعوا على عقيدتهم فإنه ستقاتل معهم كل قوى الخير، لأنهم لا يسعون في زمن قوتهم إلا إلى الخير والسلام، فلا يغدرون ولا يمثلون ولا يتشفون بالضعيف كما يفعل أعداء الصحابة في هذا العصر، وفي كل عصر تظهر لهم فيه قوة بغفلة من أهل الإسلام إلى حين.

وفي خطبة سيف الله رضي الله عنه إشارات لجنده، بأنكم تطلبون الجنة في جهادكم للمشركين فمنّ الله عليكم بنعم كثيرة تقبضونها بعد كل معركة، ومنها هذا الخير الذي أنتم فيه، فلو وزن هذا بما عليه أهل البوادي لكان البون شاسعاً، فعجباً لمن يرضى بالدينية والقلة والفاقة، ولا يعمل على تغيير ما هو عليه من حال، فإن كانت هذه هي النعم العاجلة فكيف بكم إن صبرتم وواصلتم جهادكم بجنة عرضها السماوات والأرض؟ فكانت خطبته تسمو بنفوس المؤمنين إلى نعيم الجنان الذي لا يزول، وأن عليهم شكر هذه النعم العاجلة التي منّ الله بها عليهم، على ألا تشغلهم عن طلب الجنة التي لا يزول نعيمها، وأن أولى الناس بها هم المجاهدون الصابرون.

وفي موقف خالد رضي الله عنه من بطل الفرس وسرعة قتله له دون أن يمهل له لجولة أو جولتين ومن ثم تلك الجرأة الهائلة التي أراد أن يريها للفرس حين تناول طعامه بين الصفين وهو متكئ على فارسهم الذي كانوا يعدلونه بجيش وحده؛ ما يوضح كم هي عالية عزيمة المؤمنين وكم هي جرأة أصحاب رسول الله ﷺ الذين يضعون الشدة في موضعها والرحمة في موضعها لا يخلطون بين موضع السيف وموضع الندى؛ إذ لكل منهما مكانه ووقته، فحققوا بذلك التوازن الذي كان عليه هديهم الانتصارات التي أذلت الجبابرة وأنصفت الضعفاء وحمّت العقيدة ونشرت العدل والأمن في كل مكان تحل به جيوشهم.

## وقعة أليس وأمغيشيا:

بعد أن حقق سيف الله وإخوانه المجاهدون النصر المؤزر يوم الولجة، كان من غرائبه تعاون بعض نصارى العرب مع الفرس، ولعل هذا يؤكد ما يفعله بعض أعداء الصحابة من العرب في هذا العصر وكيف يبيعون بلادهم ويستبيحون أهلها ليؤكدوا تعاونهم مع الغزاة والمحتلين، لكن الصحابة رضي الله عنهم بقيادة سيف الله لم تأخذهم فيهم لومة لائم فجعلوهم عبرة لكل من يخون أمته، وإن كان أهل الخيانة نادرًا ما يتعظون من موقف واحد لذلك كاتب قوم الذين قُتلوا من نصارى بني بكر بن وائل الفرس ليتعاونوا معهم على الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فأجابهم الفرس الذين يمتنون صنعة شراء النفوس الرخيصة لمحاربة الإسلام منذ ذلك التاريخ فاجتمعوا على أليس وهي على الفرات، وعلى نصارى العرب عبد الأسود العجلي، وعلى الفرس جابان.

ومن اللافت أن خالدًا رضي الله عنه طلب مبارزة العرب الذين مع العجم قبل العجم، وما ذلك إلا تأكيد على أن من يتعاون مع العدو إنما هو أشد خطرًا من العدو ذاته، وهذه حقيقة أكدها سيف الله رضي الله عنه وهو الأقدر على تشخيص الأخطار، ولعل في هذا درسًا لكل مصاب بعمى التمييز بين أعداء عقيدته من أبناء جلدته الذين يقتلونه، وبين إخوان عقيدته الذين ينصرونه، وما ذلك الخلط إلا لضعف الولاء للعقيدة؛ وعدم التمييز بين أخوة التراب وأخوة الروح والعقيدة، ولعل المراقب لما يجري لأهل السنة في العراق وغيرها يلحظ ذلك جليًا عند كثير ممن يزعمون أنهم من أهل السنة، فأصبح الثمن الذي يدفعونه لهذا التفريط أكبر من أي ثمن آخر!! وكان مسلمو بني عجل، ومنهم: عتبة بن النهاس وسعيد بن مرة وفرات بن حيان ومذعور بن عدي والمثنى بن لاحق، على مذهب قائدهم سيف الله رضي الله عنه أشد الناس على قومهم المتعاونين مع الفرس؛ لمعرفتهم بسوء نواياهم وخيانتهم إخوانهم بالدم والنسب، ولعلمهم بخطورة من يتعاون مع أعداء العقيدة؛ وأنه أسقط جميع القيم وحسابات الله والدار الآخرة!

وكتب أردشير إلى بهمن جاذويه يأمره بالقدوم على نصارى العرب بأليس، فقدم بهمن جاذويه إليهم وأمر جابان بالتوقف عن محاربة المسلمين إلى أن يقدم عليه، ورجع بهمن جاذويه إلى أردشير ليشاوره فيما فعل فوجده مريضاً، فتوقف عليه، فاجتمع على جابان نصارى عجل وتيم اللات وضبيعة وجابر بن بجير وعرب الضاحية من أهل الحيرة.

وكان خالد لما بلغه ذلك التجمع سار إليهم ولا يشعر بدنو جابان. فلما طلع جابان بأليس قالت العجم له: أنعاجل المسلمين أم نغدي الناس ولا نريهم أنا نحفل بهم ثم نقاتلهم؟ فقال جابان: إن تركوكم فتهاونوا بهم. فبسطوا الطعام لكي يروا المسلمين أنهم لا يباليون بهم، وانتهى خالد بجنده إليهم وحط الأثقال، فلما فرغوا من الأثقال لم يمهل الفرس، بل توجه إليهم وطلب مبارزة عبد الأسود وابن أبجر ومالك بن قيس، وهم قادة العرب الذين مع الفرس، فبرز إليه مالك من بينهم فقتله خالد رضي الله عنه وأعجل العجم عن طعامهم. فقال لهم جابان: ألم أقل لكم؟ والله ما دخلتني من مقدم جيش وحشة إلا هذا. وقال لهم: حيث لم تقدرُوا على الأكل فسموا الطعام فإن ظفرتم فأيسر هالك وإن كانت لهم هلكوا بأكله! فلم يفعلوا، بل الأحرى أن المسلمين لم يمهلوهم حتى ينفذوا مكربهم وغدرهم فاقتتلوا قتالاً شديداً، والمجوس يزيدهم ثباتاً توقعهم قدوم بهمن جاذويه، فصابروا المسلمين، فقال خالد: اللهم إن هزمتهم فعلي ألا أستبقي منهم من أقدر عليه حتى أجري من دمائهم نهرهم<sup>(١)</sup>.

فانهزمت فارس فنأدى منأدى خالد: الأسر الأسر إلا من امتنع فاقتلوه. فأقبل بهم المسلمون أسراء ووكل بهم من يضرب أعناقهم يوماً وليلة. فقال له القعقاع وغيره: لو قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم، فأرسل عليها الماء تبر يمينك. ففعل، وسمى ذلك النهر نهر الدم، ووقف خالد على الطعام وقال للمسلمين: قد نفلتكموه. فتعشى به المسلمون، وجعل من لم ير الرقاق يقول: ما هذه الرقاق البيض؟ وجعل من عرفها يجيبهم ويقول مازحاً: هل

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٦٤.

سمعتهم برقيق العيش؟ فيقولون: نعم، فيقولون: هو هذا! وبلغ عدد القتلى الفرس سبعين ألفاً، وكانت الواقعة في صفر من عام ١٢ هـ فلما فرغ من أليس سار إلى أمغيشيا، وقيل اسمها منيشيا.

وكان جُلّ من قتل بهذه الواقعة يوم أليس من بلدة أمغيشيا، فعدل إليها خالد وأمر بخرابها واستولى على ما بها، فوجدوا بها مغنماً عظيماً، فقسمه بين الغانمين فأصاب الفارس بعد النفل ألفاً وخمسمائة غير ما تهيأ له مما قبله. وبعث خالد إلى الصديق بالبشارة والفتح والخمس من الأموال والسبي مع رجل يقال له جندل من بني عجل، وكان دليلاً صارماً، فلما بَلَغَ الصديقَ الرسالة وأدى الأمانة، أثنى عليه وأجازه جارية من السبي، وقال الصديق: يا معشر قريش، إن أسدكم قد عدا على الأسد - أي الفُرس - فغلبه على خراذيله، عجزت النساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد. قال ابن كثير: وقد صدق الصديق رضي الله عنه ثم جرت أمور طويلة لخالد في أماكن متعددة يمل سماعها، وهو مع ذلك لا يكمل ولا يمل ولا يهن ولا يحزن، بل لم تزده تلك الأهوال إلا قوة وصرامة وشدة وشهامة، ومثل هذا رضي الله عنه إنما خلقه الله عزّاً للإسلام وأهله، وذلاً للكفر وشتات شمله. ثم أخرب أمغيشيا لكيلا يتحصن بها العدو مرة أخرى<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن في ثناء خليفة رسول الله على أمير الفتوح سيف الله المسلول على الكافرين أمام المهاجرين والأنصار وإقرارهم لذلك الثناء، يعد شرفاً عظيماً ووساماً تقدمه الخلافة لجنديها البار المطيع الصابر المحتسب المقدم خالد رضي الله عنه، ولا شك أنه أهل لذلك الثناء الذي صدر من أخبر الرجال بالرجال ألا وهو خليفة رسول الله، فبقيت آثار ذلك الوسام تفعل فعلها في نفس خالد رضي الله عنه إذ استمر على عطائه وجهاده، وزاد من صبره واحتسابه وانقياده لكل ما تأمر به الخلافة من أمر دون تردد أو تساؤل؛ وإنما هو السمع والطاعة في كل وقت وفي كل مكان، وكأنما نذر نفسه للجهاد وتلبية توجيهات الخلافة على

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٦٥. الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣١٥.

أتم وجهه وأكمله حتى حقق رضي الله عنه المعجزات في جهاده ونصرته لعقيدته، ولا يفوت القارئ الكريم أن عرب الجاهلية كانت تطلق على إمبراطورية الفرس المجوس اسم الأسد لقوتها وشدّة سطوتها على القبائل الضعيفة المحيطة بها، ولكن عندما واجهها جند الخلافة الراشدة تبين أنهم هم الأسود وما سواهم بهارج، بل ثعالب كانت تستأسد على الضعيف.

## فتح الحيرة:

تقع الحيرة في وسط العراق قرب الكوفة التي أسسها ومصرها فيما بعد أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه وكانت أهمية الحيرة تأتي من كونها عقدة مواصلات مهمة وأنها تتصل بشمال وغرب العراق مع شرقه، وكذلك فإنها كانت قريبة من المدائن التي يتخذها الفرس عاصمة لهم آنذاك.

وبعد الانتصارات الباهرة التي أنجزها خالد وجند الخلافة على الفرس ومن تحالف معهم ودخول الرعب في قلوب قواتهم وفرارهم من أمام جيش المسلمين، ولا سيما بعد ما حصل لجيشهم في أليس وقبلها الولجة ومن ثم هروب أهل أمغيشيا دون قتال مخلفين وراءهم عامة ما يملكون، في حين كان الفلاحون وعامة الناس ممن كانت تستعبدهم القوات الفارسية وتظلمهم يستبشرون بما يحققه المسلمون من تقدم على إمبراطورية الظلم والكبر والشر، فيستقبلونهم كمحررين فاتحين جالبين معهم العدل والأمن والحرية، فسار خالد رضي الله عنه حتى نزل الحيرة فخرج إليه أشرافها، فقال لهم خالد: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أحببتم إليه فأنتم من المسلمين، لكم ما لهم، وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، وجاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم. فقال له قبيصة: ما لنا بحربك من حاجة، بل نقيم على ديننا ونعطيكم الجزية. فقال لهم خالد: تبا لكم، إن الكفر فلاة مضلة، فأحمق العرب من سلكها، ثم صالحهم على تسعين ومائة ألف درهم، فكانت هذه أول جزية أخذت من العراق، وحملت إلى المدينة هي

وجزية القرى التي قبلها، التي صالح عليها ابن صلوبا<sup>(١)</sup>.

وروي أن عمرو بن عبد المسيح ابن بقبيلة لما حضر عند خالد وجد معه شيئاً يقلبه في كفه فقال: ما هذا؟ قال: سم. قال: وما تصنع به؟ قال: إن كان عندك ما يوافق قومي حمدت الله وقبلته، وإن كانت الأخرى لم أكن أول من ساق إليهم ذلاً؛ أشربه وأستريح من الحياة. فأخذه خالد وقال: إنها لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها. وقال: بسم الله خير الأسماء رب الأرض ورب السماء الذي ليس يضر مع اسمه داء الرحمن الرحيم. فأهووا إليه ليمنعوه منه وبأدرهم فابتلعه، فقال عمرو: والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد أيها القرن. وأقبل على أهل الحيرة فقال: لم أر كالיום أمراً أوضح إقبالاً. وأبى خالد أن يكاتبهم إلا على تسليم كرامة بنت عبد المسيح إلى شويل ففعلوا.

ورجع ابن بقبيلة إلى قومه فقال: جئتم من عند من أكل سم ساعة فلم يضره فصانعوا القوم وادرؤوهم عنكم فإنهم مصنوع لهم فصالحوهم<sup>(٢)</sup>. وروي أن بعض أهل الحيرة خرج يخط ديراً في ظهرها، فلما حفر وأمعن وجد كهيئة البيت فيه رجل على سرير من زجاج مكتوب عند رأسه: أنا عبد المسيح ابن بقبيلة، وبعد الاسم هذه الأبيات:

حلبت الدهر أشطره حياتي      ونلت من المنى فوق المزيد  
وكافحت الأمور وكافحتني      ولم أجعل بمعضلة كؤود  
وكدت أنال في الشرف الثريا      ولكن لا سبيل إلى الخلود<sup>(٣)</sup>

وروي أن خالدًا رضي الله عنه سار حتى نزل الخوزنق والنجف وأدخل الخيل إلى الحيرة، وأمر كل قائد من قواده بمحاصرة قصر من قصورها، وذلك حين حاول أصحاب تلك القصور الذين يدينون بالولاء للفرس؛ مقاومة المسلمين معتقدين أن قوتهم عارضة،

(١) البداية والنهاية، ٦/ ٣٤٣، الطبري: ٣/ ٣٤٤.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣١٧. ينظر: الصلابي: أبو بكر الصديق، ٣٢٠.

(٣) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣١٧.

فكان حصارهم على هذا النحو:

- ضرار بن الأزور حاصر القصر الأبيض، وفيه إياس بن قبيصة الطائي.
- وضرار بن الخطاب حاصر قصر العدسيين، وفيه عدي بن عدي.
- وضرار بن مقرن المازني حاصر قصر بني مازن وفيه ابن أكال.
- والمثنى بن حارثة حاصر قصر ابن ببيعة، وفيه عمرو بن عبد المسيح.

فدعواهم جميعاً إلى الإسلام، وأجلّوهم يوماً واحداً فأبى أهل الحيرة ولجّوا فناوشهم المسلمون، فكان أول القواد أنشب القتال ضرار بن الأزور؛ وصبح كل أمير ثغره فأكثروا فيهم القتل حتى صاحوا: كفوا عنا حتى تبلغونا إلى خالد. وكان أول من طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح. فلما وصل الرؤساء صالحهم رضي الله عنه، وذلك في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة.

ولما فتح خالد الحيرة قام شويل رضي الله عنه فقال: سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتح الحيرة فسألته كرامة بنت عبد المسيح. فقال: «هي لك إذا فتحت عنوة»<sup>(١)</sup>. وشهدوا له بذلك؛ وعلى ذلك صالحهم خالد رضي الله عنه فاشتد ذلك على أهلها فقالت: ما تخافون على امرأة قد بلغت ثمانين سنة وإنما هذا رجل رأني في شببتي فظن أن الشباب يدوم فلما أخذها. قالت: ما أربك إلى عجوز كما ترى، فإدني. فقال: لست لأمّ شويل إن نقصتُك من ألف درهم فاستكثرت ذلك لتخذه ثم أته بها. فلما سمع الناس ذلك عنفوه فقال: ما كنت أرى عدداً يزيد على ألف<sup>(٢)</sup>!!

وقيل: صالحهم خالد رضي الله عنه على مائتي ألف وتسعين ألفاً، وأهدوا له هدايا. فبعث بالفتح والهدايا إلى أبي بكر، فكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد أن يأخذ منهم

(١) الطبري: تاريخ، ٣١٩/٢.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣١٧/٢.

بقية الجزية ويحسب لهم الهدية من الجزية. وكان فتح الحيرة في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة، وكتب لهم خالد كتابًا، فلما كفر أهل السواد ضيعوا الكتاب، فلما افتتحه المشنى ثانية عاد بشرط آخر، فلما عادوا وكفروا، افتتحها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ووضع عليهم أربعمئة ألف<sup>(١)</sup>.

وإن دَلَّ هذا التمرد الذي كان يُحشر فيه أهل الحيرة في كل فترة، فإنما يدل على أيدي الخبث المجوسي التي كانت تؤز الفتنة في كل بلد لها به صلة، وهذا ما يلحظه كل ذي بصيرة إلى هذا العصر؛ فلا يوجد لهم امتداد مذهبي أو سياسي إلا والفتن تدور في ذلك الامتداد مقرونًا ذلك بالتحايل والإفك وقلب الحقائق؛ مع ثقافة الحقد والكراهية والاستفزاز والاستهانة بقيم المؤمنين ورموزهم وشعائرهم، يؤازر ذلك التعاون مع الغزاة ضد الإسلام وأهله، ويساعدهم في ذلك ثقافة الغفلة عن خطرهم التي ينفثها فاقدو الهوية والحمية من أهل السنة.

ولعل في موقف خالد رضي الله عنه من قبول أهل الحيرة للجزية درسًا عظيمًا يوضح مقاصد الفتح الإسلامي، وأنها لم تكن في يوم من الأيام من أجل المكاسب المادية، وإنما كانت أهداف الفتح نبيلة تسمو إلى إخراج العباد من دهاليز الشرك والظلم إلى نور الإسلام وعدله، وهذا ما دعا خالدًا رضي الله عنه إلى أن يلوم أهل الحيرة على اختيارهم لذل الجزية على عز الإسلام ولا سيما أنهم من العرب، لكن لومه لهم لم يحولهم إلى الإسلام آنذاك، وما ذلك إلا لأنهم اعتادوا التبعية والنوء تحت وطأة الضرائب الفارسية التي لا ترحم، فلما رأوا ما يريد المسلمون منهم علموا أن ذلك لا يقارن مع ما كانوا يعانونه من الظلم والحيث الذي كانوا ينوؤون تحت وطأته على أيدي الفرس وجندهم المفسدين في الأرض، فسارعوا إلى الرضا بالجزية، تلك الضريبة الرمزية.

وتبين أيضًا أن الشعوب في كل أرض تحب عدل الإسلام وسماحته، إلا أن كثيرًا من الحكام كانوا يفضلون التبعية والخنوع للآخرين على الدخول في الإسلام، وما ذلك إلا

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٦٧.

لأنهم قد كسبوا من المال الحرام ومن حقوق الآخرين من رعاياهم ما لا يقره الإسلام الذي يدعو إلى إعادة الحقوق إلى أهلها، وأنهم استمروا العبودية للأقوياء واعتادوا استعباد الضعفاء كما هو حال الجاهلية في كل عصر، فكانت تلك الأحوال والمنافع تحول بينهم وبين الحرية والسماحة والأخوة التي يعيشها أهل التوحيد في ظلال عقيدتهم.

ولعل هذا ما يؤكد الحال التي تمر بها الأمة في عصر المحن هذا، الذي كشف الأستار عن جميع أبنائه فأظهرهم على حقيقتهم حكامًا ومحكومين، فبين من يريد عدل الإسلام وسماحته وعزته، ومن يريد العبودية والتبعية، وجند كل طاقاته لحرب الإسلام وأهله، مستعينًا بكل ملل الظلم والبغي في العالم التي تحارب الإسلام وأهله منذ أن بعث رسول الله ﷺ.

وفي رفض قبول خليفة رسول الله هدية أهل الحيرة إلا على أنها سهم مما عليهم من الجزية؛ ما يظهر نقاء المؤمنين وعدلهم وغنى نفوسهم وسلامة مقاصدهم، وأنهم لا يسعون إلا إلى الخير ونصرة الضعيف ونشر دين التوحيد الذي يتساوى فيه الجميع أمام حقوقهم ومسؤولياتهم، وأنهم لا يبتغون الأجر والثوبة إلا من الله تعالى، بعكس ما يراه الخلق في هذا العصر من أخلاق كثير من المتغلبين على رقاب المسلمين ولا سيما من ملة أعداء الصحابة، وكيف يعملون على نشر الظلم والبغي وأخلاق الرشوة والوساطة وقهر أصحاب الحقوق من الضعفاء على حساب الأمانة والمسؤولية، التي ثبت أنه لا يؤديها على وجهها إلا المؤمنون.

وفي وفاء خالد وجنده لشويل رضي الله عنه ما يوضح أخلاق التلاحم والمودة التي تسود صفوف المؤمنين، وشدة حرصهم على تنفيذ كل إشارة لرسول الله ﷺ، وما ذلك إلا أنهم يرون في طاعته ﷺ عبادة لله تعالى تقرب لهم النصر وينالون بها رضا الخالق سبحانه وتعالى، وهذا ما يفتقده الكثير من أبناء الأمة في هذا العصر الذي تكالب فيه الملحدون وأعداء الصحابة وبتاعو الهوية والعقيدة؛ على كل من يدين بدين محمد ﷺ ويحرص على

اتباعه حق الاتباع! قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثُرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٨.

## ما بعد الحيرة

### كتاب خالد إلى أهل المدائن:

وبعد فراغ خالد رضي الله عنه من أمر الحيرة واستتباب الفتوح فيما قبلها، وما كان عليه حال الفرس من التنازع على الملك، ومن حب خالد لطاعة خليفة رسول الله وحرصه على الجهاد وتحقيق رغبة الصديق في مواصلة الفتوح ونشر دين التوحيد؛ كتب خالد رضي الله عنه إلى أهل المدائن كتابًا جاء فيه: «من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فالحمد لله الذي سلب ملككم، ووهن كيدكم، وإنه من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم الذي له ما لنا وعليه ما علينا، أما بعد، فإذا جاءكم كتابي هذا فابعثوا إليّ بالرهن بالتي هي أحسن، واعتقدوا مني الذمة؛ وإلا فوالذي لا إله غيره لأبعثن إليكم قومًا يحبون الموت كما تحبون الحياة». فلما قرؤوا الكتاب أخذوا يتعجبون وذلك في سنة اثنتي عشرة. وكان أول ملوك فارس قاتله المسلمون شيري بن كسرى<sup>(١)</sup>.

وكتب خالد إلى أهل فارس وهم في المدائن كتابين: كتابًا إلى الخاصة وكتابًا إلى العامة، وقال لرجل: ما اسمك؟ قال: مرة. قال: خذ هذا الكتاب فأت به أهل فارس لعل الله أن يُمرَّ عليهم عيشهم. وقال لآخر: ما اسمك؟ قال: هر قيل. قال: خذ هذا الكتاب. وقال: اللهم أرهق نفوسهم<sup>(٢)</sup>.

(١) سنن سعيد بن منصور: ٢/١٩١، ح (٢٤٨٢) الطبري: تاريخ، ٢/٣٢٠.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، حوادث سنة ١٢ هـ. ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٣٤٢.

وكان في الكتاب الآخر: «بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس أما بعد، فالحمد لله الذي فرق كلمتكم وفلّ حدّكم وكسر شوكتكم فأسلموا تسلّموا، وإلا فأدوا الجزية، وإلا فقد جتتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الخمر». وكان أهل فارس آنذاك لموت أردشير مختلفين في الملك، واستمر المسلمون يمحرون ما دون دجلة ويوطدون وجودهم فيها، وليس لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمر، وأمر خالد رسوليّه أن يأتيه بالخبر وأقام في عمله سنة ومنزله الحيرة ويصعد ويصوب وأهل فارس يخلعون ويملكون، وذلك أن شيري بن كسرى قتل كل من كان يناسبه إلى كسرى بن قباذ ووئب أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه فقتلوا كل من بين كسرى بن قباذ وبين بهرام جور فبقوا لا يقدرّون على من يملكونه ممن يجتمعون عليه. واستقام لخالد من أسفل الفلّاح إلى أسفل السواد وفرق سواد الحيرة على جماعة من أصحابه وفرق سواد الأبلّة على جماعة من أصحابه<sup>(١)</sup> فاستقر المسلمون بعد أن قرت بهم عيون أهل السواد الذين نعموا بالعدل والأمن والحرية والكرامة لأول مرة في حياتهم تحت ظلال حكم المسلمين ووفائهم ونزاهتهم.

### قدوم جرير بن عبد الله البجلي:

وبعد فتح الحيرة وصل جرير بن عبد الله البجلي إلى خالد بن الوليد، وكان سبب ذلك أنه كان مع خالد بن سعيد بن العاص بالشام فاستأذنه في المسير إلى أبي بكر رضي الله عنه ليكلّمه في قومه بجيلة ليجمعهم له، وكانوا أوزاعًا متفرقين في العرب، فأذن له، فقدم على أبي بكر فذكر له ذلك وأن رسول الله ﷺ وعده به وشهد له شهود بذلك، فغضب أبو بكر وقال: ألا ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن يإزائهم من فارس والروم ثم أنت تكلفني ما لا يغني! وقال: أتيتني لتشغلني عما هو أَرْضَى لهُ من الذي تدعوني إليه. وأمره بالمسير إلى خالد بن الوليد فسار حتى قدم عليه بعد فتح الحيرة، ولم يشهد شيئاً مما قبلها

(١) الطبري: تاريخ، ٣٢١/٢. الهيثمي: مجمع الزوائد، ح (١٠٣٨٨). ابن أبي شيبة: المصنف، ٦٨/١.

بالعراق ولا شيئًا مما كان خالد فيه من قتل أهل الردة<sup>(١)</sup>.

## فتح الأنبار:

وسميت الأنبار لأنه كان فيها أنابيب أي مخازن الحنطة والشعير والقت والتبن، وكان كسرى بن هرمز يرزق أصحابه منها. فلما استقام لخالد الأمر في الحيرة استخلف عليها القعقاع بن عمرو وسار إلى الأنبار لمساندة عياض بن غنم الذي دخل العراق من شماله، فواجه مقاومة حالت بينه وبين الوصول إلى الحيرة، فما إن وصل خالد إلى بلاد الأنبار حتى استطلع الموقع الذي يتحصن به المشركون فوجد مناطق ضعف في حصنهم وما حوله، فردم الخندق الذي حوله بضعاف الإبل بعد أن نحرها المسلمون، ثم أمر جنده أن يسددوا رميهم على عيون المدافعين عن الحصن، وذلك اختصارًا للوقت ولإدخال الرعب في قلوبهم وللبسهم الدروع وتحصنهم خلف الجدران فكانت الحدق هدفًا متاحًا للمجاهدين الذين سدّدوا إليها رميهم حتى تمكنوا من إصابة ألف عين من عيون المدافعين عن ذلك الحصن فسميت تلك الغزوة بذات العيون، وقد حاول القائد الفارسي في الأنبار أن يشغل المسلمين بأبناء جلدتهم من العرب، بعد أن خدعهم ليتصدوا لقومهم الذين جاؤوا لإزالة الشرك والظلم عنهم، ثم لم يلبث القائد الفارسي شيرزاذ أن فر عن الأنبار ناجيًا بنفسه وبعض أعوانه لا يلوون على شيء بعد أن حصل على أمان من خالد بذلك، فدخل المسلمون حصن الأنبار وكان فيها قوم يتعلمون اللغة العربية من قوم كانوا قبلهم من بني إياد وأنشدوا خالدًا قول بعض بني إياد يمتدح قومه بقوله:

قومي إياد لو أنهم أمم أو لو أقاموا فتهزل النعم  
قوم لهم باحة العراق إذا ساروا جميعًا واللوح والقلم<sup>(٢)</sup>

(١) ابن الأثير: الكامل، ٢/٢٦٨. ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٣٤٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٣٤٢.

وبعد أن فرغ خالد رضي الله عنه وجنده من فتح حصن الأنبار وقتل أو هزيمة من فيه من الفرس وأعدائهم، ساروا إلى مواقع أخرى قريبة منها فتمكنوا من فتح حصن البوازيح صلحًا وهو قرب الأنبار، وفتحوا حصن كلواذي وكان في أسفل موقع بغداد<sup>(١)</sup>. قبل أن يبينها الخليفة العربي المسلم أبو جعفر المنصور.

### فتح عين التمر:

ولما فرغ خالد من الأنبار استخلف عليها الزبيرقان بن بدر وقصد عين التمر وهي بلدة غربي الفرات على طرف البادية، وكان بها مهران بن بهرام في جمع عظيم من الفرس. وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب بائعي لدم والنسب إلى الأعداء، فقال عقة لمهران: إن العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالدًا. فقال: صدقتم، أنتم أعلم بقتال قومكم. فخدعه واتقى به قوة المجاهدين. فقالت الأعاجم لمهران: ما حملك على هذا؟ فقال: إن كانت له فهي لكم، وإن كانت الأخرى لم يبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم وقد ضعفوا. فلما التقى الجمع حمل خالد فأخذ عقة أسيرًا وهو رأس الخيانة الذي سهل على بعض ضعاف النفوس والسفلة التعاون مع الفرس ضد أمتهم وإخوتهم، وكان يقيم صفوف قومه لمواجهة المسلمين فلم يمهلته خالد رضي الله عنه وأسرته وهو يسوي صفوف جنده، وأسر المسلمون عامة أصحابه أذنان الأعداء، وهرب بعضهم فلما سمع مهران بما حل بهم من هزيمة هرب بجنده وترك الحصن فاعتصم به بعض العرب، فحاصروهم خالد رضي الله عنه حتى استنزلهم ولم يقبل أن يصالحهم نظرًا لخيانتهم، وليكونوا درسًا وعبرة لكل من باع ولاءه للأمة من بعدهم فضرب أعناقهم وعنق زعيمهم عقة، وسبى منهم سببًا كثيرًا ووجد في الكنيسة أربعين غلامًا يتعلمون الإنجيل عليهم باب مغلق، فكسره عنهم وقسمهم في أهل البلاء. منهم: أبو زياد مولى ثقيف، ونصير أبو موسى بن نصير فاتح الأندلس، وأبو عمرو جد عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر، وسيرين أبو محمد بن سيرين المفسر، وحرمان مولى عثمان

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٣٤٣. ابن الأثير: الكامل، ٢/٢٦٩.

رضي الله عنه ومنهم ابن أخت النَّمِر ويسار مولى قيس بن مخزومة، وأبو عبيد مولى المعلى، وخير مولى أبي داود الأنصاري، وأبو عبد الله مولى زهرة، وجماعة آخرون من الموالي المشاهير أراد الله بهم وبذراريهم خيراً<sup>(١)</sup>.

وأرسل خالد إلى أبي بكر رضي الله عنه بالخبر والخمس. وفي عين التمر قتل عمير بن رثاب السهمي وكان من مهاجرة الحبشة، ومات بها بشير بن سعد الأنصاري والد النعمان فدفن بها إلى جانب عمير رضي الله عنهما<sup>(٢)</sup>.

وكان عياض بن غنم يحاصر دومة الجندل وأخذ عليه أقوام الطرق فطلب مدداً من خالد رضي الله عنه فقدم كتابه على خالد بعد وقعة عين التمر، فكتب إليه خالد رضي الله عنه: من خالد إلى عياض إياك أريد.

لَبَّثَ قَلِيلاً تَأْتِكَ الْحَلَائِبُ يَحْمِلُنَ آسَادًا عَلَيْهَا الْقَاشِبُ

كُتَابٌ تَتَبِعُهَا كُتَائِبُ<sup>(٣)</sup>

وبعد أن فرغ خالد رضي الله عنه وجنده من فتح الحصن وقتل أو هزيمة من فيه من الفرس وأعوانهم الذين باعوا أخوة الدم مقابل منافع زائلة لا تساوي شيئاً في كل الموازين، وبقيت عليهم سبة خيانة قومهم بعد أن دفعوا دماءهم لمن تركها رخيصة دون أي مقابل، وهذا هو شأن العملاء ومسقطي الهوية، إذ لم يزد في يوم من الأيام على هذه النهاية المخزية.

ولعله من الملاحظ في هذا الجانب تأكيد خالد على منتهى الشدة مع هذا الصنف الذي يرتضي ذل التبعية والخيانة للأمة والتعاون مع الأعداء، وأنه لم يكن يقبل منهم الصلح كما يقبله من بقية المشركين، ولم يكن لهم عنده إلا السيف، ذلك بأنه لا قيمة لمصالحتهم بعد

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٣٤٤. ابن حبان: سيرة ابن حبان: ١/٤٢٨. الصلابي: أبو بكر الصديق، ٣٢٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ٢/٢٧٠.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٣٤٤.

أن استمرؤوا الهوان والعمالة للعدو، فهذا الصنف الذي لم يف بولائه أولاً فإنه لن يفي إذا أتحت له فرصة أخرى لبيع هويته وانتسابه، ولن يتوانى عن الغدر والظعن بالأمة فلا أمان لهم ولا صلح معهم؛ إلا إذا بادروا هم بطلب الصلح أو أجابوا عليه المسلمون إذا دعواهم أولاً ولم يرتضوا رفع السلاح بوجوه إخوتهم في الدم.

## فتح دومة الجندل:

ولما فرغ خالد من عين التمر خَلَّف فيها عويمر بن الكاهن الأسلمي وخرج، فلما بلغ دومة الجندل وكان عليها رئيسان أكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة فاستتفروا من حولهم من حلفائهم من القبائل، ولكن الرئيسين اختلفا. فقال أكيدر: أنا أعلم الناس بخالد لا يرى وجهه أحد في جيش إلا انهزم فصالحوا. فأبوا عليه، فقال: لن أمالكم على حربته. وخرج من الحصن ولكنه لم يوال المسلمين فعارضه جند خالد فأخذه وقتل، وجاء خالد رضي الله عنه فنزل على دومة الجندل فخرج الجودي فقتل، وتحصن أقوام بالحصن فلم يحملهم فقتل من تخلف منهم خارجه، ثم طاف خالد وجنده بالحصن فقلع بابه ودخله عنوة، فقتل وسبى، وكان من السبي ابنة الجودي فوَقعت لخالد، وأقام رضي الله عنه على دومة الجندل ورد الأقرع بن حابس إلى الأنبار فتحركت الأعاجم فكاتبهم عرب الجزيرة غضباً لعقبة الذي أسره خالد وأمر بضرب عنقه لخيانته وتعاونيه مع الفرس ضد قومه العرب في عين التمر، ولما أقام خالد بدومة الجندل ظن به الأعراب ضعفاً وأنه لم يعد بوسعه مواصلة الفتوح، فكاتبوا مع الفرس وشكلوا قوات لمهاجمة المسلمين. فخرج زَرْمَهْر ومعه رُوزبه القائدان الفارسيان المجوسيان، يريدان الأنبار واتعدا حُصيداً والخنافس لمهاجمة المسلمين في الأنبار.

فكتب الزبيرقان وهو على الأنبار إلى القعقاع بن عمرو وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة، فبعث القعقاع: أعبد بن فدكي السعدي وأمره بالحصيد، وبعث عروة بن الجعد البارقي وأمره بالخنافس، وأرز المنهزمون من حصيد إلى الخنافس فتحصنوا بها، فقصدهم ابن فدكي فهربوا

إلى المصيح. أما خالد رضي الله عنه بعد فراغه من دومة الجندل فعاد إلى الحيرة واستقبله أهلها<sup>(١)</sup> فبلغه ذلك وكان عازماً على مصادمة أهل المدائن التي يتحصن بها ملوك الفرس المجوس، فمنعه من ذلك كراهية مباشرة هذا الأمر دون إذن خليفة رسول الله الذي كان خالد يحرص أشد الحرص على طاعته وامثال أوامره، فسار خالد راجعاً فاجتمع بالقعقاع وأبي ليلى بن فذكي في عين التمر فبعث القعقاع إلى حصيد وبعث أبا ليلى إلى الخنافس.

### وقعة الحصيد والخنافس:

اجتمع قائدان من قادة الفرس أحدهما روزبه والآخر زرمهر بحصيد فسار إليهم القعقاع بفرقتهم فالتقى بهما هناك فقتل من الفرس العجم مقتلة عظيمة وقتل القعقاع بيده زرمهر وقتل عصمة بن عبد الله الضبي، وكان عصمة من البررة - والبررة كل فخذ هاجرت بأسرها، والخيرة كل قوم هاجروا من بطن - وغنم المسلمون ما في حصيد وانهمت العجم إلى الخنافس. فسار إليهم أبو ليلى بن فذكي السعدي بمن معه من المؤمنين الصابرين، وكان بها من المجوس قائد اسمه المهبودان على عسكرها، فلما أحس بوصول المسلمين لم يكن أمامه إلا الهرب، فذهب إلى المصيح وكان بها الهذيل بن عمران<sup>(٢)</sup>.

### مصيح بني البرشاء:

ولما انتهى الخبر إلى خالد بما حققه قاداته من انتصار على أهل الحصيد وهروب أهل الخنافس إلى المصيح، كتب إليهم ووعد قادة الفرق؛ القعقاع، وأبا ليلى، وأعبد، وعروة؛ ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المصيح، وخرج خالد من العين قاصداً المصيح على الإبل يجنب الخيل، فنزل الجنب فالبردان فالحنى واستقل من الحنى، فلما كان تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعاً بالمصيح فأغاروا على الهذيل بن عمران ومن معه ومن أوى إليه

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٤٥. ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٧١.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ٢/ ٢٧٣. ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٣٤٥.

وهم نائمون من ثلاثة أوجه فقتلوهم وأفلت الهذيل في أناس قليل وامتلاً الفضاء قتلى فما شبهوا بهم إلا غنماً مصرّعة، وقد كان حرقوص بن النعمان قد محضهم النصح، وأجاد الرأي فلم ينتفعوا بتحذيره، وقال حرقوص بن النعمان قبل الغارة:

ألا سقّيانى قبل خيل أبى بكر لعلّ منايانا قريب وما ندرى

فقال لهم: اشربوا شراب مودع، هذا خالد بالعين وجنوده بالحصيد. فضرب رأسه، فإذا هو في جفنته التي فيها الخمر. وقيل: إن حرقوص هذا قتل في مسير خالد رضي الله عنه من العراق إلى الشام.

وأصاب جرير بن عبد الله وهو لا يدري يوم المصيّح من النمر عبد العزى بن أبي رهم بن قرواش أخا أوس مائة من النمر وكان معه ومع لبيد بن جرير كتاب من أبي بكر رضي الله عنه بإسلامهما، وبلغ أبا بكر رضي الله عنه قول عبد العزى وقد سماه عبد الله ليلة الغارة وقال: سبحانك اللهم رب محمد. فوداه وودى لبيدًا وكانا أصيبا في المعركة، وقال: أما إن ذلك ليس علي إذ نازلا أهل الحرب! وكذلك يلقي من ساكن أهل الحرب في ديارهم، وأوصى بأولادهما. وكان عبد الله قد قال قبل أن يقتل:

أقول إذ طرق الصباح بغارة سبحانك اللهم ربّ محمد  
سبحان ربي لا إله غيره رب البلاد ورب من يتورد<sup>(١)</sup>

ولم يكن على المسلمين في قتل من كان مع المشركين بأس لعدم علمهما بإسلامهما ولكون الحرب قائمة بين تلك القبائل وبين المسلمين، وكذلك لنهي النبي ﷺ عن مساكنة المشركين ومجالستهم وأن على المسلم أن يلزم جماعة المؤمنين أينما كانوا. قال ﷺ: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين». قالوا: يا رسول الله لم؟ قال: «لاتراءى ناراهما»<sup>(٢)</sup>.

(١) الطبري: تاريخ، ٢/٣٢٦. ابن الأثير: الكامل، ٢/٢٧٣.

(٢) سنن أبي داود: ح (٢٦٤٥). قال الألباني: حديث صحيح.

ولعل في هذا الحديث كثيرًا من المعاني التي يجب أن يفقهها أهل هذا العصر ممن هم على منهج رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فإذا كان النهي قائمًا عن مجالسة المشركين وهم من قبيلة المؤمن، وعليه ألا يقاربهم إلى حد المقاطعة التامة المتمثلة بقوله ﷺ: «لا تتراءى ناراهما»، إذا كان الأمر كذلك فبأي وجه شرعي يتعامل كثير ممن يزعم أنه على سنة النبي ﷺ مع من لا يؤمن بالكتاب والسنة ويتهم من حماهما وحفظهما بالكفر؟ وكيف يجرؤ أولئك المخادعون على الثناء على أحد من أعداء الكتاب والسنة ومبغضي الصحابة وجنس الصحابة من العرب ولغة العرب؟ إلا عريبًا مرتدًا أو رافضًا لدين الصحابة!! إن هذا العصر غربل أهله وأظهر الأمور على حقيقتها، فلم يعد هناك ما يخفى علمه على أحد، ولا شك أن من يمدح أعداء الصحابة ويشني عليهم في هذا العصر من أبعاد الناس عن السنة، وأن من تتراءى خطبه وأقواله وزياراته وتحالفاته مع هؤلاء، فلن تتراءى عقيدته مع عقيدة أصحاب رسول الله ﷺ؛ إذ إن هذين ضدان لا يجتمعان.

وفي حديث الحصيد والخنافس والمصيخ تظهر حنكة قادة الجهاد من الصحابة رضي الله عنهم في عصر الصديق رضي الله عنه وكيف كانوا يواصلون الليل والنهار في المتابعة والتدبر والتخطيط وجمع المعلومات ومتابعة الأعداء وما يخططون له في كل أحوالهم وأوقاتهم، ورصد ذلك والتصدي له والقيام بمفاجأة العدو قبل أن يتم ما يخطط له، إضافة إلى روح الأخوة والتعاون والتسابق على تحمل المهام والصعاب افتداء للعقيدة ولأبنائها المؤمنين البررة.

كما تأكد في تلك المواقع إجماع قادة الصحابة أن العرب المتحالفين مع أعداء الصحابة هم الأخطر على الأمة من جميع أعدائها، وأن هؤلاء لا تشملهم معاهدات الصلح ولا الاتفاقيات التي تجري أيام الحروب بين الخصوم؛ لأن هذا الصنف البائع للأمة والعقيدة لا يمكن أن يفني بعهد ولا ميثاق، ولأن منهجه هو المخادعة والغدر والتعاون مع الأعداء، ولهذا لا يلحظ المتابع أي اتفاقية بين هذا الصنف وبين الصحابة رضي الله عنهم، ولا يجد

في تعامل المسلمين معهم إلا أقصى أنواع الشدة والمتابعة لهم لما يمثلونه من خطر يخفى على كثير ممن لا يعلم عقائدهم.

وهذا ما تؤكد الأعمال التي يقوم بها أعداء الصحابة في هذا العصر وكيف أنهم لا يضبطهم حياء ولا دين ولا نظام، وإنما هي الاستباحة لكل ما له صلة بالسنة وأهلها متى ما كانت لهم قوة أو تهيأت لهم فرصة من الغدر أو الخيانة أو إشعال الفتن بالمكر وقلب الحقائق وإصاق التهم، والتظاهر بالإسلام في كل ذلك لتوفير سبل التمکن من المسلمين ومن ثم الإجهاز عليهم، وهذا ما لم يعقله الكثير من أهل الإسلام في هذا العصر!

### وقعة الثني والزميل:

وكان ربيعة بن بجير التغلبي بالثني والزميل، وهما شرقي الرصافة، قد خرج يترصد المسلمين متعاونًا مع المجوس غضبًا لعقبة الذي تعاون قبله مع الفرس فقتله المسلمون بعد أن أسروه ومن معه، وواعد ربيعة روزبه وزرمهر والهذيل للتعاون على محاربة المسلمين، ولما أصاب خالد أهل المصيخ واعد القعقاع وأبا ليلى ليلة وساعة محددة، وأمرهما بالمسير ليغيرا عليهم، فسار خالد من المصيخ، فاجتمع هو وأصحابه بالثني فبيتهم من ثلاثة أوجه وجردوا فيهم السيوف، فلم يفلت منهم مخبر، وغنم وسبى وبعث بالخبر والخمس إلى أبي بكر رضي الله عنه مع النعمان بن عوف، فاشترى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنت ربيعة بن بجير التغلبي فاتخذها أم ولد له فولدت له عمر ورقية.

ولما انهزم الهذيل بالمصيخ لحق بعتاب بن فلان، وهو بالزميل، في عسكر ضخم، فبيتهم خالد بغارة شعواء من ثلاثة أوجه قبل أن يصل إليهم خبر ربيعة، فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها وكانت على خالد يمين لبيغتن تغلب في دارها لتعاونها مع الفرس المجوس ضد العرب المسلمين، وقسم خالد الغنائم وكان في الأخماس ابنة مؤذن النمري وليلى بنت خالد وريحانة بنت الهذيل بن هبيرة، وبعث الخمس إلى أبي بكر رضي الله عنه وسار خالد من الزميل - ويسمونه البشر - إلى الرضاب وبها هلال بن عقبة ففرق عنه أصحابه

حين سمعوا باقتراب خالد وجنده منهم، فسار هلال عنها هاربًا ولم يلق المسلمون بها كيدًا فدخلوها بلا قتال<sup>(١)</sup>.

### وقعة الفراض:

ثم سار خالد من الرضاب بمن معه من المسلمين إلى الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة، فأقام هنالك شهر رمضان مفطرًا لشغله بالأعداء واتصال الغزوات، ولما بلغ الروم أمر خالد ومسيره إلى قرب بلادهم، حموا وغضبوا وجمعوا جموعًا كثيرة، واستعانوا بمن يليهم من مسالحي الفرس فأعانوهم، واستمدوا تغلب وإياد والنمر فأمدوهم، ثم ناهدوا خالدًا فحال نهر الفرات بينهم. فقالت الروم لخالد رضي الله عنه: اعبر إلينا. وقال خالد للروم: بل اعبروا أنتم. فعبرت الروم إليهم، وذلك للنصف من شهر ذي القعدة سنة اثنتي عشرة، فاقتلوا هنالك قتالًا عظيمًا بليغًا، ثم هزم الله جموع الروم وأعانهم، وتمكن المسلمون من اقتنائهم، فقتلوا في هذه المعركة مقتلة عظيمة منهم.

ولعل هذه هزيمة تاريخية نادرة سطر صفحاتها خالد وجنده الميامين رضي الله عنهم وقطف ثمارها العرب والمسلمون، وما زالت تتوهج دروسًا وعبرًا تؤكد دور العقيدة وأهمية التلاحم حولها وتبين طيب ثمارها وعظمة عطائها، حيث اجتمعت فيها أطراف الشر هناك وكما هو الحال في هذه الأيام؛ من تحالف الفرس والروم وخونة العرب ممن يكفر بسنة النبي ﷺ ويرفض خلافة النبوة، وتعاون تلك الأطراف على المسلمين مع توافر كل متطلبات القتال لديهم من الرجال والعتاد والمال والجواسيس والمعلومات لكن كما هي حال المجاهدين دائمًا أنهم أذكى وأصبر وأنقى سريرة وأسمى أهدافًا وأكثر تكيّفًا مع الظروف وقدرة على تحمل الأعباء والمسؤوليات. وهناك أيقنت أطراف الشر أن الإسلام لا يواجهه أهل الباطل أبدًا، وأنهم - وإن آذوا أهله - في النهاية مهزومون وعلى الصعد كافة. لذلك قال الروم والفرس وحلفاؤهم من بائعي الهوية بعضهم لبعض قولتهم المشهورة:

(١) ابن الأثير: الكامل، ٢/٢٧٣.

«احتسبوا مُلككم، هذا رجل يقاتل على دين وله عقل وعلم، ووالله لينصرون ولنخذلن»<sup>(١)</sup>. وهذا درس عظيم وبشارة كبرى، على المسلمين أن يعوا أبعادها، فيتمسكوا بعقيدتهم وهويتهم وأخوتهم فيواجهوا أعداءهم بدين وعقل وعلم؛ فإن فعلوا ذلك فإنهم لا يُغلبون بإذن الله تعالى، وإن نتيجة صبرهم إن فعلوا ذلك ستكون درسًا للمعتدين سيعونه قريبًا وتعلم حينها أحلاف العدوان على الإسلام أن هذا الدين لا يقهر حين يصحو أهله ويعملون به ويختارونه على ما سواه، ويتبرؤون من أعداء الكتاب والسنة الذين بين أظهرهم يخذلونهم ويشتتون صفوفهم وينشرون الأراجيف والبهتان.

ومع أن حلف الشر من المجوس والصلبيين وباعة الهوية من العرب، قد شخصوا حالهم مع المسلمين آنذاك لكنهم لم يتنفعوا بذلك، إذ عبروا النهر أسفل من خالد وجيشه فعظم في أعينهم رضي الله عنه لكنهم كابروا ما يشاهدونه وخادعوا أنفسهم، فقالت الروم لمن معهم: تمايزوا حتى نعرف اليوم من يثبت ممن يولي، ففعلوا فاقتتلوا مع المسلمين قتالًا عظيمًا لم يصبر فيه المشركون فانهمزمت الروم والفرس ومعهم الأتباع أمام المسلمين، فأمر خالد جيشه ألا يرفعوا عنهم، فقتل من حلف الأشرار في المعركة وفي الطلب «مائة ألف»<sup>(٢)</sup>.

فتأكد في تلك المعارك الرهيبية قدرة الصحابة والتابعين على ممارسة أعلى تقنيات الحروب وتنفيذ أدق الخطط القتالية الخطرة والدقيقة في أحلك المواقف وأصعبها، وتفوقهم في مجالات الرصد والاستطلاع وجمع المعلومات؛ والتواصل مع القيادة ومع الوحدات المقاتلة على كافة الجبهات، وتبين فيها التناسق والتكامل الفريد بين جميع الأجنحة المكونة لقوات المسلمين.

كما أثبتت تلك المعارك المصيرية القدرة الهائلة للخلافة الراشدة بقيادة الصديق رضي الله عنه على التعبئة والتوجيه والإمداد والتموين وحشد الطاقات، والمواجهة الحاسمة على كافة الجبهات الداخلية والخارجية وفي كافة الأحوال، والقدرة الباهرة على معالجة الأراجيف

(١)، (٢) ابن الأثير: الكامل، ٢/٢٧٤.

والمستجدات العسكرية ومواجهة التحالفات العدوانية، مع التحسب لكل ما يمكن أن يتوقعه القادة الميدانيون في الحروب المفاجئة والمحسوبة سواء كانت محدودة أو شمولية.

والتميز عن جميع القيادات التاريخية بالسبق والحسم وسرعة التنفيذ والانضباط الشرعي الكامل، والمحافظة على مقاصد الدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه ببساطة كبيرة وتواضع جم، يرافق ذلك صفحات ناصعة من العفو والتجاوز والمرونة والنزاهة والحلم في ساعات الغضب والتعب والاستفزات الجاهلية، والمحافظة على روح المودة والمحبة والتلاحم والثقة المطلقة بين الجند والقيادة، مع المحافظة على الشورى ومتطلباتها من الحوار وروح الجماعة.

وأقام خالد بعد ذلك الانتصار التاريخي الرائع بموقع المعركة بالفراض عشرة أيام ثم أذن بالقفول إلى الحيرة، لخمس بقين من ذي القعدة، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير في المقدمة وأمر شجرة بن الأعز أن يسير في الساقة، وأظهر خالد رضي الله عنه أنه يسير في الساقة مع جيشه.

لكن خالدًا رضي الله عنه اغتنم تلك الفرصة بعد تلك الإنجازات التي أدخلت الرعب في نفوس المشركين، فسار في عدة من أصحابه وقصد شطر المسجد الحرام لأداء فريضة الحج، وسار إلى مكة في طريق لم يسلكه أحد قبله قط، وتأتى له في ذلك أمر لم يقع لغيره، فجعل يسير معتسفاً الأرض على غير جادة معينة، حتى انتهى إلى مكة فأدرك الحج هذه السنة سنة اثنتي عشرة، ثم عاد فأدرك أو اخر جيشه قبل أن يصلوا إلى الحيرة.

ولم يعلم أحد بحج خالد في تلك السنة إلا القليل من الناس ممن كان معه أو ممن أعلمه خالد بذلك، وفي هذا دلالة عظيمة على مدى الانضباط والثقة والأمانة التي يتمتع بها خالد وجيشه رضي الله عنهم، بل فيها بيان لعمق الثقافة العسكرية المبنية في كثير من حركاتها على السرية والمباغته والجرأة وسرعة الحركة وقوة البديهة وسرعة الخواطر وإتقان اقتناص الفرص.

ولعل في حج خالد ومن معه بهذه الطريقة وما أظهره من قدرات على الحركة واختراق المفازات بهذه السرعة؛ ما يدل على مدى الطاقات التي كان يتمتع بها أولئك الأفاضل، الذين لو بحث القراء في صفحات التاريخ العسكري والمغامرات المحسوبة وغير المحسوبة؛ لما وجدوا لها مثيلاً، لما رافقها من ظروف عسكرية وسياسية وأمنية وجغرافية وتموينية إلى غير ذلك، جميعها تؤكد على أن نبوغ خالد رضي الله عنه يفوق الطاقات البشرية المعتادة، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن هناك عناية ربانية وتأيداً بيئياً يرافق خالدًا رضي الله عنه أينما حل أو رحل، وما ذلك إلا لحسن التوكل وصدق النية، وشدة تمسكه بالطاعة ولزوم الجماعة والأخذ بالأسباب المتاحة.

ولم يعلم خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه بحجة خالد هذه؛ إلا بعدما رجع أهل الحج من الموسم، فبعث يعتب على خالد في مفارقتة الجيش في تلك المخاطر، وكان موقف خليفة رسول الله منه ما بين المحاسبة والمكافأة له؛ إذ صرفه عن غزو العراق إلى غزو الشام حيث اجتمعت الروم على إخوانه هناك، وقال له خليفة رسول الله فيما كتب إليه مادحًا ومعلمًا:

«وإن الجموع لم تشج بعون الله شجيك، فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة، فأتتم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتُخذل، وإياك أن تُدَلَّ بعمل فإن الله تعالى له المنّ، وهو وليّ الجزاء»<sup>(١)</sup>.

ومع كل هذه المعاني السامية التي اشتمل عليها كتاب خليفة رسول الله إلى سيف الله وما فيه من الشناء العطر والشهادة بإنجاز المطلوب والتهنئة بالتأييد وسلامة النية الذي وافقه سيف الله وجنده في كل معاركهم، ولا سيما في هذه المعركة الأخيرة الفريدة في مكوناتها وصفحاتها ونتائجها وثمارها؛ التي أدخلت الذل والرهبة من جند الإسلام في نفوس أعدائه مجتمعين كما أدخلت ذلك فيهم متفرقين.

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢/٨٨.

ومع ما رافق ذلك الكتاب من توصيات حانية من خليفة رسول الله لقائده البار البطل القوي الأمين؛ بوجوب الحرص على هذا المسار والسمو الدائم إلى ما هو أسمى وأكبر ألا وهو الجنة وما عند الله تعالى؛ وما رافق ذلك من حرص منقطع النظر على تنفيذ تلك التوجيهات ولو كان ذلك بالمخاطرة على الحياة التي تجهمها خالد وجنده رضي الله عنهم باختراقهم المفازات المهلكة بشكل لم يسبقهم إليه أحد، مع كل ذلك أبي المفسدون إلا أن يُضيفوا إلى أطراف هذا الكتاب الناصع ما يعكر صفوه ويعمل على إفساد النفوس، لتعكير آثار النصر والعزة التي يستقيها قراء هذه السير، فألحق أولئك المفسدون بهتانهم على سيف الله وفاروق الأمة بأن أحدهم يكيد للآخر!! وما هذا إلا تأكيد لما تتحدث به نفوس الراضية المريضة وما يتمنونه أن يكون، ولكن الله تعالى خبيهم وأذلهم على أيدي أولئك الإخوة المتحابين المتوادين المتناصرين رضي الله عنهم.

وكل ما سبق يدعو كل قارئ من أبناء أمة الكتاب والسنة أن يحذر من دسائس الراضية في التاريخ الإسلامي التي بثوها في كثير من المراجع الأمهات، وكذلك في الأشعار وكتب الأدب وغيرها، واقتبس عامتها عنهم المستشرقون من اليهود والصلبيين والعلمانيين الملحدين، وليعلم أن تلك الدسائس مدروسة ولها مناهجها الهادفة إلى تشويه كل ما أنجزه العرب المسلمون، لتمزيق الأمة وإفساد روابط العقيدة التي إن تسلم بها المسلمون في أي عصر؛ فإنه لن يحول بينهم وبين سيادة العالم حائل من صنع البشر. قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

### مسير خالد من العراق إلى الشام:

وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه قد كتب إلى خليفة رسول الله بعد مقتل خالد بن سعيد بن العاص على أيدي الروم يستمده، فكتب خليفة رسول الله إلى خالد بن الوليد وهو بالبحيرة يأمره أن يمد أهل الشام بمن معه من أهل القوة.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

وكان في كتاب خليفة رسول الله إلى خالد بن الوليد. «أما بعد: فدع العراق وخلف أهله فيه الذين قدمت عليهم وهم فيه، ثم امض مخففاً في أهل القوة من أصحابك الذين قدموا معك العراق من اليمامة، وصحبوك من الطريق وقدموا عليك من الحجاز، حتى تأتي الشام فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين رضي الله عنهم، فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة والسلام عليك ورحمة الله» وفيه أيضاً أن يستعمل على ضعفة أصحابه رجلاً منهم. فاستعمل على الضعفاء عمير بن سعد، واستخلف على من أسلم في العراق وعلى الحيرة والقريات الأخرى وعلى خراجها المثني بن حارثة الشيباني؛ ثم سار هو حتى نزل على عين التمر وكان حديث فتحها قد تم على ما سبق آنفاً<sup>(١)</sup>.

ثم سار خالد رضي الله عنه إلى الشام من قراقر - وهو ماء لكلب في صحراء السماوة - إلى سوى - وهو ماء لبهراء بينهما خمس ليالٍ - ممثلاً في ذلك أمر الخليفة رضي الله عنه وحرصاً منه على تنفيذه كما يريد رضي الله عنه بأقصى ما يمكن، فلم يهتد إلى الطريق فطلب دليلاً فدل على رافع بن عميرة الطائي، فأتاه رافع فاستدل على الطريق فقال له رافع: أنشدك الله في نفسك وجيشك، فإنها مفازة خمس ليالٍ ليس فيها ماء مع مضلتها، وإن الراكب المنفرد يسلكها فيخاف على نفسه المهلكة وما يسلكها إلا مغرور! وما علمت أحداً أخذ فيها بثقل فقال خالد رضي الله عنه: إنه لا بد منه وقد كتب إلي الخليفة بعزمه فأحضرنا رأيك ونصيحتك ومرنا بأمرك. قال رافع: فابغني من الإبل عشرين سمناً عظاماً. فأتي بهن وظمأهن حتى جهدن؛ فأوردها الماء فشرين حتى تملأن، ثم أمر بمشافرها فقطعن ثم كعمهن كي لا يجتررن ثم حلّ أذناهن، ثم قال لخالد: تزود واحمل الماء ومن أطاق أن يصرّ على أذن ناقته ماء فليفعل، تأكيداً على أهمية الماء في هذه المفازة والمهالك الخطرة.

ففعّلوا وساروا فسار معهم رافع، وسار خالد معه بالخيول والأثقال، فكلما سار يوماً وليلة اقتطع من الإبل أربعة فأطعم لحمها وسقى ما في أكراشها الخيل وشرب الناس ما كانوا

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢/ ٨٨.

حملوا، وبقي منزل واحد ونفدت الإبل وخشي خالد على أصحابه في آخر يوم، فأرسل إلى رافع أن الإبل قد نفدت فما ترى؟ قال: أدركت الري إن شاء الله، هل ترى علمين كأنهما ندبان؟ قال: نعم. فلما دنا من العلمين. قال: انظروا، هل ترون شجرة من عوسج كقعدة الرجل؟ قالوا لا والله. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، هلكتم والله إذاً وهلكت. وكان أرمم في ذلك الوقت، ثم قال: ويلكم انظروا وتأملوا. فجال الناس حتى وجدوا بقية منها، فقالوا: قد وجدنا بعضها. فكبر وقال: قد أدركتم الرواء. وأمرهم فحفروا: قريباً منها، فكشفوا عن قلب كثير الماء فتزود الناس منه. وقال رافع: أما والله ما وردته قط إلا مرة واحدة مع أبي وأنا غلام صغير!! فقال أبو أحبيحة القرشي يذكر مهارة رافع وحذقه في الدلالة ومعرفة الطرق في المفازات:

لله عينا رافع أنسى اهتدى      فوّز من قراقر إلى سوى  
خمساً إذا ما سارها الجيش بكى      ما سارها قبلك إنسي أرى<sup>(١)</sup>  
وروي:

لله عينا رافع أنسى اهتدى      في مهمه مشتبه نحو سوى  
والعين منه قد تغشاها الندى      معصوبة كأنها ملأى ثرى  
فوز من قراقر إلى سوى      والسير زعزاع فما فيه ونى  
ما سارها من قبل إنسي أرى      هذا لعمرى رافع هو الهدى<sup>(٢)</sup>

ثم استقام لخالد الطريق وتواصلت به المياه حتى أغار على تدمر فصالحه أهلها، ثم أغار على مرج عذراء على ناس من غسان حلفاء الروم فأصاب منهم، ثم مضى حتى نزل مع أبي عبيدة ابن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل ابن حسنة رضي الله عنهم على بصرى

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/٧. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٨٠.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢/٨٩.

فنزل معهم حتى صالحت بصرى على الجزية وكانت أول جزية وقعت بالشام في عهد خليفة رسول الله أبي بكر<sup>(١)</sup>.

وروي لما فرّ خالد بن سعيد ومن معه من هجوم الروم الهائل بتعدادهم وعددهم، اجتمعت الروم إلى اليرموك فنزلوا به وقالوا: والله لنشغلنّ أبا بكر في نفسه عن تورد بلادنا بخيوله. فسار سيف الله من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة كما سبق تفصيل ذلك فلقبه عدو بصندوداء فظفر بهم وخلف بها ابن حرام الأنصاري ولقي جمعًا بالمصيخ والحصيد عليهم ربيعة بن بجير التغلبي فهزمهم وسبى وغنم، وسار المفازة من قراقر إلى سوى فأغار على أهل سوى واكتسح أموالهم وقتل حرقوص بن النعمان البهراني، ثم أتى أرك فصالحوه وأتى تدمر فتحصنوا ثم صالحوه، ثم أتى القريتين فظفر بهم وغنم، وأتى حوارين فهزمهم وقتل وسبى، وأتى قصم فصالحه بنو مشجعة من قضاة، وأتى مرج راهط فأغار على غسان في يوم فصحهم فقتل وسبى، ووجه بُسر بن أبي أرطاة وحيب بن مسلمة إلى غوطة دمشق فأتوا كنيسة فيها فسبوا الرجال والنساء وساقوا العيال إلى خالد، فأرسل الأخماس إلى المدينة وسار إلى الشام مليبًا نداء الخلافة، ومحققًا قول خليفة رسول الله أبي بكر: والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد<sup>(٢)</sup>. وعندها ندم الروم ولات ساعة مندم. وكان خليفة رسول الله قد كتب إلى خالد يوصيه قائلاً:

«إني قد وليتك ما وليتك فإياك أن تقول: إني شاهد وهو غائب، فإذا قدمت على القوم فوجدتهم قد كفوك أمرًا فاقبله ولا تنازعهم فيه، وواسِ جندك في اللقاء إذا كان عامًا، وإن كان بينكم نوبًا فليمر مكان نوبتك وحسن أترك. وإذا قاتلت العدو فاحرص على الشهادة ولا تصبحن إلا على ظهر آخذًا لأهبة الحرب، وولّ أمر جيشك أهل النجدة والتجربة ولا تبادر الفرصة بلا روية التماسًا لأن يخلص الأمر لك دونهم، فإني لا آمن أن تسلمك المبادرة إلى غرة أغفلتها، ومعصية غيبت عنها. ولا تبذل أهل البأس واستبقهم فإنهم حصنك وثقاتك في

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢/ ٩٠. ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ٧.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٤٣.

عسكرك وقوام أمرك. وانظر النساء والصبيان وأهل الضعف فارهم إلى أمنع المواضع ووكّل بهم من يذب عنهم»<sup>(١)</sup>. وقد فعل سيف الله رضي الله عنه كل ما أمر به خليفة رسول الله بأدق التفاصيل وأنجعها وبتمام الحرص، وفي ذلك رد على أباطيل المفتريين من الرافضة والمستشرقين الذي يعملون كل ما في وسعهم لتعكير صفو العلاقة الربانية الأخوية التي كانت تربط بين الصحابة رضي الله عنهم في أوقات السلم والحرب والإقامة والسفر.

وجاء في وصية خليفة رسول الله إلى سيف الله من درر النصح وحكم الوصايا ما يكتب بماء الذهب لما فيه من السمو الروحي وجميل التوجيه والحث على حماية العقيدة والتنافس على منازل الدار الآخرة ومن ذلك:

١- أن يستشعر أهداف خلافة النبوة ومقاصدها في إعزاز الإسلام وأهله في حركاته وسكناته وألا ينتظر تنفيذ تلك المقاصد حتى تأتیه تعليمات الخلافة، بل عليه أن يعتقد بأن الخليفة وأركان شوره من المهاجرين والأنصار جميعًا يشهدون ما يتخذ من قرارات.

٢- وأن يواسي بين جنده في المكافآت والمهام والتكاليف، وأن يمتاز عن الجميع بحسن الأداء وشدة الالتزام بأداء المهام على أتم وجه وأكمله حتى يرى الجند أثر ذلك فيقتدوا به.

٣- أن تكون النية في المواجهة مع العدو نيل الشهادة قبل النصر؛ ليكون القتال خالصًا لله تعالى.

٤- الأخذ بأقصى درجات الحذر والعمل على ذلك في كل أوقاته مع أعلى درجات التأهب في جميع الأحوال، وتجنب مباشرة أي أمر دون تروٍّ ودراسة ومشاورة.

(١) البلاذري: الشيخان، ١١١.

- ٥- وجوب تقدير أهل القوة والنجدة ورعاية طاقاتهم، والتقرب إليهم وتبني أهدافهم والتجاوز عما يبدر منهم، وأن يكونوا هم أهل خاصته وموضع مشاورته وحمل مهامه.
- ٦- وألا يقدم على أمر دون دراسة وتروٍّ ومشاورة تفضي إلى علم بما يترتب على ذلك الأمر وقناعة بالعمل الموصل إلى الهدف وتحقيق النتائج المرضية.
- ٧- الإشارة إلى تقديم وشائج المودة والأخوة على ما سواها، والحرص على احترام ما قرره المسلمون من قبله في الشام دون تغيير والبناء على ما أسسوا له وبدؤوه.
- ٨- وواضح فيه أيضًا وجوب العناية بالمسلمين في كل الأحوال وتقدير طاقات الناس، وضرورة رعاية الضعفاء وتفقد أحوالهم ومراعاة أوضاعهم وقدراتهم واستثمار كل ذلك بما يحقق النجاح والتكامل في المواجهة مع المشركين.

\*\*\*

## أحوال العراق

### بعد مسير خالد إلى وفاة الصديق رضي الله عنه

قيل: إن خالدًا رضي الله عنه سار بتسعة آلاف، وقيل بثلاثة آلاف، وقيل بسبعمائة وقيل غير ذلك، وروي أن خالدًا انتدب عامة الصحابة معه فلم يرض المثنى ذلك وقال: والله ما أرجو النصر إلا بأصحاب النبي ﷺ، فلما رأى خالد ذلك استرضاه وأعطاه حتى رضي وقبل بمن بقي معه فسار خالد بمن معه وعامتهم من صناديد جيش المسلمين الذي كان في العراق، وسار معه المثنى يودعه إلى قراقر، ثم رجع وأقام بمن بقي معه فاستقل عددهم وخاف عليهم من غدر الفرس وحقدهم فأعاد انتشار قواته من جديد لتفويت الفرصة على من يدبر لهم سوءًا من المجوس، ولبت مرابطًا هناك، لكنه استبطأ خبر الصديق رضي الله عنه فاستخلف على المسلمين بشير ابن الخصاصية وسار إلى المدينة ليخبر الصديق رضي الله عنه خبر المشركين ويستأذنه في الاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين، فإنهم أنشط إلى القتال لإثبات توبتهم ولمسح ما لحقهم من سبة الردة، فقدم المدينة وأبو بكر رضي الله عنه مريض قد أشفى على الوفاة، فأخبره الخبر، فاستدعى الصديق عمر وقال له: إنني لأرجو أن أموت يومي هذا، فإذا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى، ولا تشغلنكم مصيبة عن أمر دينكم ووصية ربكم، فقد رأيتني متوفى رسول الله وما صنعت وما أصيب الخلق بمثله ﷺ؛ وإذا فتح الله على أهل الشام فاردد أهل العراق إلى العراق فإنهم أهله وولاة أمره وأهل الجراة عليهم. وتوفي أبو بكر رضي الله عنه ليلاً فدفنه عمر وندب الناس مع المثنى، إلى الفرس وملكتهم الجديدة آنذاك أزميدخت بنت كسرى التي وليت أمرهم قبل أن يقتلواها<sup>(١)</sup>.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٥/٦.

فلما أصبح عمر ندب الناس وحثهم على قتال الفرس وأعوانهم في العراق، وحرصهم ورغبتهم في الثواب على ذلك، فلم يبق أحد لأن الناس كانوا يكرهون الفرس لغدرهم، ثم ندبهم في اليوم الثاني والثالث فلم يبق أحد وتكلم المثنى بن حارثة فأحسن، وأخبرهم بما فتح الله تعالى على يدي خالد من معظم أرض العراق، وما لهم هنالك من الأموال والأموال والأمتعة والزاد، فلم يبق أحد في اليوم الثالث، فلما كان اليوم الرابع كان أول من انتدب من المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفي، ثم تتابع الناس في الإجابة فأمر عمر طائفة من أهل المدينة وأمر على الجميع أبا عبيد هذا ولم يكن صحابياً، فقبل لعمر: هلا أمرت عليهم رجلاً من الصحابة؟ فقال: إنما أوامر أول من استجاب، إنكم إنما سبقتم الناس بنصرة هذا الدين، وإن هذا هو الذي استجاب قبلكم. ثم دعاه فأوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، وأمره أن يستشير أصحاب رسول الله ﷺ وأن يستشير سليط بن قيس الأنصاري رضي الله عنه فإنه رجل باشر الحروب، فسار المسلمون وهم سبعة آلاف رجل وكتب عمر إلى أبي عبيدة وذلك بعد وفاة الصديق رضي الله عنه أن يرسل من كان بالعراق ممن قدم مع خالد إلى العراق، فجهز أبو عبيدة عشرة آلاف عليهم هاشم بن عتبة، وأرسل عمر رضي الله عنه جرير بن عبد الله البجلي في أربعة آلاف إلى العراق، فقدم الكوفة ثم خرج منها فواقع هرقران المدار فقتله وانهزم جيشه وغرق أكثرهم في دجلة، فلما وصل الناس إلى العراق وجدوا الفرس مضطربين في ملكهم، وآخر ما استقر عليه أمرهم أن ملكوا عليهم بوران بنت كسرى بعدما قتلوا التي كانت قبلها آزرميدخت وفوضت بوران أمر الملك عشر سنين إلى رجل منهم يقال له رستم بن فرخزاد على أن يقوم بأمر الحرب، ثم يصير الملك إلى كسرى فقبل ذلك، إلا أن المسلمين قتلوا رستم هذا فيما بعد يوم القادسية في خلافة عمر رضي الله عنه، وبهذا ينتهي حديث العراق إلى آخر أيام خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه<sup>(١)</sup> وبداية خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٢٥. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٧٩، ٢٨٦.

## المثنى بعد وداع خالد:

أقام المثنى في العراق مرابطاً يواجه أحقاد الفرس المجوس وكفرهم، يرتب جنده ويوزع عليهم المهام، فوضع في المسلحة التي كان فيها على السيب أخاه، ومكان ضرار بن الخطاب عتية بن النهاس، ومكان ضرار بن الأزور مسعوداً أخاه الآخر، وسد أماكن كل من خرج من الأمراء برجال أمثالهم من أهل المعرفة والقوة، ووضع مذعور بن عدي في بعض تلك الأماكن، واستقام أمر أهل فارس على رأس سنة من مقدم خالد إلى الحيرة، وذلك بعد خروج خالد بقليل، وذلك في سنة ثلاث عشرة على شهر براز بن أردشير بن شهريار ممن ينسب إلى كسرى ثم إلى سابور، فوجه إلى المثنى جنداً عظيماً عليهم هرمرز جاذويه في عشرة آلاف ومعه فيل، فكتبت المسالحي إلى المثنى بإقباله فخرج المثنى من الحيرة نحوه؛ وضم إليه المسالحي وجعل على مجنبيه المعنى ومسعوداً ابني حارثة، وأقام له بيابل وأقبل هرمرز جاذويه وعلى مجنبيه الكوكبد والخركبذ.

وكتب إلى المثنى: من شهر براز إلى المثنى؛ إني قد بعثت إليك جنداً من وخش أهل فارس، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير، ولست أقاتلك إلا بهم. فأجابه المثنى: من المثنى إلى شهر براز؛ إنما أنت أحد رجلين إما باغ فذلك شر لك وخير لنا؛ وإما كاذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس الملوك، وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنما اضطرتهم إليهم، فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير. فجزع أهل فارس من كتابه وقالوا: إنما أتى شهر براز من شؤم مولده ولؤم منشئه، وكان يسكن ميسان وبعض البلدان شين على من يسكنه، وقالوا له: جرأت علينا عدونا بالذي كتبت به إليهم فإذا كتبت أحداً فاستشر. فالتقوا بيابل فاقتتلوا بعدوة الصراة الدنيا على الطريق الأول قتالاً شديداً، ثم إن المثنى وناساً من المسلمين اعتوروا الفيل وقد كان يفرق بين الصفوف والكراديس فأصابوا مقتله فقتلوه وهزموا أهل فارس، واتبعهم المسلمون يقتلونهم حتى جازوا بهم مسالحيهم فأقاموا فيها، وتتبع الطلب الفالة حتى انتهوا إلى المدائن وفي ذلك يقول عبدة بن الطيب السعدي وكان

عبدة قد هاجر لمهاجرة حليلة له حتى شهد وقعة بابل، فلما آيسته رجع إلى البادية فقال:  
هل حبل خولة بعد البين موصول      أم أنت عنها بعيد الدار مشغول  
ولأحبة أيام تذكرها      وللنوى قبل يوم البين تأويل  
حلت خويلة في حي عهدتهم      دون المدائن فيها الديك والفيل  
يقارعون رؤوس العجم ضاحية      منهم فوارس لا عزل ولا ميل  
وقال الفرزدق يعدد بيوتات بكر بن وائل فذكر المثنى وقتله الفيل الذي جاء به المجوس:  
وبيت المثنى قاتل الفيل عنوة      ببابل إذ في فارس ملك بابل

ومات شهر براز منهزم هرمز جاذويه، واختلف أهل فارس وبقي ما دون دجلة وبرس من السواد في يدي المثنى والمسلمين، ثم إن أهل فارس اجتمعوا بعد شهر براز على دخت زنان ابنة كسرى فلم ينفذ لها أمر فخلعت، وملك سابور بن شهر براز. قالوا: ولما ملك سابور بن شهر براز قام بأمره الفرخزاد بن البندوان فسأله أن يزوجه آزرميدخت ابنة كسرى ففعل فغضبت من ذلك، وقالت: يا بن عم أتزوجني عبيدي؟ قال: استحي من هذا الكلام ولا تعيده علي فإنه زوجك! فبعثت إلى سياوخش الرازي، وكان من فتاك الأعاجم فشكت إليه الذي تخاف فقال لها: إن كنت كارهة لهذا فلا تعاوديه فيه وأرسلني إليه وقولي له: فليقل له فليأتك فأنا أكفيكه. ففعلت وفعل واستعد سياوخش، فلما كان ليلة العرس أقبل الفرخزاد حتى دخل فثار به سياوخش فقتله ومن معه ثم نهد بها معه إلى سابور، ثم دخلوا عليه فقتلوه وملك آزرميدخت بنت كسرى وتشاغلوا بذلك، وحينها خلف المثنى على المسلمين بشير ابن الخصاصية، ووضع مكانه في المسالح سعيد بن مرة المعجلي، وخرج نحو خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه، فقدم المدينة وأبو بكر رضي الله عنه مريض فكان ما سبق ذكره<sup>(١)</sup>.

(١) الطبري: تاريخ: ٣٠٨/٢. ابن كثير: البداية والنهاية، ١٧/٦.

وكان بداية أمر المثنى بن حارثة الشيباني أنه سار حتى قدم على خليفة رسول الله، فقال: أمرني على من قبلي من قومي أقاتل من يليني من الفرس المجوس وأكفيك ناحيتي. فقبل ذلك الصديق رضي الله عنه ووافق عليه، ولا سيما أنه يعرف المثنى وخبرته العسكرية ومقامه في قومه منذ أن لقيه مع رسول الله ﷺ قبل الهجرة كما اتضح ذلك في موضعه، فأقبل المثنى فجمع قومه وأخذ يغير بناحية كسكر مرة وفي أسفل الفرات مرة، ونزل خالد بن الوليد النباج<sup>(١)</sup> وكان معسكر المثنى بخفان<sup>(٢)</sup> فكتب إليه خالد ليأتيه وبعث إليه بكتاب من أبي بكر رضي الله عنه يأمره فيه بطاعة خالد، فأسرع حتى لحق به، وشهد مع خالد موقعة أليس وفتح الحيرة وما بعدها<sup>(٣)</sup>.

فكان رضي الله عنه مثال الجندي المطيع والقائد الخبير، فكان خير سند لخالد وجنده في العراق فضلاً عما لديه من خبرات سابقة فقرت به عيون المسلمين الذين قاتلوا المجوس وبقي على ذلك حتى أمر خالد وجنده بالتوجه إلى الشام، فكان المثنى خير خليفة لسيف الله بعد أن غادر جبهة العراق، ولا سيما أن المثنى قد قاتل مع خالد ورافقه وتعلم منه الكثير من دروس القتال التي يأخذها الخبير عن الخبير، فأثبت نجاحاً باهراً بالسير على طريق أستاذه، وتفانياً تاماً في نصرته عقيدته ومواجهة أعدائها المجوس ومكرهم وعلى الصعد كافة، بلا من ولا حظ للنفس أو غيرها وإنما هو الإخلاص لله ولرسوله ﷺ فأمضى حياته وهو موضع ثقة الراشدين رضي الله عنهم وثقة الصحابة والتابعين وأنعم بهم شهود حق على من شهدوا له.

\*\*\*

- (١) النباج: اسم موضع في أكثر من مكان منه نباج بني عامر على طريق البصرة ونباج بني سعد بالقريتين، ياقوت، ٤/٣٦٤.
- (٢) خَفَان: موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحياناً وهو فوق القادسية. ياقوت: معجم البلدان، ٢/٢٤٠.
- (٣) الطبري: تاريخ، ٢/٣١٠.

## المبحث الثاني

### فتوح الشام في عصر خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه

صلة المسلمين ومعرفتهم بالشام قديمة منذ أيام رحلة الشتاء والصيف، ثم وضح موقفهم منها في حياة رسول الله حين قال ﷺ: «سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودًا مجندة؛ جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق» قال ابن حوالة: خر لي يا رسول الله إن أدركت ذاك. فقال: «عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده، فإن أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم - جمع غدير - فإن الله توكل لي بالشام وأهله»<sup>(١)</sup>.

وإرساله ﷺ الرسل وقتل الروم لرسوله ﷺ ومن ثم غزوة الأمراء إلى مؤتة، وبعدها تجهيز النبي ﷺ المسلمين وقيادتهم في غزوة تبوك في أكبر حملة عسكرية لمواجهة خطر الروم الصليبيين ومن يحالفهم من مشركي العرب، وقبيل وفاته جهز مولاه أسامة بن زيد في جيش لغزو تخوم الشام فتوفي ﷺ وهو يوصي بإنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه، أما في حياة خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه فإن أول عمل استفتح به خلافته هو إتمام تجهيز جيش أسامة وإرساله لحرب الروم كامتداد لما كان عليه الحال أيام رسول الله ﷺ وعملاً بقوله تعالى:

(١) ابن حنبل: المسند، ح (١٧٠٤٦)، فضائل الصحابة، ح (١٧٠٧)، ابن حبان، صحيح ابن حبان، ح (٧٣٠٦)، الطبراني: المعجم الكبير، ح (١١١٤٩١)، الصنعاني: المصنف، ح (٢٠٤٥٦). قال الألباني وشعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

﴿ قَدِيلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (١).

ولما فرغ الصديق من أمر الردة وسحق مراجعها الكذابين؛ الذين نفثوا في العامة من الناس رفض خلافة النبوة وبغض الصحابة، وتمكن من توحيد جزيرة العرب، فبسط يمينه إلى العراق جناح جزيرة العرب وبوابتها من الشرق، وبعث إليها سيف الله خالد بن الوليد فأثبت الصحابة رضي الله عنهم القدرة الهائلة على مواجهة الباطل وقيادة البشرية في كل أرض وعلى كل حال، بأفضل ما يمكن أن تكون القيادة التي يتمناها أسوياء الناس وعقلاؤهم لهذا الكون، ولما بعث خالد إلى العراق كان تخطيطه لفتوح الشام قائماً على قدم وساق، إذ إن أمر الشام عند خليفة رسول الله كان قد بدأه رسول الله ﷺ، وما كان عليه هو إلى مواصلة المسير على ذات الخطى التي سار عليها النبي ﷺ من قبله، فشرع في جمع الأمراء وقادة الجيوش والجنود من أماكن متفرقة من جزيرة العرب، فأرسل أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه لاستنفار المؤمنين من أهل اليمن الذين لم تلوث مواقفهم الردة لا بقول ولا عمل، فقام أنس رضي الله عنه بهذه المهمة خير قيام فكان يستحث الناس ويستشير فيهم الحمية على الكتاب والسنة وضرورة مشاركة كل مسلم في العمل على نشرهما وحمايتهما في كل عصر ومصر، وكان أنس يقرأ على من يدعوهم خطاب خليفة رسول الله لهم ثم يقول: «إني رسول خليفة رسول الله إليكم ألا وإني قد تركتهم معسكرين، ليس يمنعهم من الشخوص إلى عدوهم إلا انتظاركم، فعجلوا إلى إخوانكم بالنصر» (٢).

فكانوا يحسنون عليه الرد ويتهيئون للمسير «وقدم إليه زعماء العرب وأشرفهم وملوك اليمن وعليهم الحلل وبرود الوشي المثقل بالذهب والتيجان، فلما شاهدوا ما عليه رضي الله

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

(٢) ابن حبيش: غزوات ابن حبيش، ١/١٤٨، الكلاعي: الاكتفاء في سيرة الثلاثة الخلفاء، ٣/١١٦،

الخليفة: الأنصار، ٢٣٥.

عنه من اللباس والزهد والتواضع والنسك، وما هو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم<sup>(١)</sup>، وهذه هي والله مكارم القيادة وأعلى مقاماتها؛ إذ يكتفي الزعماء والملوك بحال خليفة رسول الله عن سماع وعظه فينفذون عنهم آثار الحظوظ وينخرطون في ساحات العمل لنصرة الدين والسير على ما عليه إمام الأمة وقائدها رضي الله عنه، فلما قدمت تلك الإمدادات سرّ بهم خليفة رسول الله وياشر بإمداد طلائعه في الشام منهم. فاستهلت سنة ثلاث عشرة من الهجرة والصديق رضي الله عنه عازم على مواجهة الروم وحشد المجاهدين لذلك.

وكان خليفة رسول الله لما وجه خالد بن الوليد إلى العراق بعد القضاء على الرافضة المرتدين في جزيرة العرب، وجه خالد بن سعيد بن العاص بجند إلى تيماء بين أطراف الشام ووادي القرى، ليكون ردةً للمسلمين، وأمره ألا يفارق ذلك الموضع إلا بأمره، وأن يدعو من حوله من العرب ليلتحق بجيشه إلا من ارتد منهم، وألا يقاتل إلا من قاتله، فتوجه خالد بن سعيد إلى تيماء، فلما استقر به المقام دعا من حوله فأقبل عليه الناس واجتمع إليه جموع كثيرة، فبلغ خبره ملك الروم الإمبراطور هرقل فضرب البعث على عرب الضاحية بالشام من بهراء، وسليم، وغسان، وكتب، ولخم، وجذام، فكتب خالد بن سعيد إلى خليفة رسول الله بذلك فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه أقدم ولا تقتحم.

فسار إليهم خالد بن سعيد فلما دنا منهم تفرقوا فنزل منزلهم، وكتب إلى أبي بكر رضي الله عنه بذلك فأمره بالإقدام بحيث لا يؤتى من خلفه، فسار حتى جازه قليلاً ونزل، فسار إليه البطريق باهان أحد بطارقة الروم فقاتله خالد بن سعيد في تلك الأثناء فهزمه وقتل جنده، وكتب إلى أبي بكر رضي الله عنه يستمده، وكان قد قدم في تلك الأثناء ذو الكلاع الحميري ومعه من استنفرهم من أهل اليمن، وقدم أيضًا عكرمة بن أبي جهل فيمن معه من

(١) المسعودي: مروج الذهب، ٢٣٥. وكتب المسعودي خليط بين الحق والباطل، والصدق والكذب، والأمانة والخيانة، والحقد والسلامة، يخلط هذا بهذا ليغطي على بوائقه وعوراته وحقده على الصحابة بأسلوب خبيث ترك آثارًا مفسدة لعقائد كثير من الغوغاء.

تهامة وعُمان والبحرين، فأمد خالد بن سعيد بهما ومن معهما من المسلمين، فقدموا على خالد بن سعيد وبعدها اهتم أبو بكر رضي الله عنه بالشام اهتمامًا مباشرًا<sup>(١)</sup>.

فبعث بعد قفوله من الحج سنة ثلاث عشرة الجنود إلى الشام. وكان قد استعمل عمرو بن العاص على صدقات قضاة ومعه الوليد بن عقبة فيهم، فكتب إليه يستنفره إلى الشام: «إني كنت قد رددتك على العمل الذي ولاك رسول الله ﷺ مرة وسماه لك أخرى، وقد أحببت - أبا عبد الله - أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك» فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت - عبد الله - الرامي بها، والجامع بها، فانظر أشدها وأخشأها فارم بي فيها. وكتب إلى الوليد بن عقبة بمثل ذلك ورد عليه مثله، وأقبل بعدما استخلفا في عملهما إلى المدينة<sup>(٢)</sup>.

### خطبة خليفة رسول الله عند انطلاقة جيوشه لفتح الشام:

ولما اجتمع من الجيوش ما أراد رضي الله عنه قام في الناس خطيبًا. فأثنى على الله بما هو أهله ثم حث الناس على الجهاد فقال: «ألا لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد فإن القصد أبلغ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا إيمان لمن لا خشية له، ولا عمل لمن لا نية له، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يُخص به، هي النجاة التي دل الله عليها، إذ نجى بها من الخزي فألحق بها الكرامة»<sup>(٣)</sup>.

وبعد أن استلم المؤمنون مقاصد هذه الخطبة البليغة الموجزة الهادفة إلى أن يعدوا أنفسهم لأمر عظيمه ينبغي لهم أن يكونوا ملهمين بأهدافها ومقاصدها، وأن يختاروا أنجع الوسائل وأقرب الطرق لإنجازها، ضمن ضوابط الشرع ومقاصده وبنوايا خالصة لله تعالى،

(١) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ٢/٢٧٦.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/٧، ابن الأثير: الكامل، ٢/٢٧٦.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/٧، الطبري: تاريخ، ٢/٣٣٣.

كما أكد فيها رضي الله عنه أن الدين هو المقياس للأمانة ولحسن العمل في هذه الحياة؛ على أن يتوافق ذلك مع هدي الكتاب والسنة، لأن الدين سيجعل هدف صاحبه ومبتغاه الجنة التي تصغر أمامها الدنيا بما فيها من مكاسب، فمن فعل ذلك علم أن الجهاد في سبيل الله هو الطريق الموصلة إلى ذلك المبتغى المنجي من الذل والهوان في الدنيا، وإلى السيادة والعزة فيها، والمنجي من الخزي يوم القيامة، المؤدي إلى السلامة والكرامة فيها. ثم شرع خليفة رسول الله في تولية الأمراء وعقد الألوية والرايات، فيقال: إن أول لواء عقده لخالد بن سعيد بن العاص؛ ولكن بعد المشاورة تم بعثه إلى أرض تيماء ليكون بها فيمن معه من المسلمين حتى يأتيه أمر خليفة رسول الله كما تقدم.

ثم عقد لواء ليزيد بن أبي سفيان ومعه جمهور الناس، ومعه سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وأمثاله من أهل مكة، وجعل له دمشق، وكان طريق يزيد الذي سلكه على تبوك.

وبعث أبا عبيدة بن الجراح على جند، وخرج معه ماشياً يوصيه وجعل له نيابة حمص.

وبعث عمرو بن العاص بجيش آخر وجعله على فلسطين، فأخذ الطريق على أيلة.

وأمر كل أمير أن يسلك طريقاً غير طريق الآخر، لما في ذلك من المصالح الأمنية والتموينية والإعلامية والعسكرية، وما في ذلك من إدخال الرعب على الروم الصليبيين وحلفائهم ممن لا هوية لهم من العرب المشركين، ولعل هذا بعكس ما أشار إليه البعض بأن الصديق رضي الله عنه ربما اقتدى في ذلك بنبي الله يعقوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حين قال لبيته كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَبْنَئَ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>. إذ إن نبي الله يعقوب كان يخشى على بنيه من الحاسدين والعائنين بينما خليفة رسول الله كان يريد بمسير جنده ظاهرين متآزرين متساندين أن يفقأ عيون الحاسدين والحاقدين من المجوس والصليبيين، وقد فعل ذلك على أتم وجه فأزال ظلمهم وأثبت

(١) سورة يوسف، الآية: ٦٧. ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٤. الصلابي: أبو بكر الصديق، ٣٥١.

عدل الإسلام وحضارته الإنسانية السامية، وكان بعث أبي بكر رضي الله عنه لهذه الجيوش في أول سنة ثلاث عشرة من الهجرة.

وخرج خليفة رسول الله ماشياً يودع يزيد وجيشه، ويزيد راكب فجعل يوصيه، فلما فرغ قال: أقرئك السلام وأستودعك الله، ثم انصرف ومضى يزيد وأجدّ السير إلى الشام.

ثم تبعه شرحبيل ابن حسنة، ثم أبو عبيدة مدداً لهما، فسلكوا غير ذلك الطريق. وخرج عمرو بن العاص حتى نزل فلسطين من الشام. ويقال: إن يزيد بن أبي سفيان نزل البلقاء أولاً ونزل شرحبيل بالأردن، ويقال ببصرى. ونزل أبو عبيدة بالجابية<sup>(١)</sup>. وجعل الصديق يمدّهم بالجيوش، وأمر كل واحد من المدد أن ينضم إلى من أحب من الأمراء. ويقال: إن أبا عبيدة لما مر بأرض البلقاء قاتلهم حتى صالحوه وكان أول صلح وقع بالشام.

ويقال: إن أول حرب وقع بالشام أن الروم اجتمعوا بمكان يقال له العربية من أرض فلسطين فوجه إليهم أبا أمامة في سرية فقتلهم وغنم منهم، وقتل منهم بطريقاً عظيماً. ثم كانت بعد هذه وقعة مرج الصفراء استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاص وجماعة من المسلمين. ويقال: إن الذي استشهد في مرج الصفراء ابن لخالد بن سعيد، وأما هو فانحاز إلى أرض الحجاز<sup>(٢)</sup>.

وروي لما انتهى خالد بن سعيد إلى تيماء اجتمع له جنود من الروم ومنهم كثير من نصارى العرب، من تنوخ، وبني كلب، وسليح، ولخم، وجذام، وغسان، وبهراء، فتقدم إليهم خالد بن سعيد، فلما اقترب منهم تفرقوا عنه ودخل كثير منهم في الإسلام، وبعث إلى الصديق يعلمه بما وقع من الفتح، فأمره الصديق أن يتقدم ولا يحجم، وأمدّه بالوليد بن عتبة، وعكرمة بن أبي جهل، وجماعة آخرين، فسار إلى قريب من إيلياء فالتقى هو وأمير من الروم يقال له: ماهان فهزمه خالد، ولجأ ماهان إلى دمشق، فلحقه ابن سعيد، وبادر الجيوش ليسبقها إلى

(١) الجابية: قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان. ياقوت، ٢١/٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/٧.

دمشق ولعله كان في ذلك طلب الحظوة، فوصلوا إلى مرج الصفر فأنطوت عليه مسالح ماهان وأخذوا عليهم الطريق وزحف ماهان فانسحب ابن سعيد إلى ذي المروة على طريق المدينة واستحوذ الروم على جيشهم إلا من فرّ على الخيل.

وثبت عكرمة بن أبي جهل، وقد تقهقر عن الشام قريباً وبقي ردةً لمن نفر إليه، ولما مرّ شرحبيل ابن حسنة بخالد بن سعيد وهو بذي المروة، أخذ جمهور أصحابه الذين انسحبوا معه إلى ذي المروة. ثم اجتمع عند الصديق طائفة من الناس فأمر عليهم معاوية بن أبي سفيان وأرسله وراء أخيه يزيد، ولما مرّ بخالد بن سعيد بذي المروة أخذ من كان بقي معه إلى الشام ثم أذن الصديق رضي الله عنه لابن سعيد في الدخول إلى المدينة وقال: كان عمر أعلم بخالد بن سعيد<sup>(١)</sup>.

وبعث أبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل ابن حسنة إلى الشام وكان الصديق رضي الله عنه أراد أن يبعث خالد بن سعيد على أحد الجيوش الأربعة، فلم يزل عمر بن الخطاب به رضي الله عنه حتى عزله وأبقاه ردةً للمسلمين في تيماء، وأمر مكانه يزيد بن أبي سفيان، وأمرهم أن يسلكوا التبوكية على البلقاء من علياء الشام<sup>(٢)</sup>.

ولما خرج يزيد بن أبي سفيان بجيشه إلى الشام خرج معه خليفة رسول الله يوصيه يزيد راكب. فقال: يا خليفة رسول الله، إما أن تركب وإما أن أنزل! فقال: ما أنت بنازل ولا أنا براكب، أليست خطاي هذه في سبيل الله؟! ثم قال: يا يزيد، إنكم ستقدمون بلاداً فإذا أكلتم الطعام فسموا الله على أوله واحمدوه على آخره.

وستجدون قوماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له.

وستجدون أقواماً قد اتخذ الشيطان على رؤوسهم مقاعد - يعني الشماسة - فاضربوا تلك الأعناق.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/٧.

(٢) ابن حبان: سيرة ابن حبان: ٤٢٨/١.

ولا تقتلن كبيراً هرمًا ولا امرأة ولا وليدًا ولا تعقرن بهيمة إلا لنفع، ولا تخربن عمرانًا، ولا تقطعن بحرًا إلا لنفع، ولا تغل ولا تغدر ولا تخن ﴿وَلْيَنْصُرِكِ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١﴾. وبعد هذه الوصية والتوجيهات الاستطلاعية لما سيراه في طريقه وما يواجهه في مسيره زوده رضي الله عنه بما يجب أن يفعله، ثم باشر مخاطبته في خاصة نفسه خطاب معلم وموجه ومرشد خبير شفيق محب للخير، وقائد خاض الأيام وجرب الدنيا وأهلها، وصحابيًا تلقى فن القيادة والخطابة وسبل التعامل مع الناس بكل أصنافهم عسكريين ومدنيين وأعرابًا وحضريين من لدن رسول الله ﷺ منذ أيام شبابه إلى شيخوخته رضي الله عنه.

### وصية خليفة رسول الله ليزيد بن أبي سفيان:

«إني قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهره، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليًا له، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربًا إليه بعمله، وقد وليتك عمل خالد بن سعيد، فإياك وعيبة الجاهلية، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جنك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه، وإذا عظمتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضًا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصلِّ الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكريك وهم جاهلون، ولا ترينهم فيروا خللك ويعلموا علمك وأنزلهم في ثروة عسكريك، وامنع من قبلك من محادثتهم، وكن أنت المتولي لكلامهم، ولا تجعل شرك لعلايتك فيختلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتاك الأخبار وتنكشف عندك الأستار، وأكثر حرسك وبددهم في عسكريك، وأكثر مفاجأتهم في محرسهم بغير علم

(١) سورة الحج، الآية: ٤٠. ابن حبان: سيرة ابن حبان: ٤٢٨/١.

منهم بك، فمن وجدته غفل عن حرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة؛ فإنها أيسرهما لقربها من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجّن فيها، ولا تسرع إليها، ولا تتخذ لها مدفعًا، ولا تغفل عن أهل عسكريك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلايتهم، ولا تجالس العابثين، وجالس أهل الصدق والوفاء، واصدق اللقاء، ولا تجبن الناس، واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر، وستجدون أقوامًا حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له»<sup>(١)</sup>.

وقال يزيد: قال لي أبو بكر رضي الله عنه حين بعثني إلى الشام: يا يزيد إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة وذلك أكبر ما أخاف عليك، فإن رسول الله ﷺ قال: «من ولي من أمر المسلمين شيئًا فأمر عليهم أحدًا محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً حتى يدخله جهنم، ومن أعطى أحدًا حمى الله فقد انتهك في حمى الله شيئًا بغير حقه فعليه لعنة الله» - أو قال: - «تبرأت منه ذمة الله عز وجل»<sup>(٢)</sup>.

### وقفه مع وصية خليفة رسول الله:

إن نظرة مجردة إلى هذه الوصية الموجهة إلى أحد قادة خليفة رسول الله المتوجهين إلى حرب عدو متجبر لا يبالي بقيم الأرض ولا بقيم السماء، من جرائمه ضد المسلمين في عصر رسول الله ﷺ التي لا يستطيع أحد أن يسوغها، قتل أتباعهم في تخوم الشام لرسول رسول الله ﷺ الذي جاء يدعوهم إلى الله ورسوله ﷺ فضلًا عن رفضهم للإسلام ومحاربتهم لأهله.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٧. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٧٧. وقال ابن الأثير: هذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعًا لولاة الأمر.

(٢) ابن حنبل: المسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه باب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٢٢) ١/١٢.

ومن ثم مصادمتهم لأصحاب رسول الله في موقعة مؤتة بمائتي ألف مقاتل، مقابل ثلاثة آلاف وفي هذا الكثير من المعاني التي تشير إلى بطولة الصحابة وشدة جرأتهم، وإلى انتهازية الروم الصليبيين وحلفائهم فرصة تفوقهم العددي والعسكري، لمحاولة القضاء على تلك القوة النقية، الناشئة على قيم التوحيد وطاعة الله تعالى، ولكن انتهازية الروم وأعوانهم عادت عليهم بالوبال، إذ تمكن أصحاب رسول الله من إلقاء الرعب في قلوبهم وهزيمتهم نفسياً وعسكرياً وذلك حين «أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليه»<sup>(١)</sup> ثم انسحبوا بانتظام من أمام تلك الجموع المرعوبة من نظامهم وسمتهم وبطولتهم، مما أورث الروم البهتان والحقد على هذه الأمة إلى هذا العصر، والرهبنة من كل من يسير على سمت أو هدي أصحاب رسول الله رضي الله عنهم والتربص بهم ومحاولة الإيقاع بهم قبل أن تثبت أقدامهم على أي أرض في هذا الوجود.

ومما يثير الأشجان والأحزان لكل عاقل يتمعن في هذه الوصية وهو يسمع لما يتشدد به الغرب الصليبي والعلماني عن حقوق الإنسان، وهو يرى أن الإنسان المسلم لا قيمة له في البلاد التي يتغلب عليها هؤلاء، ولعل نظرة إلى العراق أو فلسطين أو أفغانستان أو غيرها أو إلى ما يصرح به زعماءهم بأن من ليس معهم في عدوانهم فهو ضدهم، وإلى ما شردوا وقتلوا وخرّبوا في البلاد المذكورة وغيرها، وكيف يستخدمون أعتى أنواع الأسلحة ضد العزل من النساء والأطفال والبيوت والمساجد والمدارس إلى غير ذلك مما أصبح ظاهراً جلياً.

إن نظرة يسيرة إلى هذا الواقع المأساوي الذي يرسمه المعتدون في هذا العصر تبين كم هي إنسانية وصية خليفة رسول الله، وكم هو مؤهل لقيادة العالم بأسره ضمن هذا التشريع وهذه الرؤية الشمولية السامية لكل أوجه الحياة؛ وكم هو عظيم رحيم هذا الدين الذي ما زال المبطلون يبغضون أهله ويصفونهم بما هم متلبسون فيه من العدوانية والبربرية والسطو والانتهازية والابتزاز وتفريغ الأحقاد واستعباد الضعفاء من العباد والعزل من الناس.

(١) ابن حنبل: المسند، (١٧٥٠)، سنن النسائي، ح (٨٦٠٤)، الطبراني، المعجم الكبير، ح (١٤٦١).

وجاء في هذه الوثيقة الحضارية العالمية أن محاسبة الولاة حق مشروع للخلافة وأنها تكافئ على ذلك المحسن إحساناً وثقة، والمقصر حرماناً واستبدالاً بمن هو أفضل وأصدق.

وفيها دليل على أن في صلاح الراعي صلاح الرعية وأن من عفت رعيته ومن أحب أمته أحبته الأمة، والمقياس في كل ذلك هو مفاهيم الكتاب والسنة وما تفرع عنهما.

وفيها: أن المحاسبة تنبع من الذات وتحيا في الضمائر الحية، عندما تغرس فيها معاني التقوى والزهد التي تثمر الأمان والنجاح والثقة.

أن أي نزعة إقليمية أو حزبية أو قبلية إنما هي وجه من وجوه الجاهلية، وأن الأكفأ هو الأولى في دولة الخلافة الراشدة ضمن ضوابط الكتاب والسنة وفهم الصحابة وسلف الأمة الصالحين، ومن خالف ذلك يقع تحت طائلة المحاسبة.

أن الحرص على الإيجاز في تعليم الناس على الصعد كافة، وتفعيل مبدأ التعليم بالقودة الحسنة هو أهم سبل التعليم، وأقوى وسائل التغيير والثبات على المبدأ.

وفيها أن فريضة الصلاة بشعائرها وخشوعها يجب أن تكون هي شعار القائد العسكري المسلم، وأن إقامتها وعمارتها في أي تجمع إنما هو علامة الحيوية والأمانة والنظام والانضباط وسلامة الهوية، فأى قائد أو تجمع لا يقيم الصلاة، إنما هو تجمع منحرف عن الصواب والرشد قيادته جاهلية، أما من يحارب الصلاة فإنما هو يحارب الله ورسوله ﷺ والمؤمنين.

وفيها التعامل مع رسل العدو بمتهى الحذر والأدب ومباشرة الحديث والحوار معهم، لكشف ما عندهم وما وراء سفارتهم، والحرص على عدم كشف أي عورة في معسكر المسلمين.

الحرص التام على الشورى لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ يَنْبَغُ لَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

التحلي بمعارف العصر وكتمان معلومات المهام الخطرة والعمل على عدم تسريب الأسرار العسكرية خارج دائرتها عملاً بقوله ﷺ: «استعينوا على قضاء الحوائج بكتمانها»<sup>(١)</sup>.

يجب أن يكون القائد المسلم قدوة في التمسك بالعقيدة وحسن فهمها، وفي الشجاعة والإقدام وافتداء العقيدة وأمة العقيدة، والثبات على المبدأ وفي الأخلاق الحميدة والحلم والكرم والتجاوز عن الإخوان، والانضباط والطاعة.

أن يتمتع القائد المسلم بالأمانة والقوة وهما الصفتان البارزتان في القائد الناجح، وهذا ما أكده الصحابة رضي الله عنهم في قيادتهم للأمة عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ آسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وجاء فيما حدّث به يزيد عن وصية خليفة رسول الله له؛ من المعاني الدقيقة في وجوب تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وما فيها من نفع القبيلة أو الحزب أو الإقليم كما يفعله كثير من الانتهازيين والنفعيين، الذين يتولون على المسلمين في كثير من البلاد والجماعات، فأضاعوا الأمانة وصنعوا الفرقة وغدوا الفتنة، بتمسكهم بسياسة نفع الأتباع وإشباع الأهواء؛ دون مراعاة مصلحة الأمة وعقيدتها، وهذا ما جلب على المسلمين المصائب والهزائم، وما يراه كل مراقب حصيف في هذا العصر، ولما نجح يزيد في قيادته على أتم وجه وأكملة، ثبت أنه عمل بوصايا خليفة رسول الله وأنه قدّم الأمة والعقيدة على ما سواهما، فكان أحد كرام القادة الذين قرّت بهم عين الأمة وشمخت بإنجازاتهم الخالدة.

ومن إبراز مقاصد وصية الصديق رضي الله عنه وبيان معانيها، تظهر معرفته الشاملة التي كان يتمتع بها بما ينجز مصالح المسلمين عامة، ويحقق ما يحتاجه الجيش المحارب في ميادين التخطيط والاستطلاع والقتال، وما ينبغي أن يكون عليه القائد المسلم من القوة

(١) المتقي الهندي: كنز العمال، ح (١٧٠١٨) المناوي: فيض القدير، ح (٩٨٥).

(٢) سورة القصص، الآية: ٢٦.

والحذر والحكمة والسياسة في معاملته لجنوده ومواجهته لأعدائه.

ويتجلى في هذه الوصية إمامة خليفة رسول الله وقيادته السديدة الرشيدة للأمة، وسعة علمه في كل باب يخوض فيه، فهو الإمام الكامل والقائد المنتصر والراعي الواعي الذي استقى من رسول الله حتى روي، فتفجرت من جنبات أفعاله وأقواله ينابيع الحكمة، وجرت على يديه سفن النصر في بحار النجاح على كافة الجبهات، فهو الذي تفرد في مراتب الصحبة حتى ارتقى أقصى درجاتها فلتقى من رسول الله ما لم يتلقه الكثير، وفهم عنه ما لم يفهمه الكثير من الناس، فسار على ذات السنة التي رسمها ﷺ حتى أصبح حجة وميزاناً في هذا الباب، فكل من سار على آثار خليفة رسول الله فهو على العجادة وفي السبيل الصحيح، وكل من خالف فهو الشاذ إلى نار الرفض والردة وجحيم الجاهلية، وهو الذي فهم الحاضر الذي عاشته الأمة فاستشرف لها مستقبلها، وعلم العلامات الهادية إلى الهدى والعلا، فسارت الأمة على طريقه المؤدية إلى رسول الله ﷺ وتمسكت بما رسم لها من قواعد السياسة الداخلية والخارجية، وعلمهم كيف يواجهون القوى العظمى عملياً، وكيف يقهرونهم ويسحقون كبرهم ويقومون اعوجاجهم؛ كما علمهم ما هو الموقف من الرافضة المرتدين وأنهم لا إيمان لهم ولا ثقة بهم ولا أمان لهم، وأنه لا يجدي معهم التودد والتسامح، وأن السياسة الوحيدة الناجعة معهم هي ما فعله الصديق رضي الله عنه مع سلفهم الفاسد من أمثال: مسيلمة وعبهلة العنسي وسجاح وأمثالهم، وما ذلك إلا لأن دينهم بني على هدم الإسلام، وحياتهم لا تقوم إلا إذا استبيحت حياة محبي الصحابة، وكل ذلك ظاهر عندما أصبحت لهم شوكة في هذا العصر، فانكشفت حقيقتهم الحاقدة الغادرة التي تقوم على استباحة السنة وأهلها ونصرة الردة وأهلها، بالتعاون مع الغزاة والمعتدين، فلا سياسة إذا لم تكن على منهج خليفة رسول الله، ولا وحدة ولا أمن ولا انتصار إن لم يكن على ذلك المنهج.

ذلك وجه من شخصية خليفة رسول الله أشرق على الأمة من خلال وصيته لقائد من قادة جيوشه التي واجهت الباطل بكل ألوانه، فثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن خليفة رسول الله

هو الخبير الجامع لعلوم السياسة والقيادة والقتال وفنون المناورة ومحاسبة الولاة وقيادة الرعية وحشدها لتحقيق أهداف الأمة وحماية العقيدة، وهو الشديد على الكافرين، الرحيم على المؤمنين كما وصفه قائده عليه السلام بقوله: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر»<sup>(١)</sup> كما ثبت من قبل أنه الكريم الأتقى.

وفي خطابه رضي الله عنه ليزيد يتضح فيه تفصيل واسع، في التوجيهات على عامة المستويات والإرشاد إلى أنجع الوسائل في التعامل مع الجند في السلم والحرب، ومناورة الأعداء ومواجهتهم، مما لم يزود به خالد رضي الله عنه، وما ذلك إلا لأن خالدًا رضي الله عنه قد عمل قائدًا في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ثم عمل تحت رعاية الصديق رضي الله عنه وقيادته، فاعتمد على علم خالد وخبرته بمثل هذه الأمور التي كان يزيد في حاجة إلى معرفة تفاصيلها وإثبات نجاحه فيها.

وتبين في هذه الوصية أن الصديق جمع في أثنائها بين الترغيب والترهيب، ولعل الصديق فعل ذلك تحفيزًا ليزيد حتى يسلك مسلك كبار قاداته أمثال: خالد وأبي عبيدة وعمرو رضي الله عنهم، ولا سيما أنه ولاه عمل خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنهم الذي لم يحقق كل ما أوكل إليه، ولم يأخذ بتوجيهات الصديق في الكر والفر والحذر والالتزام بما توجهه إليه الخلافة الراشدة.

فكان لهذه التوجيهات أعمق الأثر في نفس يزيد بن أبي سفيان فأبلى بلاء حسنًا، وكان خير قدوة لجنوده، ومن أحسن القادة سيرة بين الناس.

وبعد خروج يزيد إلى الشام بأيام وجه خليفة رسول الله، شرحبيل ابن حسنة، وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن عمرو من كندة حليف قريش، ويقال من الأزدي فسار في سبعة آلاف، ثم أبا عبيدة بن الجراح في سبعة آلاف، فنزل يزيد باللقاء، ونزل شرحبيل الأردن،

(١) سنن الترمذي: ح (٣٧٩٠)، ابن حبان: صحيح ابن حبان، ح (٧١٣١)، الألباني: السلسلة الصحيحة، ح (١٢٢٤).

ويقال بصري، ونزل أبو عبيدة الجابية، ونزل عمرو بن العاص بغمر العربات، ثم رغب الناس في الجهاد؛ فكانوا يأتون المدينة فيوجههم أبو بكر رضي الله عنه إلى الشام، فمنهم من يصير مع أبي عبيدة، ومنهم من يصير مع يزيد، كل قوم مع من أحبوا. وقالوا: أول صلح كان بالشام صلح مآب وهي قرية من البلقاء، مرّ أبو عبيدة بهم في طريقه فقاتلوه، ثم سألوه الصلح فصالحهم، واجتمع الروم جمعًا بالعربة من أرض فلسطين؛ فوجه إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمانة الباهلي ففض ذلك الجمع، فقالوا: أول حرب بالشام بعد سرية أسامة كانت بالعربة. ثم أتى الروم إلى الدائنة، ويقال: الدائن. فهزمهم أبو أمانة الباهلي وقتل بطريقًا منهم<sup>(١)</sup>.

### وصية خليفة رسول الله لعمر بن العاص:

تبين فيما سبق أن خليفة رسول الله قد كتب إلى عمرو رضي الله عنه يخيره بين البقاء في عمله على صدقات بني سعد هذيم، وبني عذرة، وغيرهم؛ وبين قيادة أحد جيوش الشام، وأظهر أنه يختار له الجهاد على العمل في جمع الصدقات فاختر عمرو ما اختاره له قائده الصديق رضي الله عنه فأمره أن يجمع العرب من حوله، وأمر الوليد بن عقبة وكان على بعض صدقات قضاة أن يجمع أيضًا العرب ففعلا، ثم أرسل أبو بكر رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص بالقدوم إلى المدينة مع من اجتمع إليه وأمره أن يسير في طريق سماها له إلى فلسطين، وأمر الوليد بن عقبة أن يسير إلى الأردن، ومثلما أوصى خليفة رسول الله أمراء الجيوش المتوجهة إلى الشام أوصى عمرو بن العاص قائلاً: «ارفق بجندك في مسيرك، وتعهدهم بنفسك، وإذا انتهيت إلى فلسطين فعسكر هناك حتى تلحقك الجيوش، وإياك والوهن، ولا تقل رمي بي في نحر العدو، فقد رأيت نصر الله إيانا ونحن قليل، وأكرم وجوه من معك تستنزل نصائحهم، وتستخرج ما عندهم»<sup>(٢)</sup>.

وروي أنه أوصى عمرًا والوليد كل واحد منهما بوصية واحدة جاء فيها: «اتق الله في

(١) الطبري: تاريخ، ٢/٣٤٠، ابن حبان: سيرة ابن حبان: ١/٤٢٨.

(٢) البلاذري: الشبان، ١١١.

السر والعلانية فإنه من يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا، فإن تقوى الله خير ما توأصى به عباد الله، إنك في سبيل من سبيل الله لا يسعك فيه الإهمال والتفريط والغفلة عما فيه قوام دينكم وعصمة أمركم فلا تن ولا تفتري»<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الوصايا يتبين معرفة أبي بكر رضي الله عنه بالقادة الذين اختارهم لقيادة جيوش الخلافة في أخطر عملية عسكرية وأوسعها على مر التاريخ، فهو يخاطب كل قائد بما يراه متممًا لرؤيته التي يحملها ومزيليًا لما في نفسه من هواجس حتى يسير وهو على قناعة تامة بما هو ذاهب إليه، ثم يلفت إلى ما يجب أن تكون سيرته مع جنده وواجبه تجاههم ووسائل تعامله معهم ووجوب انضباطه التام بتعاليم الخلافة وأن يعلم أنه جزء من جماعة المسلمين يعمل ضمن الجماعة ويتحرك في دائرتها لأن دين الإسلام هو دين الجماعة والوحدة، فلا بد والحال هذه أن يشارك جنده الرأي ويقبل منهم المشورة والنصيحة، وأن يقبل النقد إذا سمعه من أحد من جنده؛ لأن خير من يعمل برأي الجماعة ويأخذ بالنصيحة هو خليفة رسول الله وجنده الفاتحون.

ولا شك أن ما جاء في هذه الوصايا هو من أجل ما عرف التاريخ من القيم والأخلاق وإعطاء الحقوق، ومن نظام السلطة المقيدة بالشرع وضوابطه، التي يجب أن يقف عندها زعماء المؤسسات الإنسانية والجمعيات والهيئات الحقوقية والقادة العسكريين، ليتأملوا ما فيها من الحكم السياسية، والاجتماعية، والحربية، والأخلاقية، وما تشير إليه من عظمة قائلها، وقوة علمه وسعة اطلاعه وسمو مداركه، ولشمولها الجانب السياسي والحربي وما في ذلك من التخطيط والتدبير الناجع، ولو أن هذه التعليمات صدرت في هذا العصر من أحد ساسة الغرب بعد أن درس في أعرق الجامعات لتناقلتها الأقلام، ونشرتها الصحف، وتغنى بمعانيها الخطباء والفضائيات. فالواجب على المسلمين أن يسطروها واقعًا عمليًا

(١) الطبري: تاريخ، ٢/٣٣٣.

في حياتهم التطبيقية، كيف لا وهي ما زالت دررًا فريدة، لكونها صدرت من رجل الدنيا وواحدًا ذلك الذي قد ساس الأمة بعد تفككها حين وفاة النبي ﷺ وحفظ كيانه بقدرة الله تعالى بعد أن اعترته مصائب الردة، فهو رجل الإسلام الأول وسياسيه الفذ الحكيم الناجح المنتصر بعد النبي ﷺ.

فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يزود أمراء جيوش الفاتحين بتلك الوصايا الثمينة ويرسم لهم طريق القيادة، ويرشدهم إلى سبيل الفوز والتقدم. وبموجب هذه الخطط الحربية قدّر الله سبحانه وتعالى لأولئك الأبطال أن يفتحوا الممالك، ويتبسطوا في تلك الأقاليم الشاسعة بسرعة البرق والله يؤيد بنصره من يشاء<sup>(١)</sup>.

وقد اختلف المؤرخون حول بعض الوقائع العسكرية المهمة قبيل معركة اليرموك الفاصلة، ومن ذلك معركة أجنادين وهل هي قبل أم بعد اليرموك؟ والذي يبدو أن هذه المعركة كانت قبيل اليرموك وأن من أسبابها ملاحقة الروم لجيش عمرو رضي الله عنه الذي كان يشاغلهم بانتظار قدوم خالد فلم يكن لديه القدرة على مواجهة الروم في موقعة فاصلة، ولم يكن من الممكن الانسحاب من أمامهم وتركهم ينقضون على قوى المسلمين التي كانت موزعة في تلك المرحلة.

### معركة أجنادين:

أجنادين اسم موضع بفلسطين، وهي ما بين الرملة وبيت جبرين<sup>(٢)</sup>، ولما وصل سيف الله إلى الشام اتصل بقيادة جيوش الشام، وكان عمرو وجيشه رضي الله عنهم في العربات، وبقية الجيوش في بصرى، فلما التقى خالد بالمسلمين هناك بعد مرج راهط ساروا جميعًا لفلك حصار الروم عن جيش عمرو الذي كان يشاغلهم بعد وصول إمدادات الروم الهائلة مع ماهان كسبًا للوقت، ولما كان خالد رضي الله عنه لا ينام ولا يُنيم كان من تدبيره وتخطيطه

(١) ينظر: باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ١٨١.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٢٨٧.

الزحف المباشر إلى الروم في أجنادين، وبعد إقرار خطته من قبل أمراء الجند التقى المسلمون مع عمرو وجيشه في أجنادين، وكان قائد الروم الصليبيين في أجنادين القبقلار قد بعث عيناً له عربياً يتجسس أحوال المسلمين؛ فدخل ذلك الجاسوس في جيش المسلمين وأقام يوماً وليلة ثم عاد إليه فقال له: ما وراءك؟ فقال: بالليل رهبان وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوه ولو زنى رجم لإقامة الحق فيهم. فقال: إن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها ولوددت أن أحظى من الله أن يخلي بيني وبينهم فلا ينصروني عليهم ولا ينصرهم علي!! وهذا يظهر ما كان عليه الروم آنذاك من الاضطراب والوجل والرعب مع كثرتهم وقوة إمداداتهم.

وحينها كان خالد والمسلمون قد أقروا الهجوم على الروم فدارت معركة عنيفة تمكن المسلمون من اختراق قوات الروم والوصول إلى قلب معسكرهم، ومن ثم قتل قائدهم القبقلار وسحق عامة قواتهم في الأجنحة، فما كان منهم بعد ذلك إلا الفرار والهزيمة بحثاً عن النجاة حتى وصل المنهزمون إلى هرقل وهو في حمص وعندها أحس بحقيقة الخطر ومدى الكارثة التي وقع فيها الروم حينما اختاروا مصادمة المسلمين ورفض الصلح معهم!!

واستشهد في هذه المعركة عدد من المسلمين منهم بعض وجوه قريش رضي الله عنهم، لكن نتائجها كانت هائلة على الروم إذ تفاقمت فيهم روح الهزيمة، وتأصل فيهم الرعب من المسلمين إلى هذا العصر، حتى لم يعد يسمع الصليبيون في أرض فيها جهاد ومجاهدون إلا وأطلقوا عليهم اسم الإرهابيين، وما ذلك إلا من مخلفات ثقافتهم التي يتمسكون بها حين تعاملهم مع المسلمين، مع أن هذا المصطلح وإن كان الصليبيون يقصدون من ورائه حشد أحقاد جماهير الصليبية على الإسلام والمسلمين بأقصى ما تكون وسائل الحشد عندما يستخدمون هذا المصطلح، لكنه في الوقت ذاته يعبر عما في نفوسهم من الرهبة والرعب من مواجهة هذا النوع من البشر، مع كل الفوارق الهائلة في الأعداد والأمداد التي يتمتعون بها إضافة إلى جموع العملاء من المحسوبين على العرب والمسلمين الذين يدينون بالتبعية لهم من العامة والخاصة، وقد تكون هناك دول بكاملها تعمل لخدمتهم إلا أفراداً من المؤمنين.

ولعل دوافع ذلك كثيرة منها شعور الصليبيين دائماً عندما يواجهون المسلمين أن قضية المسلمين عادلة، وأنهم دائماً دعاة حق وعدل ومساواة، وهل هناك أعدل من الدعوة إلى التوحيد والأخوة؟ ومن من الناس لا يعلم في أعماق نفسه أن الله واحد سواء كان ذلك في مواجهة المسلمين أو غيرهم؟ ومن هنا تأتي أسباب الهزيمة عندما يصدق المسلمون في دعوتهم إلى الله تعالى، حيث لا يوجد في الإسلام ما يرده العقل السليم أو الفطرة السليمة، أما ما يواجهه به المشركون بكل أصنافهم فلم يكن في يوم مقروناً بالبحث عن الحقيقة إذ هي معلومة، وإنما كانت مواقفهم دائماً مقرونة بالمصالح والأحقاد والحسد وما إلى ذلك، وإلا لو دخل المؤهلون علمياً وإدارياً ومهنيّاً في الإسلام لكانوا هم سادته قبل غيرهم من أي جنسية كانوا، أما إذا كان من يزعم أنه مسلم ولم يقيم بلزوم أوامر الإسلام واجتناب نواهيه فهذا ليس حجة على الإسلام.

فكان تأصيل روح الرعب من المسلمين في نفوس الروم إحدى النتائج المباشرة لمعركة أجنادين التي هيأت الأجواء لما بعدها فتمتع المسلمون بأعلى درجات الاستعداد والجرأة على الروم والطمأنينة في ميادين مواجهتهم.

كما تجلّى في تلك المواجهة عنفوان خالد رضي الله عنه ويقينه ووسائل قتاله، فما إن وصل الشام حتى تمكن من إحراز مجموعة من الانتصارات التي أوهنت معنويات الروم وحطمت نفوس أتباعهم والموالين لهم في تلك البلاد، كما زادت من يقين المسلمين وحماسهم لقضيتهم، وأثبتت أيضاً نجاح تدابير خالد رضي الله عنه في مواجهة الروم، تلك التدابير القائمة على روح الفداء والاقترحام واستهداف منابع الخطر وقياداته، التي تجلّت في قتل القائد الروماني القبقلاق في قلب جيوشه وبين أقوى قواته وأكثرها عدداً، وما لذلك من الآثار العظيمة في تقوية نفوس المسلمين، والمدمرة في نفوس الروم، الذين انخلعت قلوبهم مما يرونه ولا يصدقون أنه من الممكن أن يقوم به بشر، ولعل المراقب لأحوال الاستعدادات والأحلاف الصليبية في هذا العصر وما معها من الأذئاب في بلاد المسلمين ضد جماعات محدودة من المؤمنين المشردين المحاصرين، يوقن بأن هذه الحال ما هي إلا إرهابات للقاد من النصر الموعود والمبشرات بأن المستقبل لهذا الدين.

وقد كتب خالد رضي الله عنه بعد الفراغ من أجنادين كتابًا إلى قائده خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه جاء فيه: «لعبد الله أبي بكر خليفة رسول الله من خالد بن الوليد سيف الله المصوب على المشركين أما بعد، سلام عليكم فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: فإني أخبرك أيها الصديق أنا الثقينا نحن والمشركون وقد جمعوا لنا جموعًا جمة كثيرة بأجنادين، وقد رفعوا صلبهم ونشروا كتبهم وتقاسموا بالله لا يفرون حتى يصيبونا أو يخرجونا من بلادهم، فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله فطاعناهم بالرمح ثم صرنا إلى السيوف فقارعناهم في كل فج وشعب وغائط، فاحمد الله على إعزاز دينه وإذلال عدوه وحسن الصنع لأولياؤه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فلما وصل الكتاب إلى أبي بكر رضي الله عنه فرح به وأعجبه وقال: الحمد لله الذي نصر المسلمين وأقر عيني بذلك»<sup>(١)</sup>.

قال الطبري وكانت وقعة أجنادين في سنة ثلاث عشرة توافت جنود المسلمين والروم بأجنادين فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى، فظهر المسلمون وهزم الله المشركين وقتل خليفة هرقل فيها، واستشهد رجال من المسلمين، ثم رجع هرقل للمسلمين فالتقوا بالواقصة فقاتلهم وقاتلهم العدو، وجاءتهم وفاة أبي بكر رضي الله عنه وتولية أبي عبيدة وهم مصافون مع الروم<sup>(٢)</sup> أي في اليرموك.

وهناك خلاف واسع بين المؤرخين حول تاريخ أجنادين وموقعة فحل، وهي بلدة في غور الأردن، وهل هما قبل اليرموك أم بعدها؟ روي عن الأموي في مغازيه: وقعة فحل وأجنادين كانتا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وروي كانتا في خلافة عمر رضي الله عنه بعد وفاة خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه والله أعلم<sup>(٣)</sup>، والمتابع لوقائع المسلمين

(١) الأزدي: فتوح الشام، ٩١، الصلابي: أبو بكر الصديق، ٣٦١.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣٤٧/٢.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ١٨/٦ - ٢٤.

في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وأثر سيف الله خالد رضي الله عنه فيها في العراق والشام، والمتمعن في تلك المعجزات لا يسعه إلا أن يقف شامخاً مجللاً ومعظماً لجهاد تلك النفس الطاهرة التي امتهنت الفداء والتضحية في جهاد متواصل لإعزاز الكتاب والسنة وأهلها وحمائتها، فبورك ذلك الجهاد الذي لا يسع المتابع له إلا أن يردد قول القائل:

وما في الحرب من عجب ولكن عجب أن يكون بلا نزال<sup>(١)</sup>

### بدايات اليرموك:

تبين أن القادة المسلمين استقروا في الشام وتكاملت قواتهم هناك، ولما بلغ الروم ذلك كتبوا إلى هرقل فخرج حتى نزل بحمص، فأعد لهم الجنود وعبى لهم العساكر، وأراد إشغال المسلمين بعضهم عن بعض، لكثرة جنده وفضول رجاله، فأرسل إلى عمرو رضي الله عنه أخاه لأبيه وأمه تذارق، فخرج نحوهم في تسعين ألفاً، وبعث من يسوقهم حتى نزل صاحب الساقة ثنية جلق بأعلى فلسطين وبعث جرجة بن توذرا نحو يزيد بن أبي سفيان فعسكر بإزائه، وبعث الدراقص فاستقبل شرحبيل ابن حسنة، وبعث الفيقار بن نسطورس في ستين ألفاً نحو أبي عبيدة، فهابهم المسلمون وكانت جميع فرق المسلمين واحداً وعشرين ألفاً، سوى عكرمة في ستة آلاف، ففزع المسلمون بالكتب وبالرسل إلى عمرو: ما الرأي؟

فكاتبهم وراسلهم: إن الرأي الاجتماع، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلة، وإذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا في عدد يقرب فيه لأحد ممن استقبلنا وأعد لنا لكل طائفة منا، فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا به وقد كتبوا إلى أبي بكر رضي الله عنه بمثل ما كاتبوا به عمرو بن العاص فطلع عليهم كتاب خليفة رسول الله بمثل رأي عمرو بأن يجتمعوا ويكونوا عسكرياً واحداً ويلقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين، وخاطبهم: إنكم أعوان الله، والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم من قلة، وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على

(١) باسلامة: خلافة الصديق، ١٩٢.

العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا باليرموك متساندين، وليصل كل رجل منكم بأصحابه.

وبلغ ذلك هرقل فكتب إلى بطارقه أن اجتمعوا لهم وانزلوا بالروم منزلاً واسع العطن واسع المطرد ضيق المهرب، وعلى الروم التذارق وعلى المقدمة جرجة وعلى مجنبيه باهان والدراقص وعلى الحرب الفيقار وقال لهم هرقل: أبشروا فإن باهان في الأثر مدد لكم ففعلوا فنزلوا الواقوصة وهي على ضفة اليرموك، وصار الوادي خندقاً لهم وهو لهب لا يدرك، وإنما أراد باهان وأصحابه أن تستفيق الروم ويأنسوا بالمسلمين وترجع إليهم أفندتهم عن طيرتها وخوفها، وانتقل المسلمون عن عسكرهم الذي اجتمعوا به فنزل عليهم بجوارهم على طريقهم وليس للروم طريق إلا عليهم.

فقال عمرو رضي الله عنه: أيها الناس أبشروا حصرت والله الروم وقلما جاء محصور بخير، فأقاموا بإزائهم وعلى طريقهم ومخرجهم صفر من سنة ثلاث عشرة وشهري ربيع لا يقدر المسلمون من الروم على شيء، ولا يخلصون إليهم حيث الواقوصة من ورائهم، والخندق من أمامهم، ولا يخرجون خرجة إلا أدبيل المسلمون منهم، حتى إذا سلخوا شهر ربيع الأول وقد استمد المسلمون أبا بكر وأعلموه الشأن في صفر فكتب إلى خالد ليلحق بهم، ولما نزل المسلمون اليرموك واستمدوا أبا بكر قال رضي الله عنه: «خالد لها» فوصل إلى المسلمين حين وصل باهان إلى الروم فقد جاء وقد قدّم أمامه الشامسة والرهبان والقسيسين ليغروا الروم ويحضوهم على قتال المسلمين، فخرج بهم باهان كالمقتدر المتمكن، فتولى خالد رضي الله عنه قتاله وقاتل الأمراء من بإزائهم فهزم باهان، وتتابع الروم على الهزيمة فالتحموا خندقهم وتابعت الروم باهان بالهزيمة فانكسرت شوكة الروم، وفرح المسلمون بخالد رضي الله عنه.

وكان المشركون أربعين ومائتي ألف، منهم ثمانون ألف مقيد؛ أربعون ألفاً منهم مسلسل للموت، وأربعون ألفاً مربطون بالعمائم، وثمانون ألف فارس، وثمانون ألف راجل، والمسلمون

سبعة وعشرون ألفاً ممن كان مقيماً إلى أن قدم عليهم خالد في تسعة آلاف، فصاروا ستة وثلاثين ألفاً، ومرض أبو بكر رضي الله عنه في جمادى الأولى من تلك الأيام<sup>(١)</sup>.

### معصية الروم هرقل في دعوته إلى مصالحة المسلمين:

ولما وصلت طلائع جيوش المسلمين إلى الشام أفزع ذلك الروم وخافوا خوفاً شديداً، وما ذلك إلا من بشارات النصر التي وعد الله تعالى بها المؤمنين وأخبر بها النبي ﷺ ويتأكد ذلك في مقارنة بسيطة بفارق جيوش الروم عن جيوش المسلمين، فكتب الروم إلى هرقل يعلمونه بما كان من الأمر. فيقال: إنه كان يومئذ بحمص، ويقال: كان حج عامه ذلك إلى بيت المقدس. فلما انتهى إليه الخبر قال لهم: ويحكم، إن هؤلاء أهل دين جديد، وإنهم لا قبل لأحد بهم، فأطيعوني وصالحوهم بما تصالحوهم على نصف خراج الشام ويبقى لكم جبال الروم، وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم.

فنخروا من ذلك نخرة حمر الوحش رافضين للصالح كبراً وتعنتاً. فعند ذلك سار هرقل إلى حمص وأمر بخروج الجيوش الرومية، في مقابلة كل أمير من المسلمين جيش كثيف فبعث إلى عمرو بن العاص أخاه لأبويه تذارق في تسعين ألفاً من المقاتلة. وبعث جرجة إلى ناحية يزيد بن أبي سفيان، فعسكر بإزائه في خمسين ألفاً أو ستين ألفاً، وبعث الدراقص إلى شرحبيل ابن حسنة. وبعث القيقار ويقال القيقلان بن نسطورس وهو خصي هرقل، في ستين ألفاً إلى أبي عبيدة بن الجراح، وقالت الروم حينها: والله لنشغلن أبا بكر عن أن يورد الخيول إلى أرضنا. وجميع عساكر المسلمين لم يتجاوز واحداً وعشرين ألفاً سوى الجيش الذي مع عكرمة بن أبي جهل، وكان مرابطاً في طريق الشام المدينة ردةً للناس في ستة آلاف<sup>(٢)</sup> ولم تذكر الرواية عدد من كان مع جرجة والدراقص.

(١) ينظر: الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٣٥. ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٧.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٧.

## طلب أمراء الشام الإمداد والرأي من خليفة رسول الله لمواجهة الروم:

لما وصل الأمراء إلى الشام، ونزل أبو عبيدة الجابية، ونزل يزيد البلقاء، ونزل شرحبيل الأردن، ونزل عمرو بن العاص العربية بفلسطين - بلغ الروم ذلك فكتبوا إلى هرقل وكان بالقدس فقال لهم: أرى أن تصالحووا المسلمين، فوالله لأن تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحب إليكم من أن يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم فتفرقوا عنه وعصوه، فجمعهم وسار بهم إلى حمص فنزلها وأعد الجنود والعساكر، وأراد إشغال كل طائفة من المسلمين بطائفة من عسكره؛ لكثرة جنده، وليضعف كل فرقة من المسلمين عمن بإزائها من الروم.

فلما علم المسلمون ذلك هالهم الأمر، حيث كان جميع الفرق التي يحتويها عموم جيش الأمراء الأربعة واحدًا وعشرين ألفًا سوى ما كان مع عكرمة بن أبي جهل، فإن جيشه كان ستة آلاف، وهذا المجموع لا يعد شيئاً أمام الجيوش الرومية التي تربو على مائتي ألف جندي كاملة العدد والعدة.

فكتبوا عمرو بن العاص رضي الله عنه وسألوه عن رأيه في ذلك، فأجابهم أن الرأي لمثلنا الاجتماع، فإن مثلنا إذا اجتمعنا لا نغلب من قلة، فإن تفرقنا لا تقوم كل فرقة بمن استقبلها؛ لكثرة عدونا، فلما علموا رأي عمرو بن العاص كتبوا خليفة رسول الله أبا بكر رضي الله عنه.

فكتب إليه أبو عبيدة بن الجراح: «إلى عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله، من أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد؛ فإننا نسأل الله أن يعز الإسلام وأهله عزاً مبيناً، وأن يفتح لهم فتحاً يسيراً، فإنه بلغني أن هرقل ملك الروم نزل قرية من قرى الشام تدعى أنطاكية، وأنه بعث إلى أهل مملكته فحشدهم إليه، وأنهم نفروا إليه على الصعب والذلول، وقد رأيت أن أعلمك ذلك فترى فيه رأيك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه: أما بعد؛ فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت من أمر هرقل ملك الروم، فأما منزله بأنطاكية فهزيمة له ولأصحابه وفتح من الله عليك وعلى المسلمين، وأما حشده أهل مملكته وجمعه لكم الجموع فإن ذلك ما قد كنتم تعلمون أن سيكون منهم، ما كان قوم أن يدعوا سلطانهم ويخرجوا من مملكتهم بغير قتال، ولقد علمت والحمد لله أن قد غزاهم رجال كثير من المسلمين يحبون الموت حب عدوهم الحياة يحتسبون من الله أن في قتالهم الأجر العظيم، ويحبون الجهاد في سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم وعقائل أموالهم، الرجل منهم عند الهيج خير من ألف رجل من المشركين، فالفهم بجندك ولا تستوحش لمن غاب عنك من المسلمين، فإن الله تعالى ذكره معك، وأنا مع ذلك ممدك بالرجال بعد الرجال حتى تكفي ولا تريد أن تزداد، والسلام عليك. وبعث الكتاب مع دارم العبسي<sup>(١)</sup>.

وكتب يزيد بن أبي سفيان إلى خليفة رسول الله: «أما بعد؛ فإن ملك الروم لما بلغ مسيرنا إليه ألقى الله الرعب في قلبه فتحول ونزل أنطاكية وخلف أمراء من جنده على جند الشام وأمهم بقتالنا وقد تسيروا لنا واستعدوا، وقد نبأنا مسالمة الشام أن هرقل استنفر أهل مملكته وأنهم جاؤوا يجرون الشوك والشجر، فأمرنا بأمرك وعجل علينا في ذلك برأيك نتبعه، نسأل الله النصر والصبر والفتح وعاقبة المسلمين والسلام عليك. وبعث بهذا الكتاب مع عبد الله بن قرط الثمالي.

فأجابه أبو بكر وكتب إليه مع رسوله: أما بعد؛ فقد بلغني كتابك تذكر فيه تحول ملك الروم إلى أنطاكية، وإلقاء الله الرعب في قلبه من جموع المسلمين، فإن الله تبارك وتعالى وله الحمد قد نصرنا ونحن مع رسول الله ﷺ بالرعب وأيدنا بملائكته الكرام، وإن ذلك الدين الذي نصرنا الله فيه بالرعب هو هذا الذي ندعو الناس إليه اليوم، فوبرك لا يجعل الله المسلمين كالمجرمين، ولا من يشهد أنه لا إله غيره كمن يعبد معه آلهة أخرى ويدين بعبادة

(١) باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ١٨٥.

آلهة شتى، فإذا لقيتهم فانبذ إليهم بمن معك وقاتلهم فإن الله لن يخذلك، وقد نبأنا الله أن الفئة القليلة مما تغلب الفئة الكثيرة بإذن الله، وأنا معك، وقاتلهم ما هنالك وإني بمدكم بالرجال في أثر الرجال حتى تكتفوا ولا تحتاجوا إلى زيادة إنسان إن شاء الله تعالى والسلام»<sup>(١)</sup>.

ولما ختم أبو بكر الصديق كتابه أعطاه عبد الله بن قرط رسول يزيد بن أبي سفيان وقال له: أخبره والمسلمين أن مدد المسلمين آتيهم مع هاشم بن عتبة، وسعيد بن عامر بن حذيم، فخرج عبد الله بن قرط يحمل كتاب الخليفة حتى قدم به على يزيد فقرأه على المسلمين في الشام فتباشروا وفرحوا<sup>(٢)</sup>.

وبعد هذه الكتب ألحقهم خليفة رسول الله بأمداد جديدة منها فرقة بقيادة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، كان فيها ألف رجل وعندما ودعه خليفة رسول الله قال له موصياً: «يا هاشم، إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تدبيره ومن الشاب بصبره وبأسه ونجدته وإن الله عز وجل قد جمع لك الخصال كلها وأنت حديث السن مستقبل الخير، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر، واعلم أنك لا تخطو خطوة وما تنفق نفقة ولا يصيبك ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله إلا كتب الله به عملاً صالحاً، إن الله لا يضيع أجر المحسنين».

فقال هاشم: إن يرد الله بي خيراً يجعلني كذلك، وأنا أفعل ولا قوة إلا بالله، وأنا أرجو إن أنا لم أقتل أن أقتل ثم أقتل ثم أقتل إن شاء الله، فقال له عمه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: يا ابن أخي لا تطعن طعنة ولا تضرب ضربة إلا وأنت تريد بها وجه الله، واعلم أنك خارج من الدنيا رشيداً، وراجع إلى الله قريباً، ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صدق قدمته، أو عمل صالح أسلفته. فقال: أي عم، لا تخافن من غير هذا، إني إذا لمن الخاسرين إن جعلت حلي وارتحالي وغدوي ورواحي وضربي بسيفي وطعني برمحي رياء

(١) باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ١٨٥.

(٢) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/٧ فما بعدها. باسلامة: خلافة أبي بكر، ١٨٦.

للناس، ثم خرج من عند أبي بكر رضي الله عنه فلزم طريق أبي عبيدة حتى قدم عليه فتباشر بمقدمه المسلمون وسرّوا به<sup>(١)</sup>.

وخرج بعد هشام إلى الشام سعيد بن عامر بن حذيم فخرج معه بلال بن أبي رباح مولى خليفة رسول الله ومؤذن النبي ﷺ فسار حتى قدم على يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهم وروي أنه لحق به هناك بأمر من أبي بكر رضي الله عنه فأدرك معه بعض وقائه<sup>(٢)</sup>.

وممن قدم على خليفة رسول الله حمزة بن مالك الهمداني في زهاء ألف رجل أو أكثر فسر ذلك خليفة رسول الله وبعث به إلى الشام فالتحق بأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بعد أن سأل حمزة: من أقدم أمراء الشام صحبة لرسول الله ﷺ؟ فخبروه بأبي عبيدة أمين الأمة رضي الله عنه.

وقدم على خليفة رسول الله أبو الأعور السلمي فبعثه خليفة رسول الله إلى الشام فسار حتى قدم على أبي عبيدة رضي الله عنه فالتحق بجيشه يجاهد تحت رايته.

وجاءه أيضًا معن بن يزيد بن الأحنس في زهاء مائة رجل من بني سليم فجمعهم من إخوان لهم وأمر عليهم حبيب بن مسلمة الفهري، فخرج بهم حتى لحق بالشام وقدم على يزيد بن أبي سفيان فقاتل في جيشه.

ثم اجتمع في المدينة رجال من أسلم وغفار ومزينة نحوًا من مائتين فأرسلهم إلى الشام تحت إمرة الضحاك بن قيس الفهري، فسار حتى أتى يزيد بن أبي سفيان فالتحقوا بجيشه يقاتلون الروم هناك، وهكذا يتبين أن خليفة رسول الله لم يكن له شاغل آخر سوى نصره المجاهدين حتى جاشت إليه أمة العرب بوجدانها من المشارق والمغرب مستنفرين طاعة لله تعالى وثقة بخليفة رسول الله دون أن يكون له عليهم سلطان مادي يحشرهم به

(١) الأزدي: فتوح الشام، ٣٤. الصلابي: أبو بكر الصديق، ٣٥٥.

(٢) الأزدي: فتوح الشام، ٣٧. الصلابي: أبو بكر الصديق، ٣٥٥.

إلى الجهاد كما هو حاصل في الأنظمة المعاصرة بما يسمى بالتجنيد الإجباري، وإنما كان نظام جيوش أبي بكر رضي الله عنه هو التجنيد الرباني فالعرب آمنوا أنهم عبيد لله تعالى فهم يأترون بأمره طمعاً فيما عنده، وخليفة رسول الله لم يكن إلا هادياً خريئاً في تلك الطريق الموصلة إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فثبت لكل عاقل أن سلطان الإيمان أقوى من أي سلطان آخر، يؤكد ذلك سلطان خليفة رسول الله الذي واجه به أعتى قوتين على وجه الأرض بأولئك الجند الذين امتلأت منهم قلوب المجوس والصلبيين رهبة ورعباً حتى أزالوا طغيانهم وحطموا جبروتهم.

فيتلخص موقف المسلمين والروم في هذه المرحلة، أن هرقل كان مرعوباً من المسلمين ويرغب في مصالحتهم، لعلمه بأنهم على حق وأن مواصفات إخوان الأنبياء موجودة كلها فيهم.

انسحاب هرقل إلى حمص ثم إلى ما بعدها ومن هناك أعد الجيوش وأراد أن يشغل المسلمين بجيوش كثيفة من الروم، لكيلا يتفرغ أحد منهم لنجدة أصحابه.

جعل أربعة قادة من كبار قاداته في مواجهة قادة المسلمين الأربعة، وجعل مع كل قائد من قادة الروم أضعافاً مضاعفة من الجند والعتاد والمواد والإمداد، مما اضطر المسلمين إلى تغيير تكتيكهم والانسحاب المنظم من مواقعهم والاجتماع في موقع واحد.

أمر خليفة رسول الله أن يجتمع المسلمون في اليرموك جاء موافقاً لما أشار إليه عمرو من قبل وأجمعت عليه جيوش المسلمين في الشام.

اختيار الروم أيضاً موقعاً لمعسكرهم في اليرموك ولما وصلهم ماهان كأكبّر قوة إمداد، وصل خالد إلى المسلمين كذلك كأكبّر قوة لإمدادهم، فأصبحت قوى الفريقين في كامل استعدادها مع الفارق الهائل في عتاد الروم وأعدادهم على المسلمين، وفي المقابل الفارق الساحق في معنويات المسلمين وصدق عزيومتهم وإيمانهم القاطع بقضيتهم مع رعب الروم وخور قواهم وما أصابهم من الرهبة والخوف من سمت المسلمين ونظامهم ووحدتهم وطاعتهم ونبيل مقاصدهم.

ويتبين في تلك المرحلة ظاهرة أخرى عند المسلمين وهي قدرتهم على رصد تحركات العدو ومتابعة تحشدهاته والرد عليها قبل تكامل مخططاتها.

وظهر تواصل قيادات المسلمين في الشام بعضهم مع بعض وظهرت ميزة عمرو بن العاص القيادية، وذلك أنهم لما دهمهم العدو رجعوا بالرأي إلى عمرو رضي الله عنه الذي أشار عليهم بالتجمع ومواجهة الروم في جيش واحد وقبولهم لذلك الرأي وتنفيذهم لخطواته.

وأيضًا المكاتبات بين القادة وبين خليفة رسول الله، والأدب الجرم من قادة الجيوش مع خليفة رسول الله، والثقة المطلقة بتدبيره وتخطيطه وحسن نظره للمسلمين، فلم يزيدوا في كتاباتهم على إعلامه بما وصل إليه الحال على الجبهات ليرى في ذلك رأيه، وهذه ثقة أبوية عميقة صادقة.

وفي تلك المكاتبات ظهرت طاقات خليفة رسول الله وشموخ قيادته وسداد تدبيره وبعد نظره، فلم يفجأه حدث ولم تهزه عاصفة من عواصف الروم ومن قبلهم مجوس الفرس فكان ميمون الرأي صائب التخطيط كأنما ينظر إلى ما يدبره العدو من طرف خفي.

والأمر الآخر المعنويات العالية عند الجند وقادتهم، مع ما يرون من أعداد وعتاد عند أعدائهم، واليقين الراسخ عند خليفة رسول الله فعندما كانوا يخاطبونه بما هالهم من موقف الروم ونفيرهم كانوا كأنما يخبرونه بما هو أعلم به منهم.

وبقي على الحال نفسه لا تردد ولا وجل فهو يخاطبهم بعد كل ما شرحوه عن تطورات الموقف أن أقدموا ولا تستوحشوا وأن الله معكم، فأنتم على الحق وعدوكم على الباطل؛ لأنه رفض الإسلام ورد الدين وكذب النبوة.

تقدير خليفة رسول الله لشجاعة المسلمين ومن قاتل منهم الروم، وثناؤه عليهم وشهادته لهم بأنهم يحبون الموت أكثر من محبة الروم للحياة وما ذلك إلا لطمع المسلمين فيما عند الله تعالى.

استخدام خليفة رسول الله التوجيه المعنوي الذي يرفع الاستعداد للعطاء والتضحية، فهو يرى أن لجوء هرقل إلى أنطاكية وهي في أقصى بلاد الشام، هزيمة له ولجنده، وأن ذلك الانسحاب هو بداية النصر للمسلمين، كما أن حشوده ما هي إلا أمر طبيعي؛ إذ لا يوجد أحد من الناس يترك ملكه دون مقاومة.

وفاء خليفة رسول الله بما كان يعد به المسلمين بالجهات وأنه سيمدهم بما يحتاجونه وبما يضمن لهم النصر، وكان صادقاً في ذلك إلى أبعد الحدود؛ فما إن يتوفر له المائة أو المائتان من المجاهدين إلا وأمر عليهم واحداً منهم وأرسلهم إلى إخوانهم فاستمرت الإمدادات على قتلها متواصلة تندفق راياتهم إلى أرض المعركة مما كان له أطيب الأثر في نفوس المسلمين وأشد الوقع على قلوب الروم الصليبيين.

إن علامات النصر كان يراها خليفة رسول الله في نفوس الروم وهذا ما بشر به جنده في ثغور الشام، حيث ذكرهم بقوله ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»<sup>(١)</sup> وأن الرعب هو الذي كان يهزم كثيراً من المشركين الذين قاتلوا رسول الله ﷺ وأن المسلمين يقاتلون عن ذلك الدين الذي هزم أعداءه بالرعب.

ومثلما تأكد للمسلمين أن الله قد أيدهم بالرعب الذي أخذ يضرب قلوب الروم وقادتهم، فإن خليفة رسول الله قد بين لهم أن جند الله الذين نصرنا النبي ﷺ يوم بدر هم قريب من المؤمنين الصادقين قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَعِيْثُوْنَ رَبِّيْكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ اِنِّيْ مُمِدِّكُمْ بِاَلْفِ مِّنْ اَلْمَلٰٓئِكَةِ مُرْدِفِيْنَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اِلٰهٌ اِلَّا بُشْرٰى لَكُمْ وَلِنُطْمِئِنَّ قُلُوْبُكُمْ بِهٖ وَمَا اَلْتَصَّرُوْا اِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ الْعَزِيْزِ الْحَكِيْمِ﴾<sup>(٣)</sup>.

- (١) البخاري: صحيح البخاري، ح (٤٢٧)، اللالكائي: شرح اعتقاد أصول أهل السنة، ٧٨٢/٤، الألويسي: روح المعاني، ٨٨/٤.
- (٢) سورة الأنفال، الآية: ٩.
- (٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

## موقف خليفة رسول الله من طلب الأمراء الإمدادات منه:

لما أتى كتاب أمراء المسلمين في الشام إلى خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه يستمدونه علاوة على الإمدادات التي تقدم ذكرها، وهو يمدهم ويحببهم بما يحبون، أراد أن يلفت انتباههم إلى ما يؤمنون به ويعتقدونه ورأوه بأمر أعينهم فيما كان يحصل مع المشركين في حياة رسول الله ﷺ فكتب إليهم: «إنه قد جاءني كتابكم تستمدونني وإني أدلكم على من هو أعز نصرًا وأحضر جندًا «الله عز وجل» فاستنصروه، فإن محمدًا ﷺ قد نُصر يوم بدر في أقل من عدتكم، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني، قال: فقاتلناهم فهزمتناهم وقتلناهم أربعة فراسخ»<sup>(١)</sup>. أي يوم اليرموك فيما بعد هذا الكتاب، ولكن خليفة رسول الله لم يقل لهم هذا القول فحسب بل قال رضي الله عنه أيضًا: خالد لها، والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد. فبعث إليه وهو بالعراق، واستحثه في السير، وكتب له أن سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك، فإنهم قد شجوا وأشجوا، وإياك أن تعود لمثل ما فعلت، أي مسيره إلى الحج بغير إذنه، كما هنا خليفة رسول الله على ما أنجزه للمسلمين من إنجازات وفتوح واسعة، وهناك على بشارات قبول ذلك المبنية على النية الخالصة لله، فليهنتك أبا سليمان النية والحظوة، فأتتم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، فإن الله له المنّ وهو ولي الجزاء. قال ابن جرير الطبري: فوجه أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد أميرًا على الأمراء الذين بالشام.

فمن تأمل كتاب رد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه على خالد ورده على أمراء الشام رضي الله عنهم يظهر له شدة ثقته بخالد، وقوة اعتماده على حسن قيادته وجميل سيرته في المؤمنين وعظيم سطوته بالأعداء من المجوس والصابليين، وشدة بأسه، وعظيم إقدامه وجرأته المدهشة على المشركين، ويحق له ذلك؛ لأنه برهن للخليفة سابقًا ولاحقًا وللأمة أجمع عن موقعه القيادي، وتفوقه على أقرانه من القادة الأفاضل من قواد الإسلام وفي كل

(١) ابن الجوزي: المتتظم، ٨٦/٤.

المقاييس، حيث كانت البشائر والغنائم متواصلة على عاصمة الإسلام من خالد وجنده رضي الله عنهم وكذلك الأسرى والسبايا من العراق يتلو بعضها بعضًا بدون انقطاع، ولم يأت الخليفة من الشام مثل ما أتاه من خالد، بل ولا بعضه مع أن جيش الشام كان أكثر عددًا وقادة من جيش العراق الذي كان مع خالد، وهذا كله محل إجماع لا خلاف فيه.

وحق لمن سمّاه رسول الله ﷺ سيف الله، ومن قال عنه خليفته رضي الله عنه: لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد!! وقول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: عجزت النساء أن تلد مثل خالد. ومن قال عنه أكيدر دومة الجندل: لا يرى أحد وجه خالد إلا ويفر!! حق له أن ينجز ما أنجز من تحطيم الجيوش وقطع الفيافي وقتل القادة المترسين في وسط جيوشهم وبين أبطال حماتهم!!

ومن أمعن النظر في كتب الخليفة ومواقف خالد منها يجد التوافق التام والمحبة الشديدة بينهما، ونظرًا لعظمة الروح القيادية والإقدام الذي يتحلى به خليفة رسول الله، من خلال مواقفه التي يلمسها سيف الله في توجيهاته وتخطيطه واستشرافه لمستقبل المواقف العسكرية الميدانية وهو بعيد عنها، وتسليم خالد رضي الله عنه لكل ذلك وعمله به دون أي إضافة وكأن خليفة رسول الله معه بأطراف الثغور يتجول بين المقاتلين وينظر إلى المجوس والصلبيين، ويعد الخطط وخرائط مواقع القتال وما يجب أن يفعله المؤمنون، فمن أمعن في ذلك اتضح له مقام خليفة رسول الله الفريد بين القادة والمخططين العسكريين والمنظرين السياسيين.

وفي يقين خليفة رسول الله بالنصر وثقته المطلقة بموعد الله بنصر هذا الدين، أصبح مخططًا مبدعًا للفتوح، وهو على أتم حالات الطمأنينة بنتائج الجهاد وثمار مواجهة المشركين بكل أصنافهم. يضاف إلى ذلك ثقته بنصر الله لهذا الدين بسلاح الرعب الذي يربك الأعداء ويسقط في أيديهم إمكانية تنفيذ الخطط التي يضعونها لمهاجمة أو مواجهة المسلمين كاملة لما هم فيه من هزيمة نفسية، إضافة إلى ثقة خليفة رسول الله بإمداد الله للمجاهدين المؤمنين الصادقين بجند من عنده كما أمد الله تعالى رسوله الكريم ﷺ ومن كان معه وما ذلك إلا

لأن الأهداف واحدة والمقاصد واحدة والرسالة ذاتها، يؤكد ذلك ويوضحه كتب خليفة رسول الله إلى قاداته في الثغور، حيث إن كتبه كانت تفعل فعلها في نفوس المسلمين وتزرع فيهم الطمأنينة ورباطة الجأش والجرأة على العدو والثقة بإنجاز موعود الله لهذه الأمة.

### اجتماع خالد بأمراء المسلمين في الشام:

لما وصل خالد رضي الله عنه إلى الشام بعد تلك الرحلة الإيمانية والحمية الإسلامية والغيرة الأخوية، وقد كان أمر الخليفة واضحاً بأن يكون خالد هو الأمير على أمراء الشام، فلم يخبرهم بذلك سموّاً إيمانياً وأدباً قرشياً ودرساً عميقاً للمتقاتلين على الدنيا وفتاتها في هذا العصر حتى أضاعوا الأمة وأقصوا عقيدتها ومزقوا هويتها حتى تسلط عليها من كان خولاً لأبنائها.

ولما لم يخبرهم بأنه هو الأمير ووجدهم على حالهم لم يعينوا قيادة موحدة، تدارسوا معه الوضع العام هناك، فقالوا: فهات، فما الرأي؟ قال: إن أبا بكر رضي الله عنه لم يبعثنا إلا وهو يرى أنا سنتياسر، ولو علم الذي كان ويكون لجمعكم، إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيتهم، وأنفع للمشركين من إمدادهم، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم، فالله الله، فلو أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا يتقصه منه إن دان لأحد من أمراء الجنود، ولا يزيده عليه إن دان له، وإن تأمر بعضهم لا يتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله، هلموا فإن هؤلاء قد تهيؤوا، وهذا يوم له ما بعده، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم، وإن هزمونا لم نفلح بعدها، فهلموا فلتتعاور الإمارة، فليكن عليها بعضنا اليوم، والآخر غداً، والآخر بعد غد، حتى يتأمر كلكم ودعوني أليكم اليوم<sup>(١)</sup>.

فكان لرأي خالد رضي الله عنه وخطبته وقع عظيم وفائدة كبرى، فقد نشأ منها أنه جمع كلمتهم، وألف ذات بينهم وأرضاهم بتواضعه وحكمته التي استعملها في مداولة القيادة العامة

(١) باسلامة: خلافة أبي بكر الصديق، ٢٠٠.

بينهم، مع أن كل أمير من أولئك الأمراء العظام له رأي ثاقب، وفكر سديد، وحكمة باهرة، تؤهله لأن يقوم مقام خالد ولكنهم لمّا لم يفعلوا حتى جاءهم سيف الله كان له تسجيل ذلك الموقف العظيم، وإن كان ميدان تنافسهم آنذاك ليس على السمعة أو المتعة وإنما على علو المنزلة عند الله تعالى، ومن ثم نيل رضا المسلمين وخليفتهم ودعائهم لهم بالنصر والقبول، ولا سيما في مواطن البأس وميادين الوغى، وكلهم يريد التضحية في سبيل الله تعالى لينال الشهادة أو النصر، وهذه محل مباراة العظماء من الناس وميدان السباق بين كرامهم، غير أن الله تعالى قدر لخالد بن الوليد أن يكون هو الأسبق في الفضل، وأن يكون يوم اليرموك له رأياً وقيادة ونصراً تاريخياً لا يشبهه نصر آخر، حيث كان الموقف من الخطورة أنه مقرون به مصير الأمة، فإما أن يحقق المجاهدون نصراً ثماره يانعة، وإما أن تحل بهم هزيمة ثمارها علقم وهلاك.

ولعل المتمعن في موقف خالد رضي الله عنه وأنه لم يعلم إخوانه الأمراء أن الخليفة أبا بكر رضي الله عنه أمره عليهم، يستقي منه العبر والدروس التي تبين كرم تلك النفوس الطاهرة، بما يزيل عنه أي استغراب عن تحقيقهم لتلك الإنجازات الباهرة، التي ما هي إلا معجزات قياساً على جهود من هو في مثل ظروفهم وقوتهم تجاه قوة خصومهم، بل إن الموقف من الإمارة وزهد الصحابة فيها ثابت وهو خلق من أخلاقهم، وذلك لتربيتهم الإيمانية التي تدعو إلى الزهد في الدنيا من جانب، ومن جانب آخر فإن التخفف من المسؤوليات خلق إسلامي لأهمية الأمانة في نفوس المؤمنين والخشية من تبعاتها، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (١).

وموقف سيف الله من عدم إعلانه أنه جاء أميراً على أمراء جند الشام، هو الموقف ذاته الذي فعله أمين الأمة أبو عبيدة رضي الله عنه حين ولاه عمر رضي الله عنه في أول خلافته

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

إمرة المسلمين في الشام وجعل سيف الله معاونًا له، حيث أخفى أمين الأمة الخبر ولم يعلنه حتى اكتشفه المسلمون وهذا يؤكد زهدهم وكمالهم وأنهم أكبر من مواقع المسؤولية مهما كبرت تلك المواقع، وثقة بعضهم ببعض ثقة مطلقة لا تغيرها المواقع ولا المكاسب، لأن غاياتهم سامية ونواياهم طاهرة وبيتغون المكافأة من الله تعالى، إضافة إلى ما يتمتعون به من القدرات العالية والأهلية التامة للإمارة والجنديّة، وكمال النفوس التي يتساوى عندها موقع الأمير والجندي، مما يؤكد عظمتهم وأن الإمارة والقيادة هي التي تترين بهم وتزهو بهم عندما تنسب إليهم رضي الله عنهم، وهذا يعكس كثيرًا من أسباب الفشل والعجز والتردد التي تعاني منها كثير من الحركات الإسلامية المعاصرة التي يقتتل بعض رموزها على مواقع القيادة، وكأن من يصل إلى تلك المواقع بالطرق الملتوية والمخادعة أو الإقليمية والحزبية العمياء قد أصبح قائدًا ناسيًا أن القيادة صفة خلقية، منها مكتسب ومنها متأصل في نفس القائد وطبعه ومعدنه، فمن يصل إلى موقع القيادة بالقوة أو الحيلة أو الرشوة أو التزييف والتزوير، لن يكون قائدًا ولن يغير من حقيقته أنه لص أو مرتشٍ أو زائف، وسيكون عورة في ذلك الموقع المُعتصب، ولن يجلب على أمته أو جماعته أو حزبه سوى الهوان والعار والكوارث، لأن من لم يُزين موقع القيادة بفعاله فلن يزينها بنياشينه المستعارة أو المزيفة، لأن القيادة أمانة ومسؤولية تزدان بأشراف الناس وأمانتهم من أصحاب الأيدي الطاهرة، والقلوب المؤمنة والجيوب النظيفة والمشاعر السامية؛ التي إذا ابتليت صبرت وإذا ظفرت تواضعت وشكرت، كما كان خليفة رسول الله وأصحاب النبي ﷺ يتخلقون بذلك ومن عمل معهم من الأمراء وأكارم الرجال الذين تباركت بفعالهم الحضارة البشرية واستنارت بعظمة مواقفهم الأمم والأيام.

ومن هنا فإن موقف خالد من الإمارة في ذلك اليوم الرهيب موقف بطولي أسمى من مفهوم الزهد في الإمارة وما يدور حول هذه المعاني الكريمة، حيث قبل رضي الله عنه أن يفتدي إخوانه الأمراء جميعًا وأن يتحمل أعباء ذلك الموقف العصيب على الأمة، فأراح نفوسهم من تحمل مسؤولية ذلك اليوم الذي له ما بعده على كيان الأمة الناشئ وعقيدتها

السماوية الخالدة، أي أن الأخطار لم تكن محصورة في الجانب العسكري فقط، وإنما المسؤولية العظمى أمام الله تعالى رب هذه العقيدة، ومن ثم أمام خليفة رسول الله الذي يتسابق المؤمنون على نيل رضاه ودعائه لهم بكل الوسائل؛ لأن رضاه من رضا الله تعالى ورسول الله ﷺ الذي توفي وهو يوصيهم في صاحبه ويحذرهم من خذلانه فيقول: «يا أيها الناس احفظوني في أبي بكر فإنه لم يسؤني منذ صحبتني»<sup>(١)</sup>. كيف لا وقد كان هو نصيره الوحيد يوم الهجرة في مواجهة أخطار المشركين؟ قال تعالى: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَاتِيًا أَتَيْنَ﴾<sup>(٢)</sup>. لقد أثبت أصحاب رسول الله ﷺ وتابعوهم بإحسان يوم اليرموك أنهم أهل لتولي أعظم المسؤوليات، وأنهم بعقيدتهم عقيدة التوحيد هم المؤهلون لقيادة العالم على أسس من الرحمة والمساواة وحفظ الحقوق وكرامة البشر مهما كان دينهم فرضي الله عن تلك النفوس الطاهرة وأحزى الله مبغضيتها في الدنيا والآخرة.

### اختيار موقع المعركة:

جاء رد خليفة رسول الله على كتاب الأمراء رضي الله عنهم حين أخبروه بما وقع من أمر اجتماع الروم، فكتب إليهم أن يجتمعوا ويكونوا جنودًا واحدًا، فيلقوا جنود المشركين، وقال: أنتم أنصار الله والله ينصر من نصره، وخاذل من كفره ولن يؤتى مثلكم عن قلة، ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها، وليصل كل رجل منكم بأصحابه. وقال الصديق: والله لأشغلنّ النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد. وبعث إليه وهو بالعراق ليقدم إلى الشام فيكون الأمير على من به، فإذا فرغ عاد إلى عمله بالعراق، فكان ما تم ذكره.

قالوا: ولما أقبل خالد من العراق قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين!! فقال خالد رضي الله عنه: ويلك أتخوفني بالروم؟ وإنما تكثر

(١) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية ٧/ ٢٣٥. المتقي الهندي: كنز العمال، ح (٣٢٥٦٩).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر برأ من توجعه، وأنهم أضعفوا في العدد. وكان فرسه قد حفي واشتكى في مجيئه من العراق.

وكان جيش الروم قد بلغ مائتين وأربعين ألفاً وهرقل ما زال يمدهم بالعدد والعدة، وذكر ابن كثير أنه كان على البحر القيقلان<sup>(١)</sup> وبلغ جيش المسلمين ما بين ستة وثلاثين ألفاً إلى أربعين ألفاً من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

وحين اجتمعت الروم مع أمرائها بالواقوسة وانتقل الصحابة من منزلهم الذي كانوا فيه قريباً من الروم في طريقهم الذي ليس لهم طريق غيره، قال عمرو رضي الله عنه: أبشروا أيها الناس، فقد حصرت والله الروم، وقلما جاء محصور بخير. ويقال: إن الصحابة والتابعين لما اجتمعوا للمشورة في كيفية المسير إلى الروم، جلس الأمراء لذلك فجاء أبو سفيان رضي الله عنه فقال: ما كنت أظن أنني أدرى حتى أدرك قومًا يجتمعون لحرب ولا أحضرهم، ثم أشار أن يتجزأ الجيش ثلاثة أجزاء، فيسير ثلثه فينزولون تجاه الروم، ثم يسير الأثقال والذراري في الثلث الآخر، ويتأخر خالد بالثلث الآخر، فإذا وصلت الأثقال إلى أولئك سار بعدهم ونزلوا في مكان تكون البرية من وراء ظهورهم ليصل إليهم البريد والمدد. فامتثلوا ما أشار به ونعم الرأي هو<sup>(٢)</sup>.

فيتين من هذا أن كلا الفريقين قد اختار موضع المعركة بما يتوافق مع رؤيته العسكرية ومصالحه التموينية والأمنية وبما يجعل أمر التواصل مع القيادات العليا متاحاً وميسوراً، فكانت خطط الفريقين متقاربة في ذلك الاختيار إلا في نقطة واحدة حيث اختار الروم موضعاً من صفاته أن يكون ضيق المهرب، بينما المسلمون اختاروا موضعاً متصللاً بالبر في أوسع ما يكون في المخرج، وفي هذا الاختيار تظهر الفوارق الشاسعة بين من يقاتل عن عقيدته طائِعاً مختاراً حيث لا يوجد في قواميسه شيء اسمه الهرب، وبين من يقرأ الهزيمة في

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/٧.

(٢) السابق: ٧/٧.

نفوس جنده فيختار لهم المكان الذي يعيق فرارهم ويسمح لهم بالقتال فقط، وهذا ما قرأه الخبير العسكري المسلم عمرو بن العاص رضي الله عنه وبشر به المسلمين بأن الروم قد حصروا ولن يفلح المحصور.

### خطة المعركة:

كانت معركة اليرموك معركة فاصلة لم يدخر فيها أحد من الطرفين شيئاً من قوته ولا من تخطيطه وتدابيره، فأخذ كل منهما بأقصى درجات الإعداد والاستعداد لما يترتب على ذلك من نتائج مصيرية على كل منهما، فكان في تخطيطهم دقة وجدة وتكامل، أما خالد رضي الله عنه فقد ابتكر تخطيطاً لم يسبق إليه من قبل، تمثل ذلك في نظام الكراديس الذي خرج به جيش المسلمين، لكي يتمكن من تغطية الفارق الكبير في العدد بينهما، فكان في ذلك الإبداع الذي حقق كل أهداف المسلمين الذين نفذوه بأقصى درجات المسؤولية والكفاءة والنظام.

فخرجت الروم في تعبئة لم ير مثلها قبلها قط لما فيها من التنظيم والتقسيم والكثرة الهائلة. وخرج خالد في المسلمين بتعبئة لم تعبئها العرب من قبل لا في الإسلام ولا في الجاهلية. فقسم جيش العرب المسلمين إلى ستة وثلاثين كردوساً إلى الأربعين، كل كردوس فيه ألف رجل عليهم أمير، وجعل أبا عبيدة في القلب، وعلى الميمنة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل ابن حسنة، وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان. وأمر على كل كردوس أميراً، وعلى الطلائع قباث بن أشيم، وعلى الأقباض أي الغنائم عبد الله بن مسعود والقاضي يومئذ أبو الدرداء، وقاصهم الذي يعظهم ويحثهم على القتال أبو سفيان بن حرب، وقارئهم الذي يدور على الناس فيقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد المقداد بن الأسود، وكان في جيش المسلمين أيضاً الكثير من الصحابة الكرام المقربين إلى رسول الله ﷺ.

وكان خالد بن الوليد هو المشير في الحرب والقائد العام الذي يصدر المسلمون كلهم عن رأيه فأقبلت الروم في خيلائها وفخرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم

غمامة سوداء يصيحون بأصوات مرتفعة، ورهبانهم يتلون الإنجيل ويحثونهم على القتال. فلما تصاف المسلمون مع عدوهم قام خالد بن الوليد في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم وأيدوا الله بعملكم، وإن هذا يوم له ما بعده لو ردناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردهم.

وكان خالد في الخيل بين يدي الجيش فساق بفرسه إلى أبي عبيدة رضي الله عنه يشاوره في أمر المواجهة فقال له أمين الأمة: قل أمرك أسمع لك وأطيع. فقال له خالد: إن هؤلاء القوم لا بد لهم من حملة عظيمة لا محيد لهم عنها، وإنني أخشى على الميمنة والميسرة وقد رأيت أن أفرق الخيل فرقتين وأجعلها وراء الميمنة والميسرة حتى إذا صدموهم رأوا أنفسهم من ورائهم. فقال له: نعم ما رأيت. فحققت تلك الفكرة للمسلمين الخير الكثير من دفع الشر عنهم والإسهام في إيقاع الهزيمة في جيوش الصليبيين.

فكان خالد في أحد الخيلين من وراء ميمنة المسلمين، وجعل قيس بن هيرة في الخيل الأخرى من وراء ميسرة المسلمين، وأمر أبا عبيدة أن يتأخر عن القلب إلى وراء الجيش كله حتى إذا رآه المنهزم استحميا منه ورجع إلى القتال، فجعل أبو عبيدة مكانه في القلب سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم ابن عم عمر الفاروق رضي الله عنه وساق خالد إلى النساء من وراء الجيش ومعهن عدد من السيوف وغيرها، فقال لهن: من رأيتموه مولياً فاقتلنه. ثم رجع إلى موقفه رضي الله عنه وبذلك فرغ المسلمون من أخذ أماكنهم ومعرفة مهامهم بما في ذلك النساء المسلمات اللواتي كنَّ مع المجاهدين<sup>(١)</sup> يسهمن في صناعة نصر الدين وعز الأمة، فكان التخطيط مباركاً والتنفيذ دقيقاً والتنسيق والتعاون يأخذ بالألباب، والتضحية وافتداء المسلمين بعضهم بعضاً فوق ما يتصوره البشر، فأثمر ذلك التكامل والتوافق نصر الإسلام وهزيمة الصليبيين وتطهير بلاد الشام فيما بعد تلك المعركة من الشرك والمشركين.

(١) ينظر: ابن الجوزي: المنتظم، ٤/٨٦. ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/٨.

## الوعظ والإرشاد والتوجيه:

إن المجاهدين المشاركين في جيوش الفاتحين كانوا يتفجرون إيماناً و يقيناً بعدالة جهادهم وشرعيته ولا أدل على ذلك من أنهم جاؤوا متسابقين طائعين مقدمين كل ما يملكون في سبيل عقيدتهم، ولكن كان لا بد من التذكير الذي يقوم به أهل العلم والتجربة الذين تشهد لهم الأمة بالصلاح والإخلاص والقبول، لتنبية الغافل وتعليم الجاهل واستحضار النوايا وإعداد النفوس، فلما تراءى الجمعان وتواقف الفريقان قام الوعاظ والمرشدون يذكرون المسلمين ويحضونهم.

فقام أبو عبيدة رضي الله عنه فقال: عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، يا معشر المسلمين اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار، ولا تبرحوا مصافكم، ولا تخطوا إليهم خطوة، ولا تبدؤوهم بالقتال وشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم حتى أمركم إن شاء الله تعالى.

وقام معاذ بن جبل رضي الله عنه فجعل يذكر المسلمين ويقول: يا أهل القرآن ومستحفظي الكتاب وأنصار الهدى والحق، إن رحمة الله لا تنال وجته لا تدخل بالأمانى، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق، ألم تسمعوا لقول الله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>. فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم وأنتم في قبضته وليس لكم ملتحد من دونه ولا عز بغيره.

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: يا أيها المسلمون غضوا الأبصار، واجثوا على الركب، وأشرعوا الرماح، فإذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا إليهم وثبة الأسد، فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه، ويمقت الكذب ويجزي بالإحسان

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

إحسانًا، لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كَفْرًا كَفْرًا - أي قرية قرية - وقصرًا قصرًا، فلا يهولكم جموعهم ولا عددهم، فإنكم لو صدقتموهم الشد تطايروا تطاير أولاد الحجل.

وقال أبو سفيان رضي الله عنه: يا معشر المسلمين أنتم العرب وقد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل نائين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين، وقد والله أصبحتم بإزاء عدو كثير عدده شديد عليكم حنقه، وقد وترتموهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ولا يبلغ بكم رضوان الله غدًا إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة، ألا وإنها سنة لازمة وإن الأرض وراءكم، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحارى وبراري ليس لأحد فيها معقل ولا معدل إلا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خير معول، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا ولتكن هي الحصون. ثم ذهب إلى النساء فوصاهن ثم عاد فنأدى: يا معاشر أهل الإسلام حضر ما ترون فهذا رسول الله ﷺ والجنة أمامكم، والشيطان والنار خلفكم. ثم سار إلى موقفه رضي الله عنه.

ووعظ الناس أبو هريرة أيضًا فقال: سارعوا إلى الحور العين وجوار ربكم عز وجل في جنات النعيم، ما أنتم إلى ربكم في موطن بأحب إليه منكم في مثل هذا الموطن، ألا وإن للصابرين فضلهم.

وقالوا: كان في ذلك الجمع ألف رجل من الصحابة رضي الله عنهم منهم مائة من أهل بدر رضي الله عنهم. وجعل أبو سفيان يقف على كل كردوس ويقول: الله الله إنكم دارة العرب وأنصار الإسلام، وإنهم دارة الروم وأنصار الشرك، اللهم إن هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك.

## دعوة الروم إلى الإسلام:

ولما تقارب الناس تقدم أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ومعهما ضرار بن الأزور، والحارث بن هشام، وأبو جندل بن سهيل، ونادوا: إنما نريد أميركم لنجتمع به، فأذن لهم في الدخول على تذارق، وإذا هو جالس في خيمة من حرير. فقال الصحابة: لا نستحل دخولها

فأمر لهم بفرش بسط من حرير، فقالوا: ولا نجلس على هذه. فجلس معهم حيث أحبوا، ورجع عنهم الصحابة بعدما دعوهم إلى الله عز وجل فلم يتم ذلك.

## مفاوضات:

وذكر أن القائد الرومي ماهان طلب خالدًا ليرز إليه فيما بين الصفيين فيجتمعاً في مصلحة لهم فقال ماهان: إنا قد علمنا أنه ما أخرجكم من بلادكم إلا الجهد والجوع، فهلموا إلى أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنائير وكسوة وطعاماً وترجعون إلى بلادكم، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها، فقال خالد رضي الله عنه: إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء، وإنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم، فجئنا لذلك. فقال أصحاب ماهان: هذا والله ما كنا نُحدث به عن العرب. وهذه صورة من الحرب النفسية فالرومي يعرض المال والمتاع مقابل أهداف الخلافة ومفاهيم الشريعة ومتطلبات نشر الإسلام، وهذا ما زال يدين به الصليبيون فيصطادون أصحاب النفوس الرديئة من الانتهازيين، ثم يستخدمونهم ضد عقيدتهم وأمتهم مقابل ثمن بخس مغموس بالذل والاحتقار من شعوب المسلمين.

قالوا: ثم تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل والققعاق بن عمرو، وهما على مجنبتني القلب أن ينشبا القتال، فبدرا يرتجزان، فقال عكرمة رضي الله عنه:

قد علمت بهكنة الجواري أني على مكرمة أحامي

وقال الققعاق:

يا ليتني ألقاك في الطراد قبل اعترام الجحفل الورد<sup>(١)</sup>

ودعوا إلى البراز، وتنازل الأبطال، وتجاولوا وحميت الحرب وقامت على ساق: هذا وخالد رضي الله عنه مع كردوس من الحماة الشجعان الأبطال بين يدي الصفوف والأبطال

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٣٥.

يتصاولون من الفريقين بين يديه، وهو ينظر ويبعث إلى كل قوم من أصحابه بما يعتمدونه من الأفاعيل، ويدبر إمرة الحرب أتم تدبير.

وكان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام رضي الله عنه، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون. فقالوا: بلى؟ فحمل وحملوا فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه، ثم جاؤوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه، وفي رواية: جرح.

وجعل معاذ بن جبل رضي الله عنه كلما سمع أصوات القسيسين والرهبان يحرضون الصليبيين على حرب الإسلام يقول: اللهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم، وأنزل علينا السكينة، وألزمنا كلمة التقوى، وحبب إلينا اللقاء، وأرضنا بالقضاء.

وخرج ماهان فأمر صاحب الميسرة وهو الدبريجان، وكان متنسكًا فيهم، فحمل على الميمنة وفيها الأزد ومدحج وحضرموت وخولان، فثبتوا حتى صدوا أعداء الله، ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال فزال المسلمون من الميمنة إلى ناحية القلب، وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر، وثبت سور من المسلمين عظيم يقاتلون تحت رايتهم، وانكشفت زييد ثم نادوا فتراجعوا وحملوا حتى نهنهم من أمامهم من الروم وأشغلوهم عن اتباع من انكشف من المسلمين، واستقبلت النساء من انهزم من سرعان الناس يضربنهم بالخشب والحجارة وجعلت خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها تقول:

يا هارِبًا عن نسوة ثقيات فعن قليل ما ترى سبيات

لا حظيات ولا رضيات

قال: فتراجع الناس إلى موافقهم.

وقال عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك: قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن وأقر منكم

اليوم؟ ثم نادى: من يبائع على الموت؟ فبايعه عمّه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعًا جراحًا، وقتل منهم خلق؛ منهم ضرار بن الأزور رضي الله عنهم أجمعين.

ولعل في موقف عكرمة وتلك الثلة المباركة من أبطال المسلمين ووجوه العرب من الصحابة والتابعين في المبايعة على الموت وليس على النصر أو الشهادة وإنما على الموت فقط حتى يردوا سيول الصليبيين التي تتدفق على الأمة والعقيدة، لعل في ذلك ما يلجم المرجفين في هذا العصر من الأذنان وباعة العقيدة والهوية المثبتين الذين ما زالوا بلاء على الأمة، تظهر بوائقهم أيام المحن والشدائد إرجافًا بالأمة وعبثًا بمصيرها ومستقبلها، عندما يجترئون - وهم القاعدون المفلسون - على إصدار الفتاوى التي تمنع الدفاع عن الأمة وتقر دين العلمانية أو دين الردة التي قامت أسسه على هدم الإسلام واستباحة أهله.

وقد زين هؤلاء الأكارم مواقفهم البطولية الرائعة بصور من الإيثار والكرم الذي يذهل العقول ويدعو إلى الإعجاب والفخار بذلك الجيل الفريد في صفاته ومقاصده، فلما صرّعوا من الجراح التي أصابتهم رضي الله عنهم استسقوا ماء فجيء إليهم بشربة ماء فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال الأول: ادفعها إليه، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر، فقال الثاني: ادفعها إليه. فتدافعوا كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعًا ولم يشربها أحد منهم، إيثارًا على النفس في أشد ساعات الحاجة وأكثرها إيلاّمًا، وكرمًا بطوليًا شامخًا حتى عند الموت رضي الله عنهم أجمعين، بينما في عصر الهزيمة هذا يضرب كثير من قادة ما يسمى بالحركات الإسلامية في أمثلة من صور الاستئثار والتكالب على الدنيا ومواقف السوء والأنانية والعمل تحت أي راية وبأي وسيلة على حساب الأمة والهوية، والتمسك بذلك إلى ساعات الموت وبما تدمي له القلوب وتخزي به النفوس.

ويقال: إن أول من قُتل من المسلمين يومئذ شهيدًا رجل جاء إلى أبي عبيدة رضي الله عنه فقال: إني قد تهيأت لأمرٍ فهل لك من حاجة إلى رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، تقرئه عني

السلام وتقول: يا رسول الله إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا. قال: فتقدم هذا الرجل فقاتل حتى قتل رحمه الله.

قالوا: وثبت كل قوم على رأيهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرحي، فلم تر يوم اليرموك إلا مخًا ساقطًا أو معصمًا نادرًا<sup>(١)</sup> أو كفاً طائفة من ذلك الموطن.

ثم حمل خالد رضي الله عنه بمن معه من الخيالة على ميسرة الروم، التي حملت على ميمنة المسلمين فأز الوهم إلى القلب، فقتل من الروم في حملته هذه ستة آلاف مقاتل، ثم قال لإخوانه مشجعًا: والذي نفسي بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد غير ما رأيتم، وإني لأرجو أن يمنحك الله أكتافهم. ثم اعترضهم فحمل بمائة فارس معه على نحو من مائة ألف فما وصل إليهم حتى انفض جمعهم، لما فيهم من الرعب والرهبة وحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد، فانكشفوا وتبعهم المسلمون لا يمتنع الصليبيون منهم، لما أصابهم من الفوضى وشدة الخوف.

قالوا: وبينما هم في جولة الحرب وحومة الوغى والأبطال يتصاولون من كل جانب، إذ قدم البريد من جهة الحجاز فدفع إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه فقال له: ما الخبر؟ فقال له سرًا بينهما: إن خليفة رسول الله أبا بكر الصديق رضي الله عنه المؤيد المنصور قد توفي واستخلف عمر الفاروق رضي الله عنه واستتاب على الجيوش أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه فأسر خالد رضي الله عنه خبر وفاة خليفة رسول الله ولم يبد ذلك للمسلمين أثناء سير المعركة، لئلا يحدث وهن أو لغط في تلك الحال، وقال لصاحب البريد: أحسنت. والناس يسمعون، وأخذ منه الكتاب فوضعه في كنانته واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب ومقاتلة الروم الصليبيين، واصطحب الرسول الذي جاءه بالكتاب معه في ساحات القتال، وكان رسول المدينة إلى المسلمين في الشام محمية بن زنيم.

(١) نادرًا: ساقطًا. اللسان (ن در).

## إسلام القائد الروماني جرجة:

إن من أهم ميزات الإسلام أنه صالح لكل زمان ومكان، ولعل في إسلام القائد جرجة خير مثال على هذه المقولة ومع انشغال المسلمين والصليبيين في معركة مصيرية إلا أن ذلك لم يمنع جرجة أن يسأل عن الدين ويستفسر عما يجيش في نفسه تجاهه وتجاه ما يسمعه عنه وعن أهله، وكذلك لم تمنع الحرب ولا القيادة وشواغلها وفي وسط المعمعة من أن يتفرغ قائد المسلمين للإجابة على تساؤلات ذلك المتعلم بأمور الدين حتى يوضح له كل ما يستفسر عنه، فنتهي ذلك بإسلام جرجة وبأن يمن الله عليه بالشهادة في ذلك اليوم الذي أسلم فيه ليقبل على ربه وقد عمل قليلاً وأجر كثيراً، وكل هذا يدل على أن الإسلام هو دين العالمين الذي لا تحده حدود ولا تحجزه عوائق، وأن هدفه هو نشر عقيدة التوحيد التي لا تصلح الأمم إلا على معانيها كما أن أخلاق الحرب في الإسلام قائمة على الرحمة وحب الخير للآخرين حتى لو كانوا محاربين، وأن الحروب التي جرت في الإسلام لم تزد عن الدفاع عن النفس أو رد العدوان أو تأديب المعتدين على الدين والأمة أو إزالة العوائق التي يضعها المشركون والملحدون الرافضون لدين الله الذي جاء به محمد ﷺ ونديراً للعالمين. قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

قالوا: وخرج جرجة أحد الأمراء الكبار وقادة الجيوش الرومانية من الصف واستدعى خالد بن الوليد رضي الله عنه فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال جرجة: يا خالد، أخبرني فاصدقني ولا تكذبني، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكمه فلا تسله على أحد إلا هزمتهم؟ قال: لا! قال: فبم سميت سيف الله؟ قال: إن الله بعث فينا نبيه ﷺ فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا كذبه وباعده، فكنت فيمن كذبه وباعده، ثم إن الله تعالى أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبإيعانه، فقال لي: أنت سيف من

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

سيوف الله سله الله على المشركين. ودعالي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين.

فقال جرجة: يا خالد إلامَ تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به ﷺ من عند الله عز وجل. قال: فمن لم يجبكم؟ قال خالد: فالجزية ومنعهم - أي نحميمهم. قال: فإن لم يعطها؟ قال: نوذنه بالحرب ثم نقاتله. قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضعنا وأولنا وآخرنا. قال جرجة: فلمن دخل دينكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم وأفضل. قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد رضي الله عنه: إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبينا ﷺ وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا؟ فقال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: تالله لقد صدقتك وإن الله تعالى ولي ما سألت عنه. وفي موقف سيف الله من إسلام جرجة ما يؤكد أن هدف المسلم هو الأجر والثوبة من الله تعالى طمعًا فيما أخبر به رسول الله ﷺ حين قال: «لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم»<sup>(١)</sup>.

فعند ذلك قلب جرجة الترس ومال مع خالد رضي الله عنه وقال: علّمني الإسلام. فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء ثم صلى به ركعتين. وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقعهم، إلا المحامية وعليهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام. فركب خالد وجرجة معه والروم خلال المسلمين، فتنادى الناس وثابوا فتراجعت الروم إلى مواقعهم، وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب،

(١) البخاري: صحيح البخاري، ح (٣٤٩٨). مسلم: صحيح مسلم، ح (٢٤٠٦).

وصلى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماء، وأصيب جرجة رحمة الله ولم يصل لله تعالى إلا تلك الركعتين مع خالد رضي الله عنه فضعضت الروم عند ذلك، ثم نهّد خالد بالقلب حتى صار في وسط خيول الروم فعند ذلك هربت خيالتهم، وأسندت بهم في تلك الصحراء، وأفرج المسلمون بخيولهم لها حتى ذهبوا لا يلوون على شيء<sup>(١)</sup>.

وأخر الناس صلاة المغرب والعشاء حتى استقر الفتح، وعمد خالد إلى الرجالة ففصلوهم عن آخرهم حتى صاروا كأنهم حائط قد هدم، ثم تبعوا من فرّ من الخيالة واقتحم خالد رضي الله عنه والمسلمون عليهم خندقهم، وجاء الروم في ظلام الليل إلى الواقوصة، فجعل الذين تسلسلوا وقيدوا بعضهم ببعض إذا سقط واحد منهم سقط الذين معه. قال ابن جرير وغيره: فسقط فيها وقتل عندها مائة ألف وعشرون ألفاً سوى من قتل في المعركة<sup>(٢)</sup>.

وقد قاتل نساء المسلمين في هذا اليوم وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم، وكنّ يرمين من انهزم من المسلمين بالحجارة وغيرها ويقلن: أين تذهبون وتدعوننا للعلاج؟ فإذا زجرنهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال، وهذا امتداد لدور المرأة العربية المسلمة التي أسلمت وبايعت وتحملت مع رسول الله ﷺ وأصحابه ما كانوا يتحملونه من عنت المشركين وظلمهم وحصارهم، وبعد أن أذن الله للمسلمين بالقتال قاتلت وشاركت في المعارك بخدمات متعددة، مع محافظتها التامة على حشمتها وحجابها وعبادتها، بعكس ما تقوم به كثير من نساء هذا العصر اللواتي قلدن أعداء الإسلام في الملبس والمأكّل ونزعن الحجاب الذي فرضه الله تعالى عليهنّ. في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيهِنَّ﴾<sup>(٣)</sup>. مما يؤكد أن هذا الدين أمانة في أعناق الجميع رجالاً ونساء عرباً وعجمًا، ومن الجهاد في هذا العصر محافظة المرأة على حشمتها ومظهرها الإسلامي الذي أمر الله تعالى به، وكل يعمل بما يستطيع عليه والأجر والثوبة من الله تعالى.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ١١. ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٨٨. الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٣٥.

(٢) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ١٣. ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٨٨. الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٣٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

وبعد أن رأى الروم إقبال المسلمين بقيادة أصحاب رسول الله ﷺ على الشهادة والجهاد لم يعد فيهم قدرة على المتابعة والمصابرة فهزمت الروم وتبعثر أمرهم، فكان من صور هزيمتهم:

أن تجلج قائدهم القيقلان ومعه أشراف من قومه من الروم بيرانسهم. وقالوا: إذا لم نقدر على نصر دين النصرانية فلنمت على دينهم. فجاء المسلمون فقتلوه عن آخرهم.

قالوا: وقتل في ذلك اليوم من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو، وسلمة بن هشام وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد، وأثبت خالد بن سعيد فلا يُدرى أين ذهب، وضرار بن الأزور، وهشام بن العاص وعمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسي، وحقق الله رؤيا أبيه يوم اليمامة حيث رأى رؤيا وقصها على من معه من الصحابة فبشروه بالشهادة وأن ابنه سيلحق به فيما بعد فكان لهما ذلك، واستشهد كثير من المسلمين ممن اختارهم الله تعالى واجتباهم فجزاهم الله عن هذه الأمة وعقيدتها خير الجزاء ورضي الله عنهم وأرضاهم.

وثبت يومئذ يزيد بن أبي سفيان وقاتل قتالاً شديداً، وذلك أن أباه مرّ به فقال له: يا بني عليك بتقوى الله والصبر، فإنه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين إلا محققاً بالقتال، فكيف بك وبأشباهك الذين ولوا أمور المسلمين؟! أولئك أحق بالصبر والنصيحة، فاتق الله يا بني ولا يكون أحد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب ولا أجراً على عدو الإسلام منك. فقال: أفعل إن شاء الله. فقاتل يومئذ قتالاً شديداً وكان من ناحية القلب رضي الله عنه، وقال سعيد بن المسيب عن أبيه قال: هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتاً يكاد يملأ العسكر يقول: يا نصر الله اقترب، الثبات الثبات يا معشر المسلمين. قال: فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد رضي الله عنهما، وأصيبت يومئذ عين أبي سفيان فأخرج السهم من عينه أبو حثمة، وكان من النساء اللاتي قاتلن يومئذ جويرية بنت أبي سفيان<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ١٣/٧، ابن الجوزي: المنتظم، ٨٨/٤، الطبري: تاريخ، ٣٣٧/٢.

وقد أكمل خالد رضي الله عنه ليلته في خيمة تذارق أخي هرقل، وكان هو الأمير العام للروم كلهم يومئذ وقد هرب فيمن هرب من جنده وقادته ولا سيما الخيالة، وباتت خيول المسلمين تجول نحو خيمة خالد يقتلون من مرّ بهم من الروم حتى أصبحوا، ثم قتل تذارق وكان له ثلاثون سرادقاً وثلاثون رواقاً من ديباج بما فيها من الفرش والحرير، فلما كان الصباح حاز المسلمون ما كان هنالك من الغنائم بما لم ير مثله من قبل، فكان يوماً مشهوداً أعز الله به أهل طاعته وأذل أعداءه من الذين: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيِّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾<sup>(١)</sup>.

ولكن مما نغص على المسلمين فرحة ذلك النصر الفريد يوم اليرموك على أعتى وأقوى دولة على وجه الأرض آنذاك، هو سماعهم بوفاة خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه الذي كان فتتهم وملجأهم بعد الله تعالى عند الشدائد، فبمواقفه كانوا يقتدون، ومنها يتعلمون ويقتبسون ما كان يحاكي به قيادة رسول الله ﷺ بحزمه وفهمه وحذره وتواضعه، وصفائه ومودته، ولكن الله تعالى عوضهم عن خليفة رسول الله بأمر المؤمنين عمر الفاروق الذي كان على منهج رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق رضي الله عنه دون تغيير أو تبديل، حتى جنت الأمة ما كانت تجنيه من قبل من الانتصارات والعدل والأمن والرفاه والرعاية؛ إذ إن خليفة رسول الله ﷺ توفي بعد أن اختار للأمة من يصلح لقيادتها في تلك المرحلة ممن كان في مدرسة القيادة النبوية والقيادة الصديقية التي عاش أيامها لحظة بلحظة.

وكانت الروم قد انتهت منهزمة إلى هرقل وهو بحمص، والمسلمون في آثارهم يقتلون ويأسرون ويغنمون. فلما وصل الخبر إلى هرقل ارتحل من حمص وجعلها بينه وبين المسلمين ويتترس بها، وقال هرقل: أما الشام فلا شام، وويل للروم من المولود المشؤوم<sup>(٢)</sup>. ومما قيل من الأشعار في يوم اليرموك قول القعقاع بن عمرو:

(١) سورة يونس، الآية: ٦٨.

(٢) الطبري: تاريخ، ٢/٣٣٥.

وقال الوليد بن مسلم: أخبرني من سمع يحيى بن يحيى الغساني يحدث عن رجلين من قومه قالوا: لما نزل المسلمون بناحية الأردن، تحدثنا بينما أن دمشق ستحاصر فذهبنا نتسوق منها قبل ذلك ونحن فيها إذ أرسل إلينا بطريقها فجننا فقال: أنتما من العرب؟ قلنا: نعم! قال: وعلى النصرانية؟ قلنا: نعم. فقال: ليذهب أحدكما فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورأيهم، وليثبت الآخر على متاع صاحبه. ففعل ذلك أحدنا فلبث ملياً ثم جاءه فقال: من عند رجال دقاق يركبون خيولاً عتاقاً، أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان، يريشون النبل ويبرونها، ويثقفون القنا، لو حدثت جليساك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر. قال: فالتفت إلى أصحابه وقال: أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به<sup>(١)</sup>.

لعل النصر الذي حققه المسلمون يوم اليرموك يعد أعظم حدث عسكري يتحقق على أيدي الجيش الإسلامي النظامي الذي تديره قيادة واحدة، لما فيه من كسر شوكة الدولة الكبرى آنذاك التي يتمتع أهلها بعقيدة ولها رجال دين وعلماء لاهوت يُسمع لهم فيما يزودون به أتباعهم من معلومات مغلوطة تثير الأحقاد على المسلمين.

وكذلك لتمكن المسلمين من الانتصار على أكبر حشد عسكري يحشده الروم ضد المسلمين في العدد والعدة حيث بلغت جيوش الروم مائتين وأربعين ألفاً سوى الأتباع والإمدادات المتواصلة إلى أرض المعركة، بينما عدد المسلمين حوالي أربعين ألفاً مع كل إمداداتهم.

تبين موقف هرقل إمبراطور الروم مما كان يجري من أحداث إذ تأكدت معرفته بالمسلمين وأنه لا قبل للروم بهم وإن تفوقوا عليهم عدداً وعدة، كما اتضح أنه كان راغباً في الصلح مع المسلمين، ومستعداً لإرضائهم بما يريدون، ولكن كبر قومه وكرهيتهم للمسلمين قد حال دون تحقيق تلك الرغبة الإمبراطورية.

كما تبينت كفاءة الصديق كقائد منتصر يدير الأحداث بأعلى مستويات الحنكة والقيادة على جبهات التخطيط والضبط والقتال والإمداد والتوجيه والإعلام والإدارة لدولة ما زالت

(١) ينظر: الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٣٥. ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٨٥.

ألم ترنا على اليرموك فزنا  
وعذراء المدائن قد فتحنا  
فتحنا قبلها بـبصري وكانت  
قتلنا الروم حتى ما تساوى  
فضضنا جمعهم لما استجالوا  
وقال الأسود بن مقرن التميمي:

وكم قد أغرنا غارة بعد غارةٍ  
لقيناهم اليرموك لما تضايقت  
فلا يعدمن منا هرقل كتائبًا  
وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه:

والقوم لخم وجذام في الحرب  
فإن يعودوا بها لا نصطحب  
ونحن والروم بمرج نضطرب  
بل نعصب الفرار بالضرب الكرب<sup>(١)</sup>

وكان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو في القتال فواق ناقة عند اللقاء أي مقدار ذبح ناقة، فقال هرقل وهو على أنطاكية عندما قدمت عليه الروم منهزمة: ويلكم، أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم، أليسوا بشرًا مثلكم؟ قالوا: بلى. قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم ونأمر بالسخط ونهوى عما يرضي الله ونفسد في الأرض. فقال: أنت صدقتني.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ١٦/٧.

مواجهة المسلمين للتحريض المعنوي الذي كان يقوم به الرهبان والقساوسة، بالوعظ والإرشاد الذي كان يقوم به علماء المسلمين الذين يستمدون علمهم من علوم الكتاب والسنة. تمكن المسلمون بقيادة خليفة رسول الله من حشد كل الطاقات لمواجهة حشود الروم الكبيرة والمحافظة على الروح المعنوية العالية عند المسلمين.

حُرِّصَ المسلمين على هداية أعدائهم وإخراجهم من أحوال الشرك إلى نقاء التوحيد، تمثل ذلك في تشكيلهم وفدًا ذهب إلى معسكر الروم يدعوهم إلى الإسلام، وكذلك تفرغ خالد رضي الله عنه يوم المعركة لمواجهة القائد جرجة وإبلاغه تعاليم الإسلام حتى أسلم ثم قاتل مع المسلمين حتى قتل.

وتبين في اليرموك الإقدام الهائل الذي يتسم به المسلمون وجرأتهم الشديدة على خوض الغمرات مهما كانت النتائج ولا أدل على ذلك من تلبية دعوة عكرمة رضي الله عنه التي استجاب لها أربعمائة مجاهد عامتهم من وجوه العرب، قضى أكثرهم نحبه شهيدًا في سبيل عقيدته. وكذلك ظهرت شجاعة المرأة المسلمة وأهمية دورها في مساندة المقاتلين والثبات على المبدأ حتى النصر أو الشهادة.

وهناك نقطة ذات أهمية خاصة ألا وهي شهادة الروم بين يدي هرقل للمسلمين بأنهم فرسان في النهار رهبان في الليل يقيمون الحدود وينشرون العدل لا يظلمون ولا يتظالمون.

لقد كانت نتائج اليرموك كلها سائغة مبشرة بما بعدها من فتوح ولم ينغصها على المسلمين إلا ما جاءهم من أخبار وفاة خليفة رسول الله الذي كان لهم كالأب الحاني الذي يتفقد أحوالهم ويزودهم بنصائحه وتوجيهاته التي تثمر النصر تلو النصر.

كانت وفاة الصديق رضي الله عنه في يوم الاثنين عشية، وقيل بعد المغرب ودفن من ليلته، وذلك لثمانين بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض استمر خمسة عشر يومًا، وكان عمر رضي الله عنه يصلي بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من

في طور البناء، بمواجهة أكبر دولة عددًا وعدة، فضلًا عن الجبهة الأخرى التي يقاتل فيها المسلمون الفرس المجوس في العراق.

تأكيد خليفة رسول الله على المسلمين بالتمسك بالتوحيد واللجوء إلى الله تعالى في كل الأحوال، وتوافق تخطيطه العسكري مع القادة الميدانيين في مثل أمره لهم بالاجتماع في عسكر واحد لمواجهة الروم وفي مثل أمره لهم باتخاذ اليرموك مكانًا للمعركة وقد كان ذلك هو اختيارهم ورغبتهم أيضًا.

وكان من ثقة القادة المسلمين بحسن تدبير خليفة رسول الله أنهم لم يكونوا يزيدون على أن يعلموه الحال التي هم عليها مع العدو ليتلقوا التعليمات التي توصلهم إلى أكمل النتائج.

ومما يؤكد ذلك أنه لا يستطيع أحد من المحللين الأولين ولا الآخرين أن يستدرك على خليفة رسول الله فعلاً لم يفعله ويتمنى أنه فعله، وكذلك تبينت ثقته بسيف الله الذي أنجز المهام التي أوكلت إليه كافة.

واتضح حسن التنسيق والتكامل في الجيوش الإسلامية وزهد قادتها في المسؤولية وحب الإمارة، وتبين حرصهم على الشورى التي كانت قيمها هي الفاعلة في جميع تلك الأحداث، ظهر ذلك في اختيارهم الاجتماع في عسكر واحد، ومكان اللقاء مع العدو ووقته.

وتبين شدة حذر الجيوش الإسلامية وقوة استطلاعاتها على مدى أيامهم على الجبهات في أيام خليفة رسول الله فلم يسجل التاريخ عليهم أنهم أخذوا غرة في يوم من الأيام.

وظهر يوم اليرموك إبداع المسلمين في التخطيط والتنفيذ ونجاح كل ذلك في مثل اختيار أرض المعركة وتوقيتها، وتقسيم الوحدات المقاتلة ولا سيما نظام الكراديس الذي كان له الدور الفاعل في تعويض الفارق الهائل في العدد بين الجانبين، ولا أدل على نجاحهم ذلك من محاولة الروم محاكاة مخططاتهم في المكان والتوقيت وتقسيم الجيوش.

بعده إلى عمر وكان الذي كتب العهد عثمان رضي الله عنه وقرئ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا، وذلك أنه كان صادرًا من موضع محبتهم وثقتهم وعالمهم وسيدهم خليفة رسول الله، فكانت خلافة الصديق رضي الله عنه ستين وثلاثة أشهر، وكان عمره يوم توفي ثلاثًا وستين سنة، مثل السن التي توفي فيها رسول الله ﷺ وقد جمع الله بينهما في التربة، كما جمع بينهما في الحياة، فرضي الله عنه وأرضاه<sup>(١)</sup> قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ١٨/٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

## المبحث الثالث

# عهد الصديق إلى الفاروق بالخلافة ووفاته رضي الله عنه

### مشاورة الصديق المسلمين في تولية عمر:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
وقال عز وجل: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ  
عَنَّهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَسَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالشورى خلق إسلامي وقيمة حضارية فاعلة في العمل السياسي الإسلامي وغيره؛ أكدها القرآن الكريم وعمل بها رسول الله والمؤمنون في كل أحوالهم وأطوار حياتهم، فمنذ فجر الإسلام والأمة تعتر بهذا المفهوم الذي يمثل إحدى ركائز حضارتها، فقد كان المسلمون يمارسون حق الشورى دون أي تحفظ ويعيرون من لا يعمل به؛ يؤكد ذلك الخلفاء على الولاية وقادة الجيوش وتتخلق به الأسر والمجتمعات؛ لأنه موروث أصيل في عقيدتها وركن متين من أركان هويتها، فأصبح التعدي على هذه القيمة الحضارية خرقاً لإحدى الثوابت التي بنت عليها الأمة أمجادها، وخروجاً عن هويتها وتعطيلاً لثقافتها الأصيلة، فقد كانت الحياة الإسلامية بكل جوانبها عامرة بالشورى، في عصور كانت فيها الدكتاتوريات هي التي

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

تحكم ومفاهيم عبادة الأباطرة والأكاسرة والركوع بين أيديهم ولثم أقدامهم عند الفرس المجوس والروم الصليبيين هي السائدة في مجتمعاتهم بينما كان رسول الله يستنكر على من يخاطبه بأي لقب غير اسمه وصفته بأنه رسول الله ﷺ فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أنت سيد قريش. فقال النبي ﷺ: «السيد الله» فقال: أنت أفضلها فيها قولاً، وأعظمها فيها طَوْلاً. فقال رسول الله ﷺ: «ليقل أحدكم بقوله ولا يستجرنه الشيطان أو الشياطين»<sup>(١)</sup>. وقد كان ﷺ يستنكر من يقف له قائماً تعظيماً له وهو العظيم السيد ﷺ، ولكنه أراد أن يعلم الأمة لكيلا تقبل الضيم والعبودية إلا لله تعالى، وقد عمل الراشدون بذلك أيضاً ومن بعدهم الأمويون بحلمهم وتواضعهم ومحافظةهم على أكثر سنن الإسلام، ومن ذلك عدم تلقب أحد من خلفائهم بغير اسمه واسم أبيه، وثبت هذا الخلق الإسلامي الحضاري عند كثير من أئمة الأمة وقادتها، ولم يظهر إلا في عصور الضعف والانحطاط الحضاري، والأمثلة على ذلك كثيرة واضحة على مر تاريخ الأمة.

وقد أخذ خليفة رسول الله ﷺ الصديق رضي الله عنه في سياسته الناس بكل ما سنّه رسول الله ﷺ وقد كان رسول الله ﷺ يستشير حتى النساء، فلم يترك أبو بكر رضي الله عنه هذه السنّة، ولم يقصر الشورى على كبار الصحابة، وكان إذا لم يجد في الكتاب ولا في السنّة حكماً لما يعرض له سأل الصحابة رضي الله عنهم فيقول: «عرض علينا أمر هو كذا وكذا فهل عند أحد منكم في هذا الأمر شيء من سنّة رسول الله؟» فإذا أجابه أحد لم يرتض قوله حتى يشهد له آخر بصحة الحديث، ثم يقول: «الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ سنة نبينا». فإذا لم يجد عند أحد ما يحفظه من حكم السنّة في الأمر، جمع له الناس فشاورهم فيه وحاورهم.

وكان يوصي عمّاله وأمرأه جنده بأن يشاوروا من معهم من الصحابة ووجوه الناس حتى

(١) سنن النسائي الكبرى: ح (١٠٠٧٤) المتقي الهندي: كنز العمال، ح (١١٧٢). قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

لو لم يكونوا من أهل السابقة وألا يخالفوهم فيما يظهر لهم من حسن رأيهم، في مثل هذه الوصية التي أوصى بها قائده أبا عبيدة رضي الله عنه حين بعث معه قيس بن مكشوح فقال أبو بكر رضي الله عنه: «قد صحبك رجل عظيم الشرف فارس من فرسان العرب لا أظن له عظيم حسبة، ولا كثير نية في الجهاد، وليس للمسلمين غنى عن مشورته ورأيه وبأسه في الحرب، فأذنيه وألطفه وأره أنك غير مستغن عنه ولا مستهين بأمره، فإنك تستخرج منه بذلك نصيحته لك على عدوك.

ثم دعا قيسًا فقال له: إني بعثتك مع أبي عبيدة الأمين الذي إذا ظلم كظم، وإذا أسىء إليه غفر وإذا قطع وصل، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، فلا تعصين له أمرًا، ولا تخالفرن له رأيًا، فإنه لن يأمرك إلا بخير، وقد أمرته أن يسمع منك»<sup>(١)</sup>.

ثم إن خليفة رسول الله سلك في كل أموره مع الرعية سلوك رسول الله ﷺ لا مقلدًا متجمدًا، بل متبعًا بإحسان، ومجتهدًا ومجددًا، وكان رضي الله عنه قد رأى رسول الله ﷺ يولي أمور الدولة أصلح الناس، وينذر بالويل وغضب الله ورسوله ﷺ على من تولى أو ولى أمر المسلمين أحدًا من الناس بغير حق، فما أقام رضي الله عنه أحدًا على ولاية لمودة أو قرابة<sup>(٢)</sup>! وكيف يفعل ذلك أحد من المسلمين ورسول الله ﷺ قال: «ما من أمير عشرة إلا ويؤتى به يوم القيامة مغلولًا لا يفكه إلا العدل أو يوبقه الجور»<sup>(٣)</sup>.

### مشاورته الصحابة في أمر تولية عمر رضي الله عنهم:

ولما كان خليفة رسول الله أكثر الناس اتباعًا للنبي ﷺ اتباع علم ومشاهدة وتجربة واقتداء إيمان ويقين، فإنه كان يعلم أنه هو المعني الأول في الأمة عن استتباب أمر الخلافة

(١) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٩.

(٢) الشرقاوي، خلافة أبي بكر الصديق، ١٦٩.

(٣) ابن حنبل: المسند، (٩٥٧٠)، سنن البيهقي الكبرى: ح (٢٠٠٠٢)، الطبراني: المعجم الأوسط، ٢١٦/٦.

ومسارها على هدي النبي ﷺ فلم يكن ليتوانى عن القيام بأمر الأمة في آخر أيامه كما قام به في أول أيامه بعد وفاة النبي ﷺ ولم يكن ليهاجم على أمر المسلمين دون أن يسير على هدي صاحبه ﷺ بالمشاورة والمدارسة مع وجوه الأمة وأئمتها.

قال الحسن البصري: لما ثقل أبو بكر رضي الله عنه واستبان له من نفسه، جمع الناس إليه فقال: إنّه قد نزل بي ما قد ترون، ولا أظنني إلا ميتًا لما بي، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحلّ عنكم عقدي، وردّ عليكم أمركم، فأمرّوا عليكم من أحببتهم، فإنكم إن أمرتم في حياة مني كان أجدر ألا تختلفوا بعدي.

فقاموا في ذلك وتشاوروا فلم يستقم لهم أمر، فرجعوا إلى خليفة رسول الله فقالوا: رأينا يا خليفة رسول الله رأيك. قال: فأمهلونني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده.

وهذه النصوص تبين أن خليفة رسول الله لم يكن راغبًا في أن يتحمل همّ أعباء اختيار الخليفة وإن كان لا يُقدم على الفاروق أحدًا بعده، فحاول أن يوكل الأمر إلى أهل المدينة ليتحملوا مسؤولياتهم مباشرة، لكن الصحابة رضي الله عنهم بعد المشاورة رأوا أن اجتهاد خليفة رسول الله لهم خير من اجتهادهم لأنفسهم، لذلك فوضوه بالاختيار لهم وأوكلوا الأمر إليه، فتحمل أمر الخلافة بكل جدارة ثانية، كما تحملها أولاً يوم وفاة رسول الله ﷺ فكان في ذلك الخير كله على الأمة وعقيدتها، لما تحقق على يديه من ثبات التوحيد على ما جاء به رسول الله ﷺ وإتمام الوحدة كما يحبها رسول الله ﷺ ومن ثم مباشرة الفتح واستمرارها على يد خليفته الفاروق الذي اختاره هو باسم الأمة بعد مشاورة أعلامها الذين أجمعوا عليه فكان المؤهل للقيام بأعباء تلك المرحلة رضي الله عنه ثم إنه دعا بعد ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال له: أخبرني عن عمر بن الخطاب. فقال له: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني. فقال له: وإن. فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه<sup>(١)</sup>.

روي أن عبد الرحمن بن عوف قال: إنه أفضل من رأيك إلا أنه فيه غلظة. فقال أبو بكر:

(١) البلاذري: الشيخان، ٧١. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٣٧.

ذلك لأنه يراني رقيقًا، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرًا مما هو عليه، وقد رمقته فكنت إذا غضبت على رجل أراني الرضاء عنه، وإذا لنت له أراني الشدة عليه.

ودعا عثمان بن عفان وقال له: أخبرني عن عمر. فقال: سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله. فقال أبو بكر لهما: لا تذكر ما قلت لكما شيئًا، ولو تركته ما عدوت عثمان، والخيرة له ألا يلي من أموركم شيئًا، ولوددت أني كنت من أموركم خُلُوءًا، وكنت فيمن مضى من سلفكم<sup>(١)</sup>.

ثم شاور سعيد بن زيد وأسيد بن الحضير، وغيرهما من المهاجرين والأنصار، فقال أسيد: اللهم أعلمه الخيرة بعدك، يرضى للرضا، ويسخط للسخط، والذي يُسر خير من الذي يُعلن، ولن يلي الأمر أحد أقوى عليه منه<sup>(٢)</sup>.

وسمع بعض الصحابة بدخول عبد الرحمن وعثمان على أبي بكر رضي الله عنهم وخلوتهما به، فدخلوا على أبي بكر، فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى غلظته، وهو إذا ولي كان أفظ وأغلظ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: أجلسوني. فلما جلس قال: أبالله تخوفوني؟ خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول: اللهم إنني قد استخلفت على أهلك خير أهلك. ثم قال للقائل: أبلغ عني ما قلت لك من وراءك<sup>(٣)</sup>.

ودخل عبد الرحمن بن عوف على أبي بكر الصديق يعود في مرضه فوجده مقتفيًا، ولعل ذلك كان بعد القول السابق الذي أهاج الصديق فقال عبد الرحمن لخليفة رسول الله: أصبحت بحمد الله بارئًا؟! فقال: أترى ذاك؟ وقال: أما إنني شديد الوجد، وما لقيت منكم

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٩١.

(٢) الشيخان، ٧١. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٣٧.

(٣) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٩١، سنن البيهقي الكبرى: كتاب قتال أهل البغي، باب الاستخلاف (١٧٠٤٢)، البلاذري: الشيخان، ٧١.

أيها المهاجرون أشد من وجعي هذا، إني وليت أمركم خيركم في أنفسكم وكلكم ورم من ذلك أنفه يريد أن يكون الأمر له، وكانت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل، وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير، ونضائد الديباج، وحتى يألم أحدكم على الصوف كما يألم أحدكم على حسك السعدان، فوالذي نفسي بيده لأن يقدم أحدكم، فيضرب عنقه من غير حد خير له من أن يخوض غمرة الدنيا، ثم أتم غداً أول ضال بالناس يميناً وشمالاً لا تصفعونهم على الطريق، يا هادي الطريق جرت إنما هو الفجر أو البحر.

فقال له عبد الرحمن: خفض عليك يرحمك الله، فإن هذا يهيضك لما بك، إنما الناس في أمرك رجлан: إما رجل رأى ما رأيت فهو معك، وإما رجل رأى ما لم تر فهو يشير عليك بما يعلم، وصاحبك كما تحب، ولا نعلمك أردت إلا الخير، ولم تزل صالحاً مُصلحاً مع أنك لا تأسى من الدنيا<sup>(١)</sup>.

فيتبين من موقف ابن عوف رضي الله عنه أنه لا يوجد من يخالف الصديق فيما يختاره وعامة الناس موافق لخيار الصديق رضي الله عنه وإن كان منهم من كان يرى بعض الآراء الأخرى من باب توفير الخيارات لخليفة رسول الله.

وعن معيقيب بن أبي فاطمة قال: كنت على نفقة أبي بكر فلما كان مرضه الذي توفي فيه، أتيته فوجدت عنده أحدهم خالياً به يعاتبه باستخلافه عمر، فأردت أن أرجع، فأشار لي أن اجلس فجلست، فارتفع الكلام فسمعت أبا بكر يقول: لا والله ولا نعمة عين، هو والله خير لكم، والله لو وليتك لجعلت أنفك في السماء ولرفعت نفسك فوق قدرك حتى يكون الله هو الذي يضعك، تريد أن تردني عن رأيي وتفتنني في ديني؟ فوالله لئن بلغني أنك عصيته أو ذكرته بسوء لأفعلن ولأفعلن. ثم قام فخرج.

قال فدنوت من خليفة رسول الله إذ قيل: عثمان وعلي بالباب. فخيل لي أن يسارع إلي دخولهما فأذن لهما ثم قال: لعلكما تقولان في عمر ما قال فلان أنفاً؟ قالوا: وماذا قال يا خليفة

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٤١٧.

رسول الله؟ قال: زعم أن عمر أحدثكم إسلامًا وذكر خصالًا أخرى.

قال عثمان: بئس لعمر الله ما قال فلان، عمر بحيث يحب من قوته مع سابقه.

وقال علي: بئس ما قال! عمر عند ظنك به، ورأيك فيه إن وليته، مع أنه قد كان واليًا معك نحطى برأيه ونأخذ منه، فامض لما تريد ودع مخاطبة الرجل فإن يكن على ما ظننت إن شاء الله فله عمدت، وإن يكن ما لا تظن لم ترد إلا خيرًا<sup>(١)</sup>.

وبعد كل هذه المشاورات والمداومات اتضح موافقة الصحابة لخليفة رسول الله وإصرارهم على خياره في كتابة العهد بالخلافة لعمر الفاروق رضي الله عنه، وهذا ما تم على أكمل وجه وأفضله، فكان في ذلك إنجاز عظيم الخير على الأمة لما جنت على يدي الفاروق من مكاسب حضارية ومواقف إنسانية جعلت من الأمة الإسلامية سيدة الوجود آنذاك عقيدة وعدلاً وهوية وثقافة وقوة على الصعد كافة.

ولما كان الفاروق أعظم قائد في أمة الإسلام بعد صاحبيه تبين كم هو فضل خليفة رسول الله على الأمة حين اختار لهم هذا القائد القوي الأمين الذي يعد حسنة من حسنات خليفة رسول الله في الصفحات الناصعة لهذه الأمة، حيث أثبت للناس جميعًا مناهج القيادة ووسائل السيادة وكيفية تنفيذ القواعد الشرعية والتفاعل الأصيل مع نصوصها في الحكم والتعامل مع عامة الملل والأجناس الذين انضوا داخل المجتمع الإسلامي.

فلما حصل الإجماع على تولية الفاروق أمر الخلافة كان لا بد لخليفة رسول الله ﷺ أن يزوده بدرر نصحه وجميل تبصيره له واستشرافه لمستقبل الأمة وتحذيره من التقصير أو استبدال الطريق التي سلكها رسول الله ﷺ فباشر بكتابة وثيقة العهد له وبيان مسوغاتها، ثم توالى على الفاروق رضي الله عنه نصائح العالم المجرب الرباني البصير الصبور خليفة رسول الله.

(١) البلاذري: الشيخان، ٧١. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٣٧.

## كتابة عهد الخلافة لعمر الفاروق رضي الله عنه:

ومع ما كان يعاني خليفة رسول الله من المرض، فقد دعا عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال له: اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما دعا به أبو بكر بن أبي قحافة، في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يؤمن الكافر، ويؤقن الفاجر، ويصدق الكاذب، إني أستخلف عليكم بعدي...» وأخذته غشية فذهب به قبل أن يسمي أحداً، فكتب عثمان رضي الله عنه: «إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب». ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليّ ما كتبت فقرأ عليه ذكر عمر، فكبر أبو بكر رضي الله عنه وقال: أراك خفت أن تذهب نفسي في غشيتي تلك فيختلف الناس، فجزاك الله عن الإسلام خيراً، والله إن كنتَ لها لأهلاً. ثم أمر عثمان رضي الله عنه أن يكتب تمة الكتاب: «فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم آل الله ورسوله ﷺ ودينه ونفسي وإياكم خيراً، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسبت يده، والخير أردت، ولا أعلم الغيب، ﴿وَسِعَ الْعَرْشَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾<sup>(١)</sup> والسلام عليكم ورحمة الله». ثم أمره فختم الكتاب وخرج به مختوماً، ومعه عمر وأسيد بن الحضير وأسيد بن سعية القرظي رضي الله عنهم، فقال عثمان رضي الله عنه للناس: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم<sup>(٢)</sup>.

وكان خليفة رسول الله أشرف على الناس وقال: أترضون بمن استخلف عليكم؟ فإنني ما استخلفت عليكم ذا قرابة، وإني قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا، فإنني والله ما ألوت من جهد الرأي. فقالوا: سمعنا وأطعنا. ثم أحضر أبو بكر عمر فقال له: إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله ﷺ وأوصاه بتقوى الله ثم قال:

يا عمر إن لله حقاً بالليل لا يقبله في النهار، وحقاً في النهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

(٢) البلاذري: الشيخان، ٧١. سنن البيهقي الكبرى: كتاب قتال أهل البغي، باب الاستخلاف (١٧٠٤٣).

نافلة حتى تؤدي الفريضة، ألم ترى يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه غداً إلا حق أن يكون ثقيلًا، ألم ترى يا عمر أنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم؟! وحق لميزان لا يوضع فيه غداً إلا باطل أن يكون خفيفًا، ألم ترى يا عمر أنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة، وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبًا راهبًا، لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقي فيها بيديه؟! أولم ترى يا عمر أنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو ألا أكون منهم، وأنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه يجاوز لهم ما كان من سيئ فإذا ذكرتهم قلت: أين عملي من أعمالهم؟ فإن حفظت وصيتي فلا يكون غائب أحب إليك من حاضر من الموت، ولست بمعجزه<sup>(١)</sup>.

وروي أن أبا بكر لما أشرف على الناس من كوته فقال: يا أيها الناس إني قد عهدت عهدًا، أفترضونه؟ فقال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله. قام علي رضي الله عنه فقال: لا نرضى إلا أن يكون عمر. فأقروا بذلك جميعًا ورضوا به ثم بايعوا، فرفع أبو بكر يديه فقال: اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة، فعلمت فيهم ما أنت أعلم به، واجتهدت لهم رأيي، فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليه، وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلفني فيهم، فهم عبادك، ونواصيهم بيدك، وأصلح لهم أميرهم، واجعله من خلفائك الراشدين، يتبع هدي نبي الرحمة، وهدي الصالحين بعده، وأصلح له رعيته. ثم أوصاه<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا رد ملجم لمن زعم أن أبا بكر رضي الله عنه استأثر بالأمر من دون المسلمين؛ ومضى فيه برأيه، وأن استخلاف عمر لم يكن عن مشورة الأمة وإرادتها وفي هذا الدليل القاطع على أن عمر إنما ولي الخلافة باتفاق أصحاب الحل والعقد وإرادتهم، فهم الذين

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٩١.

(٢) البلاذري: الشيطان، ٧١. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٩١.

فوضوا لأبي بكر انتخاب الخليفة، وجعلوه نائباً عنهم في ذلك، فشاور حتى تبين له الإجماع، ثم اختار الخليفة، وعرض هذا الاختيار على الناس فأقروه وأمضوه ووافقوا عليه، وأصحاب الحل والعقد في الأمة هم نوابها، وإذن فلم يكن استخلاف عمر رضي الله عنه إلا على أصح الأساليب الشورية وأعدلها<sup>(١)</sup>.

قال خليفة رسول الله رضي الله عنه: يا عمر، أبغضك مبغض وأحبك محب وقدما يُبغض الخير ويحب الشر. فقال عمر: لا حاجة لي فيها «بمعنى الإمارة» فقال له: ولكن لها بك حاجة يا ابن الخطاب، إني إنما أستخلفك نظراً لما خلقت ورائي. قد رأيت رسول الله ﷺ وصحبته ورأيت أثرته أنفسنا على نفسه حتى إن كنا لنهدي لأهله فضل ما يأتينا منه، ورأيتني وصحبتني، وإنما اتبعت أثر من كان قبلي، والله ما نمت فحلمت، ولا توهمت فسهوت، وإني لعلى السبيل ما زغت، إن أول ما أحذرك يا عمر نفسك، إن لكل نفس شهوة فإذا أعطيتها تمادت في غيرها، واحذر هؤلاء النفر من أصحاب رسول الله فإنهم قد طمحت أبصارهم وانتفخت أجوافهم وأحب كل امرئ منهم نفسه، وإن لهم لحيرة عند زلة واحد منهم، فإياك أن تكونه، فإنهم لن يزالوا خائفين لك فرقين منك ما زلت خائفاً من الله وفرقته، ولك مستقيمين ما استقامت طريقتك، وهذه وصيتي وأقرأ السلام عليك<sup>(٢)</sup>.

وقال خليفة رسول الله: إني أدعوك إلى أمر متعب لمن وليه، فاتق الله يا عمر بطاعته وأطعه بتقواه، فإن المتقي آمن محفوظ، ثم إن الأمر معروض لا يستوجبه إلا من عمل به فمن أمر بالحق وعمل بالباطل، وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر، يوشك أن تنقطع أمنيته وأن يحبط عمله، فإن أنت وليت عليهم أمرهم فإن استطعت أن تجف يدك من دمائهم، وأن تضمم بطنك من أموالهم، وأن يجف لسانك عن أعراضهم فافعل، ولا قوة إلا بالله<sup>(٣)</sup>.

(١) البلاذري: الشيطان، ٧١. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٣٧.

(٢) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٩٩. عن كتاب الخراج لأبي يوسف القاضي.

(٣) الطبراني: المعجم الكبير، ٦٠/١.

فقد أحسن الصديق رضي الله عنه الوصية، ومحض النصيحة، وبالغ في الاجتهاد للأمة وأنذر بما هو كائن بعده، فوجد على ما قال رضي الله عنه وحذر بما يوتغ الدين ويقدم في سياسة أمر المسلمين بأوجز قول وأفصحه، وأحسن بيان وأوضحه.

وأوصى لعمر وكان والله كافيًا أمينًا شحيحًا على دينه ضنينًا، فصدق ظنه به، وتحقق تأميله وتقديره فيه، فانقادت الأمور إليه، واستقامت أحوال الأمة على يديه، وعدل الشدة واللين في رعاياه وعدل في أحكامه وقضاياه، والله يشكر له سن سيرته ويُجزل ثوابه على العدل في بريته، إنه ولي المؤمنين ومفيض إحسانه على المحسنين<sup>(١)</sup>.

فمن ذا يستوفي في كتاب واحد سيرة إمام الأمة وقائدها الذي تسلم الأمر بعد وفاة النبي ﷺ وليس ثابتًا على الإسلام إلا مكة والمدينة، وجامعة الأعراب متقض عليه عدو له؟! فلم يمت رضي الله عنه حتى سلم الأمر لخليفته وقد ثبت الإسلام واستقر، وبسط رواقه على الجزيرة وضرب خيامه في قلب فارس والروم تخفق فوقها راية الإسلام الغلابة الظافرة، فكان بما عزم الله له من قتال المرتدين وتسيير الجيوش إلى الشام والعراق، من أعظم الناس أثرًا في التاريخ، وكان صاحب الفضل على كل من ينعم اليوم بالحضارة؛ ذلك لأنه لولا دمشق وبغداد وقرطبة، لم تكن باريس ولندن ونيويورك، ولولا أبو بكر رضي الله عنه لم تكن دمشق ولا بغداد ولم تتم هذه الفتوح التي أنقذت الحضارة الأولى وصنعت الحضارة الأخيرة<sup>(٢)</sup>.

فتحقق على يدي الصديق رضي الله عنه انتقال السلطة بأسلم الوسائل وأكثرها حضارية وسلامة بالشورى والحوار والدعاء والإشفاق والتقصي والمقارنة والبحث الجاد عن أنجع الوسائل وأوثقها وأكثرها خيرًا للأمة، فنجح رضي الله عنه في ذلك أيما نجاح، فقمع الفتنة التي كانت تطل بخطامها الذي يمسك به الرافضة في كل عصر من عصور هذه الأمة وبتلون أسمائهم وألوانهم، ومثلما فوض الصحابة خليفة رسول الله أولًا فجنت الأمة أطيب الثمار

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٤١٦/٣٠.

(٢) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٣٠٦.

بعد وفاة النبي ﷺ كذلك فوضه الصحابة ثانيًا بعد أن حان وقت رحيله فحصدت الأمة أئمة أئمة الثمار وأطيبها، فاختار لولاية الأمر من بعده خير الناس وأعدلهم وأشدهم في ذات الله الفاروق عمر رضي الله عنه وذلك بعد تفكير عميق واستشارة وحوار مع وجوه المهاجرين والأنصار وأهل الحل والعقد منهم.

فالصديق رضي الله عنه بذل أقصى جهده في الشورى لاختيار الخليفة من بعده، وإنه كان يود أن يكل الأمر إلى المسلمين فيختاروا من يشاؤون، فجمع إليه نخبة منهم أيام مرضه، وقال لهم فيما قال رضي الله عنه: «قد أطلق الله أيما نكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم، فأمرُوا عليكم من أحببتهم، فإنكم إن أمرتم في حياة مني كان أجدر ألا تختلفوا من بعدي». فلم يستقم لهم الأمر فرجعوا إليه يقولون: «إن الرأي يا خليفة رسول الله رأيك». فاستمهلهم حتى «ينظر لله ولدينه ولعباده» فنظر لهم واستخار الله على ما يعلمه ويعرفه من مواقف أصحاب رسول الله ﷺ.

ثم استقر رأيه على استخلاف عمر رضي الله عنه بعد مشاورة عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وسعيد بن زيد وأسيد بن الحضير رضي الله عنهم وجماعة من المهاجرين والأنصار فكلهم قال خيرًا ورضي بهذا الاختيار، وأجمع على الفاروق جميع من استشارهم الصديق، سوى أن قليلاً منهم ذكر أن فيه شدة فأجابهم أبو بكر بالرأي السديد الذي فسر لهم أسبابها، وبعد أن استقر الأمر على اختيار عمر الفاروق دعاه الصديق رضي الله عنه فأفضى إليه بوصيته التي اشتملت على توجيهات وتحذير وترغيب وترهيب أظهرت الأمور على حقيقتها وما زالت كلماتها تتكلم بأفصح القول مؤكدة أن من يعمل بها من السابقين أو اللاحقين فضمنة النجاح في الدنيا مؤكدة والفوز بالآخرة ثابتة؛ لأنها تمثل موجز مقاصد منهج النبوة في الحكم والإدارة فأوصاه بما أوصاه.

فلما خرج عمر رفع أبو بكر رضي الله عنه يديه داعيًا الله تعالى فقال: «اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، ففعلت فيهم بما أنت أعلم به، واجتهدت

لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم، وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم، فهم عبادك ونواصيهم بيدك، أصلح لهم ولاتهم، واجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدي نبي الرحمة، وهدي الصالحين بعده، وأصلح له رعيتة»<sup>(١)</sup>.

ومما يزيل ما يذيعه الرافضة وإخوانهم المستشرقون ونوابت السوء في أمة المسلمين من إفك في مسألة اختيار عمر رضي الله عنه وأنها لم تكن بالشورى والتفاهم الأخوي؛ حال الصديق ومنهجه الرباني ووجه للأمة وحرصه على عقيدتها ووحدتها؛ وحاله الصحي رضي الله عنه وأنه في حال لا يمكن أن يكون في اختياره لمن يخلفه أي هوى أو ميل مجرد لغير الحق، لأن ذلك لن ينتفع منه بشيء، حيث كان موقناً بالرحيل رضي الله عنه ولو كان عن هوى كما يزعم الأفاكون، فلماذا لا يختار الفصيح الصحيح الفارس الرامي الجميل الأنيق عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه أو ابن عمه طلحة بن عبيد الله طلحة الفياض وطلحة الخير بطل يوم أحد الفارس الكريم المقدم؛ قرين علي رضي الله عنه في عامة المواقع التي خاضها المسلمون ضد المشركين، والمبشر بالجنة رضي الله عنه؟

وكان الفاروق رضي الله عنه على ما يحب المؤمنون، فقد وطد أركان الدولة ووسع رقعتها وعصف بالفرس والروم ونشر رسالة الإسلام في أصقاع الأرض، ولم يكن في عهده أدنى تملل لفتنة أو شبهة في العدل والاجتهاد في بسط الشرع ومفاهيم الإسلام على جميع أبناء الأمة فاستقام الحال وضرب الدين بجرانه<sup>(٢)</sup>. لقد قوّم الأود وداوى العمد، وخلف الفتنة وأقام السنة فذهب نقي الثوب قليل العيب أصاب خيرها وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته واتقاه بحقه رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤١١/٣٠.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، ١٠٧/٤.

(٣) نهج البلاغة، ٢٢٢/٢.

فكان الفاروق وولايته على الأمة وكل ما تحقق على يديه من خير وصلاح وأمن ونصر؛ إنما هو حسنة من حسنات الصديق رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه هو القائل: ليوم وليلة من أبي بكر خير من عمر وآل عمر. ثم ذكر أن اليوم هو يوم وفاة النبي ﷺ والليلة ليلة الغار يوم الهجرة.

والمتابع لحركة تداول السلطة على مر التاريخ منذ وفاة رسول الله ﷺ يتبين له أن عدم حسم الموقف منها وتثبيت أركانها قبل وفاة الحاكم، غالبًا ما يؤدي إلى الشغب والتحزب أو الصراع والتمزق، يؤكد ذلك ما مرت به الأمة من أحداث بعد وفاة يزيد بن معاوية حين رفض ابنه معاوية بن يزيد تولي الخلافة، وقال: لا حاجة لي فيها. وكذلك بعد وفاة الرشيد وعبث الفرس بأمن الخلافة حين ناصروا المأمون على أخيه الأمين حتى قتلوه ثم شوهوا تاريخه ليسوغوا جريمتهم حين قتلوا هذا العربي الهاشمي أمًا وأبًا، والأمثلة على ذلك كثيرة في كل أدوار تداول السلطة في العالم وإلى هذا العصر وليست أحداث العراق الحالية منا ببعيد، فحين لا يُحسم أمر انتقال السلطة بوسائل سلمية في حياة الحاكم، فغالبًا ما تكون الفتنة هي الوسيلة التي توصل الأقوى إلى السلطة.

فأثبت الصديق رضي الله عنه أنه ثاني اثنين، وبنجاح باهر وعلى الجبهات كافة سياسيًا وعسكريًا وفكريًا واجتماعيًا واقتصاديًا وإداريًا، فوحد الأمة وقمع الفتنة وقهر الأعداء، وسادت العقيدة فازدهر الاقتصاد واستقرت أحوال الناس وانتشر العلم وتأصلت القيم النبيلة وتوهجت هوية الأمة وازدانت بأصالتها، فكانت مواقف رضي الله عنه التي تحاكي مواقف رسول الله ﷺ لتكون حجة على من بعده من الحكام والسلاطين إلى يوم القيامة، فقد ظل زاهدًا بجميع حقوقه الخاصة به وبالمقربين له، حريصًا على حقوق الناس وثوابت الشرع ورعاية الأمة رضي الله عنه.

\*\*\*

## مرضه ووفاته رضي الله عنه

### في مدة خلافته وسنه حين وفاته رضي الله عنه:

قال سعيد بن المسيب: لما قبض رسول الله ﷺ ارتجت مكة فسمع بذلك أبو قحافة والد الصديق فقال: ما هذا؟ قالوا: قبض رسول الله ﷺ. قال: أمر جليل. قال: فمن ولي بعده؟ قالوا: ابنك. قال: فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف، وبنو المغيرة؟ قالوا: نعم. قال: لا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منعه الله. ومكث أبو بكر رضي الله عنه في خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلا خمس ليالٍ، وقيل: سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليالٍ.

وتوفي أبو بكر على رأس سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليالٍ، وقيل: توفي أبو بكر على رأس سنتين وثلاثة أشهر واثنتي عشرة ليلة من متوفى رسول الله ﷺ.

وفي قول آخر: وعشرة أيام. وقيل: وعشرين يوماً. فلما قام بالخلافة قاتل أهل الردة وظهر من فضل رأيه في ذلك، وشدته على المرتدين والمشركين مع لينة ما لم يحتسب، فأظهر الله به دينه، وقتل على يديه وببركته وسداد رأيه وغيرته على سنة النبي ﷺ كل من ارتد عن دين الله حتى ظهر أمر الله وهم كارهون<sup>(١)</sup>. وتوفي رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة وصلى عليه أمير المؤمنين عمر الفاروق بين القبر والمنبر<sup>(٢)</sup>.

وتوفي أبو بكر مساء ليلة الثلاثاء لثمان ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من مهاجر النبي ﷺ فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ، وكان أبو معشر يقول: سنتين

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٤٣٨/٣٠.

(٢) الصالحی: سبل الهدی، ٢٦١/١١.

وأربعة أشهر إلا أربع ليالٍ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين مجتمع على ذلك في الروايات كلها، استوفى سنّ رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه ولد بعد عام الفيل بثلاث سنين<sup>(١)</sup>.

### في سبب وفاته:

عن الطاهرة عائشة رضي الله عنها قالت: كان أول بدء مرض أبي بكر رضي الله عنه أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يومًا باردًا فحمّ خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى صلاة وكان يأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي بالناس، ويدخل الناس إلى خليفة رسول الله يعودونه وهو يثقل كل يوم ويزداد مرضه، وهو نازل يومئذ في داره التي قطع له النبي ﷺ وجاه دار عثمان بن عفان اليوم وكان عثمان رضي الله عنه أكرمهم له وأشدهم ملازمة وخدمة له في مرضه رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

ولما دخلوا على أبي بكر رضي الله عنه في مرضه، فقالوا: يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيبًا ينظر إليك؟ قال: قد نظر إليّ. فقالوا: ما قال لك؟ قال: إني فعال لما أريد. واختلف في سبب وفاته وفي تاريخها فروي أنه سمّ، وقال أهل السير: إنه مات عشي يوم الاثنين، وقيل: ليلة الثلاثاء لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة، وهذا قول أكثرهم<sup>(٣)</sup>.

عن سالم بن عبد الله، عن أبيه قال: كان سبب موت أبي بكر موت رسول الله ﷺ ما زال جسمه يجري حتى مات. أي شوقًا وحرزًا على رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>.

وعن ابن عمر أنّ سبب موت الصديق الكمد على رسول الله ﷺ وأن ذلك أعقبه سُلًا فمرض بعد خروج خالد من العراق، وهو نازل يومئذ في داره التي أقطعها له النبي ﷺ وجاه دار عثمان، وكان عثمان أكرم الناس له في مرضه، وألزمهم لخليفة رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup>.

(١)، (٢) الطبري: تاريخ، ٤٠٩/٢.

(٣) الصالحي: سبل الهدى، ٢٦١/١١.

(٤) الحاكم: المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤١٠).

(٥) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٣٣.

عن الشعبي أنه قال: ماذا يتوقع من هذه الدنيا الدنية وقد سمّ رسول الله ﷺ وسمّ أبو بكر الصديق وقتل عمر بن الخطاب حتف أنفه وكذلك قتل عثمان وعلي رضي الله عنهم<sup>(١)</sup>.

وروي في سبب موته رضي الله عنه أن رجلاً أهدى يوماً لأبي بكر رضي الله عنه صحيفة من حريرة وعنده الحارث بن كلدة الطيب فلما أكلا منها قال ابن كلدة: فيها سمّ سنة. فلم يمرّ الحول حتى ماتا في يوم واحد رأس السنة<sup>(٢)</sup>.

وكانت اليهود سمّته في حريرة أهديت لأبي بكر رضي الله عنه أكل منها هو والحارث بن كلدة، وقيل: في أرز. فقال الحارث: ارفع يدك يا خليفة رسول الله، والله إن فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد. فلم يزالا عليّين حتى ماتا في يوم واحد عند انتهاء السنة<sup>(٣)</sup>.

فيتبين مما سبق أن خليفة رسول الله قد لزم فراش المرض خمسة عشر يوماً وهذا قريب من أيام مرض رسول الله ﷺ حيث كان الصديق يصلي بالمسلمين، وفي فترة مرضه هذه كان يأمر الفاروق أن يصلي بالناس، وذلك اتباعاً لسنة رسول الله في ذلك وحرصاً على الإشارة للمسلمين إلى قائدهم من بعده كإشارة رسول الله ﷺ إليه رضي الله عنه، حيث استقر الفاروق إماماً وأميراً للمؤمنين بعد وفاة خليفة رسول الله، فاتضح أن هناك عددًا من الروايات في سبب وفاته رضي الله عنه أشهرها البرد ثم الكمد والشوق إلى رسول الله ﷺ ثم السمّ، وقيل: إنه ظهر عليه علامات السل.

- وكان آخر ما تكلم به خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه ﴿تَوَقَّيْ مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي

بِالصَّالِحِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الطبري: تاريخ، ٥٥/٤.

(٢) الحاكم: المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. ح ٤٤١١، ٣/٦٦.

(٣) البخاري: التاريخ الكبير، ٦١/٤. العيني: عمدة القاري، ٢١٩/٨. الطبري: تاريخ، ٣٤٧/٢.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠١. البلاذري: الشيطان، ٦٩. الحاكم: المستدرک، ك. معرفة الصحابة،

باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤١٢).

وخلاصة ذلك أن خليفة رسول الله لم يهنأ بعيش كما هو حال عامة الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ، فأصابه من الضعف ما ظن به البعض أعراض السل، كما أن السمّ ليس بمستبعد عن مكر اليهود وبغضهم للأنبياء والصديقين، ولكن الحال التي لازمتها من الشوق والكمد على وحشة الحياة بعد فقد النبي ﷺ هي السبب الأول فيما أصاب خليفة رسول الله، واجتمع إليها ما ذكر من أسباب أخرى كان أهمها الحمى التي ألزمتها الفراش حتى فارق الدنيا قرير العين هانيها بما ثبت عليه وتحقق على يديه من نصرة لرسول الله ﷺ ولدينه ولعباده الصالحين.

### كفنه وغسله:

عن الطاهرة عائشة رضي الله عنها قالت: إن أبا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين. قال: فإن متُّ من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد، فإن أحبّ الأيام والليالي إليّ أقربها من رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. وقالت رضي الله عنها: كنت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حضرته الوفاة فتمثلت بهذا البيت:

من لا يزال دمه مقنعا يوشك أن يكون مرة مدفوقا

فقال لها أبو بكر: لا تقولي هكذا يا بنية ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾<sup>(٢)</sup>. ثم قال لها: في كم كفن رسول الله ﷺ يا بنية؟ قالت: في ثلاثة أثواب. فقال: كفنوني في ثوبي هذين، واستروا بهما ثوبًا، فإن الحي أفقر إلى الجديد من الميت<sup>(٣)</sup>.

وعنها رضي الله عنها قالت: سألتني أبو بكر رضي الله عنه: في كم كفتتم رسول الله ﷺ؟ فقلت: في ثلاثة أثواب قال: ففيها كفنوني<sup>(٤)</sup>. وأوصى رضي الله عنه أن تغسله زوجته أسماء

(١) ابن حنبل: المسند، ح (٤٦).

(٢) سورة ق، الآية: ١٩.

(٣) ابن عساکر: تاريخ، ٣٠/٤٢٦.

(٤) الحاكم: المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. ح ٤٤١٥. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

بنت عميس رضي الله عنها وإنها ضعفت فاستعانت بعبد الرحمن، وكفن في ثوبين أحدهما غسل، ويقال في ثلاثة أثواب وحمل على سرير النبي ﷺ وهو سرير الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الذي كانت تنام عليه فحمل عليه أبو بكر رضي الله عنه وصلى عليه عمر الفاروق في المسجد بين القبر والمنبر ودفن في بيت الطاهرة مع رسول الله ﷺ ليلاً وجعل رأسه بين كتفي النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

وقالت رضي الله عنها: لما حضر أبا بكر رضي الله عنه الموت قلت كلمة من قول حاتم:

لعمرك ما يُغني الشراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ

فقال: لا تقولي هكذا يا بنية ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup> انظروا ملاءتي هاتين فإذا مت فاغسلوهما وكفنوني فيهما فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت. وكان رضي الله عنه أوصى امرأته أسماء بنت عميس أن تغسله فقالت: لا أطيق. فقال: يعينك عبد الرحمن بن أبي بكر. فكان كذلك، ودفن ليلة الثلاثاء لثمان ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة رضي الله عنه.

وحُمل على السرير الذي حمل عليه رسول الله ﷺ وصلى عليه عمر الفاروق في مسجد رسول الله ﷺ بين القبر والمنبر، وكبر عليه أربعاً ودخل قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن أبي بكر. وكان قد أوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ فحفر له فجعل رأسه عند كتفي رسول الله ﷺ وألصقوا اللحد باللحد<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) الحاكم: المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٠٩).

(٢) سورة ق، الآية: ١٩.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ٥٤/٤.

## تأبين خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه

بفقد خليفة رسول الله فقد الصحابة رضي الله عنهم إلف رسول الله ﷺ ومؤنسه وصاحبه ومستشاره ومثابتهم ومؤنسهم ومعلمهم وشيخهم، كيف لا وهو الذي كان كهفهم الذي آووا إليه يوم وفاة النبي ﷺ، وسندهم بعد الله تعالى الذي أقام أمرهم يوم السقيفة وحفظ أخوتهم؟ كيف لا وهو الذي وقف بوجه من عارض إنفاذ جيش أسامة حتى أمضى أمر النبي ﷺ كما أراد وأمر ﷺ فعاد ذلك الجيش بالنصر وعز المسلمين؟ وهو الذي أبطل سحر الرافضة المرتدين ورد كيدهم وكشف زيفهم وفضح غدرهم حتى أطفأ نارهم وكان في تلك المواقف يكاد يكون وحيداً لا نصير له سوى إيمانه وتمسكه بهدي رسول الله ﷺ حتى فاءت الأمة إليه، معلنة انقيادها له وتسليمها زمام أمورها مع طاعة المحبة التي لا تجادل ولا تحاور لعميق ثقتها وشدة مودتها لخليفة رسول الله، حتى أصبحت ألسنة قادة الأمة ووجوهها تلهج عرفاناً وثناء على سيرته العطرة التي أخذت بأيديهم إلى أسمى المكارم وأعلى المراتب، وقد سبق أن اتضح في هذا البحث مكانة خليفة رسول الله ﷺ وخصائصه ومزاياه ولكن ذلك كان في حياته أما هذا الثناء فهو بعد وفاته رضي الله عنه ليمثل له أوسمة خالدة تفقأ عيون الرافضة المرتدين الذين يكفرون برب أرسل نبيّاً جعل خليفته أبا بكر، كما يمثل هذا الثناء صفة لأولئك المخادعين المخدوعين الذين يوادّون أعداء الصحابة ومبغضي خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه.

قال أبو رجاء البصري: دخلت المدينة بعد وفاة النبي ﷺ فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلاً يقبل رأس رجل ويقول له: أنا فداؤك ولولا أنت لهلكنا. قلت: من المقبل؟ قالوا: هو عمر يقبل رأس خليفة رسول الله في قتال أهل الردة؛ إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها

صاغرين<sup>(١)</sup>.

ولما قبض أبو بكر رضي الله عنه وسجي عليه ارتجت المدينة بالبكاء، كيوم قبض النبي ﷺ فجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه مسرعاً مسترجعاً، وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة. حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر، وأبو بكر رضي الله عنه مسجياً، فقال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت إلف رسول الله ﷺ وأنيسه ومستراحه، وثقته وموضع سره ومشورته، كنت أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأخوفهم لله عز وجل، وأعظمهم غنى في دين الله وأحوطهم على رسول الله ﷺ وأحديهم على الإسلام، وآمنهم على أصحابه، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم شورى، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هدياً وسمتاً ورحمة وفضلاً، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه وأوفقهم عنده، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ خيراً، كنت عنده بمنزلة السمع والبصر، صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس، سمّك الله في تنزيله صديقاً فقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ محمد ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾<sup>(٢)</sup> أبو بكر، وواسيت حين بخلوا، وقمت معه عند المكاره وحين عنه قعدوا، وصحبت معه في الشدة أكرم الصحبة، ثاني اثنين وصاحبه في الغار، والمنزل عليه السكينة ورفيقه في الهجرة، وخليفته في دين الله وأمه أحسن الخلافة حين ارتدّ الناس، وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ هموا، كنت خليفة حقاً لم تنازع ولم تصدع بزعم المنافقين، وكبت الكافرين، وكره الحاسدين، وصغر الفاسقين، وغيظ الباغين، وقمت بالأمر حين فشلوا، وأعلاهم فوقاً، وأقلهم كلاماً، وأصوبهم منطقاً، وأطولهم صمتاً، وأصوبهم قولاً، وأكثرهم رأياً، وأشجعهم نفساً، وأعرفهم بالأمور، وأشرفهم عملاً، كنت والله للذين تغشونا أولاً حين نفر عنه الناس، وآخرًا حين أقبلوا.

كنت للمؤمنين أباً رحيمًا حين صاروا عليك عيالاً، فحملت أثقال ما ضعفوا، ورعيت ما

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

(١) البلاذري: الشيخان، ١١٠.

أهملوا، وحفظت ما أضاعوا، وعلمت ما جهلوا، فشمرت إذ خفضوا، وعلوت إذ خلعوا، وصبرت حين جزعوا، فأدركت أوتار ما طلبوا، وراجعوا رشدهم برأيك فظفروا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا، كنت على الكافرين عذاباً صَبّاً ولهباً، وللمؤمنين رحمة وأنساً وحصناً، فطرت والله بغنائها وفزت بخبائثها، وذهبت بفضائلها، وأدركت سوابقها، لم تقلل حجتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجين نفسك، ولم يزغ قلبك، كنت كالجيل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف، كما قال رسول الله ﷺ أَمَّنَ النَّاسُ عَلَيْهِ فِي صَحْبِكَ وَذَاتِ يَدِكَ، وَكُنْتَ - كما قال - ضَعِيفًا فِي بَدَنِكَ، قَوِيًّا فِي أَمْرِ اللَّهِ، متواضعاً في نفسك، عظيمًا عند الله، جليلاً في أعين المؤمنين، كبيراً في أنفسهم، لم يكن لأحد فيك مغمز، ولا لقاتل فيك مهمز، ولا لأحد فيك مطمع، ولا لمخلوق عندك هواده، الضعيف الذليل قوي عزيز حتى تأخذ بحقه، والقوي العزيز عندك ضعيف حتى تأخذ منه الحق، القريب والبعيد عندك سواء في ذلك، أقرب الناس إليك أطوعهم لله عز وجل وأتقاهم له.

شأنك الحق والصدق والرفق، قولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، فأقلعت وقد نهج السبيل، وسهل الطريق، وأطفئت النيران، واعتدل بك الدين، وقوي بك الإيمان، وثبت بك الإسلام والمسلمون، فظهر أمر الله ولو كره الكافرون، فجلت عنهم فأبصروا، فسبقت والله سبقاً بعيداً، وأتعبت من بعدك إتعاباً شديداً، وفزت بالخير فوزاً مبيناً، فجللت عن البكاء، وعظمت ربتك في السماء، وجلت مصيبتك في الأيام، فإننا لله وإننا إليه راجعون، رضينا عن الله بقضائه، وسلّمنا له أمره، فوالله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبداً، كنت للدين عزّاً وحرزاً وكهفاً، وللمؤمنين وقاية وحصناً وعيناً، وعلى المنافقين غلظة وكظماً وغيظاً، فألحقك الله بنبيك ولا حرمننا أجرك ولا أضلنا بعدك، فإننا لله وإننا إليه راجعون. قال: وسكت الناس حتى انقضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم، فقالوا: صدقت يا ختن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

(١) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/٤٤٠.

فالمتمعن في معاني ثناء علي رضي الله عنه على الصديق رضي الله عنه يجد أن علياً كان من أكثر الناس معرفة بخليفة رسول الله ومن أكثرهم محبة له وإجلالاً، كما أن مقاصد هذا الثناء توحى بقوة العلاقة الروحية والروابط الأخوية التي يظهر فيها توصيف دقيق ينم عن خبرة قريبة ومعرفة أكيدة فيها الكثير من الخصوصيات التي أفصح عنها علي رضي الله عنه حين أطلق لفصاحته عنانها وللسان به بيان، باحثاً عما يعبر عن إنجازات خليفة رسول الله، وعمّا يصف حاله وثباته وإيمانه ويقينه وشجاعته وتدبيره وكرمه وعلمه وعزته وشموخه وحنانه ورحمته للمؤمنين وشدته على الكافرين، ولا يمكن لأي تعليق على هذه الكلمة أن يزيد شيئاً عن وصف علي رضي الله عنه لخليفة رسول الله، فقد أجاد بما نطق، وصدق بما وصف، وأحاط ثناءه بعامة ما كان يقوم به الصديق، حتى إن الباحث لتتملكه الدهشة من تلك المعرفة الواسعة، والمتابعة الدقيقة، والإحصاءات الصحيحة لعامة ما كان يقوم به خليفة رسول الله، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على القرب الذي كان عليه علي رضي الله عنه من خليفة رسول الله والاطلاع والمشاركة في عامة ما كان يقوم به خليفة رسول الله، وكل ما قاله علي رضي الله عنه يعبر تعبيراً صحيحاً عن تلك السيرة الباهرة وتلك النفس الطاهرة التي حققت في فترة وجيزة ما لم يحققه الآخرون في سنين طويلة.

ولعل كلمات علي رضي الله عنه هذه التي تفوه بها خير ما يعبر به المتحدثون في الثناء على خليفة رسول الله، لصدقها وفصاحتها وعميق معانيها وشمول مقاصدها، وإن كان خليفة رسول الله أكبر من الكلمات وأسمى من المعاني، وأقرب إلى القلوب والمآقي من مشاعرها ودموعها؛ إذ كان بين الصحابة يمثل بقية رسول الله ﷺ الحية التي تمشي على الأرض في العلم والثبات واليقين والمعرفة والمودة والهيبة والجرأة والسداد في اتخاذ المواقف، فتحقق النجاح وتزرع الآمال وتوحد الصفوف وتثبت معاني الدين في القلوب فرضي الله عن تلك النفس الطاهرة الأبية ورضي الله عن محبيها وعمن يسير على هديها ويبرأ من أعاديها.

وقال علي رضي الله عنه حين دخل على أبي بكر رضي الله عنه بعدما سجي: ما أحد

ألقى الله بصحيفته أحب إليّ من هذا المسجى<sup>(١)</sup>. لما شاهد رضي الله عنه ورأى من سمو المقاصد، وعميق الإخلاص، وجميل التأسي.

وعن علي رضي الله عنه قال: خير هذه الأمة بعد نبئها أبو بكر ثم عمر. وكان علي رضي الله عنه يقول: سبق رسول الله ﷺ وثنى أبو بكر وثلث عمر ثم حفتنا فتنة يعفو الله فيها عمّن يشاء. وقال عبد خير: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: رحم الله أبا بكر كان أول من جمع ما بين اللوحين. وعن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - من وجوه - أنه قال: ولينا أبو بكر رضي الله عنه فخير خليفة أرحمه بنا وأحناه علينا. وقال مسروق: حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة<sup>(٢)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه: لا يفضّلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري. وعن محمد بن سيرين قال: لمّا بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه أبطأ علي رضي الله عنه عن بيعته، وجلس في بيته، فبعث إليه أبو بكر: ما أبطأ بك عني؟ أكرهت إمارتي؟ فقال علي: ما كرهت إمارتك، ولكنّي آليت ألا أرتدي ردائي إلا إلى صلاة حتى أجمع القرآن<sup>(٣)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه وذكر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما: كانا والله إمامي هدى راشدين مفلحين منجحين، خرجا من الدنيا خميصين<sup>(٤)</sup>. وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة»<sup>(٥)</sup>.

وما هذه النصوص إلا غيض من فيض يوضح كم كان تعلق علي رضي الله عنه بخليفة رسول الله تعلقاً جعله يحفظ أخباره ومواقفه وصفاته وخصائصه فينشرها في العالمين لكي

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٤٤٢/٣٠.

(٢) ابن أحمد: السنة، ٥٨٠/٢، ابن أبي شيبة: المصنف، ح (٣١٩٣٧).

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ٢٩٨/١. (٤) البلاذري: الشبان، ٨٤.

(٥) الحاكم: المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٤١). هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

يتعلم الجاهل ويتذكر الغافل ويقتدي السائر، ولكي تكون حجة على كل من يتحدث بالإفك من الرافضة وينشر البهتان على السلف الذين كان بعضهم يحب بعضًا ويفتدي بعضهم بعضًا، ذلك البهتان الذي طفحت به أكثر كتب التاريخ والأدب وبما يولد الكراهية ويورث العداوة بين المسلمين، ولعل الغافلين ممن فقدوا هوية السنّة النبوية فأصبحوا يتقبلون مع الرياح أينما انقلبت لعلهم يعودون إلى سير الصحابة فيفقهوها، ويتعلموا من مواقفهم ما ينير لهم طرق الهداية ويجعل همهم بحب الأمة والعمل على حمايتها بدلًا من همّ المنافع الحزبية والمذهبية الضيقة الذي يقود إلى تدمير الأمة وتمزيق صفوفها.

ومما يعد ثناء على خليفة رسول الله ما قالته الطاهرة عائشة رضي الله عنها حين وقفت على قبر أبيها رضي الله عنه فقالت: رحمك الله يا أبت، لقد قمت بالدين حين وهى سعيه، وتفاقم صدعه، ورحبت جوانبه، وبغضت ما أصغوا إليه، وشمرت فيما ونوا عنه، واستخففت من دنياك ما استوطنوا، وصغرت منها ما عظموا، ولم تهضم دينك، ولم تنس غدك ففاز عند المساهمة قدحك، وخفّ مما استوزروا ظهرك، حتى قررت الرؤوس على كواهلها، وحقنت الدماء في أهبها - يعني الأجساد - فنضر الله وجهك يا أبت، فلقد كنت للعالم مدلاً بإدبارك عنها، وللآخرة معزاً بإقبالك عليها، ولكن أجل الرزايا بعد رسول الله ﷺ رزؤك وأكثر المصائب فقدك، فعليك سلام الله ورحمته غير قالية لحياتك، ولا زارية على القضاء فيك<sup>(١)</sup>.

فرضي الله عن أم المؤمنين العالمة الحصيصة، فكم تملك من آفاق الفقه والفهم والفصاحة والنباهة؛ حيث أوجزت بهذه الكلمات حياة إمام الأمة وقائدها الذي أعجز العتاة، وأخضع الطغاة، وأقام العدل، ونشر الأمن، وكم حوت هذه الكلمات من مواقف أوضحت عظمة الصديق، وأظهرت فضله، وأشهرت مواقفه التي لا توازيها مواقف أحد من الناس بعد رسول الله ﷺ؛ لما أفاض على الأمة من نعمة حفظ الدين، وتدوين القرآن، ونصر المؤمنين في أيام عزّ فيها النصير والمعين، فسار في المؤمنين يرتقي بهم الوعر، وكأنه يسير بهم في

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٤٤٤.

السهل لما لديه من ملكات القيادة، وميراث التجارب التي استقاها من النبي الأكرم ﷺ. ومن هذه المعاني التي كان يتمتع بها خليفة رسول الله وعرفه الصحابة بها أنه كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يخطب في المسلمين قائلاً: «اجعلوا إمامكم خيركم، فإن رسول الله ﷺ جعل إمامنا خيرنا بعده»<sup>(١)</sup> يقصد بذلك خليفة رسول الله حين أقامه النبي ﷺ إماماً للأمة في مكانه.

ولذلك كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: رضينا لدنيانا من رضي رسول الله ﷺ لديننا، فبايعنا أبا بكر رضي الله عنه وكان أبو بكر يقول: أنا خليفة رسول الله ﷺ، وكذلك كان يدعى: يا خليفة رسول الله<sup>(٢)</sup>. فلا يذكر رضي الله عنه إلا ويذكر الله والرسول ﷺ تأكيداً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾<sup>(٣)</sup> وذلك منذ وفاته وإلى هذه الساعة وإلى قيام الساعة ولعل في ذلك عبرة للمعتبرين.

وكان خفاف بن ندبة السلمي من الصحابة رضي الله عنه وقد ارتد قومه الأقربون عن الإسلام وراودوه على الردة فأبى عليهم خفاف أن يرتد وحسن ثباته على الإسلام، مقتدياً بمواقف خليفة رسول الله التي أذابت بيقينها أوهام الردة وباطلها، حتى نال بذلك تقدير العالمين وإعجابهم، فحين توفي تذكر خفاف مواقف خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه فقال يرثيه:

ليس لحي ما علمت بقاء	وكل دنيا عمرها للفتاء
إن أبا بكر هو الغيث إذا	لم يزرع الجوزاء بقلًا بماء
بالله لا يدرك أيامه	ذو ميزر ناش ولا ذو رداء
من يسع كي يدرك أيامه	مجتهد الشد بأرض فضاء <sup>(٤)</sup>

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/٢٩٧. (٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/٢٩٨.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠. (٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٤٤٤.

وقد شاء الله تعالى أن يكون الصديق رضي الله عنه بطل الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ في حروب الردة وفي الفتوح وفي القيادة والإدارة والعلم والشورى والعدل والزهد والرحمة والشدة والإتقان والإخلاص، فهو الأول في كل ذلك، وعلى حال من الثقة واليقين المطلق الذي سبق فيه أهل المقامات العالية، التي زخرت فيها السيرة النبوية، حتى بلغ من إعجاب الصحابة رضي الله عنهم وثقتهم به ومحبتهم له، حدًّا لم يعد يعبر عنه الكلام والثناء، فاستعاروا شفطي الفاروق عمر رضي الله عنه ليقبل بها رأس الصديق رضي الله عنه نيابة عن الأمة يوم أنهى صفحات الردة بالنصر المؤزر للمؤمنين والهزيمة العسكرية والأخلاقية للرافضة المفترين، والفضيحة الشنعاء لمراجعهم المرتدين الذين كذبوا النبي الأمين ﷺ واقتروا على عقيدة التوحيد بأسجاع الكهنة ووحى الشياطين.

ولا ريب أن إقدام الصديق الذي اشتهر به رضي الله عنه وبقينه بنصر الإسلام على الدين كله، كان أقوى يقين سكن في قلب إنسان، فكل وعد من وعود القرآن كان عنده حقيقة عيان، بل أمكن من حقيقة العيان، وكل كلمة سمعها من النبي ﷺ بخبر من أخبار الغيب المجهول، هي عنده شاهد على شواهد الحاضر الملموس الذي يسعى لتحقيقه باليدين، ومنذ أيام الإسلام الأولى في مكة حيث كان العنت والتضييق على المؤمنين.

فحين نزل القرآن الكريم بغلبة الروم على الفرس في بضع سنين ذهب الصديق إلى مشرقي قريش يكتبهم بنأ هذا النصر القريب؛ لأنهم كرهوه كراهية منهم لكل أهل كتاب وأحبوا نصر فارس المجوس حبًّا لكل عابد وثن، فكان كما قال رضي الله عنه، ولما سمع الصديق رسول الله ﷺ يقول لسراقة بن مالك: «كيف بك إذا لبست سوارى كسرى؟»<sup>(١)</sup> فما شك الصديق أن الإسلام غالب الأكاسرة فيما هو قادم من الأيام، وعلى تلك الأسس العميقة المتينة المبنية على اليقين الصادق، كان خليفة رسول الله يستشرف المستقبل المشرق للأمة الإسلامية فيقودها إليه بخطوات واثقة ومسار مستقيم لا عوج فيه ولا تردد.

(١) المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ح (٤١١٠). ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/ ١٧٤.

فكم يدين الإسلام والمسلمون لأبي بكر رضي الله عنه! وسيظل الإسلام والمسلمون مدينين له بتوحيد كلمتهم وإجابته على كل أسئلتهم، وإزالته كل حرج وقعوا فيه، إضافة إلى وأد الردة وإلجام الفتنة وإقامة الحججة على المتفاعسين، وإرشاد الضالين وإعادتهم إلى منهج النبي الأمين ﷺ وجمع القرآن المبين؛ بعد أن قتل أكثر حفاظه المتقين على أيدي الرافضة المرتدين، وكذلك ما حصل على يديه من تطهير بلاد العرب المسلمين من الروم الصليبيين وأذناهم المنافقين، كل ذلك وغيره أنجزه الصديق رضي الله عنه ولم يزد حكمه على عامين ونحو ثلاثة أشهر، فحقق في تلك الفترة القصيرة انتصارات كالمعجزات، يصعب إنجازها في أعوام طوال على أيدي أعظم جيوش الأمم! وستظل أمة العرب المسلمين مدينة له بأنه أول من وحد صفوفها بعد أن عمل المرتدون على تمزيقها، وستظل الإنسانية مدينة له بحماية حرية العقيدة وحرية الفكر وحرية التعبير والمواطنة من أي أمة كانوا، وستظل الحضارة مدينة له، بأنه جعل الحياة على كوكب الأرض جديرة بسيادة المؤمنين ومؤهلة لرعاية المتقين وأمنهم وحمايتهم؛ مع حزنه العميق الذي شوى كبده من شدة الشوق إلى صاحبه ﷺ.

### في تركته:

وقال رضي الله عنه قبيل وفاته لأم المؤمنين: أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً ولكننا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح، وجرّد هذه القطيفة، فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر وابرئي منهن. قالت رضي الله عنها: ففعلت، فلما جاء الرسول عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض ويقول: رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده، يا غلام ارفعهن. فقال عبد الرحمن بن عوف: سبحان الله تسلب عيال أبي بكر عبداً حبشياً وبعيراً ناضحاً وجرّد قطيفة ثمنه خمسة الدراهم؟ قال: فما تأمر؟ قال: تردهن على عياله. فقال: لا، والذي

بعث محمدًا ﷺ بالحق - أو كما حلف - لا يكون هذا في ولايتي أبدًا، ولا خرج أبو بكر منهن عند الموت، وأردهن أنا على عياله، الموت أقرب من ذلك<sup>(١)</sup>. وقالت رضي الله عنها: وما كان دينار ولا درهم، ما كان إلا خادم ولقحة ومحلب، فلما رجعوا من جنازته أمرت به عائشة إلى عمر، فقال: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده<sup>(٢)</sup>.

ومات أبو بكر فما ترك دينارًا ولا درهمًا، وكان قد أخذ قبل ذلك ماله فألقاه في بيت المال<sup>(٣)</sup>. وروي أنه قال لما حضرته الوفاة: «ردوا ما عندنا من مال المسلمين فإني لا أخلف في منزلي من مالهم شيئًا، وأرضي التي بمكان كذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم»، فدفعت ذلك إلى عمر رضي الله عنه.

وورث أبو بكر الصديق أبوه أبو قحافة السدس، وورثه معه ولده عبد الرحمن ومحمد وعائشة وأسماء وأم كلثوم بنو أبي بكر وامراته أسماء بنت عميس وحبيبة ابنة خاروجة بن زيد بن أبي زهير من بلحارث بن الخزرج وهي أم أم كلثوم، وكانت بها نسأ حين توفي أبو بكر رضي الله عنهم، وكلم أبو قحافة في ميراثه من أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: قد رددت ذلك على ولد أبي بكر. قالوا: ثم لم يعيش أبو قحافة بعد أبي بكر إلا ستة أشهر وأيامًا، وتوفي في المحرم سنة أربع عشرة بمكة وهو ابن سبع وتسعين سنة<sup>(٤)</sup>.

روى عن خليفة رسول الله: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عمرو، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدري، وعقبة بن عامر، وأبو برزة، وأبو أمامة الباهلي، ومعقل بن يسار، وعمرو بن حريث، وأبو هريرة رضي الله عنهم أجمعين<sup>(٥)</sup>.

(١) المتقي الهندي: كنز العمال، (٣٥٧٣٢). ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٢٥.

(٢) ابن عساكر: ٣٠/٤٢٧. (٣) عمر الشيباني: كتاب الزهد: ١/١١٠.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ٣/٢١٠. (٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/١٦.

فتوفي خليفة رسول الله وحاله كما قالت أم المؤمنين الطاهرة «قبضه الله تعالى واطنًا على هام النفاق، مذكيًا نار الحرب للمشركين، فانتظمت طاعتكم بحبله، فولى أمركم رجالًا مرعيًا إذا ركن إليه، بعيد ما بين اللابتين، أي: واسع الصدر، عركة للأذاة بجنبه، أي: يحتمل الأذى، صفوحًا عن أذاة الجاهلين، يقظان الليل في نصرة الإسلام»<sup>(١)</sup>.

وروي أنه قدم بوفاة أبي بكر رضي الله عنه إلى الشام شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري ومحمية بن جزء ويرفأ مولى عمر؛ فكتبوا الخبر الناس حتى ظفر المسلمون، وكانوا بالواقوفة في اليرموك يقاتلون عدوهم من الروم وذلك في رجب فأخبروا أبا عبيدة بوفاة أبي بكر وولايته حرب الشام وضم عمر إليه الأمراء وعزل خالد بن الوليد رضي الله عنه<sup>(٢)</sup> عن قيادة جيش الشام، ولعل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كان يرى أن شدته مع شدة خالد قد تكون سببًا في تنفير البعض من الدخول في الدين لذلك جعل قائده في الشام أمين الأمة الحلیم الذي إذا غضب كظم وغفر يتألف به الناس ولا سيما بعد أن كسرت قيادة خالد رضي الله عنه شوكة الروم وبددت قوتهم وأفزعت قلوب عتاتهم، ولم يكن خالد رضي الله عنه بعيدًا عن موقع القيادة والقرار، بل كان هو القيادة العسكرية إذ كان هو القائد الميداني الذي يرسم كثيرًا من الخطط ويقرر كثيرًا من الأهداف فهو معاون الأول لأبي عبيدة رضي الله عنه فكان إقدام خالد ممزوجًا بحلم وأناة أبي عبيدة يمثل مزيجًا فريدًا تكونت منه أقدر وأقوى وأنقى قيادة تقاتل الكافرين وتحمي المؤمنين والضعفاء والمساكين وتدعو إلى دين الله الذي جاء به سيد المرسلين، فكان ذلك نجاحًا لأمر المؤمنين عمر رضي الله عنه حيث جدد قوة الدعوة وقوة القيادة في آن واحد وبما يتماشى مع نصر المسلمين في معركة اليرموك.

أما الذين يصطادون في الماء العكر من بعض المفترين وأعداء الصحابة الحاقدين إنما هم بقايا المرتدين وبعض دسائس المنافقين، الذين يعملون بكل ما في وسعهم من الكيد

(١) طنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٤٧.

(٢) الطبري: تاريخ، ٣٥٩/٢.

لهذا الدين وأهله، ومن الدس والمكر لتنفير الناس عن كرام قاداتهم؛ الذين أزالوا بغية الطغاة الكافرين ونشروا التوحيد في نفوس العالمين، امتثالاً لما جاء في الكتاب وسنة سيد المرسلين ﷺ.

وفي هذه الفترة القصيرة من قيادة خليفة رسول الله وإمامته حصل من الأعمال والإنجازات الداخلية والخارجية ونشر الأمن والاستقرار وقمع أهل الردة والفتن وبقايا الجاهلية، ووضع من الخطط السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية وغيرها ما أبهر العقول وأذهل أهل التدبير والتخطيط على جميع المستويات، فقام باختراق حصون الاستبداد والطغيان الفارسي والروماني ونزع هيئتهما وأظهر حقيقتهما للبشرية جمعاء، فاجترأ عليهما جند الإسلام جرأة أزالت بغيتهم وحطمت جبروتهم، فأنجز من الفتوح ما لم يحصل في عصر من العصور لمن عاش الحال ذاتها التي عاشها الصديق وجنده رضي الله عنهم، الذين واجهوا الردة، وأطفؤوا الفتنة، وأعادوا الأمة إلى المسار الذي رسمه لها نبيها ﷺ، فجزى الله خليفة رسول الله الصديق خير ما جزى خليفة نبي عن نبيه وإمام أمة عن أمته، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ (١).



(١) سورة الإسراء، الآية: ١٩.



## الخاتمة

بعد هذه الجولة العميقة الدقيقة التي رافقتها آلام الغربة ومكابدة الوحدة وقسوة الوحشة، ما بين البحث عن الحقيقة التي حاربها أعداء الصحابة بإفكهم الذي لم يدع زاوية من زوايا الموروث الإسلامي إلا وحاول أن يلوثها بزيفه، وما بين غفلة الراعي أو تغايبه وجهل الرعية التي قيدها المُلبَّسون بقيود الوهن والعجز ونزع الغيرة على السنّة النبوية؛ فألقوا بها بين يدي جزّاريها، وما بين هذا الواقع الذي يؤكد لكل عاقل أنه لا خلاص مما تعانيه الأمة من الغدر والعدوان والاستباحة إلا بالتمسك بمنهج الصديق وحزمه وعزيمته، ولعل مما يخفف العبء بين هذه المنعطفات في هذه الرحلة، هو لذة العيش بين أخبار وتوجيهات ومواقف وإنجازات خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي أورثت العلم اليقين بأنه: لا إسلام بلا سنّة رسول الله ﷺ، وأظهرت أن رفض السنّة أو الطعن في حملتها وحُماتها الصحابة رضي الله عنهم يعادل رفض القرآن والطعن في سفيره جبريل عليه السلام، وأن أي تمرد على هذه الحقيقة يهوي بصاحبه إلى الردة ومراجعتها الذين شرّعوا لأنفسهم وأتباعهم ديناً مضاهياً لدين الله تعالى.

كما تأكد أن أي تقارب مع أعداء الصحابة؛ يقابله شك وجهل بالكتاب والسنّة، وإصرار على ردّ إجماع الأمة التي أعلنت عدالة الصحابة، وأن التقارب لا يتحقق ولا يكون إلا بالبراءة من الرفض وعقيدته ومراجعته والتمسك بمرجعية الكتاب والسنّة وحب جميع الصحابة رضي الله عنهم.

وتبين أيضاً أن من لا يفقه حال الصحابة وتاريخهم كاملاً رضي الله عنهم فيوالي من يواليهم ويبرأ ممن يعاديهم؛ فهو لا يفقه ثوابت أهل السنّة والجماعة ولا يؤتمن على

عقيدتهم؛ لجهله بعقيدة أعدائهم ومخاطرهم، وأنه لا سبيل للنهوض وكسر قيود الفرقة والجهالة ومباشرة بناء الأمة، إلا بدراسة متأنية واعية لمنهج خليفة رسول الله في ميادين حياته الإيمانية والفكرية والسياسية والعلمية والإدارية والمالية والعسكرية والاجتماعية وغيرها، والتمتع والتمعن والعلم بمفاتيح تلك المعرفة؛ التي مارسها خليفة رسول الله بروح من الزهد والتواضع والتقوى والبصيرة، تلك المعرفة التي تؤكد المنزلة العظيمة لخليفة رسول الله بين الصحابة رضي الله عنهم الذين شهدوا له جميعاً، بأنه (ثاني اثنين) في الأمة وأنه خير البشر بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأنه هو الباني الثاني لدولة الإسلام بعد أن واجهتها فتنة وفاة النبي ﷺ، تلك الفتنة التي ركب أمواجها الرافضة بقيادة المتنبيين الكذابين، ليزرعوا الردة ويغذوا الشك وثقافة الإفك والإرجاف والعبث بالإسلام، والحقدها على السنة والكراهية والبغض لأهلها على مرّ العصور.

ولن تتم هذه المعرفة إلا بعد المسح العميق لمحتويات المكتبة الإسلامية بكل أجنحتها والفقهاء الدقيق لمواقف خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي جمع القرآن وحفظ السنة وواجه أعداءهما كما واجه رسول الله ﷺ أهل الشرك والجاهلية، تلك المواقف التي يُكنّ لها أعداء الصحابة البغض والكراهية والقذف والبهتان لأنها هدمت أسس مكرهم وكشفت حقيقة رفضهم، فأعلنوا حرب القذف والبهتان على السنة في حال ضعفهم؛ وحرب القتل والتشفي والتلذذ باستباحة أهلها ومقدساتهم في حال شوكتهم، تحت مفاهيم عقيدة الاستتصال والاجتثاث المقرونة دائماً بالغدر والإيقاع بالمؤمنين والتعاون مع الغزاة والمحتلين، والعمل بكل الوسائل والسبل لطمس أخبار الصحابة وتشويه سيرتهم العطرة وتزييفها بالباطل وتحريف الحقائق<sup>(١)</sup> والحيلولة دون معرفة الأمة بسيرة خليفة رسول الله الطيبة المباركة وإنجازاته التي تذهل العقول وتدهش النفوس لما فيها من الإخلاص

(١) الشافعي: الفكر التكفيري عند الشيعة، ١٠٣ فما بعدها، وفيها تكفيرهم لأهل السنة وجواز لعنهم،

والتفاني، وأصالة الهوية ورسوخ العقيدة.

فاتضح أن الموقف من خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه هو الفيصل بين الإسلام والردة، وهو المحك الذي يفصل بين أنصار السنة النبوية والرافضة السبئية، وأتباع الأنبياء وإخوان المتبئين، وقد بلغ من خصوصيات إمامة خليفة رسول الله ﷺ أنها أصبحت تكشف بوهج أنوارها كل من تسول له نفسه مخادعة المؤمنين أو مساندة المنافقين، يتجلى ذلك في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي كونت مع معطيات سيرة الصديق العطرة المباركة؛ الحصانة التامة لخليفة رسول الله إمام الأمة ومبير الردة.

فمن هو ﴿ثَاقِبٌ أَنتَينِ﴾؟ ومن هو ﴿أَلَا نَعْفَى﴾؟ ومن قيل في حقه: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾؟ ومن هو صاحب المطلق ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾؟ ومن ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾؟ ومن المقصود بقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾؟ ومن هم الذين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾؟ ومن هو الذي ﴿وَصَدَقَ بِهِ﴾؟ ومن هو الوحيد المتفرد مع رسول الله ﷺ في الكثير من مواقفه؟ ومن هذا الذي قال في حقه رسول الله ﷺ «إنه لم يسؤني قط»<sup>(١)</sup>؟ ومن صاحب الغار والهجرة؟ ومن الذي هم النبي أن يتخذه خليلاً لولا مخالته ربه عز وجل؟ ومن الذي هم النبي ﷺ أن يكتب له كتاباً بإمامة الأمة ثم قال: «يا أيُّ الله والمؤمنون إلا أبا بكر»؟ ومن حج أميراً بالمؤمنين في حياة رسول الله ﷺ، ومن أمَّ المؤمنين أياماً متتالية بأمر رسول الله ﷺ وفي حضوره وحضور جميع الصحابة؟ ومن صلَّى خلفه رسول الله ﷺ؟ ومن ثبت وثبتت بشاته الأمة يوم وفاة رسول الله ﷺ؟ ومن سحق الردة ببيغها ومكرها ومراجعتها الأفاكين؟

ومن باشر الفتوح وواجه الفرس المجوس والروم الصليبيين في آن واحد؟ ومن صاحب الوصايا التي زود بها قادة الجيوش فجعل منهم خير جيوش أسهمت في الفتوح؟ ومن دبر أمر الأمة قبل وفاته وأنجز بيعة الفاروق؟ إلى غير ذلك من الخصائص التي ظهرت في مواضعها

(١) ابن تيمية: منهاج السنة، ٨/٤١٧. ابن كثير: السيرة، ٤/٤٢٦. الطبراني: المعجم الكبير، باب سهل ابن مالك، ح (٥٦٤٠).

من هذا البحث، وما هذه المراتب إلا بعض خصائص أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي لم يشركه فيها أحد، ولا يستطيع أن يجحد شيئاً منها إلا مرتد حاقد على الإسلام والمسلمين.

فمن زعم الإسلام فلا بد له من موالاته أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومنهج السنة النبوية، وبيان براءته من الردة الراضية لما جاء به محمد ﷺ وخلف عليه الصديق رضي الله عنه إماماً يحميه وبينه حتى رسخت الجذور واستبان الثمار، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١).

فهل يمكن أن يقف كل منا لينظر أين موقعه من خلافة النبوة؟ وما هو نصيبها من قوته وقلمه وعلمه ودرهمه ومجالسه؟ وما هي صلواته بأعدائها أو من يواليهم؟ وأين مكانة العقيدة والسنة في ضميره؟ وما هي صلته بأهلها؟ وما هي رؤيته لكل ما قام به الصحابة من جهاد وعطاء وتضحية لحفظ الإسلام من كيد الماكرين وردة المرتدين؟ وما هو موقفه من شعار خليفة رسول الله الذي عمل به طوال حياته، ذلك الشعار الذي يفترض على كل مسلم في هذا العصر أن يجعله شعاراً له فيردد مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه قوله: «أبتقص الدين وأنا حي؟».

ثم ما هو الموقف من استنفار خليفة رسول الله جموع المؤمنين لحماية الأمة وعقيدتها وهويتها من حقد المجوس وكبر الصليبيين؟ ولمعرفة مقام كل مسلم في هذا العصر أمام ما يصنعه أعداء الصحابة في الأمة، فإنَّ الكلَّ مطالب أن ينظر إلى ما يقوم به من عبادات، وإلى ما يحفظ ويعرف من ثقافات، وما يتناول من مأكولات وملبوسات، وإلى ما يشتري ويبيع ويركب ويسكن، ويشاهد ويسمع، وما يفرح ويألم له، فإذا عرف مصادر وضوابط كل ذلك ووجدها على الوجه المشروع، نقيه من كل شوائب الرفض والردة وأهلها وأعوانها، فليثبت وليبشر لأنه بلا شك في نفي خليفة رسول الله وتحت رايته المؤيدة المنصورة، بعيداً

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

عن شقاق المؤمنين ومودة المبطلين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نُبَيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١).

فهذا إمام الأمة وقائدها الذي سلك سبيل الأنبياء واتبعه وأحبه المؤمنون، وفارقه وأبغضه المرتدون والمنافقون، فأعجز من جاء بعده ولم يعد أمام المصلحين المؤمنين إلا السير خلفه والتعلم من مواقفه، وترديد قول القائل فيه:

بالله لا يدرك أيامه      ذو مئزر حافٍ ولا ذو رداء  
من يسع كي يدرك أيامه      مجتهد الشدِّ بأرضٍ فضاء (٢)

فهذا الكتاب وهذه السنّة وهذا الإسلام وهذا الإمام فمن أخذ يميناً أو شمالاً أورد أو رفض شيئاً من هذا المجموع أو داهن فقد زاغ وضلّ، ومن سار على طريقهم، وتمسك بهديهم فقد فاز ووصل، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أَقْتَدِ ۗ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنِّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٣).



(١) سورة النساء، الآية: ١١٥.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/٤٤٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.



## ملخص البحث ونتائجه

تبين في هذا البحث أن أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ هو صاحبه ومؤنسه ومستراحه وصديقه الأكبر وصديقه الأشفق، ووزيره الأحمز، ونصيره الأعظم، أفضل الأمة وسيد المهاجرين وخيرهم، وسابق الصحابة وشيوخهم، إمام الأمة وقائدها بعد نبينا ﷺ عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التيمي المكنى بأبي بكر رضي الله عنه، والبكر هو الفتى من الإبل، وقد كانت العرب تُسَمِّي بهذا الاسم وتُكني به، تفاؤلاً بالقوة والحيوية والنباهة وسرعة الحركة والصبر والحلم، والألفة والوداعة وقوة الولاء والوفاء، وسعة التحمل والكرم والإيثار والأناقة والجمال، والأصالة والهداية والدلالة؛ وما إلى ذلك من صفات ومقاصد كريمة نبيلة.

وتبين أن صحبة أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ لم تكن مقرونة بزمن محدد، بل إنها ولدت مع ولادتهما فمنذ أن عرف فتیان مكة بعضهم بعضاً؛ كانا هما الصاحبين المتحابين المتآخيين الذين جمع بينهما نبل النفوس وطيبها، وكرم المعدن ووحدة الأهداف وسموها، وعظيم المقاصد وصفائها، وتقارب السن وصلة الرحم وحسن الجوار.

فلم يشرب أبو بكر الصديق رضي الله عنه خمراً ولم يسجد لصنم، وما ارتاب رضي الله عنه في الله منذ أسلم.

ولم يتعال على أحد قط في جاهلية ولا في إسلام، فهو ودود كريم سخي حلیم يألف ويؤلف لا يظن بماله وجاهه في سُبُل الخير ونفع الناس ونصرة الأمة.

وكان شمولي الثقافة جامعاً لمعارف عصره ملماً بأطرافها وقواعدها، محسناً لتوظيفها، فمن علم الأنساب إلى التجارة إلى إدارة أزمات الديات والمغارم والإصلاح بين القبائل،

والخبرات الاجتماعية وغيرها التي أغنتها أسفاره وتجاربه الواسعة، إلى علوم الإسلام وما فيها من آداب وأسرار وقيم، كل ذلك جعله يمتلك فكراً عميقاً وعقلاً ملماً متدبراً مستشرقاً لكل ما يجري في الأمة وفي العالم آنذاك، مما أهله ليكون أكفأ قائد وإمام يعرفه العالم بعد الأنبياء.

فما إن بعث رسول الله ﷺ وعرض دعوته على الناس إلا وكان أبو بكر أول أهدافه ومقاصده، كما أن أبا بكر كان أول مجيبيه وأنصاره، قال ﷺ: «ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر ما عكم عنه حين ذكرته له ولا تردد». فشارك النبي ﷺ الحياة مرّها وحلوها وأمنها وخوفها، ساعة بساعة ويومًا بيوم، لم يفترقا في موقف من المواقف، لا في حياة النبي ﷺ ولا بعد وفاته، حيث دفن الصديق إلى جانب صاحبه ﷺ في جوار أبيدي مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فكان في ذلك التلازم أعمق الدروس على أهمية الصحبة والأخوة في الله، والتعاون على تحمل همّ الأمة وحفظ العقيدة وإعزاز المؤمنين.

وحينما كان يعرض النبي ﷺ نفسه على القبائل كان صاحبه أبو بكر رضي الله عنه بين يديه مستطلعًا ومُعرِّفًا وممهّدًا لما سيدعو إليه ويقول رسول الله ﷺ، فكان يخفف عنه كثيرًا من أعبائه وهمومه، ويشاركه في مواجهة صلف الجاهلية وجلافة أخلاقها

وفي مجال الدعوة وكسر السدود التي وضعها المشركون أمام انتشار الإسلام كان لأبي بكر القدح المعلى، إذ جاء بزهرة شباب قريش إلى رسول الله ﷺ يبائعونه على الإسلام فأصبح الذين أسلموا على يدي أبي بكر رضي الله عنه فيما بعد هم قادة الأمة وأئمتها رضي الله عنهم.

وفي دفاعه عن رسول الله ﷺ بكل ما يملك، كان بحرًا لا سواحل له، يبذل في ذلك نفسه والدنيا وما فيها، فلما ضرب المشركون رسول الله ﷺ جاء أبو بكر رضي الله عنه مسرعًا يدافع هذا ويتلثل هذا وهو يبكي ويقول: ويلكم ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ؟﴾<sup>(١)</sup>

(١) سورة غافر، الآية: ٢٨.

قال المشركون: من هذا؟ قالوا: هذا ابن أبي قحافة المجنون<sup>(١)</sup>!! فكان إذا سمع بمن يؤدي النبي ﷺ فإنه يتصدى له ولا يبالي بما يصيبه من أذى، وبلغ به الإشفاق على رسول الله ﷺ أن أطلق عليه المشركون هذا الاسم، ليكون وسامًا يؤكد أن الصديق رضي الله عنه يحب رسول الله ﷺ أكثر من حبه لنفسه أضعافًا مضاعفة، في وقت لم يكن أحد من الصحابة يستطيع الدفاع عن النبي ﷺ ولو بكلمة لما كان عليه المشركون من التجبر والبطش.

ونظرًا لهذا التلازم بينهما أصبحت نظرة المشركين إليهما تكاد أن تكون واحدة في أكثر من موقف، فكان المشركون يعتدون على أبي بكر كعدوانهم على رسول الله ﷺ ويوم الهجرة جعلوا في كل منهما مائة من الإبل، وبعد أحد لم يسأل المشركون سوى عن رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما لعلمهم أنهم هم قادة الإسلام.

وحين خطب رضي الله عنه في المشركين معلنًا ظهور الإسلام في مكة كان هو الهدف الأول لبغيهم وعدوانهم فُضرب حتى غشي عليه وعندما أفاق كان أول ما نطق به قوله: ما فعل رسول الله ﷺ؟ ولم يذق طعامًا ولا شرابًا ولا دواء حتى اطمأن على رسول الله ﷺ.

وعندما رآه النبي ﷺ وعليه آثار عدوان المشركين حنّ إليه ﷺ ورقّ له رقة شديدة جعلت أبا بكر رضي الله عنه يتحامل على جراحه وآلامه لكيلا يؤلم رسول الله ﷺ لعميق محبته له وشدة شفقتة عليه وسمو مكانته عنده، ولكيلا يتشفى المشركون بالآلام رسول الله ﷺ على صاحبه.

وحينما أراد رضي الله عنه الهجرة إلى الحبشة قال فيه ابن الدُّغْنَة مثلما قالت أم المؤمنين خديجة في رسول الله ﷺ؛ قال: مثلك يا أبا بكر لا يُخرج ولا يخرج إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، فارجع فاعبد ربك ببلدك<sup>(٢)</sup>. وقال: إنك لتزِين العشيرة، وتُعين على النوائب، وتفعل المعروف.

(١) الحاكم: المستدرک، ك. معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٤٤٢٤)، ٣/ ٧٠.

هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

(٢) الصنعاني: المصنف، ك. المغازي، باب من هاجر إلى الحبشة، ح (٩٧٤٣) البخاري: ك. الكفالة، =

والصديق رضي الله عنه أول من أسلم، وأول من دافع بيده عن رسول الله ﷺ وأول من أنفق. قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مَنكُم مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾<sup>(١)</sup> وأبو بكر رضي الله عنه جاهد بالمال وأنفقه لنصرة الدين وأعتق به المستضعفين كما قاتل المشركين قبل الهجرة وهذا مما تفرد به، وبعد الهجرة لم يسبقه أحد في أنواع الجهاد، وقبل الفتح وبعده كذلك.

وحين تحدث ﷺ عن الإسراء والمعراج وجاء المشركون إلى أبي بكر رضي الله عنه يرومون تشكيكه بصاحبه ﷺ ردهم خائبين قائلاً لهم: إن كان قال فقد صدق. فوجهه رسول الله ﷺ وساماً خاصاً به لم يهبه لأحد من أمته، إذ سماه ﷺ الصديق ولم يسم أحداً الصديق غيره، وأقر ذلك القرآن، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلِيكَ هُمُ الْمُنْفِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فلم يخفَّ حمل النبي ﷺ الذي أثقله بأحد كأبي بكر رضي الله عنه، إذ كان ساعده الأيمن وظهيره الأقوى الذي سخر لنصرته وخدمته نفسه وماله وأهله ومواليه ومواسيه وكل ما يملك.

ولما كان أتباع النبي ﷺ يعذبون ويمتهنون ويفتنون كان أبو بكر رضي الله عنه يبذل ماله في خلاصهم وشرائهم، وذلك مما ينفس الضيق ويُريح الهم عن صدر رسول الله ﷺ ويخفف عنه أعباء المسؤولية وهموم التبليغ إلى الناس كافة، وآلام الاستضعاف الذي كان يعاني منه المسلمون.

وبلغ من عزته بإيمانه أنه حين أراد أن يمنّ عليه سيد الأحابيش بالجوار فيحدّ من حرّيته مدهانة للمشركين قال له: فإنّي أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

= جوار أبي بكر، ح (٢١٧٥).

(١) سورة الحديد، الآية: ١٠. (٢) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

(٣) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ح (٦٨٦٨)، ينظر: الصالحى: سبل الهدى، ٤١٠/٢.

وتبين أن الصديق تفرد في كثير من المواقف، منها أنه المستشار الدائم لرسول الله ﷺ، وفي المواضع التي لا يكون مع النبي ﷺ من الصحابة إلا واحد يكون هو ذلك الواحد، في مثل دفاعه عن النبي ﷺ في مكة وكذلك يوم الغار، وتشاوره معه عن الدعوة ووسائل تسييرها ونشرها في القبائل بعد دعوتهم ومحاورتهم، وفي عريش بدر كان مع النبي ﷺ هما القيادة ما معهما غيرهما<sup>(١)</sup> فصحبته صحبة قيادة ميدانية متكاملة، فيها الكثير من الخصوصيات التي لم تكن لغيره، ولعل هذا ما يفسر القدرات القيادية الهائلة التي ظهر بها رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ.

ومما تفرد به شجاعته الخارقة، التي أثارت دهشة بعض معاصريه حتى قال له بعضهم: ما أراك تخشى لما قد بلغ من الناس من إغارة العدو؟ فقال: «ما دخلني إشفاق من شيء ولا دخلني في الدين وحشة إلى أحد بعد ليلة الغار، فإن رسول الله ﷺ حين رأى إشفاقى عليه وعلى الدين قال لي: «هون عليك، فإن الله قد قضى لهذا الأمر بالنصر والتمام»<sup>(٢)</sup>.

ومما تفرد به رضي الله عنه قول النبي ﷺ: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه بها، ما خلا أبا بكر، فإن له يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته»<sup>(٣)</sup>. وقال ﷺ منوهاً بتفرد فضل أبي بكر رضي الله عنه: «إن أمن الناس عليّ بصحبته وماله أبو بكر»<sup>(٤)</sup>.

ومما تفرد به رضي الله عنه إسلام أمه وبنيه وبناته ثم أبيه وهذا لم يحصل لغيره من المهاجرين رضي الله عنهم.

وهو أول من جمع القرآن الكريم، وتنزه عن شرب المسكر في الجاهلية قبل الإسلام،

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة الأنفال، الآية (٤٢) ٣١٥/٢.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣١٧.

(٣) الطبراني: المعجم الكبير، فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ح (١١٤٦١).

(٤) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أبواب المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد، ح (٤٦٦).

وأول من تقياً تنزهها وتحرجاً عن لقمة قد تكون من الشبهات.

وأول من ساوى بين الناس في العطاء، فأعطى السيد ومملوكه سواء، والمرأة وأمتها سواء ويقول: إنما الدنيا بلاغ، وخير البلاغ أوسعها، وإنما فضلهم في أجورهم<sup>(١)</sup>. ليكون بذلك قاعدة نقاء الفكر الإسلامي وإصلاحه المبني على الأساس نفسه الذي أثمر الحضارة التي قادها الصديق والفاروق وإخوانهم رضي الله عنهم حيث الناس فيها سواسية كأسنان المشط.

وكان رضي الله عنه قدوة في ذلك حيث كان قائماً على قضاء حوائجه بيده لا يستعين بأحد عليها، فلما سئل عن سبب ذلك قال: إن حبيبي رسول الله ﷺ أمرني ألا أسأل الناس شيئاً<sup>(٢)</sup>.

وبلغ من زهده رضي الله عنه أنه قد حجر لنفسه وعياله حجرة من شعر، فما زاد على ذلك، فأقام هناك بالسُّنْح بعدما بويع له ستة أشهر يغدو على رجليه إلى المدينة، وربما ركب على فرس له، فيوافي المدينة فيصلّي الصلوات بالناس، فإذا صلّى العشاء رجع إلى أهله بالسُّنْح.

وفي الجانب الاقتصادي علم الدنيا طهر الإدارة «فحين استُخلف ألقى كل دينار ودرهم عنده في بيت مال المسلمين، وقال: قد كنت أتجر فيه وألتمس به فلما وليتهم شغلوني»<sup>(٣)</sup>.

كما علم الناس كيف تحفظ الأمانات وتؤدى الحقوق، قال رضي الله عنه: إني وليت أمر المسلمين فأكلت من جريش طعامهم، ولبست من خشن ثيابهم، فليس لهم قبلي دينار ولا درهم.

وأعطى لكل قائد درساً في العفة وحب الأمة وإيثارها على النفس والولد، وذلك حين قال رضي الله عنه: ردوا ما عندنا من مال المسلمين فإني لا أصيب من هذا المال شيئاً، وإن

(١) الشيباني: الزهد، ١/١١٠.

(٢) ابن حنبل: مسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، باب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح ٦٦.

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٢١.

أرضي النبي بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم.

فكان رضي الله عنه أفضلهم إسلامًا وأفضلهم قيادة وأكثرهم شبهًا برسول الله ﷺ في كل ما يقوم به من أمر أو نهى، ولم يزل كذلك حتى قبضه الله تعالى<sup>(١)</sup> وهو في إخلاص ونقاء وارتقاء وسمو أوصله إلى بشارة النبي ﷺ له بأنه سيدعى إلى الجنة من جميع أبوابها<sup>(٢)</sup>.

وكان ﷺ يقول لأبي بكر وعمر: «لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما»<sup>(٣)</sup> وعندما كانا عن يمينه وشماله ﷺ قال: «هكذا نبعث يوم القيامة»<sup>(٤)</sup>.

وفي عصر الرسالة حدث عن السمو والرقى والوفاء والفداء والإخاء والعطاء الذي لا تحده حدود، وأصغ بالسمع والفؤاد إلى ثناء النبوة وإعلانها العاطر على صدق الصحبة وعميق النصره وجميل المواقف وحميد الخصال، فكثير من الآيات القرآنية يعقب شذاها بذكر خصائصه، وكثير من الأحاديث النبوية تشدو بالتنويه بمقاماته ومنازله فحياته كلها عطاء وفداء وشفاء رضي الله عنه.

وبشاته بعد وفاة النبي ﷺ ثبتت الأمة، فقد جاء رضي الله عنه في ذلك اليوم العصيب، وعيناه تهملان وزفراته تتردد في صدره وغصصه ترتفع كقطع الحرة، وهو في ذلك جلد العقل والمقالة، في حين دهش الناس واختلقت أحوالهم في ذلك وأفحموا واختلطوا، فمنهم من خبل ومنهم من أقعد ومنهم من أصمت فلم يطق الناس الكلام.

ويبلغ من ثباته وشجاعته أنه لما قدمت كتب أمراء النبي بعد وفاته ﷺ من كل مكان

(١) ابن أبي شيبة: المصنف، ح (٣١٩٣٠). الحربي: غريب الحديث، ٣/ ١١٢٢.

(٢) البخاري: كتاب الصوم. باب: الريان للصائمين، ح (١٨٩٧).

(٣) ابن حنبل: المسند، ك. حديث عبد الرحمن الأشعري، (١٧٥٣٣) المعجم الأوسط، كتاب وباب من اسمه محمد، (٧٢٩٩).

(٤) الترمذي: السنن، ك. المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٦٩) وروي هذا الحديث أيضًا من غير هذا الوجه.

بانتقاض القبائل عامة أو خاصة، وعدوانهم على المسلمين فإنه لم يتغير ولم يهتز، بل حارب المرتدين بما كان رسول الله ﷺ يحاربهم به، حاربهم بالرسول فرد رسلهم بأمره وأتبع الرسل رسلًا، وانتظر بمصاومتهم قدوم أسامة وجيشه رضي الله عنهم.

فكانت الكتب إلى القبائل المرتدة كتابًا واحدًا: «بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي بكر خليفة رسول الله إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة أقالم على إسلامه أو رجع عنه سلام على من أتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة».

وحين قال له الناس كيف ترسل جيش أسامة وهم جُلّ المسلمين، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك؟ فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين. فقال أبو بكر رضي الله عنه: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته، فكان كذلك وجنت الأمة من ذلك أمنًا وهيبة ونصرًا.

وقد واجه خليفة رسول الله الفرس المجوس والروم الصليبيين بيقين المؤمنين، وقال رضي الله عنه: لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد رضي الله عنه. متمسكًا في ذلك بقول النبي ﷺ: «خالد سيف من سيوف الله... نعم فتى العشيرة»<sup>(١)</sup>. وقوله ﷺ: «إنه سيف من سيوف الله سلّه الله على الكفار»<sup>(٢)</sup> فكان خالد رضي الله عنه عند حسن ظن أبي بكر وظن الأمة به، فأنجز وجيشه كل ما أوكل إليهم من مهام في الشام والعراق.

وفي المواقف العظيمة والساعات العصيبة كان الصديق دائمًا بين يدي النبي ﷺ، فقد سلم النبي ﷺ رايته العظمى يوم تبوك إلى أبي بكر، وكانت سوداء، وكان جيش تبوك الذي

(١) الألباني: الجامع الصغير وزيادته (٥٥١٩) و(٣٢٠٨) ابن أبي شيبة: المصنف، ح (٣٢٢٦٤)

التبريزي: مشكاة المصابيح، ح (٦٢٤٨). المتقي الهندي: كنز العمال، ح (٣٣٢٨٠).

(٢) ابن حنبل: المسند، ح (٧١٨٨) فضائل الصحابة، (١٢٧٨) الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ح (١٥٨٧٦).

حمل رايته أبو بكر رضي الله عنه أكبر جيش جمعه وقاده رسول الله ﷺ، وكان ثابتاً مع رسول الله ﷺ ولم يختلف أهل السير أن أبا بكر لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في مشهد من مشاهد كلها<sup>(١)</sup>.

وفي رده على مبعوث قريش عروة بن مسعود الثقفي يوم الحديبية وتصريحه بما يلقيه حين غمز بولاء الصحابة لرسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup> يظهر مدى غيرته وقوة حميته، وفي عدم رد عروة على كلمة الصديق رضي الله عنه ما يدل على المقام الكبير الذي كان له بين سادة العرب آنذاك.

وكان رضي الله عنه أطوع الناس لله ولرسوله ﷺ فكان موافقاً لرسول الله ﷺ في كل شيء، ولمّا حاوره عمر يوم الحديبية أجابه بمثل ما أجابه النبي ﷺ من غير أن يسمع جواب رسول الله ﷺ، وهذا من أبين الأمور دلالة على موافقته التامة للنبي ﷺ.

وقال لعمر يوم الحديبية: أيها الرجل إنّه رسول الله ولن يعصيه وإن الله ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق. قال عمر: ردّ عليّ أبو بكر كما ردّ علي رسول الله ﷺ سواء، وزاد: فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلي الحق<sup>(٣)</sup>.

وكان من مكانة الصديق رضي الله عنه أنه يفتي ويفصل بين يدي رسول الله ﷺ في مثل موقفه ممن أراد أن يأخذ غنيمة أبي قتادة رضي الله عنه يوم حنين وقال لرسول الله ﷺ: أرضه مني. فقال الصديق رضي الله عنه: كلا لا يعطه أصيبغ من قريش ويدع أسداً من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله. قال: فقام رسول الله ﷺ فأداه إليّ<sup>(٤)</sup>.

قال العلماء: لو لم يكن من فضيلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلا هذا لكفى، فإنه بثاقب علمه، وشدة صرامته، وقوة إنصافه، وصحة توفيقه، وصدق تحقيقه بادر إلى القول

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ١٧٢. (٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٣٠٥.

(٣) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٢٩٥. الصالحي: سبل الهدى، ٥/ ٥٥.

(٤) البخاري، كتاب المغازي رقم (٤٣٢٢).

بالحق، فزجر، وأفتى، وحكم، وأمضى، وأخبر في الشريعة عن المصطفى بحضرته وبين يديه ﷺ وبما صدّقه فيه وأجراه على قوله رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

وكان النبي ﷺ إذا استشار أصحابه أول من يتكلم أبو بكر في الشورى، وربما تكلم غيره وربما لم يتكلم غيره، فيعمل برأيه وحده؛ فإذا خالفه غيره اتبع رأيه دون رأي من يخالفه<sup>(٢)</sup>.

والصديق رضي الله عنه أول من حج بالناس سنة تسع من الهجرة بأمر النبي ﷺ ونيابة عنه في قيادة الأمة في أول حجة يحجها المسلمون ولم يكن ذلك لغيره رضي الله عنه.

وهو الذي أمّ المهاجرين والأنصار في الصلاة بأمر رسول الله وبحضوره ﷺ و«صلّى بالناس ورسول الله ﷺ في الصف خلفه»<sup>(٣)</sup>.

وموقف أم المؤمنين رضي الله عنها في العمل على صرف الخلافة عن أبيها رضي الله عنه أوضحته بقولها: كنت أرى أنه لن يقوم مقامه ﷺ أحد إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر<sup>(٤)</sup>. ولكن رسول الله ﷺ كان أعلم وأعرف بأصحابه لذلك قال: «لا يبقين في المسجد باب إلا سدّ إلا باب أبي بكر»<sup>(٥)</sup> في إشارة بيّنة إلى خلافته رضي الله عنه.

وهذا بعكس ما يفتريه الرافضة ويدينون به في عقيدتهم، من أن الطاهرة الصديقة رضي الله

(١) الصالحى: سبل الهدى، ٣٣٧/٥. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣١٩/٤. ابن القيم: زاد المعاد ٤٦٩/٣، ٤٩٢.

(٢) أبو بكر الصديق، محمد مال الله، ص ٣٢٥.

(٣) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ح (٢١١٩).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من قام إلى جنب الإمام لعله (٦٨٣) صحيح مسلم، ك. الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر (٦٣٢-٦٣٨).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، ح (٤٤٦). صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر، ح (٤٣٩١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق، ح (٣٥٨٨)، (٤٣٩١)

عنها كانت تعمل على أن يتولى الصديق رضي الله عنه الخلافة، للتشويش على نهج الصحابة وأخوتهم، التي كانت تقف على مثل قول الصديق رضي الله عنه: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي<sup>(١)</sup>.

فاتضح أن قيادة خليفة رسول الله كانت قيادة عقيدة تبني على مفهوم العقيدة، وتنطلق من ذلك المفهوم المرتبط بالله ورسوله ﷺ والقائم على أن محمداً ﷺ بشر يوحى إليه، وأن ما جاء به من عقيدة التوحيد لا تقبل التبديل ولا التعديل، وأن الله حي لا يموت، كما تبين أنها قيادة في منتهى الوعي والحزم وحسن التخطيط والتدبير والشفافية والوضوح، وبما يؤكد سعة العلم ودقة الفهم والفتنة، وعمق الفقه وشمول الإدراك، والجرأة والسبق والإقدام والاستعداد الدائم لمفاجأة الأحداث قبل أن تفجأه ومعالجتها قبل غشيانها.

فهو الذي حسم مسألة الخلافة يوم السقيفة على أتم وجه وأكملة، وأقام الحجة ودل بالبرهان الساطع على موضع الإمامة ومكانها في الأمة، فتابع المهاجرون والأنصار على البيعة وبايع سعد رضي الله عنه<sup>(٢)</sup> ولهذا كان الإمام أحمد يقول: «أصول السنّة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

وفي خلافته أثبتت النصوص الصحيحة أن الصديق رضي الله عنه هو خليفة رسول الله ﷺ وإمام الأمة بعده ﷺ فلا خليفة ولا إمام سواه ولا وصية ولا نص على غيره رضي الله عنه، فرسول الله ﷺ هو الذي أقامه خليفة له بالإشارة الملحة، والتلميح الفصيح، والترغيب الصريح.

(١) صحيح البخاري: ك. المغازي، باب غزوة خيبر، (٢٩٩٨) مسلم: ك. الجهاد، باب قول النبي ﷺ: «لا نورث» (١٧٥٩).

(٢) الألباني: السلسلة الصحيحة، (١١٥٦) الحكمي: معارج القبول، (١١٣٣). ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، (٤٠/٢).

(٣) أبو داود: السنن، ك. الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، ح (٢٢٤٢).

ولم يقبل رسول الله في آخر حياته ﷺ أن يؤم المؤمنين إمام غير صاحبه الصديق رضي الله عنه مؤكداً بذلك إمامته للأمة من بعده ﷺ ولتأكد من خلال ذلك الموقف النبوي أوهام من يرددون الإمامة لغيره من الصحابة رضي الله عنهم ناسين أنهم يلوكون بذلك تلبيس الرافضة وتزييفهم لمنهاج النبوة الذي نظم مقامات الصحابة كل عند سابقته وجهاده وإنفاقه وعلمه وإخلاصه.

والذين وقع عليهم اسم الخلافة ثلاثة، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(١)</sup> قال ابن عباس: أخرج الله آدم عليه السلام من الجنة؛ لأنه خلفه على الأرض. وقال تعالى: ﴿يٰۤاٰدَمُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْاَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>. وأجمع المهاجرون والأنصار على خلافة أبي بكر، وقالوا له: «يا خليفة رسول الله» ولم يسم أحد بعده خليفة، وتوفي النبي ﷺ عن أكثر من مائة ألف من الصحابة كلهم قال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله.

وقال أبو بكر بن عيَّاش الأسدي الكوفي: أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله في القرآن لأن الله تعالى يقول: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَرْضَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. فمن سماه الله صادقاً فليس يكذب، والصادقون هم الذين قالوا لأبي بكر الصديق: يا خليفة رسول الله<sup>(٤)</sup>.

ومنهم من قال: إن خلافة الصديق رضي الله عنه وقعت بالنص الخفي، ومنهم من قال بالنص الجلي. وعندما سُئل الحسن البصري: هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر رضي الله عنه؟ قال: نعم، والله الذي لا إله إلا هو استخلفه ﷺ لهو كان أتقى من أن يتوثب عليها.

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٨.

(٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٩٦.

وقالت طائفة: بل نص رسول الله ﷺ على استخلاف أبي بكر بعده على أمور الناس نصًّا جليًّا قال أبو محمد بن حزم: وبهذا نقول لبراهين أحدها: إطباق الناس الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾<sup>(١)</sup> على أن سمّوه خليفة رسول الله ومن المحال أن يجمعوا على ذلك وهو لم يستخلفه نصًّا.

فالنبي ﷺ أخبر الصحابة رضي الله عنهم بخلافته إخبار راضي بذلك حامدٍ له، وعزم على أن يكتب له كتابًا بذلك، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاءً بذلك القول، لما علم أن الله يختاره والمؤمنون يختارونه رضي الله عنه.

ولقبه المسلمون جميعًا بخليفة رسول الله ولم يخالف عن ذلك إلا رافضي حاقده على النبي ﷺ وعلى خلافة النبوة أو منافق زنديق يُظهر الإيمان ويبطن الردة.

وجميع المؤمنين يعلمون أنه هو الأولى بالخلافة وأبوا أن يتولى عليهم في حياته غيره ولا يحتاج علم ذلك إلى كتاب أو أدلة لترجيحه؛ لأن تقدم الإمام الثاني في غياب الإمام الأول أمر مفروغ منه بلا كتاب ولا حساب<sup>(٢)</sup>، وذلك معلوم عندهم في حياة النبي ﷺ.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: ما كنا نختلف في عهد رسول الله ﷺ أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وأن الخليفة بعد أبي بكر عمر وأن الخليفة بعد عمر عثمان رضي الله عنهم<sup>(٣)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه: قلت لأبي بكر رضي الله عنه يوم السقيفة: ابسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار<sup>(٤)</sup>. وعند ابن عقبة: ووُثب عمر فأخذ

(١) سورة الحشر، الآية: ٨.

(٢) ينظر: الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، إمامة الصديق رضي الله عنه، ٥١.

(٣) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ٩٣/١.

(٤) ابن حنبل: المسند، ك. وباب، آخر مسند عمر (٣٩٣) المعجم الكبير، ك. الحاء، باب حباب بن المنذر، (٣٥٩٧).

بيد أبي بكر رضي الله عنه وقام أسيد بن حضير الأشهلي وبشير بن سعد أبو النعمان بن بشير يستبقان لبياعا أبا بكر فسبقهما عمر فباع، ثم بايعا معاً رضي الله عنهم أي أن الصحابة كانوا يتسابقون على بيعته رضي الله عنه.

وقال رضي الله عنه: فوالله لأن أقدم فتضرب عنقي، لا يقربني ذلك إلى إثم، أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر<sup>(١)</sup>.

وقال خالد رضي الله عنه يوم البيعة: إنه والله ما صاحب هذا الأمر - يعني أبا بكر رضي الله عنه - بالمسؤول عنه، ولا المختلف فيه، ولا بالمخفي الشخص ولا المغمور القناة. فعجب الناس من كلامه<sup>(٢)</sup>.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه حين خرج لمواجهة المرتدين: شِم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً<sup>(٣)</sup>.

وقال رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ لم يمت فجأة، كان بلال رضي الله عنه يأتيه في مرضه فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس، وهو يرى مكاني.

وقال رضي الله عنه: لما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر رضي الله عنه في الصلاة، فرضينا لديانا من رضيه رسول الله ﷺ لدينا، فقدمنا أبا بكر، ومن ذا كان يؤخره عن مقام أقامه رسول الله ﷺ فيه<sup>(٤)</sup>.

وقال رضي الله عنه: ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المؤمنين - أبا بكر وعمر - بما ليسا من هذه الأمة بأهل، وبما أنا عنه منزه ومنه بريء وعليه أعاقب، أما والذي

(١) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا، ح (٦٣٢٨).

(٢) الصالحى: سبل الهدى ١٢/٣١٤.

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣١٦.

(٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٠٢.

فلق الحبة، وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا منافق ردي<sup>(١)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه: والله ليوم واحد من أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل كتم إيمانه فأثنى الله عليه، وهذا بذل لله نفسه ودمه<sup>(٢)</sup>.

وقال رضي الله عنه: من فضلني على أبي بكر وعمر جلده حد المفتري وقال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر.

وقال رضي الله عنه: ما مات رسول الله ﷺ حتى عرفنا أن أفضلنا بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، وما مات أبو بكر حتى عرفنا أن أفضلنا بعد أبي بكر عمر<sup>(٣)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه يترحم على عمر يوم وفاته: وايم الله إن كنت لأرى أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «ذهب أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»، وإن كنت لأظن أن يجعلك الله معهما<sup>(٤)</sup>.

وقال رضي الله عنه: ما أوصى رسول الله ﷺ فأوصي، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم - يعني أبا بكر رضي الله عنه<sup>(٥)</sup>. وكذلك القيادة بعد رسول الله ﷺ كانت لأبي بكر رضي الله عنه وظهرت له وحيداً، ففي الوقت الذي كان الناس يقولون له: كيف تقاتل من يقول: لا إله إلا الله؟ كان يعلم مكر المرتدين وبغيهم فيقول: لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. فواجه الردة، وأنفذ جيش

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق. ٣٠ / ٣٨٥.

(٢) البزار: مسند البزار، مما روى محمد بن عقيل عن علي رضي الله عنه ٥ / ٥٦١. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٨٢.

(٣) الصالح: سبل الهدى والرشاد، ١١ / ٢٤٨.

(٤) النسائي: السنن الكبرى. ك. المناقب. باب: فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح: ٨١١٥.

(٥) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٢٨٩، ٢٩٠.

أسامة، ولم يكن معه أحد يشاركه الرأي من أبناء الأمة، فتأكد تفرده بالقيادة في ساعات الكرب والشدة.

وفي قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾<sup>(١)</sup> وصف لأبي بكر رضي الله عنه وجنده، فدل ذلك على صحة إمامته وفرضية مبايعته ورشد قيادته، وأن الله تعالى يحب أبا بكر رضي الله عنه وجنده وهم يحبون الله تعالى، وأن من يبغضهم فهو مبغض لنبيهم ﷺ ولرهبهم جلّ في علاه، رافض لنشرهم التوحيد والوحدة والعدل، وحاقد على إنجازاتهم الحضارية الهائلة تحت ظلال الخلافة الراشدة.

فمنهج خليفة رسول الله هو المسار الذي تظهر عليه درجات الولاء والانتماء للكتاب والسنة، وذلك المنهج الذي بلغت صحته وعلو منزلته أن رسول الله ﷺ كان يبغض لصاحبه ويرضى لرضاه، فكل من لا يتقاد لإمامته وخلافته رضي الله عنه إنما يسير خارج إطار الكتاب والسنة وذلك أن الأمة تعافت على لمسات قيادته بعد مصابها الأليم بوفاة رسول الله ﷺ وبعد فتنة الردة الرافضية وما رافقها من غدر وحرب للكتاب والسنة.

فأصبح كل كتاب أو مقال أو خطاب أو صحيفة أو مجلة أو مسلسل أو فضائية أو أرضية أو طائفة أو جماعة أو حزب أو غير ذلك؛ ينال من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ويظعن فيهم تحت أي مسمى كان؛ إنما هو معول هدم وغدر ودمار في حصن الأمة.

وكل من يقبل النظر فيما ينفثه هؤلاء من السحر والوهم والحقد؛ إنما هو معاون لذلك المخرب ومشارك له في غش الأمة وخداعها وتمزيق هويتها، وكل من يسكت عنه إنما هو أخرس عن الحق ومضيع للأمانة وخائن للثغرة التي هو عليها، وبائع لدينه، ومسوق لأحقاد أعداء الصحابة الرافضين للكتاب والسنة وخلافة النبوة.

وأصبحت معرفة سيرة خليفة رسول الله واجبا لا مفرّ منه، فهو الذي وّحد الأمة بعد

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

نبيها ﷺ وهو الذي ثبت السنة ودحر الرفض والردة، وهو الذي قاد الفتوح شرقاً وغرباً وياشر تحطيم قوى الشر المجوسي والصلبي، فأصبح الموقف من إمامته وخلافته فيصلاً بين السنة النبوية والردة الرفضية.

ولكن مع كل هذا الوضوح في موقف الراشدين رضي الله عنهم من المرتدين فإن الباحث يلاحظ جمود وتبلد الخطاب المعاصر لكثير من أهل السنة؛ الذي لا يميز بين من يناصبهم العدا، وبين من يدفع دمه دفاعاً عنهم، يظهر ذلك جلياً في خطاب كثير من علمائهم المائع المخادع المدلس، الذي أسهم في ذوبان الهوية وتصدع الجماعة، وفي عامة وسائل إعلامهم المرثي والمسموع والمكتوب، الذي يدور بين تمجيد الباطل وتأليه الحاكم، ومداهنة بعض الأقليات وتهويل أعدادها وطمس آثار ووسائل خذلانها وتعاونها مع الأعداء وتأمرها على الأمة، وتسفيه الحق وإقصاء العقيدة وتشويه آثار ودور حملتها في حماية الأمة والتصدي للغزاة والمتآمرين عليها.

ومما يبعث على الأسى أن المراقب لحركة الأحداث، يرى كيف يقوم حكام وأغنياء وعلماء أعداء الصحابة، برعاية أبناء عقيدتهم وبرهم وتدريبهم على كل ما يعينهم في خدمة عقيدتهم والتمكين لأمتهم، في حين يقوم أكثر سلاطين السنة وأغنيائهم ولا سيما العرب منهم، بخنق أبناء عقيدتهم وكتبهم وأدهم وبيعهم، والعمل بكل ما في وسعهم للحيلولة بينهم وبين ما ينصر السنة ويحمي أبناءها ويحفظ أمتها، فأى نتيجة تُرتجى أمام هذه المعادلات المقلوبة والمخاطر المحدقة، التي أصبحت تعطي ثمارها المرة تمزقاً وتناحرًا، في حال لا يتسع ولا يحتمل ذلك؛ مع ما تعانيه الأمة من سقوط البلاد وقتل العباد؟

ولا سيما أن الكثير من الأقليات داخل الأمة في هذا العصر أخذت تتكاتف وتنظم جهودها على أسس من قومياتها وعقائدها حتى لو كانت متناقضة أو فاسدة ومخالفة للعقل والعلم، فتسخر طاقاتها وتوحد جهودها ضد الأمة وهويتها، بالتآمر والجاسوسية أو بالتحالف مع الغزاة ومباشرة العدوان، أو غير ذلك من تبني الأفكار المناقضة للعقيدة الإسلامية وإنشاء

الأحزاب الإلحادية أو العلمانية ومن ثم شراء الغوغاء واستخدامهم لمحاربة عقيدة الأمة وهويتها باسم العقيدة والهوية، حتى أصبح أهل السنة وعقيدتهم غرباء في ديارهم وبلاد أجدادهم.

لهذا كان التأكيد في هذا البحث على ميزان السنّة النبوية وعلى إمامة الصديق؛ لفضح الزنادقة والمرتدين وإخوانهم المداهنين والمذبذبين، وليبين الطريق الموصلة إلى وحدة الأمة وسيادتها، التي لا يمكن أن تتم في يوم من الأيام على غير منهاج السنّة وإمامة الصديق رضي الله عنه.

وتبين في هذا البحث أن منهج خليفة رسول الله الذي كان النبي ﷺ يغضب لغضبه ويرضى لرضاه، هو المنهج الذي تقاس عليه درجات الولاء والانتماء للكتاب والسنّة، وذلك لسابقته وتجربته وعلمه، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: كان أبو بكر رضي الله عنه أعلمنا<sup>(١)</sup>. فكل من لا ينقاد لإمامة وخلافة الصديق ويبرأ من رافضيتها فما هو إلا امتداد للردة وتبعاتها المشينة الخطيرة.

وأعداء الصحابة لا يريدون أن يعرف المسلمون تنويهات القرآن الكريم ولا إشارات النبي ﷺ عن عظمة خليفة رسول الله ودوره الرائد في قيادة الأمة على مسار نبينا ﷺ ومنهجه الذي خطط له وأسس لبنائه في حياته ﷺ؛ لأن ذلك يبطل سحرهم ويسقط مكرهم وتربصهم بالسنة وأهلها، فيشوشون على فضائله رضي الله عنه ويفترون عليه للتلبس على من يسمع لهم ويصدق هديانهم.

ولإبقاء الرافضة في استنفار دائم ضد ما جاء به الشرع الحنيف، لذلك تبقى السنّة النبوية مقياساً يظهر على أركانه المتبع لمحمد ﷺ وأصحابه من المحارب لهم المناق لأعدائهم. فكل عالم يزعم أنه من أهل السنة ليس له مشاركة في صد عدوان أعداء الصحابة على

(١) البخاري: كتاب أبواب المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد، ح (٤٦٦).

عقيدة ودماء أهل السنة وبلادهم وأعراضهم وأعلامهم؛ مشاركة مباشرة بأي شيء يسهم في فضح باطنيتهم وإسقاط أقنعتهم التي يتلبسون بها لمحاربة الإسلام؛ فإنه متهم لا تشفع له الغفلة ولا تسعفه الأعذار.

وعمّا يسمى بالميراث وتمسكه رضي الله عنه بأمر رسول الله ﷺ كان يقول في أرض فذك: إنني لم أكن لأترك فيها أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته<sup>(١)</sup>. فكان لا يحيد عن أمر النبي ﷺ وعمّا كان يعمل به ولا يبالي بغير السير على مساره ﷺ.

وعن زر بن حبیش قال: سألت الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن ميراث رسول الله ﷺ قالت: أعن ميراث رسول الله ﷺ تسأل؟ ما ترك رسول الله ﷺ صفراء ولا بيضاء ولا شاة ولا بغيراً ولا عبداً ولا أمة ولا ذهباً ولا فضة<sup>(٢)</sup>.

ولما سمعت السيدة فاطمة رضي الله عنها ما قاله الصديق رضي الله عنه أمسكت عن الكلام في المسألة، وما كان يسعها غير ذلك لورود النص الصحيح عن رسول الله ﷺ «فلم تكلمه» أي في الأرض بعدما سمعت رده رضي الله عنه ولم يثبت قط أنهما التقيا فلم تسلم عليه ولا كلمته رضي الله عنهما، كما يزعم ذلك دعاة الفتنة أعداء الصحابة.

وقال القاضي عياض: وكان في ترك السيدة فاطمة رضي الله عنها ذلك «التسليم للإجماع، وأنها لما بلغها الحديث وبين لها التأويل، تركت رأيها ثم لم يكن منها ولا من ذريتها بعد ذلك من طلب ميراث، ثم ولي علي رضي الله عنه الخلافة فلم يعدل بها عما فعله أبو بكر وعمر رضي الله عنهما<sup>(٣)</sup> حتى جاء أعداء الصحابة وأخذوا يكذبون على فاطمة وعلي وأبي بكر رضي الله عنهم لا حباً بهم ولكن حباً بالفتنة والإفك الذي يدينون به!!

(١) صحيح البخاري: ك. المغازي، باب غزوة خيبر، (٢٩٩٨) مسلم: ك. الجهاد، باب قول النبي ﷺ: «لا نورث» (١٧٥٩).

(٢) الصالح: سبل الهدى، ٣٧٢/١٢. مسند الحميدي: ١/١٣٢، ح (٢٧١).

(٣) مسلم: بشرح النووي (٣١٨/١٢).

أما قول النبي ﷺ في حق السيدة فاطمة رضي الله عنها: «فمن أغضبها فقد أغضبني» فإن كان وعيداً كما تزعم الرافضة فإنه يقع على علي رضي الله عنه ليس على الصديق رضي الله عنه؛ إذ إن مناسبة هذا الحديث هو خطبة علي رضي الله عنه لابنة أبي جهل؛ وشكوى فاطمة رضي الله عنها له إلى النبي ﷺ على ما روى الشيخان: إن علياً خطب بنت أبي جهل فسمعت بذلك السيدة فاطمة رضي الله عنها، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل. فقام رسول الله ﷺ فسمعتة حين تشهد يقول: «أما بعد أنكحت أبا العاص بن الربيع - الأموي - فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد» فترك علي رضي الله عنه الخطبة<sup>(١)</sup>. وأسقط الرافضة هذا كله وحولوا النص عن مناسبتة تزييفاً وتحريفاً.

وفي مواجهة الرافضة المرتدين تمكن خليفة رسول الله من قهرهم وكشف زيفهم وأبطل سحرهم فلم يعد أحد يعذر بالجهل بهم، ولا سيما من يرى ما يفعلونه وقرأ ما فعلوه بالأمة، وشاهد تحالفاتهم مع أعدائها، ولا يعذر أحد بالصمت عنهم، وكل من يعرفهم ويسكت عنهم إنما هو شيطان أخرس، فلا عقل ولا دين ولا حكمة إلا في فضحهم، والتحذير من مكربهم وكيدهم وحقدهم، واستنفار الأمة لمواجهة بغيهم وغدرهم، وكما قال بعض السلف العارفين: «لا يحلُّ والله أن يُحسنَ الظنَّ بِمَنْ تَرَفَّضَ وَلَا بِمَنْ يُخَالِفُ الشَّرْعَ فِي حَالٍ»<sup>(٢)</sup>. وعلى هذا فكل من لا يسهم بمجاهدة باطلهم بما يتاح ويستطاع، فإنه فاقد للحكمة والغيرة والحمية، مفرط بالسنة مداهن للردة، والعاقل من اتعظ بغيره ولم يكن عظة للآخرين.

فاتضح في كل ذلك صواب منهج خليفة رسول الله الوحيد الذي قاوم الرافضة المرتدين

- (١) البخاري: بشرح فتح الباري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: ذكر أصحاب النبي ﷺ، ح (٣٧٢٩) مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت رسول الله ﷺ ٤/١٩٠٣، ح (٢٤٤٩).
- (٢) قاله ابن هبيرة الوزير الحنبلي الحكيم العارف: ينظر: ابن مفلح المقدسي الحنبلي: الآداب الشرعية والمنح المرعية، فصل في حسن الظن بأهل الدين، ١/٥٣. دار الوفاء، مصر (ط ١) ١٩٩٩ م.

بعد أن ثبت عملياً وعلمياً أن الفكر التكفيري الاستتصالي وثقافة الحقد والبغض والكرهية المتجددة في موروثهم العقائدي، التي يدين بها الرافضة، كافية بأن تزود أي رافضي إن تولى أي سلطة أو أصبحت لديه أية قوة أن يبید السنّة وأهلها ويطمس هويتها ويجتث كل ما هو عربي إسلامي يقع تحت سلطانه دون أي رحمة أو تأخير أو حياء أو وازع من ضمير.

وإن كان تعاونهم الحاقد مع التتار المتوحشين قد أباد ما يقارب من مليوني مسلم من أهل بغداد وضواحيها آنذاك، فهم إن تمكنوا في هذا العصر لبيدّن جميع الملايين السنيّة ولو بلغت المئات، وما دماء السنّة التي تجري على أيديهم - لا لشيء إلا لأنهم من أهل السنّة في هذا العصر - إلا مصداق لذلك.

ولن يكتفوا بذلك حتى يجتثوا آثار الكتاب والسنّة وما تفرع عنهما إن تمكنوا من ذلك، وما تغييرهم لمناهج التعليم في العراق وبحسب رؤية مراجعهم الشيعوية المخالفة للسنّة والحاقدة على كل ما هو عربي وكما هو معلن عنه الآن في الفضائيات والصحف؛ إلا تأكيد على منهج اجتثاث الإسلام وآثار الفتوح العربية الإسلامية وبطولات قادتها من الصحابة رضي الله عنهم.

إضافة إلى هدم المساجد وحرق المكتبات وتدمير المدارس والمؤسسات، وسرقة الأملاك العامة والمشاهد المشينة التي كرروا بها مواقفهم الغادرة التي قاموا بها عندما كانوا يعملون في الجاسوسية والخدمة لهولاكو التتار.

يؤكد ذلك عقيدتهم القائلة عن الصحابة وأهل السنّة: «وحاصله أننا لم نجتمع معهم على إله ولا على نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه وأبو بكر خليفته، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي؛ بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا»<sup>(١)</sup>.

(١) نعمة الجزائري: الأنوار النعمانية، ٢/٢٧٨. ولا شك أن هذا واقع قائم في حال تمكنهم ولا يجوز لهم غيره، أما في حال ضعفهم فهم يأخذون بالتقية والنفاق وإن كانوا لا يدعون التدين بهذا في كل =

وأكد هذه العقيدة التي يدين بها الرافضة قيامهم باغتيال الخلفاء الراشدين الثلاثة عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومحاولة اغتيال معاوية وعمر و يوم قتل علي رضي الله عنهم ومن بعدهم محاولة اغتيال الحسن رضي الله عنه ثم قتلهم للحسين رضي الله عنه في الكوفة بعد أن بايعوه ثم كذبوه وغدروا به .

بل إن الرافضة السبئية المجوسية اغتالت خمسة من المُبشرين بالجنة وهم سادة الإسلام وأحرار البشرية ووجوه العرب: «عمر الفاروق وعثمان ذو النورين زوج ابنتي رسول الله ﷺ ورقية وأم كلثوم وابن عمته ﷺ وعلي أبو الحسن زوج فاطمة ابنة رسول الله ﷺ وابن عمه، وطلحة الفياض بن عبيد الله ابن عم الصديق، وحواري رسول الله ﷺ الزبير رضي الله عنه ابن صفية عمه رسول الله ﷺ» وما زالوا يدينون ببغضهم والحقد على أمتهم.

قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر رضي الله عنه عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه وانتهب عسكره وعوجلت خلاخل أمهات أولاده! فوادع معاوية رضي الله عنه وحقن دمه ودم أهل بيته وهم قليل حق قليل رضي الله عنهم ثم بايع الحسين رضي الله عنه من أهل العراق عشرون ألفاً غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم فقتلوه<sup>(١)</sup>.

لذلك كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يكره أهل الكوفة الرافضة وبيغضهم ويتمنى فراقهم، قال رضي الله عنه: أحمد الله على ما قضى من أمر وقدر من فعل وعلى ابتلائي بكم أيتها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع؛ وإذا دعوت لم تُجب؛ إن أمهلتكم خضتكم، وإن حوربتكم خرتكم، وإن اجتمع الناس على إمام طعتكم، وإن أجبتم إلى مشاققة نكصتكم لا أبا لكم... فأنا لصحبتكم كاره وبكم غير كثير، لله أنتم، أما دين يجمعكم؟ ولا حمية تشحذكم...!! إنه لا

= أحوالهم، ومن هنا حذر السلف الصالح من أخطارهم على الدين والأمة.

(١) الأمين: السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٣٢. وينظر: الطبرسي: أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، ١/ ٣٠٦.

يخرج إليكم من أمري رضا فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه، وإن أحب ما أنا لاقٍ إليّ الموت.

فرافضة الكوفة ومن معهم عند أمير المؤمنين علي وَهُمْ وسراب ومحنة له وبلاء ابتلي بهم رضي الله عنه وهم - كما قال رضي الله عنه - أشباح بلا أرواح، وأرواح بلا أشباح، ونسائك بلا صلاح، وتجار بلا أرباح، وأيقاظ نوم وشهود غُيِّب، وناظرة عمياء وسامعة صماء وناطقة بكماء<sup>(١)</sup>.

أما بغضهم للصحابة فما هو إلا شر على معتقيه، أما الصحابة فكما قالت الطاهرة رضي الله عنها لمن قال لها: إن ناسًا يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. فقالت: وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل فأحب الله ألا يقطع عنهم الأجر<sup>(٢)</sup>. ولا الوزر الموجب لللعنة الله وغضبه وسخطه على معتقي عقيدة الحقد على الصحابة، ومن يتقارب معهم من الغوغاء والضائعين.

فموقف أهل السنة من الرافضة ليس باختيارهم، وإنما هو مفروض عليهم شاؤوا أم أبوا! لأن كل ما في الرفض من عقائد وولاء وبراء؛ قائم على هدم السنة واستباحة أهلها، وكل محاور ثقافتهم قائمة على الاستفزاز والتحريض والبهتان والإفك ونشر الكراهية وإثارة الفتنة وتجديد كل خلاف ورعاية وتغذية كل شبهة، وإحياء ونشر كل نزعة جاهلية.

والذي تأكد لكل عاقل أنه لا جدوى من أي دعوة للتقريب وما إلى ذلك؛ لأن القوم يفعلون ما يفعلونه من البغي والبهتان والتحريف عن عمد وإصرار، وأن التقية تمنع أي عاقل أن يثق بما يقولونه، وأن أهل السنة لا أمان لهم ولا حقوق في عصر شوكة الرافضة، قولاً واحداً.

كما تبين أن عامة أهل السنة لا موقف لهم ولا معرفة ولا علم بفقهِ الرافضة الاستثنائي

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة المفترى أكثره، ٧/ ١٨٧.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ١/ ٤٦٧. الهندي: كنز العمال، ح (٣٦١٢٥) ابن عساكر: تبين كذب المفترى، ١/ ٤٣٣.

في عصر شوكتهم؛ بل إن أكثر علماء السنّة لا علم لهم بذلك، مع كل مخاطرهم التي تهدد وجود وعقيدة أهل السنة، ومما أسهم في ميوعة موقف أهل السنّة من هذا الخطر الرافضي المحدث، هو تضليل الرافضة وتدينهم بالتقية والخداع، وضعف الغيرة على السنّة عند كثير ممن يسمى بعلماء أهل السنّة وفي مقدمتهم دعاة التقريب الذين أسهموا إسهامًا بيّنًا في تضليل أهل السنّة ونزع الحذر والغيرة منهم على دينهم وهويتهم، مما يؤكد الحاجة الماسة إلى معرفة فقه الرافضة في عصر قوتهم وموقفهم من أهل السنّة.

وظهر في هذا البحث أن كل من كان إلى الصديق أقرب، من المهاجرين والأنصار، كان أفضل، فما زال خيار المسلمين مع الصديق قديمًا وحديثًا، وذلك لكمال نفسه وتمام إيمانه. وكل ما جرى لأهل السنّة من مصائب ونكبات على أيدي الرافضة، يؤكد عميق معرفة خليفة رسول الله بأعداء الإسلام وفهمه لما يخططون له ويؤكد صواب موقفه الحاسم من هذا الشر الذي أعلن الحرب على الكتاب والسنة وحملتهما.

فاتضح أن أمر الرافضة قديم وأن الحرب على السنّة النبوية لم يكن يشنها المشركون الوثنيون فقط، وإنما هناك الكثير من الأعداء الذين يتسترون بالإسلام ويشرعون لأنفسهم من دون الله ويقرنون ذلك التشريع بالحرب المباشرة وغير المباشرة على السنّة.

وموقف الصديق رضي الله عنه من رافضي خلافة النبوة كان لا يقبل المحاوره ولا المهادنة لما يمثله هؤلاء القوم من الخطر الأكبر على الإسلام من داخله، فكان لسان حاله يقول: قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص الدين وأنا حي<sup>(١)</sup>؟ وعلى هدي هذه القاعدة الأصيلة وفي تلك الفترة القصيرة من قيادته وإمامته، وبمثل إمكانياته وظروفه، حصل من الأعمال والإنجازات الداخلية والخارجية، وتنفيذ الخطط السياسية والعسكرية وما فيها من الفتوح والبرامج الاجتماعية والاقتصادية والإعلامية وغيرها، ما أبهر العقول وأذهل أهل التدبير والتخطيط.

(١) ينظر: أبو الحسن الندوي: المرتضى، ٧٠.

## رقم الصفحة

## الموضوع

٦١٠.....	تأيين خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه
٦١٨.....	في تركته
٦٢٣.....	الخاتمة
٦٢٩.....	ملخص البحث ونتائجه
٦٥٥.....	المراجع والمصادر
٦٥٥.....	المراجع
٦٦٧.....	المصادر
٦٦٩.....	مصادر أخرى
٦٧١.....	فهرس الموضوعات



وتبين أن الغوغاء في كل عصر هم أعوان للكذابين والأدعياء لأنهم لا يتبصرون ولا يبنون مواقفهم على ثوابت العقيدة، فتوجههم الروايات المكذوبة والمطالب المغلوطة، وتستميلهم المكاسب والمناصب والمنافع، ويخضعون لأصحابها فيداهنون باطلهم على حساب الحق والأمانة، فتستوي في موازينهم السنة النبوية والردة الراضية.

وهذه المسائل وغيرها تقود إلى التساؤل عن مصدر ضعف الولاء للسنة، وأسباب انتشار الفكر الغوغائي الذي لا تضبطه قواعد ولا توحد مخاطر؟! وهذا ما تشترك فيه مجموعة من العوامل منها غياب الكتابات الهادفة إلى تغذية الولاء للسنة النبوية والغيرة عليها!! وضعف المناعة أمام بهتان وإفك الراضية المنظم ضد السنة ورموزها في كثير من مصادر التاريخ والأدب الإسلامي، ومن ذلك كتب المسعودي واليعقوبي وابن أعمش الكوفي والأغاني وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ومن نسج على منوالهم بالحقد أو بالجهل في عامة كتب التاريخ والأخبار والآداب، ولعل من أخطر ذلك الكثير من روايات تاريخ ابن جرير الطبري، الذي يمتلئ محتوى كتابه بما لا يمكن إخفاؤه من النزعة الراضية واللوثة الشعبية التي لا مسوغ لها ولا يمكن الاعتذار عنها بوجه من الوجوه المعتمدة، وأن الزعم بأنه يورد السند لا يعد عذراً علمياً؛ لأن عامة تلك الأسانيد فاسدة وتناقض الكتاب والسنة وما فيهما من تزكية للصحابة الذين أجمعت الأمة على عدالتهم، ومما يزيد ذلك بلاء أن الطبري ثقة في كتاب التفسير، فكيف امتلأ كتاب التاريخ بالمغالطات والروايات الراضية؟! التي زادت العبء وخلطت الحابل بالنابل، ومهما كانت الأسباب التي جعلت تاريخ الطبري يخرج بهذه الصورة العبيثة المستهدفة لرموز السنة وثوابتها في كثير من زواياه، فإنه لا بد من التحذير من الاستسلام لما فيه من روايات تطعن في الصحابة، والتحذير يشمل ما في كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ولكل كتاب اعتمد على رواة الراضية في تاريخ الطبري وجعله مرجعاً له دون مناقشة ما فيه من أوهام وأباطيل وبهتان، أسهم إسهاماً واسعاً في هذا الفهم المغلوط لعامة أحداث وتاريخ صدر الإسلام، مما يؤكد الحاجة الماسة لمعالجة هذا السُفر الكبير معالجة علمية شافية تفرز السم عن الدسم، وتعود على الهوية الإسلامية بما ينمي الانتماء ويوصل الولاء

ويبني الأمة ويؤكد أخوة أهل السنة ووحدتهم ومصيرهم المشترك في كل عصر ومصر...  
هذا والله أعلم.

تم الكتاب وربنا محمود      وله المكارم والعلا والجد  
وعلى النبي محمد صلواته      ما ناح قمري وأورق عود

على يد أقلّ عباد الله وأحوجهم إليه غفر الله له ولوالديه، ولكل من قرأ في هذا الكتاب  
ونافح عن الأصحاب رضي الله عنهم سائلاً الله العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن  
يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به المؤمنين، ويُذكر الغافلين، ويوقظ النائمين، ويوحد  
المتخاصمين من أهل السنّة أجمعين، ويجعله ذخيرة لي عنده يوم الدين، تنير قبري وتثقل  
ميزاني، وأستغفر الله الكريم وأتوب إليه من كل خطأ وزلل وجهل وشطط وهوى.



## المراجع والمصادر

### المراجع:

- \* ابن الأثير: أبو الحسن علي بن محمد الجزري، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: خليل مأمون شيحة (بلا، ط) بيروت، دار المعرفة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.
- الكامل في التاريخ، مراجعة نخبة من العلماء، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠.
- النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي.
- \* ابن أحمد: عبد الله بن أحمد بن حنبل، ت، ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م.
- السنة: تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، الدمام، ط ١، دار ابن القيم، ١٤٠٦ هـ.
- \* الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله، ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م.
- معرفة الصحابة، تحقيق: محمد راضي، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.
- الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق: علي محمد الفقيهي، المدينة المنورة، ط ١، مكتبة دار العلوم والحكم، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- \* الأمير الصنعاني: محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني، ت ١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م.
- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المدينة المنورة، المكتبة السلفية.
- \* الألويسي: شهاب الدين السيد محمود، ت ١٢٧٠ هـ / ١٨٦٤ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- \* البخاري: محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري، ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م.
- الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، بيروت، ط ٣، دار ابن كثير، اليمامة، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

- خلق أفعال العباد، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة. الرياض، دار المعارف السعودية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- التاريخ الكبير، تحقيق: محمد الأزهر، بلا، ط، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
- \* البزار: أحمد بن عمر بن عبد الخالق العتكي البزار، ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م.
- البحر الزخار: بيروت، المدينة: تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله. مؤسسة علوم القرآن، ط ١، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٩هـ.
- \* البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا. بيروت، ط ٣، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ.
- \* البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر، ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م.
- فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- الشيخان وولدهما، الكويت، مؤسسة الشراع العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- أنساب الأشراف: بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- \* البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين، ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م.
- سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بلا، ط، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- معرفة السنن والآثار عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: سيد كسروي حسن. بيروت، دار الكتب العلمية، بلا، تا.
- شعب الإيمان، بيروت، تحقيق: محمد بسيوني زغلول. ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ.
- دلائل النبوة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. تحقيق: عبد المعطي قلعجي.
- \* التبريزي: محمد بن عبد الله الخطيب، ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م.
- مشكاة المصابيح، تحقيق: ناصر الدين الألباني. بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٥م.
- \* الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. بيروت، دار إحياء التراث العربي، بلا، تا.

- \* ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي، ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م.  
 - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت، ط ١، دار صادر، ١٣٥٨ هـ.  
 - تلبس إبليس، تحقيق: د. السيد الجميلي، بيروت، ط ١، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.  
 - صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعجي، بيروت، ط ٢، دار المعرفة، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.  
 - المدهش: بعناية: عبد الكريم محمد منير تتان، خلدون عبد العزيز مخلوطة. دمشق، ط ١، دار القلم، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.  
 \* الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، ت ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م.  
 - المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.  
 \* ابن حبان: محمد بن حبان بن أبي حاتم التميمي البُستي، ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م.  
 - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. بيروت، ط ٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.  
 - الثقات: تحقيق: السيد شرف الدين أحمد. ط ١، دار الفكر، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.  
 \* ابن حبيش: عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف، ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م.  
 - الغزوات الضامنة الكاملة والفتوح الجامعة الكائنة في أيام الخلفاء الثلاثة الأول، تحقيق: سهيل زكار، ط ١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.  
 \* ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد أبو حامد، ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م.  
 - شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الجيل (بلا، ط) ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.  
 \* الحربي: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م.  
 - غريب الحديث: تحقيق: د. سليمان العابد، ط ١، جامعة أم القرى، ١٤٠٥ هـ.  
 \* ابن حمزة: إبراهيم بن محمد بن كمال الدين الدمشقي، ت ١١٢٠ هـ / ١٧٠٨ م.  
 - البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، تحقيق: سيف الدين الكاتب، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠١ هـ.  
 \* الحميدي: عبد الله بن الزبير القرشي، ت ٢١٩ هـ / ٨٣٤ م.  
 - مسند الحميدي: تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، القاهرة، دار الكتب العلمية.

- \* ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م.
- المسند: تحقيق: أحمد شاكر، بلا، ط، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- فضائل الصحابة، تحقيق: د. وصي الله عباس. بيروت، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- \* ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، ت ٣١١هـ / ٩٢٣م.
- صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- \* الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م.
- الكفاية في علم الرواية: تحقيق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المدينة المنورة، المكتبة العلمية.
- موضح أو هام الجمع والتفريق، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت، ط ١، دار المعرفة، ١٤٠٧هـ.
- \* الخطيب القزويني: أبو طلحة القاسم بن أبي المنذر.
- الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ط ٤، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي.
- \* الخلال: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، ت ٣١١هـ / ٩٢٣م.
- السنة: الرياض، تحقيق: د. عطية الزهراني، ط ١، دار الراية، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
- \* ابن خياط: خليفة بن خياط شباب العصفري، ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م.
- طبقات خليفة، تحقيق: د. أكرم العمري، الرياض، ط ١، دار طيبة، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
- \* الدارقطني: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م.
- سنن الدارقطني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني، بيروت، دار المعرفة، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
- \* الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، ت ٢٥٥هـ / ٨٦٩م.
- سنن الدارمي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ ط ١، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي.
- \* أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م.
- سنن أبي داود: دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت. بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

- \* دحلان: أحمد زيني دحلان، ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م.
- السيرة النبوية والآثار المحمدية، بهامش السيرة الحلبية، بلا، ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بلا، تا.
- \* ابن دريد: محمد بن الحسن الأزدي، ت ٢٣١هـ.
- الاشتقاق: تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة المثنى، ط ٢، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- \* ابن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، ت ٢٨١هـ / ٨٩٤م.
- من عاش بعد الموت، تحقيق: محمد حسام بيضون. بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤١٣هـ.
- \* الديلمي: أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمذاني الملقب إلكيا، ت ٥٠٩هـ / ١١١٥م.
- الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، ط ١، دار الكتب العلمية. ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- \* الذهبي: شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ط ١، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. (ط ٩) مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. بيروت، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.
- تذكرة الحفاظ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، (بلا، تا).
- المنتقى من منهاج الاعتدال، تحقيق: محب الدين الخطيب، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- \* الرازي: فخر الدين بن محمد بن عمر الرازي، ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م.
- مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، بيروت، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- \* الزيري: المصعب بن عبد الله بن المصعب الزيري، ت ٢٣٦هـ.
- نسب قريش، تحقيق: أ. ليفي بروفنسال، ط ١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢م.
- \* الزنجاني: محمود بن أحمد الزنجاني أبو المناقب، ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م.
- تخريج الفروع على الأصول، تحقيق: د. محمد أديب صالح، بيروت، ط ٢، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ.

- \* الزيلعي: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م.
- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الرياض، ط ١، دار ابن خزيمة ١٤١٤هـ.
- \* الإسفراييني: طاهر بن محمد أبو المظفر الإسفراييني.
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- \* الساعاتي: أحمد عبد الرحمن البنا المعروف بالساعاتي.
- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه بلوغ الأمان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بلا، ط.
- \* السبكي: أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، ت ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م.
- فتاوى السبكي: بيروت، دار المعرفة، بلا، تا.
- \* ابن السري: هناد بن السري الكوفي، ت ٢٤٣هـ / ٨٥٧م.
- الزهد: تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار، ط ١، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٦هـ.
- \* ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع البصري، ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م.
- الطبقات الكبرى، إعداد رياض عبد الله عبد الهادي، ط ١، بيروت، دار التراث العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- \* سعيد بن منصور: سعيد بن منصور الخراساني، ت ٢٢٧هـ / ٨٤١م.
- سنن سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الهند، الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.
- \* ابن سلام: أبو عبيد القاسم بن سلام، ت ٢٢٤هـ / ٨٢٨م.
- غريب الحديث، تحقيق: د. محمد عبد المعيد، بيروت: ط ١، دار الكتاب العربي، ١٣٩٦هـ.
- \* السهيلي: عبد الرحمن بن أحمد الخثعمي، ت ٥٨١هـ / ١١٨٥م.
- الفرائض وشرح آيات الوصية، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، بيروت، تحقيق: معجدي منصور الثوري. دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

- \* السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م.
- تاريخ الخلفاء: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ط ١، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م.
- الدر المنثور، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٣م.
- \* ابن سيد الناس: فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي، ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، ط ٢، بيروت، دار الجيل، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- \* الشاطبي: إبراهيم بن موسى الشاطبي الأندلسي. ت ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م.
- الإفادات والإنشادات: تحقيق: محمد أبو الأجدان، مؤسسة الرسالة ط ٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦.
- \* الشافعي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي المكي، ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م.
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- \* ابن شبة: عمر بن شبة النمري البصري، ت ٢٦٢هـ / ٨٧٥م.
- تاريخ المدينة المنورة: تحقيق: علي دندل وياسين بيان، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- \* الشوكاني: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م.
- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٣م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت، دار الفكر.
- \* ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العسبي، ت ٢٣٥هـ / ٨٣٩م.
- مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط ١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ.
- \* الصالحى: محمد بن يوسف الصالحى، ت ٩٤٢هـ - ١٥٣٥م.
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: عبد العزيز عبد الحق حلمي، القاهرة مطابع الأهرام، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- \* الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام، ت ٢١١هـ / ٨٢٦م.
- المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي ط ٢، ١٤٠٣هـ.
- \* ابن طاهر المقدسي: محمد بن طاهر المقدسي، ت ٥٠٧هـ / ١١١٣م.

- ذخيرة الحفاظ، تحقيق: د. عبد الرحمن الفريوائي. الرياض: ط ١، دار السلف، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.
- \* الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد، ت ٣٦٠ هـ / ٨٧٣ م.
- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط ٢، الموصل، مكتبة الزهراء، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م.
- المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. القاهرة، دار الحرمين، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- الروض الداني «المعجم الصغير» تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أميرير. ط ١، بيروت، عمان، المكتب الإسلامي، دار عمار، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- \* الطبري: محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م.
- تاريخ الطبري، بيروت، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧ هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥ هـ.
- \* الطحاوي: ابن أبي العز الحنفي.
- شرح العقيدة الطحاوية، ط ١، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩١ هـ.
- \* ابن أبي عاصم: أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني أبو بكر، ت ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م.
- الزهد، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد. ط ٢، القاهرة، دار الريان، ١٤٠٨ هـ.
- \* ابن أبي عاصم: عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م.
- السنة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
- \* ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري. المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧ هـ.
- جامع بيان العلم وفضله، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي البجاوي. بيروت، دار الجيل، ١٤١٢ هـ.
- \* ابن عبد ربه: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م.
- العقد الفريد: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
- \* ابن عبد الوهاب: محمد بن عبد الوهاب، ت ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م.

- مختصر السيرة: تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، د. محمد بلتاجي، د. سيد حجاب. الرياض، ط ١، مطابع الرياض.
- \* ابن العربي: محمد بن عبد الله المعافري المالكي، ت ٥٤٣هـ / ١١٤٨م.
- عارضة الأحوذني بشرح صحيح الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١. بلا، تا.
- \* ابن عساكر: علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله، ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م.
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري. بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م.
- تبين كذب المقفري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، بيروت، ط ٣، دار الكتاب العربي.
- \* العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب. القاهرة، ط ٢، المطبعة السلفية، ١٤٠١هـ.
- لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، بيروت، ط ٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري السعودية، ط ١، دار العاصمة، ١٤١٩هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت، ط ١، دار الجيل، ١٤١٢هـ.
- تهذيب التهذيب، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- \* ابن العماد: عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، ط ١، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ.
- \* ابن عيسى: أحمد بن إبراهيم بن عيسى، ت ١٣٢٩هـ.
- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، تحقيق: زهير الشاويش. بيروت، ط ٣، المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ.
- \* العيني: بدر الدين محمود بن أحمد، ت ٨٥٥هـ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بلا، تا.

- \* الغزنوي: جمال الدين أحمد بن محمد الغزنوي الحنفي.
- أصول الدين، تحقيق: د. عمر وفق الداعوق، بيروت، ط ١، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- \* القاري: علي بن سلطان محمد، نور الدين الملا الهروي القاري.
- مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، بيروت، دار الفكر (بلا).
- \* ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، ت ٢٧٦هـ / ٨٩٩م.
- تأويل مختلف الحديث، تحقيق: محمد زهري النجار. بيروت، دار الجيل، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م.
- \* ابن قدامة المقدسي: موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي، ت ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م.
- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد. تحقيق: بدر بن عبد الله البدر. الكويت، ط ٢، الدار السلفية، ١٤٠٦هـ.
- \* القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م.
- الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: محمد إبراهيم الحفناوي، القاهرة، ط ١، دار الحديث، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- \* القزويني: عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني.
- التدوين في أخبار قزوين، تحقيق: عزيز الله العطاري، بيروت، الكتب العلمية، ١٩٨٧م.
- \* القلقشندي: أحمد بن علي بن عبد الله، ٨٢١هـ / ١٤١٨م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: عبد القادر زكار، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٨١م.
- \* ابن القيم: شمس الدين بن محمد بن أبي بكر، ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، ط ١، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله. ط ٣، الرياض، العاصمة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط. بيروت، الكويت، ط ١٤، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- \* الفسوي: أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، ت ٢٧٧هـ / ٨٩٠م.
- المعرفة والتاريخ، تحقيق: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

- \* الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م.
- القاموس المحيط، إعداد: عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، ط ١، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- \* ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م.
- البداية والنهاية: بيروت، مكتبة المعارف، ط ٦، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ.
- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط ٢، بيروت، دار الفكر.
- \* الكلاعي: سليمان بن موسى الأندلسي، ت ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م.
- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، ط ١، بيروت، عالم الكتب ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- \* اللالكائي: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، ت ٤١٨هـ / ١٠٢٧م.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق أحمد سعد حمدان الغامدي، ط ٣، الرياض، دار طيبة، ١٩٩٤م.
- \* ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م.
- سنن ابن ماجه، بيروت، دار الفكر، تحقيق: صدقي العطار، بلا، ط ١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- \* مالك بن أنس: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبغي، ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م.
- موطأ الإمام مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
- \* المحب الطبري: أبو جعفر أحمد بن عبد الله، ت ٦٩٤هـ - ١٢٩٥م.
- الرياض النضرة في مناقب العشرة، تحقيق: عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، بيروت، ط ١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م.
- \* المزي: جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م.
- تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- \* المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين، ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر.
- \* مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م.
- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- \* المقدسي: أبو القاسم علي بن بلبان المقدسي، ت ٦٨٤هـ.
- تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق، تحقيق: محيي الدين مستو، ط ١، المدينة المنورة، مكتبة دار التراث ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- \* المقدسي: المطهر بن طاهر المقدسي، ت ٥٠٧هـ / ١١١٣م.
- البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
- \* المقرئزي: أحمد بن علي المقرئزي، ٨٤٥هـ.
- إمتاع الأسماع، تحقيق: محمود محمد شاكر، إدارة الشؤون الدينية، قطر.
- \* ابن معين: يحيى بن معين أبو زكريا، ت ٢٣٣هـ / ٨٤٧م.
- تاريخ ابن معين (رواية الدوري) تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، مكة المكرمة، ط ١، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي. ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- \* ابن مفلح المقدسي: محمد بن مفلح المقدسي، ت ٧٦٣هـ.
- الآداب الشرعية والمنح المرعية، مصر، ط ١، ١٩٩٩م.
- \* المناوي: عبد الرؤوف المناوي.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصر، ط ١، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ.
- \* المنذري: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد، ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
- \* النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، ت ٣٠٣هـ / ٩١٥م.
- السنن الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، بيروت، ط ١، الكتب العلمية، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- \* ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م.
- لسان العرب: تنسيق وتعليق مكتب تحقيق التراث، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- \* الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، ت ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م.
- \* النووي: أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م.
- صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، ط ١، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.
- تهذيب الأسماء واللغات، بيروت، ط ١، دار الكتب العلمية، (بلا، تا).

- \* ابن هشام: عبد الملك بن هشام الحميري، ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م.
- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف. بيروت، ط ١، دار الجيل، ١٤١١هـ.
- \* الهيثمي: علي بن أبي بكر الهيثمي، ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
- \* الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م.
- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي، كامل محمد الخراط، لبنان، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- \* الواقدي: محمد بن عمر بن واقد، ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م.
- كتاب المغازي، تحقيق: د. مارسدن جونس، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥م.
- \* ياقوت: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م.
- معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- \* اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م.
- تاريخ اليعقوبي: بيروت، دار صادر، بلا، تا.
- \* أبو يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلبي التميمي، ت ٣٠٧هـ / ٩١٩م.
- مسند أبي يعلى: تحقيق: حسين أسد. دمشق، ط ١، دار المأمون، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

## المصادر:

- \* الألباني: محمد ناصر الدين الألباني
- السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض.
- \* بإسالة: حسين عبد الله بإسالة.
- خلافة أبي بكر الصديق، جدة، ط ١، تهامة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- \* الباكستاني: شبير أحمد محمد علي الباكستاني.
- عصر الصديق، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- \* جمال ووفاء: جمال عبد الهادي محمد مسعود، وفاء محمد رفعت جمعة.
- استخلاف أبي بكر الصديق، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- \* بيضون: إبراهيم بيضون.
- الأنصار والرسول ﷺ إشكاليات الهجرة في الدولة الإسلامية الأولى، بيروت ط ١، معهد الإنماء العربي، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

- \* الحكمي: حافظ بن أحمد الحكمي.
- معارج القبول، بيروت، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- \* الخطيب: محب الدين الخطيب.
- الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة، ط ١٠، ١٤١٠هـ.
- \* الخليفة: حامد محمد الخليفة.
- مهاجرة الحجاز تكوينهم وأثرهم في بناء الدولة في عصر الرسول ﷺ، الشارقة، مكتبة الصحابة، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- الموقف من التاريخ الإسلامي وتأصيل الهوية، دمشق، ط ١، دار القلم، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- الأنصار في العصر الراشدي، سياسياً، عسكرياً، فكرياً، الشارقة، مكتبة الصحابة، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، دمشق، دار القلم، طبعة دار القلم الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- \* الدليمي: طه حامد الدليمي.
- المنهج القرآني الفاصل بين أصول الحق وأصول الباطل (صورة عن الأصل).
- \* الدمشقي: طاهر الجزائري.
- توجيه النظر إلى أصول الأثر، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. حلب، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- \* الزرقاني: محمد عبد العظيم الزرقاني.
- مناهل العرفان، تحقيق: أحمد بن علي. القاهرة، دار الحديث (بلا، ط) ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- \* الشافعي: عبد الملك بن عبد الرحمن الشافعي.
- الفكر التكفيرى عند الشيعة حقيقة أم افتراء؟ مصر، مكتبة الإمام البخاري، ط ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.
- \* الشرقاوي: عبد الرحمن الشرقاوي.
- الصديق أول الخلفاء، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٨٧م.
- \* الطنطاوي: علي الطنطاوي.
- أبو بكر الصديق، السعودية، دار المنارة، ط ٣، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- \* الصلابي: علي محمد محمد الصلابي.
- أبو بكر الصديق، شخصيته وعصره، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، دار الإيمان، الإسكندرية، (بلا، تا).

- \* عبده: الشيخ محمد.
- كتاب شرح نهج البلاغة، مراجعة علي أحمد حمود، بيروت المكتبة العصرية (بلا، ط) ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- \* العظم: رفيق العظم.
- أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، بيروت، ط ٦، دار الرائد، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- \* العظم: يوسف العظم.
- تاريخنا بين تزوير الأعداء وغفلة الأبناء، دمشق، دار القلم، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- العقاد: عباس محمود العقاد.
- عبقرية الصديق رضي الله عنه، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية.
- \* العمري: عبد العزيز إبراهيم العمري.
- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- \* الغزالي: محمد الغزالي.
- فقه السيرة، تخريج الأحاديث، محمد ناصر الدين الألباني، ط ٢، دمشق دار القلم، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- \* مال الله: محمد مال الله.
- موقف الخميني من أهل السنة، ط ١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- \* الموسوي: حسين الموسوي.
- لله ثم للتاريخ، كشف الأستار عن الأئمة الأطهار.
- \* الندوي: أبو الحسن علي الندوي.
- المرتضى: سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، دمشق، ط ١، دار القلم، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- \* هارون: عبد السلام هارون.
- تهذيب سيرة ابن هشام، مصر، مكتبة السنة، ط ١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

## مصادر أخرى:

- \* الجزائري: نعمة الله الجزائري ت ١١١٢هـ.
- الأنوار النعمانية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

- \* الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بابويه القمي، ت ٢١٨ هـ.
  - علل الشرائع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.
- \* الطبرسي: أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي من علماء القرن السادس.
  - الاحتجاج: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان.
- \* النعماني بن أبي زينب: محمد بن إبراهيم النعماني.
  - الغيبة، بيروت، مؤسسة الأعلمي.



# فهرس الموضوعات

الموضوع

رقم الصفحة

## الفصل الرابع: الموقف من خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

- تمهيد..... ٧
- الموقف من خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ..... ٧
- المبحث الأول: إمامة الصديق للمهاجرين والأنصار في الصلاة بأمر النبي ﷺ قبيل وفاته ..... ١٩
- رفض رسول الله ﷺ أن يؤم المسلمين غير أبي بكر رضي الله عنه ..... ٣٤
- بعض شبهات الرافضة حول إمامة خليفة رسول الله ..... ٣٧
- فالرافضون لخيار رسول الله ﷺ هم خارج إطار أمته ..... ٥٠
- المبحث الثاني: موقف خليفة رسول الله يوم وفاة النبي ﷺ ورزية من شك في خلافته ..... ٥٧
- بداية مرض رسول الله ﷺ ..... ٥٧
- طلب أبي بكر رضي الله عنه أن يمرض رسول الله ﷺ ..... ٥٨
- غيابه في بيته بالشنع ..... ٥٩
- وفاة النبي ﷺ ..... ٥٩
- في تجهيز رسول الله ﷺ ..... ٦٤
- أحوال الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ ..... ٦٥
- بكاء الصحابة رسول الله ﷺ ..... ٦٩
- صفات القبور التي فيها رسول الله ﷺ وصاحبه ..... ٧٣
- يوم الرزية ..... ٧٥
- من مسوغات عدم الكتابة ..... ٨٠
- المبحث الثالث: خلافة أبي بكر رضي الله عنه وإمامته ثابتة بنصوص الكتاب والسنة وإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ..... ٨٩
- الإشارات النبوية على خلافة أبي بكر رضي الله عنه ..... ٨٩
- منزلة أبي بكر رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ وعند أصحابه رضي الله عنهم ..... ٩٦
- إجماع المهاجرين والأنصار على بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأنه هو الأولى بالإمامة والخلافة .. ١٢١
- المبحث الرابع: خلافة أبي بكر رضي الله عنه بين النص والاختيار ..... ١٣٣

## رقم الصفحة

## الموضوع

- لا وصية ولا نص على خلافة النبوة..... ١٣٣
- أدلة من قال إن النبي ﷺ لم يوص إلى أحد بعينه ..... ١٣٣
- لم يوص رسول الله ﷺ إلى علي رضي الله عنه ..... ١٣٧
- أدلة من قال بالنص على خلافة أبي بكر رضي الله عنه ..... ١٤٦
- نصوص تؤكد خلافة أبي بكر رضي الله عنه وإمامته للأمة ..... ١٥٨
- ومما يؤكد اختيار النبي ﷺ لخليفته أبي بكر رضي الله عنه ..... ١٦٧
- المبحث الخامس: الموقف يوم السقيفة وإقرار الإمامة وخلافة النبوة لأبي بكر رضي الله عنه بإجماع**
- الصحابة رضي الله عنهم ..... ١٧٩
- من مواقف الأنصار يوم السقيفة ..... ١٨١
- ومن خطب يوم السقيفة ..... ١٨٤
- خطبة خليفة رسول الله في الأنصار رضي الله عنهم ..... ١٨٤
- خطبة خالد بن الوليد رضي الله عنه ..... ١٩٠
- ما بعد البيعة العامة ..... ١٩١
- تمسك الصحابة ببيعة خليفة رسول الله ﷺ ..... ١٩٦
- بيعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما ..... ١٩٩
- بعض الأعداء التي توضح موقف علي رضي الله عنه من بيعة خليفة رسول الله ..... ٢١٢
- بيعة سعد بن عباد رضي الله عنه لخليفة رسول الله ﷺ أبي بكر رضي الله عنه ..... ٢١٦
- موافقة أهل الشوكة موجب لشرعية الخلافة ..... ٢٢٧
- الفصل الخامس: منهجه رضي الله عنه في حياته وإدارته**
- المبحث الأول: منهج خليفة رسول الله ﷺ في الزهد ومحاسبة النفس والأهل أبو بكر حجة على القادة**
- والحكام أجمعين ..... ٢٣٥
- الصحابة رضي الله عنهم أزهد الناس وأصدقهم ..... ٢٣٥
- من زهده وتواضعه ..... ٢٤٠
- في زهده ومحاسبة أهله ..... ٢٤٣
- في ورعه ومحاسبته وتركته ..... ٢٤٧
- ورعه وزهده في معاشه ..... ٢٦٢
- تفاؤله بمستقبل الأمة ..... ٢٦٥

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الثاني: ميراث السيدة فاطمة رضي الله عنها.....	٢٦٧
شبهات الرافضة عن الميراث.....	٢٨٠
المبحث الثالث: في منهجه الاجتماعي والإداري.....	٢٩١
في الحياة الاجتماعية.....	٢٩١
في الجانب الإداري.....	٢٩٨
عمال رسول الله ﷺ.....	٢٩٩
كتاب خليفة رسول الله ﷺ وعماله في المدينة.....	٣٠٠
أمرؤه وعماله وكتابه وقضاته.....	٣٠٣
المبحث الرابع: في الشؤون المالية.....	٣٢٣
إنفاق أبي بكر رضي الله عنه ماله كله في سبيل الله.....	٣٢٣
إعتاق المستضعفين.....	٣٢٥
إنفاقه في ركائب رسول الله ﷺ.....	٣٣٣
إنفاق أبي بكر رضي الله عنه في بناء المسجد النبوي الشريف.....	٣٣٤
حول سياسته المالية.....	٣٣٥
بيت المال.....	٣٣٩
موقف خليفة رسول الله ﷺ.....	٣٤٥

### الفصل السادس: موقف خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق

#### من إنفاذ جيش أسامة ومن حركات الرفض والردة

المبحث الأول: موقف خليفة رسول الله ﷺ من إنفاذ جيش أسامة بعد وفاة النبي ﷺ.....	٣٤٧
تهينة جيش أسامة بن زيد بن حارثة.....	٣٤٩
موقف خليفة رسول الله من المعارضين لبعث جيش أسامة بعد وفاة النبي ﷺ.....	٣٥٢
تشبته للمسلمين وخطبه في الأمة بعد وفاة النبي ﷺ.....	٣٥٤
الموقف بعد إنفاذ جيش أسامة.....	٣٥٧
أثر جيش أسامة العسكري والمعنوي.....	٣٥٩
وداع خليفة رسول الله جيش أسامة ووصيته لهم.....	٣٦١
قدوم جيش أسامة وعودته إلى المدينة.....	٣٦٣
موقف خليفة رسول الله بعد عودة جيش أسامة.....	٣٦٦

## رقم الصفحة

## الموضوع

- فكان كتاب الخليفة إلى المرتدين واحداً..... ٣٦٧
- المبحث الثاني: أقسام الردة وأسبابها وموقف خليفة رسول الله منها..... ٣٧١
- الردة ..... ٣٧١
- أقسام المرتدين ..... ٣٧٢
- أسباب الردة..... ٣٧٨
- الخلافة والمرتدون ..... ٣٨١
- موقف خليفة رسول الله من الردة ..... ٣٨٣
- أهمية موقف خليفة رسول الله من الراضية المرتدين ..... ٣٩١
- المفاوضات بين الخلافة وبين المرتدين ..... ٣٩٣
- حراسة أنقاب المدينة ومدخلها ..... ٣٩٦
- الموقف العام لقبائل المرتدين حول المدينة بعد وفاة النبي ﷺ ..... ٣٩٧
- من مقومات النصر على المرتدين ..... ٤٠١
- خطاب خليفة رسول الله إلى عامة الناس ..... ٤٠٨
- عهد خليفة رسول الله إلى الأمراء قادة الجيوش ..... ٤١٢
- المبحث الثالث: الموقف من المتبئين والمرتدين (الأسود العنسي وطلحة بن خويلد الأسدي وموقف  
بني عامر وهوازن وسليم) ..... ٤١٧
- الأسود العنسي المتبئ الكذاب ..... ٤١٧
- الموقف من طلحة بن خويلد الأسدي ..... ٤٢٢
- موقف مالك بن نويرة ..... ٤٣٢
- موقف بني عامر وهوازن وسليم أيام الردة ..... ٤٣٩
- المبحث الرابع: موقف خليفة رسول الله من مسيلمة الكذاب والمرتدين في البحرين واليمن وعمان  
وحضرموت ..... ٤٤٧
- مسير خالد رضي الله عنه إلى مسيلمة الكذاب في اليمامة..... ٤٤٧
- مصالحة خالد لمجاعة عمن بقي من بني حنيفة ..... ٤٥٤
- كتاب خليفة رسول الله أبي بكر إلى خالد ..... ٤٥٧
- شهداء الأنصار يوم اليمامة ..... ٤٥٨
- بعض ما كان يزعمه مسيلمة الكذاب أنه مما يوحى إليه ..... ٤٦٠

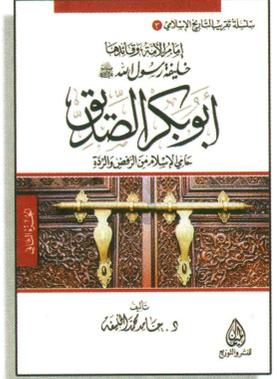
رقم الصفحة	الموضوع
٤٦٢	ذكر ردة أهل البحرين
٤٦٥	قدوم أهل البحرين إلى أبي بكر يفتدون سباياهم
٤٦٥	ردة أهل عُمان ومهرة
٤٦٨	ردة اليمن
٤٦٩	ردة اليمن ثانية
٤٧١	الأخبار من عك
٤٧٢	أهل نجران
٤٧٥	ردة حضرموت وكندة
٤٧٧	دور زياد بن ليبي رضي الله عنه في القضاء على الردة في اليمن
<b>الفصل السابع: فتوح العراق والشام في عصر خليفة رسول الله ﷺ</b>	
<b>أبي بكر الصديق رضي الله عنه</b>	
٤٨٩	المبحث الأول: فتوح العراق في عصر خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٤٩٧	وقعة المذار ١٢ هـ
٤٩٩	معركة الولجة ١٢ هـ
٥٠١	وقعة أليس وأمغيشيا
٥٠٤	فتح الحيرة
٥١٠	ما بعد الحيرة
٥١٠	كتاب خالد إلى أهل المدائن
٥١١	قدوم جرير بن عبد الله البجلي
٥١٢	فتح الأنبار
٥١٣	فتح عين التمر
٥١٥	فتح دومة الجندل
٥١٦	وقعة الحصيد والخنافس
٥١٦	مصتيخ بني البرشاء
٥١٩	وقعة الثني والزميل
٥٢٠	وقعة الفراض
٥٢٤	مسير خالد من العراق إلى الشام

## رقم الصفحة

## الموضوع

- أحوال العراق بعد مسير خالد إلى وفاة الصديق رضي الله عنه ..... ٥٣٠
- المثنى بعد وداع خالد..... ٥٣٢
- المبحث الثاني: فتوح الشام في عصر خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه ..... ٥٣٥
- خطبة خليفة رسول الله عند انطلاقة جيوشه لفتح الشام..... ٥٣٨
- وصية خليفة رسول الله ليزيد بن أبي سفيان ..... ٥٤٢
- وقفه مع وصية خليفة رسول الله..... ٥٤٣
- وصية خليفة رسول الله لعمر بن العاص ..... ٥٤٩
- معركة أجنادين..... ٥٥١
- بدايات اليرموك..... ٥٥٥
- معصية الروم هرقل في دعوته إلى مصالحة المسلمين ..... ٥٥٧
- طلب أمراء الشام الإمداد والرأي من خليفة رسول الله لمواجهة الروم ..... ٥٥٨
- موقف خليفة رسول الله من طلب الأمراء الإمدادات منه ..... ٥٦٥
- اجتماع خالد بأمراء المسلمين في الشام ..... ٥٦٧
- اختيار موقع المعركة ..... ٥٧٠
- خطة المعركة ..... ٥٧٢
- الوعظ والإرشاد والتوجيه ..... ٥٧٤
- دعوة الروم إلى الإسلام ..... ٥٧٥
- مفاوضات ..... ٥٧٦
- إسلام القائد الروماني جرجة ..... ٥٨٠
- المبحث الثالث: عهد الصديق إلى الفاروق بالخلافة ووفاته رضي الله عنه ..... ٥٩١
- مشاورة الصديق المسلمين في تولية عمر ..... ٥٩١
- مشاورته الصحابة في أمر تولية عمر رضي الله عنهم ..... ٥٩٣
- كتابة عهد الخلافة لعمر الفاروق رضي الله عنه ..... ٥٩٨
- مرضه ووفاته رضي الله عنه ..... ٦٠٥
- في مدة خلافته وسنه حين وفاته رضي الله عنه ..... ٦٠٥
- في سبب وفاته ..... ٦٠٦
- كفته وغسله ..... ٦٠٨

إمام الأمة وقائدها  
 خليفة رسول الله ﷺ  
**أبو بكر الصديق**  
 حامي الإسلام من الرفض والردة



هذا الكتاب

جهد مشكور لمؤلف من حماة الإسلام في العصر الحديث يحمل هموم الدعوة وما يكتنفها من تحديات معاصرة متمثلة في حملات التشكيك التي ينفث سمها أعداء الإسلام من الروافض ومبغضي صحابة رسول الله ﷺ من أجل تضليل شباب الأمة والتلبيس على نشئها في عقيدتها ومواريتها.

ومن ثم اجتهد مؤلف هذا الكتاب في وضع فهم صحيح وفقه وإع وعلم مستنير لسيرة إمام الأمة وقائدها وخليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وفق دراسة تحليلية تركيبية تبصيرية للوصول إلى نتائج تثمر رسوخ العقيدة في القلوب وتسرج المصابيح التي تنير لأمتنا طريقها نحو المستقبل بكل تداعياته.

إن قراءة سيرة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - من خلال هذا الكتاب القيم ستضع على طريق الأمة الإسلامية علامات وصوى نهدي بها ونخرج من مشاكلنا التي تحيط بنا من كل جانب ، وتأتينا من كل حذب وصوب.

الناشر

ردمكف: ٦-٦٤-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٦٦-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج ٢)

ISBN 978-9960-686-64-6

3 2 0 1 4



9 789960 686646



للنشر والتوزيع

دار الميمان للنشر والتوزيع  
 www.arabia-it.com  
 info@arabia-it.com

يطلب هذا الكتاب من:  
 المملكة العربية السعودية - الرياض  
 هاتف: ٠٠(٩٦٦) ١ ٤٦٢-٧٣٣٦  
 فاكس: ٠٠(٩٦٦) ١ ٤٦١-٢١٦٣